

الجواب الفسح

لمالفة عبد المسيح

تأليف

الامام الأوسى البغدادى

الجزء الثانى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في الجزء السادس من فهرس مكتبة الازهر — المعارف
العامه — ما يلي :

الجواب الفسيح ، لما لفته عبد المسيح — لنعمان
الآلوسى . وهو العلامة خير الدين أبو البركات :
نعمان بن محمود الآلوسى البغدادي ، المولود سنة ١٢٥٢ هـ .
والمتوفى سنة ١٣١٧ هـ ، رديه على رسالة — لعبد المسيح
الكندى التى طعن بها فى الاسلام ، وفرغ من تأليفه سنة
١٣٠٦ هـ — نسخة فى جلد طبع حجر بمدينة لاهور . بأولها
فهرس وتقرىظ فى ٢٢ ، ٤٨٢ ص — ٣٣ سم (٨٠٨)
١٠٩٩٠ ونسخ كالسابقة .

قال النصراني

« ثم أعظم من هذا وأشنع انه كان يقول لهم في حياته ويوصي اليهم إذا مات الا يدفنوه ، فانه سيرفع إلى السماء ، كما ارتفع المسيح بيد العالم ، وانه أكرم على الله من أن يتركه على الأرض أكثر من ثلاثة أيام ، ولم يزل ذلك عندهم متمكنا في قلوبهم ، فلما مات يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة ثلاث وستين أولده ، وقد مرض أربعة عشر يوما ، تركوه ميتا يظنون أنه سيرفع إلى السماء كقوله ، فلما أتت عليهم ثلاثة أيام وتغيرت رائحته ، وانقطع رجاؤهم من ذلك ، وأيسوا من تأك المواعيد الباطلة ، ووقفوا على كذبه ، دفنوه في التراب يوم الأربعاء . »

وحكى بعضهم انه مرض سبعة أيام بداء الجنب وانه غرب عقله وخلط في كلامه تخايضا شنيعا ، فغضب لذلك على بن أبي طالب وأنكره ، فلما أفاق خبره بما كان فقال : لا ييقين في البيت أحد الا « العباس بن عبد المطلب » فلما كان في اليوم السابع من مرضه مات ، فربى بطنه وانعكست أصبعه الشمال وهي الخنصر ، وذكر (عمر) أنه كان تحته في مرضه شملة حمراء وعليها مات وفيها أدرج بعد موته وورى في التراب بغير غسل ولا أكفان وروى عمران بن خضير الخزاعي أنه غسل وأدرج في ثلاثة أثواب سحولية أي بيض يمانية . وان الذي تولى ذلك منه «علي بن أبي طالب » و « الفضل بن العباس ابن عبد المطلب » عمه ، فلم يبق أحد ممن كان تبعه الا ارتد ورجع عما كان عليه غير نفر يسير وشرذمة قليلة من أخص أهله وأقربهم نسرا إليه ، طمعا بما كان فيه من تلك الرئاسة ، فكان الأبى بكر - عتيق بن أبي قحافة - في ذلك أعجب تدبير ، وألطف فعل ، وأكثر رفقا فتولى الامر

بعد بذلك السبب ، فاغتاز «علي بن أبي طالب» غاية الغيظ ودخل عليه
ما يدخل على من لم يشك ان الأمر طائر إليه ، فانتزع من يده كل ذلك
حرصاً على الدنيا، ورغبة في الرئاسة، فلم يزل «أبو بكر» برفقه وحسن
مدارته يلفظ بالمرتدين ، الى أن رجعوا بضروب من الحبيل والرفق
والعداات والتشويقات والأمانى والخداع وكان بعض ذلك بالخوف
والفرق من السيف ، وبعض بالترغيب في سلطان الدنيا وأموالها
وإباحة شهواتها ولذائتها ، فرجع من رجع في ظاهره لاني بإطنه» اه .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه تفتنى

أقول وبالله التوفيق: قوله « ثم أعظم من هذا واشنع انه كان يقول لهم الى آخره .

هذا كذب صرف وبهتان ظاهر ، وكلام ليس له أساس ولا أصل ، ولم يخطر ببال احد من المسلمين المتقدمين والمتأخرين ، بل هو حديث منه مفترى . والعجب من هذا النصرانى انه هو روى آنفا وان لم يصح أن نبينا عليه السلام قال : « ماجأكم عنى أعرضوه على الكتاب ، فان كان له مشاكلا وكان له فيه ذكر ، فهو عنى ، فان لم يكن له ذكر فى الكتاب أنا برىء منه وهو كذب ممن رواه عنى » اه . فكيف يتصور أن يقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لأصحابه فى حياته ويوصى إليهم اذا مات ألا يدفنوه فإنه سيرفع إلى السماء كما ارتفع عيسى عليه السلام ، مع أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قد بلغ الناس عن ربه عز وجل أنه قال له « إنك ميت وإنهم ميتون » . وقال تعالى : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل » وقال سبحانه : « كل من عليها فان » وقال عز وجل : « كل نفس ذائقة الموت » . وقال صلى الله تعالى عليه وسلم عند وفاته « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وقال : « لاتجعلوا قبرى عيدا » وفى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها عند البخارى قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه « لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » لولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشى أن يتخذ قبره مسجدا . وقال عليه الصلاة والسلام كما فى « المواهب » عن ابن عمر « أن عيسى بن مريم ينزل إلى الأرض

فيتزوج ويولد له ثم يموت ، فيدفن معي في قبري ، فأقوم أنا وعيسى
من قبر واحد » اه .

فلما نظرنا في هذا القول الذي نسبه «عبد المسيح» الى الصحابة،
رأيناه لم يسمع به أحد من المسلمين ، ولا ذكر عن احد من الصحابة
والتابعين : أن نبينا عليه الصلاة والسلام قال ذلك قط ، ولا كتب في
كتاب أو ديوان ، ورأيناه أيضا مخالفا للقرآن العظيم والآيات المتقدمة،
ورأيناه أيضا مناقضا لسائر أقواله صلى الله تعالى عليه وسلم التي
ذكرناها وغيرها ، مما لم نذكره خشية التظويل ، فعلمنا افتراء هذا
العزو وكذب هذا الاسناد .

نعم بقي شيء ربما يموه به هذا النصراني أو إخوانه على ضعفة
العقول والجهال بالمتقول والمعقول ، وهو أنه لما توفي عليه الصلاة
والسلام ودهمت هذه المصيبة كافة الاسلام ، وكادت أن تذهب بعقول
الخاص والعام ، واتجت المدينة المنورة بالبكاء والضجيج ، والعيويل
والنحيب العريض الطويل ، كما قال «ابن المنير» في معراجه : «لما
مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كادت العقول تطيش ، فمنهم
من قارب الخيل ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من أخرس
فلم يطق الكلام ، ومنهم من أمرض . فعثمان ممن أخرس يذهب
ويجىء ولا يستطيع كلاما ، وعلى بن أبى طالب ممن أقعد فلم يستطيع
حراكا ، وعبد الله بن أنيس ممن أضنى فمات كمدا وحزنا . ومنم كاد
أن يخبل عمر الفاروق . وقال : ما مات رسول الله ولا يموت حتى يقتل
الله المنافقين . وقيل اخذ بقائم سيفه وقال : لا أسمع أحدا يقول : مات
رسول الله إلا ضربته بسيفي هذا . وكان يقول : انما أرسل إليه كما
أرسل إلى موسى ، فلبث عن قومه أربعين ليلة ، ثم صحى عمر ورجع

عن ذلك • كما سيأتى وكان أبو بكر اثبتهم جأشاً، وجاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع، وبعد أن دخل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واكب عليه قبله وبكى • وقال : طبت حيا وميتا بأبى أنت وأمى ، ثم خرج • وقال : اجلس يا عمر فحمد الله ابو بكر وأثنى عليه • وقال : الا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت • وقال : «انك ميت وانهم ميتون» وقال تعالى : «وما محمد الا رسول قد خات من قبله الرسل أفإن مات أو قتل » الآية • قال عمر : فوالله لكأنى لم أتل هذه الآيات قط •

قال أبو نصر : «المقالة التى قالها عمر ، ثم رجع عنها (وهى) أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يمت ولن يموت ، حتى يقطع أيدى وأرجل رجال — يعنى المنافقين — كان قوله ذلك لعظيم ماورد عليه ، وقد خشى الفتنة وظهور المنافقين ، فلما شاهد عمر قوة يقين الصديق وتفوهه بالآيات وخرج الناس يتلونهن فى سكك المدينة كأنها لم تنزل قط إلا ذلك اليوم رجع عن مقالته » اه •

وقد أجاب العلماء عن قول عمر رضى الله تعالى عنه بأجوبة أخر فمنها أن عمر انسان ، والانسان قد يعرض له النسيان ، ألا ترى أن آدم عليه السلام أبو البشر قال الله تعالى فى حقه «فنسى» أى النسي عن أكل الشجرة ، ونسى يوشع عليه السلام أن يخبر موسى بفقد اللحوت من المكمل ، ونسى موسى عليه السلام معاهدة مع الخضر على عدم السؤال ثلاث مرات • فلا غرو إذا نسي الفاروق لكثرة حزنه ودهشته ، عند وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، قوله تعالى : « أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم » ومنها انه رضى الله تعالى عنه لم يدع استحالة الموت عليه عليه الصلاة والسلام بل قال كيف يموت ؟ أى فى هذا الوقت وقد قال تعالى «ليظهره على الدين كله»

وقال عز وجل «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم في الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا» الآية • ولذلك نفى موته عليه الصلاة والسلام لأنه حمل الآية الأولى على أنه خبر في حال حياته ، وظن أن عموم الآية الثانية يدخل فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه سيد المؤمنين والصالحين ، فظن أن ذلك يكون في حياته على الفور لا على التراخي وبعد وفاته • حتى قال له أبو بكر رضى الله تعالى عنه إن الله تبارك وتعالى وعده بذلك وسيفعله • وتلا عليه ما تلى ، فأيقن عند ذلك بموته عليه الصلاة والسلام •

وإنما ظن أن موته يتأخر عن ذلك الوقت ، لا أنه منع من موته •

ومنها أن عمر بشر ، وإن البشر مما تلحقه العوارض البشرية ، كالفرح والحزن والنسيان والمرض ، فمن فرح النفس ما يقتل ، ومن الحزن ما يضرى ويمنع عن الأكل والنوم ، ويورث الخبل ، ومن المرض ما يوجب أنواع المعاطب والهجر في الكلام ، وفقد الرشد وزوال العلم والفهم • ثم يذهب ذلك ويعود الانسان بعد زوال هذه العوارض إلى حالته الأولى • ونحن لم نقل إن عمر وأمثاله رضى الله تعالى عنهم معصومون مبرعون عن ذلك ، ولم تثبت له ولهم النبوة الموجبة للعصمة ولا الألوهية المبرأة عن كل حادث وعارض ، ولا يلحق الفاروق مما يلحق سائر البشر نقص بذلك فهذا بطرس رسول عيسى وحواريه الذى هو اشرف من موسى بزعمكم أنكر إلهه ومرسله • أعنى المسيح بزعمكم ، لما أخذ والمسيح إلى الصلب ، وقالت الامراة : إن هذا أيضا من أصحاب يسوع فأنكره من شدة خوفه على نفسه ، بزعمكم حالفا ثلاث مرات : أنه لايعرف يسوع ، ولا هو من أصحابه ،

حتى صاح الديك . فكان كما قال له يسوع المسيح : « إنك ستتكرنى ثلاثا قبل أن يصيح الديك » كما في أناجيلكم ، ، فلا ضير إذا قال صحابي لفرط حزنه وتبدد فكره ودهشة عقله : إن نبيه لم يميت ثم بعد ساعة رجع لما أفاق كمال الافاقة ، وذكر بالآيات القرآنية ، فرد روعه عليه ، وعاد كامل عقله إليه . فيقتضى أن يكون حاله أحسن من الحوارى بطرس ، لأنه انكر الهه المسيح ، والفاروق قال عن نبيه لم يميت .

تتمة يؤيد ما قلناه لك في بحث توجيهنا لكلام عمر رضى الله تعالى عنه ما فى الأصحاح الرابع والعشرين من انجيل لوقا فى بحث نزول المسيح عليه السلام على الحواريين بعد موته ودفنه وقيامته من قبره مالفظه : « ولما قال هذا اراهم يديه ورجليه ، وفيها موضع المسامير ، وإذا هم حتى الآن غير مصدقين من فرحهم وتعجبهم » اه فاذا كان التلاميذ من شدة فرحهم لا يصدقون انه المسيح ، فليكن عمر من شدة حزنه ما صدق أنه عليه الصلاة والسلام توفى ، ثم بعد ساعة صدق ذلك ، مع أن التلاميذ ما صدقوا إلى الآن كما هو مصرح به . ففقس أيها المعترض ووازن الحزن مع الفرح ، والسرور والتروح ، وانظر الفرق وتأمل ما يرد على هذه الآية الانجيلية هنا .

ومن الايرادات التى ستذكر أيضا فى محلها إن شاء الله تعالى فانظر الفرق بينهما وأنصف أيها المعترض .

قوله : « فلما أتت عليه ثلاثة أيام إلى آخره . » قد روى الثقة أنه عليه الصلاة والسلام توفى يوم الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء وقيل إنما دفن - عليه الصلاة والسلام - يوم الأربعاء لاستغاله الصحابة بأمر البيعة خشية أن يدفن عليه الصلاة والسلام ، وأمر الأمة غير منتظم ، وليس فيهم خليفة ، والقول الأول أصح .

ثم ما ذكره النصراني من أنه عليه الصلاة والسلام رائحته بعد وفاته تغيرت ، فهذا كذب صرف ، بل الأمر بالعكس ولم يظهر في جسمه الشريف تغير أبدا ، وشم جميع الحاضرين منه رائحة كرائحة المسك وعرف الند • روى الطبري عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال : « ما شمت بعد وفاته أطيب من ريحه ، ولا رأيت ضوء من وجهه حينئذ ، ولم أره يعتاد فاه ما يعتاد أفواه الموتى » على انا لو فرضنا الحال وسلمنا لك ما تقول من تغير بعض أجزائه الجسمية الشريفة الناسوتية - أرواحنا له الفداء - فأى ضرر من ذلك ؟ وأى شيء مضاد للنبوة فيما هنالك ؟ لأنكم إذا جوزتم على إلهكم - المسيح عليه السلام - خالق الموت والحياة ، وخالق ملك الموت وسائر الموجودات ، أنه صلب وسمرت يدها ، وبعد أن دفن ورفع إلى السماء نزل إلى الحواريين وأراهم يديه الشريفتين ، وقد بقي فيهما أثر المسامير التي سمرت بها ، واعتزى جسمه الشريف ما يعتزى سائر الأجسام من الأذى ، وصار محلا لسائر الحوادث والعوارض ، منذ كان نطفة في بطن أمه مريم عليها السلام إلى أن وضعته وختنته وكبر وجاع وعطش وأهانته اليهود وصلبوه ، بعد أن سمروا يديه وأثرت في المسامير حتى مات ودفن ، ثم قام من الأموات وصعد وجلس على عرشه ، ثم نزل إلى الحواريين ولم يذهب أثر المسامير وألمها من يديه ، وقتلتهم : إن ذلك لا يطعن في ألوهيته لأن ذلك حل في الناسوت لافي اللاهوت ، فأى ضير علينا إذا لحق بالفرض والتقدير جسم نبينا عليه الصلاة والسلام ما يلحق سائر أجسام الأنبياء عليهم السلام الذين كثير منهم قتل صبورا ، وبعضهم نشر بالمناشير ، وبعضهم صار عظاما بعد الموت ، كما حكيت أنت انفا عن «الميثع» أن عظامه وضع أليت عليها فعاشن؟ وهذا دليل على أن لحمه - بزعمك - ذهب وأكلته الأرض ولم يبق منه شيء وإذا فرضنا أنه عليه الصلاة والسلام لشدة ألم

نسوته وما عرضه من الحمى تكلم بكلمات لا يتكلمها في حال صحته ،
كالنائم مثلا إذا تكلم في نومه بعض كلمات لا يقوله في حال يقظته ،
فأى بأس في ذلك ؟

والعجب من هذا النصراني كأنه لم يسمع قول المسيح في إنجيله
«لماذا تنظر القذى في عين أخيك ، وأما الخشبة التي في عينك فلا تقطن
لها» وهذا بطرس عندكم أفضل من موسى عليه السلام (وقد) انكر
المسيح ثلاث مرات من شدة خوفه من اليهود ، كما نقلناه آنفا فليكن
المرض كالخوف مثلا، مع أن المرض أعظم من الخوف، بل النائم والمريض
معدوران ، والخائف لا يعذر من كل وجه ، ولا سيما مثل بطرس ،
الذي يعلم أن عيسى إلهه بزعمكم ولا بد أن يخلصه من ايدي اليهود
إذا اعترف بمصاحبته ، لأنه هو نزل عن عرشه ليخلص العالم من
الخطيئة ، ويكون خروفا بزعمكم ، فكيف لا يعتقد بطرس أنه لا أقل (من)
أن يخلصه من ايدي اليهود الذين يريدون قتله لأجله ظلما ؟ ومع هذا
أنكره من شدة الخوف •

فتبين أن حالة الخوف يباح فيها الكفر عندكم ، لأن إنكار الإله
كفر ، وقد أنكر بطرس إلهه، وحلف كاذبا عامدا ، فلتكن حالة دهشة
عمر الفاروق وكلامه عند وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحالة
إغماء النبي عليه الصلاة والسلام في حماه ، وكلامه الذي زعمه النصراني
مما لو فرض وقوعه ، فلا بأس به كحالة بطرس في خوفه • وحالة تغير
جسم النبي عليه الصلاة والسلام بعد موته كتغير جسم الإله الخالق
عند صلبه ، وكتأثير المسامير في يديه وألمه عند زهوق روحه وصراخه
عند تسليمها وتغير جسمه بزعمكم •

وهذا الذي قلناه إنما قلناه ننزلا مع الخصم ، وفرضا للمحال •

وفرض المحال جائز كما لا يخفى على أن تغير بعض أجزاء جسمه الشريف عليه الصلاة والسلام - وأرواحنا له الفداء - بعد وفاته - على زعمكم - هو دون أكل لحم المسيح الحقيقي حقيقة وشرب دمه حقيقة في كل يوم ، بكل كنيسة في الدنيا ، منذ توفي إلى يومنا هذا ، وأهون منه بدرجات كثيرة ، فأين تغير ناسوت نبينا على تقدير وقوعه وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد موتهم ، من تغير جسم الهكم بزعمكم ، وأكلكم لحمه وشربكم دمه بعد موته وصلبه وتسمير يديه في حياته وصراخه عند تسليم روحه ؟ فافهم وأنصف ، فإنه لا مجال للمعترض في رد كلامنا هذا عند كل منصف . والله سبحانه ولى التوفيق .

وأما قوله « فلما أفاق » إلى آخره .

أراد النصرانى بهذا مسألة اللد .

واللدود بالفتح هو الدواء الذى يلد به ، وهو أن يسقى الإنسان في أحد ثقبى الفم ، وهذا كان القسطنطين البحرى وهو العود الهندى ، ويدق ناعما ويخلط بالزيت ويستعمل لبعض الأمراض ، وهو نافع من داء الجنب وقد روى العلماء عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها أنها قالت « لما اشتد وجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان في البيت نساؤه ، وعمه العباس وأم الفضل بنت الحارث وأسماء بنت عميس ، ففتشوا وروا في لده » وفي الصحيحين قالت عائشة لددنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأشار أن لا تلدونى ، فقلنا كراهية المريض للدواء ، فلما أفاق قال « ألم انهكم ان لا تلدونى لا يبقى منكم احد إلا لد ، غير عمى العباس ، فإنه لم يشهدكم » قال العلماء : « وإنما أمر عليه الصلاة والسلام بلدهم معاقبة للجانى بمثل ما فعل ، لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نهاهم عن ذلك ولم يمتثلوا ، وفعلوا فيه

ذلك ، فاقترض منهم رحمة بهم ، لأنه لو لم يقتص منهم ، لجوزوا على ذلك في الآخرة فالتقصاص مطهر لهم وممحص لما ارتكبه من خلاف أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واستثنى عمه العباس لأنه لم يحضر ذلك ، ولم يكن له رأى فيه « اه •

ثم إنا لو فرضنا أنه عليه الصلاة والسلام قال : « لا يبيتين في البيت أحد ، وانه أخرج جميع من في الدار ، وتكدر من بعض اصحابه الكرام ، أو خالفه بعضهم في أوامره بشيء ، فأى بأس في ذلك إذا قسناه وقابلناه بما قاله المسيح عليه السلام لبطرس كما في الأصحاح السادس عشر من إنجيل متى وهو « اذهب عنى يا شيطان إنك أنت لى شك ، لأنك لا تفطن في ما لله لكن فيما للناس » اه •

مع أن بطرس هو رأس الحواريين — رسل عيسى عليه السلام — وهو الصخرة التي بنيت عليه كنيسته ، وعنه أخذوا دينهم فانظر كيف قال له المسيح : انه شيطان • وطرده ونحاه عنه ، والشيطان كافر ملعون مطرود من رحمة الله تعالى ، ونسب المسيح نفسه أيضا للشك ، مع أن النصارى يزعمون انه إله عالم بالمغيبات جميعها ، والعواقب بأسرها ، فكيف يكون من لعنه وأبعده عنه من الرسل ؟ وإذا كان فكيف جعله شيطانا أو شبيها به ؟ مع أنه لم يتع من نبينا عليه الصلاة والسلام مع أحد من أهل بيته أو صحابته مثل هذا ، ففى هذه الآية والكلمات المذكورة أسئلة عديدة ، وإيرادات كثيرة على النصارى في زعمهم ألوهية المسيح ورسالة حواريه ، وأجوبة مفحمة لما اطلال به «عبدالمسيح» لا تخفى على الناظرين ذوى الفكر الفسيح •

فالعجب من هذا النصرانى كيف يموه في كلامه ، ويستعمل دسائس في تعبيراته • فأى بأس في هذه المسألة إذ الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الخطأ والوهم في أمر النبوة ، محفوظون فيما

يتعلق بتبليغ الوحي ، وأما اجسامهم الشريفة فتلحقها العوارض من الآلام والإغماء والجوع والعطش والتداوى ونحو ذلك مما هو من عوارض الناسوت . وكل ذلك عن حكم إلهية لأنهم إذا عصموا من اللوازم البشرية ربما يفضى الأمر بهم إلى أن تعتقد الجهلة ربوبيتهم كما وقع للنصارى مثل ذلك في عيسى لما رأوا أنه احيا الموتى . فنبينا عليه الصلاة والسلام عبدالله ورسوله ، وبشر تحله العوارض كما قال سبحانه : « قل إنما أنا بشر مثلكم » وعيسى عليه السلام الذى هو إله بزعمكم الباطل حلته العوارض الجسمانية من جهة ناسوته ، فاختتن وجاع وعطش ونام ومرض وقتل ومات ، وإذا فرضنا أن نبينا عليه الصلاة والسلام أغمى عليه في مرضه ، وتكلم بشيء من أمور الدنيا لا يتكلم به في حال صحته ، فأى بأس في ذلك؟ وأنتم تزعمون أن هارون عليه السلام في حال صحة بدنه وعدم مرضه وإغمائه ، عمل العجل من حلّى بنى اسرائيل ليعبدوه من دون الله ، كما كتبتوه في سفر الخروج من توراتكم ، التى تؤمنون بها . ولا شك في أن هذا دون ذلك ، والفرق بينهما كالفرق بين السمك والسماك ، فأنتم واليهود شأنكم تنقيص الانبياء ونسبة المكفرات لهم والزنا وشرب الخمر وقتل النفوس ظلما ، وغير ذلك ، مما أثبتناه عليكم من توراتكم ، وأناجيلكم ، فيما سبق فلا بدع منكم إذا نسبتهم مثل هذا إلى نبينا عليه الصلاة والسلام وعددتموه من النقائص والآثام ، فقد تجاوز الحد فيكم عن التعنيف والملام .

ثم إن ما ذكره هذا النصرانى من تغير بعض أعضائه الشريفة عليه الصلاة والسلام فهو كذب لا أصل له ، ولم يذكر في كتاب من كتب المسلمين قط . وقد ورد في أحاديث صحيحة أن اجسام الانبياء عليهم الصلاة والسلام إذا دفنوا لا تأكلها الأرض وهم أحياء في قبورهم حياة

برزخية تليق بذواتهم العلية وفي الإنجيل أيضا ما يؤيد حياتهم البرزخية، ولو فرضنا تغير أبدانهم مثل ما وقع لزكريا ويحيى وغيرهما، فأى بأس بذلك؟ وأى نقص يعتريهم؟ كما لا يخفى وقد ذكرنا ماتعلق هذا أنفا * فراجعوه ولا تغفل *

قوله « فلم يبق أحد ممن كان تبعه إلا ارتد » إلى آخره :

العجب من هذا النصرانى كيف يتناقض في كلامه ، لأنه سيقول بعد أسطر إن من أسلم بعد رדתه في أيام أبى بكر إنما أسلم خوفا من السيف فيقال له : إذا زعمت أنه لم يبق أحد إلا ارتد * ولفظ احد نكرة في سياق النفى ، وهى تفيد العموم فليت شعرى من أى سيوف يخاف المرتدون؟ إذ ليس فيهم بزعمه مسلمون غير الشردمة التى هى من أهل بيته ، فهل الشردمة القليلة التى هى إن كثرت فأقل من عشرة رجال ، هل تخافهم القبائل الكثيرة والعشائر الغزيرة التى ارتدت على ما ادعاهم؟ نعم ارتد بعض الناس ثم قاتلهم أبو بكر فرجعوا ، وليس فى ذلك دليل على بطلان نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ، وقد وقع أعظم من ذلك للمسيح عليه السلام حينما سلمه يهوذا حواريه إلى اليهود لصلبه ، وأنكره الآخر ، وفر عنه الباقون *

ولموسى عليه السلام حينما عبد بنو إسرائيل العجل كما لا يخفى ..

قوله « غير نفر يسير من أخص أهله واقربهم نسبا إليه طمعا بما كان فيه من تلك الرئاسة » *

لا يخفى عنى من طالع كتب السير والأخبار أن الصحابة - رضوان الله عليهم - لم تكن الدنيا همهم ولا غاية مقصدهم ،

وزهدهم وورعهم وتقواهم أمر مشهور ، يشهد به الموافق والمخالف ، ولا سيما الصديق والفاروق رضى الله تعالى عنهما • ولو كان مقصدهما الحرص على الدنيا والمال والترفة والرئاسة لادخرا ذلك عندما نالا الخلافة ، ولتمتعا به ولجعلا الرئاسة والخلافة بعدهما لذريتهما • وكذلك على بن أبى طالب فقد نال الخلافة ، وجبى الأموال فلم يدخر منها شيئا ، ولم يأكل ولم يلبس أكثر مما كان قبل ذلك ، وكرمه وإنفاقه وزهده وبغضه للدنيا وطلاقه لها ، أمر مشهور ، وسيرته وسيرة إخوانه الخلفاء الراشدين وحكمهم بالحق وعدلهم وتأبيدهم للدين ، ونصحهم للمسلمين بل للخلق أجمعين ، وتركهم للدنيا ، قد ملأ الأسماع والبقاع ويطون الكتب واشتهر اشتهاى الشمس ، فلا حاجة إلى ذكرشئ من ذلك فى كتابنا هذا خشية الملل ، ولعدم خفائه على كافة ذوى النحل والملل • وأما هذا النصرانى فلاشك أنه يعرف سيرة الخلفاء الراشدين ، وأحوال السلف الصالحين غير أنه يكتم الحق ويموه على الجاهلين وغير المطلعين من أهل ملته ، لينفق زيفه عليهم ويصيد بعض البغاث بشبكتة ، ويروج بفريته ما هو بصدده من الدعاوى الباطلة لديهم ، والله سبحانه الموفق للصواب •

واعلم ان مسألة الخلافة والنزاع فيها بين المسلمين من السنة والشيعة ، أمر ليس له مدخل فى صحة النبوة ، كما لا يخفى على كل منصف • وإذا قلنا إن عليا كرم الله وجهه كان يأمل الخلافة له أولا يأملها أو بايع وقت انعقادها أو لم يبايع إلا بعد ستة أشهر ، أو كان راضيا بخلافة أبى بكر وعمر أم غير راض ، فكل ذلك لا يدخل فى أمر النبوة اصلا ونظير هذا اختلفت فيه فرق النصارى من أمور كثيرة فهل يكون لها مدخل فى حقيقة نبوة المسيح أو غير حقيقتها ؟ فمن ذلك

ه قاله الكاثوليكيون في شأن البابا أنه معصوم واجب الطاعة وامتنال ما يقوله . وخالفتهم البروتستنت وكفرته ، ولم تر اتباع البابا إلا أمرا مبتدعا مخالفا لدين المسيح ، فهل لذلك تماس بعدم صحة نبوة المسيح وألوهيته كما يزعمون . ومنه أمر العشاء الربانى الذى يخالف فيه البروتستنت . ومنه المقاتلات العظيمة الواقعة بين الفرقتين ، وكل ذلك لا يدل على بطلان دين المسيح أو حقيقته فالاستدلال بمثل هذه الأمور فى بحث النبوات لا يفيد المستدل شيئا فى مقام الخصام ، كما لا يخفى على الخاص والعام .

ثم اعلم أنه قد أجاب عن هذا الطعن أيضا صاحبنا العلامة (رحمت الله) فى «إظهار الحق» بما عبارته « وإن قالوا : إنه يحتمل أن إيمان أقارب نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كان لأجل الرئاسة الدنيوية ، قلت : إن هذا الاحتمال ساقط لأنه عليه الصلاة والسلام إلى ثلاث عشرة سنة كان فى غاية الإلم من إيذاء الكفار ، واصحابه رضى الله تعالى عنهم كانوا أيضا مبتلين بغاية إيذائهم إلى المدة المذكورة حتى تركوا الأوطان وهاجروا إلى «الحبشة» و«المدينة» ، ولا يتصور ان يتخيل احد منهم إلى هذه المدة طمع الدينا ، على ان هذا الاحتمال قائم فى الحواريين أيضا لأنهم كانوا مساكين صيادين(١) ، وكانوا قد سمعوا(٢) من اليهود أن المسيح سيكون سلطانا عظيم الشأن ، فلما ادعى عيسى عليه السلام أنه هو المسيح(٣) الموعود آمنوا به وفهموا أنه يحصل لهم باتباعه

- (١) النصرى قالوا بانهم صيادى سمك ، ليبرروا أخطاء الانجيل . وقد ثبت أنهم من العلماء الهارونيين .
- (٢) المؤلف يقول بحسب المکتوب . والا فان عيسى لم تكتب عنه التوراة انه سيكون ذا سلطان .
- (٣) عيسى عليه السلام لم يدع أنه المسيح الموعود (أنظر كتاب المسيا المنتظر) .

المناصب الجليلة وينجون من مشقة الشبكة والاصطياد ولما وعدهم عيسى عليه السلام بأننى إذا جلست على السرير تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر سريراً ، تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر ، كما هو مصرح به فى الأصحاح التاسع عشر من إنجيل متى وكذا وعدهم أن من ترك لأجلى ولأجل إنجيلى شيئاً يجد مائة ضعف ، الآن فى هذا الزمان ، ويجد الحياة الأبدية فى الدهر الآتى كما هو مصرح فى الأصحاح العاشر من إنجيل مرقس . وكذا وعد بأشياء أخرى ، تيقنوا منها أنهم سيصيرون سلاطين ، يحكم كل منهم على سبط من أسباط إسرائيل ، وإن فات منهم شئ لأجل اتباعه يحصل لهم فى هذه الدنيا بدله ، مائة ضعف ، ورسخ فى إذهابهم هذا الأمر ، حتى طلب يعقوب ويوحنا ابنا زبدي ، أو طلبت أمهما - على اختلاف رواية الانجيليين للوزارة العظمى - بأن يجلس احدهما عن يمين عيسى عليه السلام والآخر على يساره فى ملكوته كما هو مصرح فى الأصحاح العشرين من إنجيل متى والأصحاح العاشر من إنجيل مرقس ، لكنهم لما رأوا أنه لم تحصل لهم السلطنة الخيالية ، ولا مائة ضعف فى هذه الدنيا ، بل لم يحصل له أيضاً شئ من الدولة الدنيوية ، وهم مسكين ، كما كان يخاف من اليهود ويفر من موضع إلى موضع ، ورأوا أن اليهود بصدد ان يأخذوه ويقتلوه تنبؤوا ان فهمهم كان خطأ ، والمواعيد المذكورة « كسراب بقية يحسبه الظمان ماء » فرضى واحد منهم بدل هذه السلطنة الخيالية ، وهذه الأضعاف الموهومة بثلاثين درهماً ، أخذها من اليهود على شرط تسليمه بأيديهم وتركه سائرهم ، حينما أخذه اليهود وفروا ، وأنكره ثلاث مرات ولعنه ارشد الحواريين وأعظمهم ، الذى كان مبنى كنيسة وراعى خرافه وخليفته ، أعنى حضرة بطرس ، وحلف أنى لا اعرفه وصاروا آيسين مطلقاً عن متخيلاتهم ، بعد ما صلب على زعمهم .

ثم لما رأوه مرة أخرى بعد القيام رجع رجاؤهم مرة أخرى ، وظنوا أنهم يصيرون سلاطين في هذه المرة ، فسألوه مجتمعين في وقت صعوده قائلين: «هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل؟» كما هو مصرح في الأصحاح الأول من سفر الاعمال . وبعد الصعود وقعوا في خيال آخر وهو أعظم من السلطنة الدنيوية ، التي لم تحصل لهم إلى زمان الصعود ، وهو أن المسيح ينزل في عهدهم من السماء ، وأن القيامة قريبة ، وأنه بعد نزوله يقتل الدجال ويحبس الشيطان إلى ألف سنة، وأنهم يجلسون على الأسرة بعد نزوله ، ويعيشون عيشة مرضية إلى المدة المذكورة في هذه الدنيا ، كما يفهم من الأصحاح التاسع والعشرين من سفر المشاهدات ، والآية الثانية من الأصحاح السادس من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ، ثم يحصل لهم السرور الدائم في الجنة إلى الأبد عند القيامة الثانية ، فلأجل هذه الأمور بالغوا في مدحه وتقدير حالاته ، كما قال الإنجيلي الرابع في آخر إنجيله : « إن أشياء كثيرة صنعها يسوع ، إن كتبت واحدة واحدة ، فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب » ولا شك أنه كذب محض ومبالغة شاعرية قبيحة ، وكانوا يبالغون بأمثال هذه الأقوال ليوقعوا السفهاء في شبكاتهم ، حتى ماتوا غير واصلين إلى مرادهم ، فلا اعتبار لشهادتهم في حقه .

وهذا التقرير على سبيل الإلزام لا الاعتقاد ، لأن المسلمين يعتقدون نبوة عيسى عليه السلام وجلالة الحواريين ، فكما أن هذا الاحتمال في حق عيسى عليه السلام وحقهم ساقط عندنا ، فكذلك ما ذكره من الاحتمال الواهي في حق أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ساقط كما لا يخفى على كل منصف « اه .

قال النصراني : « وما أشك أكرمك الله إلا أنك ذاكر ما جرى في مجلس أمير المؤمنين ، وقد قيل له في رجل من أجل أصحابه إنه إنما يظهر الإسلام وباطنه المجوسية القذرة ، فأجاب بما علمته من الجواب ، حيث قال : والله إنى لأعلم أن فلانا وفلانا حتى عدد جملة من خواص أصحابه، ليظهرون الإسلام، وهم أبرياء منه، وبرأؤوننى، واعلم ان باطنهم ليخالف ما يظهرونه وذلك أنهم قوم دخلوا في الإسلام لا رغبة في ديانتنا هذه ، بل أرادوا القرب منا والتعزيز بسلطان دولتنا لا بصيرة لهم ولا رغبة في صحة ما دخلوا فيه . وإنى أعلم أن قصتهم كقصة ما يضرب من مثل العامة أن اليهودى إنما تصح يهوديته ويحفظ شرائع توراته إذا أظهر الإسلام . وما قصة هؤلاء في مجوسيتهم وإسلامهم إلا كقصة اليهودى . إنى لأعلم أن فلانا وفلانا حتى عدد جماعة من أصحابه كانوا نصارى ، فأسلموا كرها فمأهم بمسلمين ولا نصارى ، ولكنهم مختلون فما حيلتى ؟ وكيف اصنع ؟ فعليهم جميعا لعنة الله .

أما كان يجب عليهم إذا خرجوا من المجوسية النجسة القذرة التى هى أثر الأديان وأخبث الاعتقادات ، او عن النصرانية التى هى أذعن الأقاويل إلى نور الإسلام وضياؤه ، وصحة عقده ، أن يكونوا أشد تمسكا بما دخلوا فيه منه ، بما تركوه ظاهرا ، وخرجوا عنه رياء ولكن لى قدوة برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأسوة به ، لقد كان أكثر أصحابه واخصهم به واقربهم إليه نسبا يظهرون انهم اتباعه وأنصاره ، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم أنهم منافقون ، وعلى خلاف ما كانوا يظهرون له ، وصح ذلك عنده ، وأنهم لم يزالوا يبتغون له الغوائل ، ويريدون به السوء ، ويتطلبون له العثرات ويعينسون المشركين عليه نظر العين ، حتى أن جماعة منهم كمنوا له تهت العقبة،

واحتالوا في تفسير بغلته لترمى به فتقتله ، فوقاه الله كيدهم ، وشر ماكانوا يبيغونه له ، ثم كان يداريهم دائما ، إلى أن قبض الله روحه على غاية ما يدارى به الأعداء الكاشفين ، حذرا منهم ، أفما ينبغى لى أنا أن أشابهه صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا ؟ وكان حيا ملاً ثياباً ، ثم ارتدوا جميعاً بعد موته ، فلم يبق منهم أحد كان يظن به رشداً إلا رجع وارتد ، وحرص على تشييت هذا الأمر وإبطاله ظاهراً الاسلام ، لاسيما إذا كان الأول مخالفاً للقرآن العظيم ، والأقوال النبى وعلانية وسراً ، إلى أن أيده الله وجمع تفرقهم والقى في قلوب بعضهم شهوة الخلافة ومحبة الدنيا ، فربط النظام وجمع الشمل وألف التشتيت بالحيلة ، ولطف المداراة ، وأتم الله ما أتمه . وما المنة في ذلك له ولا هو محمود عليه ، بل المنة لله والحمد والشكر له على ذلك بأسره ، فلست أذكر ما ألقاه ويبلغنى عن اصحابى هؤلاء ، ولا أبعد الله غيرهم ، وما لهم عندي إلا المداراة والصبر عليهم إلى أن يحكم الله بينى وبينهم وهو خير الحاكمين ولولا أن سيدي أمير المؤمنين تكلم جهاراً على رعوس الملأ في مجلسه - أجله الله - فداع الخبر بذلك ، ونقله الشاهد إلى الغائب ، لما حكيتك وأنت تشهد لى أنى لم أتزيد في شىء من ذلك ، وإنما ذكرتك بما جرى من الكلام في ذلك المجلس ، وليس له مدة طويلة ، وأردت إعادته لأذكرك أمر الرد ، وأن القوم لم يكن ردهم إلى هذا الأمر الا رغبة في الدنيا وإتمام هذا الملك الذى هم فيه . وذلك لذوى الألباب ممن ينظر في كتابنا هذا ، جواب مقنع ، ان شاء الله تعالى » اه .

فأقول وبالله سبحانه الرشاد : إن هذا الكلام المختلق على «المؤمن» وإن كان غير محتاج إلى الرد هنا ، إذ لا مدخل له في إثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام أو نفيها . فقد صدر من أمم الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام معهم أكثر مما صدر من الكفار والمنافقين معه صلى الله تعالى عليه وسلم ومع ذلك لا نترك الجواب عنه والكلام في رده ، فنقول: أما المنافقون الذين كانوا في عصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثل عبد الله بن أبي وأصحابه فكان حالهم مع قلتهم لا يخفى عليه - عليه الصلاة والسلام ولا على أصحابه - رضى الله تعالى عنهم - وقد بين الله سبحانه أحوالهم وما انطوت عليه قلوبهم في القرآن الكريم مثل قوله سبحانه : «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ، اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ، ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ، فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ، فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون » الآيات .

وأما الصحابة وهم الذين رأوا النبي وماتوا مؤمنين فهم عدول ، ويزيدون على مائة وعشرين ألفا وأجلهم اصحاب بيعة الرضوان ويدر والمهاجرون والأنصار ومن شهد أحدا وغزا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا سيما العشرة المبشرة وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى من أجلهم وقد ورد في حق الجميع آيات قرآنية وأحاديث نبوية شاهدة لهم بجلالة الشأن والمنزلة - رضوان الله تعالى عليهم - لوسرديناها لطال بنا الكلام ، وكل هذا مفصل ومبين في محله من الكتب التفسيرية والأحاديث النبوية والسير المرضية والتواريخ الإسلامية والعجب من النصارى أنهم بعد علمهم بما جرى من فرار الحواريين ، وتسليم يهوذا للمسيح ليقتل وإنكار بطرس له كيف يستدلون على عدم صحة نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام بردة بعض الصحابة أو نفاقهم على

ما يزعموه ؟ فهل لنا ان نستدل على بطلان دين المسيح بفرار جميع حواريه الذين لم يؤمن به غيرهم في حياته ؟ فتأمل وانصف •

وأما ما أشار إليه هذا النصراني وامثاله ليشوشوا به على انعوام ومن ليس له خبرة بما قال العلماء الأعلام ، وما كان عليه أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فهو كلام يشرب من عين آسنة، تردها بعض فرق الشيعة الامامية الطاعنين في بعض الصحابة ذوى النفوس الزكية ، وقد رد والحمد لله تعالى جمهور المسلمين ثلثهم بأدلة قوية وأبطل أهل السنة والجماعة ما زخرفوه من الأقوال واتضح الحق وتميز وتبين الحال •

وما ذكره هذا النصراني عن أمير المؤمنين الذى غنى به المأمون فعنه أجوبة منها : أن هذا الكلام ليس له سند والظاهر انه كذب مختلق عليه ، لدسائس خفية ، كاختلاق النصراني هذا الكتاب المنسوب إلى «عبدالمسيح» • ومنها: أن المراد بذلك المنافقون الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه ، ومنهم بعض المؤلفه قلوبهم • ومنها : أن المأمون ليس من العلماء الذين يستدل بكلامهم ، لاسيما وهو ملك مطعون بالابتداع(١)،

(١) المؤلف طعن في المأمون رضى الله عنه بناء على أقوال مؤرخين : مثل عبد المسيح الذى يرد عليه .

وأقوال المؤرخين ليست بحجة . فان المتنبي الشاعر - على سبيل المثال - قد ذم كافور الاخشيدى .

مع أن المؤرخين يقولون : انه كان كريما محافظا على شعائر الدين . وان كان قد طعن فيه لانه نصر القول بحدوث القرآن . فللمأمون شبهة وهى قوله تعالى : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » فقوله «محدث» يدل على أنه ليس بتقديم . وسواء كان قديما أو محدثا . فاختلفا فى رأى لا يوجب الطعن فى خليفة مسلم ، جيش الجيوش وحارب فى سبيل الله وفتح البلاد ومكن للدين فى الأرض .

وطعنه مما شاع وذاع وملا الكتب والأسماع .

وللطنن المذكور في الصحابة المكرمين جوابان أيضا إلزاما
وتحقيقا .

أما إلزاما : فقد نقله الشيخ رحمت الله الهندي عن «موشيم»
المؤرخ أنه قال في المجلد الأول من تاريخه ما عبارته : «ان الفرقة
الأببونية التي كانت في القرن الأول كانت تعتقد أن عيسى عليه السلام
إنسان فقط تولد من مريم ويوسف النجار ، مثل الناس الآخرين ،
وإطاعة الشريعة الموسوية ليست منحصرة في حق اليهود فقط ، بل تجب
على غيرهم أيضا ، والعمل على احكامه ضرورى للنجاة ولما كان بولس
ينكر وجوب هذا العمل ويخاصمهم في هذا الباب مخاصمة شديدة كانوا
يذمونه ذما شديدا ويحقرون تحريراته تحقيرا بليغا » اه .

وقال «الاردنر» في الصفحة السادسة والسبعين بعد الثلاثمائة من
المجلد الثانى من تفسيره ما عبارته : « إن القدماء أخبرونا ان هذه
الفرقة كانت ترد بولس ورسائله » اه .

وقال «بلى» في تاريخه في بيان هذه الفرقة ما عبارته : «هذه
الفرقة كانت تسلّم من كتب العهد العتيق التوراة فقط ، وكانت تنفر عن
اسم داود وسليمان وارمياء وحزقيال عليهم السلام وكان من العهد
الجديد عندها إنجيل متى فقط ، لكنها كانت حرفته في كثير من المواضع ،
وأخرجت الأصحاحين الأولين منه » اه .

وقال «بلى» في تاريخه في بيان الفرقة المارسيونية ما عبارته

« ان هذه الفرقة كانت تعتقد ان الاله إلهان أحدهما خالق الخير ،
وثانيهما خالق الشر ، وكانت تقول «إن التوراة وسائر كتب العهد
العتيق من جانب الإله الثانى ، وكلها مخالف للعهد
الجديد» ثم قال : «إن هذه الفرقة كانت تعتقد أن عيسى نزل
الجحيم بعد موته ، وأنجى أرواح قابيل واهل سدوم من عذابها لأنهم
حضروا عنده ، وما أطاعوا الإله خالق الشر ، وأبقى ارواح هابيل
ونوح وإبراهيم والصالحين الآخرين فى الجحيم ، لأنهم كانوا خالفوا
الفريق الأول ، وكانت تعتقد أن خالق العالم ليس منحصرًا فى الإله
الذى أرسل عيسى ، ولذلك كانت تسلّم أن كتب العهد العتيق إلهامية ،
وكانت تسلّم من العهد الجديد انجيل لوقا فقط ، لكنها ما كانت تسلّم
الأصحاحين الأولين منه ، وكانت تسلّم من رسائل بولس عشرة رسائل ،
لكنها كانت ترد ما كان مخالفا لخيالها » اه .

ونقل «لاردنر» فى المجلد الثالث من تفسيره قول «اكستين» فى
بيان فرقة «مانى كيز» ما عبارته «هذه الفرقة تقول إن الاله الذى
أعطى موسى التوراة وكلم الأنبياء الاسرائيليين ليس بإله بل شيطان
من الشياطين » وتسلّم كتب العهد الجديد لكنها تقر بوقوع الالحاق
فيها ، وتأخذ ما رضيت به وتترك الباقي وترجح بعض الكتب الكاذبة
عليها ، وتقول إنها صادقة البتة» ثم قال «لاردنر» فى المجلد المذكور
« اتفق المؤرخون أن هذه الفرقة كلها ما كانت تسلّم الكتب المقدسة
للعهد العتيق فى كل وقت » وكتب فى أعمال «أركلاس» «عقيدة هذه
الفرقة هكذا خدع الشيطان أنبياء اليهود ، والشيطان كلم موسى وأنبياء
اليهود ، وكانت تتمسك بالآية الثامنة من الاصحاح العاشر من انجيل
يورحنا، بأن المسيح قال عنهم سراق ولصوص، وكانت قد «أخرجت العهد
الجديد» اه .

وهكذا حال الفرق الأخر لكنى اكتفيت على نقل مذاهب الفرق الثلاث المذكورة على عدد التثليث وأقول : أنتم أتمتم أقوال هذه الفرق على علماء بروتستنت أم لا ؟ فإن تمت فيلزم عليهم الاعتقاد بهذه الأمور العشرة ، وهى أن عيسى عليه السلام إنسان فقط تولد من يوسف النجار وأن العمل على أحكام التوراة ضرورى للنجاة ، وأن بولس شيرير ، وأن رسائله واجبة الرد ، وأن الإله إلهان خالق الخير وخالق الشر ، وأن ارواح قابيل واهل سدوم حصلت لهم النجاة من عذاب جهنم يموت عيسى عليه السلام ، وأرواح هابيل ونوح وابراهيم وصلحاء القدماء معذبة فى جهنم بعد موته أيضا ، وأن هؤلاء كانوا مطيعين للشيطان ، وأن التوراة وسائر كتب العهد العتيق من جانب الشيطان ، وأن الذى كلم موسى وأنبياء بنى اسرائيل عليهم السلام ليس بإله بل شيطان ، وأن كتب العهد الجديد وقع فيها التحريف بالزيادة ، وأن بعض الكتب الكاذبة صادقة البتة ، وإن لم تتم أقوال هذه الفرق عليهم فلا يتم قول بعض الفرق الاسلامية على جمهور أهل الاسلام ، لاسيما اذا كان القول مخالفا للقرآن العظيم ، والأقوال النبى الكريم ، ولما ورد عن الأئمة الطاهرين وعتره سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وعليهم أجمعين ، كما سيتضح لك قريبا إن شاء الله تعالى .

واما الجواب عنه تحقيقا : فإن القرآن المجيد الذى هو عند جمهور المسلمين وأهل السنة كافة ، وجمهور الشيعة الإمامية الاثنى عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل كما سنثبت ذلك فى محله إن شاء برفعة درجتهم ، والأحاديث النبوية متواترة بالرضاء عنهم ومحبة الله تعالى ، مظهر لعلو منزلتهم وجلالة قدرهم ، ومنوه بفضلتهم وصلاحهم ومصرح بصدقهم وفلاحهم ، وشاهد بتزكيتهم وصادح

الرسول لهم ، والإخبار بكامل إيمانهم حسن سرائرهم وسلامة ضمائرهم ووعدهم بدخول الجنان وتوالى العفران والرضوان ، وثناء أهل البيت النبوي عليهم متصل غير مقطوع ، ومدحهم لهم على المناير مرفوع ، وفي خطبهم مسموع • ولا سيما الشيخين وكبار الصحابة وأهل بدر والهجرة •

ولنذكر من جميع ذلك أفرادا لتكون لطالب الحق عمادا •

من ذلك قوله تعالى في سورة التوبة : « والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار واديين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، واعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، ذلك الفوز العظيم » فبين سبحانه وتعالى أربعة أمور : الأول : رضوانه عنهم • والثاني رضوانهم عنه • والثالث : تبشيرهم بالجنة • والرابع : وعده بخلودهم فيها • ولا شك أن أبا بكر وعمر الفاروق وعثمان ذا النورين رضى الله تعالى عنهم من السابقين الأولين من المهاجرين ، كما أن أمير المؤمنين عليا كرم الله تعالى وجهه منهم ، فثبتت لهم هذه الأمور الأربعة ، وثبتت صحة خلافهم • فقول من طعن في الثلاثة مردود ، كما أن قول من طعن في الرابع مردود أيضا - رضى الله تعالى عنهم أجمعين - •

ومن ذلك قوله تعالى في سورة التوبة أيضا : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبدا ، إن الله عنده أجر عظيم » وهنا أيضا أربعة أمور الأول : كون درجاتهم اعظم عند الله تعالى • والثاني : كونهم فائزين بمراذمهم . والثالث : كونهم مبشرين بالرحمة

والرضوان والجنان. والرابع: كلودهم في الجنات أبدا وأكد سبحانه
الإمر الرابع غاية التأكيد بثلاث عبارات وهي قوله تبارك وتعالى
« مقيم » وقوله عز شأنه : « خالدين فيها » وقوله جل وعز : « أبدا »
ولا شك ان الخلفاء الثلاثة رضى الله تعالى عنهم من المؤمنين المهاجرين
المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، كما ان عليا رضى الله تعالى
عنه منهم . فثبتت لهم الأمور الأربعة .

ومن ذلك قوله تعالى في هذه السورة أيضا : « لكن الرسول والذين
آمنا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات ، وأولئك
هم المفلحون ، أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
ذلك الفوز العظيم » ومن ذلك قوله تعالى في هذه السورة أيضا : « إن
الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في
سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن .
ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك
هو الفوز العظيم ، التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود
الله وبشر المؤمنين » فوعد الله الجنة للمؤمنين المجاهدين وعدا موثقا .
ذكر تسعة أوصاف لهم ، فثبت انهم كانوا كذلك ويفوزون بالجنة .

ومن ذلك قوله في سورة الحج « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة وآمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة
الأمور » فقوله تعالى : « الذين إن مكناهم » صفة لمن تقدم ، وهو
قوله : « الذين أخرجوا من ديارهم » فيكون المراد به المهاجرين ،
لا الأنصار ، لأنهم ما أخرجوا من ديارهم ، فوصف الله تعالى المهاجرين ،
وأفضلهم الخلفاء الأربعة بأنهم إن مكناهم في الأرض وأعطاهم السلطنة ،

أتوا بالأمور الأربعة ، وهى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لكن قد ثبت أن الله تعالى مكن الخلفاء الأربعة، ورضى الله تعالى عنهم فى الأرض ، فوجب كونهم آتين بالأمور الأربعة، وإذا كانوا كذلك ثبت كونهم على الحق . وفى قوله سبحانه . « والله عاقبة الأمور » دلالة على أن الذى تقدم ذكره من تمكينهم فى الأرض كائن لا محالة . ثم إن الأمور ترجع الى الله تعالى بالعاقبة ، فإنه هو الذى لا يزول ملكه .

ومن ذلك قوله جل وعز فى سورة الحج : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل ، وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير » فسمى الله تعالى فى هذه الآية الصحابة بالمسلمين ، وبين انه سبحانه اجتباهم أى اختارهم لدينه ، وهذا فيه تشريف عظيم لهم بالخاصة ولبقية المسلمين بالعموم ، وكذا جعلهم شهداء على الناس يوم القيامة فى تبليغ رسلتهم ، وكذا كونه تعالى مولاهم أى ناصرهم ومتولى أمورهم، رفقها وجلها ، لأنهم الداخلون فى ذلك دخولا أوليا ، كما لا يخفى .

ومن ذلك قوله تعالى فى سورة النور : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » وهذا الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولبن معه ولفظ من فى « منكم » للبيان أو للتبويض ، « وكم »

ضمير الخطاب ، فيدلان على أن المراد بهذا الخطاب : بعض المؤمنين الموجودين زمن النزول لا الكل ، ولفظ الاستخلاف يدل على أن الأمة تكونون خلفاء في الأرض أى أرض العرب والعجم وغيرهم يتصرفون فيها تصرف الملوك في مملوكاتهم ، فالصحابة داخلون في ذلك دخولا أوليا بلا ريب ، أو خاص بالصحابة واقدمهم الخلفاء الأربعة رضى الله تعالى عنهم ، والمراد بالتمكين هنا : التثبيث والتقرير ، أى يجعله ثابتا مقرا ، ويوسع لهم في البلاد فيملكوها ويظهر دينهم على جميع الأديان والمراد بالدين هنا الإسلام كما في قوله تعالى : « ورضيت لكم الإسلام ديناً » ذكر سبحانه الاستخلاف لهم أولا ، وهو جعلهم خلفاء عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وملوكا ، وذكر التمكين ثانيا ، فافاد ذلك أن هذا الملك ليس على وجه الطروق والعروض بل على وجه الاستقرار والثبوت ، بحيث يكون الملك لهم ولعقبهم من بعدهم . وقوله سبحانه : « وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » أى يجعل لهم مكان ما كانوا فيه من الخوف من الأعداء « أمنا » يذهب عنهم أسباب الخوف الذى كانوا فيه .

وهذا فيه دلالة على عدم التيقية التى تزعمها الشيعة فى حق أمير المؤمنين وسائر الأئمة ، لأنهم لا يخشون أحدا إلا الله ولا يرجون غيره . وقد كان المسلمون قبل الهجرة وبعدها يقليل فى خوف من المشركين لا يصبحون ولا يمسون ولا يخرجون إلا فى السلاح ، ثم صاروا فى غاية الأمن والدعة ، وأذل الله تعالى المشركين ، وفتح عليهم البلاد ومهد لهم فى الأرض ، ومكنهم منها فى زمن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وأنجز الله تعالى وعده وأظهرهم على جزيرة العرب ، وافتتحوأ أبعء بلاد المشرق والمغرب ، واستولوا على الدنيا وملكوا ملك كسرى ، وغيره من الملوك . وفى هذه

الآية من أعلام النبوة والإخبار بالغيب ما هو ظاهر ، وكذا دلالتها على صحة خلافة أبي بكر الصديق والخلفاء الراشدين ، وعلى أمير المؤمنين رغما عن أنف الخوارج والمبتدعين ، كما لا يخفى على الفطيين المنصفين .

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الفتح في حق المهاجرين والأنصار ، الذين كانوا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في صلح الحديبية « إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وألزمهم كلمة التقوى . وكانوا أحق بها وأهلها ، وكان الله بكل شئ عليما » فاستفيد من الآية في حقهم أربعة أمور الأول : أنهم مؤمنون . الثاني : أنهم شركاء مع النبي عليه الصلاة والسلام في نزول السكينة وهي الطمأنينة والوقار ، وفي هذه السورة أيضا نزول السكينة عليهم بالانفراد في قوله تعالى : « هو الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ، ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ، والله جنود السموات والأرض ، وكان الله عليما حكيما ، ليدخل المؤمنين وأومات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ويكفر عنهم سيئاتهم ، وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ، ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات » الثالث : إن « كلمة التقوى » لازمة غير منفكة عنهم ، ومعناها : اختار لهم لا إله إلا الله ، فهو إلزام تشریف وإكرام . والرابع : أنهم « كانوا أحق بها وأهلها » أى المستاهلين لها في علم الله تعالى لأن الله سبحانه أهلهم لدينه ، واختارهم لصحبة نبيه ، ولاشك ان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما داخلان في هؤلاء المهاجرين بل هم رأسهم ، فثبت لهما ولسائرهم هذه الأمور الأربعة ، ومن اعتقد فيهم غير هذه العقيدة فعقيدته مخالفة للقرآن باطلة منهزمة الأركان .

ومن ذلك قوله تبارك وتعالى أيضا في سورة الفتح : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود » فمدح الله تعالى الصحابة ووصفهم بكونهم أشداء على الكفار ، متواددون ومتعاطفون فيما بينهم ، كالوالد مع الولد وكونهم مكثرين من الصلاة ومداومين عليها ، ومبتغين فضل الله أى يطلبون ثواب الله لهم ورضاه عنهم . وذكر بعضهم في الآية « والذين معه » أبا بكر الصديق « أشداء على الكفار » عمر بن الخطاب « رحماء بينهم » عثمان بن عفان « تراهم ركعا سجدا » على بن أبى طالب « يبتغون فضلا » بقية الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

فمن ادعى من مدعى الإسلام في حق الصحابة غير هذا ، فهو مخطئ مخالف لجمهور المسلمين ، مذنب لا يعد في الصالحين .

ومن ذلك قوله عزوجل في سورة الحجرات : « ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون » فعلم أن الصحابة كانوا محبى الإيمان كارهى الكفر والفسوق والعصيان ، وكانوا راشدين ، واعتقاد ضد هذه الأشياء في حقهم خطأ ظاهر ومردود عند المسلمين الأكابر .

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الحشر : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » فمدح الله تعالى المهاجرين

والأنصار بستة أوصاف : الأول : إن هجرة هؤلاء المهاجرين ما كانت لأجل الدنيا ، بل لأجل ابتغاء مرضات الله . والثاني : أنهم كانوا ناصرين دين الله ورسوله . والثالث : أنهم كانوا صادقين قولاً وفعلاً : والرابع أن الأنصار كانوا يحبون من هاجر إليهم . والخامس : أنهم كانوا يسرون إذا حصل شيء للمهاجرين . السادس : أنهم كانوا يقدمونهم على أنفسهم مع احتياجهم . وهذه الأوصاف تدل على كمال الإيمان عند كل مؤمن ذى إنصاف ، ومن اعتقد فيهم خلافها ، فقد خالف القرآن وخاب . وهؤلاء الفقراء من المهاجرين كانوا يقولون لأبى بكر يا خليفة رسول الله والله يشهد على كونهم صادقين ، فوجب أن يكونوا صادقين فى هذا القول أيضا ، ومتى كان الأمر كذلك ، وجب الجزم بصحة إمامته .

ومن ذلك قوله عز من قائل فى سورة آل عمران : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » فمدح سبحانه الصحابة هنا بثلاثة أوصاف : الأول : أنهم خير أمة والثاني : أنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . والثالث : أنهم كانوا مؤمنين بالله . إلى غير ذلك من الآيات الكريمة العامة لجميع الصحابة ، والخاصة فى مدح الخلفاء الأربعة الراشدين النازلة فى شأنهم ، تركناها خشية التطويل ، من أرادها فليرجع إلى الكتب المؤلفة فى حقهم ، وسائر التفاسير وأسباب النزول . والله سبحانه الهادى إلى سواء السبيل .

وأما ما ورد من الأحاديث الصديحة النبوية فكثيرة جدا ولنقتصر على البعض : فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد والشيخان وأبو داود ، والترمذى وغيرهم عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « لاتسبو أصحابى ، فوالذى نفسى بيده

لو أن أحدكم انفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » ومن ذلك ما رواه الطبراني عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : « لعن الله من سب أصحابي » ومن ذلك ما رواه الديلمي عن انس رضى الله تعالى عنه « إذا أراد الله برجل من أمتي خيراً ، ألقى حب أصحابي في قلبه » ومن ذلك ما رواه الترمذي عن عبد الله بن مغفل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدى ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله تعالى يوشك أن يأخذه » ومن ذلك ما رواه ابن عدى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « إن شرار أمتي أجرؤهم على أصحابي » •

ومما ورد في حق أبي بكر من الأحاديث « وهى » كثيرة جدا منها ما أخرجه الطبراني عن سعد بن زرارة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن روح القدس جبريل أخبرنى أن خير امتك بعدك أبو بكر » ومنها ما أخرجه عبد بن حميد فى مسنده وأبو نعيم وغيرهما من طرق عن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر ، الا ان يكون نبيا » **وما ورد فى عمر أيضا كثير جدا** ومنه ما أخرجه احمد والترمذى وأبو داود ، والحاكم وغيرهم أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه » ورووا أيضا : أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لو كان بعدى نبى ، لكان عمر بن الخطاب » ومنه ما أخرجه الطبراني والديلمي عن الفضل بن العباس قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « الحق بعدى مع عمر حيث كان » •

وما ورد في حق عثمان وعلى كثير مشهور وكذا في حق غيرهم من الصحابة بخصوصهم قد ملئت بطون الكتب تركناها خشية التطويل ، ومن أرادها فليرجع إلى محلها • وأما ما ورد من أهل البيت النبوي رضي الله تعالى عنهم أجمعين في حق الشيخين أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهما فكثير أيضا ، غير أننا نقتصر على خمسة أقوال منها •

فمن ذلك ما في كتاب « نهج البلاغة » المعتبر عند الشيعة ، المنسوب إلى أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه ، ونصه : « ومن كلام له عليه السلام : لله بلاد فلان فلقد قوم الأود ، وداوى العمى ، وأقام السنة ، وخلف الفتنة ، ذهب نقى الثوب ، قليل العيب ، أصاب خيرها ، وسبق شرها أدى إلى الله طاعته وانتقاه بحقه ، رحل وتركهم في طرق متشعبة ، لا يهتدى بها الضال ، ولا يستيقن المهتدى » اه •

والمراد بفلان على ما اختاره البحراني وكثير من الشراح : أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، وعلى ما اختاره عبد الحميد بن أبي الحديد أنه عمر رضي الله تعالى عنه ، وادعى أن الرضى كتب تحت فلان : عمر ، فاياما كان منهما فقد ذكر له على كرم الله وجهه عشرة أوصاف ، ولا بد : من وجودها فيه • لأن عليا كرم الله تعالى وجهه - ذكرها بعد وفاته ، والزموم للتقية التي تدعيه الشيعة ، وذلك يستلزم صحة خلافة هذا المدوح ، بل وخلافة من ولاه ، فثبتت صحة خلافة أبي بكر وعمر بهذا الخبر المسلم الصحة عند الشيعة •

ومن ذلك ما في « كشف الغمة » الذي هو تصنيف على بن عيسى الاردبيلي الاثنا عشرى الذي هو من الفضلاء المعتمدين عند الإمامية : « سئل الإمام أبو جعفر عليه السلام عن حلية السيف • هل تجوز ؟

فقال : نعم ، قد حلى أبو بكر الصديق سيفه • فقال الراوى : هكذا؟
فوثب الإمام عن مكانه • فقال : نعم الصديق نعم الصديق نعم الصديق
فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله قوله فى الدنيا والآخرة • فثبت
بإقرار هذا الإمام المعصوم الواجب الطاعة عند الشيعة ، أن أبا بكر
الصديق رضى الله تعالى عنه صديق حق ومنكره كاذب فى الدنيا
والآخرة •

ومن ذلك ما ذكره شراح نهج البلاغة أنه ورد فى بعض مكاتيب
على رضى الله تعالى عنه فى حق أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما
ما لفظه : « لعمرى إن مكانهما من الإسلام لعظيم ، وإن المصاب
بهما لجرح فى الإسلام شديد ، رحمهما الله تعالى وجزاهما الله تعالى
بأحسن ما عملا » •

ومن ذلك ما رواه شراح نهج البلاغة : أنه لما جيبى بتاج كسرى
إلى عمر ، واستعظم الناس قيمة الجواهر التى كانت عليه ، قال : إن
قوما ادوا هذه الأمانة ، فقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه :
« إنك عفتت فغفوا ، ولو رتعت لرتعوا » •

ومن ذلك ما نقله صاحب الفصول الذى هو من كبار علماء
الإمامية الاثنى عشرية عن الإمام محمد الباقر رضى الله تعالى عنه
ما لفظه : « أنه قال لجماعة خاضوا فى أبى بكر وعمر وعثمان : الا
تخبرونى من أنتم؟ أنتم من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله؟ قالوا : لا قال:
فأنتم من الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم؟
قالوا : لا قال : أما أنتم فقد برأتم ان تكونوا احد هذين الفريقين ،
وأنا أشهد انكم لستم من الذين قال الله تعالى : « فيهم » : « والفريقين

جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم « اه •

فالمخاض في الصديق والفروق وذى النورين رضى الله تعالى
عنهم خارج عن الفرق الثلاثة الذين مدحهم الله بشهادة هذا الإمام
النهمام على آباءه وعليه السلام •

ومن ذلك ما أخرجه الدار قطنى أن ابا جحيفة كان يرى ان عليا
رضى الله تعالى عنه أفضل الأمة ، فسمع أقواما يخالفونه فحزن حزنا
شديدا فقال له على بعد ان اخذ بيده ما احزنك يا ابا جحيفة ؟ فذكر
له الخبر ، فقال : الا أخبرك بخير الأمة ؟ خيرها أبو بكر وعمر ، قال
أبو جحيفة : فاعطيت الله تعالى عهدا أن لا أكتم هذا الحديث بعد ان
تسامهني به أمير المؤمنين ما بقيت • وأخرج ابو بكر الأجرى عنه ايضا
قال : سمعت عليا رضى الله تعالى عنه على منبر الكوفة يقول : « إن
خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، ثم خيرها عمر » •

فصل

في التقدير في بعض كلماته في هذا الكلام الذى عزاه إلى الخليفة
المأمون افتراء واختلاقا •

قوله : « إذ خرجوا من الجوسية النجسة القذرة التى هى شر
الأديان » •

اعلم أن الجوس كان يقال لدينهم الدين الأكبر ، ويقال لهم
الأمة الكبرى والملة العظمى والحنفاء ، وكان لهم شوكة وسيف وسلطان
وممالك ، وملوك الفرس كلهم كانوا يدينون بدينهم ، وهم يعترفون

بمتوسط من البشر بين الحق والخلق ، درجته في الطهارة ومرتبته في الطاعة ، فوق درجة الملائكة ومرتبتهم فيها ، وعظيمهم كان يقال له « موبذ موبذان » أى عالم العلماء ، مكانته منهم ومن ملوكهم مكانة المخلفاء من المسلمين ومن ملوك الاسلام ، يرجعون اليه ويصدرون عن رأيه • وهم فرق وطوائف مثل الكيومتية والمرزاوية والزرادشتية وغيرهم وآراؤهم متقاربة ، ويجمعهم القول بالنور والظلمة ، وأنهما أصلان قديمان ، وبعضهم يرى أن الظلمة حادثة ، ويسندون إليهما سائر الحوادث • ولذلك يقال لهم الثنوية ، والنور والظلمة هما الفاعلان في عالم الكون والفساد ، ويسند أشرف المتقابلين من الحوادث إلى أشرف المتقابلين من المحدثين •

ومنهم من يرى أن فوق النور والظلمة غيرهما وهو إليهما وإله كل شيء لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء • ودينهم عبادته وطاعته وينزهونه من إسناد الحوادث إليه ، ويسندونها إلى النور والظلمة كما تسند الفلاسفة إلى الحركة الدورية ، وهؤلاء أصلح فرق المجوس وأقرب طوائفهم إلى المعقول ، وهم الزرادشتية •

والنبي الأول لجميعهم كيومرت ، ويقولون : انه آدم وتنكره أهل التواريخ • والنبي الثانى زرادشت • ومباحثهم تدور على أصليين: احدهما امتزاج النور بالظلمة ، والآخر خلاص النور من الظلمة • والأول هو المبدأ ، والثانى هو المعاد • وبطلان هذه العقيدة ظاهر ، إذ لا شك أن النور والظلمة عرضان لا يقومان بذاتهما ولا يوجدان إلا في غيرهما ، ولا حياة لهما ، ولا يوصفان بالقدرة والإرادة والخير والشر والفساد والصلاح والفاعل لذلك كله - غيرهما بتوسطهما ، أولا بتوسطهما • ثم الامتزاج والخلاص المعبر عنهما بالمبدأ والمعاد ، اما أن يكونا للانسان (وهو) ليس بنور ولا ظلمة لأنه جوهر وهما عرضان ، وإما

ان يكونا لغير الانسان . فما اثبتوا للانسان مبدأ ولا معاد ، ولا يضر الانسان امتزاج بالظلمة ، ولا ينفعه خلاص النور من الظلمة ، ولا النور بامتزاجه للظلمة يضر ، ولا لخالصه منه ينتفع ، ولا بالعكس ، لأن النفع والضرر يلحقان لما له شعور ولا شعور لهما ، لا حسا ولا عقلا ولا خيالا ولا وهما . ولا حاصل عند هذه الطائفة . قاله في « مشير العزم » .

وقال العلامة ابن القيم في «إغاثة اللهفان من كيد الشيطان» :
«ومن تلاعبه ما تلاعب بعباد النار ، حتى اتخذوها إلها معبودة . وقد قيل إن هذا كان من عهد «قابيل» ، كما ذكره أبو جعفر بن جرير أنه لما قتل قابيل هاويل وهرب من أبيه آدم عليه السلام أتاه إبليس ، فقال له : إن هاويل إنما قبل قربانه وأكلته النار ، لأنه كان يخدمها ويعيدها ، فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك ، فبنى بيت نار ، فهو أول من نصب النار وعبدها . وسرى هذا المذهب في المجوس فبنوا لها بيوتا كثيرة ، واتخذوا التوقف والسدنة والحجاب ، فلا يدعوا تخمد لحظة واحدة ، فاتخذ لها «أفريدون» بيتا ب «طوس» وآخر ب «بخارا» واتخذ لها «بهمن» بيتا ب «سجستان» واتخذ لها «أبو قتادة» بيتا بناحية «بخارا» واتخذت لها بيوت كثيرة ، وعباد النار يفضلونها على التراب ، ويعظمونها ويصوبون رأى إبليس . وقد رمى «بشار بن برد» بهذا المذهب بقوله في قصيدته :
الأرض سافلة سوداء مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار

ويقولون : إنها أوسع العناصر خيرا ، وأعظمها جرما ، واوسعها مكانا ، وأشرفها جوهرها ، وألطفها جسما . ولا كون في العالم إلا بها ولا نمو ولا انعقاد إلا بممزجتها . ومن عبادتهم لم أن يحفروا لها أخدودا مربعا في الأرض ، ويطوفون به . وهم أصناف

مختلفة ، فمنهم من يحرم إلقاء النفوس بها واحتراق الأبدان بها ، وهم أكثر المجوس ، وطائفة أخرى منهم تبلغ بهم عبادتهم لها : ان يقربوا أنفسهم وأولادهم لها وهؤلاء أكثر ملوك الهند واتباعهم ، ولهم سنة معروفة في تقريب نفوسهم وإلقائهم فيها ، فيعمد الرجل الذي يريد (أن) يفعل ذلك بنفسه إلى لبس احسن اللباس وافخر الحلى ويركب على المراكب وحوله المعازف والطبول والبوقات ، فيزف إلى النار اعظم من زفافه ليلة عرسه ، حتى إذا قابلها ووقف عليها وهي تتأجج ، طرح نفسه فيها فيضج الحاضرون صيحة واحدة بالدعاء له ، غبطه على ما فعل ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى يأتيهم الشيطان في صورته وهيئته وشكله ، لاينكرون منه شيئا ، فيأمرهم بأمره ويوصيهم به ، ويوصيهم بالتمسك بهذا الدين ويخبرهم انه صار إلى الجنة ورياض وانهار ، وانه لم يتألم بمس النازلة ، فلا يهولنهم ذلك ، ولا يمنعمهم أن يفعلوا مثله .

ومنهم زهاد وعباد يجلسون حول النار صائمين عاكفين عليها .
ومن سنتهم الحث على الأخلاق الجميلة كالصدق والوفاء وأداء الأمانة والعفة والعدل وترك أصدادها . ولهؤلاء شرائع في عبادتها ونواميس وأوضاع لا يخلون بها » اه .

قوله « أو عن النصرانية التي هي أذعن الأثاويل إلى نور

الإسلام » .

ليت شعري إذا جعلت النصراني عيسى بن مريم إلها كيف يقال إنهم أذعن الأثاويل إلى نور الإسلام ؟ وانت تعلم أن اليهود أذعن منهم إلى نور الاسلام ، نعم أن النصراني كما أخبر عز وجل اقرب مودة للمسلمين . قال المحقق ابن القيم «لعمر الله أن عباد الأصنام مع أنهم أعداء الله على الحقيقة وأعداء رساله واشد الكفار كفرا يأنفون

ان يصفوا آلهتهم التي يعبدونها من دون الله وهي من الحجارة والحديد والخشب بمثل ما وصفت النصارى رب العالمين واله السموات والأرضين ، وكان الله تعالى في قلوبهم أجل وأعظم من أن يصفوه بما وصفته النصارى أو بما يقاربه ، وانما شرك القوم أنهم عبدوا من دونه آلهة مخلوقة مربوبة محدثة زعموا أنها تقربهم إليه ، لم يجعلوا شيئا من آلهتهم كقواله ولا نظيرا ولا ولدا ، ولم ينالوا من الرب تعالى ما نالت هذه الأمة لأنها ارتكبت محذورين عظيمين لا يرضى بهما ذو عقل ولا معرفة .

أحدهما : الغلو في المخلوق حتى جعلوه شريك الخالق وجزءا منه ، وإلها آخر معه ، وأنفوا أن يكون عبدا له وعبوده .

والثاني : تنقيص الخالق وسبه ورميه بالعظائم حيث زعموا أنه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا دخل في فرج امرأة وأقام هناك تسعة أشهر يتخبط بين البول والدم والنجو ، ثم خرج من حيث دخل رضيعا صغيرا يبكي ويجوع ويعطش ويبول ويتغوط ، ثم كبر فلطمت اليهود خديه وربطوا يديه وبصقوا في وجهه وصفعوا ففاه ، وألبسوه إكليلا من الشوك وصلبوه بين لصين وسمروا يديه ورجليه ، وجرعوه أعظم الآلام ، هذا وهو الاله الحق الذي بيده اتقنت العوالم وبيده حياة اليهود ومماتهم ورزقهم وحشرهم ،

ومع ذلك كله فإنه عليه السلام على ما قال بولس رسولهم في رسالته إنه تحمل اللعنة عن خلقه من بنى آدم ، فهو ملعون . ولعمر الله إن هذه مسبة الله سبحانه ما سبه بها أحد من خلقه قبلهم ولا بعدهم « تكاد السموات يتقطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا » قال عمر بن الخطاب لقد سبوا الله مسبة ما سبه إياها أهد من البشر ،

ونهذا قال عقلاء الملوك : « إن إصلاح هؤلاء وجهادهم واجب عسلا
وشرعا ، فإنهم عار على بنى آدم ، مفسدون للعقول والشرائع » اه .

قلت وكما ذكرنا لك مرارا أنهم بعد هذه العقيدة العجيبة زادوا
فيها ما هو أعجب وأغرب وذلك اعتقادهم أنهم إذا اكلوا لقمة من الخبز
الذى يقدهه القسيس ، فقد أكلوا المسيح إلههم وشربوا دمه أكلا
هقيقيا بلحمه ودمه وجوهر جسمه . فانظر هل ترى عند المجوس الذين
هم من أردى أهل الأديان الباطلة ، مثل هذه العقائد العاطلة التى
اعتقدها النصارى ، وعدت فى حانة الباطل بدم معبودهم سكارى . ولقد
أحسن من سألهم بهذا السؤال المنظوم كاللآلىء ، وطلب الجواب ممن
أحسن من سألهم بهذا السؤال المنظوم كاللآلىء ، وطلب الجواب ممن
لا يقدر على رده إلى يوم الحساب وقال :

نريد جوابه ممن دعاه
أما توه ، فما هذا الإله ؟
فبشراهم إذا نالوا رضاه
فقوتهم إذا أوهت قواه
سميع يستجيب لمن دعاه ؟
ثوى تحت التراب وقد عداه ؟
يدبرها وقد سمرت يديها ؟
ينصرهم وقد سمعوا بكاه ؟
الإله الحق مشدودا قفاه ؟
يخالطه ويلحقه اذاه ؟
وطالت حيث قد صفعوا قفاه ؟
أم الحيى له رب سواه ؟

أعباد المسيح لنا سؤال
إذا مات الإله بصنع قوم
وهل أراضاه ما نالوه منه ؟
وان سخط الذى فعلوه فيه
وهل بقى الوجود بلا اله
وهل خلقت الطباق السبع لما
وهل خلقت العوالم من اله
وكيف تخلت الاملاك عنه
وكيف أطاقت الخشبات حمل
وكيف دنى الحديد إليه حتى
وكيف تمكنت ايدى عداه
وهل عاد المسيح الى حياة

وأعجب منه بطن قد حواه
لدى الظلمات من حيض غذاه
ضعيفا فاتحا للثدى فاه
يلازم ذاك هل هذا إله ؟
سيسأل كلهم عما افتراه
يعظم أو يقبح من رماه ؟
واحراق له ولن نعاه
وقد شددت لتسمير يدها ؟
فدسه لاتيئه اذ تراه
وتعبده فانك من عداه
حوى رب العباد وقد علاه
له شكلا يذكرنا سناه
لضم القبر ربك في حشاه ؟
حوارى به حل الاله ؟
فكيف تساغ يا هذا دماه ؟
ويقلبه الى خبز تراه ؟
إذا أكلت وحاشا مكلاه ؟
بدايته وهذا منتهاه

ويا عجبا لقبر ضم ربا
أقام هناك تسعا من شهور
وشق الفرج مولودا صغيرا
ويأكل ثم يشرب ثم يأتي
تعالى الله عن افك النصارى
أعباد الصليب لأى معنى
وهل تقضى العقول بغير كسر
إذا ركب الاله عليه كرها
فذاك المركب الملعون حقا
يهان عليه رب الخلق طرا
فان عظمته من أجل ان قد
وقد فقد الصليب فإن رأينا
فهلا للمقبور سجدت طرا
وكيف أبحتم أكلا لخبز
وشرب دمائه في كأس خمر
وكيف يبدل القداس لحما
وكيف يكون في بطن النصارى
فيا عبد المسيح افق فهذا

قواه : « كمنوا له تحت العقبة » الى آخره •

إن ظن النصرانى أن بهذا ترويجا لباطله ، فقد خاب ظنه لأن
الذين مكنوا له عليه الصلاة والسلام لتنفير بغلته أما منافقون واما
مشركون والصنفان كانا معلومين له عليه الصلاة والسلام ، ولم يقل
أحد من المسلمين بهجما إذ ذاك للنبي ﷺ ولم ندع أن جميع العرب
أمنت به في حياته ، بل هم أقسام ثلاثة فمنهم المؤمن الصادق ، ومنهم

المنافق ومنهم من كان باقيا على شركه ونزل القرآن نبيما يتعلق بالجميع، حتى أسلم بعد ذلك جميعهم وحسن إسلامهم ، وأنت تعلم أنه لا ضير في هذه الفعلة على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن وقع للأنبيا عليهم السلام من أمهم ما وقع مما هو أعظم من ذلك واين أنت عما فعل « يهوذا الاسخريوطى » بإلهه ومرسله — على زعمك — من تسليمه بثلاثين دوها للصلب بيد اليهود ، فتذكر ولا تغفل •

★ ★ ★

قال النصراني « فلنرجع الآن إلى كلامنا الأول ونقول إنه كان عمره ثلاثا وستين سنة ، منها أربعون سنة قبل ادعائه النبوة ، وثلاث عشرة بمكة ، وعشر في المدينة ، وهذا أصلحك الله ما لا تقدر أنت ولا غيرك ممن يدعى مثل إدعائك أن ينكره أو يجحده والذي نقل إليك دينك ووثقت به في جميع ما نقله عنه ، هو الذي نقل هذه الأخبار فهذه قصته من أولها إلى آخرها •

فان ادعيت أن موسى النبي ويشوع بن نون ولي الله وخليفة موسى ، قد حاربا أهل فلسطين ضربا بالسيف وقتلا للرجال وسبيا للذراري وأحرقا للقرى والمساكن بالنار ونهبا للأموال • مما أنكرت على صاحبنا من أمره وفعله قلنا لك: إنهما فعلا ما فعلا عن أمر الله عز وجل لقوام ما أراداه وقدره وانجاز مواعيده ، فان ذلك كان في قوم قد طغوا وبعوا وتجاوزوا الحد ، فأحب تبارك وتعالى تأديبهم كتأديب الأب المشفق على ابنه ، وإن قلت وما الدليل على أن ذلك منهما كان عن أمر الله سبحانه وتعالى وان الذي فعله صاحبك لم يكن عن أمر الله ؟ قلنا لك : ان نبي الله موسى حيث جاء بالآيات العجيبة المعجزة التي قطعها بمصر بحضرة فرعون وجميع أهل مصر بعدما فعل أهل مصر ، ببني اسرائيل ما فعلوه ، بعد ذلك أخرج بنى اسرائيل بتلك اليد الرفيعة

والقوة المنيعه وخلق لهم البحر وأجازهم وغرق فرعون وأصحابه عندما تبعهم وضرب الحجر الأصم ففتجر منه اثني عشر نهرا ، سقاهم منها وأنزل لهم المن والسلوى وما أشبه ذلك ، مما أتى به مما هو ممتع في قدرة المخلوقين لا يقدر أحد أن يفعل ذلك غير الخالق جل وعز ، ومن اعطاه الرب القدرة على فعل مثله ، صارت هذه دلائل واضحة وشواهد له صادقة بأن جميع ما حكاه وفعله عن أمر الله تبارك وتعالى ، وصح عندنا أيضا من وجه آخر أنه لم يجيء من بعده نبي ولا رسول من عند الله الا ثبتت له مقالته وصحح قوله وما جاء به ، وعلمنا أن قتال الكفار الذين هانتهم وسبى ذراريهم واحرق مساكنهم ونهب أموالهم حق من الله .

وكذلك ما فعل يشوع بن نون من استبقائه الشمس في وسط الفلك عن مسيرها ، إلى أن انتقم الشعب من أعدائه وكذلك توقيفه القمر بأمر الرب فوقف ، وشهد له الكتاب بأنه لم يكن مثل ذلك اليوم فيما مضى ولن يكون في المستقبل لأنها آية خص بها يشوع بن نون ، فتكون شهادة له وجلالا الى آخر الأبد ، وكذلك أفاعيل عجيبة غير هذه يطول شرحها .

وإذا قلت : إنك قرأت كتاب يشوع ودرسته حق دراسته فلا وجه لإعادتها ، ونحن واليهود المخالفون لنا متفقون على تصديقه عن غير تواطىء ، وأنه حق كما حكاه ديوان الله لا نشك فيه ولا نرتاب .

فاعطنا أدت أصلحك الله ادنى حجة او آية او لمعة اعجوبة تومئ بها الى صاحبك أنه فعلها أو يقول كتابه بصحتها حتى نصدق نبوته ونقر برسالته ونقبل دعوته ، ونعلم أن ما فعله من قتل الناس وسبيهم

وأخذ أموالهم واخراجهم من ديارهم كان عن امر الله عز وجل كفعل أولياء الله، ولكنا نعلم حقيقة أنه لا جواب عندك في هذا وانك لاتقدر ان تأتي بشيء مما سئلت عنه ، فلا ينبغي لك اصلاحك الله ان تظلم وتذم من رد عليك قولك وانكر دعواك قائلًا إن الله لم يبعث صاحبك رسولا ولا نبيا ولا امره بمحاربة أحد ولا موادعته وانما هو رجل متغلب ادعى لنفسه ما ادعاه ، فأعانه على ذلك قوم من عشيرته وأهل بيته وبلده ، فليس على من جحد هذا ورده ، لوم ولا عيب ولا ذنب ، بل إن انصفت عذرته وأحمدت رأيه وارتضيت بصحة عزمته وقلت بجودة فكرة ، لإحادته عن القول المتهاافت المتناقض الشاهد على نفسه ببطلانه .

وأنت تعلم — علمك الله كل خير — ان العقل والنصفة يوجبان ذلك، اللهم إلا أن تستعمل المباهة التي ليست من مذهبك ولا من اخلاقك بل هي سلاح العمه اليهود والكفار والجهال ، فان الكذب والبهت والمكابرة أصل قولهم ومنتن كلامهم وعقد أمرهم الأنهم يشبهون الشيطان اباهم الكاذب المخترع الكذب والبهتان ، كما شهد الرب يسوع المسيح عليهم في انجيله المقدس الطاهر فالام أرجع — اصلاحك الله — من أمرك ؟ وكيف أقول ؟ وبم احتج لك عند عقلي ؟ وهل ترى أن اقبل قولك من غير حجة ولا برهان ولا دليل مقنع أترى ذلك صوابا ؟ وما أظنك يرحمك الله ترى لى ذلك كيف وسيدي المسيح قد قال في محكم انجيله المقدس «إن جميع الأنبياء انما تنبأت الى وقت مجيئى ، وعند ظهورى زالت النبوات بأجمعها ، فلا نبى بعدى ، فمن جاء بعدى مدعى نبوة فهو لص خاطف لاتقبلوه(١)» فأشر على يا خليلي هل ترى لى أن أعدل

(١) النصرانى يكذب فى النقل عن الأناجيل الاربعة . فالانبياء لم يتنبأوا عن مجيئ عيسى عليه السلام . ونما فى انجيل يوحنا يقول المسيح : «لأنكم لو كنتم تصدقون موسى ، لكنتم تصدقوننى لانه هو كتب عنى» (يو : ٥ : ٤٦) =

عن وصية ربى المسيح مخلص العالم ، وأقبل غرورك وخذحك وأمانيك
وتشويقاتك بالدنيويات الزائلة بغير دليل ولا حجة ؟ فما أظن مثلك من
أهل التمييز والعقل أشار بمثل هذا الخطأ العظيم ولا مثلى قبله
واصفى إليه فارجع الى عقلك يرحمك الله وانصفه ، واستعمل القانون
الحق ودع التحامل للقرابة والعصبية للنسب المضمحل فإننى لك ناصح
وعليك مشفق .

واذكر ما قرأته فى الانجيل الطاهر حيث يقول السيد المسيح
لحواريه « أن كثيرين من الأنبياء والملوك اشتهوا أن ينظروا
ما أنتم تتظنون ولم ينظروا ، واشتاقوا الى أن يسمعوا
ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا » (١) (لوقا ١٠) فهل ينبغى لك
وأنت قرأت مثل هذا ان تميل عنه الى غيره من امور الدنيا مع معرفة
سرعة زوالها وفنائها ؟ وبعد هذا كله فكان ينبغى لك أن تعلم أننا انما
صدقنا الأنبياء وقبلنا أقوالهم عندما جاعونا بشروط النبوة ودلائل
الرسالة وأعلام الوحي ، لا بالعلبة والقهر ولا بالحمية والعصبية ولا
بالشرف فى الحسب والنسب ولا بكثرة العشيرة وصولا المنعة

= فالنص على ظاهره يبين أن التوراة تنبأت عن المسيح . لا جميع الانبياء .
وهذا النص باطل أيضا . لان التوراة تنبأت عن محمد ﷺ فقط فى الاصحاح
الثامن عشر من سفر التثنية . كما بين الشيخ الالوسى فى الجزء الاول من
هذا الكتاب .

وفى انجيل يوحنا ، يقول المسيح : « جميع الذين أتوا قبلى هم
سراق ولصوص » (يو . ١٠ : ٨) ولم يقل من جاء بعدى كما قال المؤلف .
وفى انجيل متى يقول المسيح : « من يقبل نبيا باسم نبى فأجر نبى يأخذ »
(مت . ١٠ : ٤١) فهو لم يقل انه خاتم النبیین كما ادعى المؤلف .
(١) فى الاصل يوقا ٢٤ .

ووفور المال ولا بتسهيل السنن والشرائع ، ولا بإعطاء الجسد شهواته ،
ولا لأجل الفرق من السلطان والخوف من السيف والسوط ، بل بالإيات
العجبية التي لا يقدر الآدميون ولا يتهاى في حيلهم أن يأتوا بمثلها ،
فهي دلائل واضحة الهية مثل آيات الأنبياء وعجائب ربنا المسيح ،
وأفعال تلاميذه للحواريين التي كانت تضل عندها عقول الفلاسفة
وحكمة الحكماء ، فقبلنا أقاويل هؤلاء وجميع ماجاءونا به وصدقناهم
وأقررنا لهم به ، وانه حق منزل من عند الله عز وجل ، لكون مثل هذه
الشهادات الصادقة معهم ، وبراءتها في أيدينا ، ووندنا آثارهم قائمة ،
وأعلامهم نيرة ، لا يجحد ذلك أحد ولا يمكن غيرهم أن يدعيه ولا ينكره
إلا من عاند الحق واستعمل المباهة وسوء التمييز » اه .

فأقول وبالله سبحانه التوفيق : إن ما سردته هذا النصراني هنا من
التمويه الباطل والمكرر الذي لا تجد تحته طائل ، وهو تهويل وليس
عليه في مقام الجدل تعويل ، وإذا امتحنته الفيته زيفا ، أو جبا نتنا
مخيفا ، أو سرايا يحسبه الظمان ماء فإذا جاءه لم يرفيه رواء ، فلذا
يستغني في الحقيقة عن الرد ، لاسيما والذي ذكرناه من قبل ونذكره
فيما بعد وافيان بالمقصود في جواب هذا المهذار ، من هدم ما أسسه
على شفا جرف هار ، إذ هو يحكى في كلامه من يبني بيتا من الثلج في
الشتاء ليستكن فيه ، ويتحفظ من أغاديه . فاذا جاء الصيف
واشتدت اللأواء وانكسف الغيم عن السماء وظهرت الشمس ، فأثرت
في ظاهره وخافيه ، ذاب على بانيه لحينه وغرق الساكن في معينه .
فأجوبتنا والحمد لله تعالى كالشمس المذيبة بحرارته لتلك الدار
، غير أننا خوفا من أن يظن الناظر اننا تركنا جواب كلامه المكرر
بجزا أو سنامه أو توانيا في هدم ما اقامه ، نذكر نبذة مما
ذه الكلمات ، مقتصرين على رد المطاعن بأخصر العبارات .

قوله : « وأقول إن عمره كان ثلاثا وثلاثين سنة» الخ

ليت شعري أى دليل فى هذا على عدم صدقه عليه الصلاة والسلام بدعوى الرسالة لأن عيسى كان عمره عندما قتل بزعمهم نيفا وثلاثين سنة ولنذكر لك شيئا نذرا مما يتعلق بأحواله عليه الصلاة والسلام قبل ولادته وبعدها ، وهذا غير ما ذكرناه من معجزاته وبديع صفاته .

قال الماوردى فى الباب التاسع عشر من كتابه دلائل النبوة فى آيات مولده وظهور بركته صلى الله تعالى عليه وسلم - بعد أن ذكر طهارة مولده ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة ، وأنه عصم الله تعالى أمه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم حين كان فى ظهره أن يضعه من سفاح حتى وضعه من نكاح آمنة بنت وهب وأنه عليه الصلاة والسلام سلالة آباء كرام سادوا ، ورأسوا ، وليس فى آبائه خامل مسترذل ولا مغمور مستذل ، كلهم سادة قادة ، وهم أخص الناس بالمناكح الطاهرة حتى تخرجوا من نكاح المحارم ، وإن استباحه غيرهم ما ملخصه .

«آيات الملك باهرة وشواهد النبوات قاهرة تشهد مبادؤها بالعرائب ، فلا يلتبس فيها كذب بصديق ولا منتحل بمحق وبمحسب قوتها وانتشارها يكون بهتائها وإنذارها . ولما دنا مولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تعاطرت آيات نبوته وظهرت آيات بركته ، فكان من أعظمها شأننا وأظهرها برهاننا وأشهرها بياننا أصحاب الفيل الذين أنفذهم النجاشى من أرض الحبشة فى جمهور جيشه إلى مكة ، لقتل رجالها وسبى ذراريها وهدم الكعبة وفى سببه قولان :

فذكر قوم أن أبرهة بن الصباح (١) استولى على اليمن معتزياً إلى النجاشي فبنى بصنعاء كنيسة للنصارى ، واستعان في بنائها بقتيصر والنجاشي حتى بناها في تشييدها وحسنها ليعدل بالعرب عن حج الكعبة إليها فأنكرته العرب ودخل إلى هيكلها بعض بنى كنانة من قريش فأحدث فيها • فكتب إلى النجاشي يستمده بالفيل وجيش الحبشة ليغزو قريشاً ويهدم الكعبة ، فسار بهم وأخذ «أبا رغال» من الطائف دليلاً إلى مكة ، حتى أنزله بالمغمس ، ومات أبو رغال بالمغمس فدفن فيه ، فرجمت العرب قبره فهو القبر المرجوم بالمغمس •

وقال آخرون بل سببه أن نفرا من تجار قريش مروا ببيعة للنصارى على شاطئ البحر فنزلوا بفنائها وأوقدوا ناراً لعمل طعامهم ، فأحترقت البيعة فأقسم النجاشي ليسببن مكة وليهدمن الكعبة ، فانفذ جيشه والفيل مع أبرهة بن الصباح وابن مكسوم وحجر بن سراحبيل والأسود بن مقصود ، وكان النجاشي هو الملك وأبرهة صاحب جيش على اليمن وأبو مكسوم وزيره وحجر والأسود من قواده ، فساروا بالجيش مع الفيل ، حتى نزلوا بذى المجاز ، وتقدمهم الأسود بن مقصود فاستاق سرح مكة ، فقال فيه عبد الله بن مخزوم •

لاهم إخر الأسود بن مقصود الآخذ الهجمة بعد التقليد
ويهدم البيت الحرام المعبود والروتين والمشاعر السود
أخزهم يارب وأنت المعبود

وكان في السرح مائتا بعير ، لعبد المطلب جد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قلد بعضها فخرج وكان وسيماً جسيماً إلى أبرهة

(١) في الاصل : ابراهيم بن الصباح •

وسأله في إبله فقال له ابرهة قد كنت اعجبنتى حين رأيتك ، وقد زهدت
الآن فيك . قال ولم ؟ قال جئت لأهدم الكعبة ، بيتا هو دينك ودين
آبائك ، فلم تسألنى ، فيه ، وسألتنى في إيلك ، فقال عبد المطلب : أنا
رب إبلى وللبيت رب غيرى سيمنعه منك . فقال ابرهة : ما كان ليمنعه
منى ورد على عبد المطلب إبله مستهزءا ليعود فيأخذها ، فأحرزها
عبد المطلب في جبال مكة ، وأتى الكعبة فأخذ بحلقة الباب ، وجعل يقول:

يارب إن المرء يمنى	ع حله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهـم	ومحالهم أبدا محالك
إن كنت تاركهم وكعب	تنا فأمر ما بدالك
فلئن فعلت فأنه	أمر يتم به فعالك
اسمع بارجس من أرا	دوا العدو وانتهكوا حلالك
جروا جميع بلادهم	والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حمال بكيدهم	جهلا ومأرقبوا جلالك

وتوجه الجيش إلى مكة من طريق منى ، والفيل معهم ، إذا بعث
على الحرم أحجم ، وإذا عدل عنه أقدم ، فوقعوا بالمغمس ، فقال ابو
الطيب بن مسعود فى ذلك ، وقيل بل قاله عبد المطلب .

إن آيات ربنا ساطعات	ما يمارى بهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى	مر يعوى كأنه معفور

وبصراهل مكة بالطير قد أقبلت من ناحية البحر فقال عبد المطلب
ان هذه غريبة بأرضنا ما هي نجدية ولا تهامية ولا حجازية ، وإنما
الأشباه العياسيب، وكان فى مناقيرها وأرجلها حجارة، فلما أظلت على القوم
ألقتها عليهم حتى هلكوا ، فأظلت من القوم ابرهة ورجع إلى اليمن ،

فمات في طريقه بعد أن كان يسقط من جسده عضو عضو حتى هلك .
ولما تأخر القوم عنهم واستعجم خبرهم قال عبد المطلب :

يارب لا نرجو لهم سواكا يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا أمنعهم ان يخربوا قراكا

وبعث ابنه عبد الله ابا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليأتيه
بخبرهم فوجد جميعهم قد شدختهم الاحجار حتى هلكوا فعاد راکضا الى
عبد المطلب وأصحابه وأخبره ، فبادر عبد المطلب وأصحابه واخذوا
اموالهم فكانت أول أموال بنى عبد المطلب فأنشأ مرتجزا يقول :

انت منعت الجيش والافئالا وقد رعو بمكة الاخيالا
وقد خشينا منهم القتالا وكل امر لهم معضالا
شكرا وحمدا لك ذا الجلالا

وآية الرسول عليه الصلاة والسلام من قصة الفيل أنه كان في
زمانه حملا في بطن أمه بمكة ، لأنه ولد بعد خمسين يوما من الفيل وبعد
موت أبيه في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ،
ووافق من شهور الروم العشرين من شباط في السنة الثانية عشر من
ملك هرمز بن أدوثرون فكانت آيته في ذلك من وجهين أحدهما انهم
او ظفروا لسبوا واسترقوا فأهلكهم الله تعالى لصيانة رسوله ان يجرى
عليه السبى حملا ووليدا . والثاني : أنه لم يكن لقريش من التآله
ما يستحقون به دفع أصحاب الفيل عنهم ، وما هم أهل الكتاب لأنهم
كانوا بين عابد صنم أو متدين وثن ، أو قائل بالزندقة ، ومانع من
الرجعة ، ولكن لما أراد الله تعالى من ظهور الإسلام تأسيسا للذوبة
وتعظيما للكعبة أن يجعلها قبلة للصلاة ومنسكا للحج .

فان قيل : فكيف منع عن الكعبة تقبل مصيرها قبلة ومنسكا ولم يمنع
الحجاج من هدمها وقد صارت قبلة ومنسكا حتى أحرقتها ونصب
المنجنيق عليها ؟ فتقال فيها على ما حكى عنه :

كيف تراه ساطعا غباره والله فيما يزعمون جاره

وقال راميا بالمنجنيق :

قطارة مثل الغنيق المزيد أرمى بها أعواد كل مسجد

قيل فعل الحجاج كان بعد استقرار الدين فاستغنى عن آيات
تأسيسه وأصحاب الفيل ، كانوا قبل ظهور النبوة فجعل للمنع منها آية
لتأسيس النبوة ومجيبء الرسالة ، على أن الرسول عليه الصلاة
والسلام قد أُنذر بهدمها فصار الهدم آية بعد أن كان المنع آية فلذلك
ما اختلف حكمها في الحالين والله تعالى أعلم .

ولما انتشر في العرب ما صنع الله تعالى بجيش الفيل تهيؤوا الحرم
وعظموه وزادت حرمة في النفوس ودانت لقريش بالطاعة ، وقالوا
أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم ، فزادوهم تشريفا وتعظيما ،
وقامت قريش لهم بالوفادة والسدانة والسقاية . والوفادة مال يخرج
قريش في كل عام من أمرهم يصنعون به طعام للناس أيام منى فصاروا
أئمة ديانين وقادة متبوعين ، وصار أصحاب الفيل مثلا في الغابرين .

ثم كان شأن الفيل في الجاهلية رادعا لكل باغ ودافعا لكل طاغ .

وقد عاصر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في زمن نبوته
وبعد هجرته جماعة شاهدوا الفيل وطير الأباييل منهم حكيم بن حزام
وحاطب بن عبد العزى ونوفل بن معاوية . لأن كل واحد من هؤلاء عاش

مائة وعشرين سنة • منها ستين سنة في الجاهلية ، وستين سنة في الاسلام ثم إنه عليه الصلاة والسلام بعد ولادته لم يزل موفور البركة على كل لائذ به وكافل له •

ولو أردنا ذكر جميع ما وقع له من الآيات عند حمله ووضع ورضاعه وصباه لطال الكتاب وخرجنا عن صدد اختصار الجواب • ومن أرادها فليرجع إلى محالها فإن بطون الكتب مملوءة من تفاصيلها بالروايات الصحيحة والأخبار الصريحة والله سبحانه الهادي إلى صواب الصواب •

وقال أيضا في الباب الحادي والعشرين في مبتدأ بعثه واستقرار نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الله تعالى يجعل لكل مقدر من الأمور إذا دنى نذيرا وبشيرا يظهر بهما مبادئ ما أخفاه ، ويشعر بحلولهما قدره وقضاه ، ليكونا تعذيرا وتحذيرا ، لتتيقظ بهما العقول ، ويزدجر بهما الجهول لظفا بعباده من فجأة الأمور المذهلة أن تصدم ببوادر لا تستدرك ، لتكون النفوس في مهلة من استدفاع خطبها وحل صعبتها • ولما دنا مبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة رسولا وإلى الخلق بشيرا ونذيرا ، انتشر في الأمم أن الله تعالى سيبعث نبيا في هذا الزمان وإن ظهوره قد قرب وأن ، فكانت كل أمة لها كتاب ، يعرف ذلك من كتابها • والتي لا كتاب لها ترى من الآيات المنذرة ما تستدل عليه بعقولها ، وتنتبه عليه بهواجس فطرها إلهاما أعان به الفطن اللبيب ، وأنذر به الحازم الأريب هذا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غافل عنها وغير عالم أنه مراد بها ، ومؤهل لها ، لم يشعر بها ، حتى نودي ، ولا تحققها حتى نوجى ، ليكون أبعد من التهمة وأسلم من الظنة ، فيكون برهانه اظهر ، وحجابه أقهر •

وكان مع تمييزه زعمه قومه بشرف أخلاقه وكرم طباعه لم يعبد معهم صنما ولا عظم وثنا وكان متدينا بفرائض العقول من توحيد الله تعالى وقدمه وحدوث العالم وفنائه ، وشكر المنعم وتحريم الظلم ، ووجوب الانصاف واداء الأمانة .

واختلف أهل العلم هل كان عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه معيدا بشريعة من تقدمه من الانبياء ؟ فذهب الاكثر إلى انه لم يكن معيدا بشريعة من تقدمه من الانبياء ، لانه لو تعبد بها لتعلمها ولعمل بها ، ولو عمل بها لظهرت منه ، ولو ظهرت منه لاتبعه فيها الموافق ونازعه فيها المخالف . وذهب الخليل إلى انه كان متعيدا بشريعة من تقدمه من الانبياء عليهم السلام لانهم دعوا إلى شرائعهم من عاصرتهم ومن يأتي بعدهم ، مما لم تنسخ بنيوه حدته فدخل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في عموم الدعاء قبل مبعثه ، لان الله تعالى لا يخلق زمانا من شرع متبوع ولا متدينا من تعبد مسموع وذهب بعضهم إلى انه كان متعيدا بشريعة جده ابراهيم عليه السلام لقوله تعالى : «ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه» . ولانه كان في الحج والعمرة على مناسكه ، فسلم قبل مبعثه من جرح في دينه وقروح في يقينه . وهذا من امارات الاصطفاء ومقدمات الاجتباء . ولما جد الأمر في النبوة ودنا وقتها ، حبيب الله تعالى إلى رسوله عليه الصلاة والسلام الخلاء بعد أربعين سنة من عمره ، حين تكامل نهاه واشتد قواه ، ليكون متهيأ لما قدر له ، ومتأهبا لما أريد له ، فكان يتخلى بغار في حراء في ذوات العدد من الليالي ، وقيل شهرا في السنة ويعود إلى أهله ، إلى أن استدام الخلاء في الغار لما أراد الله تعالى به ، فكان يؤتى بطعامه وشرابه فيأكل منه ويطعم المساكين برهة من زمانه ، وهو غافل عن النبوة ، وان كان في الناس موهوما ، وعند أهل الكتب معلوما ، ليكون ابتكار البديهة

به مانعا من التصنع لها فلا ينسب الى اختراعها • ولو تصنع واخترع
لظرت أسبابهما وتمت شواهدهما ولم يخف على من عاداه أن يتداوله
ولا عن من والاه أن يتأوله وحسبك بهذا وضوحا أن يكون بعيدا من
التهمة بهما ، سليما من الظنة فيهما فلم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم
على خلوته إلى أن اظهر الله تعالى امارات نبوته فأيقظه بها بعد الغفلة
وبشره بها بعد المهلة ، ثم بعثه بها رسولا بعد البشرى ، على تدرج
ترتبت فيها أحواله ليتوطأ لتحمل اثقالتها ويعلم لوازم حقوقها ، حتى
لا تفاجأه بغته فيذهل ، ولا تخفى عليه حقوقها فينكل •

وكان ذلك من الله عز وجل لظفا به وأنعاما عليه وداعيا لأئمة
في الانقياد إليه فسبحانه من لطيف بعباده ، منعم على خلقه ثم
تدرجت إليه أحواله في النبوة حتى علم أنه نبي مبعوث ورسول مبلغ
ترتب تدرجه على ستة أحوال ، نقل فيهن إلى منزلة بعد منزلة
حتى بلغ غايتها •

فالنزلة الأولى : الرؤيا الصادقة في منامه بما سيؤول إليه أمره ،
فكان ذلك إذكارا بها ليروض لها نفسه ويختبر بها حواسه ، فيقوم بها
إذا بعث وهو عليها قوى وبها ملى ، وكانت رؤياه تجيء مثل غلق
الصبح ، حتى فجأه الحق وكان إذ ذاك لا يمر بشجر ولا حجر ، إلا قال
السلام عليك يا رسول الله ، فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا
يرى أحدا •

والنزلة الثانية : أنه نزل عليه جبريل بوحي ربه حتى رأى شخصه
وسمع مناجاته ، فأخبره أنه نبي الله ورسوله واقتصر به على الأخبار ،
ولم يأمره بالانذار ليعلمها بعد البشرى عيانا ، ويقطع بها يقينا ، فيكون

معتقده بها أوثق، وعلمه بها أصدق ، فلا يعترضه وهم ، ولا يخالجه ريب •

روى الزهري وغيره : أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما فجئه الحق ، ، أتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد أنت رسول الله قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : «فجئت اركبتى وأنا قائم ، ثم رجعت ترجف بوادري، ثم دخلت على خديجة ، فقلت زملونى زملونى ، حتى ذهب عنى ، ثم أتانى فقال يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله • ثم قال : إقرأ ، قلت : ما أقرأ ، فأخذنى فغطنى ثلاث مرات حتى بلا منى الجهد ، وقال : «اقرأ باسم ربك الذى خلق(١)» ثم انطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى ورقة بن نوفل ، وكان قد خرج فى طلب الدين ، وقيل قرأ التوراة والانجيل وتصر ، فأخبره الخبر ، فقال هذا الناموس الذى نزل على موسى — يعنى جبريل عليه السلام — وقال ليبنى أكون حيا حين يخرجك قومك • فقال عليه الصلاة والسلام له : «أمخرجى هم؟» قال : نعم إنه لم يجىء رجل قط بما جئت به الا عودى ولأن أدركنى يومك لانصرك نصرا مؤزرا •

والمنزلة الثالثة : إنه أمر عليه الصلاة والسلام بعد النبوة بالانذار ، فصار به رسولا ، ونزل عليه القرآن بالامر والنهى ، فصار به مبعوثا ولم يؤمر بالجهر وعموم الانذار ليختص بمن آمن ، ويشهد بمن أجابه • فنزل عليه قوله تعالى : «يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك

(١) أول العلق . وقيل : ان أول ما نزل : قل تعالوا اتل ما حرم ربكم . وقيل : سورة الفاتحة . وقيل غير ذلك (الاتقان للسيوطى) .

فاصبر » فتمت نبوته بالوحي والانذار • وإن كان صلى استسرار فقد استسر بالانذار من يأمنه ، كعلى وخديجة وأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وزيد بن حارثة وعثمان بن عفان وأناس قليلين • ثم تتابع الناس فى الاسلام ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على استساراه ، بالدعاء ، وإن انتشرت دعوته فى قريش •

المنزلة الرابعة : ان يعيم بالانذار بعد خصوصه ويجهر بالدعاء إلى الاسلام بعد استساراه ، فأنزل الله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركن(١) » فجهر بالدعاء وذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه وأمر أن يبدأ بعشيرته الأقربين ، فقال الله تعالى : « وانذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين(٢) » فصعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصفا فهتف : «ياصباحاه • يابنى عبدالمطلب • يابنى عبد مناف » حتى ذكر الأقرب فالأقرب من قبائل قريش ، فاجتمعوا له وقالوا مالك • قال : «أرأيتمكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل ، اما كنتم تصدقوننى؟ » قالوا : بلى ماجربنا عليك كذبا قال : فانى نذيركم بين يدي عذاب شديد » فردوا عليه بعض الرد ، حتى ذكر آلهتهم وعابها وسفه أحلامهم فى عبادتها فلما فعل ذلك ، أجمعوا على خلافه وتظاهروا بعداوته ، الا من عصمه الله تعالى بالاسلام وهم قليل مستحقرون ، فصار بعموم الانذار والجهر بالدعاء الى التوحيد والاسلام ، عام النبوة مبعوثا الى كافة الأمة • فكمّل الله تعالى بذلك نبوته وتمم به رسالته ، فصدع بما أمره وقام بحقه وجاهد بانذاره وعم بدعائه

(١) الحجر ٩٤

(٢) الشعراء ٢١٤ - ٢١٥ •

وجاهد في الله حق جهاده، حتى خصم (١) قريشا حين جادلوه وصابروهم حين عاندوه وجمعهم غفير، الى أن علت كلمته وظهرت دعوته، وكابد من الشدائد ما لم يثبت عليها إلا معصوم، ولا يسلم منها الا منصور. وكل هذه آيات تنذر بالحق وتلائم الصدق، لأن الله لا يهدى كيد الخائنين، ولا يصلح عمل المفسدين « انتهى باقتصار وتلخيص » .

قوله : « فإن ادعيت أن موسى النبي ويشوع قد حاربا الى آخره » .

أقول : لو أردنا استقصاء ما فعلته أنبياء بنى اسرائيل بمن خالفهم، من قتل وأسر للكبار والصغار والنساء، وأخذ للأموال، لطال البحث والكتاب، وقد ذكرنا في محله ما فيه كفاية لذوى الألباب . غير انى أذكر هنا ما ورد في سفر صموئيل الثانى عن داود، عليه السلام الينظر الفرق بين ما كان مأمورا به غير نبينا من الأنبياء، وبين ما أمر به نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام قال فى الأصحاح الثانى عشر المطبوع فى الموصل سنة ١٨٧٥ م نصه « فجمع داود جميع الشعب، وصار انى ربابث، فحاربها وفتحها وأخذ تاج ملكهم عن رأسه، وكان وزنه وزنة من الذهب . وكان فيه جواهر كريمة ووضعها على رأس داود، وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جدا والشعب الذين كانوا فيها أخذهم ونشرهم بالناشير وداسهم بنوارج حديد وقطعهم بفؤوس حديد، وأمرهم فى

(١) لما نزل قوله تعالى : أنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم « قال الكفار : ان « ما » للعاقل . وعيسى ابن مريم عاقل . وهو اله عند لنصارى ، فيكون من أهل النار . وذهب «ابن الزبيرى» ليخصمحمدا ﷺ . والرد عليه : أن عيسى بن مريم لم يعبد برضاه . والآية فى الالهة التى ترضى بعبادة الناس لها .

أتون الآجر ، وكذلك صنع بجميع مدن بني عمون ورجع داود وجميع الشعب إلى اورشليم (١)» اه .

«قال محشيهِ المفسر ما نصه : «هذا النوع من العذاب غريب جدا ، ودليل في نفسه على أشد القساوة ، إلا أننا إذا اعتبرنا أن داود كان من طبعه الحلم فالواجب أن نقول إنه إنما أتى إلى هذا الحد من القساوة ، بسبب أن بني عمون كانوا قد عذبوا الاسرائيليين هكذا ، وأن الله أمره أن يعاقبهم هذه المعاقبة ، وهو رب الموت والحياة» اه .

مع أن داود ، كما في الاصحاح السادس عشر من صموئيل «قد حل عليه روح الرب وهو صغير» إلى النهاية فقابل هذا مع ما فعله نبينا على الصلاة والسلام في فتح مكة من العفو والصفح ، مع أن الكل من أمر الله سبحانه ، واعرف عفو المصطفى وانصف .

قوله : « انهما فعلا ما فعلاه عن أمر الله عز وجل» إلى آخره .

يقال له ما كان جوابك فهو جوابنا لأن نبينا عليه الصلاة والسلام ثبتت نبوته بما ثبتت به نبوة غيره من الأنبياء الكرام ، وقد أسلفنا لك جملة صالحة تتعلق بذلك فراجعها .

قوله : « فأحب تبارك وتعالى تأديبهم » .

لا يخفى عليك ان مثل هذا أيضا يقال في جهاده عليه الصلاة والسلام المشركين من العرب والمجوس واليهود والنصارى وغيرهم لأن مشركى العرب عبدوا الاحجار والأشجار ووأدوا البنات وانكروا

الحساب والعقاب والمجوس عبدوا النيران وتزوجوا الأخوات والأمهات،
وظغوا في البلاد وأبادوا العباد واليهود حرموا التوراة وبدلوا أحكام
الإله وطعنوا بالأنبياء وجهأوا صفات خالق الارض والسماء والنصارى
غيروا أحكام التوراة والانجيل وزعموا بعد نبينهم عليه السلام أنه هو
الإله النازل على أهل الجليل فاتخذوا الانسان ربا معبودا ، ومنحوه
ركوعا وسجودا . ثم زعموا أن مضاوقه صلبوه ، ومرذوقوه ، وعذبوه . ثم
زعموا ان كل نصرانى يأكل لحمه ويشرب دمه فى العشاء الربانى
وغيرهم من الصابئة ونحوهم عبدوا النجوم والذهرية أنكروا اليوم
المعلوم فحينئذ شاء البارى تبارك وتعالى أن يرسل إلى هؤلاء البشر
من ينقذهم من عبادة النار والصور والحجر والشجر والبقر والقول
بالدهر ، ويمنعهم عن وأد البنات وتزوج الأخوات والأمهات ، ويحكم
بما أنزل الله تعالى من التوراة والآيات البينات ، ويخلص اليهود من
ظلم النصارى ، ويهديهم ، فهموايم الله فى الدين حيارى ، ويرشدهم
إلى القول الحق فى المسيح ، أنهم قد نسبوا إليه وحاشاه كل قبيح ،
فأمره عز وجل بدعوتهم الى الايمان ، وان أبوا قاتلهم بكل سيف
وسنان ، حتى يتبعوا ما أنزل من القرآن ولا يجعلوا لله سبحانه ثان ،
ويأتمروا بها أمر به الملك الديان ، ويكونوا أولياء الرحمن ، لا أولياء
الشيطان ، ويتخلقوا بالأخلاق المرضية ولا يظلموا أحدا من سائر
البرية، ويعتقدوا الحشر والمعاد ، وأنه سبحانه يحاسب العباد ، فيدخل
الفاجرين نيران الجحيم ، والموحدين المؤمنين بالله ورسله دار النعيم .

قوله : «ان نبى الله موسى حيث جاء بالآيات» الى آخره .

من المعام البين أن المسلمين معترفون بمعجزات موسى وغيره من
الأنبياء عليهم السلام ، فلاحاجة إلى سوقها فى مقام الخصام ، إذ
لا دليل فيها على إبطال نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ،

بل فيها تأييد لمعجزاته عليه أفضل الصلاة والسلام لأنها ثبتت بما ثبتت به معجزاتهم عليهم السلام لأنها أمر خارق للعادة، صدر ممن ادعى النبوة وقد تحدى بذلك كلا منهم على أن معجزات موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام إنما ثبتت وسلمت عندنا بتصديق نبينا عليه الصلاة والسلام وإخباره لنا ، إذ لولاه لما صحت معجزاتهم ، لأن معجزات موسى ينكرها كثير من الأمم وأصحاب الملل والنحل ، والدهرية ، والمجوس ، ومعجزات عيسى ونبوته ينكرها اليهود وكافة الأمم ما خلا المسلمين ولما جاء نبينا عليه الصلاة والسلام وادعى النبوة وأظهر المعجزات الجمّة التي فاقّت جميع معجزات إخوانه الأنبياء ، وتحدى بها علمنا حينئذ صحة نبوتهم وصدق معجزاتهم وأكد ذلك تبشيراتهم به صلى الله تعالى عليه وسلم ولو لم يكن تصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم لما صدقناهم ، لأن التوراة لم تصل إلينا بالتواتر المعتبر ، والتحريف والناقض الذي فيها أمر ثابت مستطر ، والانجيل ألف مرات كثيرة لأفراد متعددين ، بعبارات مختلفة مضطربة ، يهدد المسيح عليه السلام بسنين وفيرة ونقلته أفراد من النساء ونحوهن فهو خير آحاد .

لا سيما وتناقضه وتخالف نسخه أعظم شاهد على أنه لا يفيد العلم غير أن نبينا عليه الصلاة والسلام لما صدق رسالتهما ، وبين معجزاتهما ونبهننا على تحريف التوراة والانجيل ، ونظرنا إليهما بعين التأمل والتدبر ، وجدنا صدق مقاله صلى الله تعالى عليه وسلم وموافقة خبره لنفس الأمر فأما ، بنبوتهما وصدقنا معجزاتهما وعلما كذب ما عزته اليهود لعيسى عليه السلام وكذب ما عزته النصارى له أيضا واعترفنا بما هو مطابق للعقل والنقل من أنه ابن مريم لامن سفاح ، وأنه رسول صادق ، وأنه بشر مخلوق لا خالق ونبدنا كلام من فرط

وأفرط وركب متن البهتان والغلو والشطط كما أثبتنا جميع هذا فيما تقدم من كتابنا فراجعه • ولعل لنا أيضا عودة إلى هذا البحث إن شاء تعالى •

قوله : « وإن يكون في المستقبل لأنها آية خص بها يشوع »
لا يخفى أن هذا النصراني لعاه أراد بنقله وكلامه هذا ، إبطال بعض معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام كرد الشمس وانشقاق القمر اللذين قدمنا ذكرهما في بيان المعجزات ، مع أن هذه الآيات إن صحت ألفاظها ، فليس فيها ما يصرح بانحصارها في يشوع وأنها لاتكون لغيره لأن الآيات في نسخهم المختلفة تحتل معان عديدة ، وتأويلات سديدة ، لا تخفى على كل فطن لبيب ، فاسمعها وأجل قدام فكرك فيها : قال في الاصحاح العاشر من سفر يشوع ما نصه : «حينئذ كلم يسوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بنى اسرائيل ، وقال امام عيون اسرائيل ياتشمس دومي على جبعون ويأقمر على وادى ايلون فدامت الشمس ووقف القمر ، حتى انتقم الشعب من أعدائه ، أليس هذا مكتوب في سفر الأبرار ؟ فوقفت الشمس في كبد السماء ، ولم يكن تعجل إلى الغروب يوما تاما ، ولم يكن يوم طويلا مثله لا قبل ولا بعد وذلك أن الرب أطاع لصوت رجل وحارب عن اسرائيل » انتهى من النسخة المطبوعة سنة ١٨٣١ في لندن وهذا ليس فيه دليل على أن هذه المعجزة لا تكون لأحد بعده كما هو ظاهر لذوى الأبصار ظهور الشمس في رابعة النهار •

قوله : « انه لا جواب عندك » •

نقول : لنا والحمد لله تعالى أجوبة كثيرة تضيق عنها بطون الصحائف والدفاتر ، عن كل ما ذكرته ، وتذكره فيما بعد من الشبه

التي لا يخفى بطلانها على الأكابر والأصاغر ، وقد سبق لك منها مرارا ما يفى بالمقصود ، وتأتيك ان شاء الله تعالى بقيتها في محالها من الردود ، فتصفحها في تيار هذا الكتاب ، تجد فيه أجوبة لشبهك وشبه غيرك من أهل ملتك ، لا تبقى شكا لمرتاب ، إلا من كابر واستكبر ، وأصم الله تعالى منه السمع ، وأعمى البصيرة والبصر ، فليس لنا معه كلام والله يهدي الى دار السلام •

قوله : « فأعانه على ذلك قوم من عشيرته » •

لا يخفى أن النبي عليه الصلاة والسلام في مبدأ أمره ، عادته عشيرته ونصرته الأجانب ، وكفرت به الاقارب ، وآمنت به الأبعد • ثم اتضح الأمر وأسفرت دعوته وثبتت بالبراهين القاطعة لكل رسالته ، فأمن به البعيد والقريب ، وفاز بقبولها شرقا وغربا كل عاقل لبيب •

قوله : « وهل ترى أن أقبل قولك من غير حجة » الى آخره •

قد ذكرنا لك الحجج التي هي كالشمس في الظهور ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ، غيراني اذكراك هنا مسألة شريفة من فتاوى شيخ الاسلام تقي الدين ، أحمد بن عبد الحلیم عليه الرحمة فانه سئل عن رجل قال إذا كان المسلمون مقلدين ، واليهود مقلدين والنصارى مقلدين فكيف وجه الرد على اليهود والنصارى ؟ وما الدليل على تحقيق قول المسلمين ؟ وكيف وجه الرد على من قال ان نبينا محمدا صلى الله تعالى وسلم مرسلون الى العرب خاصة ؟ فأجاب وأطنب كما هي عادته عليه الرحمة •

ولنذكر لك ملخص ما اختصرناه منها(١): قال نور الله قبره «أن هذا التقليد مذموم لأنه قبول قول الغير بلا حجة ، كالذين ذكرهم الله تعالى بقوله : «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله • قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون(٢)» وقال تعالى : «إنهم ألفوا آباءهم ضالين ، فهم على آثارهم يهرعون(٣)» ونظائر هذا في القرآن كثير ، فمن اتبع دين آباءه وأسلافه لأجل العادة التي تعودها ، وترك اتباع الحق الذي يجب اتباعه ، فهذا هو المقلد المذموم ، وهذا حال اليهود والنصارى وأهل البدع والأهواء الذين يتبعون رؤساءهم في غير الحق ، كما قال تعالى « يوم تقلب وجوههم في النار ، يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا • وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا ، فأضلونا السبيلا ، ربنا آتتهم ضعفين من العذاب ، والعنهم لعنا كبيرا(٤)» وغير هذه من الآيات • واعلم أن الشخص إما أن يتبين له أن ما بعث الله به رسله حق ، ويعدل عنه إلى اتباع هواه ، أو يحسب أن ما هو عليه من ترك ذلك ، هو الحق • فهذا متبع للظن والأول متبع لهواه • قال تعالى في صفة الأولين «: فانهم لا يكذبونك، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون(٥)» وقال تعالى «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين(٦)» وقال تعالى «الذين آتيناهم الكتاب يعرفون ، كما يعرفون أبناءهم ،

-
- (١) اقرأ بأن تكافؤ الأدلة في كتاب الفصل لابن حدم .
 - (٢) البقرة ١٧٠ .
 - (٣) الصافات ٦٩ — ٧٠ .
 - (٤) الأحزاب ٦٦ — ٦٨ .
 - (٥) الاتعام : ٢٣ .
 - (٦) النمل : ١٤ .

وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون(١)» وقال تعالى في صفة الآخرين : «قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا(٢)» فهذه الآيات حاكية لحال اليهود والنصارى والمنافقين ، ولن يترك الأدلة الواضحة الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لشبهه ضعيفة ، وتقليد الأسلافه ويعرض عما ورد في حقه عليه الصلاة والسلام في الكتب المنزلة من البشائر الصريحة ، وما صدر على يديه من المعجزات المتواترة فهذا هو التقليد المذموم الذى تترك فيه النصوص القاطعة والدلائل الظاهرة لأجل اتباع الهوى والأسلاف .

وبيان ذلك من وجوه :

أحدهما : ان اليهود والنصارى الذين يزعمون انهم يتبعون موسى وعيسى عليهما السلام إنما يتبعونهم لأجل أنهم رسل الله وما من طريق تثبت بها نبوة موسى وعيسى الا ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم أولى وأحرى بها . مثال ذلك : إذا قالت اليهود والنصارى : قد ثبت بالنقل المتواتر ، أن موسى وعيسى ادعيا النبوة وظهرت منهما الآيات الدالة على صدقهما ، وأنهما جاءا من الدين والشريعة ما يعلم انه لم يجيء به مفتر كذاب ، وما يظهر مثل هذه الآيات مع من ادعى النبوة إلا من نبي صادق فنقول لهم إن اثبات نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الطريق بالأولى فإنه من المعلوم أن الذين نقلوا مادعا إليه محمد عليه الصلاة والسلام من الدين والشريعة ، ونقلوا ما جاء

(١) البقر : ١٤٦ .

(٢) الكهف : ١٠٣ - ١٠٤ .

به من الآيات والمعجزات ، أعظم من الذين نقلوا مثل ذلك عن موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام ، وما جاء به من هذين النوعين أعظم مما جاء به موسى وعيسى ، بل من نظر بعقله في هذا الوقت إلى ما عند المسلمين من العلم النافع والعمل الصالح ، وما عند اليهود والنصارى ، علم أن بينهما من الفرق أعظم مما بين العظم والعرق ، فإن الذى عند المسلمين من توحيد الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وملائكته وكتبه وأنبياؤه ورسله ومعرفة اليوم الآخر وصفة الجنة والنار والثواب والعتاب والموعود والموعود ، أعظم وأجل بكثير مما عند اليهود والنصارى وهذا بين لكل من يختبر ذلك •

وما عند المسلمين من العبادات الظاهرة والباطنة مثل الصلوات الخمس وغيرها من الصلوات والاذكار والدعوات ، فى الليل والنهار أعظم وأجل مما عند أهل الكتاب • فالمسلمون والله تعالى الحمد فوقهم فى كل علم نافع وعمل صالح • وهذا يظهر لكل أحد بأدنى نظر ، والمسلمون متفوقون على أن كل هدى وخير ، حصل لهم ، فإنما حصل بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف يمكن مع هذا أن يكون موسى وعيسى نبيين ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليس نبى ، واليهود والنصارى على حق وهدى ، والمسلمون على باطل وضلال ؟ فهذا لا يقوله عاقل ولذا ترى بعض من يتفلسف يقول : أجمعت فلاسفة العالم انه لم يفرغ العالم بعد موسى ، أعظم من هذا الناموس ، لكن من لم يتبعه يعطل نفسه أنه لا يجب عليه اتباعه لأنه رسول إلى العرب الأميين دون أهل الكتاب، وان دينهم حق ودينه حق، والطرق الى الله تعالى متنوعة ، وهذه الشبهة يضل بها المتكايسون من أهل الكتاب والتفلسفة ونحوهم •

ويطلانها ظاهر ، فإنه كما علم علما ضروريا متواترا أنه عليه الصلاة والسلام دعى المشركين إلى الإيمان ، وأنه جاهد أهل الكتاب كما جاهد المشركين ، فجاهد بنى قينقاع وبنى النضير وقريظة وأهل خيبر وهؤلاء كلهم يهود ، وأنه عليه الصلاة والسلام غزا النصارى عام تبوك بنفسه ، وبسراياه ، حتى قتل في محاربتهم جعفر ابن عمه ، ومولاه زيدا وأنه ضرب الجزية على نصارى نجران (١) . وكذلك خلفاؤه الراشدون من بعده ، جاهدوا أهل الكتاب وقتلوا من قاتلهم وضربوا الجزية على من أعطاهم منهم عن يد وهم صاغرون وهذا القرآن الذى يعرف كل أحد أنه الكتاب الذى جاء به ، مملوء من دعوة أهل الكتاب إلى أتباعه ، وينكر من لم يتبعه منهم ويلعنه . قال تعالى : «قل ياأيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا (٢)» وقال تعالى : «وما أرسلناك الا كافة للناس (٣)» واستفاض عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : «كان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة (٤)» بل تواتر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه بعث الى الانس والجن .

(١) النصارى فى مصر وسائر البلاد الاسلامية كانوا يؤدون الجزية للمسلمين . وكان المسلمون بموجبها يترأسون عليهم . فالجيش مثلا كان لا يدخله نصرانى . وذلك خشية أن يصل نصرانى الى رتبة عالية يترأس بها على جنود مسلمين رتبهم اقل من رتبته . وقد أنتهز النصارى فرصة ضعف الحكم التركى فى مصر . وطلبوا دخول الجيش بحجة أنهم مواطنون وأن « مصر » بلد المسلم والنصرانى . والقنبلة او المدفع لا يفرق بين مسلم ونصرانى . والحقيقة أنهم دخلوا للتهرب من دفع الجزية وللبعد عن الذلة والسكته ، وليعرفوا فقط الضعف فى المسلمين . وليظهروا المساواة بين دين الاسلام والنصرانية . وعلى المسلمين أن يرجعوا الى حكم الله فى الجزية . وان يكون الجيش خالصا للمسلمين

(٢) الاعراف : ١٥٨ .

(٣) سبأ : ٢٨ .

(٤) انظر شرح هذا الحديث فى كتابنا نقد التوراة .

ومن الأحاديث الصحيحة عنه عليه الصلاة والسلام : «فوالذي
نفسى بيده لا يسمع بي من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ، ثم
لا يؤمن بى إلا دخل النار » قال سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه
تصديق ذلك فى كتاب الله تعالى وهو « ومن يكفر به من الأحزاب فالنار
موعدہ(١) » فإذا كان الأمر كذلك لزم بأنه رسول الى كل الطوائف لأن
الرسول لا يكذب ولا يقاتل الناس على طاعته بغير أمر الله تعالى ،
فإذا علم أنه نبى لزم أن يكون كل ما أخبر به عن الله تعالى حقا ، وإذا
كان رسول الله علم أنه لا يكذب ووجبت طاعته فى كل ما يأمر به ، قال
تعالى «وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله(٢) » وأنه أخبر أنه
رسول الى أهل الكتاب وغيرهم ، ومن أقر بأنه رسول الله ، وأنكر ان
يكون مرسلا إلى أهل الكتاب يكون بمنزلة من يقول ان موسى كان
رسولا ولم يخرج بنى اسرائيل من مصر ، وان الله لم يأمره بذلك ، وأن
الله لم يأمره بالسب ، ولا أنزل عليه الكلمات العشر ومن يقول ان
عيسى كان رسول الله ولم يبعث الى بنى اسرائيل ، ولا كان يجب على
بنى اسرائيل طاعته ، وانه ظلم اليهود ، وأمثال ذلك من المقالات التى
هى من أكفر المقالات .

ولهذا قال تعالى : « ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون ان
يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون : نؤمن ببعض ونكفر ببعض ،
ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد

(١) هود : ١٧ .

(٢) النساء : ٦٤ .

منهم أولئك سوف يؤتيتهم أجورهم (١) « الآية . وقال تعالى لبني اسرائيل :
« أفنتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض . فما جزاء من يفعل ذلك
منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ،
وما الله بغافل عما تعملون (٢) » وعند أهل الكتاب ما يدل على هذه المطالب ،
غير انهم حرفوا وغيروا وبدلوا وأولوا ، ومع ذلك ففيها من الاعلام بنبوته
نبينا عليه الصلاة والسلام وعمومها وانه خاتم المرسلين ما قد صنف (٣) فيه
العلماء مصنفات كثيرة . وقد ناظرنا غير واحد من أهل الكتاب وبيننا
لهم ذلك ، واسلم من علمائهم وخيارهم طوائف ، وصاروا يناظرون
أهل دينهم ويبينون ما عندهم من الدلائل على نبوة نبينا محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم » اه فليفهم .

قوله « قد قال في انجيله » الى آخره .

لا يخفى على من اطلع على ما نقلناه في كتابنا هذا عن الكتب
انسماوية والانجيل أن الأخبار والبشائر بنبوته نبينا عليه الصلاة
والسلام مذكورة فيها تصريحاً وتلويحاً ولا سيما الانجيل المصحح
بالفيرقيليط الذي له الكل واما نقله عن المسيح فخالف ، وليس له أصل
ولا سيما وحال الاناجيل غير خفى عليك (٤) .

(١) النساء : ١٥٠ - ١٥٢ .

(٢) البقرة : ٨٥ .

(٣) الدليل من التوراة على نبوة محمد ﷺ هو أن الله تعالى بارك
على اسماعيل كما بارك على اسحق . ولهذه البركة بين الله اوصاف
محمد الآتى من اسماعيل في الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية .
وبين أنه سيزيل الملك من اليهود وسينسخ التوراة في الاصحاح
التاسع والاربعين من سفر التكوين (أنظر كتابنا المسيا المنتظر)
(٤) يقصد أن الاناجيل محرفة . والبير كليت هو أسم احمد بالعبراني
وفي اليوناني بيركيتوس .

قوله : «واذكر ما قرأته في الانجيل» الى آخره .

لا يخفى أنا لانكر جلالة قدر المسيح عليه السلام وهذا ليس له دخل فيما نحن فيه ، وأما بقية كلامه هذا فليس تحته طائل ، ومخالفته لنفس الأمر يعلمها كل مطلع عاقل ، فلا نتعب بردها القلم ، والله تعالى أعلم .

قال النصراني : «وقد اقتضانا - أصلحك الله - هذا الفصل من كتابنا هذا أن نناظرك فيه بعض المناظرة فيما أتاك به صاحبك هذا الذى تدعى له النبوة من الشرائع والأحكام فنقول إن الشرائع والأحكام لن تخرج عن ثلاثة أوجه لا يقدر ذو نطق أن يأتى بزيادة فيها ولا تنقيص منها . وذلك أن يكون الحكم حكما الهيأ وهو حكم التفضل الذى هو فوق العقل والطبيعة ويليق بالله جل اسمه لا بغيره ولا يشبهه سواه . وأما أن يكون حكما طبيعيا قائما فى العقل مولودا فى الفكر يقبله التمييز ولا ينكره ، وهو حكم العدل ، وإما أن يكون حكما شيطانيا أعنى حكم الجور وهو ضد الحكم الالهى ، وخلاف الحكم الطبيعى .

فأما الحكم الالهى الذى هو فوق الطبيعة وأشرف منها ، فهو التفضل الذى جاء به المسيح مخلص العالم سيد البشر الذى أقر صاحبك وشهد له ، إذ يقول : «وقفينا على آثارهم يعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين (١)» (مائدة ٤٦) وذلك

(١) هذه الآية تثبت أن عيسى عليه السلام ليس صاحب شريعة منفصلة عن شريعة موسى عليه السلام لأنه مصدق للتوراة غير مهين عليها . وكان يحل بعض الذى حرم عليكم « أى بواسطة العلماء المتدعين .

ان المسيح قال في انجيله الطاهر «غالبو الشر بالخير ، وأحسنوا إلى من أساء إليكم ، وتفضلوا على الناس جميعا ، وباركوا على من لعنكم وارعوا لمن أذنب إليكم ، وأتوا الجميل والمعروف الى من شتمكم ، لتشبهوا في ذلك فعل أبيكم الذي في السماء فإنه يجود بوابله على الابرار والفجار ويشرق شمس على الأبخيار والأشرار» (١) (متى ٥) .

فهذا هو الحكم الالهي ، وشرائعه فوق الطبيعة ، وأعلى من العقل الانساني ، وهو حكم التفضل والرحمة والعفو ، والتشبه بفعل الله تبارك وتعالى الرؤوف الرحيم .

والوجه الثاني : هو الحكم الطبيعي والشريعة القائمة في العقل الجارى مع الغريزة الملائم الانسانية ، وهو ما جاء به موسى النبي ، بقوله في حكمه «العين بالعين، والسن بالسن، والنفس بالنفس، والضربة بالضربة، والجراح قصاص» (٢) فهذا حكم الطبيعة الداخل في قانون العقل وهو حكم العدل والنصفة أن تأتي الناس يمثّل ما أتوا به إليك وتفعل بهم كما فعلوا بك إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، وليس ذلك مضاهيسا للحكم الالهي ولا مما يسنه الرب الرحيم المتفضل (٣) الرؤوف بخلقه .

(١) متى ٥ : ٤٣ - ٤٦ .

(٢) خروج ٢١ : ٢٣ - ٢٥ .

(٣) النصراني يريد أن يثبت لعيسى شريعة ، مستقلة عن شريعة موسى بن عمران - عليهما السلام - وفي الانجيل أن عيسى متبع لموسى . لقوله : «ماجئت لأتقضى ولم ينشأ ديانة مستقلة عن ديانة موسى الناموس» (متى ٥ : ١٧) ولقوله لاتباعه «على كرسى موسى جلس الكتابة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وانعلوه ولكن حسب الهم لا تعملوا ، لانهم يقولون ولا يفعلون» (متى ٢٣ : ٢ - ٣) ولما

والوجه الثالث : هو الحكم الشيطاني المحال الذي هو الجور والشر بعينه ، فلم تلم - أصلحك الله - على إيجابنا الحجة عليك في ذلك ؟ فانك تعلم أننا بعد معك في وسط المعركة لم نخرج عنها ولا ندع المجاهدة بما عندنا من السلاح الروحاني ، ذبا عن دين الله القيم الذي نرجو به النصر والظفر على عدونا ، فإنك ان لمت في ذلك ظلمت على أننا لانلتفت إلى لومك ولا لوم غيرك في ذلك .

وأنا أرجع اليك بالمسألة سائلا الله جل وعز المهامك الانصاف ، وتلقينك القول بالعدل في اعلامى أى هذه الأحكام الثلاثة التى ذكرناها؟ وأى شريعة جاء بها صاحبك ؟ فان قلت : انه جاء بالأحكام الالهية ، قلنا لك : قد سبقه المسيح سيدنا اليها بستمائة سنة ، وبها يعمل أصحابه وتابوه منذ ارتقاعه فمجدا الى السماء الى هذه الغاية ، والى أن تنتضى الدنيا ، ولم نر أحدا من أصحابك علم شيئا منها ، ولا كانت تستعمل في عهد صاحبك . وان قلت وما أظنك قائلًا : إنه جاء بالأحكام الطبيعية وشرائع العقل وسنن العدل قلنا قد سبقه الى ذلك موسى النبي وأوقفنا عليه وشرحه لنا شرحا بينا عن الله فى التوراة ، وليس لأحد أن يدعيه لأنه ناطق قائم له وحده ، مشاهد فى كتابه ، اللهم الا أن يكون المدعى لذلك مكابرا للعيان ظالما متعديا بهاتا ، يأتى إلى

= شفى رجلا من البرص «قال له يسوع : أنظر أن لا تقول لأحد. بل اذهب ارفعك للكهن وقدم القرىان الذى أمر به موسى شهادة لهم » (مت ٨ : ٤) والنصرانية الحالية انشأها بولس وبطرس رغم أنف المسيح . وفى القرآن الكريم أن عيسى عليه لسلام كان مصدقا للتوراة ومبشرا بمحمد ﷺ . ولم يكن مهينا على التوراة . ولم ينسخها ولم يبطلها . والمهين عليها والفاسخ لها هو نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم .

ما هو كضوء الشمس حق قائم في أيدي أهله ، وهو لهم وعندهم وفيهم ، فيروم أن يطمسه ويحاول بمباهة ادعاءه لنفسه فهذان حكمان قد عرفنا أصحابهما وأقررنا لهم بهما •

بقى الحكم الثالث الذي هو حكم الشيطان وشريعة الجود ، فانظر اصلحك الله نظرا شافيا برؤية صحيحة وفكر لا يشوبه الميل والزيغ من القائم بهذا الحكم ، الناصر له المتمسك بشرائعه ، العامل به والا فأعلمنا أي حكم جاء به صاحبك ؟ وأي شريعة أتى بها غير الحكم الثالث الذي شرحناه لك ، لتقبله منك إن أوجب قبولا ، وننقاد لك فيه ؟ فانتنا لا نعانده الحق ، ولا نرده من حيث أتى • فهل تقول يرحمك الله انه جاء بالحكمين معا - أعنى حكم المسيح وحكم موسى - وشرحهما في كتابه قائلا : « النفس بالنفس ، والعين بالعين ، واللسن باللسن ، والأثف بالأثف الى آخره • كما قال موسى ، ثم اتبعه بقول المسيح : « وإن غفرتهم » (ثم بقول محمد : « وأن تغفوا ») فإنه أقرب للتقوى » (البقرة ٢٢٧) •

فأنت تعلم أن هذا كلام متناقض كقول القائل : قائم قاعد وأعمى بصير ، وصحيح سقيم ، في حال واحدة • فما أظنك تستجيز اطلاق هذا الكلام على هذا الاطلاق لأنه محال من القول • ثم لا ينيكتم أيضا ولا يخفى على متدبره ومتعقبه انه كلام سرق من موضعين مختلفين - أعنى التوراة والانجيل - ثم ان أنت اقررت كل واحد من هذين الحكمين ، وادعيته فلا يقارك أصحابهما ولا يدعونك وذلك لأنه حق لهم ، وهم أشد تمسكا به وصيانة له من أن يسامحوك عليه ، لأنهم قد ورثوه، فصار في أيديهم ارثا مقبوضا وحقا مسلما لهم ، ويقولان لك : إنك متعد ظالم تروم أخذ ارثنا من أيدينا ، مع اقرارك انت انه لنا غير

جاحد له ، فان حاولت أخذه فأنت غاصب لا حق لك ، بل اتنا أنت بما في يدك وعندك مما ليس في أيدينا ولا عندنا ، لنعلم أنك محق صادق في ادعائك أليس إنما نلجأ الى القول الثالث الذى يقيمون عليك فيه البينة العادلة ، انك أنت جئت به وعملت به ونصرته وكيف تقدر على جحود ما أنت مقيم عليه ، مقربه ، وهو في يدك تتاצל عنه ويخاصم فيه ، وهو شريعة لك أنت مستعملها ، ثم ترجع فتتكر وتجدد ما أنت فيه من حكمك وتعتبراً منه ؟

وبعد هذا وقبله فلا أظنك ترضى لصاحبك أن يكون تابعا للمسيح وموسى ، وأنت تزعم فيه ما تزعم ، وتدعى له ما تدعى من الحظوة والقدر ، والينزلة عند رب العالمين ، وتجتريء على الله وتقول لولا صاحبك ما خلق آدم ولا كانت الدنيا(١) ؟ ولقد جئت يا هذا أصلحك الله بأمرذى بهت ادعيت له في الآيات ما ادعيت ، بقولك: «إلا أن كذب بها الأولون(٢)» ولم تدع له ذلك في الشرائع وانه ما كان عليه أن يأتى بها فيزين بها بعض أمره ، أو ليس ذلك لأنه لم تكن له شريعة رابعة بقيت فلما لم يبق الا الشريعة لثالثة وكان موسى والمسيح قد سبقاه إلى الشريعتين ، ، جاء هو بالشريعة الثالثة ، فلا أدري بأى

(١) التوراة هي التي تنبأت عن محمد ﷺ بهذا التعبير « لان، عندك نور الحياة . بنور نورك نرى نور » - « قال لى : أنت ابنتى أتيا اليوم ولدتك (قبل كوكب الصبح في ضياء القديسين خلقتك) (انظر فصل المبالغة في تعظيم المسيا في كتابنا المسيا المنتظر) .

(٢) يقصد : « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون » يقصد أن محمداً لم يأت بمعجزات ولم يسئل ، ادعى أنها ليست سببا في ايمان السابقين فلا داعى منها . والنصرانى يغالط فمعجزة القرآن .

قوليك آخذ؟ ولا عن أيهما أجيب؟ فاصدق نفسك - يرحمك الله ولا تغشها لأن ذلك حرام عليك ، وليس الدين من الأمور التي يجوز أن يتوانى ذوو اللب والعقل عن الفحص والبحث عنها ، ويتغافل عن التفتيش عنه والوقوف على أصوله وأسبابه وفقك الله إلى الحق وجنبك الباطل بحوله وقوته « اه .

أقول قوله : « نناظرك فيه بعض المناظرة » الى قوله : « ان الشرائع والأحكام لن تخرج عن ثلاثة أوجه » الى آخره .

فنقول يا حبذا هذه المناظرة ممن يصدق عليه قول الشاعر :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طاب الطعن وحده والنزلا

وإذا ما أتاه شاكى سلاح فر كالذئب ناكصا ختالا

فالجواب عن هذا الاعتراض إن تقسيمه للشرائع والأحكام الى ثلاث أقسام فقسمان منها صحيحان ، والثالث بزعمه من حكم الشيطان إذ توهم أن الشريعة إما عادلة وهي المجازاة ، ومقابلة المثل بالمثل - وهي الشريعة الموسوية - وإما فاضلة وهي عبارة عن العفو - وهي الشريعة المسيحية - وما بعد العدل والفضل مرتبة ثالثة . ومرادهم إنكار الشريعة المحمدية فتقسيم باطل وحصر عاقل لأن القسمة العقلية رباعية ، إذ يقال الشريعة إما عادلة فقط ، وأما فاضلة فقط ، وأما عادلة فاضلة معا ، وأما لا عادلة ولا فاضلة . والقسمة الصادقة فيها ثلاثية والرابعة وهي لا عادلة ولا فاضلة باطلة ، لأن هذه القسمة وان كانت تمنع الخلو ، فهي لا تمنع الجمع لوجود الجمع ، فيقال : الشريعة اما عادلة - وهي الشريعة الموسوية التي ورد فيها النفس بالنفس والعين بالعين - واما فاضلة - وهي الشريعة المسيحية ، التي ورد فيها من

لطمك على خدك الأيمن فدر له الأيسر ، وإذا سخرك ميلا فسر معه ميلين، فقد انفردت كل واحدة منهما بشطر من شطرى الكمال وإما عادلة وفاضلة معا - وهى الشريعة الثالثة المحمدية - المشتملة على شطرى العدل والفضل الذى هو الكمال .

أما اشتمالها على العدل فلقوله تعالى : «كتب عليكم القصاص (١)» الآية وأما اشتمالها على الفضل فلقوله سبحانه : « وأن تعفوا أقرب للتقوى (٢) » ومن أحاط خيرا بالأحكام فى سائر الأديان المسلمة وغيرها، يتبين له زيادة محاسن هذه الشريعة المحمدية على سائر الملل ، وما اختص بها من الخير والاحسان وانظر الى ما قاله يوسف الخورى فى تفسيره المطبوع فى بيروت سنة ١٨٩٨ على ما فى الاصحاح الثامن عشر من إنجيل متى «حينئذ قام الصفا (٣) إلى يسوع ، وقال له : يا سيد كم مرة أغفر لأخى إذا أخطأ ؟ هل الى سبع مرات ؟ فقال له يسوع لا أقول لك الى سبع مرات ، بل الى سبعين مرة سبع مرات » ما بغضه «المعنى اغفر له كلما أخطأ اليك ، اذا ندم عن فعله وتاب اليك مصطلحا كما روى لوقا . على أن هذا الغفران للذنب لا يمنع من طلب العقوبة العادلة ، خاصة للاحتراس من تواتر شر المذنب» انتهى فافهم .

(١) البقرة : ١٧٨ .

(٢) البقرة : ٢٢٧ .

(٣) الصفا هو سمعان بطرس . وهو رأس الكنيسة الكاثوليكية . وهو الذى حرف أقوال المسيح ، وانشأ مع بولس السوء ديانة وضعيفة ونسبها للمسيح . وبها ألفوا أحكام التوراة عن النصارى . واثروا عن المسيح أنه وصف بطرس بأنه شيطان (مت ١٦ : ٢٣) وبكى بطرس بكاء مرا ، ندما على أنه أنكر سيده وعلمه وقت الشدة (مت ٢٦ : ٧٤)

ولنذكر لك بعضاً مما كان في الشريعة الموسوية واليعيسوية ، وجاءت
الشريعة المحمدية بأحكام أعدل من ذلك •

منها : ان اليهود لما أخطأوا في عبادة العجل ، قال لهم موسى عليه
السلام كما في الاصحاح الثانی والثلاثين من سفر الخروج مانصه به :
« هكذا قال الرب إله اسرائيل : ضعوا كل واحد سيفه على فخذيه ، ومروا ،
وارجعوا من باب الى باب في المحلة ، واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه
وكل واحد قريبه ، ففعل بنو الاوى بحسب قول موسى ، ووقع من
الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل وقال موسى : إملأوا
أيديكم اليوم للرب ، حتى كل واحد بابنه وبأخيه ، فيعطيك اليوم بركة »
انتهى وعند النصرارى « : من أذنب بمعصية كبيرة كانت أو غيرها ولو
كفرا ، فاذا ذهب ذلك الشخص الى القسيس واعترف له بخطيئته
وغفر له القس تلك الخطيئة ، فانها تغفر كيفما كانت » فدين اليهود
في غاية التشديد ، ودين (١) النصرارى في غاية التسهيل ، والذين الحمذى

(١) يقصد دين النصرارى الذى وضعوه وتعارفوا عليه . بغير اذن
من المسيح ذاته — عليه السلام — فالمسيح لم ينسخ دين موسى ولم يصف
على احكام موسى اى حكم . وانما هو قال : أنا اتيت لاصحح ما حرفسه
علماء بنى اسرائيل من معانى التوراة ولافسر بعض الذى اختلف فيه
العلماء . ثم أبشر بمحمد ﷺ وأفسر نبوءات التوراة لتصدق عليه . هذا
ما قاله المسيح . ولم ينشأ ديانة . فالنصرانية الموجودة الان من ابتداع
الضالين ولذلك لا تعد كدين . سماوى مستقل عن دين موسى . وعلماء
النصرارى بشروا في العالم بوضفهم معلمين ومدرسين ، عكس ما اثر عن
انبياء بنى اسرائيل أنهم كانوا يقولون : قال لرب وأوحى الرب . ولذلك
صرح بولس بأنه لا يريد أن يبنى على أساس غيره (رمية ١٥ : ٢) وخالف
يعقوب في قوله : ان الايمان والاعمال لا زمان الديانة (يعقوب ٢ : ٢٤
ورومية ٣ : ٢٧ - ٢٨) وقال بولس : انى أشرع من تلقاء نفسى ،

متوسط ، لأن المذنب بكفر أو غيره إذا تاب الى الله تعالى بنفسه وندم على فعله ، ولو في نفسه وامن بالله تعالى ورسوله ،ورد حق الغير اليه(١) تقبل بفضل الله تعالى تلك التوبة بشروطها ، وأن لم يتب عند «القس» الذي يختلى بالنساء ، فيعدد له ما فعله من زناء وغيره ، ليقبل توبته . ومنها أنه سبحانه حرم على اليهود - كما تحكيه التوراة التي بأيديهم - حيوانات كثيرة ففي الاصحاح الحادى عشر من سفر اللاويين ما نصه «وكلم الله موسى وهارون قائلا لهما هذه هي الحيوانات التي تأكلونها ، من جميع البهائم التي على الأرض كل ماشق ظلفا وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم ، فإياه تأكلون إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر مما يشق الظلف: الجمل لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم ، والخنزير لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين ، لكنه لا يجتر فهو نجس لكم ، من لحمها لا تأكلوا ، وجنتها لا تلمسوا ، إنها نجسة لكم . وهذا تأكلونه من جميع ما في المياه كل ماله زعانف وحرشف في المياه ، في البحار وفي الأنهار ، فإياه تأكلون وهذمتكرهونها من الطيور لا تؤكل إنها مكروهة النسر والأنوق والعقاب والحدأة والباشق على أجناسه ، وكل غراب على أجناسه ، والكركى والرخم والقلق والبغاء والهدهد » ثم عد الحيوانات التي لا تؤكل والحيوانات التي تؤكل والدم والميتة لا يؤكلان ، ثم قال « كل انسان يأكل ميتة أو فريسة وطنيا كان أو غريبا يغسل ثيابه ويستحم بهاء ويبقى نجسا الى المساء » اهـ

= لا عن وحى صدر من الله - أو صدر لى من المسيح ذاته . بقول :
« ولكنها أكثر غبطة ان ليثت هكذا بحسب رأى . واظن أنى انا ايضا
عندى روح الله (١ كور ٧ : ٤٠) .

(١) لو سرق وضاع المسروق ، فكيف يرده ؟ انه يرد الموجود عنده .
(انظر القرطبي في سورة البقرة ٢٧٥) .

وفي الاصحاح السابع من انجيل مرقس ما نصه : «ثم دعا كل الجمع وقال لهم : اسمعوا منى كلكم وافهموا ليس شىء من خارج الانسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه ، لكن الاشياء التى تخرج منه هى التى تنجس الإنسان» انتهى وهذا ضد اليهود ، فان النصرارى لا ينجسون شيئاً ويأكلون ما تهوى أنفسهم ، حتى الميتة والمنخقة والدم ولحم الخنزير والغائط ، والدود ، والخنافس وسائر الحشرات والحيوانات البحرية والبرية فليس عليهم شىء محرماً مما يدخل جوفهم أبدا بزعمهم . ودين الاسلام فى ذلك بين دين النصرارى واليهود ، فالمسلمون لا يأكلون الميتة ولا الدم ولا الخنزير ولا الأشياء النجسة ولا الحيوانات (١) المفترسة ولا سباع الطيور ولا ما أهل به لغير الله ولا المنخقة ، ويأكلون الغنم والإبل والبقر والغزال ونحو ذلك .

ومنها : ان بنى اسرائيل يتزوجون أكثر من مائة امرأة كما كان سليمان عليه السلام كما تقدم لك ، والنصارى لا يجوزون التزوج بأكثر من واحدة ولا يمكنون من الطلاق (٢) ، بخلاف اليهود أيضاً ، ودين الاسلام وسط فى ذلك فانه كباح فيه التزوج بأربعة (٣) على عدد عناصر الانسان وأمزجته ، ويباح له التبرى والتطليق .

ومنها ما لو استقصيناها لطال الكتاب ، وربما حصل الملك

للسامعين .

(١) المسلمون متفقون على تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله . ومختلفون فيها سوى ذلك . فعائشة رضى الله عنها روت حديث أبى ثعلبة الخشنى وهو حرم رسول الله كل ذى ناب ومخلب .

(٢) يمكنون لعة الزنا .

(٣) بعض المسلمين أباح التزوج بأكثر من أربعة (انظر تفسير

ابن كثير أول سورة النساء) .

ومن أعظم الأدلة على أن شرع الاسلام هو الحكم الالهي مسألة الفرائض وتقسيم المواريث ، فان اليهود يقسمون تركة الميت حسب شريعتهم ، والنصارى ليس لهم أحكام شرعية في ذلك ، بل يرجعون في تقسيم تركات موتاهم على ورثتهم إلى المسلمين ، ويستفتون على مقتضى الشريعة المحمدية وليت شعري قبل مجيء الشريعة الاسلامية كيف كانوا يفعلون في ذلك ؟ فإن كانوا يقسمونها على ماتقتضيه شريعة موسى ، فلم عدلوا عن ذلك إلى شريعتنا ؟ وان لم يقسمونها على حكم التوراة فكيف كانوا يفعلون في ذلك ؟ اذ الانجيل ليس فيه أحكام ، الا الشيء اليسير (٢) ، كرفع حكم السبت وأكل كل شيء ، وعدم جواز التطلق ، ونحو ذلك من الأمور القليلة بزعمهم .

تمة : قال العلامة الشهرستاني في كتابه الملل والنحل في بحث اليهود : «ومن العجب أن في التوراة أن الأسباط من بنى اسرائيل كانوا يراجعون القبائل من بنى إسماعيل ، ويعلمون أن في ذلك الشعب علما لدنيا لم تشتمل التوراة عليه . وورد في التاريخ أن أولاد اسماعيل عليه السلام كانوا يسمون آل الله واهل الله ، وأولاد إسرائيل آل يعقوب

(١) الانجيل ليس فيه أحكام مطلقا . بدليل قول عيسى عليه السلام لتلاميذه ولبنى اسرائيل : « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . نكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وانعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لانهم يقولون ولا يفعلون » (متى ٢٣ : ٢ - ٣) والمسيح لم يرفع حكم السبت . وقد حرم فيه العمل المعتاد في الزراعة والتجارة وما شابه ذلك . ولم يحرم عمل الخيرية ، كإفاد غريق ، أو شفاء مريض ، أو إقامة خروف من حفرة سقط فيها ، أو قطف سنابل من لزروع اضرورة الجوع . وما شابه ذلك . ولم يمنع المسيح من تطلق النساء . بل قال : انى أنصح ان يكون لسبب قوى ، لا لسبب تافه .

وآل موسى وهرون وذلك لسر عظيم • وقد ورد في التوراة : « أن الله تعالى جاء من طور سيناء ، وظهر بساعير ، وعلن بفاران » فطور سسيناء جبل التجلى على موسى عليه السلام ، وساعير جبال بيت المقدس الذى كان مظهر عيسى عليه السلام ، وفاران جبال مكة التى كانت مظهر نبينا المصطفى ﷺ ولما كانت الاسرار الالهية والأنوار الربانية فى الوحي والتنزيل والمناجاة والتأويل ، على مراتب ثلاثة مبدأ ووسط وكمال ، والمجىء أشبه بالمبدأ ، والظهور بالوسط ، والاعلان بالكمال ، عبر فى التوراة عن طلوع الشمس بالظهور على ساعير ، وعن البلوغ إلى درجة الكمال والاستواء ، بالاعلان على فاران • وفى هذه الكلمات إثبات نبوة (١) المسيح عليه السلام والمصطفى ﷺ » •

وقد قال المسيح فى الانجيل « ما جئت لأبطل التوراة بل جئت أكملها (٢) » — «قال صاحب التوراة : النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والاذن بالاذن واللسن باللسن والجروح قصاص وأقول: إذا لطمك أخوك على خدك الأيمن فضع له خدك الأيسر» والشريعة الأخيرة وردت بالأمرين جميعا أما القصاص ففى قوله تعالى : «كتب

(١) هذه النبوة تشير الى محمد ﷺ لأنه قال : « وعلن بفاران » والدليل على أن فاران تعنى محمدا : ١ — أن الله تعالى وعذ بالبركة فى نسل اسماعيل فى قوله : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه » (١٧ : ٢٠) والبركة تعنى الملك والنبوة ٢ — أن اسماعيل لما فارق أباه سكن فى بريمة فاران (تك ٢١) وقوله « وظهر بساعير » يشير الى علماء بنى اسرائيل الهارونيين الذين سكنوا فى جبل ساعير وفسروا التوراة للناس . ومنهم عيسى بن مريم عليه السلام .

(٢) متى ٥ : ١٧ — وقال صاحب التوراة فى متى ٥ : ٢٨ — ٤٠)

عليكم القصاص» وأما العفو ففي قوله سبحانه : « وأن تعفوا أقرب للتقوى » ففي التوراة أحكام السياسة الظاهرة العامة ، وفي الانجيل السياسة الباطنة الخاصة (١) ، وفي القرآن أحكام السياستين جميعاً « ولكم في القصاص حياة » إشارة الى تحقيق السياسة الظاهرة ، وقوله تعالى : « وان تعفوا أقرب للتقوى » وقوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن المشركين » إشارة إلى تحقيق السياسة الباطنة وقد قال النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام : « هو أن تعفو عن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك » .

ومن العجب أن من رأى غيره يصدق ما عنده ويكمله ويرقيه من درجة إلى درجة كيف يسوغ له تكذيبه ؟ والنسخ في الحقيقة ليس إبطالا بل هو تكميل (٢) وفي التوراة أحكام عامة وأحكام مخصوصة، إما بأشخاص

(١) ليست في الانجيل السياسة الباطنة . فان كلام المسيح فيه عن التواضع والعفو وغيره أخذه من سبقه من أنبياء بنى اسرائيل مثل أرمياء وغيره كما بينا في كتابنا المسيا والاحكام ردها المسيح نفسه الى التوراة وشريعة القرآن هي تخفيف ورحمة . ذلك لان الاحكام التوراة كانت صعبة . فلراد الله أن يكون القرآن سهل الاحكام .

(٢) لنسخ في الحقيقة هو الإبطال ، وليس التكميل . ومثل ذلك مثل بيت مبنى قائم على أساس ، فاذا جاء ابن رب البيت وبنى فوق البيت . فانه لا يكون قد بنى بيتا مستقلا . وان جاء وهدم البيت الذي كان قائما . وبنى على انقاضه غيره . فانه يكون قد ألغى وأزال ، وأسس من جديد . فالالغاء هو النسخ . والتكميل ليس نسخا والفرق بين الامرين يتضح من هذا المثال وهو في شريعة موسى أبيحت مطعمومات . وحرمت مطعمومات . فلو جاء من يحرم مطعمومات جديدة . فانه يكون ملتزما بما في موسى وبالشئ الجديد . لكن لو جاء من يقول المحرم عندي كذا وكذا فقط . فعندئذ يكون قوله الغاء لما في كتاب موسى ، وليس زيادة عليه . وهذا هو معنى لنسخ .

وإما بأزمان ، وإذا انتهى الزمان لم يبق ذلك لامحالة • ولا يقال إنه
إبطال أو بداء ، كذلك ههنا » •

قال : «واليهود(٢) لم يجوزوا النسخ أصلا • قالوا : فلا تكون شريعة
أخرى ، لأن النسخ في الأوامر بداء ولا يجوز البداء على الله تعالى»
انتهى كلام الشهرستاني • وإنما سقناه بطوله • وإن كان المقصود
أن جمع الشريعة المحمدية للشريعتين(٣) وزيادة لما فيه من الفوائد المتعلقة
بأبحاثنا في هذا الرد • ومسألة النسخ يأتيك مفصلا إن شاء الله تعالى
في محلها من هذا الكتاب والله سبحانه الهادي إلى الصواب •



قال النصراني : «وكأنى بك وقد ألجئت إلى أن تقول : إن الحجة
البالغة عندك : هذا الكتاب الذى فى يدك وان الدليل على صحة كونه
منزلا من عند الله : ما فيه من الاخبار القديمة عن موسى والأنبياء ، وعن
سيدنا المسيح وصاحبك رجل أمى لم يكن له معرفة ولا علم بتلك
الأخبار فلولا أنه أوحى إليه وانبيء به • فمن أين عرف ذلك حتى

(٢) اليهود يقولون فى كتبهم : ان نبيا سوف يرسله الله تعالى اليهم
له يسمعون ويطيعون • ويقال لهم : لو كانت شريعة موسى أبدية الى
يوم القيامة • ما كان الله ينبه على مجيء نبي مماثل لموسى ناسخ لشريعته •
وذلك فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية •
وهذا لنبي سيكون من بنى اسماعيل • لان الله وعد ابراهيم بالبركة
فى نسله •

(٣) مؤلف يعتقد أن لعيسى عليه السلام شريعة مفصلة عن شريعة
موسى عليه السلام • وليس كذلك •

نسقه وجاء به ؟ ثم تقول : لا يقدر إنسى ولا جنى ان يأتي بمثله . ثم تقول :
«وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا
شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين» (بقرة ٢٣) وقوله : «لو أنزلنا
هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله» (الحشر ٢١)
ونظائر هذه الأغلوطات • فهذا أعظم دليل وأصح البرهان •
وأوضح الحجة - بزعمك - على نبوته ، فكأنك جعلت هذا آية له
وحجة ، مثل فلق البحر لموسى ، ووقوف الشمس ليشوع بن نون ،
وإحياء الموتى للمسيح وأعاجيب الانبياء السالفين •

ولعمري ان هذا الكلام قد اضل قوما كثيرين ، وقد أويت من هذا
الكلام الى ركن ضعيف القواعد ، متداعي الدعائم ، واهى القوائم •
وجوابك في هذا تريب غير بعيد ، وحاضر غير غائب ولا متخلف •

ولا بد لنا من كشف هذه القصة وان كان في كشفها بعض المرارة
عليك ، فان بط القروح النغلة ، لا بد ان ينال صاحبها منه آذى وألم ،
فاصبر للألم الحديد قليلا ، تجد الراحة وحلاوة العافية ، يتضح لك
الحق ، وتظهر لك فائدة هذا القول ، وتدليسه عليك -

فتقول : انه ينبغي لك أن تعلم أولا كيف كان السبب في هذا
الكتاب ، ثم تدعى حينئذ مثل هذه الدعاوى المتدلسة التي لا بقاء لها على
المنتهى ولا ثبات على الفحص ، وذلك أنه إنما كان رجل من رهبان النصرى
يعرف بسرجيوس أحدث حدثا انكره عليه أصحابه ، فحرموه وأخرجوه
وقطعوه عن الدخول الى الكنيسة ، وإمتنعوا من كلامه ومخاطبته ، على
ملجرت به العادة منهم ، في مثل هذا الضرب ، فقدم على ما كان منه ،
فأراد أن يفعل فعلا يكون له به تنحيص عن ذنبه ، وحجة عند أصحابه

النصارى في فصحان الى بلد تهامة ، فجالها حتى افضى الى تربة مكة ، فنظر
البلاد ، غالبا فيها صنفان من الديانة ، فكان الاكثر دين اليهود ، والآخر
عبادة الاصنام ، فلم يزل يتلطف ويحتال بصاحبك حتى استماله ،
وتسمى عنده نسطوريوس وذلك أنه أراد بتغيير اسمه ، اثبات رأى
« نسطوريوس » الذى كان يعتقد ، ويتدين به فلم يزل يخلو به ويكثر
مجالسته ومحادثته ، ويلقى اليه الشيء بعد الشيء ، الى ان ازاله عن
عبادة الأصنام ثم صيره داعيا وتلميذا له يدعو الى دين نسطوريوس ،
فلما احست اليهود بذلك ، ناصبته العداوة ، فطالبته بالسبب القديم
الذى بينهم وبين النصارى ، فلم يزل يتزايد به الأمر ، الى ان بلغ به
ما بلغ . فهذا سبب ما في كتابه من ذكر المسيح والنصرانية والذب عنها ،
وتزكية اهلها ، والشهادة لهم أنهم اقرب مودة ، وأن منهم قسيسين
ورهبانا وانهم لا يستكبرون (مائة ٨٢) .

فلما قوى الأمر في النصرانية وكاد يتم توفى نسطوريوس هذا
فوثب عبد الله بن سلام ، وكعب المعروف بالأخبار اليهوديان ، بخبثهما
ومكرهما ، فاظهرا له أنهما قد تابعا على رأيه ، وقالوا بقوله . فلم يزالا
على المكر والدهاء والتدبير عليه بكتمان ما في أنفسهما إلى أن وجدا الفرصة
بعد موته « أه » .

أقول : نبين لك أولا شيئا نذرا مما يتعلق باعجاز القرآن العظيم
ونرجع ان شاء الله تعالى ثانيا إلى رد كلامه السقيم .

قال العلامة الماوردي « الباب السابع فيما تضمنه القرآن من
أنواع إعجازه ، والقرآن اول معجز دعا به محمد ﷺ إلى نبوته ،
فصدع فيه برهالته ، وخص بإعجازه من جميع رسله ، وان كان كلاما

مفوضا وقولا محفوظا لثلاثة أسباب ، صار بها من أخص اعجازه
وأظهر آياته .

أحدهما : ان معجز كل رسول موافق للاغلب من أحوال عصره ،
والشائع المنتشر في ناس دهره ، لأن موسى عليه السلام حين بعث
في عصر السحرة خص من فلق البحر ببس ، وقلب العصا حية ، مابهر
كل ساحر ، وأذل كل كافر . وبعث عيسى عليه السلام في عصر الطب (١)
فخص من ابراء الزمنى وإحيائه الموتى بما أدهش كل طبيب ، وأذهل
كل لبيب . ولما بعث محمد صل الله تعالى عليه وسلم في عصر الفصاحة

(١) لم يكن الطب شائعا في زمان عيسى عليه السلام وهو قد برع
في شفاء الامراض باذن الله معجزة له . وانما كان علماء بنى اسرائيل في
زمانه يوهمون المريض بالشفاء بواسطة قراءة ادعية على مياه ، أو التبخير ،
أو تلاوة عزائم واقسام . وكانوا يكتبون أحجبة وتمايم ليشفى بها
المريض . وقد يشفى وقد لا يشفى . هذه كانت عاداتهم من أيام سبى بابل .
فكان المسيح عليه السلام يدخل البيت وينظر الى المريض . ويدعو الله
له بالشفاء فيشفى . وعندئذ يميز فعله عن فعل العلماء . ويعتقدون أن
الله هو الذى أیده بهذه المعجزة . ففى سفر اعمال الرسل فى الاصحاح
التاسع عشر ما نصه : « فشرع قوم من اليهود الطوائف المعزميين أن
يسموا على الذين بهم الارواح الشريرة ... الخ » وفى الاصحاح التاسع
من انجيل يوحنا : « وفيما هو مجتاز رأى انسانا أعمى منذ ولادته . فسأله
تلاميذه قائلين : يا معلم من أخطأ ؟ هذا أبواه حتى ولد أعمى ؟ أجاب
يسوع : لا هذا أخطأ ولا أبوه ، لكن لتظهر أعمال الله فيه . ينبغي أن
أعمل ؟عمال الذى أرسلنى ما دام نهار . يأتى دليل حين لا يستطيع أحد
ان يعمل . مادمت فى العالم فأنا نور العالم .

وقال هذا ، وتقل على الارض وصنع من التقل طينا ، وطفى بالطين
عينى الأعمى ... الخ « وتقل على الارض ... الخ » يدل على أنه فعل
كما يفعل العلماء . ويتميز فعله عن فعلهم بأن الميت يحيى بأذن الله والأعمى
يبصر بأذن الله وعندئذ تثبت نبوه بالمعجزة .

والبلاغة خص بالقرآن في إيجازه وإعجازه بما عجز عنه الفصحاء ، وأذعن له البلغاء ، وتبدل فيه الشعراء ، ليكون العجز عنه أقهر ، والتقصير فيه أظهر ، فصارت معجزاتهم وإن اختلفت متشاكلة المعاني ، متفقة المعنى .

والثاني : إن المعجزة في كل قوم بحسب افهامهم وعلى قدر عقولهم وأذهانهم ، وكان في بنى إسرائيل من قوم موسى وعيسى عليهما السلام بلادة وغباوة ، لأنه لم ينقل عنهم ما تدون من كلام مستحسن ، أو يستفاد من معنى مبتكر ، وقالوا لنبيهم حين مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم : «اجعل لنا إلها كما لهم آلهة (١)» فخصوا من الإعجاز بما يصلون إليه ببدائنه حواسهم ، والعرب اصح الناس افهاما ، وأحدهم اذهانا قد ابتكروا من الفصاحة أبلغها ، ومن المعاني أغربها ، ومن الآداب أحسنها ، فخصوا من معجز القرآن بما تجول فيه أفهامهم وتصل إليه أذهانهم ، فيدركوه بالفطنة دون البديهة ، وبالرؤية دون المبادرة ، لتكون كل أمة مخصوصة بما يشاكل طبعها ، ويوافق فهمها .

والثالث : إن معجز القرآن أبقى على الأعصار ، وانتشر في الأقطار من معجز يختص بحاضره ويندرس بانقراض عصره ، وما دام إعجازه (٢) فهو أحج وبالاختصاص أحق .

(١) الاعراف : ١٣٨ .

(٢) اعجاز القرآن باللفظ والمعنى (انظر كتابنا أعجاز القرآن - رد على كتاب الفن القصصى فى القرآن الكريم) نشر الانجلو المصرية .

فصل

وإعجاز القرآن في خروجه عن كلام البشر وإضافته الى الله تعالى
يكون من عشرين وجها :

أحدها : فصاحته وبيانه وذلك معتبر بثلاثة شروط :

• أحدها : بلاغة ألفاظه .

• والثاني : استيفاء معانيه .

• والثالث : حسن نظمه .

فأما بلاغة ألفاظه فيكون من وجهين : أحدهما : جزالتها حتى
تتلين • والثاني : انطباعها حتى لا تخبو • وأما استيفاء معانيه فيكون
من وجهين : أحدهما : أن يكون المعنى ليجافي مبادئ ألفاظه غير مفتقر
إلى مقاطعه والثاني : أن يكون المعنى مطابقا لألفاظه فلا يزيد عليها ولا
يقصر عنها ، فان زاد كان الاختلال في المعنى • وأما حسن نظمه فيكون
من وجهين : أحدهما : أن يكون الكلام متناسبا لا ينافر • والثاني :
أن يكون الوزن معتدلا لا يبتاين • فان قيل قد يجتمع في كلام البشر
ما يستكمل هذه الشروط ، فبطل به الإعجاز • فالجواب عنه من وجهين
أحدهما : أن أسلوب نظمه على هذه الشروط معدوم في غيره ، فافترقا •
والثاني : أن لنظم ألفاظه بهجة لا توجد في غيره ، فاختلفا • لأنك إذا
جمعت بين قول الله تعالى : «ولكم في القصص حياة» (١) وبين قولهم
المقتل انفى للمقتل ، وجدت بينهما فروقا في اللفظ والمعنى •

فصل

والوجه الثاني من إعجازه ايجازه عن هذر الاكثار واستيفاء معانيه في قليل الكلام كقوله تعالى : «وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء • وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين(١)» فإن قيل: ليس جميعه وجيزا مختصرا • ففيه المبسوط والمكرر ، وبعضه أفصح من بعض ، ولو كان من عند الله سبحانه لتمائل ولم يتفاضل ، لأن التفاضل في كلام من يكل خاطره ، وتضعف قريحته •

فعنه جوابان : الأول : ان اختلافه في البسط والايجاز ليس نعجز عن تعائله ، ولكن لاختلاف الناس في تصوره وفهمه ، وتفاضله في الفصاحة بحسب تفاضل معانيه لا لعجز عن نساويه • والثاني : انه خالف بين مبسوطه ومختصره وبين أفصحه وأسهله ، ليكون العجز عن أسهله وأبسطه ، أبلغ في الإعجاز من العجز عن أفصحه واخصره ولذلك فاضل بين خلقه ليعرف به فرق ما بين الفاضل والمفضول •

وقد حكى أبو عبيدة إن اعرابيا سمع رجلا يقرأ : « فاصدع بما تؤمر(٢) » فسجد • وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام •
فأما تكرار قصصه وتكرار وعده ووعيده ، فلاسباب مستفادة •

منها : أنها في التكرار أوكد وفي المبالغة أزيد • ومنها : انها تتغاير ألفاظها فتكون إلى القبول أسرع ، وفي الاعجاز أبلغ • ومنها أنها إن أخل بالوقوف عليها في موضع أدركه في غيره ، فلم يخل من رغب ووهب •

فصل

والوجه الثالث من إعجازه ان نظم أسلوبه ، ووصف اعتداله يخرج عن منظوم الكلام ومنثوره ولا يدخل في شعر ولا رجز ، ولا سجة ولا خطبة ، حتى تجاوز محصور أقسامه ، وبائن سائر أنواعه ، بأسلوب لا يشاكل ، ونظم لا يماثل ، لصار وان كان من حروف الكلام ، خارجا عن أقسام الكلام قال أنيس الغفارى وهو أخو أبى ذر الغفارى ، وكان من الموصوفين بالتقدم فى البلاغة والفصاحة : عرضت القرآن على السجع والشعر والنظم والنثر ، فلم يوافق شيئا من طرق كلام العرب • وحكى عن الوليد بن المغيرة المخزومى وكان سيد عشيرته وأفصح قومه إذ جاء إلى أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على كفره ، فقال اقرأوا على شيئا من القرآن، فقرأوا عليه • فقال : ليس هذا من كلام البشر ، وليس بشعر ، فمضى إليه ابو لهب ، وقال : أفسدت قريشا بهذا القول ، فارجع عنه • فقال : أقول إنه سحر •

وقد تعاطاه من الشعراء ما خرج عن أسلوبه ، إلى طريقة شعره •
قال فى قصة الفيل •

الا من مهلك الفيل	ومن سار مع الفيل
بطير صبه الله	عليهم من أبييل
رمتهم بجناديل	ترى من طين سجيل
فأضحى القوم فى القاع	كعصف غير مأكول

فلم يساعده الطبع عليه مع أخذ معانيه واستعمال ألفاظه ، حتى عاد الى مطبوع شعره •

وضمن آخر من الشعراء شيئاً منه في شعره ، نخرج عن أسلوبه
هـيـث يـقـول :

وقرأ معلنا ليصدع قلبي والهوى يصدع الفؤاد السقيما
أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيما(١)

فصل

والوجه الرابع من إعجازه : كثرة معانيه التى لا يجمعها كلام البشر ،
وذلك من وجهين : أحدهما : ما يجمعه قليل الكلام من كثير المعانى ،
كقوله تعالى : «وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه
فألقيه فى اليم ، ولا تخافى ولا تحزنى ، إنا رادوه إليك وجاعلوه من
المرسلين(٢)» فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين •
وثانيهما : إن ألفاظه تحتل معانى متغايرة تحار فيها العقول ، وتذهل
فيها الخواطر ، وتكل فيها القرائح ، ثم لا تبلغ أقصاه ولا تدرك منتهاه ،
حتى اختلفت فيه الوجوه وتقابلت فيه النظائر •

فصل

والوجه الخامس من إعجازه : ما جمعه القرآن من علوم لا يحيط
بها بشر ، ولا تجتمع فى مخلوق ، فلم يكن الا من عند الله المحيط بكل
شئ علما ، حتى علمه من لم يكن به عالما • فإن قيل : فضل العلم

(١) أول سورة الماعون : « أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى
يدع اليتيم » .

(٢) القصص : ٧ .

لا يكون إعجازا في النبوة لأن العلماء قد يتفاضلون ولا يكون للأفضل إعجاز على المفضول • فعنه جوابان : الأول : إن التفاضل في العلم موجود ، والاحاطة بجميع العلوم مفقود • والثاني : ان ظهور العلم فيمن يتعاطاه ، ليس بمعجز ، لظهوره من جهته وظهور العلم فيمن لم يتعاطه ، معجز ، لظهوره من غير جهته • وقد كان أميا من أمة أمية ، لم يقرأ كتابا ولم يتعاط علما ، فصار ما أظهره معجزا •

فصل

والوجه السادس من اعجازه : ما تضمنه من الحجج والبراهين على التوحيد والرجعة (١) : وعلى الدهرية والثنوية ، حتى قطع بحجابه كل محتج وخصم بجده كل خصم • فان قيل : فدلائل التوحيد مستفادة بالعقول ، فلم يكن فيها إعجاز بوجوه الأول: وجودها في ذاته • والثاني : مشاركتها فيها لغيره • والجواب عنه من وجهين : أحدهما : انه لم يكن من أهل الجدل فيقطع كل مجادل • والثالث : إنه احتج للرجعة بما زاد على قضايا العقول ، فخصم كل عاقل •

فصل

والوجه السابع من إعجازه : ما تضمنه من أخبار القرون الخالية ، وقصص الأمم السالفة ، وما تحداه به أهل الكتاب من قصة أهل الكهف وثمان موسى والخضر ، وحديث ذي القرنين ، فكان على ما ذكره أنبياءهم وتضمنته كتبهم • فان قيل : فان الأخبار بما كان ليس بمعجز ، لأن علم غير الانبياء به ممكن فعنه جوابان : الأول : إنه ممكن فيمن

(١) الرجعة أى رجوع الناس يوم القيامة للحساب في الدار الآخرة •

علمها وممتنع فيمن لم يعلمها ، ولم يكن من أهلها فيعلمها ، فصارا معجزا ممتنعا . والثانى : إنهم اقترحوا تحديد ما لم يكن مبتدئا ولا كان له متناهيا من غوامض أسرار ، وغرائب أخبار ، جعلوها حجابا له وعليه ففصح بالجواب عن سرائرها ، وصدع بنعت غوامضها ، فخرج عن العرف إلى ما ليس بعرف ، فصار معجزا .

فصل

والوجه الثامن من إعجازه : ما تضمنه من علم الغيب بأخبار تكون ، فكانت (١) كقوله لليهود : «قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين (٢)» ثم قال : «ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم» فما تمناه أحد منهم . وكقوله لقريش : « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا (٣) » فقطع بأنهم لا يفعلون

(١) دلالة الاخبار بالغيب من اعظم الدلالات على محمد ﷺ في دعوى النبوة . ذلك لان الله لما قال لبنى اسرائيل ساقم لكم نبأنا من اخوتكم مثل موسى قال الله لهم : فان خطر في بالكم ان تقولوا كيف نميزه عن غيره ونعلم انه صادق ؟ فانى ساجعل لكم علامة وهى اذا أخبر عن غيب ، وحدث كما قال . فانه يكون هو النبى الموحود به . ففى سفر التثنية فى الاصحاح الثامن عشر بعد ما ذكر صفات النبى ﷺ قال : « وان قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النسبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى . فلا تخف منه » (تث ١٨ : ٢١ - ٢٢)

(٢) البقرة ٩٤ - ٩٥ واعلم ان المخاطبين هم علماء بنى اسرائيل . وهم يعرفون انهم على الباطل ، واذا ماتوا سيدخلون النار ، لانكارهم نبوة محمد ﷺ . ولذلك لا يتمنوا الموت ولا يريدونه . اما لاميؤن الكذابين لا يعلمون الكتاب الا امانى ، فانهم لجهلهم يعرفون ان من مات فى القدس سيدخل الجنة .

فلم يفعلوا • وكقوله : « سيهزم الجمع ويولون الدبر(٤) » وكان ذلك في
يهم بدر • وكقوله في هجرته عن مكة الى المدينة « ان الذى فرض عليك
القرآن لرادك الى معاد(٥) » فأعاده الله تعالى الى مكة عام الفتح ، إلى
غير ذلك من نظائره • فان قيل : فقد يكون ذلك حديثا بشواهد الأفعال
وفراسة ، بفضل الألمعية وقوت الفطنة • فعنه جوابان : الأول : إن الحدس
والفراصة وان أصاب بهما تارة فقد يخطيء بهما أخرى ، وهذا اصابة في
الجميع فخرجت عن الحدث والفراصة إلى علم من لا تخفى عليه الغيوب •
والثانى : ان الحدس والفراصة توهم غير مقطوع بهما قبل الوجود ،
وهذه أخبار بأنه مقطوع بها قبل الوجود ، فافترقوا •

فصل

والوجه التاسع من إعجازه : ما فيه من الإخبار بضمائم القلوب
التي لا يصل إليها إلا علام الغيوب ، كقوله : « إذ همت طائفتان منكم
أن تفتشلا(٦) » من غير أن يظهر منهم قول أو يوجد منهم فشل • وكقوله :
« وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين انها لكم ، وتودون أن غير ذات
الشوكة تكون لكم(٧) » فكان كقوله : وإن لم يتكلموا به ، الى غير ذلك
من نظائره •

فإن قيل فالجمع الكثير تختلف ضمائرهم في العرف ، فإن وجد ذلك
في بعضهم لم يوجد في جميعهم ، فان لم يخل أن يعتقدده بعضهم خلا

(٤) لاقمر : ٤٥ •

(٥) القصص : ٨٥ والمعاد هو يوم القيامة •

(٦) آل عمران : ١٢٢ •

(٧) الانفال : ٧ •

منه بعضهم فتقابل القولان فيهم ، وبطل إعجازه معهم • فعنه جوابان :
الأول : انهم ووجهوا بهذا الخبر على العموم فلم ينكروه ، فزال
هذا التفصيل ، فصار معجزا **والثاني** : إنه جعله ذنبا لهم فلم ينتقلوا
منه ، فدل على وجوده من جميعهم •

فصل

والوجه العاشر من إعجازه : ان ألفاظ القرآن قد تشتمل على الجزل
المستغرب ، والسهل المستقرب ، فلا يتوعد جزله ولا يسترذل سهله ،
وبكونان إذا اجتمعا مطبوعين ، غير متنافرين ، ولا نجد ذلك في غيره
من كلام البشر ، لأن جزله يتوعد وسهله يسترذل ، والجمع بينهما
يتنافر ، فصار هذا الوجه مبائنا ، ، وفي الاعجاز داخلا •

فإن قيل : انما كان القرآن كذلك ، لأنه قد توطأ بكثرة التلاوة ،
فاستلذته الأسماع واستحلته اللسنة ، ولولاه لتباين واختلاف •
فعنه جوابان : الأول : ان صفته عند أول سماعه وغايته سواء ،

ولو كان ما ذكر من العلة لاختلف في مبادئه وغايته • **والثاني** : ان غيره
من الكلام المختلف لا يتوطأ بكثرة ذكره ، فبطلت العلة •

فصل

والوجه الحادي عشر من اعجازه : ان تلاوته تختص بخمسة
بواعث عليه لا توجد في غيره : أحدها : هشاشة مخرجه • **والثاني** :
بهجة رونقه • **والثالث** : سلاسة نظمه • **والرابع** : حسن قبوله •
والخامس : ان قارئه لا يكمل وسامعه لا يمل • وهذا في غيره من الكلام
معدوم • فإن قيل إنما وقع في النفوس هذا الموقع للمتدين بالترامه

والتخصص باعظامه ، فعنه جوابان : الأول : ان هذا موجود في غيره من كتب الله تعالى كالتوراة والزبور والانجيل ، وليس يوجد ذلك فيها مع وجود هذا التعليل ، ولذلك ما استعان أهلها على تلاوتها ، استحلاء بما وصفوه لها من الألحان ، واستعذبه لها من الاصوات • والقرآن مستغن عن هذا بصيغة لفظه ، فلذلك ما راع وهيج الطباع • والثاني: أن التدين لا يسلب العقول تمييزها ، ولا يفسد عليها تصورها • وهو بأن يزيدا بصيرة أولى ، من أن ينقصها • ولو كان لهذه العلة لجده من كفر كما اعترف به من آمن ، وقول الجميع فيه سواء •

فصل

والوجه الثاني عشر من إعجازه : أنه منقول بألفاظ منزلة ومعان مستودعة وبلغه الملك بلفظه وعلى نظمه ، وأداه الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الأمة • بمثله ، فلم ينخرم فيه لفظ ولا اختل فيه معنى ، ولا تغير له ترتيب ، حتى صار من الزلل مضبوطا ، ومن التبديل محفوظا تستمر به الأعصار على شاكلته ، وتتداوله الألسن مع اختلاف اللغات على نظمه وصفته ، لا يختلف بتعاقب الأزمنة ، ولا يختل بتباعد الأمكنة ولا يتغير باختلاف الألسنة • وغيره من الكتب مقصورة على حفظ معانيها وان غيرت ألفاظها • فان التوراة القى الله تعالى معانيها (١)

(١) المؤلف يتحدث عن التوراة التي بيد اليهود والنصارى الآن . وعن الانجيل التي بيد النصارى . وعن الزبور الموجود بيد اليهود والنصارى . ويقول : ان الالفاظ في هذه الكتب ليست من الله ، والمعنى من الله . وهذا خطأ . فان التوراة في الاصل من قبل التحريف كتبها الله لموسى في الألواح . اى سلمها له لفظا ومعنى . ثم ان اليهود في « بابل » حرفوا المعنى وغيروا اللفظ . ولذلك وبخهم الله بقوله : « لم تابسون الحق بالباطل » ؟ ويقوله : « يحرفون الكلم من بعد مواضعه » فالوجود الآن من هذه الكتب يختلف عما كان في اصل . واليهود =

إلى موسى عليه السلام فذكرها بلفظه ، وعبر عنها بكلامه ، والانجيل فهو ما أخبر به عيسى عليه السلام عن ربه وعن نفسه ، فجمعه تلامذته بالألفاظهم ، وجعلوه كتابا مثلوا ، والزبور فأدعية بتحاميد وتسابيح تنسب إلى داود عليه السلام عن لفظه . ولئن كانت معانى هذه الكتب مضافة إلى الله تعالى فليست بصيغة لفظه على نظم كلامه ، كما نزل القرآن جامعا للألفاظ ومعانيه وترتيبه ، فصار مبادئ لجميع كتبه . وما هذا إلا بمعونة الهية ، حفظ الله تعالى بها اعجازه ، وأمد بها رسوله . كما قال تعالى : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون(١)» .

فصل

والوجه الثالث عشر من اعجازه : اقتتران معانيه المتغايرة واقتتران نظائرها في السور المختلفة ، فيخرج في السورة من وعد الى وعيد ، ومن ترغيب الى ترهيب ، ومن ماض الى مستقبل ، ومن قصص الى مثل ،

جعلوا التوراة خمسة أسفار ١ - التكوين ٢ - والخروج ٣ - واللاويين ٤ - والعدد والتثنية . وكانت في الأصل صغيرة بحيث تكتب على اثني عشر حجر بخط يقرأ من على مسافة بعيدة . وأما الانجيل فقد ضاع من أيدي النصارى والموجود بدله ١ - متى ٢ - مرقس ٣ - لوقا ٤ - يوحنا وهي انجيل منسوبة لتلاميذ واتباع ، ونسبتها اليهم تدل على أن الانجيل الحقيقي مفقود . وأما الزبور فإنه يسمى سفر الزمير وهو مكون من مائة وخمسين زمورا . وفي نهاية الثاني السبعين هذه العبارة : « تمت صلوات داود بن يسي » وهذا يدل على أن ما بعد هذه العبارة الى نهاية الزمير ، مضاف الى داود . وفي الزمور المائة والسابع والثلاثين : « على أنهار بابل هناك جلسنا . بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون . على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا ... الخ » وهذا يدل على أن الزبور كتب بعد سبي بابل . وكان السبي بعد داود بخمسمائة عام تقريبا .

ومن حكم الى جدل ، فلا ينبو ولا يتنافر وهي في غيره من الكلام متنافرة ، فتجانس معانيها . وكذلك هي في غيره من الكتب المنزلة مفصلة لكل نوع سفرا ، فان التوراة مقسومة على خمسة أسفار ، وكل سفر منها مفرد بمعنى واحد من المعاني المستودعة فيها . فالسفر الأول لذكر بدء الخلق . والسفر الثانى لخروج بنى اسرائيل من مصر والسفر الثالث لأمر القرابين . والسفر الرابع لإحصاء موسى بنى اسرائيل وما دبرهم به . والسفر الخامس لتكرير النواميس وجعل اختلاف معانيها موجبا لتفاضلها ، فكان أفضل ما في التوراة عند اليهود العشر كلمات المشتمة على الوصايا التي خاطب الله تعالى بها موسى وبها يستحلفون دون غيرها ، وأفضل ما في الانجيل الصحف الأربعة المنسوبة الى تلامذة المسيح الأربعة ، وهي المخصوصة بالقراءة في الصلاة والأعياد ، وأفضل ما في الزبور ما اتفق أهل الكتابين على اختياره ، وما اشتمل عليه القرآن من تغايرها أولى من وجهين : الأول : ان لا يختص قارئه بأحد فيعدل عن غيره . والثاني : أن يستوعب اذا اراد جميعها قراءته جميعه ، فيستكمل فوائده ، ويستجرك ثوابه .

فصل

والوجه الرابع عشر من إعجازه : ان اختلاف آياته في الطول والقصر لا يخرج عن أسلوبه ، ولا يزول عن اعتداله ، وغيره من نظم الكلام ونثره إذا تقاضت أجزاءه زال عن وزن منظومه ، واعتدال منثورة ، فصار ذلك من إعجازه . فإن قيل زيادة طوله هذر ونقصان قصره حصر ، فكيف يكون معجزا اذا تردد بين هذر وحصر؟ فعنه جوابان : الأول : إن الزيادة تكون هذرا اذا لم تفد والنقصان يكون حصرًا اذا لم يقنع ، والزيادة من طوله مفيدة والنقصان من

قصره مقنع ، فخرج عن الهذر والحصر والثاني : إن الطويل لو انفرد لم يكن هذرا والقصير لو انفرد لم يكن حصرا ، فلم يكن اجتماعهما موجبا لهذر وحصر ، كاختلاف السور في القصر والطول ، فان أقصر السور سورة الكوثر ، وتشتمل مع قصرها على أربعة معان : إخبار بنعمة ، وأمر بعبادة ، وبشرى بمسرة ، وأسلوب هو معجزة • فلم تخرج إذا قرنت بما هو هو أطول أن تكون معجزة •

الفصل

والوجه الخامس عشر من إعجازه : ان مكثر تلاوته لا يزداد به فصاحة ، وان ازداد بغيره من فصيح الكلام ، لخروجه عن طباع البشر ، فمازجها فصار أسلوبه معجزا في الحالين • وعلى كلا الوجهين •

الفصل

والوجه السادس عشر من إعجازه : تيسيره على جميع الألسنة حتى حفظه الأعجمي الأبكم ، ودار به لسانه القبطي الالكن ، ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه ، ولا تجرى به الألسنة البكم كجريانه ، وماذاك الا بخصائص الهية فضله بها على سائر كتبه •

فصل

والوجه السابع عشر من إعجازه : إن الكلام يترتب ثلاثة مراتب منثور يدخل في قدرة الجمهور ، وشعر هو أعلى منه يقدر عليه فريق وقرآن هو أعلى من جميعها وأفضل من سائرهما تجاوزت رتبة النوعين فخرج عن قدر الفريقيين • فإن قيل : لو كان القرآن برهانا معجزا

لخرج كثيره وقليله عن القدرة ، وقليله مقذور عليه ، وهو أن يجمع بين ثلاث كلمات منه ، أو أربع • فكذلك كثيره لأن الشيء اذا دخلت أوائله في جنس الممكن خرجت أو اخره من جنس الممتنع ، فعنه جوابان: الأول : أن قليله وكثيره خارج عن القدرة ، إذا انتظم إعجازه وهو كأقصر سورة منه ، فيبطل هذا الاعتراض • والثانى : انه ليس القدرة على الكلمة والكلمتين منه ، قدرة على استكمال ما يقع من التحدى ، كالمفحم فى الشعر ، لا تكون قدرته على الكلمة والكلمتين من بيت من أشعر ، قدرته على نظم بيت كامل من الشعر •

فصل

والوجه الثامن عشر من إعجازه : ان الزيادة فيه ممتازة ، وتغيير الفاظ منه مفتوحة ، ولو كان فى القدرة لا لتبس ولو أمين لاشبهه •

فصل

والوجه التاسع عشر من إعجازه : عجز الامم عن معارضته ، وقد تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ، فلم تخرجهم انفة التحدى وصبروا على نغص العجز ، مع شدة حميتهم وقوة أنفتهم ، وقد سفه أحلامهم وسب أصنامهم ولو وجدوا الى المعارضة سبيلا وكان فى مقذورهم داخلا ، وقد جعله حجة لهم فى رد رسالته لعارضوه • ولما عدلوا عنه انى يبذل نفوسهم فى قتاله وسفك دمائهم فى محاربتل (فدل ذلك على عجزهم) فان قيل فليس بممتنع أن يكونوا قد عارضوه بمثله ، فكتم ، كما كتم ما هجى به من الاشعار ، وقرف به من المعار ، فعنه جوابان: الأول : انهم لو عارضوه لظهر ، ولو ظهر لا تنتشر لأن تكاتم الاستفاضة لا تستطاع ، لما فى الطباع من الاذاعة ، وفى نفثات الصدور

من الاشاحة ، ولقيل : قد عورض فكتم كما قيل هجى ، ولو جاز هذا في معارضة القرآن لجاز مثله في معجزة كل نبي أن يقال : قد عورض معجزه ، فكتم ، فيفيض الى ابطال كل معجزة . وهذا مدفوع في معارضة غير القرآن . والثانى : إنه قد جعل معارضته حجة لهم في رد رسالته ، فلو عارضوه لاحتجوا عليه بالمعارضة ، ولما احتاجوا معه الى القتال والمحاربة ، مع بذل النفوس واستهلاك الأموال ، ولدفعوه بالأهون دون الأصعب . وقد نقل ما عورض به فظهر فيه العجز وبان منه النقص ، حتى فضحته ركافة لفظه ، وسخافة نظمه .

فحكى ابن قتيبة عن مسيلمة أنه قال في معارضته القرآن : «نقى كما تنقن ، لا الماء تكدرين ، ولا الشراب تمنعين» فلما سمع هذا أبو بكر رضى الله تعالى عنه قال : «إن هذا الكلام لم يخرج من إل» وحكى عن غيره - وأحسبه العنسى - انه قال : «ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى ، أخرج من بطنها نسمة تسعى ، من بين سراشيف وحشى» وحكى عن آخر «الفيل وما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل ، فان ذلك من خلق ربنا لقليل» وحكى الحكم عن عكرمة أن النضر بن الحارث ، وكان من فصحاء قريش عارض القرآن . فقال : «والزارعات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجنناً ، والخابزات خبزاً ، فاللاقمات لقماً» . وقال آخر : «قد أفلح من هينم في صلاته ، وأطعم المسكين من مخلاته ، وأخرج الواجب من زكاته» وقال آخر في معارضة سورة النجم « والنجم إذا سمي ، والبحر إذا طما مازاغ منذركم وما طغى ، وما كذب به وغوى ، فيما نطق به وروى» فأنزل الله تعالى في ذلك : «ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال : أوحى الى ولم يوح اليه شئ» (١) .

فهذه المعارضة وقد احتذوا فيها مثالا عدلوا بها عن طوال السور الى قصارها فأتوا بهسقيم الكلام دون سليمة ، وبسيفه دون جميله . فكيف يقابل به غايته القصوى ويوازي به طبقتة العليا ؟ وهل ذلك إلا كمن عارض فصاحة «سحبان» بهى «باقل» أو تخليط مجنون بحزم عاقل ، أو قاس الدر بالدر ، وشاكل بين الصفو والكدر .

ومن تعاطى ما ليس فى طبيعه ، افتضح فخر صريعا وهوى سريعا .

فصل

الوجه العشرون من اعجازه : الصرفة عن معارضته واختلف من قال بها ، هل صرفوا عن القدرة على معارضته ، أو صرفوا عن معارضته مع دخوله فى مقدورهم ؟ على قولين : أحدهما : انهم صرفوا عن القدرة . ولو قدروا لعارضوا . والقول الثانى : انهم صرفوا عن المعارضة مع دخوله فى مقدورهم ، والصرفة إعجاز على القولين معا فى قول من نفاها ، ومن أثبتها ، فخرقها للعادة فيما دخل فى القدرة .

فإن قيل فإن عجزوا عن معارضته بمثله لم يعجزوا عن معارضته بما يقاربه ، وإن نقص عن رتبته والمعجز مالم تمكن مقابلته كما لاتمكن مماثلته . فعنه جوابان : أحدهما : أن مقاربتة تكون بما فى مثل اسلوبه إذا قصر عن كماله ، والأسلوب ممتنع فبطات المقاربة وثبت الاعجاز .
والثانى : أن المقاربة تمنع من المماثلة ، والتحدى إنما كان بالمثل دون المقاربة .

فصل

فإذا ثبت اعجاز القران من هذه الوجوه كلها صح أن يكون كل واحد منها معجزا ، فإذا جمع القرآن سائرهما كان اعجازه أقهر وحجابه أظهر، وصار كفلق البحر وإحياء الموتى ، لأن مدار الحجة في المعجزة اتخاذ ما لا يستطيع الخلق مثله ، سواء كان جسما مخترعا ، أو جرما مبتدعا ، أو عرضا متوهما فإذا قيل : تعتبرون عجز العرب العاربة عنه دون المواديين ليكون معتبرا بمن يلجأ الى طبعه ولا يقول على تكلفه وتعلمه ؟ وهكذا اختلفوا • هل يعتبر فيه عجز أهل عصره أو في جميع ذهره ؟ على هذين الوجهين : **أحدهما** : يعتبر فيه عجز أهل العصر لأنهم حجة على أهل كل عصر • **والوجه الثاني** : انه يعتبر فيه عجزا أهل كل عصر لعموم التحدى فيه ، لأهل كل عصر •

فان قيل فليس عجز كل الانس عن مثله موجبا لاضافته الى الله تعالى لجواز ان تكون الشياطين أعانت عليه حتى خرج عن مقدور الانس ، فعنه أجوبة : أحدها : أن هذا يتوجه على موسى في فلق البحر ، وعلى عيسى في إحياء الموتى • ويقدم في جميع النبوات فلم يجز لمن أثبتها أن يخص به بعض المعجزات • **والجواب الثاني** : ان الشياطين لم يعرفوا إلا من الرسل ، ولولاهم لما علم الناس أن في الدنيا شيطانا ولا جنا ولا جانا • وقد جهر الرسل بلعنهم ودعوا إلى معصيتهم ولو كانوا أعرانا لدعوا الى طاعتهم وموالاتهم ، لأن معونة من أطاع سايما للجن والله تعالى غنى عن الشياطين ان يكونوا سفراء الى رسله عليه • فان كان عن أمره كان معجزا لأنه من فعله • وعلى هذا كان تسخير وولى أحق من معونة من عصى وعودى • **والجواب الثالث** : ان الشياطين لا يقدر على ذلك الا بمعونة الله تعالى لهم وهو لا يعين كاذبا

وأعوانا الإنبيائه ، وهم ينهون عن طاعته ويدعون الى معصيته • وهذا القرآن قد تحدى به الجن كما تحدى به الانس بقوله تعالى : «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا به مثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا(١)» وحكى عنهم عجزهم عنه بقوله سبحانه : «إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي الى الرشد ، فأما به»(٢) •

فصل

فإذا تقررت هذه الجملة في إعجاز القرآن ، فبإعجازه يعلم أنه من غير كلام البشر ، ولا يعلم أنه من عند الله تعالى إلا بقول الرسول • فلو أراد الرسول ان يقول مثله ، لم يقدر عليه ، لأنه من البشر الا أن يمدده الله تعالى بعون منه ، فيصير قادرا عليه ، ومعجزا له ، لو لم يصف القرآن إلى الله تعالى ، فاما مع اضافته اليه فلا يكون معجزا له ، ويكون مصروفا عنه فإن أضيف الى الله تعالى يمتنع ان يكون من غيره ، لدخوله في جملة الكذب • ثم يصير القرآن أصلا للشرع ، ومعجزا للرسول فيجب على الأمة التزام أحكامه وطاعة الرسول» اه •

ولعل لنا عودة ان شاء الله تعالى الى الكلام على اعجاز القرآن الكريم ، وبيان بلاغته وفصاحته بأكثر من هذا ، فانتظره ولا تغفل •

فصل

ولنرجع الى رد كلماته واطهار ما فيها من الكذب والاختلاف • فنقول : اما قوله : «إنه ينبغي لك أن تعلم أولا كيف كان السبب» الى آخره •

(١) الاسراء : ٨٨ •

(٢) الجن : ١ - ٢ •

فلا يخفى عليك أن هذا النصرانى سلك هنا مسلك اخوانه المتقدمين زاعما أن القرآن ليس من كلام الله عز وجل ، بل هو من كلام النبى عليه الصلوات والسلام وأفرادا آخرين كما حكى ذلك عنهم سبحانه فى الكتاب المبين من قوله تعالى : «وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه ، وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل أنزله الذى يعلم السرى السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيمًا» (١) ثم يقال له العجب من هذا الاختلاف الذى لا يخفى على من له أدنى وقوف على تراجم الرجال والسير والتواريخ الاسلامية والنصرانية . وليت شعرى هل هذا تجاهل أو مغالطة أم جهل بما هو بديهى البطلان . وهل سولت له نفسه ان علماء المسلمين لا يعرفون بتهرجه هذا فى محكمهم ، لأن سرجيوس هذا هو بحيرة الراهب ولم يأت الى مكة المكرمة ، ولم يجتمع مع النبى عليه الصلاة والسلام إلا مرة فى ذهابه الى الشام كما نقل ذلك أصحاب السير ، ونقل النصرانى فى كتبهم أحواله وسيرته أيضا . فاستمع ما قاله الفريقان لتكون فى البحث على اتقان .

قال المعلم بطرس البستاني فى كتابه المجلد الخامس من دائرة المعارف المطبوع فى بيروت سنة ١٨٨١ مسيحية ماعبارته : «بجيرا راهب نسطورى على مذهب آريوس ، ونسطور اسمه سرجيوس بن اسكندر كان ينكر لاهوت المسيح ، ويقول : ان تسميته بإله غير جائزة ، بل يجب أن يدعى كلمته ، وان تدعى والدته مريم والدة الناسوت الذى هو مظهر الكلمة السامى ، لا والدة الله . وكان بحيرا قسما عالما فلكيا منجما وحاسبا ساحرا ، فلتماديه بالسحر والتنجيم وأستخراج الضمائر

بالحساب وطوالع الكواكب ، حرمة رئيس ديريه ، وطرده من بين
الرهبان ، فسار هائما على وجهه ، ودخل في دير رهبان طورسينا فلما
درى رئيسه به كاتب رئيس دير طورسينا ، فطرده أيضا من الدير ،
فسار الى برية العرب ، واتخذ صومعة بقرب الطريق الموصل الى الشام
وأقام هناك مدة ، وكانت تمر عليه العربان والقوافل ، فكان يندرهم
بعبادة الله الواحد ، وينهاهم عن عبادة الأصنام كاللات والعزى ، وقد
قال عن نفسه في كتابه المعروف بالأبناء الذى أملاه على تلميذ له اسمه
مذهب : ان الله ظهر له في رؤيا وكشف له بأنه سيكون الواسطة لهدى
آل اسماعيل الى الدين المسيحى ، وقال مذهب تلميذه المذكور إنه توفى
قتيلا بدسياسة بعض يهود أشرار ، وان سلمان الفارسى النصرانى كان
من جملة المتلمذين له ، وانه علم علم الافلاك وحساب الكواكب
والأوضاع واستخراج الضمائر بالزاييرجا والحساب الأحد الاذكياء من
العرب .

هذا ما رواه عنه الشريف يعقوب بن اسحق الكندى المسيحى ،
الذى كان في القرن الأول للهجرة ، في كتابه المسمى أصل الجواب على
البرهان ، ونسب الكندى الى الراهب بحيرا أمورا متعلقة بالرسالة
والقرآن وغير ذلك مما لا برهان على صحته . وقد وافق الكندي ، مذهب
فيما رواه عن بحيرا أستاذه ، ومما قاله : انه من وفرة علمه ، وغزارة
حكيمته وإصابته بعلم الطوالع والكواكب ، قذفوه بكونه ساحرا ، ومما
رواه مذهب عما قاله بحيرا عن نفسه : ان الله تعالى أراه في رؤيا فتى
جميل المنظر شهم الفؤاد مكتوبا على جبهته اسم محمد ، وان مولده
في برج الثور ، والزهرة مع قران المشتري وزحل ، وان هذا الفتى هو
الذى يهدى أبناء جنسه بنى اسماعيل الى معرفة الله تعالى ، وانه

بواسطة ذلك الفتى سيقوم أمرهم ويشتد أزرهم في المسكونة ، ويذلون أبناء عمهم نسل اسحق ، ويتسلطون عليهم مدة معلومة جعلها موافقة لما أشار اليه دانيال في نوبته (١) وأنه يخرج من العرب اثنتى عشرة دولة ، ورواية «مذهب» هذه تفسير معنى قول بحير الأبي طالب: انه نظر في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أشياء كان يجدها من صفته ، ولا بد أن الدعوى الى التوحيد كانت مما يوافق مذهب «بحيرا» كـ «آريوس» ، ومقصده كمتسيحي يحاول رد الوثنيين من العرب في عبادة اله واحد ، ومعنى بحيرا في السريانية عالم متبحر « انتهى بحروفه •

وهذا وان كان خلط فيه الحق والباطل والعت والسمين ، الا أن الحق فيه لا يخفى على الفطن • ثم انه نقل ماقله «ابن الأثير» في تاريخه من قصة بحيرا ومرور أبي طالب عليه ، ومعه النبي عليه الصلاة والسلام وعمره إذ ذاك نحو تسع سنين وأخباره بأنه سيكون نبيا وتحذير أبي طالب عليه من أعدائه ، القصة المشهورة في كتب السير والتواريخ •

ولنذكرها ملخصة من سيرة ابن هشام والروض الأنف لابي القاسم عبد الرحمن السهيلي ، قال ابن اسحاق : ان أبا طالب خرج في ركب تاجرا الى الشام ، فلما تهيأ للرحيل اخرج معه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان طفلا لم يبلغ الحلم ، فلما نزل المركب بصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له «بحيرا» في صومعة له ، وكان اليه علم النصرانية فلما نزلوا ذلك العام ببخيرا وكانوا كثيرا مايمرون به قيل ذلك ولا يكلمهم ، ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به

(١) الأصحاح التاسع من سفر دانيال من قوله : «سبعون اسبوعا...»

قريباً من صومعته ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك فيما يزعمون عن شيء
رآه وهو في صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في صومعته في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ، ثم
أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت
الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته وقد
أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل اليهم فقال إني قد صنعت لكم طعاماً
يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وحركم
وعبدكم ، فقال له رجل منهم والله يا بحيرا أنك لساننا اليوم وماكنت
تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرا
صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم واصنع
لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم ، فاجتمعوا إليه وتخاف رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم من بين القوم لحدائثة سنه في رحال القوم تحت
الشجرة ، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد
عنده ، فقال يا معشر قريش : لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي • قالوا
له يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك الا غلام ، وهو أحدث
القوم سنناً ، فتخلف في رحالهم : قال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا
الطعام معكم ، قال : فقال رجل من قريش مع القوم والمالات والعزى ،
ان كان للؤما بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من
بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه وأجاسه مع القوم ، فلما رآه بحيرا جعل
يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى أشياء من جسده قد كان يجد عنده من
صفته عليه الصلاة والسلام حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ،
قام إليه بحيرا فقال له : يا غلام أسألك بحق الملات والعزى الا
ما أخبرتني عما أسألك عنه ، وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون

بهما ، فزعموا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: لا تسألنى باللات والعزى شيئا ، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما • فقال له بحيرا : فبإله الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه، فقال له عليه الصلوات والسلام سلنى عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله فى نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخبره فىوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ، ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه ، على موضحة من صفته التى عنده ، فقال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين ، يبعثه الله تعالى رحمة للعالمين • قال ابن هشام فلما فرغ اقبل على عمه ، فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى • قال له بحيرا ما هو ابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا • قال: فانه ابن أخى • قال : فما فعل أبوه • قال : مات وأمه حبلى به • قال: صدقت ارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لبيغنه سرا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به الى يبلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالثمام فثب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكلوه الله تعالى ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية لما يريد من كرامته ، حتى بلغ وكان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق ، التى تدنس الرجال تنزها وتكرما ، حتى ما اسمه فى قومه الا الأمين •

ومما قاله أبو طالب فى هذه القصة •

لم ترنى من بعد همّ همته	بفرقة حر الوالدين كرام
بأحمد لما أن شددت مطيتى	لترحل اذ ودعتهم بهسلام
بكى حزنا والعيس قد فصلت بنا	وأمسكت بالكفين فضل زمام

ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة
فقلت تروح راشدا في عمومة
فرحنا مع العير التي راح أهلها
فلما هبطنا أرض بصرى تشرفوا
فجاء بحيرا عند ذلك حاشدا
فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا
تجود من العينين ذات سجام
مواسين في البأساء غير لثام
شأمي الهوى والأصل غير شأمي
لنا فوق دور ينظرون جسام
لنا بشراب طيب وطعام
فقلنا جمعنا القوم غير غلام

وذكر باقى الشعر انتهى *

وقد نقل قصة نسطوريوس العلامة ابن القيم في كتابه اغاثة
اللهاfan عندما عد مجامع النصارى ، بما لفظه : « ثم كان لهم مجمع
رابع على نسطوريوس ، وكان مذهبه أن مريم ليست بوالدة الاله على
الحقيقة ، ولكن ثم اثنان : الاله الذى هو موجود من الآب والآخر
انسان الذى هو موجود من مريم ، وان هذا الانسان الذى نقول انه
المسيح متوحد مع ابن الاله ، وابن الاله ليس ابن على الحقيقة ولكن على
سبيل الهبة والكرامة واتفاق الاسمين ، فبلغ ذلك بطاركة سائر البلاد
فجرت بينهم مراسلات ، واتفقوا على تخطئته ، واجتمع منهم مائتا
أسقف في مدينة أفسيس ، وأرسلوا الى «نسطوريوس» للمناظرة، فامتنع
ثلاث مرات ، فأوجبوا عليه اللعن ، فلعنوه ونفوه وحرموه ،
وبينوا أن مريم ولدت إلها ، وأن المسيح اله حق وانسان ، معروف
بطبيعتين متوحد في الألقوم ، فلما لعنوا نسطوريوس غضب له بطرك
أنطاكية فجمع أساقفته الذين قدموا معه ، وناظرهم فقطعهم ، وتقاتلوا
ووقع الحرب والشر بينهم ، وتفاقم أمرهم ، فلم يزل الملك حتى أصلح
بينهم ، فكتب أولئك صحيفة بان مريم القديسة ولدت إلها ، وهو ربنا
يسوع المسيح الذى هو مع أمه في الطبيعة ، ومع الناس في الناسوت ،
وأنفذوا لعن نسطوريوس ، فلما نفى نسطوريوس سار الى أرض مصر ،

وقام بأخميمم سبع سنين ، ودفن بها ودرست مقالته الى أن أحيائها ابن صرما ، مطران «نصييين» ، وبثها في بلاد الشرق . فأكثر نصارى العراق والمشرق نسطورية وانفض ذلك المجمع على لعن نسطورس ومن قال بقوله وكل مجامعهم كانت تجتمع على الضلال وتفترق على اللعن ، فلا ينفذ مجمع من مجامعهم في كل مرة الا وهم بين لاعن وملعون » انتهى .

وسنذكر بقية مجامعهم في المحل المناسب ان شاء الله تعالى .

وحيث أن صاحب دائرة المعارف ذكر أن سلمان الفارسي رضى الله تعالى عنه كان من جملة المتلمذين له ، فلنذكر ترجمته وسبب اسلامه من سيرة ابن هشام ، ليزداد الواقف على كتابنا هذا اطلاعا وأدلة على ما نحن بصدده ، قال ابن اسحاق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس ، قال حدثنى سلمان الفارسي من فيه ، قال: كنت رجلا فارسيا من أهل اصبهان ، من أهل قرية يقال لها حى ، وكان أبى دهقان قريته ، وكنت أحب خلق الله اليه ، لم يزل به حبه أياى حتى حبسنى في بيته ، كما تحبس الجارية واجتهدت في الموسية ، حتى كنت قطن النار التى يوقدها لا يتركها تخبو ساعة ، قال : وكانت لأبى ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له فقال لى: يا بنى انى قد شغلت في بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى ، فاذهب اليها فأطلعها وامرنى فيها ببعض ما يريد ، ثم قال لى : ولا تحبس عنى فانك ان احتبست عنى كنت أهم الى من ضيعتى ، وشغلتنى عن كل شىء من أمرى .

قال فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدرى ما أمر الناس للحبس أبى اياى في بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورجبت في

أمرهم ، وقلت هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبى فلم آتها ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين ؟ قالوا بالشام ، فرجعت الى أبى ، وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال يا بنى أين كنت ؟ اولم اكن أعهد اليك ما عهدت ؟ قال : قات يا أبت مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس ، قال : أى بنى ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، قال : قات له كلا والله إنه لخير من ديننا قال • فخافنى فجعل فى رجلى قيذا ، ثم حبسنى فى بيته قال : فبعث الى النصارى ، فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم ، قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبرونى بهم فقلت لهم إذا قضا حوائجهم وأرادوا الرجعة الى بلادهم فأذنونى بهم ، قال : فلما أرادوا الرجعة الى بلادهم أخبرونى بهم ، فألقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام •

فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين علما ؟ قالوا : الأسقف فى الكنيسة ، قال : فجئته : فقلت له انى قد رغبت فى هذا الدين فأحببت أن أكون معك وأخدمك فى كنيستك ، فأتعلم منك واصلى معك قال : ادخل فدخلت معه قال : وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فاذا جمعوا اليه شيئا منها اكتنزها لنفسه ، ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق • قال : فابغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع ، ثم مات فاجتمعت اليه النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا قال : فقالوا لى وما علمك بذلك ؟ قال : قلت لهم انا أدلكم على كنزه قالوا : فدلنا عليه ، قال : فأريتهم

موضعه ، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً ، فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبداً ، قال فصلبوه ورجموه بالحجارة •

وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه ، فما رأيت رجلاً لا يصلى الخمس أرى أنه كان أفضل منه ازهد في الدنيا ولا ارجب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه ، قال فاحبته حباً لم أحبه شيئاً قبله مثله فأقمت معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة فقلت له يا فلان انى قد كنت معك واحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فالى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال: أى بنى والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلاً بالموصل وهو فلان ، وهو على ما كنت عليه ، فالحق به ، فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل ، فقلت له يا فلان ان فلاناً أوصانى عند موته أن ألحق بك ، واخبرنى انك على امره ، فقال لى أقم عندى ، فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث ان مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان ان فلاناً أوصانى انيك وأمرنى باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فالى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال يا بنى والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه الا رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبرى وما أمرنى به صاحباى فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له يا فلان ان فلاناً كان أوصانى الى فلان ثم أوصانى اليك فالى من توصينى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال يا بنى والله ما أعلم بقى أحد على أمرنا أمرك ان تأتية الا رجلاً بعمورية ، من أرض الروم ، فانه على مثل ما نحن عليه فانه على أمرنا فلما مات وغيب

لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبرى ، فقال اقم عندى فأقمت عند
خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم •

واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمة ، قال: ثم نزل به من أمر
الله تعالى فلما حضر قلت له : يا فلان انى كنت مع فلان فأوصى بى فلانا ،
ثم أوصى بى فلانا الى فلان ، ثم أوصى بى فلان الى فلان ، ثم اوصى
بى فلان اليك ، فالى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال أى بنى والله
ما أعلم أصبح اليوم احد على مثل ما كنا عليه من الناس امرك به ان
تأتية ، وإلكنه قد أظل زمان نبى وهو مبعوث بدين ابراهيم عليه السلام
يخرج بأرض العرب ، مهاجره الى أرض بين حرتين ، بينهما نخل • به
علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم
النبوة فان استطعت أن تلتحق بتلك البلاد فافعل ، قال: ثم مات وغيب ،
ومكثت بعمورية ما شاء الله تعالى ان أمكث •

ثم مر بى نفر من كلب تجار ، فقلت لهم احملونى الى أرض
العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه قالوا نعم فأعطيتموها
وحملونى معهم حتى اذا بلغوا وادى القرى ، ظلمونى فباعونى من
رجل يهودى عبدا ، فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلاد
الذى وصف لى صاحبى ولم يحق فى نفسى ، فبينما أنا عنده اذ قدم
عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة ، فابتاعنى منه فاحتملنى الى
المدينة ، فوالله ما هو الا أن رأيتها عرفتها بصفة صاحبى فأقمت بها •

وبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأقام بمكة ما اقام
لا اسمع له بذكر مع ما انا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر الى المدينة
فوالله انى لفى ساس عذق أى نخلة لسيدى اعمل له فيه بعض العمل
وسيدى جالس تحتى اذ أقبل ابن عم حتى وقف عليه ، فقال يا فلان

تأمل الله بنى فيلة أى الأوس والخزرج والله أنهم مجتمعون بقباء ، على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون انه نبي قال سلمان فلما سمعتها اخذتني العرواء اى الرعدة والانتقاض حتى ظننت انى ساقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة فجعلت اقول لابن عمه ذلك ما تقول ؟ فغضب سيدي فلكنى لكمة شديدة ، ثم قال مالك ولهذا ، اقبل على عملك قال: قلت لأى شيء ؟ إنما اردت ان استتبهت عما قال . وقد كان عندي شيء قد جمعته فلما امسيت اخذته ، ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء ، فدخلت عليه فقلت له انه قد بلغنى انك رجل صالح ومعك اصحاب لك غرباء ذووا حاجة، وهذا شيء قد كان عندي للصدقة ، فرايتكم احق به من غيركم قال فقربته إليه .

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأصحابه «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل ، فقلت فى نفسى هذه واحدة قال انصرفت فجمعت شيئاً وتحول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة ثم جئت به فقلت له أنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا، معه، فقلت فى نفسى هاتان ثنتان ثم جئت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ببيقيع الفرقد ، قد تبع جنازة رجل من أصحابه وهو جالس فى أصحابه ، فسلمت عليه ثم استدرت انظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبي ، فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم استديرته عرف أنى استتبت فى شيء وصف لى ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فاكبت عليه أقبله وأبكى ، فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «تحول» فتحولت فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثى كما حدثتك يا ابن عباس ،

فأعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه ،
ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم «بدر» و «أحد» قال سلمان :

ثم قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «كاتب يا سلمان»
فكاتبته صاحبى على تلمائته نخله أحببها له بالفقير والمفقير اليبتر تمر من
فيها الغسيله وهى النخله الصغيرة - وعلى أربعين أوقية فقتل رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأصحابه «أعينوا أحاكم» فأحافونى
بالنخل ، حتى اجتمعت لى ثلاثمائة ودية ، فقال لى رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم : «أذهب يا سلمان فغفر لها فلذا فرغت فأنتى أكن
أنا أضعها بيدي » ففكرت ، واعاننى اصحابى حتى اذا فرغت جئته
فأخبرته فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم معى إليها ،
فجعلنا نقرب اليه الودى ، ويضعه رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بيده حتى فرغنا ، فوالذى نفس سلمان بيده مامنت منها ودية
واحدة ، فأديت النخل وبقى على المال ، فأتى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن ، فقال :
«ما فعل الفاربى المكاتب» قال : فدعيت له فقال عليه الصلاة والسلام
«خذ هذه فأداها مما عليك يا سامان» قلت وأين تقع هذه يارسول الله
مما على ؟ فقال : «خذها فان الله سيؤدى بها عنك» فأخذتها فوزنت
لهم منها والذى نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم منها
وعتق سلمان فشدت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخندق
حرا ثم لم يفتنى معه مشهدا » انتهى وسيأتى أيضا بحث بحيرا
قريبا ان شاء الله تعالى •

قوله « أن ازالة عن عبادة الاصنام داعيا وتلميذا له يدعو الى

دين نستوريبوس» الى آخره •

لا يخفى عليك أن هذا المؤلف قد رمى فيما سبق سيدنا ابراهيم عليه السلام قبل نبوته أيضا بعبادة الأصنام ، وتقدم لك رده لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها وقد قال نبينا الأكرم صلى الله تعالى عليه وسلم : «لم يكفر بالله تعالى نبي قط » ولا سيما سيدنا محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعبد قط صنما ولا وثنا ، وكان قبل النبوة يتعبد على ملة أبيه ابراهيم (١) وكان في صغر سنه ، رؤية الصنم لديه من أبغض المنكرات وهذا أمر معروف مشهور في سائر كتب السير والحديث . وأما تلمذته عليه الصلاة والسلام التي زعمها النصراني للرجل الذي سماه بحيرا فاختلاف صرف وتمويه وبهتان لا أصل له وقد قدمنا لك ما يتعلق برد هذا الكذب رحال هذا الرجل الذي لم يجتمع مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سوى مرة قبل النبوة في طريق الشام وهو عليه الصلاة والسلام إذ ذاك حبي ، ولم يعيش بحيرا على القول المشهر الى زمن ظهور نبوته صلى الله عليه وسلم ، غير أن هذا الرجل في الحقيقة كان نصرانيا عالما بها في التوراة والإنجيل من البشارات بالمصطفى الأعظم

(١) يقول الامام القرطبي في آخر سورة الشورى : «وتكلم العلماء في نبينا صلى الله عليه وسلم . هل كان متعبدا بدين قبل الوحي أم لا ؟ فمنهم من منع ذلك مطلقا وأحاله عقلا . وقالوا : لأنه يبعد أن يكون متبوعا من عرف تابعا . وبنوا هذا على التحسين والتقييح . وقالت فرقة أخرى : بالوقف في أمره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك . إذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استنباط . عندها في أحدهما طريق النقل . وهذا مذهب أبي المعالي . وقالت فرقة ثالثة : انه كان متعبدا بشرع من قبله وعاملا به . ثم اختلف هؤلاء في التعيين . فذهبت طائفة الى أنه كان على دين موسى ، لأنه أقدم الأديان . وذهبت المعتزلة الى أنه لا بد أن يكون على دين . ولكن عين الدين غير معلومة عندنا» اه .

صلى الله تعالى عليه وسلم وعاملا بما فيها من اعتقاد رسالته وعبودية سيدنا عيسى بن مريم ، ولا زال ينادى إذ غير النصارى دينهم — أن دعوى التثليث لم يدعها إلا كل ضال خبيث وكان ينهى نصارى زمانه عما أحدثوه من القول بالوهية المسيح ويأمرهم بالعمل بما كان عليه الحواريون من الاحكام ، ويبين لهم ما ورد في التوراة من الحلال والحرام ، ولما لم يفد قوله إلا اصرارهم على التبديل اعتزلهم يعبد الله تعالى وحده مؤمنا برسالة المسيح عليه السلام منتظرا بزوغ نور النبى العربى فى ذلك الظلام ، وقبل ظهور بعثته اخترمت المنية هذا الموحد المذكور ، سالما من نقص التثليث والفجور •

نعم قيل أن رجلا آخر من النصارى يدعى بـجيرا ايضا آمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتعلم منه عليه الصلاة والسلام بل هو منه تعلم ، فقد ذكر العلامة ابن الاثير فى كتابه أسد الغابة فى معرفه الصحابه مالفظه «بجيرا ذكره أبو موسى فيما استدركه على بن مندة عن مقاتل أو غيره ، قال قدم إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع جعفر بن ابى طالب أربعون رجلا اثنان وتلاتون من الحبشة ، وثمانية من الشام بجيرا وإبرهة والأشرف وتمام وادريس وأيمن ونافع وتميم ، فلو لم يكن عنده أن غير بجيرا الراهب الذى رأى النبى عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه وآمن به لما استدركه ، فان الراهب قد ذكره ابن مندة ولأن الراهب لم يكن عاش الى هذا الوقت غالبا » آه •

وقال الوالد عليه الرحمة فى روح المعانى عند تفسير قوله تعالى «ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى» ما لفظه: والمراد من النصارى على ما روى عن ابن عباس وابن جبير وعطاء والسدى رضى الله تعالى عنهم النجاشى وأصحابه وعن

مجاهد انهم الذين جاؤا مع جعفر رضى الله عنه مسلمين وهم سبعون رجلا اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام وهم بحير الراهب وابرهة وادريس واشرف وتمام وقثم ودريد وأيمن» انتهى

وأنت تعلم أن هذه الآية من سورة المائدة وهي مدنية هي من آخر القرآن تنزيلا ، كما ورد في الحديث • حتى قيل انها نزلت في حجة الوداع بين مكة والمدينة ، ولو قلنا : ان بحير الراهب هو الذى كان رآه النبى عليه الصلاة والسلام قبل نبوته في طريق الشام ، فكيف يقال : إنه علم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع كمال نزول القرآن وانتشار الرسالة ؟ فما دعوى عبد المسيح الاتمويه عى ضعفة العقول ومصادمة للمعقول والمنقول •

ولنذكر لك تفسير هذه الآيات الكريهات التى استشهد بها عبد المسيح لتزداد وقوفا على ما أتينا به من البينات • قال تعالى « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا » لاختطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو لكل من يصلح له كما في غير هذا الموضع من الكتاب العزيز ، والمعنى أن اليهود والمشركين أشد جميع الناس عداوة للمؤمنين ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى أى ان النصارى أقرب الناس مودة للمؤمنين ، وصفهم سبحانه بلين العريكة وسهولة قبولهم الحق ، قلت: فلذا ترى في كل عصر الى الان من يسلم من النصارى أكثر ممن يسلم من غيرهم • وقيل : مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر والاذى ائى من خالفهم في الدين بأى طريق كان ، مثل القتل وسلب المال أو بأنواع المكر والكيد والحيل ، ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الايذاء في مذهبهم حرام ، فحصل الفرق بينهما • وعن عطاء قال : ماذكر

الله تعالى به النصرارى من خير ، فانما يراد به النجاشى واصحابه
لا جميع النصرارى . والتعبير يقالوا انا نصرارى اشعار بقرب
مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله ، واوداء اهل الحق ، وان لم
يظهروا اعتقادا حقيقفة الاسلام «ذلك» اى كونهم اقرب مودة «بان»
اى بسبب « ان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون » كاليهود
عن اتباع الحق والانقياد له اذا فهموه ، والقسيس كالفنس العالم وأصله
من فس اذا اتبع الشئ وطبفه ، وهو رئيس النصرارى فى الدين والعلم،
والراهب الخائف ، من رهب الله تعالى اى خافه ، والرهبانية
والترهب التعبد فى الصوامع . وفى فتح البيان : ان هذا مدح للنصرارى
فى مقابلة ذم اليهود ، وليس بمدح على الاطلاق ، ثم قال تعالى :
«واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما
عرفوا من الحق» الضمير يعود على من جاء من الحبشة الى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم « يقولون ربنا آمنة » بهذا الكتاب النازل من
عندك على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبمن انزلته عليه «فاكتبنا
مع الشاهدين» بصدق محمد وانه رسوك الى الناس كافة ولا نبى
بعده ، الى ان قال تعالى : فاثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها
الأنهار خالدین فيها وذلك جزاء المحسنين » .

ونحو هذه الآية قوله تعالى فى سورة الاعراف : « ورحمتى وسعت
كل شئ فساكتبها للذين يتقون ويؤنون الزكاة ، والذين هم بآياتنا
يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم
فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى
كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذى
أنزل معه ، أولئك هم المفلحون» وقد اثبتنا لك وله سبحانه الحمد نبوته

عليه الصلاة والسلام من نصوص التوراة والانجيل ، ومعجزاته التي رآها كل قبيل ما لا يبقى بعدها شبهة لمستريب ، فليتذكرها وليتدبرها من له في الآخرة نصيب .*

تم العجيب من هذا النصراني يزعم ان النبي عليه الصلاة والسلام بعد ان نوى نسطوريوس - يعنى بشيرا - ونبي الى تعليمه عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ، مع انه قد اجمع المؤرخون واهل السير والمحدثون وجميع علماء الملّة الاسلامية ان عبد الله كما قدمناه لك اسلم بعد الهجرة ودخول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة ، وكعب اسلم في خلافة الصديق او في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وسأله عن عدم تقديم اسلامه فأجابته انا نجد في التوراة ان محمدا بيعت من العرب ثم يتولى ويتولى بعده تسيح صالح ثم يموت ويتولى بعده صلح من حديد ، فنرويت فلما رايت الامر جميعه كذلك اسلمت فقال له عمر : وادفراه ، او ذكرت هناك - اي في التوراة ؟ وهذه كلمة تقولها العرب تواضعا اى انا منتن لا اصلح ان اذكر فيها . فكيف يقال او يخطر ببال ان عبد الله وكعبا علماء عليه الصلاة والسلام شيئا ؟ مع انهما اسلما بعد فتح الامصار ، واشتهار الاسلام في الاقطار ، ولم يريا النبي المختار الا بعد مجيئه الى المدينة ، وبعد رسالته بنحو ثلاث عشرة سنة وكعب كان يهوديا الى خلافة الفاروق ، ثم كيف يتصور ان يأخذ عليه السلام عن يهودى ونصراني ويجمع بين كلاميهما المتناقض في كتابه مع ان اليهودى عدو للنصراني ، وهو عدو له . وهما عدوان لمشركى العرب ؟ وفي القرآن ذم اليهود والنصارى والمشركين والحكم بتكفير جميعهم وتكفير كل من لم يدخل في دينه عليه الصلاة والسلام وبيان مقالاتهم الباطلة وعقائدهم الكاسدة وآرائهم الفاسدة ، وأحوالهم الذميمة وتحريف الكل لكتب الله تعالى المنزلة ، فلو كان لاحد مدخل

أو رأى فيه لما ذكر ذمه بل كان يذكر مدحته وما يؤيد نحلته ، فما هذا الكلام من عبد المسيح الا كهذيان المحموم ، وما الا تظبيس على الجاهلين الذين هم مثله بخمر العشاء الرباني سكارى ، والله سبحانه الموفق للصواب .

قال النصراني : « فلما توفي وارتد القوم وافضى الامر الى أبى بكر وحبس على بن أبى طالب عن تسليم الامر لابى بكر علما أنهما قد ظفرا بما كانا يطلبان ويريدان في نفسيهما ، فأندسا الى على بن أبى طالب قالا له : الا تدعى أنت النبوة ونحن نوافقك على مثل ما كان يؤدب به صاحبك نسطوريوس النصراني ، فلست باخس منه ؟ وكان بن أبى طالب قد احس بما كان نسطوريوس الراهب عليه الا انه كان صغيرا وقت ما صاحبه ، وأوعزا اليه ان لا يعلم أحدا بموضعه ، ولا يطلع أحدا من اهله عليه . فقبل على منهما ذلك لصغر سنه وقلة تجربته ، ومال انى قولهما بسلامة قلبه وحدائة سنه وقلة تجربته ، فلم يتمم الله لهما ذلك ولم يبلغهما اياه لانه اتصل بابى بكر بعض خبرهما ، فبعث الى على فلما صار اليه ذكره الحرمة ونظر الى ابى بكر والى قوته فرجع عما كان عليه ووقع بقلبه وكانا قد عمدا الى ما في يد على بن أبى طالب من الكتاب الذى دفعه اليه صاحبه على معنى الانجيل ، فادخلا فيه اخبار التوراة وشيئا من جل احكامها واخبار بلدها وشنعا فيه ، وزاد ونقصا ، ودسما تلك الشتاعات ، كقولهما : « قالت النصراني ليست اليهود على شىء ، وقالت اليهود ليست النصراني على شىء ، وهم يتلون الكتاب . كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم ، فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيسما كانوا فيه يختلفون » (البقرة ١٠٧) .

ومثل الاعاجيب وذلك التناقض الذى لا يخيل على الناظر فيه أن المتكلمين به قوم شتى ، مختلفون ، كل منهم يناقض قول صاحبه ومثل

سورة النحل والنمل والعنكبوت ومثل هذا وشبهه ، الا أن عليا حيث أليس من الامر ، أن يصير اليه ، صار الى ابي بكر بعد أربعين يوما وقال قوم بعد ستة اشهر ، فبايعه ووضع يده في يده ، وقال له : ما جيبك عنا وعن متابعتنا يا أبا الحسن ؟ فقال : كنت مشغولا بجمع كتاب الله لان النبي كان أوصاني بذلك فانظر ايها العادل في هذا الكلام ، وتدبر ما معنى شغله بجمع كتاب الله ، وأنت تعلم ان الحجاج بن يوسف أيضا جمع المصاحف وأسقط منها أشياء كثيرة فكتاب الله ايها المغرور ، لا يجمع ولا يسقط منه شيء ، ، وأنت وأهل مقاتك عارفون بذلك غير منكرين ، لان الثقة من رواكم نقلوا هذه الأخبار وصححوها ، فليس بينهم فيها خلف •

وانت تعلم أيضا أنهم رواء أن النسخة الاولى هي التي كانت بين القرشيين ، فامر بن ابي طالب بأخذها لما اشد عليه الامر لئلا يقع فيها الزيادة والنقصان وهي النسخة التي كانت محضه على معنى الانجيل الذي دفعه اليه اسطوربيوس ، وكان يسميه عند اصحابه جبرئيل مرة والروح الامين مرة ، فلما قال على بن ابي طالب لابي بكر في البيعة الاولى : اني شغلت في جميع الكتاب قالوا : فمعنا قول ومعك قول ؟ وهل يجمع كتاب الله ؟ فاجتمع أمرهم وجمعوا ما كان حفظه الرجال من أجزائه ، كسورة برآءة التي كتبوها عن الاعرابي الذي جاءهم من البادية ، وغيره من الشان والوفاد ، وما كان مكتوبا على اللخاف ، والعشب وهو جريد النخل ، على عظم الكنف ونحو ذلك ، ولم يجمع في مصحف • وكانت لهم صحف وادراج على منهاج ادراج اليهود وذلك من حيلة اليهوديين •

وكان الناس يقرؤون مختلفين ، ، فقوم يقرءون ما مع علي بن ابي طالب وهم اتباعه الى اليوم ، وقو يقرأون بهذا المجموع الذي ذكرنا

امره ، وقوم يقرؤون بقراءة الاعرابى الذى جاء من البرية ، وقال ان
معى حرفا وآية واقل واكثر فكتب ولا يدرى ماقصته ، ولا فى ما أنزل .
وطائفة تقرأ بقراءة ابن مسعود لقول صاحبك : « من أراد أن يتقرأ
القرآن غضا طريا كما أنزل ، فليقرأ بقراءة ابن إم معبد » وكان يعرض
عليه فى كل سنة مرة ، وفى السنة التى مات فيها عرض عليه بوثين وقو
يقرءون قراءة ابى بى كعب ، لقوله : « قرأكم ابى » وقراءة ابى وقراءة
ابن مسعود متقاربتان . فلما صار الامر الى عثمان بن عفان ، واختلف
الناس فى القراءة ، أقبل عليهم بى أبى طالب يتطلب العلال على عثمان ،
ويتتبع العثرات ويعيبه ، ويخالف عليه ، وذلك تدبرا على قتله ، فكان
الرجل يقرأ الآيه ويقرأها الاخر قراءة مختلفة ، ويقول الرجل منهم
لصاحبه : قراءتى خير من قراءتك ويحتج كل منهم لصاحبه بالذى يقرأ
بقراءته ، ويقع فى ذلك الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل ، فقبل
ذلك لعثمان ، وانهم يختلفون فى القراءة ، ويزيدون فى الكتاب ، وينقصون
ويتضاغنون فى ذلك ، ويقع بينهم الشر والاخذ بالعصبية ، ولا تأمن أن
يتناول الامر ويتناقم فيقع بينهم القتل ويفسد الكتاب وترجع الردة ،
فبعث عثمان فجمع كل ما امكنه من تلك الادراج والرقاع ، وما كتب أولا
ولم يتعرضوا لما فى يد على بن أبى طالب من مصحفه ولا لمن كان يقرأ
بقراءته ، ولا دخل معهم فى هذا التأليف .

اما ابى بن كعب فمات قبل هذا التأليف واما ابن مسعود فطلبوا
منه ان يدفع اليهم مصحفه ، فابى ، فصرفوه عن الكوفة واستعملوا
ابا موسى الاشعري ، وامروا زيد بن ثابت الانصارى ، وعبد الله
ابن عباس ، وقيل محمد بن ابى بكر بتأليفه واصلاحه ، وحذف الفاسد
منه ، وكانا حديثى السن ، وقالوا لهما اذا اختلفتما فى شىء او لفظة أو
اسم فاكتباه بلسان قريش ، فاختلفا فى اشياء كثيرة ، منها الثابتات ،

قل زيد هو التابوه • وقال ابن عباس : بل هو التابوت فكتباه بلسان قريش ونظائر هذه كثيرة ، فلما جمعوا هذا التأليف على ما في هذه المصاحف كتبت أربعة مصاحف بخط جليل ووجه احدها الى مكة ، وخلف آخر في المدينة ووجه آخر الى الشام وهو اليوم بملطية •

ولم يزل ذلك المصحف الذي كان بمكة الى أيام ابي السرايا فلما كان في تلك الايام وهو آخر سلب سلبت (فيه) الكعبة سنة ٢٠٠ هجرية ، (فقد) في تلك الفتنة ، فقد قيل احترق فيما احترق واه! مصحف المدينة ففقد في أيام الحرة ، وهى أيام يزيد بن معاوية ووجه بالمصحف الرابع الى العراق وكان بالكوفة وهى يومئذ قبة الاسلام ، ومجمع المهاجرين من الصحابة ويقال ان ذلك المصحف باق الى اليوم بالكوفة وليس بصحيح ، بل فقد في أيام المختار ، ثم امر بجمع ما جمع من تلك المصاحف والادراج التى جمعت من البلاد وكتب الى العمال ان يجمعو ما أمكنهم منها وينقضوه ، حتى لا يعلم ان احدا عنده منها شيء ، وتوعد المخالف منهم ، فكل ما صار اليهم ، غلوا له الخل وسرحوه فيه ، وتركوه حتى قطع واهترى ، ولم يبق شيء يعلم الا متفرقا مثلما قيل عن سورة النور أنها كانت أطول من سورة البقرة ، وكما قيل ان سورة الأحزاب مبتورة ليهت بتمامها ، وكذلك قالوا في براءة انهم لم يوجد بينها وبين الانفصال فصل يعرف ، فلم يفصلوهما بسطر «بسم الله الرحمن الرحيم» ومثل قول ابن مسعود في المعوذتين أثبتوهما في المصحف : «لا تزيد وانيه ما ليس فيه» مثل قول عمر على المنبر لا يقولن أحد ان آي الرحيم ليهت في كتابات الله فانا قد كنا نقرأ والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة، فلولا ان يقال ان عمر قد زاد في القرآن ما ليس فيه، لزدتها فيه بيدي » ومثل قوله في آخر خطبة خطبها : « أنى لا أعلم ان احدا قال : ان المتعة ليست في كتاب الله ، بل كنا نقرأ آية المتعة ،

ولكنها سقطت، فلا جرى الله من أسقطها خيرا ، فإنه أوتمن فما أدى الامانة ولا نصح الله ولا رسوله)) فقد أسقط من الموه عليه من القرآن شيئا كثيرا ، وقواه أيضا : « وما كان عليه ان يرخص الله للناس ، وانما بعث محمدا بالدين الواسع)) وقال ابي بن كعب : سورتان كانوا يقرأونها فيه ، وانما قال هذا في التأليف الاول ولم يدرك هذا التأليف ، وهما سورتا القنوت والوتر ، وهما : اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك الي آخر الوتر . وكذلك آية التمتع ، فان عليا كان اسقطها بته ، وقال انه سمع رجلا يقرأها على عهد ، فدعاه وضربه بلسوط ، وأمر الناس ان لا يقرأها احد ، فكان هذا بعض ما شئنت به عليه عائشة يوم الجمل :

وقد ادخلت منزل عبد الله بن خلف الخزازي فقالت في بعض قولها : « انه يجلد على القرآن ويضرب عليه وينهى عنه ، وقد بدل وحذف)) ويبقى مصحف عبد الله بن مسعود عنده ، فهو يتوارث الى الساعة ، وكذلك مصحف علي بن ابي طالب عند اهله ، ثم كان من امر الحجاج ابن يوسف ما كان انه لم يدع مصحف الا جمعه ، وأسقط منه أشياء كثيرة ، ذكروا انها كانت نزلت في بني أمية بأسماء قوم ، وفي بني العباس بأسماء قوم ، وكتبت نسخ بتأليف ما أراد الحجاج في ستة مصاحف ، فوجه واحد الى مصر ، وآخر الى الشام ، وآخر الى المدينة ، وآخر الى مكة وآخر الى الكوفة وآخر الى البصرة ، وعمد الى تلك المصاحف المتقدمة ، فظلم لها الزيت وسرحها فيه ، فتقطعت واحترق في ذلك بما فعله عثمان .

والدليل على ما كتبنا : انك الرجل الذي قد قرأت كتب الله المنزلة وأنت تعلم كيف انتسقت الاخبار وكثر التخليط في كتابك الذي هو دليل على ان الأيدي الكثيرة قد تداولته ، واختلفت فيه الآراء ، وزيد فيه ونقص

منه ، وكل قال ووضع ما اراد وهوى ، واستقط ما كره وُسخط فهذه عندك اكرمك الله — شروط كتب الله المنزلة ، سيما وصاحبك أعرابي جلف ، يأوى البادية ؟ فخطر خاطر في قلبه فسجعه بلسانه ، وصار به الى قوم بدو ، فتقرب به اليهم ، وهم يشهدون في كتابهم أن الاعراب أشد كفرا ونفاقا ومن هو أشد كفرا كيف يؤخذ عنه سر الله ووجهه وتنزله على نبيه .

وأنت تعلم ما كان بين علي وابي بكر وعمرو وعثمان من الاحنة والعداوة فقد زاد هؤلاء وانقصوا ، وزاد هذا وانقص ، انما كان كل واحد منهم يريد الخلاف على صاحبه ، ومناقضة قوله ومبادئه ، فمن أين تعلم أى الأقوال هو الصحيح ؟ وكيف يمكن لك ان تميزه من السقيم ؟ وقد زاد فيه « الحجاج » ونقص منه وأنت عارف بمذهب الحجاج في جميع أموره ، فكيف تستوثقه في كتاب الله ، وتعد له وتأمنه على ذلك؟ وقد كان الرجل الذى يتقرب الى بنى أمية بكل ما يجد اليه سبيلا هذا وقد كان اليهود اليهت مخالطين لهم ، وكان بعضهم قد أظهر لهم الدخول معهم في القتالة ، وانما كان ذلك مكرًا منه وخديعة ، وحيلة للفساد ، وتدبرا منه عليهم ، ليبيط الامر ويضمحل .

فهذا اصلك الله أصح دليل وأوضح برهان لا يخيل الا على من قد اعمى الجهل بصره ، وطمس على قلبه ، والا فاية حجة أو أى شيء من الشرح أكثر مما قد شرحنا ؟ ولولا انك الرجل الذى قد قرأت كتب سرا تُر الله ودرستها حق دراستها وان الانصاف أصل شيمتك لما شرحنا لك هذا الشرح والحق رحمتك الله فيه بعض مرارة عاجلة وحلاوة كثيرة آجلة ، فلماذا السيب قد اكتفينا بما ذكرناه ، فأصبر للمرارة اليسيرة من الدواء ، تعقبك حلاوة كثيرة في العاقبة ، على انك تعلم وكل من

ينظر في كتابنا هذا أننا لم نكتب اليك بشيء زيادة على ما في كتابك من ذات أنفسنا ، بل ولم نثبت الا الصحيح مما نقلته رواتكم العـدول لثقاة عندكم ، المأخوذ بقولهم ، العول في الدين على ما نقلوه من هذه الاخبار وغيرها في صحتها وأنهم لم يتزيدوا فيها ولا مالوا الى أحد الفريقين . وقد ثبتنا صدقهم وعرفنا حقيقة ما نقلوه بما شاهدنا من الكتاب أنه انه هو كلام منشور لا نظام له ولا تأليف ولا معنى ينسق ، بل هو متناقض كله ينتقض بعضه بعضا فقد صح عندنا وعند كل ذي لب أن الذي نقلوه لنا من خبره هو على ما حكوه ، ولولا كراهيتنا للتطويل لشرحنا من تناقضه وتفاوت معانيه ، وأخبار أصل جمعه أكثر مما شرحنا . وكن فيما اثبتنا كفاية لذوى الالباب والعقول » اه .

فأقول وبالله التوفيق : الكلام على هذه العبادات الملققة والاكاذيب المصنعة والخزعبلات المتهافئة ، والمسائل المتناقضة في ثلاثة فصول

وخاتمة .

الفصل الاول فيما قاله أهل السنة والجماعة من المسلمين في كيفية جمع القرآن الكريم ، الفصل لثاني فيما قاله الشيعة الامامية في ذلك . الفصل الثالث في التنقيح في كلماته المتغايرة وترتيب عباراته المتنافرة وبيان ما فيها من الاختلاف والبهتان الذي سود به وجه الاوراق الخاتمة في نبذة من الادلة على تحريف التوراة والانجيل ، وكيفية تأليفها وبيان ما فيهما من التناقض ولتبديل ، واختلاف النسخ والتراجم ومستهجن الاباطيل . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الفصل الاول : قال الشيخ الامام الموالد في مقدمة روح المعاني ما ملخصه : « اعلم ان القرآن جمع أولا بحضرة النبي صلى الله تعالى

(م ٩ - الجواب القسح)

عليه وسلم فقد أخرج الحاكم بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال : كنا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نؤلف القرآن فى الرقاع أى يجمعوه فى الرقاع . وهى جمع رقعة بالضم - التى تكتب - ثم أن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أمر زيد ابن ثابت بعد مقتل أهل اليمامة وقتل كثير من قراء القرآن وحفظته أن يجمع القرآن ثانيا أى يتبعه من الرقاع المكتوبة أولا وصدور الصحابة رضى الله تعالى عنهم لانه خشى أن يقرضوا ، ولعل عند احدهم كلمة ليست فى تلك الرقاع ، اذ ربما يكون فيها سهو من كاتب بأن اسقط حرفا أو نحوه فتقابل تلك الرقاع احتياطا لها ، مع حفاظ القرآن ليكون الأمر فى غاية الضبط والحفظ . وهذا الحال موافق لقوله سبحانه : « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وما شاع ان عليا كرم الله وجهه لما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تخلف بجمعة ، فبعض طريقه ضعيف لا يعول عليه وبعضها موضوع وما صح فمحمول كما قيل على الجمع فى الصدر ، وقيل كان جمعا بصورة أخرى لغرض آخر مثل أن يجمعه على ترتيب نزوله . ويؤيده : أنه على ما قيل كتب فيه الناسخ والمنسوخ ، فهو ككتاب علم .

وقد اخرج ابن أبى داود بسند حسن عن عبد خير قال سمعت عليا رضى الله تعالى عنه يقول : اعظم الناس فى المصاحف أجرا ، أبو بكر رحمة الله تعالى على أبى بكر هو أول من جمع كتاب الله - أى على الوجه الذى تقدم - وما اشتهر ان جامعه عثمان رضى الله تعالى عنه فهو على ظاهره باطل ، لانه رضى الله تعالى عنه انما حمل الناس فى سنة خمس وعشرين على القراءة بوجه واحد ، باختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والانصار ، لما خشى الفتنة من اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات :

فقد روى البخاري عن أنس رضي الله تعالى عنه ان حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال أدرك الأمة قبل ان يختلفوا في اليهود والنصارى . فأرسله إلى حفصة بنت عمر رضي الله عنهما ان أرسلني اليها بالصحف ننسخها ثم نردها اليه فأرسلت بها حفصه إلى عثمان ، فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث وابن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، ثم رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل ائمة بمصحف مما نسخوا ، قال زيد ففقدت آية من سورة الاحزاب حين نسخ المصحف ، قد كنت اسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمه ابن ثابت الأنصاري (وهي) : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله » الحقناها في سورتها في الصحف .

وقد ارتضى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان علي المرتضى كرم الله تعالى وجهه قال علي ما أخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة عنه « لا تقولوا في عثمان الأخيراً فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف الا عن ملائنا » وفي رواية « لو وليت لعملت بالمصاحف الذي عملته عثمان » .

وما نقله عن ابن مسعود انه لما أحرق مصحفه قال : « لو ملكت كما ملكوا لصنعت بمصحفهم كما صنعوا بمصحفي » كذب كسوء معاملة عثمان معه التي يزعما الشيعة حين أخذ المصحف منه وهذا الذي ذكرناه من فعل عثمان رضي الله تعالى عنه هو ما ذكره غير واحد من المحققين ، حتى صرحوا بأن عثمان لم يصنع شيئاً فيما جمعه أبوبكر من

زيادة أو نقص أو تغيير ترتيب ، سوى أنه جمع الناس على القراءة بلغة قريش محتجا بأن القرآن نزل بلغتهم ، ووافقه على ذلك جمهور الصحابة .

ويشكل عليه ما مر آنفا من قول زيد : ففقدت آية من الأحزاب الى آخره فانه بظاهره يستدعى أن في المصاحف العثمانية زيادة لم تكن في هاتيك الصحف ، والأمر في ذلك هين ، إذ مثل هذه الزيادة البسيطة لا توجب مغايرة يعبا بها ولعلها تشبه مسألة التتصارييس ، ولو كان هناك غيرها لذكر ، وليس فليس ولا تتدح أيضا في الجمع السابق إذ يحتمل أن يكون سقوطها في الكتابة من باب الغفلة ، وكثيرا ما تعترى السارحين في حضائر كلام الله سبحانه ، فيذكرهم جل شأنه بما غفلوا فتداركون ما غفلوا وزيد هذا كان في الجمعين ، ولعله الفرد المعول عليه في البين ، لكن عراه في أولهما ما عراه ، وفي ثانيهما ذكره من تكفل بحفظ الذكر فتدارك ما نساها ، وبعد انتشار هذه المصاحف بين هذه الأمة المحفوظة لا سيما الصدر الأول الذي حوى من الاكابر ما حوى ، وتصدر فيه للخلافة الراشدة على المرتضى ، وهو باب مدينة العلم لكل عالم ، والأسد الأشد الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ، لا يبقى في ذهن مؤمن احتمال سقوط شيء من القرآن .

وما زعمه الشاذ من علماء الشيعة من سقوط بعض آيات منه فليس عليه أضعف برهان ، وقد رده من الفرقتين علماء هذا الشأن .

ثم أعلم ان ترتيب آية وسورة بتوقيف من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أما ترتيب الآي فكونه توقيفيا مما لا شبهة فيه ، حتى نقل جمع منهم الزركشي والبرهان وأبو جعفر في المناسبات ، الاجماع عليه

من غير خلاف بين المسلمين ، والنصوص متظافرة على ذلك وأما ترتيب
السور ففي كونه اجتهاديا أو توقيفيا خلاف والجمهور على أنه توقيفي
أيضا قال أبو بكر الانباري انزل الله تعالى القرآن كله الى سماء الدنيا ،
ثم فرقه في بضع وعشرين سنة ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ،
والآية جوابا بالمستخبر ، فيوقف جبريل عليه السلام النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم على موضع الآية والسورة ، فمن قدم أو أخر فقد
أفسد نظم القرآن وقال الكوماني في البرهان : ترتيب السورة هكذا عند
الله تعالى في اللوح المحفوظ كان رسول الله ﷺ يعرض على جبريل كل
سنة ما كان يجمع عنده مثلا وعرض عليه في السنة التي توفي فيها
مرتين .

قال الوالد عليه الرحمة ان ما بين اللوحين الآن موافق لما في
اللوحة المحفوظ من القرآن وحاشا أن يهمل صلى الله تعالى عليه وسلم
أمر القرآن وهو نور نبوته ، وبرهان شريعته ، فلا بد من التصريح
بموضع الآية والسور ، وإما من الرمز إليهم بذلك وإجماع الصحابة
في المآل على هذا الترتيب أقوى دليل ، على أنهم وجدوا ما أفادهم علما
ولم يدع عندهم خيالا ولا وهما ، فلا ينبغي بعد اجماع الأمة أن يصاح
الى آحاد الأخبار ، ولا يشرأب الى تطلع الشاذ والغريب من الآثار ،
فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك .

الفصل الثالث

وأما ما عليه جمهور علماء الشيعة الامامية الاثنى عشرية أن القرآن المجيد محفوظ عن التغيير والتبديل ، والموجود الآن هو الذى أنزل على سيد ولد عدنان من غير زيادة ولا نقصان وإما من زعم منهم غير هذا فقولهم مرد ودغير مقبول عندهم أيضا قال الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن على بن بابويه ، الذى هو من أعظم علماء الامامية الاثنى عشرية فى رسالته الاعتقادية ، ما عبارته « اعتقادنا فى القرآن: إن القرآن الذى أنزل الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام هو ما بين الدفينين ، وهو ما فى أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ومبلغ سورة عند الناس مائة وأربعة عشر سورة ، وعندنا والضحى وألم نشرح سورة واحدة وإيلاف وألم تركيف سورة واحدة ومن نسب إلينا أنا نقول انه أكثر من ذلك فهو كاذب» اه .

وفى تفسير «مجمع البيان» الذى هو تفسير معتبر عند الشيعة ، ذكر السيد الأجل المرتضى علم الهدى ذو المجد أبو القاسم على بن الحسين الموسوى ، أن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مجموعا مؤلفا على ما هو الآن واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة فى حفظهم ، وأنه كان يعرض على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويتلى عليه ، وأن جماعة من الصحابة كعبد الله ابن مسعود وأبى بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عدة ختمات وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على انه كان مجموعا مرقبا غير منشور ولا ميثوث . وذكر أن من خالف من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم ، فان الخلاف مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث

نقلوا أخبار ضعيفة، ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع
على صحته انتهى .

وقال السيد المرتضى أيضا : أن العنم بصحة القرآن كالعلم
بالبلدان ، والحوادث ، والوقائع العظام المشهورة ، وأشعار العرب
المسطورة . فان العناية اشتدت ، والدواعى توفرت على نقله ، وبلغت
الى حد لم تبلغ اليه فيما ذكرناه ، لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ
العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه
وعنايته العناية ، حتى عرفوا كل شيء فيه ، من إعرابه وقراءته وحروفه
وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصا مع العناية الصادقة
والضبط الشديد» اه .

وقال القاضى نور الله الشوشترلى الذى هو من علمائهم المشهورين
في كتابه المسمى بـ «مصائب النواصب» ما عبارته «مانسب الى الشيعة
الامامية بوقوع التغير في القرآن ، ليس مما قال به جمهور الامامية ،
إنما قال به شذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم ، فيما بينهم» اه .

وقال الملا صادق في شرح الكليني ما لفظه «يظهر القرآن بهذا
الترتيب عند ظهور الامام الثانى عشر ، ويشهر به» اه .

وقال محمد بن الحسن الحر العاملى — الذى هو من كبار
المحدثين — في الفرقة الامامية في رسالة كتبها في رد بعض معاصريه
ما عبارته بالفارسية : «بركبى كه تتبع اخبار وتفحص تواريخ ، وآثار
نموه بعلم يلىنى ميدانده قرآن و رغابت ، وأعلى درجة تواتر بوده ،
وآلاف صحابة حفظ ونقل ميكر وند آثرا ودر عهد رسول خدا صلى الله
تعالى عليه وسلم مجموع ومؤلف بود» اه .

فظهر أن المذهب المرضي المحقق عند علماء الفرقة الامامية أن القرآن الذي أنزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسام هو ما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك وإنه كان مجموعا مؤلفا في عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحفظه ونقله أئوف من الصحابة وجماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عليه الصلاة والسلام عدة ختمات ، وأنه يظهر ويشتبه بهذا الترتيب عند ظهور الامام الثاني عشر رضى الله تعالى عنه ، والشذمة النذرة التي قالت بوقوع التغيير لاعتداد بها وقد رد العلماء أقوالها والأخبار الضعيفة لا يرجع اليها عن المعلوم المقطوع بصحته ، وهذا حق لأن خبر الواحد إذا اقتضى علما ، ولم يوجد في الأدلة القاطعة ما يدل عليه ، وجب رده على ما صرح به ابن المطهر الحلي في كتابه المسمى بـ « مبادئ الوصول الى علم الأصول » .

وقد قال الله تعالى : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» وفي تفسير «الصراط المستقيم» الذي هو تفسير معتبر عند علماء الشيعة أى «إنا لحافظون له من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان اه .

وقال الوالد عليه الرحمة «وزعم بعض الشيعة أن عثمان بل أبا بكر وعمر أيضا أسقطوا بعضا من آياته ولما تفتن له علماؤهم ردوه ومنهم الطبرسى في « مجمع البيان » حيث قال «اما الزيادة في القرآن فجمع على بطلانها ، وأما النقصان فقد روى عن قوم من أصحابنا وقوم من حشوية العامة والصحيح خلافه ، وهو الذي نصره المرتضى ، واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيان وذكر في مواضع ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطرة فان العناية

اشتدت والدواعى تفررت على نقله وحراسته ، وبلغت الى حد لم تبلغه
شما ذكرناه لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ العلوم الشرعية
والأحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية
حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من اعرابه وقراءاته وحروفه وآياته
فكيف يجوز أن يكون مغيرا ومنقوصا الى العناية الصارفة والضبط
السديد» وقال أيضا : «ان العلم بتفصيل القرآن وإبعاضه في صحة
نقله كالعلم بجملته • وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب
المصنفة ككتاب سيبويه ، والمزني ، فان أهل العناية بهذا الشأن يعملون
من تفصيلها ما يعلمونه من جملتها ، حتى لو أن مدخلا ادخل في كتاب
سبويه بابا من النحو ، ليس من الكتاب ، لعرف وميزانه ملحق ، وانه
ليس من اصل الكتاب • وكذا القول في كتاب المزني ومعلوم ان العناية
بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سبويه ، ودواوين
الشعراء» •

وذكر أيضا أن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الآن • واستدل على ذلك
بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان ، وانه كان يعرض
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويتلى عليه ، وأن جماعة من
الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن
على انبي صلى الله تعالى عليه وسلم عدة ختمات • وكل ذلك يدل
بادنى تأمل على انه كان مجموعا مرتبا غير منثور ولا مبثوث • وذكر
« أن من خالف ذلك من الامامية والحشوية لا يعتقد بخلافهم ، فان
الخلاف في ذلك مضاف الى قوم من أصحاب الحديث ، نقلوا أخبارا
ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع بصحته »
انتهى •

الفصل الثالث

في التنقيح في كلماته :

قولة : « فلما ارتد القوم » الخ ..

فنقله : نعم ان ارتداد بعض قبائل العرب عن دين الاسلام لا يחדس صحة النبوة كما سيأتى ، بل هذا أيضا من دلائل النبوة والعلامات الدالة على حقيقة خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، ، فقد قال العماء في الكلام على قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أدلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم » مدح الله تعالى في هذه الآية الكريمة الذين قاتلوا المرتدين بأكمل الصفات وأعلى المبرات . وقد وقع ذلك من الصديق وانصاره بالاجماع ، لان ثلاث فرق قد ارتدت في آخر عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

الاولى : بنو مدلح قوم الاسود العنسى ذى الضمار الذى ادعى النبوة في اليمن ، وقتل على يد فيروز الديلمى .

الثانية : بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب المقتول في اسلام خلافة الصديق على يد وحشى .

الثالثة بنوا سد قوم طليحة بن خويلد المتنبىء ولكنه آمن تعد أن ارسل النبي عليه الصلاة والسلام خالدا وهرب منه الى الشام وقد ارتد في خلافة الصديق سبع فرق . وهم بنو فزارة قوم عينة

بن حصن ، وبهو غطفان قوم قرة بن سلمة ، وبنو سليم وتو يربوع ،
وبعض بنى تميم قوم سجاح بنت المنذر ، وبنو كندة قوم اشعث
ابن قيس الكندي ، وبنو بكر في البحرين . وارتدت فرقة في زمن عمر
رضى الله تعالى عنه ، وهم جيلة بن الأيهم وأصحابه ، بسبب اللطمة
لما أراد عمر اجراء القصاص عليه ، والتحق بنصارى الروم . وقد
استأصل الصديق رضى الله تعالى عنه كل فرقة ، واستردهم الى
الاسلام كما أجمع عليه المؤرخون .

ثم اى دليل في ردتهم على عدم نبوة النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وهؤلاء بنو اسرائيل لما خرجوا من مصر وذهب موسى عليه
السلام لتكليم الرب سبحانه ، ارتد بنو اسرائيل مع وجود هارون
فيهم ، وعبدوا العجل . فهل دل ذلك على بطلان نبوة موسى عليه
السلام ؟ وهذا عيسى المسيح لم يتبعه في حياته الا أقل القليل من
الناس ، ومع هذا لما أرادوا اليهود قتله فر عنه أصحابه ، وأنكره
اخص حواريه . وهو « بطرس » وأسلمه « يهوذا » لليهود ، ولم
يبق معه أحد أبدا ، فهل خدش ذلك امر نبوته عليه السلام ؟ وهذا
نوح ولوط وصالح وغيرهم لم ينقص من أمر نبوتهم كثر أقوامهم
شيئا ، كما لا يخفى على كل ذى عقل منصف .

قوله : « وحبس على بن أبى طالب عن تسلّم الامر » .

فنقول : ان هذا ليس له مدخل في أمر النبوة وصدقها لأن هذا
أمر عائد الى المسلمين ، فمن أقر بالنبوة لا تعكر عليه هذه المسألة ،
وأى دخل لها في شأن الرسالة ؟ وليت شعري هل يصح استدلال
يهودى على بطلان دين المسيح بأن فرق النصارى اختلفوا في البابا
فالبروتستنت تقول في شأنه ما تقول ، والكاثولك تجعله كالاله والرسول

ثم ان هذا أيضا خلاف الواقع لان عليا كرم الله تعالى وجهه لم يمنع عن حقه ، ولم يحبس عنه ما يستحقه ، لان أمر الخلافة عائدا الى المسلمين ، وهم يعلمون أن ذلك أولى من يصلح لها فرأوا ان عليا رضى الله تعالى عنه حدث السن اذ ذلك ، وأنت أيها النصراني قد ادعيت أيضا انه صغير السن وقليل التجربة للامور ، وأبو بكر رضى الله تعالى شيخ مجرب الامور ، فرأى المسلمون أولويته بهذا الامر ، لاسيما والنبي عليه الصلاة والسلام قدمه للصلاة في مرضه بالناس ، وأشار اثار كثيرة الى خلافته ، فبايعه المسلمون لعلمهم بأولويته ، فكان الامر كذلك . واما فضل على رضى الله تعالى عنه وقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وشجاعته وعبادته وكرمه وجودة عقله ودرايته ، فشيء لا يجده جاحد ، ولا يقدر على كتمان حاسد والذي يضحك الثكلى عزوك اليه رضى الله تعالى عنه أنه حدثته نفسه بدعوى النبوة ، فهل هذا الاختلاف صرف ، وبهتان بحت ، لا تقبله الاطفال فضلا عن كمل الرجال .

وليت شعري في أى كتاب رأيت ذلك ؟ وعمن رويت ما هنالك؟ وكيف تسنى لقلمك أن يجرى بهذا الكذب الصراح الظاهر ظهور الصباح .

قوله : « فاندسا الى على » :

لا يخفى عليك كذب هذا ايضا ، فان عبد الله بن سلام أسلم بعد الهجرة ، وكعب أسلم في آخر خلافة أبي بكر كما تقدم سابقا .

قوله : « فقالا له : ألا تدعى أنت النبوة الى آخره . »

قول : لعل هذا النصراني أخذ هذا من رسالة الزنديق أبي حيان

التوحيدى : على بن محمد بن العباس أو هو أخذه من رسالة
النصرانى ان قلنا بتقدمها ففى لسان الميزان للحافظ العلامة بن حجر
العسقلانى عليه الرحمة فى ترجمته ما بعضه « التوحيدى نفاه الوزير
المهلبى لسوء عقيدته ، وكان يتفاسف وظهر منه القدح فى الشريعة ،
بالقول بالتعطيل ، كما قال ابى فى كتاب الخريدة • وقال الامام ابن
الجوزى عليه الرحمة : كان زنديقا • وقال جعفر بن يحيى الحكاك :
قال لى ابو نصر السنجرى : انه سمع ابا سعيد المالينى يقول : قرأت
الرسالة المنسوبة الى أبى بكر وعمر مع أبى عبيدة الى على رضى الله
تعالى عنهم ، على أبى حيان ، فقال : هذه الرسالة عملتها ردا على
الروافض • وسببها : أنهم كانوا يحضرون مجالس بعض الوزراء
— يعنى ابن العميد — فكانوا يغالون فى على فعملت هذه الرسالة » فقد
اعترف بالوضع • ونقل العلامة ابن الصلاح عن بعض العلماء : « ان
أبا حيان قصد بهذه الرسالة الطعن على الصدر الاول ، فمن ذلك
ما قاله فيها : ان عمر رضى الله تعالى عنه قال لعلى كرم الله تعالى
وجهه فيما خاطبه به انك اعتزلت تنتظر وحيا من جهة الله تعالى ،
وتتوكف مناجاة الملك • وبقي أبو حيان الى حدود الاربعمائة » انتهى •
قلت : فاذا قلنا هذه الرسالة التى رددناها لعبد المسيح ، وأنه الفها
كما زعم فى عصر المأمون العباسى ، فيكون أبو حيان استمد منها فى
اخلاقه • وان قلنا : انها لغيره من نصارى هذا الوقت ، فيكون مؤلفها
أخذ ما قاله هنا من رسالة أبى حيان المفتعلة • وعلى كلا التقديرين
فقد أخذ زنديق • ونقل للعقلاء ما لا يليق • فافهم والله سبحانه ولى
التوفيق •

قوله : « وقد احس بما كان نسطوربيوس الراهب عليه »

قد قدمنا لك أيضا ما جرى من أمر نسطوربيوس الذى عناه هذا

النصراني ، وأنه هو المسمى سرجيس المعروف ببخيري الراهب ، ولم
يجتمع مع النبي عليه الصلاة والسلام الا مرة واحدة ، حين ذهابه
صغيرا مع عمه أبي طالب الى الشام ، ولم يأت مكة ولا المدينة أبدا
كما شهدت به تواريخ النصارى ، التي مر لك ما فيها . فما هذا
الا اختلاق صرف كأمثاله من الخزعبلات التي سطرها هذا النصراني ،
ولم يقلها غيره ولا يقبلها كل من له أدنى عقل واللم بتراجم الرجال
والاطلاع على التواريخ والاحوال . وسيأتى أن شاء الله تعالى ما يتعلق
ببخيرا أيضا فلا تغفل .

**قوله : « وكنا قد عمدا الى ما في يد على بن أبي طالب من الكتاب
الذي دفعه اليه صاحبه » الى آخره .**

فهذه أيضا من مخترعات هذا النصراني لأن القرآن المجيد
حفظته الصحابة في صدورهم على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وكتيبته واشتهر فيما بينهم اشتهاه الشمس في رابعة النهار ، وكانوا
يتلونهم في صلاتهم أثناء الليل وأطراف النهار ، فكيف يتسنى لأحد الزيادة
فيه أو التتقيص ؟ والآن هو عند جميع فرق المسلمين من السنة
والشيعة ليس فيه اختلاف ولا زيادة ولا نقصان ، ولا فيه اختلاف
كلمة ، أو حرف واحد مغل . وهذا والحمد لله تبارك وتعالى ليس
كالانجيل المؤلف بعد المسيح بسنين عديدة ، وفيها اختلاف وتناقض
لا يقبل المكابرة والتأويل ، كما قدمنا .

قوله : « فأدخلنا فيه أخبار التوراة » الخ .

لا يخفى أن هذا كهول اخوانه ان القرآن أساطير الأولين . وقد
ذكر سبحانه في غير ما آية : أن القرآن فيه من التوراة وغيرها . وهذا

من أعظم الدلائل على انه منزل منه سبحانه كما عرفته في محله .
وقد قال تعالى : « انه لفي زبر الأولين » وقال تعالى : « ان هذا لفي
الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى » وكيف يتصور عاقل أن
يدخل عبد الله بن سلام وكعب الأحبار شيئا في القرآن لانهما ان كانا
أسلما ظاهرا وبطنا ، فلا يمكن أن يزيدا أو ينقصا شيئا فيه ، وان
كانا قد اسلما ظاهرا فقط ، وأنهما قد بقى في قلوبهما اليهودية واعتقاد
أحقيتهما ، فلا يتصور ان يدخلنا ذم اليهود وتكفيرهم . فهذا من
عبد المسيح قول قبيح ، لا يقبله من يتصدى من النصفين للتقحيح ،
فاتهم .

قوله : « وزادا تلك الشناعات كقولهما : » : « قالت النصارى
ليست اليهود على شيء » الآية .

أقول :- لعمر الله انه ليس في هذا شناعة ، بل هو عين الواقع
اذ هما من وقت المسيح الى الآن تقول النصارى ان اليهود ليسوا
على شيء يعتد به في الدين ، وتقول اليهود في حق النصارى كذلك ، فهم
يكفر بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا ، وممثلة قلب كل فرقة
منهما على الاخرى حقدا وبغضا . فهل أتى القرآن بشيء زائد على
الواقع أو عزى الى أحد الفريقين ما لم يصدقه كل سامع ؟

ولنذكر لك ما قاله المفسرون في هذه الآية الكريمة وذلك قوله
تعالى « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى
ليست اليهود على شيء » المراد يهود المدينة ووفد نصارى نجران ،
تمادوا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتسابوا وأنكرت
اليهود الانجيل ونبوة عيسى عليه السلام وأنكرت النصارى التوراة
ونبوة موسى عليه السلام فال في الموضعين للعهد . وقيل : المراد

عامة اليهود وعامة النصارى ، وهو من الاخبار عن الأمم السابقة .
وفيه تقريح لمن بهضرتة عليه الصلاة والسلام وتسليمة له صلى الله
تعالى عليه وسلم أن كذبوا بالرسول والكتب قبله ، فال في الموضوعين
للجنس « وعلى شيء » خبر ليس ، وهو عند بعض من باب حذف
الصفة أى شيء يعتد به في الدين ، لانه من المعلوم أن كلا منهما على
شيء . والاولى عدم اعتبار الحذف . وفي ذلك مبالغة عظيمة لان الشيء
كما يشير اليه كلام سيبويه ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فاذا نفى
مطلقا كان ذلك مبالغة في عدم الاعتداد بما هم عليه ، وصار كقولهم أقل
الى أن من كان عالما بالقرآن لا ينبغي أن يقول خلال ما تضمنه ،
والمراد من الكتاب الجنس ، فيصدق على التوراة والانجيل وقيل
المراد به التوراة لان النصارى تمثلها أيضا كذلك قال الذين لا يعلمون
مثل قولهم « وهم مشركو العرب في قول الجمهور . وقيل مشركو
قريش والكاف من كذلك في موضع نصب ، على انه نعت لمصدر محذوف
منصوب ، يقال مقدم عليه أى تولا مثل قول اليهود والنصارى « قال
الذين لا يعلمون » ويكون « مثل قولهم » على هذا منصوبا بيعلمون ،
من لا شيء وهم يتنون الكتاب أى قالوا ذلك وهم عالمون أما في كتبهم
الناطقة بخلاف ما يقولون وفي ذلك توبيخ لهم وارشاد للمؤمنين
والقول بمعنى الاعتقاد ، أو يقال : على أنه مفعول به ، وقيل « كذلك »
مفعول به ، و « مثل » مفعول مطلق والمقصود تشبيه القول بالمقول في
المؤدى والمحصل ، وتشبيه القول بالقول في الصدور عن مجرد
التشهى والهوى والعصبية ، وانما وبخوا وقد صدقوا اذ كلا الدينين
بعد النسخ ليس بشيء ، لانهم لم يقصدوا ذلك ، وانما قصد كل فريق
أبطال دين الآخر من أصله ، والكفر بنييه وكتابه ، على انه لا يصح
الحكم بأن كلا الدينين بعد النسخ بشيء يعتد به ، لان المتبادر منه أن

لا يكون كذلك في حد ذاته ، وما لا ينسخ منهما حق واجب القول والعمل ، فيكون شيئاً معتداً به في حد ذاته ، وان لم يكن شيئاً بالنسبة اليهم لانه لا انتفاع بما لم ينسخ مع الكفر بالناسخ « فإله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » قال الحسن البصري: المراد بالمحكم بين هذين الفريقين تكذيبهم وادخالهم النار والمراد الحكم بين اليهود والنصارى ، لا بين الطوائف الثلاثة ، لان مساق النظم لبيان حال تينك الطائفتين ، والتعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالهم « انتهى •

فاى شناعة في هذه الآية التي لا يخفى صدقها وفصاحتها وبلاغتها ومطابقتها لنفس الأمر ، ومقتضى الحال ؟ والعجب ان هذا النصرانى نسب الشناعة لها ، مع أنه عربى اللسان ، ويزعم أنه يطلب الانصاف في هذا الميدان مع ركوبه على حرن التعصب وجموح التجاهل والبهتان ، وأنه تناسى ما في التوراة والانجيل الموجودين الآن من الشناعة والتناقض ، اللذين لا يخفيان على انسان ، كما فصلناهما غير مرة في هذا الكتاب ، ونقلنا منهما ما فيه العجب العجيب •

ومن ذلك آية زناء لوط بابنتيه في سكره ، وكذا نوح عليه السلام شرب الخمر وزال عقله ، وكذا أن المسيح اله العالمين • ويقول عندما صلبته عبده اليهود « ايل ايل لم شبقنتى اى الهى الهى لم تركنتى » ؟ وكذا أن عيسى عليه السلام يقول لرسله : « اذهبوا واكرزوا بالانجيل ولا تخافوا من شيء » ثم يقول لليهود : « أنتم أبناء الافاعي وقتلة الأنبياء وسيقتلون رسلى بعد ذلك » وغير هذا مما تركناه خشية التكرار وسامة التطويل ، وسيأتيك أيضا زيادة على هذا فانظرها ولا تغفل •

قوله : « ومثل الاعاجيب وذلك الناقض » الى آخره •

فيقال له : ان كلامك هذا من أعظم الأعاجيب لانك ادعيت أنك
عربى كندى فكيف خفيت عليك مزايا القرآن العظيم وفصاحته وبلاغته
وارتباط بعض آياته ببعضها ومناسباتها الثامة وصدقها ومطابقتها
لمقتضى الحال ، وكيف نسيت ما وقع من التناقض في أناجيلكم المتعددة
التي تنوف على عشرة أناجيل ؟ وكيف تعاميت عما وقع في الأربعة من
الاباطيل ؟ وكيف سكت عن تعدد مؤلفيها وكثرة ناقليها وخفاء حال
أخذها عن المسيح أو أمه مريم صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ وكيف
لم تنظر الى أناجيلكم المطبوعة ؟ اذ كل نسخة منها لا توافق الثانية ،
وكلما يطبع منها شيء فهو غير مطابق لما قبله ، ورميت القرآن المجيد
بما هو عن الحق بعيد . فهل هذا الا اتباع لهوى النفس وتغطية
بثوب مخرق لعين الشمس .

والنجم تستصغر الابصار رؤيته

والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

قوله : « ومثل سورة النحل والنمل والعنكبوت » ان أراد بهذا
أن فيها اختلافا فهذا قد سمع جوابه أولا ، وانه ليس فيها ولا في
غيرها اختلاف ، وكيف يتصور ذلك والنبى عليه الصلاة والسلام أقصح
الفصحاء ، وأكمل العقلاء ؟ فكيف يتحدى بكلام مغاير لكلام العرب
العرباء ؟ وهل يتصور أن يتناقض فيها ويخالف ظاهرها لخافيتها ؟ وان
أراد أن هذه التسميات فيها عجب فيقال له : لا عجب في الاسماء ،
لانها كلها نازلة من السماء والعجب أن دعواكم بأن الانجيل كلام الله
تعالى ، وأنه انزله على الاله الثانى الذى هو المسيح وتسمونه انجيل
لوقا ، وانجيل متى ، وانجيل فلان وفلان ، الى عشرين . وتذكرون

فيه بحث موت المسيح ودفنه ، وخروجه من القبر ومجيئه الى النساء وغيرهن . فاذا كان الامر كذلك ، فكيف تقولون الانجيل كلام الله سبحانه وهو منسوب لمرقس ويوحنا وغيرهما ، وفيه أخيار المسيح بعد موته ؟ فهذا هو العجب لا تسمية السورة بسورة النمل من العجيب ، عند كل مهذب أريب ، غير عابد للصليب •

واعلم ان السورة كما قال المفسرون مهموزة وغيرهم بإبدال ان كان من السور ، وهو البقية لان بقية كل شيء بعضه ، وبدونه ان كان من سور البناء وهي المنزلة أو سور المدينة لاحاطتها بأياتها أو من التسور ، وه العلو والارتفاع لارتفاعها بكونها كلام الله تعالى ، وتطلق على المنزلة الرفيعة كما في قول النابغة :

الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك حولها يتعذب

وحدها قرآن يشتغل على ذي فاتحة وخاتمة وقيل طائفة مستقلة مترجمة وفاقا • وقد ثبتت أسماء الجميع بالأحاديث والآثار فمن قال من العلماء بكراهة أن يقال : سورة كذا بل سورة يذکر فيها كذا ، بناء على ما روى عن أنس وابن عمر من النهي عن ذلك ، لا يعتد به ، اذ حديث أنس ضعيف ، أو موضوع ، وحديث ابن عمر موقوف عليه ، وان روى عنه بسند صحيح ، وقد روى في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : « هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة » وحمل بعضهم « الكراهة على مبدأ الامر ثم نسخ النهي ، وشاعت التسمية من غير نكير عند الجمهور •

قوله : « فأنظر أيها العادل وتدبر ما معنى شغله بجسم كتاب

أقول : نظرنا فوجدناه على ما قتال الوثاقه ، أنه ان صحح فهو محمول على جمع القرآن وترتيبه ، كما أنزل واثبات الناسخ والمنسوخ فيه فهو ككتاب العلم ، أو المراد جمعه في صدره ، والعجب من هذا الفصرائى يعترض بمثل هذا الاعتراض الذى له أجوبة عديدة صحيحة ، ولا يخشى أن يقال له ما معنى انجيل متى وانجيل لوقا وانجيل مرقس وانجيل يوحنا مع أن الانجيل واحد ، وهو انجيل عيسى الذى اوحى اليه به ؟ فكيف صار أربعة أو اكثر ؟ وكيف تخالفت رواياته واثبتت بعد سنين عمدة آياته ، وزيدت فيه كيفية وفاته ، وعوده الى حياته . ومن احقق أن الفصراى ليس لهم جواب عن هذا الى نزول المسيح وقيامته •

ثم اعلم أن القرآن كله كتب على عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكن غير مجموع فى موضع واحد ، ولا مرتب السور ، وانما لم يجمع اذ ذلك فى المصحف ، على ما قتال الامام الخطابى لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه ، أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوقاته صلى الله تعالى عليه وسلم ألهم الله تعالى الخلفاء الواشدين ذلك ، وفاء لوعده الصادق بضمان حفظه ، على هذه الأمة المحمدية زادها الله تعالى شرفا - فكان ابتداء ذلك على يد الصديق رضى الله تعالى عنه بمشورة عمر رضى الله تعالى عنه ، ثم إجماع الصحابة والمسلمين على ذلك ويؤيده ما أخرجه ابن أبى داوود بأسناده عن عبد خير قتال سمعت عليا يقول «أعظم الناس فى المصاحف أجرا أبو بكر ، هو أول من جمع كتاب الله » •

وأما ما روى من طريق ابن سيرين ، قتال على لما مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آليت أن لا آخذ على رداى الا لصلاة

جمعة ، حتى أجمع القرآن فجمعه» فإسناده ضعيف لانقطاعه ، وعلى تقدير أن يكون محفوظا ، فمراده بجمعه حفظه في صدره - قال **قال الحافظ ابن حجر** « وما تقدم من رواية عبد خير عن علي أصبح ، فهو المصنف » وقد قدمنا ما يتعلق بهذا أيضا ، فتذكر .

قوله « وأنت تعلم أن الحجاج بن يوسف أيضا جمع المصاحف ، وأبسط ما بها أشياء كثيرة » .

أقول : الله تعالى يعلم ونحن نعلم أن هذا الكلام كذب وبهتان صرف ، فمتى علم أحد أن الحجاج جمع القرآن والقرآن كما قدمناه ، جمعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم استنسخ عثمان رضي الله تعالى عنه أربع نسخ على النسخة التي كانت عند حفصة بنت عمر رضي الله تعالى عنهما فأرسلها إلى البلاد ، وأبو بكر لم يزد فيه ، ولم ينقص عما علمه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصحابة فحفظوه وكتبوه وقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبد العزيز بن ربيع قال دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس رضي الله تعالى عنه ، فقال له شداد بن معقل أتترك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من شيء ؟ قال ما ترك إلا ما بين الدفتين قال ودخلنا على محمد بن الحنفية بن علي ابن أبي طالب فسألناه ، فقال : ما ترك إلا ما بين الدفتين ، قال الحافظ ابن حجر أي ما في المصحف وليس المراد أنه ترك القرآن مجموعا بين ترك القرآن مجموعا بين الدفتين ، لأن ذلك يخالف ما تقدم من جمع الدفتين ، قال الحافظ ابن حجر أي ما في المصحف وليس المراد أنه أبي بكر رضي الله تعالى عنه وهذه الترجمة للرد على من زعم من الشيعة أن بعض الآيات الدالة على استحقاق علي كرم الله تعالى وجهه للخلافة ، كانت ثابتة في القرآن ، وأن الصحابة كتبوها وهي

دعوى باطلة من وجوه عديدة وهذا قول مختلق . وقد تلتف البخارى في الاستدلال على هذا الزاعم من الروافض بما أخرجه عن أحد أئمتهم الذين يدعون إمامته وهو محمد بن الحنفية ، وهو ابن على رضى الله تعالى عنه ، فلو كان هناك شئ ما يتعلق بأبيه لكان هو أحق الناس بالاطلاع عليه . وكذلك ابن عباس ، فانه ابن عم على ، وأشد الناس لزوما له واطلاعا على حاله « انتهى ملخصا وكيف يمكن أن يجمع الحجاج القرآن بعد أن انتشر في كافة البلاد وحفظه في صدورهم ألوف عديدة من العباد في مشارق الأرض ومغاربها ؟ والحجاج إنما توفي سنة خمس وتسعين الهجرة ، أميرا في الكوفة من قبل عبد الملك بن مروان ، ولم يكن خليفة ، مع أن الخليفة الذى ولاه لو أراد ذلك ، لاستحال عليه لأن القرآن في ذلك العصر قد كتبت منه الالوف العديدة في قريش البلاد وبعيدها ، وحفظه في صدره الكبير والصغير ، وهذا ليس مثله الانجيل الذى هو غير محفوظ بالمعنيين كما هو الآن مشاهد بالعين .

نعم ان الحجاج أمر بجعل شكل الفتحة على الكلمة المفتوحة ، والضممة على الكلمة المضمومة ، والكسرة على الكلمة المكسورة ، ويجعل نقط الحروف وأى دخل لذلك في القرآن العظيم بالنسبة إلى كلماته وحروفه من جهة الزيادة والنقصان ؟ والمسلمون لا يأخذون برويته إذا روى حديثا فكيف يأخذون عنه قرآنا مكتوبا في مصاحفهم ، ومنشورا في كافة بلادهم ، ومحفوظا في صدور صغارهم وكبارهم ، ولو فرضنا المخال ان أهل مصر تابعوه على ذلك ، فكيف يتمكن من أهل الشام ؟ الذين فيهم الخلفاء الأمويون ، وسائر البلاد الثمانية ومن المسلمين الحافظين للقرآن الموجودة نسخة عندهم وهم في مشارق الأرض ومغاربها منتشرون - ، وعن المنكر ناهون ، وبالمعروف آمرون والحجاج عند كافة المسلمين معدود من جملة الظالمين الفاسقين ، المرذودين .

وليت شعري من أين علم هذا النصراني ذلك ، ولم يذكره أحد من جميع أهل المماليك ؟ فما هذا والله إلا اختلاق ، ولم يسمعه إلى الآن أحد من أهل الشام واليمن والحجاز والعراق ، ولم يصدر إلا عن تمكن في قلبه الكفر والنفاق نعم قال ابن خلكان وحكى العسكري في كتاب التصحيف : « ان الناس عبروا يقرأون في مصحف عثمان بن عفان نيفا وأربعين سنة ، إلى أيام عبد الملك بن مروان ، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ، ففزع الحجاج بن يوسف إلى كتابه ، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات ، فيقال : إن نصيرين عاصم قام بذلك ، فوضع النقط أفرادا وأزواجا ، وخالف بين أماكنهم فعبّر الناس بذلك زمانا لا يكتبون الا منقوفا فكان مع استعمال النقط أيضا يقع التصحيف ، فأحدثوا الاعجام فكانوا يتبعون النقط الاعجام ، فاذا أغفل الاستقصاء عن الكلمة ، فلم توف حقوقها اعتري التصحيف ، فالتمسوا حيلة فلم يقدرُوا فيها الا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين » اهـ .

وفي الانتان للامم السيوطي عليه الرحمة « اختلف في نقط القرآن وشكله ويقال : أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلي بأمر عبد الملك بن مروان وقال الحسن البصري ويحيى بن يعمر ، وأول من وضع الهمز والتشديد والروم والاشمام الخليل وقال يحيى بن أبي كثير ما كانوا يعرفون شيئا مما أحدث في المصاحف إلا النقط الثلاث على رؤوس الآيات . وقال ابن مسعود جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء وهذا لا دخل له في نفس القرآن الكريم ولا في كلماته ولا حروفه لا بزيادة ولا ينقصان ، على تقدير صحته ، ولا يفيد إلا أنه أمر الحجاج بالنقط في جميع ما يكتب ، لا بالقرآن فقط ، فاعرف وانصف .
قوله « فكتاب الله لا يجمع ولا يسقط منه شيء » .

فنقول : نعم ان الله سبحانه متكفل بجميع القرآن كما قال سبحانه : « ان علينا جمعه وقرآنه » وقد جمع كما أخبر سبحانه ، ولم يسقط منه شيء كما قال عز من قائل : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وقد حفظه من زيادة الزنادقة وتنقيصهم وتحريف الكفرة وتبديلهم كما وعد سبحانه وتعالى لكن أخبرنا : هل جمع متى ولوقا ومرقس ويوحنا الإنجيل ؟ وهل جمعه غيرهم أيضا أم ذلك من جملة الأباطيل ؟ وهذه كتبكم التي تعدونها كتبا سماوية وصحفا الهامية تد جمعتموها بعد أنبيائكم وفيها من الزيادة والنقصان والتحريف والغلط ما هو ظاهر في العيان وقد أقرت به علماءكم ، واعترفت به كباركم ، وشرهناء في كتابنا هذا على أتم وجه وبيان .

قوله : «وانت وأهل مقاتلتك عارفون» الى قوله : « وهل يجمع كتاب الله » .

لا يخفى عليك أنا وجميع المسلمين من لدن ظهور نور النبي عليه الصلاة والسلام في هذا العالم الى يومنا هذا ، عالمون بخلاف هذا الافتراء ، ونحن جازمون بلا مرأ ان هذه الدعاوى التي حررها ، عبد المسيح ليس فيها قول صحيح ولا أثر في كتاب ولم تخطر على ذهن بشر من سالف الاحقاب ، وانما هي اختلاق وتعميه وبهتان وترويض للباطل على أولياء الشيطان ، وقد تقدم لك أيضا ما يغنى في الرد عن التطويل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

قوله : فاجتمع أمرهم وجمعوا ما كان حفظه الرجال من أجزائه» الى آخره .

فنقول : هذا حق أراد به باطلا ، وتمويه أتى به عن حلى التحقيق
عاطلا ، ولنشرحه لك تكرارا ليكون لك البيان الفصل تذكارا فاعلم أن
القرآن المبين انزله من عند الله سبحانه جبريل الأمين على سيد العالمين
صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين منجما مفرقا ،
في ثلاث وعشرين سنة ، والحكم في ذلك متعددة مبسوسة في محلها وكل
ما كان ينزل منه شيء كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبلغه
للصحابة رضى الله تعالى عنهم فيكتبونه على الرقاع ، وهى جمع رقعة
وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد ، وعلى العصب - بضم المهملتين
ثم موحدة جمع عسيب وهو جريد النخل ، كانوا يكسطنون الخوص
ويكجبون في الطرف العريض ، وعلى اللخاف بكسر اللام ثم خاء معجمة
خفيفة وآخره فاء جمع لخفة بفتح اللام وسكون المعجمة وفي رواية
اللخف بضميتين وفي آخره فاء وقال الطيالسى هى الحجارة الرقاق ،
وتعلم الخزف وهى الآنية التى تصنع من الطين الشوى ، ووقع في بعض
الروايات الأكتاف جمع كتف ، وهو العظم الذى للبعير أو الشاة كانوا
إذا جف كتبوا فيه ، وفي رواية والاقتاب جمع قتب ، وهو الخشب
الذى يوضع على ظهر البعير ، ليركب عليه وفي رواية وكانوا يكتبون
قطع الأديم وفي الصحف والالوح ويحفظونه ويدرسونه ويتعلمون
معانيه ويظنونه في صلاتهم آناء الليل وأطراف النهار حتى توفى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن على تلك المحاملة المحفوظة
« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »
فأرسل أبو بكر الى زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه عقب ما قتل
من الصحابة في الواقعة مع مسيلمة الكذاب ، لما ادعى النبوة ، وقوى
أمره بعد وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أرسله اليه أبو بكر
رضى الله تعالى عنه خالد بن الوليد في جمع كثير من الصحابة ،

فحاربوه الى ان خذله الله تعالى وقتله ، وقتل في غضون ذلك من الصحابة جمع فقال أبو بكر لزيد بن ثابت وكان عمر بن الخطاب حاضرا ان عمر أتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وكان منهم سالم مولى ابي حذيفة وكان أحد من امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأخذ القرآن عنه ، وإني أخشى أن استحر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن الا ان يجمعوه واني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فليسم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله تعالى صدرى لذلك ، ورأيت ذلك : الذي رأى عمر ، قال زيد : قال ابو بكر : انك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي ، لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتتبع القرآن وجمعهم صدور حفظة الصحابة والرواق والابواب والمصاحف التي عنده وعند غيره ، وقابل ذلك وطابقه لئلا يشذ منه شيء بوجه كاتب أو نسيان حافظ ، وقابل ذلك مع غيره من الصحابة ، على أجلتهم ، ووقفوا فيه مع الفكر والنظر بحيث لم يبق شك في استقصائه ولا ريب في عدم شهو كاتب في استنساخه وتزتيه وجمعه .

ووروى البخاري في صحيحه عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ قال أربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب ، ومعاذ ابن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، قال في فتح الباري : ان المتعدد لا مفهوم له ، فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه ، أو المراد من الجمع الكتابة وإلا فغيرهم جمعه حفظا ، فقد روى ابن أبي داود من طريق محمد بن كعب القرظي قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلام خمسة من الانصار معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وابى بن كعب ، وأبو الدرداء ، وابو ايوب الانصارى •

وروى البخارى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : « خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم - اى موالى ابى حذيفة - ومعاذ - هو ابن جبل - وابى بن كعب •

وروى البخارى الشعبى جمع القرآن فى عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ستة منهم أبو الدرداء ، ومعاذ ، وأبو زيد بن ثابت - وهو كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم - فتبين من هذا : أن القرآن كان مكتوبا مجموعا ومحفوظا فى حياته عليه الصلاة والسلام الا أنه لم يكن مجموعا بمصحف واحد ومرتبها كحالته هذه ، فجمعه على هذا الترتيب زيد بأمر أبى بكر - وسلم الصحف التى جمعها لأبى بكر رضى الله تعالى عنه ، فكانت عند أبى بكر حتى توفاه الله تعالى عنه قدم حذيفة بن اليمان عليه ، وكان يعازى أهل الشام فى فتح أرمينية وآذربيجان مع أهل العراق - فأفزع حذيفة أختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصه ان : أرسلنى الينا بالصحف - يعنى القرايطيس - والصحف التى كتبها زيد ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك ، فارسلت بها حفصة الى عثمان ، فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، وشمسوها فى المصاحف ، وبعث منها الى الكوفة بمصحف ، والى مكة ، والى الشام ، والى اليمن ، والى البحرين ، والى البصرة وجعلت بالمدينة واحدا ، ورد الصحف الى حفصه • وكان هذا بعد استشارة

النصحية واتفاقهم حتى روى ابو داود ، بأسناد صحيح عن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه : **لا تقولوا في عثمان الا خيرا فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف الا عن ملأ منا .**

وقال الحافظ في فتح الباري : الفرق بين جمع أبي بكر وبين جمع عثمان رضى الله تعالى عنهما : ان جمع أبي بكر بكر كان لخشية أن يذهب من شيء بذهاب جملة ، لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد ، فجمعه في صحائف مرتبا لآيات سورة على ما وقفهم عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القرآن حين قرعوا بلغاتهم على اتساع اللغات ، أى لأنه عليه الصلاة والسلام قال : ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف - كما سيأتى تفصيل هذا ان شاء الله تعالى - فأدى ذلك بعضهم الى تخطئة بعض ، فخشى عثمان من تفاقم الامر في ذلك ، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد ، مرتبا لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم ، وان كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرج والمشقة في ابتداء الامر ، فرأى ان الحاجة الى ذلك أنتهت ، فاقترصر على لغة واحدة ، وكانت لغة قريش أرجح اللغات فاقترصر عليها والمراد بالأحرف تأدية المعنى باللفظ المرادف ، مثل اقبل وتعالى وهلم ، فانها بمعنى واحد ، والمراعى في ذلك السماع من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا بالمشهى وستأتى زيادة بيان لهذا ان شاء الله تعالى - وإذا علمت كيف كان جمع القرآن وعلمت جمع الإناديل ومغايرة بعضها لبعض ، وتناقض بعضها لبعض ، وأهبطت خبرا يحال مؤلفيها وكيف كتبوها مما قدمناه لك مرارا يتبين لك الفرق بينها وبين القرآن العظيم كفتل المباح بعد الأيل البهيم .

قوله «كسورة براءة التي كتبوها عن الاعرابي» التي آخره .

لا يخفى أن هذا أيضًا من جملة أكاذيب هذا النصراني وتدليسه وتمويهه ، لأن سورة براءة وتسمى سورة التوبة أيضا بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بها على أبي طالب ، فقرأها على المشركين بين ملا من الناس ، فكيف يتصور أن يجهلها الصحابة حتى يكتبوها عن إعرابي ؟ قال البراء بن عازب آخر سورة نزلت تامة بمراءة ، وإنما لم تكتب البسملة في أولها كسائر السور لأن من شأن العرب إذا كان بينهم وبين قوم عهد ، وأرادوا نقضه كتبوا إليهم كتابا ، ولم يكتبوا إليهم كتابا ، ولم يكتبوا فيه بسملة ، فلما نزلت براءة بنقض العهد ، الذى كان بين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمشركين بعث بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على بن أبي طالب ، فقرأها عليهم ولم ينمل في ذلك على ما جرت به عادة العرب ، في نقص العهد من ترك البسملة — وعن على رضى الله تعالى عنه أن البسملة أمان وبراعة نزلت بالسيف نعم روى الامام البخارى عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه أنه قال وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصارى وهى قوله عز وجل «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حرس عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ، فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم» وروى عبد الله ابن الزبير عن أبيه قال أتى الحرث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة ، فقال أشهد أنى سمعتهما من رسول الله صلى الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووعيتهما فقال عمر وأنا أشهد لقد سمعتهما قال الحافظ ابن حجر أن هاتين الآيتين كانتا محفوظتين في صدور الصحابة الا أنهما لم تكونا مكتوبتين ، حتى جاء أبو خزيمة فذكرهم بهما فقال

عثمان : وأنا أشهد وقاله أبى بن كعب اقرأنى رسوه الله صلى الله عليه وسلم آيتين « لقد جاءكم » الى آخر السورة ، وتبين أن زيدا كان يطلب التثبيت والتواتر بالذى كان يكتب بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، والا فهو عالم بها ، فلما أخبر بهما أبو خزيمة وشهد الحرث وعمر وعثمان وأبى بن كعب أثبتها في المصحف .

فانظر الى كذب هذا النصرانى كيف جعل سورة براءة التى هى مائة آية منسية غير محفوظة ، مع أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد بعث بها عليا كرم الله تعالى وجهه الى المشركين وقرأها عليهم ، وقد أنزلت في هذا الأمر المهم وتكرر الدواعى من الصحابة الى سماعها وحفظها ؟ ثم ان اعرابيا يأتى بعد وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فينتلونها على خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام وأكابر أصحابه وقرائهم وعلمائهم وهم يجهلونها فيأخذون بقوله ويثبتونها في المصحف على زعم المسيح بسبحانك هذا بهتان عظيم ، وافتراء لا يخفى على كل ذى لب عليم ، وقلب سليم - والعجب أنه نسي حال جمع الانجيل ولم يتذكر أيضا قول المسيح فيه : «لماذا تنتظر القذى الذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينيك فلا تفتن لها » اه .

فتفتن ولا تغفل .

قوله : «وغيره من الشاء والواقف» لا يخفى عليك كذب هذا أيضا لبيت شعري لم لم يسمعها ويعزى ذكرهما الى كتاب من الكتب المعتبرة للمسلمين وإذا سلمنا فأى بأس فى ذلك بعد ما تلوناه عليك من كيفية

الجمع في أيام النبي عليه الصلاة والسلام وأيام خليفتيه أبي بكر
وعثمان .

قوله وأدراج على منهاج ادراج اليهود .

لا يخفى على كل منصف أن القرآن العظيم لما كان نزوله منجما
في ثلاث وعشرين سنة ، والله سبحانه قد تكفل بحفظه وجمعه فلا ضير
عند نزوله إذا حفظه في صدور الرجال ، وأثبت في الرقاع ونحوها لأن
المراد اتباعه وكتابته ، وذلك حاصل على أي جسم كان ، سواء كان ذلك
الجسم قرطاسا أو جلدا أو خزفا أو نحو ذلك ولا بأس أيضا إذ اكتب
على منهاج أدراج اليهود أولا ، ثم نقل إلى المصحف ثانيا ، واختلاف
أشكال ما يكتب عليه لا يخل بصحة المكتوب ، لاسيما والصحابة رضوان
الله تعالى عليهم أجمعين ، صحفهم صدورهم ولما كملت مدة انزال
الوحي عند وفاته عليه الصلاة والسلام ، وتبين الناسخ من المنسوخ ،
وحان حين جمعه في المصاحف جمعه بعد أشهر الصديق الأكبر ومعه
الفاروق الغضنفر ، وزيد كاتب وحى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ومعه غيره كما تقدم ، وإذا اعترف هذا النصراني أن الذين جمعوا
القرآن ورووه ، وأوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فليخبرنا عن لوقا الذي جمع إنجيل المسيح ، هل رآه وأخذه عنه أم
سمعه من غيره وكتبه ولا شك أنه يقول كما قدمناه لك وشرحناه أنه لم
يره وإنما عن غصة رواه وأنه قد قال في أصحابه الأول ما لفظه «كان
كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها
إلينا الذين كانوا منذ البدء معائنين وخداما للكلمة ، ورأيت أنا أيضا
إن قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق ، أن أكتب على التوالى إليك
أيها العزيز ثاو فيليس ، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به» اه .

فميز حينئذ الحالين ، وأسأل الله تعالى هداه •

قوله : « وذلك من حيلة اليهوديين » •

لا يخفى عليك أيضا مما تقدم ما في هذا الكلام من الجين لأنه عنى بهما عبد الله بن سلام الذى أسلم بعد هجرة النبي عليه الصلاة والسلام وكعب الأحبار الذى أسلم فى خلافة أبى بكر أو عمر رضى الله تعالى عنهما بعد أن أشهر القرآن وحفظ فى الصدور وكتب فى الأوراق والأوراق والصحف ، ولو فرضنا غشهما للمسلمين وحاشاهما - فكيف يتمنان من هذا الضنيع فى هذه الحالة •

وما قاله هذا النصرانى شنتنته باقية الى الآن فيهم ، فتراهم كلما أسلم نصرانى شوقا إلى الدين ، افتروا عليه أئسياء هو بربىء منها براءة الذئب من النبي يوسف الأمين صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى جميع المرسلين •

قوله : « يقرعون مختلفين » •

فنقول : نعم ان القرآن أنزل على سبعة أحرف وكلها إلهية وهيته ، وكلها من عند الله تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » كما منفصلة قريبا إن شاء الله تعالى ، ففى فتاوى شيخ الاسلام تقى الدين أحمد الحرانى ما ملخصه « إنه سئل عن قول النبي عليه الصلاة والسلام « نزل القرآن على سبعة أحرف » هل هى هذه القراءات المنسوبة إلى نافع وعاصم وغيرهما ؟ وهل هى الأحرف السبعة أو واحد منها ؟ فأجاب ان هذه المسألة قد صنف فيها العلماء المصنف المفرد ، ومن آخرهم الشيخ أبو أحمد عبد الرحمن بن إبراهيم الشافعى المعروف بأبى شامة ، والكلام يحتاج فيها إلى بسط كثير ،

غير أنها تذكر المهم فنقول لانزاع بين العلماء المعتبرين : أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن القرآن نزل بها ليست هي القراءات السبعة المشهورة ، بل أول من جمع قراءات هؤلاء هو الامام أبو بكر بن مجاهد ، وكان على رأس المائة الثالثة ببغداد ، ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده ، وإنه إذا كانت قراءة متفقة مع أخرى من وجه ، ومباينة من وجه آخر كقوله تعالى «لستم» و«لامستم» فكلمها حق وكل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية ، يجب الايمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا .

وقد قال عبد الله بن مسعود : «من كفر بحرف منه فقد كفر به كله» وأما ما اتحد لفظه ومعناه ، وإنما يتنوع صفة النطق به كالمئات والمهمزات والإمالات والادغام والاظهار ، ونحو ذلك ، فهو أظهر وأبين ، أنه ليس فيه تناقض ولا تضاد ، إذ هذه الصفات المتنوعة في أداء اللفظ ألا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا ، ولهذا كان دخول هذا في حرف واحد من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها .

واختلف العلماء في مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه هل هو أحد الحروف السبعة ، أو مشتمل على الأحرف السبعة فالذي عليه جمهور العلماء من السلف : أن القراءات السبعة حرف من الحروف السبعة ، وأن مصحف عثمان هو أحد الحروف السبعة ، وهو متضمن للعرضة الأخيرة ، التي عرضها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على جبريل عليه السلام والاحاديث المستفيضة تدل على هذا القول وذهب طوائف من الفقهاء والقراء وأهل الكلام الى أن هذا المصحف مشتمل على الأحرف (م ١١ - الجواب الفسيح)

السبعة ، بناء على أنه لا يجوز على الامة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة • وقد اتفقوا على نقل هذا المصحف الامام ، وترك ما سواه ومن نصر قول الأولين يجيب تارة بما ذكره محمد بن جرير وغيره من أن القراءة على الأحرف السبعة لم يكن واجبا على الامة وإنما كان جائزا لهم مرخصا لهم فيه • كما أن ترتيب السور لم يكن واجبا عليهم منصوصا بل مفوضا الى اجتهادهم ، ولهذا كان ترتيب مصحف عبدالله عنى غير ترتيب مصحف زيد •

واما ترتيب آيات السور فهو منزل منصوص عليه ، فإم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم كما قدموا سورة على سورة ، لأن ترتيب الآيات مأمور به نصا •

واما ترتيب السور فمفوض الى اجتهادهم • قالوا : وكذلك الأحرف السبعة فلما رأى الصحابة رضى الله عنهم أن الأمة تفترق وتختلف ، اذا لم يجتمعوا على حرف واحد ، اجتمعوا على ذلك اجتماعا سائغا وهم معصوهون أن يجتمعوا على ضلالة ، ولم يكن في ذلك ترك لواجب ولا فعل المحذور ومن هؤلاء من يقول : ان الترخيص في الأحرف السبعة كان في أول الاسلام لما في المحافظة على واحد من المشقة عليهم أولا ، فلما تذلت أسنتهم بالقراءة ، جمعوا على الحرف الذى كان في العرصة الاخيرة • ويقولون : انه نسخ ما سوى ذلك •

واما قول من قال عن ابن مسعود إنه كان يجوز القراءة بالمعنى . فهو كذب لا أصل له •

وأعظم انه ليس الأهد أن يقرأ بمجرد فهمه لو دركه ودرائته ، بل

القرآنية، نسخة متبعة وقد بينا أن القراءتين كالأيتين فزيادة القراءات
كزيادة الآيات وذلك لا يجوز قطعاً والاعتماد في نقل القرآن على حفظ
القلوب ، لا على المصاحف ، كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « إن ربي قال لي قم في قريش فأنذرهم ،
فقلت : أي ربي إذن يتلفوا رأسي ، فقال : إني مبتليكم ومبتلى بك ومنزل
عندك كتابا بالأيغسله الماء ، تقرأه نائماً ، ويقظانا فأبعث حيناً أبعث مثلهم ،
وقتل بمن أطاعك من عساك ، وأنفق أنفق عليك » فما خبر إن كتابه لا يحتاج في
حفظه إلى الصحيفة كما جاء في الكتب الإلهية في نعت أمته عليه الصلاة
والسلام : « أناجيلهم في صدورهم » بخلاف أهل الكتاب انتهى
باختصار .

وستأتيك أيضاً تكلمة لهذه الأبحاث إن شاء الله تعالى فلا تغفل .

قوله : « ما مع علي وهم اتباعه إلى اليوم » .

فنقول هذا كسابقه ، أختلاف حرف وليس اتباع على منذ كان
أمير المؤمنين إلى يومنا هذا يقرأون خلاف ما يقرأ به أهل السنة
والجماعة على الإطلاق ، وليس للشيعة قرآن غير هذا إلى الآن كما
تقدم البحث فيه — فراجع لتحيط خبراً بجواب ما قاله وتعبه ، ولو
كان عثمان رضى الله تعالى عنه زاد أو نقص في القرآن وأن ما جمعه
على رضى الله تعالى عنه يخالفه في شيء ، وإنه إنما لم يظهره
أهلهم للخلفاء الراشدين الثلاثة ، ملاحظة وخوفاً منهم — كما يزعمه
الزنادقة الخارجون وهذا النصراني لكان أظهره حينما وسدا الأمر إليه
وصار هو الخليفة ، وليس له معارض ولا سيما في الكوفة ، بل كان
يلزم أن يقاتل على إظهاره لأنه رضى الله تعالى عنه لما آت إليه
المخالفة ، ونازعه فيها معاوية بن أبي سفيان — رضى الله تعالى عنه .

قائله عليها ، فلم يقاتل على القرآن وهذه الأدلة تدفع كل زور وبهتان .

قوله : « وقوم يقرأون بقراءة الاعرابي » . الى آخره .

قد بينا آنفا بطلان هذه الكلمات ، فلا حاجة الى التكرار .

قوله : «وطائفة تقرأ بقراءة ابن مسعود» الى آخره .

لا يخفى عليك مما مر ان الجواب عن هذا أيضا يستفاد منه ، ومما سيأتى أيضا إن شاء الله تعالى .

قوله : « يقول صاحبك من اراد أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل ، فليقرأ بقراءة ابن ام معبد » .

هذا الحديث ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة والله تعالى أعلم بصحته والذي في صحيح الإمام البخارى عن مسروق ذكر عبدالله ابن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، فقال : « لا أزال أحبه سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : خذوا القرآن من أربعة من عهد الله ابن مسعود ، وسالم ، ومعاذ ، وأبى بن كعب » .

قوله : « وكان يعرض عليه في كل سنة مرة وفي السنة التي مات فيها عرض عليه مرتين » .

ظاهر هذا أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعرض القرآن على ابن مسعود في كل سنة مرة ، وفي السنة التي توفي فيها عليه الصلاة والسلام عرضه مرتين ، ولعل هذا النصراني نقل ذلك من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلى فان فيه : « روى عن ابن عباس أنه قال : قراءة ابن أم معبدى القراءة الأخيرة إن رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم كان يعرض عليه القرآن في كل سنة من شهر رمضان، فلما كان العام الذي توفي فيه ، وعرض عليه دفعتين ، نشهد عبد الله ما نسخ منه ، وما صح فهي القراءة الأخيرة اه .

ومعارضة النبي القرآن كانت مع جبريل عليهما الصلاة والسلام ولم تكن مع ابن مسعود ، فكلام النصراني موهم كما لا يخفى . قال الامام البخاري في صحيحه : قال مسروق عن عائشة عن فاطمة رضى الله تعالى عنهما أسر الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن كل سنة ، وانه عارضنى العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلي وغن أبى هريرة مثله والمعارضة مفاعلة كالمداخلة من الجانبين ، كان كلا منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع . قال العلماء ومن الحكم في هذه المعارضة والمدارسة بيان الحكم والمنسوخ ، وتثبيت الحكم . قال الامام ابن حجر في فتح البارى « واختلف في العرصة الأخيرة هل كانت بجميع الأحرف المأذون في قراءتها أو بحرف واحد منها وعلى الثانى فهل هو الحرف الذى جمع عليه عثمان بجميع الناس ، أو غيره وقد روى الامام أحمد وابن أبى داود والطبرى من طريق عبدة بن عمر السلماني أن الذى جمع عليه عثمان الناس ، يوافق العرصة الأخيرة وكذا قال غير واحد من المحدثين وعن ابن عباس أن قراءة ابن مسعود هي الأخيرة ، فلنعلم ما نسخ من ذلك وما يدل» قال ابن حجر وجمع بين التولين بأن العرصتين الأخيرتين وقعتا بالحرفين ، أى هرف ابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، فيصبح إطلاق الأخيرة على كل منهما .

قوله فلما صار الأمر الى عثمان واختلف الناس في القراءة،

الى آخره .

وقد شرحنا لك حال جمع القرآن في أيام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأنه كان محفوظا في صدور الصحابة ، ومكتوبا في الألواح ونحوها وجمعه في أيام أبي بكر رضى الله تعالى عنه أى بأن استنسخ من تلك الألواح والرقاع ومن صدور كتاب الوحي ومن حفظه كأبى بكر فإنه من جملة من حفظه في صدره ، وكزيد بن ثابت وغيره ، ممن عددنا لك أسماءهم فيما سبق ، وجعل عند عمر ، ثم جمعه في أيام عثمان بأن أخذ النسخة التي كانت عند عمر من ابنته حفصة ، واستنسخ عليها النسخ على حرف زيد بن ثابت ، الذى أخذه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو العرضة الأخيرة ، وأرسلها إلى البلاد ، وكان ذلك باتفاق الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

قوله : «اقبل على بن أبى طالب يتطلب العطل على عثمان ، ويتبع العثرات » إلى آخره .

فثقول معاذالله تعالى أن يخطر ببال أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه على عثمان رضى الله تعالى عنه شىء من ذلك . وهو أبرأ الناس من دم عثمان وقد صرح مرارا بذلك وحاشا أمير المؤمنين عليا مما هنالك والعجب من هذا النصراني : أنه يحاول ابطال دين الاسلام القوى الأركان والدعام بشىء لو فرضنا صحته ليس له تعلق بأمر النبوة كيف هو شىء خارج عنها ومكذوب على على كرم الله تعالى وجهه وقد نقل غير واحد من المحدثين والمؤرخين ومنهم ابن الأثير «أن عليا كرم الله وجهه لما دخل الكوفة قام إليه رجل ، فعاب عثمان رضى الله تعالى عنه بجميع الناس على الصحف ، فصاح وقوات اسكت فعلى ملا منا فعل ذلك ، فلو ولبت منه ما ولى عثمان لسلكت سبيله » اه .

ومثل هذه الشبهات تعلقت بها الخوارج والمبتدعة المارقين من دين المسلمين والخارجين عن أهل السنة أجمعين في مسائل الخلافة، وما يتعلق بها لافي أمر النبوة والقرآن المجيد ، إذ ليس في ذلك مدخل عند من ألقى السمع وهو شهيد وحيث أنها بحسب الأدلة الظاهرة لاتعلق لها بحقية دين الاسلام ، أو عدم أحقية فلا يتسنى لنا هنا إطالة الكلام خشية الخروج من الصدر والمراد ، وإلا لشرحنها على أكمل وجه وأبسط نظام ، لاسيما والكتب الاسلامية مملوءة من بيان صحيحها وبسط أبحاثها ورد باطلها وتعليل سقيمها والتنبيه على موضوعها وضعيفها ومن أرادها فليرجع الى محالها ، على أننا ذكرنا ما يكذب هذا النصراني وميزانا حال أكاذيبه في كلماته هذه وما يليها من المختلقات والتمويه ، بحيث لا يخفى على نبيه ، فافهم .

قوله : «وإما ابن مسعود فطلبوا منه أن يدفع إليهم مصحفه» التي آخره لا يخفى عليك ان أكثر كلام هذا النصراني تطويل بلا طائل ، وتكرير خال عن ثمر ، وتهويل وليس تحته الا أكاذيب وأباطيل وقد أخذه أيضا من كلام المبتدعين الطاعنين في السلف الصالح أجمعين، بل من كلام الزنادقة الذين قصدوا من أراجيفهم أن تكون في الملة المحمدية تفرقة ، وقد تقدم بعض ما يتعلق بهذه المسألة ولنكمله الآن لنكشف هذه العصلة ، وذلك أن عثمان رضى الله تعالى عنه لما استخرج المصحف الذي جمعه رضى الله تعالى عنه بأمر أبى بكر واستنسخه وجمع الناس عليه - كما شرحناه آنفا - وكان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه إذ ذاك في الكوفة ، وكان قبل جمع عثمان للناس على قراءة واحدة ، يقرءهم ابن مسعود بلغة هذيل فأنكر عمر على ابن مسعود قراءته «حتى حين» أى حتى وكتب إليه ان القرآن لم ينزل بلغة هذيل، فأقرأ الناس بلغة قريش ، ولا تقرءهم بلغة هذيل ، ولما جمع الناس

عثمان رضى الله تعالى عنه على قراءة واحدة ، ثقل ذلك على ابن مسعود لأنه لم يحضر مع الجمع الذين جمعوا القرآن ، أى كتبوه وأثبتوه فى الصحف على الوجه الذى أسلفناه لك ، كما يثقل على الواحد منا تقديم غيره عليه ، وعزله لم يكن بسبب ذلك ، بل الخليفة له أن يعزل أحد عماله بسبب من الأسباب الموجبة ، فلعله رأى غيره أعرف منه أو أقدر أو نحو ذلك •

وأعلم أن مصحف ابن مسعود ليس فيه زيادة ولا نقصان عن المصحف الذى أرسله عثمان الى البلاد ، غير أنه ربما كتب بعض الكلمات على غير لغة قريش ، وترتيب سوره ليست كترتيب سوره أيضا وكان أوله الفاتحة ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران ، ولم يكن على ترتيب النزول ويقال : ان مصحف على كرم الله تعالى وجهه على ترتيب النزول أوله اقسوأ ، ثم المدثر ، ثم ، والقلم ، ثم المزمل ثم تبت ، ثم التكوير ، ثم سبح وهكذا الى آخر المكي ثم المدنى •

قوله : « وامروا زيد بن ثابت » الى آخره •

قد تقدم لك ما بين تمويه هذا النصرانى ، غير أنا لا نترك كلامه هذا عن رد وبيان باطله ، فاستمع ما قال العلامة الخازن فى تفسيره أنه روى الامام البخارى عن زيد بن ثابت قال : بعث الى ابو بكر لمقتل أهل اليمامة ، وعنده عمر فقال ابو بكر : ان عمر جاعنى فقال : ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراءة القرآن كثير ، وأنى أرى أن تأمر بجمع القرآن • قال : قلت لعمر كيف أفعال شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعنى

في ذلك ، حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر عمر ، ورأيت في ذلك الذى رأى عمر ، قال زيد : فقال لى أبو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه ، قال زيد : فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن ، فقلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال أبو بكر هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله له صدر أبى بكر وفى رواية فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله تعالى له صدر أبى بكر وعمر ، ورأيت فى ذل الذى رأياً قاله : فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع : والعصب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمه أو مع أبى خزيمه الانصارى ، فلم أجدها مع أحد غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » الى آخر براءة ، فالحقتها فى سورتها • قال : فكانت الصحف عند أبى بكر حياته ، حتى توفاه الله تعالى ، ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله تعالى ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله تعالى عنهما •

روى البخارى عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام ، فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة • فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ادرك هذ الامة قبل أن يختلفوا فى الكتاب ، اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان الى حفصة : أن أرسلنى اليها بالصحف ، ننسخها فى المصاحف ، ثم نردها اليك ، فأرسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام رضى الله تعالى عنهم فنسخوها فى المصاحف •

وقال عثمان للمهبط القرشيين : اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ، فعلموا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بسوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . *

قال ابن شهاب واخبرني خارجة بن زيد أنه سمع زيد بن ثابت يقول : فقدت آية من سورة الأحزاب حين نسخت الصحف ، قد كنت أسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فألحقناها في سورتها في المصحف . *

قال في رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين عزاد في رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت ، فقال زيد التابوت . * وقيل عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص « التابوت » فرفع اختلفهم إلى عثمان ، فقال : اكتبوه « التابوت » فانه بلسان قريش ، قال العلامة الخازن : قوله حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبي خزيمة الأنصاري . * وفي الحديث الآخر فقدت آية من سورة الأحزاب إلى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » الآية فاعلم ان المذكور في الحديث الأول غير المذكور في الحديث الثاني ، وهما قضيتان فأما المذكور في الحديث الأول فهو ابو خزيمة بن اوس بن زيد بن اصرم بن ثعلبة ابن عمر بن مالك النجار الأنصاري ، شهد بدرًا وما بعدها ، وتوفي في خلافة عثمان ، وهو الذي وجدت عنده آخر سورة التوبة كما ذكره ابن عبد البر ، وأما المذكور في الحديث الثاني فهو أبو عمارة خزيمة

ابن ثابت الفاكهة بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الأوسى الأنصاري ، يعرف بنى الشهادتين ، شهد بدرًا وما بعدها ، وقته يوم صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهما . وقوله : فقدت آية من سورة الأحزاب الى قوله نوجدناها مع خزيمه معناه انه كان يتطلب نسخ القرآن من الأصل الذي كتب بأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وثبت في يديه فلم يجد تلك الآية الا مع خزيمه وليس فيه اثبات القرآن بقوت احواد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلم مؤضعها من سورة الأحزاب بتعليم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرح به الحديث وهو قد كنت اسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ بها . وتتبعه الرجال كان للاستظهار ، لا الاستحداث علم لأن القرآن العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة .

فقد ثبت في الصحيح عن أنس قال : جمع القرآن علي عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد بن ثابت وأخرج الترمذي قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة .

قال الخازن : فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القرآن كان علي هذا التأليف والجمع في زمن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانما ترك جمعه في مصحف واحد لأن النسخ كان يرد علي بعضه ويرفع الشيء بعد الشيء من التلاوة ، كما كان ينسخ بعض أحكامه ، فلم يجمع في مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته لأدى ذلك الى الأختلاف واختلاط امر الدين فحفظ الله تعالى كتابه في القلوب الى

انقضاء زمن النسخ .
ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

وثبت بالدليل الصحيح أن الصحابة انما جمعوا القرآن بين الدفتين كما انزله الله عزوجل على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً . والذي حملهم على جمعه ما جاء مبيناً في الحديث ، وهو أنه كان مكتوباً مفرقاً في العسب واللخاف وصدور الرجال فحافظوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ، ففزعوا الى خليفة رسول رب العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم أبي بكر ، فدعوه الى جمعه فرأى في ذلك رأيهم فامر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم ، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير أن قدموا ، أو أخروا شيئاً ، أو وضعوا له ترتيب لم يأخذه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

وكان عليه الصلاة والسلام يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية : ان هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا . فثبت أن سعى الصحابة كان في موضع واحد لا في ترتيبه فان القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الآن وقد صح في حديث ابن عباس أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرة في رمضان ، وأنه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين : ويقال : ان زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهي العرضة التي نسخ فيها ما نسخ ، وبقي فيها ما بقي . ولهذا أقام فيها أبو بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف والزمه بها لانه قرأ على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين ، فكان جمع القرآن سبباً لبقائه في الأمة ورحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقاً لوعده في

حفظه ، على ما قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »
• ه •

قوله : «فاختلفا في أشياء كثيرة منها التابوت» الى آخره •

نعم قال الامام البخارى في صحيحه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فمسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة - يعنى سعيدا وعبد الله بن وعبد الرحمن اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شىء - وفي رواية شعيب في عربية القرآن - فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم وعن ابن ابي داوود من طريق محمد بن سيرين قال جمع عثمان اثني عشر رجلا من قريش والأنصار ، منهم ابي بن كعب • قال ابن شهاب : فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه • فقال القرشيون : التابوت • وقال زيد التابوه ، فرفع اختلافهم الى عثمان ، فقال اكتبوه التابوت ، فانه نزل بلسان قريش قال الخطيب هذه الزيادة رواها ابن شهاب مرسله ، قاله في فتح البارى • واذا علمت ذلك فأبى بأس فيما هنالك ؟ وأى زيادة في كتابة هذه الكلمة بالتاء أو الهاء ؟ وأى نقصان لأن ما عاد الى اللغة أو علم الخط لا يقال له مغير ، ولا مبدل ولا فاسد • وليت شعري ما يقول النصراني فيما نقلناه ونقله من تحريف كتبهم ، وسنزيدك أيضا من بيان ذلك قريبا ان شاء الله تعالى فتأمل واعرف وانصف •

قوله : « ولم يبق شىء يعلم الا متفرقا مثل ما قيل

سورة النور » الى آخره •

ولا يخفى عليك مما قلناه مرارا ونقلنا تكرارا أن القرآن الكريم

كان مجموعا على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقد روى البخارى عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه من جمع القرآن فى عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ثم قال الحافظ ابن حجر بعد ان بسط البحث ما نصه : « والذى يظهر من كثير من الأحاديث ان أبا بكر كان يحفظ القرآن فى حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم عن على أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأخرج النسائى بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر قال جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة ، فيبلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : « اقرأه فى شهر » الحديث • وقد تقدم ذكر ابن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة وكل هؤلاء من المهاجرين • وقد ذكره أبو عبيد القراء من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة ، وطلحة وسعد ، وابن مسعود وحذيفة وسالم وأبا هريرة وعبد الله بن المسائب والعبادلة ، ومن النساء وحفصة وأم سلمة • واعد ابن أبى داود من المهاجرين أيضا تميم بن اوس الدارى وعقبة بن عامر ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذ الذى يكنى أبا حليمة ومجمع بن حارثة وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وغيرهم وصرح بأن بعضهم انما جمعه بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم •

وممن جمعه أيضا أبو موسى الأشعري • وعد بعض المتأخرين من القراء عرو بن العاص وسعد بن عباد وأم ورقة » اه •

فاذا كان هؤلاء قد جمعوا القرآن على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم كتبوه ورتبوه أيضا فى عهد أبى بكر رضى الله تعالى عنه

بمحضر من الصحابة ، ثم استنسخ ذلك عثمان رضى الله تعالى عنه في خلافته بمحضر من الصحابة القراء - الحافظين ، فكيف يتصور عاقل أنهم يحذفون منه شيئاً مع شدة حرصهم على محافظة القرآن ؟ وكيف يمكن سكوت الباقيين وهم الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ؟ وكيف يتصور أن يقرهم على ذلك على بن ابي طالب ؟ واذا فرضنا سكوته قبل خلافته فكيف يتصور أن يسكت أيام خلافته ويكتم ايضاً ببعض آيات القرآن كما كتّمها بزعم الزنادقة الخلفاء الراشدين قبله ، مع أن خلافته فرع لثبوت القرآن ؟ فإذا كان قد تقاتل في الجمل وضمين وهو المحق على أمر دون أمر القرآن ، فلم لم يتقاتل على اظهار جميع كتاب الله تعالى ؟ ولم لم يعلن ذلك أيام خلافته في الكوفة وأمره مطاع ؟ وقوله متبع وفي هذا وغيره دلائل على رد ما يزعمه أعداء المسلمين من الخوارج والزنادقة من اخفاء الصحابة لبعض الآيات الكريمة ، كما لا يخفى على كل ذى نفس منصفة .

قوله : « وكذلك قالوا في براءة ايها لم يوجد بينها وبين الأنفال فصل يعرف فلم يفصلوها بالبسمة » .

لا يخفى عليك مما قدمناه لأن براءة لما كانت نازلة لنقض العهد الذى كان بين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمشركين ، وبعث بها النبي عايه الصلاة والسلام على بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه ، فقرأها عليهم ، ولم يبهمل في ذلك على ما جرت به عادة العرب في نقض العهد من ترك البسمة ، لأنها أمان وبراءة نزلت بالسيف تركت البسمة في أولها . واما وجودها في مصحف ابن مسعود رضى الله عنه أن صح فيجاب عنه أن جمهور الصحابة لما وقع اتفقهم على ذلك ، علمنا أنهم علموا شيئاً لم يعلمه ابن مسعود ولعل ابن مسعود قياس

هذه السورة على سائر السور فأثبت في أولها البسمة ، وغيره من كتاب الوحي والخلفاء الراشدين لما علموا اخلاف ما ظنه ، لم يثبتوها في المصاحف فأى غبار يعتري جمع الصديق وذو النورين من اسقاطها في أول هذه السورة ؟ وأى نقص ينسب اليهما وإلى سائر الصحابة ؟ والشأن ما ذكرناه آنفا فما هذا الاعتراض الأساويس شيطانية ، ودسائس زنديقية ، وشبهات من الخوارج على السنة النبوية .

قال الشيخ الامام الوالد في الفائدة السادسة أول تفسيره مانصه « والذي ينشح له صدر هذا الفقير ، هو ما أنشرحت له صدور الجيم الغفير : أن ما بين اللوحين الآن موافق لما في اللوح المحفوظ من القرآن وحاشا أن يهمل صلى الله تعالى عليه وسلم أمر القرآن وهو نور نبوته وبرهان شريعته ، فلا بد اما من التصريح بهواضع الآي والسور واما من الرمز اليهم بذلك ، واجماع الصحابة في المال على هذا الترتيب وعدولهم عما كان أولا من بعضهم على غيره من الأساليب ، وهم الذين لا تليل قناتهم لباطل ، ولا يصددهم عن اتباع الحق لوم لائم ولا قول قائل ، أقوى دليل على أنهم وجدوا ما افادهم علما ، ولم يدع عندهم خيالا ولا وهما وعثمان رضى الله تعالى عنه وان لم يقف على ما يفيدده القطع في براءة والانفال ، وفعل ما فعل الله تعالى بناء على ظنه ، الا ان غيره وقف وقبل ما فعله ، ولم يتوقف .

وكم لعمر رضى الله تعالى عنه موافقات لربه أدى اليها ظنه ، فليكن لعثمان هذه الموافقة التي ظفر غيره بتحقيقها من النصوص والرموز فسكت على ان ذلك كان قبل ما فعل عثمان رضى الله عنه عند التحقيق ولكن لما رفعت الأقلام وجفت الصحف واجتمعت الكلمة في أيامه واقتدت المسلمون في سائر الآفاق بامامته ، نسب ذلك اليه وقصر من دونهم

عليه ، وبالجملة بعد إجماع الأمة على هذا المصحف لا يفتى أن يطبخ إلى
إجماع الأخبار ولا يشرأب إلى تطبع غرائب الآثار ، فانهم تلك والله تعالى
يتولى هداك » أه .

قوله : « ومثل قول ابن مسعود في المعوذتين » إلى آخره .

نعم إن ابن مسعود كان يقول : لا تخلطوا القرآن بها ليس منه .
إنهما ليستأمن كتاب الله تعالى إنما أمر النبي ﷺ أن يتعوذ بهما . قال
الجزار : لم يتابع ابن مسعود رضى الله عنه أحدا من الصحابة ، وقد صح
عن رسول الله ﷺ أنه قرأ بهما فى الصلاة وأثبتنا فى المصحف وأخرج
الإمام أحمد بن حنبل والبخارى والنسائى وغيرهم عن رزين بن حبيش ،
قال : أتيت المدينة فطقت أبى بن كعب فقلت له يا أبا المنذر أتى رأيت ابن
مسعود رضى الله عنه لا يكتب المعوذتين فى مصحفه ، فقال : والذى بعث
محمدنا ﷺ بالحق ، لقد سألت رسول الله ﷺ عنها وما سألتى عنهما أحد
منذ سألته غيرك قال قيل لى قل فقلت فقولوا ، فنحن نقول كما قال رسول
الله ﷺ .

قال القرطبى زعم ابن مسعود رضى الله عنه أن هاتين السورتين
دعاء يتعوذ به ، وليستا من القرآن وقد خالف الإجماع من الصحابة ،
وأهل البيت ونقل فى فتح البيان عن بعضهم أنه إنما لم يكتب المعوذتين
لأنه أمن عليهما من النسيان ، فأسقطهما وهو يحفظهما كما أسقط فاتحة
الكتاب من مصحفه ، وهو جواب كما ترى وأخرج مسلم والترمذى
والنسائى وغيرهم عن عقبة بن عامر قال ، قال رسول الله ﷺ « أنزلت على
الليلة آيات لم أر مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس »
وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ
« من أحب السور الى الله تعالى : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب
الفلق » والآثار فى ذلك كثيرة تدفع كل شك والتباس ، وإنه لا عبرة بعدها
ويعد الإجماع من الصحابة وجميع المسلمين الى مخالفة ابن مسعود رضى الله

عنه اذ المثبت مقدم على النافي لا سيما وابن مسعود غير معصوم ، وقد يخطىء في اجتهاده فتخطئته اولى من تخطئته من هو اعلم منه ومن نسبة الخطا الى جمهور الصحابة والمسلمين عقلا ونقلا كما لا يخفى .

وقال الوالد عليه الرحمة : « وانت تعلم انه قد وقع الاجماع على قراعتها وقالوا ان انكار ذلك اليوم كفر ، ولعل ابن مسعود - رضى الله تعالى عنهم فى بعض سور القرآن مروى بالاحاد المفيدة للظن ومجموع القرآن منقول بالتواتر المفيد لليقين ، الذى يضحل الظن فى مقابلته فذلك الاحاد بها لا يلتفت اليها .

ثم ان سلمنا اختلافهم فيما ذكر ، قلنا انهم لم يختلفوا فى نزوله على النبي ﷺ ولا فى بلوغه فى البلاغة حد الاعجاز بل فى مجرد كونه من القرآن وذلك لا يضر فيما نحن بصدده « اه .

وعكس هذا القول فى سورتي الخلع والحفد اللتين سيذكرهما هذا النصرانى ، وفى الفاظهما روايات منها ما ايقنت به الحنفية ، وقد روى انهما فى مصحف ابن عباس رضى الله عنهما وابن مسعود رضى الله عنه فهما ان صح انهما كلام الله تعالى منسوخا التلاوة ، وايضا من القرآن كما لا يخفى اه .

قوله : « ومثل قول عمر على المنبر لا يقولون احد آى الرجم ليست فى كتاب الله » الى آخره .

نعم هذا فى صحيح الامام البخارى من حديث طويل ولفظه : « ان الله بعث محمدا ﷺ بالحق ، وانزل عليه الكتاب ، فكان مما انزل الله تعالى آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ووعيناها ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى ان طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، والرجم فى كتاب الله حق على من زنى ، اذا أحصن من الرجال والنساء ، اذا قامت البينة ، او كان الحبل أو الاعتراف » وفى رواية الشيخ البخارى على بن عبد الله :

وقد قرأناها « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة » وقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده . ورواه أيضا في الموطأ عن يحيى بن سعيد ابن المسيب قال لما صدر عمر رضى الله عنه من الحاج وقدم المدينة خطب الناس ، فقال : « أيها الناس قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض ، وتركتم على الواضحة » ثم قال : « اياكم أن تهلكوا عن آية الرجم أن يقول قائل لا نجد حدين في كتاب الله ، فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا ، والذي نفسى بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبته بيدي » الشيخ والشيخة اذا زنيا ، فارجموهما البتة » وفي رواية « نكالا من الله والله عزيز حكيم » وفي رواية « لكتبته في آخر القرآن » وأخرج هذه الجملة النسائي من حديث أبي بن كعب قال ولقد كان فيها أى سورة الأحزاب آية الرجم الشيخ والشيخة الى آخره وفي رواية « البتة بما قضيا من اللذة » وعن هذا أجوية ، منها أن هذه منسوخة التلاوة لا الحكم ، والقرآن ثبت بالتواتر ، والدليل القطعى ، وهذه بخبر الأحاد وهو لا يقود الا الظن ، وأما حكمها فهو ثابت بالنسبة المتواترة والاجماع ومنها ما قاله الحافظ ابن حجر في فتح البارى أخرج النسائي أن مروان بن الحكم قال لزيد بن ثابت ألا تكتبها في المصحف ؟ قال : لا ألا ترى أن الشابين الثيبين يرجمان ؟ ولقد ذكرنا ذلك فقال عمر أنا أكفيكم فقال يا رسول الله أكتبنى آية الرجم قال لا أستطيع .

ورويانا في فضائل القرآن لابن الفريسي من طريق يعلى ، وهو ابن حكيم عن زيد بن أسلم أن عمر خطب الناس فقال لا تشكروا في الرجم فانه حق ، ولقد هممت أن أكتبه في المصحف فسألت أبى بن كعب فقال أليس اننى وأنا استقرؤها رسول الله ﷺ فدفعته في صدرى ، وقلت : استقرأه آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحمر» ورجاله ثقات . وفيه اشارة الى بيان السبب في رفع تلاوتها ، وهو الاختلاف وقال الحاكم من طريق كثير بن الصلت قال « كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص يكتبان في المصحف ، فمرا على هذه الآية فقال زيد سمعت رسول الله ﷺ يقول « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة » فقال عمر لما نزلت أتيت النبى ﷺ فقلت أكتبها

فكانه كره ذلك فقال عمر الأقرى أن الشيخ إذا زنى ولم يحصن جلده ، وإن الشاب إذا زنى وقد احصن رجم « فليستفاد من هذا الحديث السبب في نسخ تلاوتها لكون العمل على غير المظاهر من عمومها أهـ .

أى لأن الثيب والشيبة يرجمان ولو كانا شابين وغيرهما إذا زنى
يجلد مائة جلدة .

وقال الشيخ الإمام الوالد عليه الرحمة عند تفسير قوله تعالى :
« الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » ما بعثه « والحكم عام فيمن زنى وهو محصن ، وفي غيره ، لكن نسخ في حق المحصن قطعاً فان الحكم في حقه الرجم ويكفي في تعيين الناسخ القطع بأمره ﷺ بالرجم ، وفعله في زمانه عليه الصلاة والسلام مرات ، فيكون من نسخ الكتاب بالسنة القطعية وقد أجمع الصحابة رضي الله تعالى عنهم من تقدم من السلف وعلماء الأمة وأئمة المسلمين على أن المحصن يرجم بالحجارة حتى يموت ، وإنكار الخوارج ذلك باطل لأنهم إن أنكروا حجية إجماع الصحابة رضي الله عنهم فجهل مركب ، وإن أنكروا وقوعه من رسول ﷺ لانكارهم حجية خبر الواحد ، فهو بعد بطلانه بالدليل ، ليس مما نحن فيه ، لأن ثبوت الرجم منه عليه الصلاة والسلام متواتر المعنى ، كشجاعة على كرم الله تعالى وجهه ، وكجود حاتم . والآحاد في تفاصيل صورته وخصوصياته في وجوب العمل به كالتواتر معنى ولفظاً . وهم كسائر المسلمين إلا أن انحرافهم عن الصحابة والمسلمين وترك التردد إلى علماء المسلمين والرواة ، أوقعهم في جهالات كثيرة لخفاء السمع عنهم والشهرة . وكذا حين اعترضوا على عمر بن عبد العزيز في القول بالرجم من كونه ليس في كتاب الله تعالى ، ألزمهم بأعداد الركعات ومقادير الزكوات فقالوا ذلك من فعله عليه الصلاة والسلام والمسلمين ، فقال لهم : وهذا أيضاً كذلك (١) وقد كوشف بهم

(١) في رأينا أنه ليس كذلك . لأن أعداد الركعات هي تفسير آية في القرآن هي « وأقيموا الصلاة » والرجم ليس تفسيراً لآية ، وإنما هو من النسفة المنقاة .

عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكاشف بهم حيث قال كما روى البخارى :
« خشيت أن يطول بالناس زمان ، حتى يقول قائل لا نجد المرجم فى كتاب
الله تعالى ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله عز وجل ، إلا وإن الرجم حق
على من زنى ، أحسن (٢) إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الإعراف » .

وروى أبو داود أنه رضى الله تعالى عنه خطب وقال « ان الله
عز وجل بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه كتابا فكان فيها أنزل عليه آية
المرجم يعنى بها الشيخ والشيخة اذا زنيا » الى أن قال « وانى خشيت
أن يطول بالناس زمان فيقول قائل : لا نجد الرجم » الحديث وقال : « لولا
أن يقال ان عمر زاد فى الكتاب كتبها على حاشية المصحف الشريف » .

ومن الناس من ذهب الى أن الناسخ الآية المنسوخة التى ذكرها
عمر ، وقال ابن المهام : كون الناسخ السنة القطعية أولى من كون الناسخ
ما ذكر من الآية لعدم القطع بثبوتها قرآنا ثم نسخ تلاوتها وإن ذكرها غير
— رضى الله تعالى عنه — وسكت الناس ، فإن كون الإجماع السكوتى
حجة مختلف فيه وبتقدير حجيته لا نقطع بأن جميع المجتهدين من الصحابة
رضى الله تعالى عنهم كانوا لذ ذاك حضورا ، ثم لاشك فى أن الطريق فى
ذلك الى عمر رضى الله تعالى عنه ظنى . ولهذا والله تعالى أعلم قال على
كرم الله تعالى وجهه حين جلد شراخه ثم رجمها « جلدتها بكتاب الله تعالى
ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ » (٣) ولم يعلل الرجم بالقرآن المنسوخ
التلاوة ، ويعلم من قوله المذكور كرم الله وجهه أنه قائل بعدم نسخ
عموم الآية فيكون رأيه أن الرجم حكم زائد فى حق المحسن ثبت بالسنة ،
وبذلك قال أهل الظاهر . وهو قوله المذكور كرم الله تعالى وجهه وهو أنه
قائل بعدم نسخ عموم الآية فيكون رأيه أن الرجم حكم زائد فى حق المحسن
ثبت بالسنة ، وبذلك قال أهل الظاهر وهو رواية عن أحمد بن حنبل « انتهى
المراد منه » .

(٢) لو طلق وأصبح بلا زوجة وزنى يجلد فقط لأن الإحصان منتف عنه
فى هذه الحالة . (المعقوبة لأبى زهرة)
(٣) فى إقامة حدين اشكال بين الفقهاء .

وعلم منه أيضا أن القرآن لا يمكن لأحد أن يزيد فيه شيئا أو ينقص
عما كان في حياة النبي ﷺ ولو كان يمكن ذلك ، لما قال عمر ما هنالك ، وعلم
أيضا أنه لم يكن مقصوده الزيادة فيه ، بل مقصوده التنبيه على أن الرجم
نزلت فيه آية ثم نسخت تلاوتها وبقي حكمها كما تقدم والله تعالى أعلم .

قوله : « ومثل قوله في آخر خطبة خطبها : انى لا أعلم أن أحدا
قال ان المتعة ليست في كتاب الله ، بل كنا نقرأ آية المتعة » الى آخره .

لا يخفى عليك أن هذا النصرانى مع نقله الأكاذيب والمخترق العجيب
الغريب ، يخطب خبط عشواء ، وأنه في رده هذا كمن كلف نفسه حمل
رضوى وقد خلط خلطا يضحك الثكلى ، لأن مسألة المتعة في النكاح
قد قام بتحريمها عمر رضى الله تعالى عنه أتم القيام ، وتوعد من يأتى بها
بالحد من الخاص والعام ، وقد ملئت من النزاع فيها بطون الأسفار والشريعة
ندعى جوازها عن غلى — كرم الله تعالى وجهه — وأهل البيت ، وتمسك
ببعض الآيات القرآنية مثل ما فى سورة النساء من قوله تعالى : « فما
استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن
به من بعد الفريضة ان الله كان عليهما حكيمًا » وأهل السنة والجماعة يدعون
تخريمها مستدلين بآيات كثيرة منها قوله تعالى : « فمن ابتغى وراء ذلك
فأولئك هم العادون » وبأقوال الصحابة والعترة الطاهرة ولا سيما بمنع
عمر رضى الله تعالى عنه عنها واطهاره لتخريمها . والنزاع من أهل المذهبين
مشهور قائم فى البين ، ولم يدع أحد من المسلمين أن آية كانت فى المتعة
مرفعت واسقطت .

وهذا القول لم ينقله أحد عن عمر ولا عن غيره من الصحابة والتابعين ،
فهو اختلاف صرف وجهل ظاهر ، والذي قاله عمر فى المتعة انها هو
بخلاف هذا .

نعم زعم بعض الشيعة أن عبد الله بن مسعود كان يقرأ بعد قوله

تعالى « منهن لى أجل » وهى رواية لا تعتبر وليست بصحيحة ، ولو سلمنا ورودها عنه فيجاب عن زيادة هذه الكلمة وهى « الى أجل » فى الآية بالنسخ أو بخبر الواحد كما مر فى نظائرها لا سيما والقراءة المشورة المتواترة تخالفها والمسألة معروفة مشهورة بين المسلمين ، وليس القصد هنا اثبات صحة أحد المذهبين لأن ذلك عائد الى المسلمين وقد فصل فى الكتب أدلة الطرفين ، بل المقصد رد كلام هذا النصرانى وبطلان ما نسبته الى غير رضى الله تعالى عنه وأنه خبط وخط ، اذا الأمر بالعكس كما علمت فلا تغفل .

قوله : « وهما سورتان القنوت والوتر » ولم يفرق هذا النصرانى بين القنوت والوتر فجعلهما سورتين ، مع أن القنوت الدعاء الذى يكون فى آخر صلاة الوتر فى العشاء الأخيرة ، والوتر ليس بسورة بل هو صلاة كما لا يخفى على كل مسلم ، وجواب هذا قد تقدم لك فى بحث المعوذتين ، وأن هذا من المنسوخ التلاوة أيضا قال تعالى فى سورة البقرة : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » على أننا اذا فرضنا المحال وقتلنا أن هاتين الآيتين من القرآن فأسقطنا فى الجمع منه ، وبقيتا محفوظتين مقروعتين فى صلاة الوتر فى كل ليلة ، فما يضرنا ذلك شيئا لأنهما باقيتان فى صدور المؤمنين ، وفى كتبهم العلمية ومعمول بتلاوتها فى صلاة الوتر عند الأئمة الحنفية والحنبلية .

غير أنه ليت شعرى لم نسيت الأمة النصرانية ما وقع من التحريف والحذف واسقاط آيات وأسفار فى الكتب السماوية ، وقد ذكرنا لك كثيرا من ذلك فى كتابنا هذا ، ولنذكر لك هنا مثلا واحدا وهو ما نقله فى السفر العاشر من يشوع فى النسخة المطبوعة فى الموصل سنة ١٨٧٥ ما نصه : « أليس هذا مكتوب فى سفر البار » قال شارحه فيه : « المظنون أن هذا سفر البار هو المذكور فى سفر العدد ، وهو من جملة الكتب المفقودة . والبائن أن كل ما كان فى ذلك السفر من الأمور المهمة المتعلقة

بالديانة قد نقل الى الأسفار المنزلة التي بأيدينا فلا يغمها ففده كثيرا *
انتهى بلفظه .

فقد تبين منه أن جملة كتب سماوية مفقودة عندهم وأن هذا السفر
من الأمور المهمة المتعلقة بالديانة ، وأنه مفقود أيضا وأنه يظن أنه هو
المذكور في سفر العدد والظن لا يفتى من الحق شيئا ، ويزعم أن هذا لعملة
نقل الى الأسفار التي بأيديهم ، وهو قول بلا دليل أيضا ثم انه يعزى نفسه
أنه لا يغمه ففده كثيرا ، يعنى بل يغمه قليلا ، ونحن معاشر المسلمين لم ندع
أنا فقدنا من القرآن شيئا (٤) فانظر وميز الحى من اللى .

قوله : « وكذلك آية المتعة » الى آخره . فقد تقدم الكلام فيها وفى
خطبه وعدم صحة ما يرويه ، وإذا سلمنا أنه كان يضرب على قراءة الآية
للتسوية فهو عين الصواب والحكمة . لأن الآية إذا كانت منسوخة
وقرأها بعض من لم يعلم بتسخها ، وأصر على ذلك فللإمام تعزيره بما يليق ،
وهذا من الأدلة الواضحة على أن القرآن الذى جمعه أبو بكر وعثمان هو
الذى كان فى عصر النبى ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ، وهو كان غير ذلك
لأظهره على ، وعزر على خلافه ، كما عزز هنا على دعوى النصرانى كما
لا يخفى .

قوله : « وبقي مصحف عبد الله بن مسعود » الى آخره ، هذا كذب
ظاهر وليس لابن مسعود رضى الله تعالى عنه مصحف الآن ولا فى زمن
المؤمن .

(٤) كان يجب على المؤلف أن يفرق بين أمرين . أولهما : النص
القرائى نفسه . وثانيهما : الأقوال التى كتبت حول النص . ونعما فعل
فى نقد التوراة فإنه أتى بالنص وأتى بأقوال الشراح فيه وأثبت التحريف
منهما معا . أما القرآن فالنص فيه صحيح . وأما الأقوال فان يهودا ونصارى
وزنادقة قد تظاهروا بالاسلام وكتبوا حول النص كلاما يشكك فيه . وكان
يجب على المؤلف أن يتوسع فى بيان هذا الأمر . لأن الاشكال فى الأقوال ،
وبها يطعن الإعداء فى الدين .

قوله : « وكذلك مصحف علي بن أبي طالب عند أهله » وهذا أيضا كذب ظاهر وليس عند آل علي مصحف غير هذا الموجود الآن ، من متقدم الزمان ، ولا عند أهل البيت ولا عند شيعة ، ولم يقل أحد أن عندهم مصحف عثمان أبدا .

وقال عصرينا أبو الفضل الشيخ عباس بن الشيخ حسن آل الشيخ جعفر النجفي الشيعي في رسالة له بعد أن رد قول من يقول أن محققى الشيعة تقول بتحريف القرآن بالزيادة والنقصان ما لفظه (5) : « اتفق علماء الإسلام والمنتسبين إليه من الأنام على حجية الكتاب الكريم ، وأنه هو الموجود بين الدفتين الذى تداولته وتبركت به أئمة الدين من عهد النبى ﷺ الى الآن ، وأنه كان فى بيت حفصه رضى الله تعالى عنها فأخذه عثمان رضى الله تعالى عنه وجمعه ، ثم عرضه على المهاجرين والانصار ، فلم يطعنوا فيه بل قبلوه . ويكفى فى عدم تحريفه قبول أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه وعدم الطعن فيه ، مع أنه ربما كان ينقم على عثمان بعض الأمور ، فلو كان نى القرآن خلل وتحريف لكان الاعتراض به عليه أولى من كل ما نقم به . نعم تذكر كثير من علماء الشيعة أن علينا كرم الله تعالى وجهه جمع قرآنا فيه زيادات على ما جمعه عثمان رضى الله تعالى عنه ، وذكروا أن القرآن كان ينزل منجما على حسب الوقائع ، وأن كتاب الوحي كانوا اربعة عشر رجلا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وكان على رضى الله تعالى عنه منهم ، وكان ينفرد عن كتاب الوحي بأنه كان يكتب ما ينزل اليه فى خلواته ومنازله ، ومن هنا كان به زيادة .

(5) ليس عند الشيعة قرآن غير القرآن الذى هو عند السنين . وجماعة من السنين الذين يتاجرون بالدين قد أشاعوا هذا عنهم ليكسبوا وجاهة بين المسلمين بتظاهرههم بأنهم غيورون على الدين . والله يشهد انهم لكاذبون .

وفى كتب الشيعة : أن النبى ﷺ كتب القرآن فى حياته على النحو الموجود الآن ، ولم يكتبه أبو بكر رضى الله عنه ولا عثمان . وليس فيه أدنى شك ولا شبهة . وهذا الأمر محقق . ولا يقدر أحد أن ينكره .

وقال الصدوق — وهو من أجل علماء الشيعة — ان تلك الزيادة كانت من الأحاديث القدسية ، أى ليست من القرآن العظيم ، وأن عثمان رضى الله تعالى عنه أسقطها من المصحف « انتهى » .

وقد أطال الكلام فى تبرئة الشيعة من القول بهذه المقالة الشنيعة ، وإن من روى منهم فى ذلك حديثا عن الأئمة أو غيرهم فهو مضعف أو مردود أو مكذوب أو ماوّل بتأويل حسن ، تتشرح له الصدور والمقلوب فافهم والله تعالى أعلم .

قوله : « ثم كان من أمر الحجاج » الى آخره أيضا كذب ظاهر واقتراء لا يخفى على الأكابر والأصاغر وقد شرحنا لك أمر « الحجاج » سابقا فتذكر .

قوله « وأنت تعلم كيف اتسقت الاخبار . ليت شعرى . كيف غفل عن التناقض والاختلاف والتحريف الذى فى كتبهم ، مما تقدم لك بعضه وستأتيك بقية منه ان شاء الله تعالى ، حتى يحزر ما يحزر .

قوله : « وكثر التخليط فى كتابك » يقال للنصرانى هنا يصدق عليك المثل الشهير « رمتنى بدائها وانسلت » .

قوله : « بل هو متناقض كله » الخ قال الامام السيوطى فى كتابه الاتقان : « ان بعض الآيات التى يزعم بعض الملاحدة أو الجهلة أنها توهم المتناقض والتعارض قد أفردها بعض العلماء بالتأليف وبين « قطرب » فيها صنفة فى ذلك عدم الاختلاف وانه يقع للجاهل أو الميتدىء ما يوهم اختلافا وليس به فى الحقيقة وكلامه تعالى منزه عن ذلك كما قال سبحانه وتعالى « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ومن المعلوم أن هذا القرآن العظيم نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهرانى قوم ، كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمرا أو عليه مطعنا . فلو كان ما يزعمه الملحد والجاهل متناقضا عندهم لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه ولكن القوم علموا ، فلم ينكروا منه ما ينكره الجاهل « انتهى باختصار وتلخيص .

وسئل الامام الغزالي عن معنى قوله تعالى « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » فأجاب الاختلاف لفظ مشترك بين معان وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه ، بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن يقال هذا كان مختلف أى لا يشبه أو له آخره فى الفصاحة أو هو مختلف أى بعضه يدعو الى الدين وبعضه يدعو الى الدنيا أو بعضه مختلف النظم فبعضه على وزن الشعر وبعضه منزحف وبعضه على أسلوب مخصوص فى الجزالة وبعضه على أسلوب يخالفه ، وكلام الله عز وجل منزّه عن هذه الاختلافات ، فانه على منهاج واحد فى النظم مناسب أوله آخره على درجة واحدة فى غاية الفصاحة ، فليس يشتمل على الغث والسمين ، ومسوق لمعنى واحد ، وهو دعوة الخلق الى الله تعالى وصرافهم عن الدنيا الى الدين ، وكلام الآدميين تنطرق اليه هذه الاختلافات اذ كلام الشعراء والمترسلين اذا قيس عليه وجد فيه اختلاف فى منهاج النظم ثم اختلاف درجات النصاحة ، حتى يشتمل على الغث والسمين فلا تتساوى رسالتان ولا قصيدتان بل تشتمل قصيدة على بيان وأبيات سخيفة ، وبذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراض مختلفة لأن الشعراء والفصحاء « فى كل واد يهيمون » فتارة يمدحون الدنيا وتارة يذمونها وتارة يمدحون الجبن ويسمونهم خرجا وتارة يذمونهم ويسمونهم ضعفا وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونهم جراً وتارة يذمونهم ويسمونهم تهورا ، ولا ينفك كلام آدمى عن هذا الاختلاف . لأن منشأها اختلاف الأغراض والأحوال والانسان تختلف أحواله فتساعده الفصاحة عند التبساط الطبع وفرجه ، ويتعذر عليه عند الانقباض . وكذلك تختلف اغراضه فيميل الى الشئ مرة ويميل عنه أخرى ، فيوجب ذلك اختلاف فى كلامه بالضرورة . ولا تصادف انسانا يتكلم فى ثلاث وعشرين سنة ، وهى مدة نزول القرآن ميتكلم على غرض واحد ، ومنهاج واحد . ولقد كان النبى ﷺ بشر تختلف أحواله فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجدوا فيه اختلافا كثيرا « انتهى فليغهم .

ثم ان بقية كلامه هنا يعلم منها لكل فطن بآدنى تأمل تهافتة وكذبه وتمويهه وتناقضه ، وتعرف أيضا أجوبته مما أسلفناه لك مفصلا ومجھلا

ومما سيأتى أيضا زيادة على ذلك ، فلا تتعب القلم زيادة رده وليقف في جزره عن مده والله تعالى يتولى هدانا وهداك .

الخاتمة فيما يتعلق بكتب العهد القديم ، وهى التوراة وما يتبعها وكتب العهد الجديد وهى الأناجيل الأربعة وما يتبعها من رسائل الرسل . على طريق الاختصار ليتين من حال كتبهم وأناجيلهم الفرق بينها وبين الفرقان لأنه كما قيل وبصدها تتميز الأثنى عشر لذي الفرقان .

فى الكتاب المطبوع بمطبعة المرسلين اليسوعيين فى بيروت سنة ١٨٧٧ الذى هو فى رد قول البروتستانت ان التوراة وحدها دون كل ما سواها ما لفظه : « فمهلا يا سادة ان المسألة ليست بسيطة كما ترونها ، اعتبروا أولا أن التوراة التى اتصلت الينا من الرسل وتداولها عوم المسيحيين أى الكاثوليك ووجدوا « لوتيروس » منبثة فى العالم بأسره ، انما هى التوراة الكاثوليكية لا سواها ، والحال ان هذه التوراة ليست بتوراتكم بل تحالفها جوهريا فنقول والحالة هذه : وان لم يكن عندكم الا توراة واحدة بعينها بدلا من الألوف التى قد أوجدتموها فلا تزال صادقين فى قولنا انه توجد توراتان أى التوراة الكاثوليكية والتوراة البروتستانتية فان سالناكم أيتها الصحيحة ؟ أجبتم أن توراتكم هى الصحيحة الا انكم لا تستطيعون أن تثبتوا قولكم هذا ، ولأن تدحضوا الحجج التى نثبت بها أن التوراة الكاثوليكية هى الصحيحة وحدها فلا بد لكم اذن أن تبقىوا مترددين بين الشك واليقين ، وتقولوا : من الممكن أن التوراة الكاثوليكية القديمة وحدها تكون أيضا وحدها صحيحة ، فليس اذن من الأمور المؤكدة أن توراتنا هى الصحيحة » اهـ

فتبين من اقرار النصارى أن لهم توارتين وكل واحدة منهما مغايرة للأخرى والبروتستانت يزعمون صحة نسختهم وفساد نسخة الكاثوليك والكاثوليك يزعمون العكس ، فتحقق : أن احدهما فاسدة محرفة باقرار الطرفين ، وهى لا تعرف ، فتحقق ، وعم الفساد فى الاثنتين وعدم الاعتماد على النسختين .

ثم أن الكاثوليك والبروتستانت كل منهم يزعم أن توراة السامرية مخرفة والسامرية تزعم أن توراتي الفرقتين مخرفة فلم يبق اعتماد على الجميع وهو المطلوب والله الحمد .

وأما الأناجيل فنبدأ أولا بعبارة انجيل لوقا التي افتتح انجيله بها مع كلام مفسريهم عليها ليتبين أن أناجيلهم الموجودة الآن ليست الهامية ولا الفاظها مسيحية ، بل كل صاحب انجيل من هذه الأناجيل الأربعة وغيرها أتت كتابا يذكر فيه أحوال المسيح عليه السلام وبعض ما وقع له والفاظا يسيرة من كلامه ، مع اختلاف كثير فيها بينها كما لا يخفى على كل متتبع بصير .

قال لوقا في أول انجيله ما لفظه : « لأجل أن كثيرين اجتهدوا بترتيب قصص الأمور التي كملت فينا كما عاهد الينا أولئك الذين كانوا منذ البدء يبصرون وكانوا خداما للكلمة رأيت أنا أيضا إذ كنت تابعا لكل شيء من البدء باجتهاد أن أكتب اليك ثاوفيلا العزيز كرتبة الأمر ، لتعرف حقائق الكلام الذي وعظت به » انتهى .

وقال الخورى يوسف الياس في تفسيره الطبع في بيروت سنة ١٩٦٨ ما عبارته : « بشارة مار لوقا البشير كذا عنونت هذا الانجيل النسخة السريانية التي طبعت في روما سنة ١٧٠٢ وعنون غيرها من النسخ السريانية باسم ربنا والهنا يسوع المسيح نكتب الانجيل المقدس الذى هو بشارة لوقا الانجيلى التى تكلم بها مبشرا باليونانية في مدينة الاسكندرية العظمى ، وعنوانه فى النسخة اللاتينية انجيل يسوع المقدس كما كتب لوقا ، وفى النسخة العربية القديمة باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد انجيل الابن الأفضل لوقا البشير ، افتتاح الانجيل المجيد .

فمن هذا الاختلاف يظهر أن هذا العنوان لم يضعه مار لوقا بل الكنيسة التى لأجل حكمها فقط تعتقد أن هذا الانجيل هو للوقا وأنه قانونى ، خلافا

لأنجيل أبو لوس وباسيليد وغيرهما . قال مار أغسطينوس أتى لم أكن
أؤمن بالانجيل لو لم تسلمنى إياه الكنيسة المقدسة ، وكذا قل فى باقى
الأسفار المقدسة ، فينتج من ذلك أن الاراطقة الذين ينكرون سلطة الكنيسة
وعصمتها من الضلال لا سيما البروتستانت لا يمكنهم أن يثبتوا أن الأسفار
المقدسة قانونية وملهمة من الله إذ لا سبيل الى اثبات ذلك الا من الكتاب
المقدس وهو لا ينكر الأسفار القانونية والمهمة على الأقل بالتفصيل واما من
التقليد والبيانات القديمة وهم يذكرون التقليد ، والبيانات القديمة فيها اختلاف
باهظ ، واما من الذوق والروح الخاص كما يقولون وهذا خداع وفرود ،
والعمل بين بطلانه ، فلا يبقى الا حكم الكنيسة الكاثوليكية وهم ينكرون
صحته ولذا تراهم فى خلف دائم على عدد الأسفار المقدسة ، وقد أنكر
بعضهم بعضا تدريجا حتى اتصل كثير منهم الى انكارها بجملتها .

وكذا قل فى تفسير معانى آيات الكتاب المقدس ، فاللعنى الصحيح
لها ما تحكم به الكنيسة المقدسة ، والا فتشأ محاورات الآيات لها .

ان مار لوقا الانجلى منشؤه مدينة أنطاكية كما علم أوسابيوس
وايرونيموس وغيرهما كثيرون من القدماء والحديثين ، وكان طبيبا كما
علم المؤلفون المذكورون سندا على قول الرسول فى رسالة كولوسى :
« يفرنكم السلام لوقا الطبيب الحبيب » وكان مصورا وقيل انه أول من
صور صورة مريم العذراء وصورة للرسولين بطرس وبولس ، وكان
خبيرا بالعلوم الفلسفية واللغة اليونانية ، ولذا كان انشاؤه باليونانية
أنصح من انشاء باقى الانجيليين .

وذهب أوريجانوس أن لوقا كان من الاثنيين والسبعين مبشرا ، والأصح
ما ذهب اليه ايرنياس وغيره أن لوقا لم يكن من الاثنيين والسبعين مبشرا ،
وأم يشاهد المسيح بل كتب ما سمعه من الرسل ومريم العذراء كما شهد
عن نفسه بقوله فى بداية انجيله « حسبما عهد الينا أولئك الذين كانوا منذ
المقديم معانين وكانوا خدام الكلمة » ولهذا دعاه الآباء مقواترا تلميذ الرسل
لا سيما بولس ، الذى كان لوقا رفيقا ملازما له ، واستمر لوقا مرافقا له .

الى أن سجن بولس المرة الأولى فى رومة ، ثم مضى لوقا مبشرا بالانجيل
فى دلماثيا وافرنتسة وايطاليا الى أن نال الكليل الشهادة فى بطراس .

وقد كتب الانجيل باليونانية لليونان . والبعض على أن لوقا كتب
ما لقنه آياه بولس الرسول واستحسن هلد ونالوس رأى من قالوا أن
لوقا لم يأخذ انجيله عن بولس وحده ، بل عن غيره من المرسل أيضا . من
قوله المتقدم : « حسبما عهد الينا أولئك الذين كانوا منذ البدء معانين وكانوا
نخدام الكلمة » ويظهر أن لوقا دون انجيله بعد سنة احدى وخمسين أو
سنة ثمان وخمسين ليلاد المخلص .

وانما تعمد القديس لوقا فى كتابة انجيله بعد متى ومرقس لأمرين :
الأول : دحض الأناجيل الكاذبة التى كانت ظهرت وقتئذ فى سورية
وبلاذ اليونان منسوبة الى توما ومتى والانتى عشر رسولا وغيرهم كما أشار
الى ذلك فى فاتحة انجيله بقوله « لأجل أن كثيرين راموا أن يكتبوا قصص
الأمور التى نحن بها عارفون »

والثانى : تحرير ما عدل عنه متى ومرقس من أقوال المسيح وأفعاله
كطفوليته وصبوته . والبشارة بسابقة يوحنا المعمدان والحبل به ومولده
وبشارة العذراء وحبلها بالمخلص وولادتها له فى المذود وختانه وتقديمه الى
الهيكل ، ووجدانه بين العلماء ، وغير ذلك مما أهمله متى ومرقس «
انتهى بحروفه .

فعلم من هذا الكلام أمور : منها أن عنوان هذا الانجيل مختلف .
ومنها أن العنوان ليس من لوقا . ومنها : أن البروتستنت لا يمكنهم أن
يثبتوا أن الأسفار المقدسة قانونية وملهمة من الله تعالى ومنها أن بعض
البروتستنت أنكروا بعضها ، وسيصل بهم الحال تدريجا الى انكارها
بجملتها . ومنها أن لوقا لم يشاهد المسيح بل كتب ما سمعه من الرسل ومن
مريم العذراء . ومنها أنه دون انجيله بعد رفع المسيح سنة ثمان وخمسين .
ومنها أن الأناجيل كانت تزيد على عشرة أناجيل وأن أكثرها كذب ومنها أن
هذه الأناجيل الاربعة المقبولة الآن عند النصارى ليست متفقة بل يوجد فى

كلها ملها ما لا يوجد في الآخر ، من التصص والأحوال والأفعال والأقوال
المنقولة عن المسيح عليه السلام ، فليحفظ .

وقال الشيخ رحمت الله - سلمه الله تعالى - « لا مجال لأهل
الكتاب أن يدعوا أن كل كتاب من كتب العهد العتيق والجديد كتب بالالهام
وأن كل حال من الأحوال المدرجة فيه الهامى لان هذا الادعاء باطل قطعا
ويدل على بطلانه وجوه كثيرة نتكفى منها ههنا على سبعة :

الأول : أنه يوجد فيها الاختلافات المعنوية الكثيرة ، واضطر مفسروهم
فسلموا ان احدى العبارتين أو العبارات صادقة وغيرها كاذبة ، وعد منها
ما يزيد على مائة اختلاف : وسنذكرها فى محل يناسب ذكرها ان شاء
الله تعالى .

الثانى : انه يوجد فيها أكثر من مائة غلطة . والكلام الالهامى بعيد
عن ذلك بمراحل ، وسنذكر ذلك فى محله .

الثالث : انه وقع فيها التحريفات القصدية وغير القصدية مما يزيد
على مائة ولم يبق لهم مجال الى الإنكار كما سنذكره أيضا فى محله ان
شاء الله تعالى .

الرابع : ان كتاب باروخ وكتاب طوبيا وكتاب يهوديت وزدم وغيرها
ليست انهامية عند البروتستنت كما هو مشهور فى كتبهم وكذلك السفر
الثالث لعزرا ، ليس بالهامى عند الكاثوليك والبروتستنت كما هو مسطور
فى تأليفات الفرقتين ، وكتاب المتضاة ليس الهاميا على قول من قال انه
تصنيف فنحاس ، وكذا كتاب راعوث وكتاب : نحميا أيوب وبعض أبواب
كتاب أمثال سليمان ، وعشرون بابا من كتاب أشعيا ليست بالهامية على
قول كثيرين من علمائهم . وانجيل متى على قول القدماء وجمهور العلماء من
المتأخرين الذين قالوا انه كان فى اللسان العبرانى والحروف العبرانية
فقد ، والموجود الآن ترجمته ليس الهاميا وكذا انجيل يوحنا على قول
استائدلن والمحقق برطشيدن ليس الهاميا .

الخامس : قال هورن فى الصفحة الحادية والثلاثين بعد المائة من الجلد الأول من تفسيره المطبوع سنة ١٨٣٣ أن سلمنا أن بعض كتب الأنبياء فقدت ، قلنا : إن هذه الكتب ما كانت مكتوبة بالالهام واثبت أكسبتاين بالدليل القوى هذا الأمر ، ثم قال فى الضميمة الأولى من الجلد الأول اذا قيل ان الكتب المقدسة أوحيت من جانب الله ، فلا يراد أن كل لفظ أو العبارة كلها من الهام الله ، بل يعلم من اختلاف محاوره المصنفين واختلاف بيانهم أنهم كانوا مجازين أن يكتبوا على حساب طبائعهم وعاداتهم وفهومهم ، واستعمل علم الالهام على طريق استعمال العلوم الرسمية ولا يتخيل أنهم كانوا يلهمون فى كل أمر يثبتونه أو فى كل حكم كانوا يحكمون به « انتهى ملخصا .

السادس : قال جامعو تفسير هنرى واسكات فى الجلد الأخير من تفسيره « ليس بضرورى أن يكون كل ما كتب النبى الهاميا أو قانونيا ، ولا يلزم من كون بعض كتب سليمان الهاميا أن يكون كل ما كتبه الهاميا وليحفظ أن الأنبياء والحواريين كانوا يلهمون على المطالب الخاصة ، والمواضع الخاصة » انتهى .

السابع : انسائى كلويديا (١) برتنيكا كتاب اتفق على تأليفه كثيرون من علماء « انكلتره » فالفوه ، وقالوا فى الصفحة الرابعة والسبعين بعد المائتين من الجلد الحادى عشر فى بيان الالهام هكذا « وقع النزاع فى أن كل قول مندرج فى الكتب المقدسة ، هل هو الهامى أم لا ؟ وكذا حال من الحالات المندرجة فيها فقال جيروم وكثير من العلماء أنه ليس كل قول منها الهاميا ثم قالوا فى الصفحة المتممة عشرين من الجلد التاسع عشر من الكتاب المذكور ما عبارته : « ان الذين قالوا ان كل قول مندرج فهو الهامى لا يقدرين أن يثبتوا دعواهم بسهولة ثم قالوا ان سألنا أحدا على سبيل التحقيق . انكم تسلمون أى جزء من العهد الجديد الهاميا ؟ (لا يجيبون) فقلنا : ان المسائل والاحكام والاخبار بالحوادث الآتية التى هى أصل الملة المسيحية لا ينفك الالهام عنها واما الحالات الآخر فكان حفظ الحواريين كافيا لبيانها » أه .

(١) دائرة المعارف اليهودية

وليُعلم أيضا : أن الاتجيل الذى ينسب الى متى الآن وهو أول الأناجيل وأقدمها عندهم ، ليس من تصنيفه يقينا بل ضيعوه بعد ما حرقوه ، لأن قدماء المسيحيين كافة وكثيرا من المتأخرين ، على أن انجيل متى كان فى اللسان العبرانى ، وقد فقد بسبب تحريف بعض الفرق المسيحية ، والانجيل الموجود الآن ترجمته ، ولا يوجد عندهم اسناد هذه الترجمة ، حتى لم يعلم اسم المترجم أيضا ، ولم يتعين الى هذا الزمان كما اعترف به جيروم من أفاضل قدمائهم ، فضلا عن علم أحوال المترجم نعم يقولون : لعل فلانا أو فلانا ترجمه ولا يتم هذا على المخالف ولا يثبت اسناد المصنف بالظن والتخمين ، فاذا كان مذهب القدماء كافة وكثير من المتأخرين ما عرفته ، فلا اعتماد على قول بعض علماء بروتستانت الذين يقولون بمجرد ظنهم بلا برهان : ان متى نفسه ترجمه .

قال لاروز فى الصفحة التاسعة عشر بعد المائة من المجلد الثانى من الكليات : كتاب « بى بيس » : « ان متى كتب انجيله فى العبرانية » وترجمه كل أحد على قدر لياقته « أه .

وهذا القول يدل على أن أناسا كثيرين ترجموا هذا الانجيل ، فلما لم يثبت بالسند المتصل الكامل أن هذا الموجود ترجمة فلان ، وأنه كان ذا الهام ، كيف تعد ترجمته من الكتب الالهامية ، ولم يثبت بالاسناد كونه ثقة أيضا فضلا عن كونه ذا الهام « أه .

وأقوال علمائهم ان متى كتب انجيله بالعبرانى ، وأن مترجمه لم يعلم ، وأن بقية الأناجيل الأربعة لم تكتب بالعبرانية ، بل باليونانية كثيرة جدا . ولو استقصيناها لطلال بنا الكلام ، وستأتيك ان شاء الله تعالى مقاصد عالية ، وشواهد صادقة على اثبات تحريف كتبهم وتناقضها على طريق التفصيل ، فانظرها ولا تغفل .

قال النصرانى : « ومن أراد نصح نفسه . فإى جهل أعظم من جهل من ادعى أن هذا الكتاب حجة ودليل بان جاء به ، وشاهد لنبوة

غبي مبعوث ، مثل فلق البحر لموسى وأحياء الموتى وإبراء الكمة ، وتطهير
البرص لمسيدينا والهناء المسيح مخلص العالم ان هذا حقا لجاهل مائق ،
لأنه لم يعقل كيف يشبه ويقرن بين الأشكال ، على انى لا أظن أحدا به
أننى مسكة من عقل أو له أننى تمييز يجتزىء أن يفكر فى هذا فضلا
عن أن يتفوه به ، ولم يخطر مثل هذا قط الا على بال غبى ، غارب
العقل مختلس اللب ضعيف القلب ، افتراك اعزك الله تحمل نفسك فى
صحة عقلك ودقة نظرك وكثرة فحصك ان نحتج بمثل هذا الكتاب ،
مع ما قد عرفت من أخباره وأسباب أصوله ، فهذه حجة منكسرة عند
مثلى من نوى التفتيش ، والبحث على أصول الأخبار ، وأنت تعلم انى
الرجل الذى قرأت الكتب وعنت بمعرفة الأصول ، وكيف كانت من
أولها الى آخرها وان المبهرج من الأخبار والمدلس من الأحاديث ، غير جازئ
على من مثلى ، ولا نافع عندى ، فإخبرنى — أصلحك الله — قول صاحبك :
« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (اسراء)

أفتقول : أفصح ألفاظا منه ؟ فجوابنا لك فى هذا : نعم أفصح
منه كلام اليونانية عند الروم ، والزوية عند أهل فارس ، والسريانية عند
أهل الرها والسريانيين ، وعبرانية بيت المقدس عند العبرانيين . فان كل
لسان له كلام فصيح عند أهله من سائر الألسن ، ولهم ألفاظ فصيحة
يتخاطبون بها . وهى عندك كلها أعجمية كما أن لسانك العربى الفصيح
عندك أعجمى عندهم ، هذا اذا أطلقنا قولك أن كتابك أفصح ألفاظا بالعربية ،
وذلك ان صاحب فصاحة الألفاظ باى لسان كان هو الذى لا يحتاج الى
استعارة ألفاظ غيره ولا يستعين بها فى خطبه وكلامه ، بل يكون مستغنيا
بمعرفة وفصاحته عن لسان غيره ونحن نرى صاحبك قد افتقر فى كتابه
الى استعمال لسان غيره ، وهو القائل « انا أنزلناه قرآنا عربيا ، لعلمكم
تعلقون » وقد خاطب به اعرابا عاربة ، فصحاء بلغاء ، أصحاب خطاب
كقوله : « الاستبرق » و « سندس » و « اباريق » و « ثمارق » وأشباه

هذه التي هي انما هي الفاظا فارسية ، ومثل ((المشكاة)) فانها لفظة حبشية ، وهي الكوة ومثل هذا كثير قد استعمله في كتابه .

فنقول لعل العربية ضاقت عليه فلم يكن فيها من الاتساع ما لا يلجىء معه الى لسان غيره في هذه الأثياء ، سيما وانت ترى انها منزلة من عند رب العالمين على يد جبريل الملك الأمين ، فاما أنك توقع النقص بالارسل أو بالرسول . فان كان من عند صاحبك فوقع النقص به ، لانه لم يكن يعرف هذه الأسماء بالعربية ، ولم يدرك علمها فلذلك اعجزته ، فهذه اللفظ امرىء القيس وغيره من الشعراء والفصحاء المتقدمين والمتأخرين الذين لا يحصى عددهم ، وكلام الخطباء والبلغاء الذين كانوا قبل مجيء صاحبك أفصح الفاظا منه ، وارق وأدق معانى ، باقراره لأهلها حيث حاجوه فقطعوه ، فقال : ((بل هم قوم خصمون)) لأنهم خصموه فكانوا خصما بأصح حجة ، وأبلغ في الخطابة منه ، وهو القائل ((ان من البيان لسحرا)) فلا يخلو اذن أمر هذا الكتاب وما وضع فيه من الألفاظ الأعجمية من أن يكون قد ضاق على صاحبك اللسان العربى ، مع علمنا نحن وانت لساننا العربى أوسع الألسن كلها أو أن يكون قد ادخلت فيه الزيادة من قوم آخرين ، كما نكرنا لك فى أصل خبره ، وأن الأيادى الكثيرة قد تداولته ، فأخبرنى — أصلحك الله — أى القولين أحببت ؟ فانه لا محيص لك من أن تقول بأحدهما وانت عارف بنتيجة ذلك اذا قلته ، فان قلت انهم لا يقدرون أن يأتوا بمثل تنزيده وترصيعه ، قلنا لك أن تنزيدهم الشعراء لشعرهم ، ووزنهم له الوزن الصحيح ، الذى هو أصعب وأدق معنى لا يفادر بعضه فيه بعضا ، واعتبار الألفاظ النقية الصافية العربية الخالصة ، مع انتساق المعنى الحسن أكمل فى الأحكام وأصح فى الصنعة ، لان كتابك كله انما هو سجع متكسر ، وكلام مختلف ، وتكبير معانى لا معنى لها فان قلت : بل هو أصح معانى سألناك أى معنى غريب ظفرت فيه ؟ أدلنا عليه واعلمنا به ، حتى نتعلمه منك .

وأي معنى صحيح وجدته فيه وغربت بمعرفته ؟ أخبرنا به وأوقفنا عليه ؟ وأي خبر لم نسمعه على غاية التمام والكمال من الشرح والصحة في شيء من الكتب المتقدمة استفنته منه ؟ أليس هو الذي قرأناه ودرسناه وعرفنا تفسيره ووقفنا على معانيه وبحثنا عن أصوله وأسبابه وقتشنا عن خبره ، فصرنا في العلم به أرسخ من كثير من أهله وأي شيء هذا من الآيات العجيبة التي يعجز فعلها إمكان الآدميين وتصير حجة ودليلا على بعثه نبيا يوجب الإقرار له بالرسالة والنبوة والإيمان على الوحي والقبشير من عند الله ، حتى يقاس به أو يرى فيه آية ، مثل فلق البحر واحياء الموتى وسائر آيات الأنبياء العجيبة ، وانما صار هذا كذلك وجاء بالتدليس والبهجة ووصفة الفصاحة ، وحسن التنضيد وجود الاعراب ، وأن الاتس والجن لا يقدران على أن يأتوا بمثله ، لانه وقع الى قوم أميين أنباط سقاط عجم علوج ، فعظم في أعينهم وكبر في صدورهم ، والا فانت اذا صدقت نفسك ، تيقنت كيف كان أصل القصة في هذا ، وأن مسيلمة الحنفي والأسود العنسي وطلحة بن خويلد الأسدي وغيرهم ، قد عملوا مثل ما عمل صاحبك ، وأنشهد انى قرأت مصحفا لمسيلمة لو ظهر لأصحابك لرد أكثرهم الا انه لم يتهيا لهؤلاء أنصار ، مثل ما تهيا لصاحبك « أ.هـ .

فأقول : انى وان قدمت ما يرد كلام هذا الطاعن في القرآن الجيد أثبت من فضله سبحانه لكل منصف انه تنزيل العزيز الحميد الا انى أعود هنا مكررا لذلك بعبارات أخرى لابسة من حلى التحقيق عقيانا ودرا ، لئلا يخلو مكرر كلامه عن رد ، وليجمع الناظر ما قبل وما بعد ، ليكون كمن ضم الى زيد : شيد ثم نجع الى تزييف كلماته المفصلة بطريق مفصل ان شاء الله تعالى .

قال صاحبنا العلامة في كتابه اظهار الحق في الباب الخامس في اثبات كون القرآن كلام الله تعالى ومعجزا ورفع شبهات القسيسين ما ملخصه : « وجعلناه في فصلين الفصل الأول أن الأمور التي تدل على

أن القرآن كلام الله تعالى كثيرة ، اكتفى منها على اثني عشر أمرا ، على عدد حوارى المسيح عليه السلام وأترك الباقي الأمر الأول : كونه فى الدرجة العالية من البلاغة ، التى لم يعهد مثلها فى تراكييهم وتقاشرت عنها درجات بلاغتهم ، وهى عبرة عن التعبير باللفظ المعجب ، عن المعنى المناسب للمقام ، الذى أورد فيه الكلام بلا زيادة ولا نقصان فى البيان والدلالة عليه . وعلى هذا كل ما ازداد شرف الألفاظ وروثق المعانى ومطابقة الدلالة ، كان الكلام أبلغ . وتدل على كونه فى هذا الدرجة وجوه :

أولها : ان فصاحة العرب : أكثر فى وصف الأشياء المشاهدة ، مثل بعير أو فرس أو جارية أو ملك أو ضربة أو طعنة أو وصف حرب وغارة . وكذا فصاحة العجم سواء كانوا شاعرين أو كاتبين أكثرها فى أمثال هذه الأشياء ، ودائرة الفصاحة والبلاغة فيها متسعة جدا ، لأن طبائع أكثر الناس تكون مائلة اليها ، وظهر من الزمان القديم فى كل وقت وفى كل اقليم من شاعر أو كاتب مضمون مبتكر ، ونكتة لطيفة فى بيان شىء من هذه الأشياء المذكورة ، ويكون المتأخر المتتبع واقفا على تدقيقات المتقدم غالبا ، فلو كان الرجل سليم الذهن وتوجه الى تحصيل ملكة فى وصفها يحصل له بعد الممارسة والاشتغال ملكة البيان فى وصف شىء من هذه الأشياء ، على قدر سلامة فكره وجودة ذهنه . وليس القرآن فى بيان خصوص هذه الأشياء فكان يجب أن لا تحصل فيه الالفاظ الفصيحة التى انتفت عليها العرب فى كلامهم .

ثانيها : انه سبحانه وتعالى راعى فيه طريقة الصدق وتنزهه عن الكذب فى جميعه . وكل شاعر ترك الكذب والقرم الصدق نزل شعره ، ولم يكن جيدا . ولذا قيل أعذب الشعر أكذبه وترى أن لبيد بن ربيعة وحسان ابن ثابت رضى الله عنهما لما أسلما نزل شعرهما ، ولم يكن شعرهما الإسلامى كشعرهما الجاهلى ، والقرآن جاء فصيحاً مع التنزه عن الكذب والمجازفة « ومن أصدق من الله قليلا »

ثالثها : ان الكلام الفصيح انما يتفق فى القصيدة فى البيت والبيتين منها والباقي لا يكون كذلك ، بخلاف القرآن فانه القرآن فانه مع طوله فصيح كله بحيث يعجز الخلق عنه ، ومن تأمل فى قصة يوسف عليه السلام عرف أنها مع طولها وقعت فى الدرجة العالية من البلاغة .

رابعها : ان الشاعر أو الكاتب اذا كرر مضمونا أو قصة لا يكون كلامه الثانى مثل الأول وقد تكررت قصص الأنبياء وأحوال المبدأ والمعاد والاحكام والمصفات الالهية ، واختلفت العبارات ، ايجازا وأطنابا وتقتنا فى بيانها غيبة وخطابا ، ومع ذلك كل واحد منها فى نهاية الفصاحة ، ولم يظهر التفاوت أصلا .

خامسها : وانه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم القبائح والحث على مكارم الأخلاق وترك الدنيا واختيار الآخرة (١) وأمثال هذه الأمور توجب تقليل الفصاحة ، ولذلك اذا قيل لشاعر فصيح أو لكاتب بليغ : ان يكتب تسعة أو عشرة من مسائل الفقه والعقائد فى عبارة فصيحة مشتملة على التشبيهات البليغة والاستعارات الدقيقة يعجز عن ذلك .

سادسها : ان كل شاعر يحسن كلامه فى فن ، فانه يضعف كلامه فى غير ذلك الفن ، كما قالوا فى شعراء العرب : ان شعر امرئ القيس يحسن عند الطرب ، وذكر النسياء وصفة الخيل . وشعر النابغة عند الخوف . وشعر الأعشى عند الطلب ووصف الخمر ، وشعر زهير عند الرغبة والرجاء وقالوا فى شعراء الفرس : ان النظامى والفردوسى وحيدان فى بيان الحرب ، والسعدى فريد فى الغزل والانورى فى القصائد جاء على غاية الفصاحة ، فى كل فن ترغيبا كان أو ترهيبا زجرا كان أو عطا وغرها .

وأورد هنا بطريق النموذج من كل فن آية آية :

(١) اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا . هذا هو الاسلام . وليس هو ترك الدنيا واختيار الآخرة . فان الدنيا جعلها الله معاشا .

ففى الترغيب قوله جل وعز « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وفى الترهيب قوله تعالى « وخاب كل جبار عنيد ، من ورائه جهنم ، ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ، ويأتيه الموت من كل مكان ، وما هو بميت ، ومن ورائه عذاب غليظ » وفى الزجر والتوبيخ قوله عز شأنه : « فكلأ أخذنا بذنبة ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » وفى الوعد قوله تعالى : « أفرايت ان متعناهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون » وفى الالهيات قوله تبارك وتعالى : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الارحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال »

سابعها : الاغلب انه اذا انتقل الكلام من مضمون الى مضمون آخر ، او اشتمل على بيان أشياء مختلفة ، لا يبقى حسن ربط الكلام ، ويسقط عن الدرجة العالية للبلاغة ، والقرآن يوجد فيه الانتقال من قصة الى قصة أخرى والخروج من باب الى غيره والاشتمال على أمر ونهى وخبر واستخبار ، ووعد ووعيد ، واثبات النبوة وتوحيد الذات ، وتفريد الصفات وترغيب وترهيب وضرب مثال وبيان حال وغيرها ومع ذلك يوجد فيه كمال الربط والدرجة العالية للبلاغة الخارجة عن العادة ، فتحرر فيها عقول بلغاء العرب .

ثامنها : ان القرآن فى أغلب المواضع يأتي بلفظ يسير يتضمن لمعنى كثير ، ويكون اللفظ أعذب ومن تأمل فى سورة ص علم ما قلنا كيف صدرها وجمع فيها من أخبار الكفار خلفهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم ، ومن تكذيبهم لمحمد ﷺ وتعجبهم مما أتى به ، والخبر عن اجماع ملاهم على الكفر وظهور الحسد فى كلامهم وتعجيزهم وتحقيرهم ووعيدهم بخزى الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم ، واهلاك الله تعالى لهم ووعيد قريش وأمثالهم مثل مصابهم وحول النبى ﷺ على الصبر على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم بيانه عنهم .

ثم شرع بعد تسليته فى قصص الأنبياء مثل داود وسليمان وأيوب وإبراهيم ويعقوب وغيرهم — عليهم السلام — وكل هذا الذى نكر من أولها الى آخرها فى الفاظ يسيرة متضمنة لمعانى كثيرة . وكذلك قوله تعالى : « ولكم فى القصص حياة » فان هذا القول لفظه يسير ومعناه كثير ، ومع كونه بليغا مشتمل على المطابقة بين المعنيين المتقابلين . وهما القصص والحياة . وعلى الغرابة لجعل القتل الذى هو مفوت للحياة ظرفا لها وأولى من جميع الأقوال المشهورة عند العرب فى هذا الباب ، لأنهم عبروا عن هذا المعنى بقولهم قتل البعض احياء للجميع وقولهم : أكثروا القتل ليقل القتل وقولهم القتل أنفى للقتل . ولجود الأقوال المنقولة عنهم القول الأخير .

ولفظ القرآن : أفصح منه بسطة أوجه : احدها : انه أخصر من الكل لأن قوله : « ولكم » لا يدخل فى هذا الباب ، لأنه لا بد من تقدير ذلك فى الكل ، لأن قول القائل : قتل البعض احياء للجميع ، لا بد فيه من تقدير مثله . وكذلك قولهم : القتل أنفى للقتل . وثانيها : ان قولهم القتل أنفى للقتل ، ظاهره يقتضى كون الشئ سببا لانقضاء نفسه ، بخلاف القرآن فانه يقتضى أن نوعا من القتل . وهو القصص سبب لنوع من أنواع الحياة . وثالثها : ان فيه تكرار لفظ القتل بخلاف اللفظة القرآنية . ورابعها : انه لا يفيد الا الردع عن القتل ، بخلاف لفظ القرآن فانه يفيد الردع من القتل فهو أفيد وأجمع . وخامسها : انه دال على ما هو المطلوب بالتتابع بخلاف لفظ القرآن ، فانه دل على ما هو مقصود أصلى لأن نفى القتل مطلوب تبعا من حيث انه يتضمن حصول الحياة ، الذى هو مطلوب أصالة . وسادسها : ان القتل ظلما أيضا قتل مع أنه ليس بناف للقتل بخلاف القصص ، فظاهر قولهم باطل . وأما اللفظ القرآنى ففصيح ظاهرا وباطنا .

وكذلك قوله تعالى : « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه ، فأولئك هم الفائزون » أى من يطع الله فى فرائضه ، ورسوله فى سنته (١).

(١) السنن المفسرة للقرآن بدليلين : ١ — « ومن يطع الله ورسوله »

أو فى جميع ما يأمرانه وينهاهه « ويخشى الله » أى يخفف خلافه وعقابه وحسابه « ويقتنه » فيما بقى من عمره فى جميع أمره « فأولئك هم الفائزون » فالمراد فى المبدأ والمعاد فان هذه الآية مع وجازة لفظها جامعة لجميع الضروريات .

حتى يحكى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان مضطجعا فى المسجد ، فاذ هو برجل قائم على رأسه ويتشهد شهادة الحق ، فسأله عن شأنه فأخبره أنه من بطارقة الروم ومن يحسن فهم الألسن من العربية وغيرها ، وأنه سمع رجلا من اسراء المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا هى جامعة لكل ما أنزل الله تعالى على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهى قوله : « ومن يطع الله ورسوله » الآية .

ومن المشهور أن طبيبا نصرانيا حازقا سأل الحسين بن على بن الوقاد لماذا لم ينقل شىء فى كتابكم مما يتعلق بعلم الطب وهو من الأمور اللازمة للانسان ، لأن العلم علمان : علم الأديان وعلم الإبدان ؟ فقال إن الله سبحانه قد بين علم الطب كله فى نصف آية فقال له النصرانى : وأى آية هى ؟ فقال : هى قوله تعالى : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » أى كلوا واشربوا ما أحل الله تعالى لكم من المطعومات ، التى ليس فيها خبث والمشروبات التى ليس بها ضرر « ولا تسرفوا » أى لا تتعدوا الى الحرام ، ولا تكثروا من الانفاق المستقبح ، والأكل والشرب الزائدين على ما يقتضيه البدن . فان تناول المقدار الكثير مضربه ، ولا حاجة فيه . ثم سأله الطبيب : أقال نبيكم أيضا شيئا فى هذا الأمر ؟ فقال الحسين : نعم أن نبينا عليه

فقد فرض الله فى القرآن طاعة رسوله ٢ — « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه » فقد بين أن وظيفة النبى هى بيان القرآن وتفسيره . والسنة المنشأة تشريعا مستقلا عن تشريع القرآن مثل النهى عن الجمع بين المرأة وعمتها ليست سنة مفسرة ، فلا تدخل فى السنة الواجب العمل بها (انظر السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى)

الصلاة والسلام جمع الطب فى ألفاظ يسيرة وهى قوله : « المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء ، وأعط كل بدن ما عودته » فقال الطبيب : « الانصاف ان كتابكم ونبيكم ما تركا حاجة الى « جالينوس » فقد بينا ما هو الأصل فى حفظ الصحة ، وازالة المرض ومدارهما لكل ذى لب »

تاسعها : أن الجزالة والعنوبة بمنزلة الصفتين المتضادتين ، واجتماعهما على وجه الكمال فى كل جزء من الكلام الطويل خلاف العادة للبلغاء ، فاجتماعهما فى كل موضع من مواضع القرآن كله كما هو ظاهر لمن شم رائحة العلوم العربية ، دليل على كمال بلاغته وفصاحته للخارجين عن العادة .

عاشرها : أنه مشتمل عن جميع فنون البلاغة من ضروب التأكيد وأنواع التشبيه والتمثيل وأصناف الاستعارة وحسن المطالع والمقاطع وحسن الفواصل والتقديم والتأخير والفصل والوصل اللائق بالمقام وخلوه عن اللفظ الركيك والشاذ الخارج عن القياس النافر عن الاستعمال ، وغير ذلك من أنواع البلاغات المبسطة المعروفة بمحالها ولا يقدر أحد من البلغاء الكاملين من العرب الا على نوع أو نوعين من الأنواع المذكورة . ولوازم غيره فى كلامه لم يتأت له وكان مقصرا ، والقرآن الجليل محتو عليها كلها ، كما يعرفه من له تدرب يعلم المعانى والبيان .

وهذه الوجوه العشرة تدل على أن القرآن العظيم فى الدرجة العالية من البلاغة الخارجة عن العادة ، ويعرفه فصحاء العرب بسليقتهم ، والعلماء بمهارتهم فى فن البيان ، واحاطتهم بأساليب الكلام ، ومن كان أعرف بلغة العرب وفنون بلاغتها كان أعرف باعجاز القرآن الا من ضرب على قلبه ، فعميت منه العينان ، أو كابر وغش نفسه وتعمى عن هذا البيان .

الأمر الثانى : تأليفه العجيب وأسلوبه الغريب فى المطالب والمقاطع والفواصل مع اشتماله على دقائق البيان وحقائق العرفان وحسن العبارة

ولطف الإشارة وسلامة التركيب وبديع الترتيب فتحررت فيه عقول العرب
العرباء والباب الفصحاء والحكمة في ذلك لن لا يبقى لتعسف عنيد مظنة السرقة
أو التعليم ويمتاز هذا الكلام عن كلامهم ، ويظهر تفوقه ، لأن البليغ سواء
كان ناظما أو ناثرا يجتهد في هذه المواضع اجتهادا كاملا ، فيمدح ، ومع
هذا قد يعاب في هذه المواضع ونحوها ، كما عيب على مطلع امرئ القيس
في قصيدته اللامية وهو قوله :

قفانك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحول

فان صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة
المعاني ، فانه وقف واستوقف ويكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل ،
وان الشطر الثاني لا يوجد فيه شيء من ذلك .

وعيب أيضا على مطلع أبى النجم الشاعر المشهور ، فانه دخل
على هشام بن عبد الملك فأنشده قوله :

صفراء قد كادت ولما تفعل

كأنها في الأفق عين الأحول

وكان هشام أحول ، فأخرجه وأمر بحبسه .
وعيب أيضا على مطلع جرير ، فانه دخل على عبد الملك ، وقد
مدحه بقصيدة حائية أولها :

اتصحو أم فؤادك غير صاح ؟

فقال له عبد الملك : بل فؤادك يا ابن الفاعلة .
وعيب أيضا على مطلع البحتري ، فانه أنشد يوسف بن محمد قصيدته
التي مطلعها :

لك الويل من ليل تقاصر آخره

فقال : بل لك الويل والخزى .

وعيب أيضا على مطلع اسحق الموصلى الأديب الحاذق ، فإنه دخل على المعتصم ، وقد فرغ من بناء قصره بالميدان ، وأنشده قصيدته التي مطلعها :

يا دار غيرك البلا ومحاك

يا ليت شعرى ما الذى أبلاك

فتطير المعتصم من هذا المطلع وأمر بهدم القصر على الفور . وهكذا قد أخطأ أكثر الشعراء المشهورين فى المواضيع المذكورة ، وأشرف العرب مع كمال حذاقتهم فى أسرار الكلام وثدة عداوتهم للإسلام لم يجدوا فى بلاغة القرآن وحسن نظمه وأسلوبه مجالا ولم يوردوا فى المدح مقالا ، بل اعترفوا أنه ليس من جنس خطب الخطباء ، وشعر الشعراء ، ونسبوه تارة الى السحر تعجبا من فصاحته وحسن نظمه وقالوا تارة : انه « افك افتراه » و « اساطير الأولين » قالوا تارة لأصحابهم وأحبابهم : « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » وهذه كلها من دأب المحجوج المبهوت .

ثبتت : أن القرآن معجز ببلاغته وفصاحته وحسن نظمه . وكيف يتصور أن يكون الفصحاء والبلغاء من العرب العرباء كثيرين كثرة رمال الدهناء ، وحصى البطحاء ، ومشهورين بغاية العصبية والحمية الجاهلية ، وتهالكهم على المبارات والباهات والدفاع عن الاحساب فيتركون الأمر الأسهل الذى هو الاتيان بمقدار أقصر سورة ويختارون الأشد الاصعب مثل الجلاء وبذل المهج والارواح ، ويبتلون بسبى الذرارى ونهب الأموال ، ومخالفهم المتحدى يقرع لهم الى مدة على رعوس الملاء بأمثال هذه الأقوال : « فاتوا بعشر سور مثله مفتریات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » — « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ، فاتوا بسورة

من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة » — مثل « لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله . ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ولو كانوا يظنون أن محمدا ﷺ استعان بغيره ، لأمكنهم أيضا أن يستعينوا بغيرهم ، لأنه كأولئك المنكرين في معرفة اللغة ، وفي المكنة من الاستعانة ، فلما لم يفعلوا ذلك وآثروا المقارعة على المعارضة والمقاتلة على المقاتلة ، ثبت أن بلاغة القرآن العظيم كانت مسلمة عندهم وكانوا عاجزين عن المعارضة ، غاية الأمر أنهم صاروا مفترقين بين مصدق به وبين أنزل عليه ، وبين متحير في بديع بلاغته .

روى : أنه سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » فقال : والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر .

وروى أيضا أنه لما سمع القرآن رق قلبه للاسلام فجاءه أبو جهل وكان ابن أخيه منكرا عليه قال والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار منى والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا .

وروى أنه جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد ، فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا ، قالوا أنقول كاهن ، قال : والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعته ، قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بختفه ولا وسوسته ، قالوا فنقول شاعر ، قال ما هو بشاعر ، وقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه . قالوا : فنقول ساحر ، قال ما هو بساحر ولا نفته ولا عقده ، قالوا فما نقول ؟ قال ما أنتم بفائلين شيئا من هذا الا وأنا أعرف انه باطل ، وان أقرب القول : انه ساحر ، ثم قال : فانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجه ، والمرء وعشيرته . ففترقوا وجلسوا على السبيل

يحذرون الناس عن متابعة النبي ﷺ فنزل الله تعالى في الوليد : « ذرني ، ومن خلقت وحيدا » الآيات .

وروى أن عتبة كلم النبي ﷺ فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليه : « حم كتاب فصلت آياته » الى قوله « فأنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » فامسك عتبة بيده على فيه وناشده الرحم أن يكف . وفي رواية فجعل النبي ﷺ يقرأ وعتبة مصغ ملق بيديه خلف ظهره معتمد عليها حتى انتهى الى السجدة ، فسجد النبي ﷺ وقام عتبة لا يدرى بها يراجعه ورجع الى أهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام ما سمعت أذنأي بمثله قط ، فما دريت ما أقول له .

وذكر أبو عبيدة أن اعرابيا سمع رجلا يقرأ : « فاصدع بما تؤمر » فسجد وقال سجدت لفصاحته . وسمع رجل آخر من المشركين رجلا من المسلمين يقرأ : « فلما استياسوا منه خلصوا نجيا » فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام .

وحكى الأصمعي أن جارية تتكلم بعبارة فصيحة واثارة بليغة وهي خماسية أو سداسية ، وهي تقول : استغفر الله من ذنوبي كلها . فقال لهم مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم ؟ فقالت :

استغفر الله لذنبي كله

قتلت انسانا بغير حله

مثل غزال ناعم في دله

انتصف الليل ولم أصله

فقال لها : قاتلك الله ما أفصحك . فقالت : أو يعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى : « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني ، انا رادوه اليه وجاعلوه من المرسلين » فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين .

وفى حديث اسلام أبى ذر. ووصف أخاه أنيسا فقال والله ما سمعت
بشاعر من أخى أنيس لقد ناقضى اثنى عشر شاعرا فى الجاهلية انا أحدهم
وانه انطلق الى مكة وجاعنى قلت : فما يقول الناس ؟ قال يقولون شاعر
كاهن ساحر ثم قال لقد سمعت ما قال الكهنة فما هو بقولهم ، ولتد وضعته
على اقراء الشعراء فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدى أنه شعر وأنه
لصادق وأنهم لكاذبون .

وروى فى الصحيحين عن جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه قال
سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالطود فلما بلغ هذه الآية « أم خلقوا
من غير شىء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ،
أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطنون » ؟ كاد قلبى أن يطير للاسلام .
وقد حكى ان ابن المقفع طلب معارضة القرآن وشرع فيه ، فمر بصبى يقرأ :
« وقيل : يا أرض ابلعى ماك » فرجع فمحا ما عمل . وقال : أشهد ان
هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر .

وكن يحيى بن الحكم الغزالى بليغ الاندلس فى زمنه فحكى أنه رام
شيئا من هذا فنظر فى سورة الاخلاص ليأتى على أسلوبها وينظر الكلام
على منوالها قال فاعترتنى منه خشية ورقة حملتنى على التوبة والانابة .

فان قيل ان فصحاء العرب لما كانوا قادرين على التكلم بمثل مفردات
السورة ومركباتها القصيرة كانوا قادرين على الاتيان بمثلها .

قلت : هذه الملازمة ممنوعة لأن حكم الجملة قد يخالف حكم الأجزاء ،
الا ترى أن كل شعرة لا يصلح أن يربط بها الفيل أو السفينة (لكن) اذا
عمل من الشعرات حبل متين يصلح أن يربط الفيل أو السفينة . ولأنها
لو صحت ، لزم أن يكون كل فرد من أفراد العرب قادرا على الاتيان بمثل
قصائد فصحاء كاهن القيس واضرا به . وهذا لا يقوله أحد .

الأمر الثالث : كون القرآن منطويا على الاخبار عن الحوادث الآتية
توجدت في الأيام اللاحقة على الوجه الذي أخبر ، ولنذكر منها نيفا وعشرين
محا كقوله تعالى « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين مطهين
رعوسكم ومقصرين لا تخافون » فوقع كما أخبر ، دخل الصحابة المسجد
الحرام آمنين مطهين رعوسهم ومقصرين غير خائفين . وكقوله تعالى :
« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما
استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم
من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا » فكان الله تعالى وعده
المؤمنين بجعل الخلفان منهم وتمكين الدين الرضى لهم وتبديل خوفهم بالآمن
قومي وعده في مدة قليلة بأن ظهر في حياة النبي ﷺ أن المسلمين تسلطوا
على مكة وخيبر ومملكة اليمن وأكثر ديار العرب ، وأن إقليم الحبش صار
دار الاسلام بأيمان النجاشي الملك ، وأن أناسا من هجر وبعض المسيحيين
من نواحي الشام قبلوا الاطاعة وأداء الجزية ، وأن هذا التسلط زاد في
خلافة الصديق الأكبر رضى الله تعالى عنه بأن تسلط المسلمون على
بعض ديار فارس وعلى بصرى ودمشق وبعض الديار الأخرى من الشام
أيضا ، ثم زاد هذا التسلط في خلافة الفاروق رضى الله تعالى عنه بأن
تسلطوا على سائر بلاد الشام وجميع مملكة مصر وعلى أكثر ديار فارس
والعراق أيضا ، ثم زاد هذا التسلط في خلافة ذى النورين رضى الله تعالى
عنه بأن تسلطوا في جانب المغرب الى أقصى الأندلس والقيروان وفي جانب
الشرق الى حد الصين ، ففي مدة ثلاثين سنة تسلط أهل الاسلام على هذه
الممالك تسلطا تاما وغلب دين الله عز وجل المرتضى على سائر الأديان في
هذه الممالك فكانوا يعبدون الله تعالى آمنين غير خائفين .

وفي خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وان لم
يتسلط أهل الاسلام على الممالك الجديدة لكنه لا شبهة في ترقى الملة
الاسلامية في عهده الشريف أيضا ، ثم بعد ذلك أيضا فتحت بلاد كثيرة
في الدول الإسلامية كما لا يخفى على من طالع الكتب التاريخية .

وكتوله تعالى : « ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون »
ووقع كما أخبر سبحانه لأن المراد بأولى اليأس — على أظهر الوجوده
وأشهرها (١) — بنو حنيفة قوم مسلمية الكذاب ، والداعى الصديق
الأكبر رضى الله تعالى عنه .

وكتوله تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق »
ليظهره على الدين كله » وحال هذا القول كحال القول الثانى وسيظهر
الوفاء الكامل لهذا الوعد عن قريب على ما هو المرجو من الله تعالى ان
شاء الله وهو على كل شىء قدير . وكتوله تعالى : « لقد رضى الله عن
المؤمنين اذ يبائعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة
عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما
وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لکل هذه وكف أيدي الناس عنكم
ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدروا عليها
قد أحاط الله بها وكان الله على كل شىء قديرا » والمراد بالفتح القريب :
فتح خيبر ، وبالمغانم الكثيرة فى الموضع الأول مغانم خيبر أو هجر ، وبالمغانم
الكثيرة فى الموضع الثانى : المغانم التى تحصل للمسلمين من يوم الوعد
الى يوم القيامة . وبأخرى : مغانم هوازن أو فارس أو الروم . وقه
وقع كما أخبر . وكتوله تعالى : « وأخرى تحبونها . نصر من الله وفتح
قريب » فقوله جل شأنه « أخرى » أى يعطيكم خصلة أخرى . وقوله
« نصر من الله » مفسر للأخرى . وقوله سبحانه « فتح قريب » أى
عاجل وهو فتح مكة .

وقال المحسن : هو فتح فارس والروم وقد وقع كما أخبر .
وكتوله تعالى : « اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس
يدخلون فى دين الله أفواجا » والمراد بالفتح : فتح مكة لأن الأصح

(١) لماذا لا يقال : ان القوم أولى اليأس ، هم أهم من الرومان والفرس
والأمريكان والروس . وغيرهم ، حتى يظهر الله دينه . ولو كره الكافرون ؟

أن هذه السورة نزلت قبل فتح مكة ، لأن (اذا) تقتضى الاستقبال . ولا يقال فيها وقع اذا جاء ، واذا وقع ، حصل فتح مكة ودخل الناس فى الاسلام فوجا بعد فوج من أهل مكة والطائف وغيرها فى حياته عليه الصلاة والسلام . وكقوله تعالى : « قل الذين كفروا سقطين » وقد وقع كما أخبر فغلبوا والحمد لله . وكقوله تعالى : « واذا يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين » أى اذكروا اذ يعدكم الله احدى الطائفتين وهى القافلة الراجعة من الشام والقافلة الآتية من بيت الله الحرام ، وتودون أن تكون لكم القافلة الراجعة ، فوقع كما أخبر سبحانه وتعالى . وكقوله تعالى : « انا كفيناك المستهزين » ولما نزلت هذه الآية الكريمة بشر النبى ﷺ أصحابه بأن الله جل وعز كفاه شرهم وأذاهم وكان المستهزون نفرا بهمة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا بضروب البلاء وفنون العناء ، فتم نوره وكمل ظهوره . وكقوله تعالى : « والله يعصمك من الناس » وقد قع كما أخبره سبحانه مع كثرة من قصد ضرره عليه الصلاة والسلام فعصمه الله تعالى حتى انتقل من دار الدنيا الى الرفيق الأعلى .

وأما آكلة « خير فعنها جوابان :

الأول : انه عليه الصلاة والسلام عصم من اغتيالهم وقتلهم والسم لم يؤثر فيه حالا وانما توفى عليه الصلاة والسلام بعد نحو ثلاث سنين ، بعد أن تمرض — كما شرحناه فيها سبق — .

والثانى : أن الآية نزلت بعد « خير » وقد عصم عليه الصلاة والسلام من وقت نزول الآية الى وفاته ﷺ كما لا يخفى .

وكقوله تعالى : « ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » فوقع كما أخبر وغلبت الروم فارس — كما قدمنا مفصل ذلك — .

وقال من النصارى صاحب ميزان الحق فى الفصل الرابع من الباب الثالث : « لو فرضنا صدق ادعاء المفسرين أن هذه الآية نزلت قبل غلبة الروم الفرس ، فنقول : ان محمدا ﷺ قال بظنه أو بصائب فكره لتسكين قلوب أصحابه وقد سمع مثل هذه الأقوال من أصحاب العقل والرأى فى كل زمان » انتهى .

فقوله : لو فرضنا صدق ادعاء المفسرين يشير الى أن هذا الأمر ليس بمسلم عنده ، وهذا عجيب منه لأن قوله جل وعز « سيفلبون فى بضع سنين » نص فى الاستقبال ، والبضع هو دون عشر سنين . وكذلك قوله « يومئذ يفرح المؤمنون » وقوله سبحانه : « وعد الله لا يخلف الله وعده » لأنها يدلان على حصول فرح فى الزمان الآتى وحصول هذا الأمر فيه ولا معنى للموعود وعدم الخلف فى الأمر بعد وقوعه كما لا يخفى على من يحسن التكلم باللغة العربية . وقوله : ان محمدا ﷺ قال بظنه أو بصائب كره مردود بوجهين .

الأول : أن نبينا المصطفى ﷺ كان من العقلاء الكاملى اللب ، حتى أن المسيحيين يسلمون ذلك أيضا كما يعترف به هذا التسييس فى ميزانه وغيره ، ومن المعلوم أنه ليس من شأن العاقل الناظر فى العواقب المدعى للنبوة أن يدعى ادعاء قطعيا أن الأمر الفلانى يكون فى المدة القليلة هكذا البتة ويأمر أبا بكر أن يراهن المشركين على ذلك ، ولا سيما فالمنكر المتابل يتحرى مزلة أقدام المسلمين ويتطلب بيان كذبهم ، فكيف يسوغ الأقدام على الاخبار بهذا الغيب بالظن والحدس ؟ فهذا لا يقوله عاقل .

والثانى : أن العقلاء وان كانوا يقولون فى بعض الأمور بظنهم فيخرج مطابقا مرة ومخالفا أخرى ، غير أن العادة الالهية لم تجر بتصديق مدعى النبوة كذبا المفترى على الله تعالى انه أرسله لأنه اذا خرج اخبار هذا للنبي المفترى على الله طبق ما قال فكأن الله سبحانه يقول للعباد أن هذا صادق فى نبوته اذ تأييده بهذه المعجزة تصديق له ، والله تعالى لا يصدق الكاذب ،

فلما رأينا قوله ستغلب الروم خرج كما قال ، علمنا أن هذا القول صدق وأنه معجزة لهذا النبي ﷺ ولو لم يكن الأمر كما أخبر لصار ذلك للمشركين سفدا قويا فى تكذيبه كما لا يخفى على كل منصف .

وكتوله جل وعز : « أم يقولون نحن جميع منتصر ، سيهزم الجمع ويولون الدبر » فعن عمر رضى الله تعالى عنه لما نزلت لم أعلم ما هو حتى كان يوم بدر سمعت رسول الله ﷺ وهو يلبس درعه ويقول : « سيهزم الجمع » فعلمته .

وكتوله عز شأنه : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » وقد وقعت هذه الأحوال كما هو مسلم عند كل ذى انصاف . وكتوله تعالى : « لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون » وهذه الآية نزلت فى اليهود فالمراد أنهم لن يضروكم الا أذى اما بالطعن فى محمد ﷺ وعيسى عليه السلام واما بتخويف الضعفة من المسلمين ، فأخبر فيها عن ثلاثة مغيبات : الأول : ان المؤمنين يكونون آمنين من ضرر اليهود ، والثانى : لو قاتلوا المسلمين يهزمون . الثالث : أنهم لا تحصل لهم قوة ولا شوكة بعد الانهزام ، وكلها وقع .

وكتوله تعالى فى حق اليهود : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة » وقد وقع كما أخبر ، وليس لليهود حكومة فى موضع من المواضع (١) وهم فى أى اقليم وجدوا فهم رعايا مضروب عليهم الذلة .

(١) فى عام ألف وتسعمائة رثمانية وأربعين ميلادية ، وبعده ، صار لليهود دولة وحكومة فى « فلسطين » وهذا كما قاله بعض المفسرين تحقيق للفساد الأول المذكور فى أول سورة الاسراء والمذكور فى الاصحاح الثامن من سفر دانيال من قوله : « بعد ألفين وثلاث مائة صباح ومساء ثم يتطهر القدس »

« أنظر اظهار الحق لرحمت الله الهندى » وكتابنا : بيان فساد بنى اسرائيل وعلوهم الكبير فى الأرض مرتين (نشر دار الأنصار بمصر)

فان قال النصراني : ان هذا مذكور ايضا فى كتب النصارى (٢) فنقول
على تقدير تسليم ذلك من أين علم به عليه الصلاة والسلام وهو أمى غير
مخالط لأهل الكتاب ؟ ودعوى تعليقه دونها خرط القتاد .

وكقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » أى من
التحريف والزيادة والنقصان مما تواتر عند العلماء الأعيان من قراء
كل زمان . وقد وقع كما أخبر عز شأنه فما قدر أحد من الملاحدة والزنادقة
والمعطلة والقرامطة أن يحرف شيئا منه ، لا حرفا من حروف مبانيه ولا شيئا
من حروف معانيه ولا اعرابا من اعراباته ولا مدا من مداته الى هذه المدة
التي نحن فيها أعنى ألفا وثلاثمائة وخمس سنين من الهجرة ، بخلاف التوراة
والانجيل ، فانهما حرفا وزيدا ونقصا بل والى الآن كل نسخة تطبع منهما
لا توافق النسخة المطبوعة قبلها . وهذا شئ ثابت فى العيان لا يقدر على
انكاره من له عيان وأذنان سامعتان كما سنثبت هاتين الدعوتين قريبا ان
شاء الله تعالى الرحمن الرحيم .

وكقوله جل شأنه : « لا يأتيه الباطل » أى التحريف بالزيادة والنقصان
« من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وهذه كالأية السابقة
وكقوله عز وجل : « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » أى
أن الله الذى عليهم . فرض عليك أحكام القرآن وفرائضه ، لرادك الى مكة
ظاهرا .

وقد روى الثقات المحدثون أن المصطفى عليه الصلاة
والسلام لما هاجر من مكة الى المدينة ، ففى الطريق تذكر مكة واشتاق اليها
وذكر مولده ومولد أبيه ، فنزل جبريل عليه السلام وقال تشتاق الى بلدك
ومولدك ؟ فقال النبى ﷺ : نعم ، فقال جبريل عليه السلام فان الله تعالى
يقول : « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » .

(٢) فى قول المسيح : « هوذا بيتكم يترك لكم خرابا » (متى ٢٣ : ٣٨)

وكتوله تبارك وتعالى في حق اليهود : « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ، فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ، والله عليهم بالظالمين » والمراد بالتمنى التمنى بالقول . ولا شك أنه عليه الصلاة والسلام مع تقدمه في الرأي والحزم وحسن النظر في العاقبة كما هو المسلم عند الموافق والمخالف والوصول الى المنزل الذي وصل اليه في الدارين والوصول الى الرياسة العظيمة ، لا يجوز له وهو غير واثق من ربه سبحانه بالوحي أن يتحدى أعدى الأعداء بأمر لا يأمن عاقبة الحال فيه ولا يأمن من خصمه أن يقهره بالدليل والحجة ، لأن العاقل الذي لم يجرب الأمور لا يكاد يرضى بذلك ، فكيف الحال في أعقل العقلاء ، فثبت : أنه ما قدم على هذا التحدى الا بعد الوحي واعتماده الكامل وكذا لا شك أنهم كانوا من أشد أعدائه وكانوا أحرص الناس على تكذيبه وأنهم لا يزالون متفكرين فيما ينمحي به الإسلام أو يحصل منه الذلة لأهله والملام ، وكان المطلوب منهم أمرا سهلا لا صعوبة فيه . فلو لم يكن رسول الله ﷺ صادقا في دعواه عندهم ، لبادروا الى القول به ليكذبوه ولصدحوا به ليوهنوه .

وقد روى انه عليه الصلاة والسلام قال : « والذي نفسى بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه » يعنى مات مكانه ، فظير أنهم مع كونهم أحرص الناس على تكذيبه ولم يتمنوا الموت ، صدقت معجزة نبينا عليه الصلاة والسلام ، وبانت حجة لدى المنصف من الانام . وفي هذه الآية اخباران عن الغيب :

الأول : ان قوله تعالى : « ولن يتمنوه » يدل دلالة بينة على أن ذلك لا يقع في المستقبل من أحد منهم ، فيفيد عموم الأشخاص .

والثاني : ان قوله سبحانه « أبدا » يدل على أنه لا يوجد في شيء من الأزمنة الآتية في المستقبل فيفيد عموم الأوقات ، فبالنظر الى العمومين هما غيبان .

وكقوله تعالى : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » فأخبر جل وعز بأنهم لا يفعلون البتة ، ووقع كما أخبر . وهذه الآية دالة على الاعجاز من وجوه أربعة :

أولها : انا نعلم بالتواتر : أن العرب كانوا فى غاية العداوة لرسول الله ﷺ وفى غاية الحرص على ابطال أمره لأن مفارقة الأوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج من أقوى الأدلة على ذلك ، فاذا انضاف اليه مثل هذا التقريع ، وهو قوله « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا » صار حرصهم أشد فلو كانوا قادرين على الاتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه ، لأتوا به ، وحيث ما أتوا به ، ظهر الاعجاز .

وثانيها : ان النبى ﷺ ، وان كان متهما عندهم فى أمر النبوة ، لكنه كان معلوم الحال فى وفور العقل والفضل والمعرفة بالعواقب ، فلو كان كاذبا لما تحداهم بالغا فى التحدى الى النهاية بل كان عليه أن يخاف بما يتوقعه من فضيحة يعود وبالها على جميع أموره ، فلو لم يعلم بالوحي عجزهم عن المعارضة لما جاز أن يحملهم عليها بهذا التقريع .

وثالثها : لو لم يكن قاطعا فى أمره لما قطع فى أنهم لا يأتون بمثله ، لأن الزور لا يجزم بالكلام ، فجزمه يدل على كونه جازما فى أمره .

ورابعها : انه وجد مخبر هذا الخبر على ذلك الوجه ، لأنه من عهده عليه الصلاة والسلام الى عصرنا هذا لم يخل وقت من الأوقات من أعداء الدين والاسلام وتشدد دواعيه فى الوقيفة فيه ، ثم انه مع الحرص الشديد لم توجد المعارضة قط .

فهذه الوجوه الأربعة فى الدلالة على الاعجاز مما تشتمل عليهم هذه الآية .

وهذه الأخبار وأمثلها تدل على كون القرآن الكريم كلام الله تعالى العظيم لأن عادة الله سبحانه جارية على أن مدعى النبوة لو أخبر عن شيء ونسب إلى الله تعالى كذبا لا يخرج خبره صحيحا ففي آخر الاصحاح الثامن عشر من سفر الاستثناء ما نصه : « فان أحببت وقلت في قلبك : كيف أستطيع أن أميز الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فهذه تكون لك آية أن ما قاله ذلك النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهذا الرب لم يكن تكلم به ، بل ذلك النبى صورة فى تعظيم نفسه ، ولذلك لا تخشاه » أه .

الأمر الرابع : ما أخبر به من أخبار القرون السالفة والأمم الهالكة ، وقد علم أنه ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يكن مشتغلا بمدارسته مع العلماء ولا مجالسته للفضلاء ، بل تربى بين قوم كانوا يعبدون الأصنام ولا يعرفون الكتاب ، وكانوا عارين عن العلوم العقلية أيضا . ولم يرغب على قومه غيبة يمكن له التعلم فيها من غيرهم ، والمواضع التى خالف القرآن فيها — فى بيان القصص والمحالات المذكورة — كتب أهل الكتاب كقصص صلب المسيح عليه السلام وغيرها . فهذه المخالفة قصدية ، اما لعدم أن هذه الكتب أصلية كالتوراة والانجيل المشهورين ، واما لعدم كونها الهامية ومما يدل على ما ذكرنا قوله تعالى : « ان هذا القرآن يقصص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه مختلفون »

الأمر الخامس : ما فيه من كشف أسرار المنافقين حيث كانوا يتواطئون فى السر على أنواع كثيرة من المكر والكيد ، وكان الله عز وجل يطلع رسوله عليه الصلاة والسلام عن تلك الأحوال حالا فحالا ، ويخبره عنها على سبيل التفصيل ، فما كانوا يجدون فى كل ذلك الا الصدق . وكذا ما فيه من كشف حال اليهود وضمايرهم .

الأمر السادس : جمعه لمعارف وعلوم كلية لم تعهد العرب عامة ولا نبينا ﷺ خاصة من علم الشرائع ، والتنبيه على طرق الحجج العقلية والسير والواعظ وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم . وتحقيق

الكلام فى هذا الباب : أن العلوم اما دينية أو غيرها . ولا شك أن الأولى اعظمها شأنًا وأرفعها مكانًا ، فهى اما علم العقائد والأديان ، واما علم الأعمال .

أما علم العقائد والأديان فهو عبارة عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وأما معرفة الله تعالى فهى عبارة عن معرفة ذاته ومعرفة صفات جلاله ومعرفة صفات اكرامه وأفعاله ومعرفة أحكامه ومعرفة أسمائه .

والقرآن مشتمل على دلائل هذه المسائل وتفاريحها وتفاصيلها على وجه لا يساويه شئ من الكتب السماوية ، بل لا يقرب منه كما لا يخفى على من له أدنى اطلاع على ما فيها .

وأما علم الأعمال فهو اما أن يكون عبارة عن علم التكاليف المتعلقة بالظواهر ، وهو علم الفقه ، ومعلوم أن جميع الفقهاء انما استنبطوا مباحثهم من القرآن .

وأما أن يكون علم التصوف المشرعى المتعلق بتصفية الباطن ورياضة القلوب . وقد حصل فى القرآن العظيم من مباحث هذا العلم ما لا يوجد فى غيره كتقوله سبحانه : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وقوله عز اسمه : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » وقوله جل جلاله : « لا تستوى الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » فقوله : « ادفع بالتى هى أحسن » يعنى ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالخصلة التى هى أحسن ، وهى الصبر ومقابلة السيئة بالحسنة وقوله : « فاذا الذى » الخ يعنى اذا قابلت اساءتهم بالاحسان وأفعالهم القبيحة بالأفعال الحسنة تركوا أفعالهم القبيحة وأبدلوا العداوة بالمحبة ورجعوا عن البغض الى المودة ، ونحو هذه الأقوال كثيرة ، يطول البحث

بذكرها. فثبت : أنه جامع لجميع العلوم النقلية أصولها وفروعها مع ما فيه من التنبيه الكافى على أنواع الدلالات العقلية ، والرد على أرباب الضلال من الدهرية والمشركين وغيرهم ، ببراهين ظاهرة ، وأدلة قاهرة ، وحجج باهرة سهلة المباني دانية المعانى مثل قوله عز من قائل « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم » وكقوله تعالى « يحيىها الذى أنشأها أول مرة » وكقوله سبحانه : « لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا » وغير ذلك . ولنعم ما قيل .

جميع العلم فى القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال

الأمر السابع : كونه بريئا عن الاختلاف والتفاوت ، مع أنه كتاب كبير مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم ، فلو كان من عند غير الله تعالى لموقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة ، لأن الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك . ولما لم يوجد فيه ذلك ، مع ما اشتمل عليه من الأمور السابقة ، علمنا أنه ليس من عند غير الله ، كما قال تبارك وتعالى « أفلا يتدبرون القرآن ؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » وإلى هذه الأمور السبعة المذكورة أشار الله تعالى بقوله : « أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض » لأن مثل هذه البلاغة والأسلوب العجيب والأخبار عن العيوب والاشتمال على أنواع العلوم والبراءة عن الاختلاف والتفاوت ، مع كون الكتاب كبيرا مشتملا على أنواع العلوم لا يتأتى إلا من العالم الذى لا يغيب عن علمه مثقال ذرة مما فى السموات والأرض .

الأمر الثامن : كونه معجزة باقية متلوة فى كل مكان وزمان ، مع تكفل الله سبحانه بحفظه بخلاف معجزات سائر الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — فانها انقضت بانقضاء أوقاتها . وهذه المعجزة باقية على ما كانت عليه من وقت النزول الى زماننا هذا . وقد مضت هذه الاعصار والدهور ، وحجتها قاهرة ومعارضته ممتنعة ، مع أن البلاد والقري والأقطار والبقاع فى كل عصر مملوءة بأصحاب العربية والمتكلمين بهذه

اللغة السننية وأئمة البلاغة والفصحاء ، ولا تخلو من ملحد شديد ومخالف عنيد ، ومجادل استولى على قلبه الران ، أو ضال نحدثه نفسه باطفاء هذا النور المتلألئ فى الاكوان ، فبقى محفوظا متلوا سالما من الزيادة والنقصان .

ثم انه لما كان العجز منه بمقدار أقصر سورة ، فكل جزء منه بهذا المقدار معجز ، فعلى هذا يكون القرآن مشتملا على أكثر من ألفى معجزة ، كما لا يخفى .

الأمر التاسع : ان قارئه لا يسأمه ، وسامعه لا يبهجه ، بل تكراره يوجب زيادة محبته كما قيل .

وخير جليس لا يمل حديثه وترداده يزداد فيه تجملا

وغيره من الكلام — ولو كان بليغا فى الغاية — يمل — مع التردد — فى السمع ويكره فى الطبع . وهذا فى الحقيقة بالنسبة الى من له قلب سليم ، لا الى ذى الطبع السقيم ، فان الصفاوى قد يجد طعم العسل مرا ، والجهل لا يستطيع على الطيب صبرا .

الأمر العاشر : كونه جامعا مع الدليل ومدلوله . فالتالى له اذا كان ممن يدرك معانيه يفهم مواضع الحجة والتكليف معا فى كلام واحد ، باعتبار منطوقه ومفهومه ، لأنه ببلاغة الكلام يستدل على الإعجاز وبالمعنى بقف على أمر الله تعالى — ونهيه ووعدته ووعيده .

الأمر الحادى عشر : ان حفظه سهل على من أراده . كما قال الله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر » حتى أن الأولاد الصغار يحفظونه فى أقصر مدة ولذا يوجد فى كل عصر فى أغلب بلاد المسلمين حفاظ له كثيرون ، وربما يزيدون على مائة ألف حافظ ، بحيث يمكن أن يكتب القرآن من حفظ كل فرد منهم ، من أوله الى آخره من غير غلط فى اعرابه ومن

المعلوم انه لا يوجد في جميع بلاد النصارى وغيرها من يحفظ التوراة والانجيل وان وجد ، فهو من أندر النوادير ، مع أن المسيحيين متفرغين للتحصيل ومتوجهين الى أخذ العلوم والمعارف والصنائع منذ ثلثمائة سنة وهم والحمد لله تعالى لم يقاربهوا المسلمين في ذلك . وهذا من الفضل البديهي لأمة محمد ﷺ وكتابهم الكريم .

الأمر الثاني عشر : الخشية التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماع تلاوته ، والهيبه التي تعترى تاليه . وهذه الخشية قد تعترى من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفسيره فمنهم من أسلم لها لأول وهلة ومنهم من يسلم بعد ذلك ، ومن ذلك ما روى أن نصرانياً من بقرى ، فوقف يستمع ويكي فسئل عن سبب البكاء ، فقال الخشية التي حصلت له من أثر كلام الرب . ومنه : أن جعفر الطيار رضى الله تعالى عنه لما قرأ القرآن على النجاشي وأصحابه ، مازالوا يبكون حتى فرغ جعفر رضى الله تعالى عنه من القراءة ، وأن النجاشي أرسل سبعين عالماً من العلماء المسيحيين الى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم سورة يس ، فبكوا وآمنوا فنزل في حق الفريقين أو أحدهما قوله تعالى : « واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فأكتبنا مع الشاهدين » وأمثال هذا كثير ، لو أردنا أن نعدده لطلال بنا الكلام ، وربما لحق السامع سأم .

فثبت من الأمور المذكورة : أن القرآن معجز ، وأنه كلام الله سبحانه بلا ريب كيف لا ؟ وحسن الكلام يكون لأجل ثلاثة أشياء : أن تكون ألفاظه فصيحة ، وأن يكون نظمه مرغوباً ، وأن يكون مضمونه حسباً وهذه الأمور الثلاثة متحققة في القرآن بحيث لا تخفى على كل ذى قلب سليم وعقل مستقيم ولب وسيم .

ولنختم هذه الأمور بفائدتين :

الأولى : ان سبب نزول القرآن منجماً في ثلاث وعشرين سنة ، ولم ينزل دفعة واحدة وجوه :

أحدها : ان النبي ﷺ لم يكن ممن يقرأ أو يكتب ، فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة ، لربما كان لا يضبطه ولجاز عليه السهو ، كما هو شأن البشر .

وثانيها : انه لو أنزل الله تعالى عليه الكتاب دفعة واحدة ، فلربما اعتمد على الكتاب ، وتساهل في الحفظ حسب العادة البشرية ، فلما أنزله تبارك وتعالى منجها مفرقا حفظه وبقيت سنة الحفظ في أمته حتى أن كثيرا من أطفالهم يحفظه وقت القراءة عند معلمه .

وثالثها : انه لو أنزل دفعة لكان نزول الأحكام التكليفية أيضا دفعة ، لأنها في ضمنه فيثقل على الناس امتثال ذلك ، لأن النفوس ربما لا تطيق حمل الأشياء بأسرها جملة واحدة فاذا كلف بحملها تدريجيا لا تعباً عنه ، فنزول التكاليف أولا فأولا وتحملها شيئا فشيئا ، أسهل وأخف . كما روى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أنه قال : لقد أحسن الله تعالى إلينا كل الاحسان ، كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله ﷺ بهذا الدين جملة ، وبالقرآن دفعة ، لثقلت هذه التكاليف علينا ، فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة ، فلما قبلناها وذقنا حلاوة الايمان ، قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة ، الى أن تم الدين وكملت الشريعة .

ورابعها : أنه عليه الصلاة والسلام اذا شاهد جبريل حالا بعد حال ، يقوى قلبه بمشاهدته ، فكان أقوى على أداء ما حمل ، وعلى الصبر على عوارض النبوة ، وعلى احتمال أذية القوم .

وخامسها : انه لما تم شرط الاعجاز فيه مع كونه منجها ، ثبت كونه معجزا ، فانهم لو قدروا لوجب أن يأتوا بمثله منجها مفرقا .

وسادسها : كان القرآن ينزل بحسب أسئلتهم والوقائع الواقعة لهم ، فكانوا يزدادون بصيرة ، لأن الاخبار عن الغيوب كان ينضم بسبب ذلك الى الفصاحة .

هذا هو السر في نزول القرآن على النبي ﷺ ، وهو السر في إعجاز القرآن ، وهو السر في إعجاز القرآن ، وهو السر في إعجاز القرآن .

وسابعها : أن القرآن لما نزل منجبا وتحداهم النبي ﷺ من أول الأمر فكانه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن ، فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل أولى فثبت بهذا الطريق : أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة .

ومما يناسب انشاده في هذا المقام ما قاله من قصيدة طويلة صاحبنا « أحمد عزت باشا الفاروقى » في مدحه عليه الصلاة والسلام ، وهو قوله .

رسول أتانا بالكتاب منجبا

فكان لنا سيفا وكان كتابا

وإدى لنا حق الرسالة كلها

وانذرنا صدقا وقال صوابا

لقد أنكرته من قريش معاشر

فضلت وأمست للسيوف قرابا

أبى الله إلا أن يتم نوره

على رغم من لا يخلقون ذبابا

فكم من بدور أشرقت يوم بدره

ونجم معود فى المذلة غابا

الفائدة الثانية : سبب تكرار بيان التوحيد وحال القيامة وقصص فى مواضع : أن العرب كانوا مشركين وثنيين ، ينكرون هذه الأشياء ، وغير العرب ، بعضهم مثل أهل الهند والصين والمجوس كانوا مثل العرب فى الإنكار ، وبعضهم كأهل التثليث كانوا فى الإفراط والتفريط فى اعتقاد هذه الأشياء ، فلأجل التقرير والتأكيد كرر بيان هذه الأشياء .

ولتكرار القصص أسباب أخرى أيضا :

منها : أن اعجاز القرآن لما كان باعتبار البلاغة أيضا وكان التحدى بهذا الاعتبار ، فكررت القصص بعبارات ، ايجازا واطنابا ، مع حفظ الدرجة العليا للبلاغة فى كل مرتبة ، ليعلم أن القرآن ليس كلام البشر ، لأن هذا الأمر عند البلغاء خارج عن القدرة البشرية .

ومنها : أنه كان لهم أن يقولوا أن الألفاظ الفصيحة التى كانت مناسبة لهذه القصة ، استعملتها وما بقيت ألفاظا أخرى مناسبة لها ، وأن يقولوا ان طريق كل بليغ يخالف طريق الآخر فبعضهم يقدر على الطريق المطنب ، وبعضهم على الموجز فلا يلزم من عدم القدرة على نوع عدم القدرة مطلقا ، أو أن يقولوا : ان دائرة البلاغة ضيقة فى بيان القصص ، وما صدر عنك بيانها مرة ، فمحمول على الاتفاق . فلما كررت القصص ايجازا واطنابا ، لم يبق عذر من هذه الاعذار الثلاثة .

ومنها : أنه ﷺ كان يضيق صدره بايذاء القوم وشرهم ، كما أخبر الله تعالى بقوله : « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » فيقضى الله سبحانه قصة من قصص الأنبياء مناسبة لحالة فى ذلك الوقت ، لتثبيت قلبه كما أخبر الله تعالى بقوله : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ، ما نثبت به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحق ، وموعظة ، وذكرى للمؤمنين »

ومنها : أن المسلمين كان يحصل لهم الايذاء من الكفار ، وأن قوما كانوا يسلمون أو أن الكفار كان المقصود تنبيههم ، فكان الله عز وجل ينزل فى كل موضع من هذه القصص ما يناسبه ، لأن حال السلف تكون عبرة للخلف .

ومنها : أن القصة الواحدة قد تشتمل على أمور كثيرة ، فتذكر تارة ، ويقصد بها بعض الأمور قصدا ، وبعضها تبعا ، وتعكس مرة أخرى .

الفصل الثانى فى دفع شبهات القسيسين عن القرآن المبين .

المشبهة الأولى : قالوا لا نسلم أن عبارة القرآن فى الدرجة القصوى من البلاغة الخارجة عن العادة ، ولو سلمنا ذلك فهو يكون دليلا ناقصا على الإعجاز ، لأنه لا يظهر إلا لمن كانت له معرفة تامة بلسان العرب ، ويلزم أن تكون جميع الكتب التى توجد فى الألسن الأخرى ، مثل اليونانى واللاتينى ، وغيرهما فى الدرجة المعالية من البلاغة كلام الله تعالى ، على أنه يمكن أن تؤدى المطالب الباطلة والمضامين القبيحة بالمفاظ نصيحة وعبارات بليغة فى الدرجة القصوى .

والجواب عن ذلك : إن عدم تسليم كون عبارة القرآن فى الدرجة العليا ، مكابرة محضة ، لما عرفت فيها تقدم . وقولهم : لأنه لا يظهر إلا لمن كانت له معرفة تامة بلسان العرب : حق ، لكن التقريب غير تام ، لأن هذه المعجزة لما كانت لتعجيز البلغاء والفصحاء ، وقد ثبت عجزهم ولم يعارضوا واعترفوا بها ، وعرفها أهل اللسان سبيلقتهم وغيرهم من العلماء بمهارتهم فى فن البيان ، وأحاطتهم بأساليب الكلام ، وعرفها القوم من الفرق بشهادة الوقت للوف من أهل اللسان والعلماء ، فظهر أنها معجزة يقينا ، ودليل كامل لا ناقص كما زعموا وصارت سببا من الأسباب الكثيرة التى يعلم بها أن القرآن كلام الله تعالى . ولا يدعى أهل الاسلام أن سبب كون القرآن كلام الله تبارك وتعالى منحصر فى كونه بليغا محظ ، وكذا لا يدعون أن معجزة النبى ﷺ منحصرة فى بلاغة القرآن فقط ، بل يدعون أن هذه البلاغة سبب من الأسباب الكثيرة ، لكون القرآن كلام الله تعالى ، وإن القرآن بهذا الاعتبار أيضا معجزة من المعجزات الكثيرة للنبى ﷺ كما عرفت فيما تقدم وهذه المعجزة ظاهرة فى هذا الزمان أيضا لمن لا يحصى عددهم إلا الله تعالى من أهل اللسان ، وماهرى علم البيان . وعجز المخالفين ثابت من ظهورها الى هذا الزمان .

وقولهم : « يلزم أن يكون جميع الكتب » الى آخره . غير مسلم لأن هذه الكتب لم تثبت بلاغتها فى الدرجة القصوى بأعشار الوجوه التى

مر ذكرها ، ولم يثبت ادعاء مصنفها الاعجاز وعجز فصحاء هذه الألسن ، عن معارضتها . فان ادعى أحد هذه الأمور بالنسبة الى هذه الكتب فعليه الإلتبات ، والا فلا بد أن يتمتع عن مثل هذا الادعاء الباطل ، على أن شهادة بعض المسيحيين فى حق الكتب المذكورة بأنها فى هذه الألسن مثل القرآن فى اللسان العربى فى الدرجة العليا من البلاغة ، غير مقبولة ، لأنهم اذا لم يكونوا من أهل اللسان فلا يميزون غالبا فى لسان الغير بين المذكر والمؤنث ، ولا بين المفرد والمثنى والجمع ، ولا بين المرفوع والمنصوب والمجرور ، فضلا عن أن يميزوا الإبلغ عن اللبليغ . وعدم تمييزهم هذا لا يختص بالعربى ، بل فيه وفى العبرانى واليونانى والملاطينى على طريقة واحدة . ومنشأ عدم التمييز سذاجة كلامهم ، لا سيما اذا كان هذا البعض من أهل انجلترا ، فانهم مشاركون فى هذه السذاجة لغيرهم من المسيحيين ، وممتازون عنهم بعادة أخرى أيضا وهى أنهم اذا عرفوا الفاظا معدودة من لسان الغير ، يظنون أنهم تبحروا فى المعرفة ، واذا تعلموا مسائل معددة من علم ، يعدون أنفسهم من علماء هذا العلم والفرنساويون واليونانيون طاعنون عليهم فى هذه العادة .

ويشهد للدعوى الأولى : أن الأب سنركيس الهارونى مطران الشام جمع باذن البابا اريانوس الثامن كثيرا من القسيسين والرهبان والعلماء ومعلمى اللسان العبرانى والعربى واليونانى وغيرها ليصلحوا الترجمة العربية التى هى مملوءة بالاغلاط الكثيرة ، والنقص الوافر فبدلوا الجهد فى الاصلاح سنة ١٦٧٥ من البلاد ، فأصلحوا بمقتضى وسعهم لكن لما علموا بقاء نقائص كثيرة فى ترجمتهم — كما هى سجية المسيحيين اعتذروا عن ذلك فى المقدمة التى حرروها فى أول النسخ ، ولذكر لك عبارة ذلك وهى قولهم : « ثم انك فى هذا النقل غير موافق قوانين اللغة ، بل مضادا لها كالجنس المذكر بدل المؤنث ، والفرد بدل الجمع والجمع بدل المثنى ، والرفع مكان الجر والنصب فى الاسم ، والمجزم فى الفعل ، وزيادة الحروف عوض الحركات وما يشابه ذلك فكان سببا لهذا كله سذاجة كلام

المسيحيين ، فصار لهم نوع تلك اللغة مخصوصا ولكن ليس فى اللسان العربى فقط ، بل فى اللاتينى واليونانى والعبرانى تغافلت الأنبياء والرسل والآباء الأولون عن قياس الكلام لانه لم يرد روح القدس أن تقيد اتساع الكلمة الالهية بالحدود المضيفة التى حددتها الفرائض النحوية ، فقد لنا الأسرار المساوية بغير فصاحة وبلاغة « انتهى كلامهم بلفظه .

ويشهد للدعوى الثانية : أشياء كثيرة لا تخفى ، يعرفها كل مطلع على أحوالهم ، منها ما ذكره أبو طالب خان السياح فى كتابه الفارسى المسمى بالسمر الطالبى المشتمل على بيان ما وقع له فى سياحته ، وكتب فيه ما رآه من حال كل إقليم ساح فيه من محاسنه ومساوئه ، فكتب من محاسن أهل انجلترا ومساوئهم ، فى الزميمة الثامنة ، وترجمة المتصود منها ما لفظه : « الثامنة خطوهم فى معرفة حد العلوم ولسان الغير ، لأنهم يحسبون أنفسهم عار فى كل لسان ، ومن أهل كل علم معدودة من ذلك اللسان ، أو مسائل معدودة من ذلك العلم ، ويؤلفون الكتب فيها ، ينشرون هذه المزخرفات بعد الطبع ، ووقفت على هذا المعنى بشهادة الفرنساويين واليونانيين ، لأن تحصيل ألسنتهم رائج فى أهل انجلترا ، وحصل لى اليقين بمشاهدة تصرفاتهم فى اللسان الفارسى « انتهى .

ثم قال « اجتمع فى لندن الكتب الكثيرة من هذا النوع ، بحيث يكاد أن تبقى الكتب الحققة بعد برهة من الزمان متميزة « انتهى كلامه .

فصل

وقولهم : « على أنه يمكن أن تؤدى المطالب الباطلة بالفاظ فصيحة » الى آخره .

لا ورود له فى حق القرآن العظيم كما لا يخفى على صحيح النظر غير سقيم لأن القرآن مملوء من اوله الى آخره بذكر هذه الأمور السبعية

والعشرين ، ولا نجد آية طويلة فيها خالية عن ذكر أمر من هذه الأمور .

الأمر الأول : الصفات الكاملة الالهية مثل كونه واحداً أحداً قديماً وأزلياً وأبدياً وقادراً وعالماً وسمعياً وبصيراً ومتكلماً وحكيماً وخبيراً وخالق السموات والأرض ورحيماً ورحماناً وصبوراً وعادلاً وقدوسياً ، ومحياً ومميتاً وغيرها .

الثاني : تنزيه الله تعالى عن المعائب والنقائص مثل الحدوث والعجز والجهل — والظلم واتخاذ صاحبة والولد وغيرها .

الثالث : الدعوة الى التوحيد الخالص والمنع عن الشرك مطلقاً وعن الاستعانة بغيره سبحانه فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وعن الطلب من غيره وأن يدعو غيره عز وجل ، والمنع عن التثليث الذى هو الشرك الأكبر كما تقدمت أدلته لك فتذكر .

الرابع : نكؤ الأنبياء عليهم السلام .

الخامس : تنزيههم عن عبادة الأوثان وغير ذلك من الفسوق والعصيان

السادس : مدح المؤمنين بالأنبياء عليهم السلام .

السابع : ذم منكريهم .

الثامن : تأكيد الايمان بالأنبياء عموماً وبالمسيح خصوصاً .

التاسع : الوعد بأن المؤمنين يغلبون المنكرين فى عاقبة الأمر .

العاشر : حقيقة التيامة والجزاء على الأعمال فى يومها .

الحادى عشر : ذكر الجنة والنار .

الثانى عشر : ذم الدنيا وبيان عدم ثباتها .

الثالث عشر : مدح العقبى وبيان ثباتها ودوامها ونعيمها .

- الرابع عشر : بيان حل الأشياء وحرمتها .
- الخامس عشر : بيان أحكام تدبير المنزل .
- السادس عشر : بيان أحكام سياسات المدن .
- السابع عشر : التحريض على محبة الله تعالى .
- الثامن عشر : بيان الأشياء التي هي ذريعة الوصول الى السجّل وعز .
- التاسع عشر : الزجر عن مصاحبة الفجار والفساق وعن الركون اليهم .
- العشرون : تأكيد خلوص النية في العبادات البدنية والمالية .
- الحادى والعشرون : التهديد على الرياء والسمعة .
- الثانى والعشرون : التأكيد على تهذيب الأخلاق بالاجمال والتفصيل .
- الثالث والعشرون : التهديد على فعل الأخلاق الذميمة بالاجمال .
- الرابع والعشرون : مدح الأخلاق الحسنة مثل الحلم والتواضع والكرم والشجاعة والعفة وغيرها .
- الخامس والعشرون : ذم الأخلاق القبيحة ، مثل الغضب والعجب والتكبر والبخل والجبن والظلم وأكل مال الناس بالباطل وغيرها .
- السادس والعشرون : الوعظ بالتقوى والصالح والإصلاح بين الناس وترك أذاهم والإحسان اليهم .
- السابع والعشرون : الترغيب الى ذكر الله تعالى وعبادته والخوف منه والرجاء لرحمته ولا شك أن هذه محمودة مستحسنة عقلا ونقلا وجاء ذكر هذه الأمور فى الكتاب المبين مرارا للتأكيد والتقرير ، فلو كانت هذه المضامين قبيحة ، فأى مضمون يكون حسنا ؟ ليت شعرى .

فصل نقول : نعم لا يوجد فى القرآن نيف وعشرون مسألة وهى التى يزعمها أهل التوراة والانجيل : أن النبى الفلانى زنى بابنته ، أو زنى بزوجة الغير ، وقتله بالحيلة ، أو عبد المعجل ، أو ارتد فى آخر عمره وعبد الأصنام وبنى المعابد لها ، وافترى على الله الكذب ، وكذب فى التبليغ وخدع بكذبه نبيا آخر مسكينا ، وألقاه فى غضب الرب سبحانه أو أن داود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم كان أصل تولدهم من الزنا ، لأنهم تولدوا من فارص بن يهود أو أن الرسول الأعظم ابن الله البكر أبا الأنبياء زنى ابنه الأكبر بزوجة ابيه ، الثانى بزوجة ابنه . وسمع هذا النبى العظيم الشأن ما صدر عن ابنه المحبوبين ، وما أجرى عليهما الحد ، غير أنه دعا على الأكبر وقت موته لأجل هذه الفعلة الشنيعة ، ولم ينقل فى حق الآخر أنه غضب عليه بل نقل أنه دعا له بالبركة التامة عند الموت ، وأن الرسول العظيم الآخر البكر الثانى أيضا الزانى بزوجة الغير ، زنى ابنه الحبيب ببنته الحبيبة ، وسمع بذلك ، وما أجرى عليهما الحد ولعله بزعمهم وحاشاه امتنع عن الحد ، لأنه كان مبتلى بالزنى أيضا بزعمهم فكيف يجرى ذلك على الغير ولا سيما على أولاده . وهذا القدر مسلم عند اليهود والنصارى . ومصرح به فيما يتمسكون به من العهد العتيق ، المسلم عند الفريقين ، والآن أسفاره على ظهورهم .

وكذلك لا يوجد فى القرآن العظيم كما يوجد فى العهد الجديد ان يحيى عليه السلام الرسول الذى هو أعظم الأنبياء الاسرائيلية بشهادة عيسى عليه السلام لم يعرف الهه الثانى ، ومرسله الذى هو عيسى الى مدة ثلاثين سنة ، والى وقت الاصطباغ منه ، والى ان نزل على هذا الاله الثانى وهو عيسى بزعمهم الاله الثالث ، وهو روح القدس فى شكل حمامة ، حتى عرف يحيى أن عيسى الهه مالكه وخالق السموات والأرض .

وكذلك ليس فى القرآن أن الرسول الآخر السارق الذى كان عنده الكيس المسروقة أعنى « يهوذا الاسخريوطى » الذى هو صاحب الكرامات

والمعجزات ، وأحد الحواريين الذين هم أعلى منزلة من موسى بن عمران وسائر الأنبياء الاسرائيلية ، على زعمهم باع دينه بثلاثين درهما وسلم الهه وخالقه ورازقه ومميته ومحبيه بأيدي أعدائه اليهود ، لهذه الرثوة النجسة ، حتى أخذوا الهه وصلبوه بين لصين . ويقتضى على زعمهم أن يهوذا المذكور لما كان صيادا أو لصا محتاجا ورسولا خداعا ، كانت عنده هذه الدراهم من أجل ما يتمناه ، ومقدمة عنده على عيسى وأن كان يعتقد أنه الاله فتعود من هذا الاعتقاد السيء بالله .

وكذلك لا يوجد في القرآن مثل أن تيافا رئيس الكهنة الذى ثبتت نبوته بشهادة يوحنا الانجيلي أفتى بقتل الهه وكذبه وكفره واهانته . وقد وقع في حق هذا الاله المصلوب بزعم النصارى ثلاثة أمور عجيبة من ثلاثة أنبياء على عدد التثليث :

١ - أن أعظم أنبيائه الاسرائيليين لم يعرفه معرفة جيدة الى مدة ثلاثين سنة أى الى أن رآه ، ونزل عليه الاله في شكل الحمامة .

٢ - وأن نبيه الثانى ارتشى على تسليمه وقتله .

٣ - وأن التثليث أفتى بقتله وكذبه وكفره ، أعادنا الله تعالى من هذه الاعتقادات وأمثالها الباطلات وهذا كله موجود في انجيلهم الموسوم بالمعهد الجديد ، نقلناه لترى الفرق بينه وبين القرآن المجيد .

وليس اعتقاد المرء ما خط كفه كما أن حاكى الكفر ليس بكافر

وكذلك لا يوجد في القرآن هذه المسائل الآتية التى عجزت عن أكثرها عقولنا بل عقول العالم وتعتقدها الفرقة القديمة أعنى فرقة كتلك التى عددها بحسب ادعاء بعض آبائها في هذا الزمان ما يزيد على مائتى مليون . وهى أن مريم عليها السلام قد حبلت بها أمها بلا قرب زوج ، كما انكشفت هذه الحقيقة على الباباويين ، من مدة قريبة ، وأن كل قطعة خبز من الخبز الذى يقدهسه القسيس ، وإن كان بمقدار مليونات

أمر متعددة ، تستحيل في العشاء الرباني في أن واحد في أمكنة مختلفة إلى المسيح الكامل بلاهيته وناسوته الذي تولد من العذراء فتأكله الأشخاص المتعدون ويستحيل ما يستحيل . وهذه الاستحالة حقيقية عندهم ، كما قدمناه لك غير مرة فهل ، يقول بهذا القول من شم رائحة العقل ؟

وكذا لا يوجد في القرآن : أنه لابد أن يصطنع الصور والتماثيل ويسجد قدامهن ، وأنه لا خلاص بدون الإيمان بالبابا وأن كان غير صالح في نفس الأمر ، وأن أسقف رومية هو البابا دون غيره ، وهو رأس الكنيسة ومعصوم من الغلط ، وأن كنيسته رومية هي أم الكنائس كلها ومعلمتها ، وأن للبابا ومتعلقيه خزافة من قدر جليل من استحقاقات القديسين أن يمنحوا الغفرانات ، أي يغفروا ذنوب المذنبين الفاشين لهم خطاهم ، ولا سيما إذا استوفوا ثمننا وأفيا لأجلها كما هو الروح المعروف عندهم ، وأن البابا له منصب تحليل الحرام وتحريم الحال ، كما قال المعلم ميخائيل مشاقه من علماء البروتستنت في الصفحة السادسة والستين من كتابه المسمى بـ « أجوبة الانجيليين على أباطيل » التقليديين المطبوع في بيروت سنة ١٨٥٢ ما لفظه : « والآن تراهم يزوجون العم بابنة أخيه ، والخال بابنة أخته ، والرجل بامرأة أخيه ذات الأولاد ، خلافا لتعليم الكتب المقدسة ولجامعهم المعصومة ، وقد أضحت هذه المحرمات حلالا عند أخذهم الدراهم عليها وكم من التحذيرات وضعوها على الكليريكيين بتحريم الزيجة الناموسية المأمور بها من رب الشريعة » انتهى كلامه بلفظه .

ثم قال : « وكم حرموا أصناف الأطعمة ثم أباحوا ما حرموه وفي عصرنا أباحوا أكل اللحوم في صومهم الكبير ، الذي طالما شددوا بتحريمها فيه انتهى بلفظه .

وفي الرسالة التالية من كتاب الثلاثة عشر رسالة في الصفحة الثامنة والثمانين ما لفظه : « فرنسيس ذبادلا ، الكردينال يقول أن البابا ماذون أن

يعمل ما يريد ، حتى ما لا يحل أيضا ، وهو أكبر من الله سبحانه الله عما
يصفون » انتهى كلامه بلفظه .

وكذلك يقولون : ان أنفس الصديقين تتوجه الى العذاب في المطهر ،
وتنقلب في نيرانه حتى يمنحها البابا الفجران ، أو يخلصها القسوس
بقداستهم بعد استيلائهم على أثمانها . وأهل هذه الفرقة يحصلون صكوكا
وسندات وبراءات من نواب البابا وخلفائه ، ليحصل النفاة من عذابه .
لكن العجب من هؤلاء المشتريين العقلاء أنهم اذا اشتروا هذه الصكوك
والبراءات من خليفة الله النافذ أمره في الأرض والسماء ، بزعمهم ، فلم
يطلبوا منه أوراقا مشعرة بوصول ممضاة مختومة بختم الذين أعتقهم من
العذاب من أسلافهم ومن مات قبل ذلك ؟ ولما كانت قدرة البايوات تزيد
يوما فيوم ، بفيض روح القدس اخترع البابا « لاون » العاشر للمغفرة
تذاكر تعطى منه أو من وكيله للمشتري بمغفرة خطاياہ الماضية والمستقبله
أيضا . وكان مكتوبا فيها ما عبارته : **ربنا يسوع يرحمك ، ويعفو عنك**
باستحقاقات الأمة المقدسة .

وبعد :

فقد وهب لى بقدرة سلطان رسله بطرس وبولس واليايا الجليل
في هذه النواحي ، أن أغفر لك أولا : عيوك الاكثروسية مهما كانت .
ثم خطاياك ونقائصك ، ولو مهما كانت تفوت الاحصاء ، بل أيضا الخطايا
المحفوظ حلها للبابا ويقدر امتداد مفاتيح الكنيسة الرومانية ، أغفر لك
كل العذابات التي سوف تستحقها في المطهر ، وأردك الى أسرار الكنيسة
المقدسة ، والى اتحادها والى ما كنت حاصلًا عليه عند عمادك من العفة
والمطهارة ، حتى أنك متى مت تغلق في وجهك أبواب العذابات وتفتح لك
أبواب الفردوس وان لم تمت الآن فهي باقية لك بفاعلية تامة الى آخر
ساعة موتك باسم الرب والابن والروح القدس ، آمين . كتب بيد الأخ
يوحنا تترك الوكيل الثاني » انتهى أه .

وكذلك ان مسافة جهنم فراغ مكعب فى قلب الأرض كل من اضلعه مائتا ميل ، وأن البابا يرسم الصليب على نعليه وغيره على وجهه . والظاهر أن نعلى البابا ليست أدون من الصليب ومن وجوه الأساقفة الآخرين ، وكذلك أن بعض القديسين وجهه كوجه الكلب ، وجسده كجسد الانسان ، وهو يشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى . فقد قال المعلم المتقدم ذكره فى الصفحة الرابعة عشر بعد المائة من كتابه المذكور طاعنا على تلك الفرقة ما لفظه : « وربما صوروا بعض قديسين على صورة لم يخلق الله تعالى مثلها كتصويرهم رأس كلب على جسم انسان ، يسمونه القديس خريستفورس ، ويقدمون له أنواع العبادة اذ يقبلونه ويسجدون أمامه ويشعلون له الشموع ويطلقون له البخور ، ويلتمسون شفاعته فهل يليق بالمسيحيين الاعتقاد بوجود العقل النطقى والقداسة فى أدمغة الكلاب ؟ أين هى عصمة كنائسهم من الغلط ؟ » انتهى بلفظه .

ولعل محبة المسيحيين من أهل أوربا للكلاب لأجل كونهم على صورة القديس المكرم عندهم . وكذلك ليس فى القرآن أن خشبة الصليب وتصاوير الآب الأزلى والابن والروح القدس يسجد لها سجودا حقيقيا على وجه العبادة ، وأن صور القديسين يسجد لها سجود كرامة ، وليت شعرى ما سيب تعظيمهم وسجودهم لأنواع الخشبة التى صلب عليها المسيح عليه السلام يزعمهم ، اذ لا يخلوا الحائ من ثلاثة شقوق : لانه أما أن يكون ذلك لأن مثلها قد مس جسد المسيح ورفع عليه ولم لأنها واسطة فدائه وتخليصه لهم من الخطيئة ، واما لأن دمه سال عليها .. فان كان الأول فيلزم أن يكون نوع الحمر معبودا لهم ومقدما على نوع الخشبة ، لأن المسيح ركب على الحمار ودخل على اورشليم مجدا فهو موضع راحته وسروره ، ولا سيما فهو مشترك مع الانسان بالجنس القريب بخلاف الخشبة وان كان الثانى فيهود الاسخريوطى أحق بالتعظيم لانه الواسطة الأولى والذريعة الكبرى للفداء فانه لولا تسليمه لليهود لما أمكنهم مسكه وصلبه ومع هذا فهو مساو للمسيح فى الصورة الانسانية ، وهى صورة الهة عيسى ومن الممثلين بروح القدس وأصحاب الكرامات ، فلم صار

عندهم ملعونا والخشبة محترمة ؟ وأما الثالث فلأن الشوك المضفور اكليلًا على رأسه ، قد فاز بهذه الفضيلة لأن الدم قد سال عليه أيضا . فما باله لم يعبد ولم يعظم مثل ذلك الخشب المكرم ؟ اللهم الا أن يقولوا ان هذا سر ، مثل سر التثليث والاستحالة ، خارجان عن ادراك العقول البشرية ، ويجب الايمان بهما ، وان كانا محالان فى عقول السرية وحينئذ لا يحسن معهم الكلام لأنه لا يتوجه الخطاب الا الى ذوى العقول من الانام وهم قد اعترفوا أن هذا مما لا تدركه العقول ، ولا يطابق العقول ، وانه كالجمع بين الليل والنهار ، فانى تصوره الأفكار أو تراه الابصار ؟

ومما يدخل فى عداد هذا الخبط ويكون قريبا لهذا الخلط ، تعظيم صورة أقنوم الآب لانك قد عرفت فى كتابنا هذا أن الله سبحانه برىء عن الشبه ، وما رآه أحد ، ولا يقدر أن يراه أحد فى الدنيا كما هو مذكور فى كتبهم السماوية ، فليت شعرى أى أب من آبائهم ، وقس من قسوسهم رآه سبحانه وتعالى فصوره ؟ ومن أين علموا أن هذه الصورة مطابقة لصورته جل وعز ؟ ومن أين علموا أن هذه الصورة غير مطابقة لصورة شيطان أو انسان أو كافر ؟ ولم لم يعبدوا كل انسان ؟ سواء كان مسلما أو كافرا لأنه على صورة الله تعالى بزعمهم كما تحكيه توراتهم : « انا خلقنا انسانا على صورتنا » فهو أولى من الصورة المتوهمة بأن يعبد ، لأنه محقق فيما عندهم أن صورة الانسان كصورة الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا .

والعجب أن البابا يسجد لهذه الصورة للوهية المنحوتة من الجماد ، ويحترق صورة الله التى هى الانسان ، ويمد رجله لذلك الانسان لكي يقبل نعله الذى عليه الصليب .

وكذلك ليس فى القرآن أن البابا هو القاضى الأعلى فى الحكم على تفسير معانى الكتب ، واخترعت هذه العقيدة فى الأجيال المتأخرة والا ما قدر « الكستائين » و « فم الذهب » وغيرهما من مفسريهم القدماء

الذين لم يكونوا باباوات ولم يستأذنونهم أن يفسروا جميع الكتب المقدسة من تلقاء أنفسهم ، مع أن تفاسيرهم قد قبلت عند جميع كنائس عصرهم . ولعل الباباوات حصل لهم هذا القضاء الأعلى بمطالعة تفاسيرهم بعد ما صنفوها . وكذلك أن الأساقفة والشمامسة ممنوعون عن الزواج ، ولذلك يفعلون ما لا يفعله المتزوجون .

وقد رد كثير من معلميهم اجتهاد الباباوات في ذلك ، فقد قال المعلم صاحب كتاب الثلاثة عشر رسالة في الرسالة الثالثة في الصفحة الرابعة والأربعين بعد المائة : « نزعوا من الكنيسة الزواج المكرم فملاؤها بالزنا والضاجعة مع الذكور والأمهات والأخوات ، وبكل أنواع الادناس ، حتى أنه وجد فسوس وراهبات تدنسوا بالزنا ، وصارت أديرتهم مثل البيوت المخصصة للزنا » انتهى باقتصار .

وقد قدمناه لك فيما سبق مفصلا ، فتذكر . وقد تبين لك أن هذه المضامين وأمثالها الكثيرة لا توجد في القرآن المبين ، فلذا لم يقبلوه . وعلم أن المضامين المقبولة عندهم والأحكام المرضية لديهم مثل هذا الذي تدننوا به ، وجعلوه دستور أحكامهم ، وزبروه في كتب ديانتهم .

وأما بعض المضامين التي في القرآن من ذكر الجنة والنار ويزعم أنها قبيحة فسيأتي في محلها ان شاء الله تعالى جوابها ، وينكشف نقابها ويحطو رضابها وتفتح أبوابها ، وتأتيهم عذوبتها لا عذابها والله سبحانه الموفق .

الشبهة الثانية : ان القرآن مخالف لكتب العهد العتيق والجديد في مواضع ، فلا يكون كلام الله تعالى وعنهما جوابان :

الأول : ان هذه الكتب لما لم تثبت أسانيدھا المتصلة الى مصنفیھا ، وكذا لم يثبت أن كل كتاب منها الهامى وقد ثبت بالبراهين القاطعة والأدلة الظاهرة التي لا يمكن انكارها أنها مختلفة اختلافا معنويا في مواضع

كثيرة ، ومملوءة بالأغلاط الوفيرة التي لا يسع أحد إخفاؤها وثبت التحريف فيها بالإمارات القاطعة ، بحيث لم يبق لأهل الكتابين مجال فى انكار جميع ذلك ، اللهم الا بالمكابرة التي لا تجدى نفعا كما بسطنا جميع هذا فى محله من هذا الكتاب — وحينئذ فلا تضر مخالفتها للقرآن فى المواضع المذكورة ، بل تكون دليلا على كون المواضع المذكورة عطا أو محرفة فى الكتب المذكورة كسائر الأغلاط والتحريفات التي بينها فى هذا الكتاب .

والجواب الثانى : ان المخالفة التي بين القرآن وبين كتب العهدين فى زعم القسيسين على ثلاثة أنواع :

الأول : باعتبار الأحكام المنسوخة .

والثانى : باعتبار بعض الحالات التي جاء نكرها فى القرآن العظيم ولا يوجد نكرها فى العهدين .

والثالث : باعتبار أن بيان بعض الحالات فى القرآن يخالف بيان هذه الكتب وهذه الطعون مردودة والحمد لله تعالى فى الكتب الإسلامية بما هو مقبول عند الخالين من العصبية الجاهلية .

أما الأول فلأن النسخ لا يختص بالقرآن الكريم بل هو موجود فى الشرائع السابقة فى أحكام كثيرة منها تزوج الاخوة بالاخوات فى عهد آدم عليه السلام ثم نسخ ، ومنها حل جميع الحيوانات فى عهد نوح ثم نسخ وحرم فى شريعة موسى ، ومنها جمع الاختين وهما ليا وراحيل ليعقوب عليه السلام ، وهذا الجمع حرام فى الشريعة الموسوية كما فى الاصحاح الثامن عشر من سفر الاحبار ، ومنها يجوز الطلاق فى الشريعة الموسوية كما فى الاصحاح الرابع والعشرين من كتاب الاستثناء ولا يجوز فى الشريعة العيسوية الا بعلقة الزنا كما فى الاصحاح الخامس والتاسع عشر من انجيل متى ، ومنها حرمة حيوانات كثيرة فى الشريعة الموسوية وحلها فى الشريعة العيسوية ومنها حرمة السبت وتعظيمه حكما أبديا فى شريعة موسى وكذا الختان ، وانه واجب أبدي فى شريعة ابراهيم ، وقد نسحا

عند النصارى مع أن عيسى عليه السلام قد ختن وهو اله يزعمهم ، وغير ذلك مما يطول الكتاب بذكره مما سنفكره فيما سيأتى من مجلة ابن شعاء لله تعالى ، فالنسخ لا يختص بالقرآن العظيم بل وجد كثيرا فى الشرائع السابقة ، وأنه لا استحالة فيه ، وأن الشريعة العيسوية نسخت جميع احكام التوراة الا تسعة من الاحكام العشرة المشهورة ، وقد وقع فيها التكميل أيضا بزعمهم . والتكميل أيضا نوع من أنواع النسخ ، فصارت هذه الأحكام أيضا منسوخة بهذا الوجه ، وبعد احاطة العلم بهذه النواسخ والمنسوخات ، لا ينبغي لمن له أدنى لب من المسيحيين وغيرهم أن يطعن على القرآن فى مسألة النسخ كما لا يخفى .

وأما الثانى : فهو كالأول أيضا وشواهده كثيرة ، ولنكتف منها على خمسة شواهد :

الشاهد الأول : الآية التاسعة من رسالة يهوذا ما لفظه : «وأما ميخائيل رئيس الملائكة ، فلما خاصم ابليس محاجا عن جسد موسى ، لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال ليفتترك الرب » انتهى فمخاصمة ميخائيل ابليس عن جسد موسى ، لم تذكر فى كتاب من كتب العهد العتيق .

الشاهد الثانى : فى تلك الرسالة أيضا الآية الرابعة عشر والخامسة عشر ما لفظه : « وتنبأ عن هؤلاء أيضا أخنوخ السابع من آدم قائلا : هوذا قد جاء الرب فى ربوات قديسية ليضع دينونة على الجميع ، ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التى فجروا بها ، وعلى جميع الكلمات الصعبة التى تكلم بها عليه خطاة فجار » انتهى . ولأثر هذا الخبر أيضا فى كتاب من كتب العهد العتيق . **الشاهد الثالث :** الآية السادسة من الاصحاح الخامس عشر من الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس ما لفظه : « وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باق الى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا » انتهى . ولا يوجد لهذا أثر فى انجيل من الأناجيل الأربعة ولا فى كتاب أعمال الحواريين ، مع أن لوقا أحرص الناس على أمثال هذه الأحوال . **الشاهد الرابع :** الآية السادسة من رسالة يهوذا ما لفظه :

« والملائكة الذين لم يحفظوا رباستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم ، بقيود أبدية تحت الظلام » والآية الرابعة من الاصحاح الثانى من الرسالة الثانية لبطرس ما لفظه : « الله لم يشفق على ملائكة قد اخطأوا ، بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم ، وسلمهم محروسين للقضاء » انتهى . وهذا الذى نقله يهوذا ، وبطرس الحواريان لا يوجد فى كتاب العهد العتيق . والظاهران المراد بهؤلاء الملائكة المحبوسين هم الشياطين . والشياطين ليسوا بمحبوسين بقيود أبدية ، كما يشهد عليه ما فى الاصحاح الأول من مرقس وغيره ، من قوله « وكان هناك فى البرية اربعين يوما يجرب من الشيطان » **الشاهد الخامس** : يوجد فى الانجيل ذكر الجنة والجحيم والقيامة وجزاء الأعمال فيها ، وان كان بطريق الاجمال ، ولا أثر لهذا فى الكتب الخمسة لموسى ، بل لا يوجد فيها سوى المواعيد الدنيوية للمطيعين والتهديدات الدنيوية للعاصين . وهكذا توجد مواضع كثيرة غير ما ذكرناه تركناها خشية التطويل ، من أرادها فليرجع الى كتاب « اظهار الحق » فظهر مما ذكرناه : أنه اذا ذكر بعض الأحوال فى كتاب ، ولم يوجد ذكره فى الكتاب المتقدم لا يلزم منه تكذيب الكتاب المتأخر والا يلزم أن يكون الانجيل كاذبا لاشتماله على الحالات التى لم تذكر فى التوراة ولا فى كتاب آخر من كتب العهد العتيق ، فالحق ان الكتاب المتقدم لا يلزم أن يكون مشتملا على الحالات كلها ، كما لا يخفى على من تتبع كتب العهدين القديم والجديد .

وأما النوع الثالث : فلأن مثل هذه الاختلافات توجد بين كتب العهد العتيق بعضها مع بعض ، وبين الأناجيل بعضها مع بعض ، وبين الانجيل والعهد العتيق ، ويوجد فى النسخ الثلاث من التوراة أعنى العبرانية واليونانية والسامرية . وقد ذكر من هذه الاختلافات فى « اظهار الحق » نحو من نيف وثمانين اختلافا . وقال : ان القسيسين من عادتهم أنهم يغلطون عوام المسلمين فى كثير من الأوقات بهذه الشبه وسنذكر لك ان شاء الله تعالى كثيرا منها فى محله ولننقل لك ههنا شيئا منها : فمن ذلك الآية الثالثة عشر من الاصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل ما لفظه : « وأتى جاد الى داود

وأخبره قائلاً : « أما أن يكون سبع سنين جوعاً لك في أرضك » وفي الآية الثانية عشر من الإصحاح الحادى والعشرين من السفر الأول من أخبار الأيام ما لفظه : « أما ثلاث سنين جوعاً » ففي الأول سبع سنين ، وفي الثانى ثلاث سنين ، وقد أقر مفسروهم أن الأول غلط ومن ذلك أن بين الآية الثانية من الإصحاح الثالث والعشرين من سفر صموئيل الثانى والآية الحادية عشر من الإصحاح الحادى عشر من السفر الأول من أخبار الأيام اختلاف ظاهر ، وقال آدم كلارك فى ذيل شرح عبارة صموئيل ناقلاً عن الدكتور كنى كات : « ان فى هذه الآية ثلاث تحريفات جسيمة » انتهى .

فإذا كان فى الآية الواحدة ثلاثة أغلط باعترافهم ، فمفس عليها غيرها من الإصحاحات والآيات والأنجيل والتوراة . ومن ذلك أن الزمان من خلق آدم الى زمن الطوفان باعتبار العبرانية ألف وستمئة وست وخمسون سنة ، وباعتبار اليونانية ألفان ومائتان واثنان وستون سنة ، وعلى وفق السامرية ألف وثلثمائة وسبع سنين . وهذا اختلاف ظاهر . ومن ذلك ان الزمان من الطوفان الى ولادة ابراهيم باعتبار العبرانية مائتان واثنان وتسعون سنة ، وباعتبار اليونانية ألفواثنتان وسبعون سنة ، وباعتبار السامرية تسعمائة واثنان وأربعون سنة . ومن ذلك الاختلاف الواقع بينها فى مدة الزمان من خلق آدم عليه السلام الى ميلاد المسيح ، فباعتبار العبرانية أربعة آلاف وأربع سنين ، وباعتبار اليونانية خمسة آلاف وثمانمائة واثنان وسبعون سنة ، وباعتبار السامرية أربعة آلاف وسبعمائة سنة ونقل من علمائهم « جارلس روجر » فى كتابه خمسة وعشرين قولاً من أقوال المؤرخين فى بيان المدة التى من خلق العالم الى ميلاد المسيح عليه السلام .

ومن ذلك : أن الحكم الحادى عشر الزائد على الأحكام العشرة المشهورة يرجد فى السامرية ولا يوجد فى العبرانية . ومن ذلك : فى الآية العشرين من الإصحاح السادس من سفر الخروج فى العبرانية ما لفظه : « وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هرون وموسى . وكانت سنو حياة عمران مائة وسبعا وثلثين سنة . وفى السامرية واليونانية فولدت له هرون وموسى ومريم أختها » والصحيح ما فيها . وأمثال هذه الاختلافات

كثير جدا يطول الكلام بذكرها ، فان أردتها فارجع الى محلها . ولعلنا نذكر البعض الآخر في محله ان شاء الله تعالى .

الشبهة الثالثة : ان في القرآن الأمر بجهاد الكفار ، وان الهداية والاضلال من جانب الله سبحانه ، وان الجنة مشتملة على الأنهار والحدود والمقصود والأكل والشرب . وهذه الأشياء قبيحة ، فتدل على ان القرآن ليس كلام الله . وهذه الشبهة من أقوى شبههم بزعمهم وقلما تخلو رسالة من رسائلهم الردية على الاسلام عن ذكرها . ولهم في بيانتها على قدر اختلاف أذهانهم تفريرات عجيبة يستغرب الناظر فيها من شدة تعصبهم على الباطل ، وعدم ملاحظة كتبهم السماوية الموافقة للقرآن في ذلك . وسيوضح لك الحال بعونه سبحانه عند سماعك لأجوبتها .

فأما الجواب عن الأمر بالجهاد ، فقد أسلفناه لك في محله ، ونقلنا لك من التوراة جهاد أنبياء بنى اسرائيل وقتلهم النفوس وسبيهم للأطفال والنساء ، وأخذهم الأموال ، وأن الفرق بين الشريعة المحمدية والموسوية في مسألة الجهاد أن الشريعة المحمدية حكمها أن يدعى الكافر أولا بالوعظة الخسنة الى الاسلام فاذا لم يقبله أو لم يؤد الجزية يقاتل بخلاف الشريعة الموسوية ، فانه يقاتل أولا وأن النساء والصبيان اذا كانوا من الأمم السبعة فحكمهم القتل في الشريعة الموسوية ، وذلك أيضا بخلاف الشريعة المحمدية ، فانهم لا يقتلون فيها واما الجواب عن مسألة الهداية والاضلال . فنقول : ان هذا المضمون قد وقعت أمثاله في كتبهم المقدسة في أماكن كثيرة وآيات غزيرة ، فيلزم عليهم أيضا أن يقولوا أنها ليست من جانب الله تعالى . ولنذكر لك بعضا منها ان شاء الله تعالى .

فمن ذلك : الآية الحادية والعشرون من الاصحاح الرابع من سفر الخروج ما نصه : « وقال له الرب وهو راجع الى مصر انظر جميع العجائب التي وضعتها بيدك عملها قدام فرعون ، فأنا أقسى قلبه ، فلا يطلق الشعب » ومنه ما في الاصحاح العاشر من سفر الخروج ما نصه : « وقال الرب لموسى : ادخل عند فرعون لأنى تسيت قلبه ، وقلوب عبيده لكى أصنع

به آياتى هذه ، وقسى الرب قلب فرعون ولم يطلق بنى اسرائيل « ومنه الآيه الرابعة من الاصحاح التاسع والعشرين من كتاب سفر الاستثناء ما نصه : « ولم يعطكم الرب قلبا فهبما ولا عيوننا تنظرون بها ولا آذاننا تسمعون بها حتى اليوم » ومنه الآيه العاشرة من الاصحاح السادس من سفر اشعيا ما نصه : « اعم قلب هذا الشعب وثقل آذانه وغمض عيونه ، لئلا يبصر بعينه ويسمع بأذنه ويفهم بقلبه ويتوب فاشفيه » انتهى ولا يزيد ما فى القرآن العظيم من قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم » الآيه على هذا عند كل منصف . ومنه : الآيه السابعة عشر من الاصحاح الثالث والستين من سفر اشعيا فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١ سنة ١٨٤٤ . وسنة ١٨٧٣ فى بيروت ما نصه : « لماذا أضللتنا يارب عن طريقك ؟ قسيت قلوبنا عن مخافتك وقسيت قلوبنا أن لا نخشاك » ومنه : الآيه التاسعة من الاصحاح الرابع عشر من سفر حزقيال فى التراجم المذكورة ما نصه : « والنبي اذا ضل وتكلم كلام ، فأنا الرب أضللت ذلك للنبي ، وأمد يدي عليه وأهلكه من بين شعبي اسرائيل » انتهى فوق فى كلامهم الاضلال صراحة ومنه ما فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر الملوك الأول ما نصه : « ثم قال ميخا أيضا : من أجل هذا فاسمع قول الرب : رأيت الرب جالسا على كرسيه وجميع أجناد السماء قياما حوله عن يمينه وعن شماله ، فقال الرب : من يخدع أو من يغوى أخاب ملك اسرائيل ، فيصعد ليسقط براموت جلعاد وقال بعضهم قولاً وقال بعضهم قولاً آخر فخرج روح وقام قدام الرب ، وقال انا أخدعه أو أنا أغويه فقال له الرب : بماذا ؟ فقال : انا أخرج فأكون روح ضلالة فى أفواه جميع أنبيائه فقال له الرب : تخدع وتقدر على ذلك وافعل كذلك ؟ والآن قد جعل الرب روح ضلالة فى أفواه جميع أنبيائك وكانوا نحو اربعمائة هؤلاء ، والرب قال عليك بالشر » انتهى . وهذه الآيات صريحة فى أن الله تعالى يجلس على كرسيه فى محفل الشورى لأجل الاغواء والخداع كما ينعقد محفل « برلنت » عند النصارى فى بلدة « لندن » لأجل رؤية بعض أمورهم المهمة فى السلطنة . فقد أحضر سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا

جنود السماء وأنه استشارهم حتى أرسل روح الضلالة الى الناس ، فانظر أيها العاقل الى هذا القول ، وما فيه . وتدبر ظاهره وخافيه .

وفى الاصحاح الثانى من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكى ما عبارته « ولأجل هذا أى لعدم قبولهم محبة الحق سيرسل اليهم عمل الضلال ، حتى يصدقوا الكذب . لكى يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق ، بل سروا بالاثم » أه . فمقدسهم هذا ينادى الله سبحانه سيرسل الى المهالكين عمل الضلال أولا ، فيصدقون الكذب ، فيدينهم وبه الآية السابعة من الاصحاح الخامس والاربعين من كتاب أشعيا فى الترجمة المطبوعة سنة ١٦٧١ وسنة ١٨٢١ ما نصه هكذا : « المصور النور ، والخالق الظلمة ، الصانع السلام ، والخالق الشر ، ان الرب الصانع هذه جميعها » أه ومنه : ما فى الاصحاح التاسع من الرسالة الرومية المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٧٣ ما لفظه : « هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء . فنقول لى : لماذا يلوم بعد ؟ لأن من يقاوم مشيئته ، بل من أنت أيها الانسان الذى تجاوب الله ؟ العل الجبله تقول لجابلها : لماذا صنعتنى هكذا ؟ أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة ، اناء للكرامة وآخر للهوان » فهذه العبارة من مقدسهم كافية لاثبات القدر ، وكون الهداية والضلال من جانبه سبحانه وتعالى .

وقال التسييس طامس انكس كاتك فى الصفحة الثالثة والثلاثين من كتابه المسمى بمرآة الصدق المطبوع سنة ١٨٥١ طاعنا على فرقة بروتستنت ما عبارته : « وعاظهم القدماء علموهم الأقوال المكروهة .

الأول : ان الله موجد العصيان .

والثانى : ان الانسان ليس مختارا على أن يجتنب عن الاثم .

والثالث : ان العمل على الأحكام العشرة غير ممكن .

الرابع : ان الكبائر وان كانت عظيمة لا توصل الانسان الى النقص

فى نظر الله .

والخامس : أن الإيمان فقط يتجى الانسان لاننا ندان بالايامن فقط .
وهذا التعليم أنفع وتعليم مملوء بالطمأنينة هـ

السادس : ان اب اصلاح الدين — يعنى لوطر — قال : « آمنوا فقط واعلموا يقينا انه يجعل لكم النجاة ، وبلا مشقة الصوم ، وبلا مؤنة هـ التقوى ، وبلا مشقة الاعتراف ، وبلا مشقة الأمور الحسنة ، ولكم نجاة يفنى بلا شبهة كما للمسيح نفسه ، اذنبوا ، وبالجرأة التامة اذنبوا وآمنوا فقط ، وينجيكم الايمان ، وان ابتليتم فى يوم واحد ألف مرة بالزنا أو القتل ، آمنوا فقط ، وأنا أقول : ان ايمانكم ينجيكم أهـ .

فظهر مما قلناه لك : أن ما قاله علماء البروتستانت فى حق القرآن مردود بلا شبهة ، لأنه غير مخالف لكتبهم المقدسة ، ولقول مقتداهم . ولا يلزم من خلق الشر ، أن يكون الله سبحانه شريرا ، كما لا يلزم من خلق السواد وغيره من الأعراض أن يكون البارى جل وعز متصفا به . والحكمة فى خلق الشر ، كالحكمة فى خلق الشيطان الذى هو أصل الشرور ، ورأس الفساد ، الى نهاية الدهور ، مع علم الله تعالى الأزلى بأن الشيطان سوف يصدر عنه كذا وكذا ، وكالحكمة فى خلق الشهوة والحرص فى طبع الانسان مع علمه القديم بما يترتب عليهما فى كل فرد من أفراد الانسان ، وكما كان الله سبحانه قادرا على أن لا يخلق الشيطان أو يخلقه ولا يعطيه القدرة على الاغواء ويمتنعه عن الشر ، ومع ذلك خلقه ولم يمنعه عن الشر لحكمة من حكمه العظيمة ، فكذلك هو جل جلاله قادر على أن لا يخلق الشر لكنه فى حكمة ما .

وأما الجواب عن الثالث : فانه لا قبح فى العقل والنقل ان اشتملت الجنة على الحور والقصور وسائر أنواع النعيم والحبور ، ولا يقول المسلمون ان لذات الجنة مقصورة على اللذات الجسمانية فقط ، كما يزعمه فيهم علماء البروتستانت قاطبا أو تمويها على العوام ، بل يعتقدون بنص القرآن والأحاديث النبوية أن الجنة تشتمل على اللذات الروحانية والجسمانية

معا ، والأول أفضل من الثانية ، وأعظم لذة وأهنا مسرة ويحصل بفضلها سبحانه كلا النوعين للمؤمنين .

قال الله تعالى فى سورة التوبة : « يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان و جنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ، ان الله عنده أجر عظيم » . وقال تعالى : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومسكن طيبة فى جنات عدن ، ورضوان من الله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم » فقله تعالى : « ورضوان من الله » الآية معناه : أن رضوانا من الله أكبر منزلة من كل ما سلف ذكره من الجنات والأنهار والمسكن الطيبة . وهذا القول يدل على أن أفضل ما يعطى الله سبحانه فى الجنة هى اللذات الروحانية ، وان كان يعطى اللذات الجسمانية أيضا . ولذلك قال سبحانه : « هو الفوز العظيم » وقدم ذكر الرضوان على الجنات فى الآية الأولى لأن الانسان مخلوق من جوهرين لطيف علوى وكثيف سفلى جسمانى ، وانضم اليها حصول سعادة وشقاوة ، فاذا حصلت الخيرات الجسمانية وانضم اليها حصول السعادات الروحانية ، كان الروح فائزا بالسعادات اللائقة به ، والجسد واصلا الى السعادات اللائقة به ، ولا شك ان ذلك هو الفوز العظيم .

والعجب أن علماء البروتستانت يزعمون ان اجتماعها فى الجنة أيضا قبيح فى عقولهم ، فيقال لهم : لا تهتموا لذلك لأنكم لا يحصل لكم ما هنالك ان شاء الله .

واعلم أن شبهة انصارى فى انكار نعيم الجنة الجسمانى واثباتهم الروحانى فقط ما فى الاصحاح الثانى والعشرين من انجيل متى فى النسخة المطبوعة سنة ١٨٧٢ ونصه : « فى ذلك اليوم جاء اليه صدوتيون الذين يقولون ليس قيامة فسالوه قائلين يا معلم قال موسى (١) ان مات أحد

وليس له أولا يتزوج أخوه بامرأته ويقم نسلا لأخيه ، فكان عندنا سبعة أخوة وتزوج الأول ومات ، وإذا لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه ، وكذلك الثانى والثالث الى السبعة ، وآخر الكل ماتت المرأة أيضا . ففى القيامة لمن من السبعة تكون زوجة فانها كانت للجميع ؟ فأجاب يسوع وقال لهم تظنون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون ، بل يكونون كملائكة الله فى السماء . واما من جهة قيامة الأموات أمما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل : انا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ، ليس الله اله أموات بل اله أحياء أ. ه.

ولنذكر من تفسير الخورى يوسف الياص المطبوع فى بيروت سنة ١٨٦٨ ما يتعلق بهذه الآيات تكميلا للمقصود ما لفظه : « الفصل التاسع والخمسون : فى ذلك اليوم جاءت اليه الزنادقة قائلين له لا قيامة . فقد سمعوا أن المسيح يعلم بالقيامة ، ويتنع بها الناس بأن يتوبوا ويحسنوا سيرتهم ، فأرادوا مقاومته بهذه المسألة التى كانوا يرونها غير قابلة الحل ، ليفتدوا بها تعليمة ، وسألوه قائلين له يا معلم أن موسى قال لنا فى سفر التثنية ان مات رجل ولم يخلف بنين فليأخذ أخوه زوجته ويقم لأخيه ذرعا ، أى ذرية . وقد كان عندنا سبعة أخوة ، فأخذ الأول امرأة ومات ولم يخلف ابنا فترك زوجته لأخيه ، وهكذا كان حال الثانى والثالث الى السابع ، وأخيرا ماتت المرأة ففى القيامة لمن من هؤلاء السبعة تكون امرأة ؟ لأن جميعهم تزوجوا . كان الزنادقة يظنون أنهم يفحمون المخلص بهذا السؤال لأنه ان قال : ان هذه المرأة تكون لأحدهم فيهبج الى الغضب والحسد والخصام ، اذ لا وجه لتفضيل أحدهم على غيره بأخذها ، وان قال انها تكون عامة للأخوة السبعة فيشككون فى تعليمة بالقباحة والفساد ، فبدد وهمهم كما يأتى : فأجابهم يسوع قائلا : لقد ضللتكم ولا تعرفون الكتب التى يتضح منها أن الموتى يقومون . كما ورد فى أيوب فى الاصحاح التاسع عشر : « وفى الآخرة سأقوم من الأرض ويعود جلد على ، وفى جسدى أبصر الهى الذى أراه أنا بعينى ، وبعيناي أنظره » ولأقوة الله الغير المتناهية

التي يستطيع بها الانسان الميت أن يعود الى الحياة ، مع أن العود الى الحياة بعد الموت ، أيسر من الاتيان من العدم الى الوجود ، لأن الموتى فى القيامة لا يتخذون نساء ، ولا النساء يتخذون رجالا . لكنهم يكونون فى السماء مثل ملائكة الله ، يعنى أن الطوباويين يكونون بعد القيامة ، كالملائكة لا نظرا الى الطبيعة ، بل نظرا الى الطهارة والعفة والحياة الروحية وعدم الفساد وعدم الميتوتة ، ثم السعادة والمجد الخالدين .

ولذا لا يكون احتياج الى زواج وولادة ، ويظهر أن « ايلاريوس و « اثناسيوس » وغيرهما من الآباء توهموا من هذه الآية أنه بعد القيامة لا يكون فى السماء جنس الاناث كما لا يوجد فى الملائكة ، بل تستحيل الاناث الى رجال ، لكن ذلك باطل ، فان جنس اناث حال طبيعية لا رزيلة ، وخلق فى الفردوس آدم وحواء ، وفى القيامة يجب أن تقوم الطبيعة كاملة بالفردية ، وقول المخلص نفسه لا يتخذون نساء ولا النساء تتخذ رجالا ، يفترض أن الموتى يقومون فى آخر العالم رجالا ونساء . « اما قرأتم ما قيل لكم من الله القائل « فى سفر الخروج فى الاصحاح الثالث من شأن قيامة الأموات : « انى أنا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ، وليس الله اله الموتى بل اله الاحياء » يعنى ان الله الموجود من ذاته والمانح الوجود لكل شىء ، لا يمكن أن يكون الها وربا ومجازيا لمن لم يعودوا موجودين ولا احياء نظرا الى جزء منهم ، وكذا لا يدعى الله الها وربا للبهائم ، مع أنه قال فى سفر الخروج « أنا اله ابراهيم واله اسحق » فاذا هؤلاء لم يزالوا موجودين وأحياء نظرا الى النفس ، وبالتالي يقومون وقتما نظرا الى الجسد ، فان النفس تطلب طبعاً الاتحاد بالجسد لكونه شريكا وقريبا لها ، على أن الزنادقة وغيرهم من الفلاسفة لم ينكروا قيامة الموتى ، لا لانكارهم عدم ميتوتة النفس ، فبرهان عدم ميتوتة النفس يبرهن القيامة أيضا . ولذا نرى الرسول برهن متواترا قيامة الأجساد من عدم ميتوتة النفس « أ . هـ .

وهذا عنه أجوبة ثلاثة :

الأول : ان الانجيل عندنا عبارة عما أنزل على عيسى عليه السلام ، وهذه الاناجيل الاربعة الموجودة الآن ألقت بعد رفع عيسى عليه السلام بسنين عديدة ، كما هو مسلم عند النصارى ، ولم تصل اليهم الا بطريق الآحاد ، ومع هذا ففيها أغلاط ظاهرة فى العيان ، واختلاف النسخ بالزيادة والنقصان . وهذا أمر ثابت فى الميدان ، حتى أنهم الى الآن كلما طبعوا نسخة منها غيروا وبدلوا وزيدوا ونقصوا وتداولتها أيدي الناس الآن فى سائر البلدان كما أوضحنا لك ذلك آنفا يا قوم برهان . فلذا لا يلتفت اليها اذا خالفت القرآن .

الثانى : انها ان صحت عن عيسى عليه السلام فهي مأولة ككثير من آيات الاناجيل المأولة عند النصارى .

الثالث : انا اذا سلمنا انه قال انهم كالملائكة فى الجنة فلا ينامى ذلك أكلهم وشربهم على مقتضى كتب النصارى الا يرى أن الملائكة الثلاثة الذين ظهروا لابراهيم عليه السلام وأحضر لهم ابراهيم عجلا حينذا وسمنا ولبنا ، فاكلوا ذلك كما صرح به فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التكوين ، وان الملكين الذين جاء الى لوط عليه السلام صنع لهم وليمة وخبزا فطيرا واكلا ، كما صرح به فى الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين . وليت شعري لما أترفوا بالحشر الجسمانى ، فأى استبعاد فى اللذات الجسمانية ؟ نعم لو كانوا ممن ينكرون الحشر مطلقا كمشركى العرب ، أو كانوا منكبين للحشر الجسمانى ومعترفين بالحشر الروحانى ، كأتباع « أرسطو » لكان لاستبعادهم وجه بحسب الظاهر ، والأغرب من هذا : أنهم يعتقدون أن البارى سبحانه تجسد واستجن فى بطن مريم وأكل وشرب واعتزته سائر اللوازم الجسدية باعتبار أنه انسان ، فلم يستبعدون أكل الناس وشربهم فى الجنة مع تجسدهم ؟ وكما أن عيسى عليه السلام كان يأكل ويشرب الخمر بزعمهم بمقتضى ناسوته فى الدنيا ولا يمنعه ذلك عن اللذات الروحانية ، فلتنك اللذات الجسمانية لبني آدم فى الجنة غير مانعة لهم عن اللذات الروحانية فى النشأة الأخرى فى الجنة ، كما لا يخفى على كل منصف لبيب .

الشبهة الرابعة : ان القرآن لا يوجد فيه ما يقتضيه الروح ويتمناه .

والجواب عن هذا : ان ما يقتضيه ويتمناه أمران :

احدهما : الاعتقادات الكاملة .

وثانيهما : الاعمال الصالحة . والقرآن مشتمل على بيان كلا النوعين على أكمل وجه كما عرفت سابقا فى جواب الشبهة الأولى ، ولا يلزم من عدم بعض الأمر الذى هو مقتضى الروح على زعم علماء البروتستانت نقصان القرآن الجليل كما لا يلزم نقصان التوراة والانجيل والقرآن من عدم بعض الأمر الذى هو مقتضى الروح ، على زعم علماء مشركى الهند من البراهمة ، كما هو مشهور عنهم أنهم يقولون : ان ذبح الحيوان لأجل الأكل والتلذذ خلاف مقتضى الروح ، وغير مستحسن عند العقل جدا ، ولا يتصور ان تحصل له الإباحة والاجازة من الله تعالى . فالكتاب المشتمل عليه لا يكون من جانب الله سبحانه وتعالى بزعمهم .

الشبهة الخامسة : انه يوجد فى القرآن الكريم الاختلافات المعنوية .

مثل قوله تعالى : « لا اكراه فى الدين » وقوله سبحانه فى سورة الفاشية : « فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقوله عز شأنه فى سورة النور : « قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ، وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين » فان هذه الآيات تخالف الآيات التى فيها الأمر بالجهاد ، مثل قوله تعالى : « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين » وقوله تعالى : « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ووقع أيضا فى كثير من الآيات : أن المسيح انسان ورسول فقط ، ووقع فى موضعين بضعها ، وأنه ليس من جنس البشر ، بل منزلته أعلى منه . فالآية التى فيها أنه عبد ورسول قوله تعالى فى سورة مريم : « قال : انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أين ما كنت ، وأوصانى بالصلوة والزكاة مادمت حيا » والموضعان اللذان بضعها : قوله تعالى فى سورة النساء : « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » وقوله تعالى فى سورة التحريم : « ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها فنفضنا فيه من روحنا »

قلت : والآيات التي في شأن عيسى عليه السلام كثيرة ، منها في سورة آل عمران وفي سورة النساء وفي سورة المائدة وفي سورة التحريم ، وليس في شيء من ذلك تناقض أو اختلاف ، بل بعضه يوافق بعضا ويصدق بعضه بعضا ، كما عرفت تفسير الروح والكلمة فيما سبق مرارا ، وكما سنبينه هنا اجمالا ان شاء الله تعالى وهذان الاختلافان من أعظم الاختلافات في زعم القسيسين . ومنهم صاحب هذا الكتاب « عبد المسيح » ولذا اقتصر عليهما صاحب « ميزان الحق » في الفصل الثالث من الباب الثالث منه .

فاسمع الآن الجواب عن هذه الشبهة الخامسة : فأما ما زعموه في مسألة عدم الأمر بالجهاد ، ثم الأمر به . فهذا لا يقال له اختلاف ولا تناقض ، بل هذا من باب النسخ الذي أثبتنا آنفا وروده في الشرائع المتقدمة ، وكما وقع الأمر الالهي به لبعض الأنبياء ولم يقع للبعض الآخر ، ففي أول الاسلام كانت الحكمة الالهية المؤقتة تقتضي الأمر بالاسلام من دون جهاد ، ثم لما كدل الوقت وحن في علم الله سبحانه وقت الجهاد ، أمر سبحانه به . والا يلزم أن يكون بين التوراة والانجيل اختلاف ، وأن لا يقبل الانجيل أيضا الوجود الاختلاف المعنوي . وكذا يلزم أن يكون في نفس أحكام التوراة ونفس احكام الانجيل اختلاف . كما عرفت سابقا . فانظر الى قول المسيح كما في الاصحاح الخامس من انجيل متى ولفظه : « لا تظنوا اني جئت لأنتقض الناموس ، أو الأنبياء ، ما جئت لأنتقض بل لاكمل ، فاني الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد ، ونقطة واحدة من الناموس ، وحتى يكون الكل » .

ثم بعد ذلك قال : « قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم : ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم » ثم قال : « قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن وأما أنا فأقول لكم : كل من ينظر الى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه ، فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقطعها والقها عنك لانه خير لك أن يهلك

أحد أعضائك ، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم ، وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم » و « قيل من طلق امرأته فليعطها كتاب كتاب الطلاق .
وأما أنا فأقول لكم : إن من طلق امرأته الا لعله الزنا يجعلها تزنى ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى أيضا . سمعتم أنه قيل للقديس : لا تحنث بل أوف بمتزوج مطلقه فانه يزنى أيضا . سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تحنث بل أوف للرب أقسامك . وأما أنا فأقول لكم : لا تحلفوا البتة ، بل ليكن كلامكم نعم نعم ، لا لا ، ومازاد على ذلك فهو من الشرير . سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا » أ . هـ .

وكذا فى التوراة حكم كثير من الحيوانات والمأكولات فى النجاسة والحرمة . وفى الاصحاح الخامس عشر من انجيل متى ما لفظه : « ثم دعا الجمع وقال لهم اسمعوا وافهموا ، ليس ما يدخل الفم بنجس بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الانسان » وكذا مسألة الختان والسبب اللذان هما مؤيدان فى التوراة ، قد نسخت عند النصرارى ، وغير ذلك مما لا حاجة الى اعادته هنا .

على أن قوله سبحانه « لا اكراه فى الدين » الآية اختلف فيها المفسرون على أسؤال .

الأول : انها منسوخة ، لأن رسول الله ﷺ قد أكره العرب على دين الاسلام وقاتلهم ولم يرض منهم الا الاسلام . والناسخ لها قوله تعالى : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين » وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يزيلونكم من الكفار ، وليجدوا فيكم غلظة » وقوله سبحانه : « يستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلوهم أو يسلمون »

الثانى : انها ليست بمنسوخة وانما نزلت فى أهل الكتاب . وهم لليهود والنصارى خاصة ، وأنهم لا يكرهون على الاسلام ، اذا أدوا الجزية ولم يحاربوا بل الذين يكرهون هم أهل الأوثان فلا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف .

الثالث : انها نزلت فى الانتصار خاصة .

الرابع : انها وردت فى السبى متى كانوا من أهل الكتاب .

الخامس : ان سبب نزولها ان المرأة من الانتصار تكون مقلدة لا يكاد يعيش لها ولد فتجعل على نفسها ان عاش لها ولد تهوده فلما اجليت يهود بنى النضير كان فيهم من أبناء الانتصار ، فقالوا لا ندع أبناءنا ، فنزلت ، لأنهم قالوا انها جعلناهم على دينهم أى دين اليهود ، ونحن نرى ان دينهم أفضل من ديننا ، وان الله سبحانه جاء بالاسلام فلنكرههم . فلما نزلت خير الأبناء رسول الله ﷺ ولم يكرههم على الاسلام ، فهى حينئذ محكمة غاب منسوخة .

وأما ما زعموه فى الآيات التى فى شأن المسيح عليه السلام فليس فيها اختلاف ولا تناقض بوجه من الوجوه كما بينا ذلك مفصلا مرارا فيما فيما سبق . وخلاصته : ان تسميته عليه السلام « كلمة » كما فى قوله تعالى : « يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم » لانه وجد بكلمة كن وهو من باب اطلاق السبب على المسبب . وقوله تعالى : « منه » أى من عنده من غير واسطة الأسباب العادية ، أو كتوله تعالى : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه »

وأما اطلاق الروح عليه ، فهو للتشريف كبيت الله ورجل الله وابن الله لاسرائيل (١) . وقوله تعالى « نفخنا فيه من روحنا » هو جبريل أو الروح المخلوقة لنا . والاسناد فى نفخنا مجازى ، أسند اليه تعالى من حيث انه الخالق ، فتذكر . والله تعالى اعلم .

تمة : فى فائدتين :

الأولى : قال الشيخ محى الدين بن العربى فى مفتتح تفسيره المسمى « ايجاز البيان فى الترجمة عن القرآن » : مما جاءت به الرسل صلوات

(١) يقصد قول الله فى التوراة عن اسرائيل انه ابنه . والمؤلف تابع ابن قتيبة وابن تيمية فى هذا .

الله تعالى عليهم والصحف المطهرة والكتب المنزلة المشرفة ، وكل صحيفة وكتاب
يلسان قوم الرسول الذي أنزلت عليه تلك الصحيفة أو الكتاب . ومن
جملة الكتب المنزلة هذا القرآن العربي المنزل على سيدنا محمد ﷺ على
طريق الإعجاز عن المعارضة ، فهو محفوظ عن أن يزاد فيه أو ينقص منه
بطريق التغيير ، لكونه معجزة « انا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون »
من التبديل والتغيير ولم يكن ذلك لغیره من الكتب ، لأن سائر الكتب لم تنزل
على طريق الإعجاز فلذلك حرف فيه من حرف وبدل من بدل . ولما ظهر
الله سبحانه كتابنا هذا وقده عن التحريف سماه قرآنا مهموزا ولما جمع
فيه ما تفرق في سائر الصحف والكتب وجميع ما يحتاج اليه من المعارف
والعلوم وسمى قرآنا بغير همز ، ولذا قال النبي عليه الصلاة والسلام :
« أوتيت جوامع الكلم » جمع كلمة ولما ضم حروفه وآياته وسوره ومعانيه
بهذا النظم المعجز ، سماه كتابا ، ولما أزال به شبه الضلالات وظلمة الشكوك
وأوضح به المشكلات سماه نورا ، ولما أبان به عن الحق المطلوب وحسن
نظمه وبلاغته وجعله مغايرا لسائر الكتب بما حفظه به من التحريف ،
جعله عربيا ، ولما ذكر فيه قصص الأولين والآخرين وشرائع المتقدمين
ومنازلهم ومراتبهم وسابقتهم ومآلهم جعله ذكرا وسماه به ، ولم يجمع لغیره
من الكتب هذه الأسماء كلها . وسائر أسماء الكتب مندرجة في هذه
الأسماء التي اختص بها كتابنا « أ . هـ .

ومن خطة عليه الرحمة نقلته باقتصار .

قلت : ولعله لم يذكر التسمية بالفرقان كما ذكره في الاتقان للخلاف
في أنه خاص بالقرآن أم عام للتوراة والانجيل ، ففي نهاية ابن الأثير :
لأنه عام . لقوله تعالى : « واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان » و « لقد
آتينا موسى وهرون الفرقان » وقيل خاص لقوله تعالى « وأنزل التوراة
والانجيل من قبل هدى للناس ، وأنزل الفرقان » وقال تعالى : « تبارك الذي
نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » وإنما سمي به لأنه سبحانه
فرق به بين الحق والباطل ، فهو مصدر في الأصل كالغفران اطلق على

تفاعل مبالغة . وقد عد الحافظ جلال الدين السيوطى له (١) خمسة وخمسين اسما فى النوع السابع عشر من كتابه الاتقان ، من أراد الوقوف عليها فليرجع اليه .

الفائدة الثانية : قال الامام السيوطى فى النوع الخامس والستين

فى العلوم المستنبطة من القرآن فى كتابه الاتقان ما ملخصه : قال الله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » وقال سبحانه : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » وقال رسول الله ﷺ : « ستكون فتن » قيل : وما المخرج منها ؟ قال : « كتاب الله . فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم » وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : « من أراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الأولين والآخريين » قال الامام البيهقى يعنى أصول العلم . قال : أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان .

وقال الامام الشافعى رضى الله عنه : « جميع ما تقول الأمة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن » وقال أيضا : « جميع ما حكم به النبى ﷺ فهو مما فهمه من القرآن »

قلت : ويؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام : « انى لا أهل الا ما أهل الله فى كتابه ، ولا أحرم الا ما حرم الله فى كتابه » أخرجه الشافعى فى الأم وقال سعيد بن جبير ما بلغنى حديث عن رسول الله ﷺ على وجه الأوجدت مصداقة فى كتاب الله وقال ابن مسعود اذا حدثتكم بحديث انباتكم بتصديقه من كتاب الله عز وجل وقال الشافعى ايضا ليست تنزل بأحد نازلة الا فى كتاب الله : الدلسل على سبيل الهدى فيها .

فان قيل : من الأحكام ما ثبت ابتداء بالسنع . قلنا : ذلك مأخوذ من كتاب الله فى الحقيقة ، لأن كتاب الله سبحانه وتعالى أوجب علينا اتباع

(١) لا يخفى عليك أن كثرة الأسماء تدل على تعظيم شأن المسمى ، ولا سيما عند العرب .

الرسول عليه الصلاة والسلام وفرض علينا الأخذ بقوله فى قوله سبحانه :
« ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » وقال الشافعى مرة
بمكة سلونى عما سئتم أخبركم عنه من كتاب الله تعالى . وحكى ابن سراقه
فى كتاب الاعجاز عن أبى بكر بن مجاهد أنه قال يوما ما شىء فى العالم
الأ وهو فى كتاب الله تعالى . فقال له : فأين ذكر الخانات ؟ فقال :
فى قوله تعالى : « ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها
متاع لكم » فهى الخانات . وقال ابن بركان : ما قال النبى ﷺ من شىء
فهو فى القرآن وفيه أصله قرب أو بعد ، فهمه من فهمه ، وعمه عنه من
عمه . وكذلك ما حكم أو قضى به ، وانما يدرك الطالب من ذلك بقدر
اجتهاده وبذل وسعه ومقدار فهمه . وقال ابن أبى الفضل المرسى
جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة ، الا المتكلم
بها سبحانه . ثم رسوله ﷺ خلافا ما استأثر به سبحانه ، ثم ورث عنه
معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود
وابن عباس ، حتى قال : لو ضاع لى عقال بغير لوجدته فى القرآن ، ثم
ورث عنهم التابعون باحسان ثم تقاصرت الهمم ، وفترت العزائم وتضائل
أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمل الصحابة والتابعون من علومه وسائر
فنونه ، فاعتنى قوم لضبط لغاته وتحريف كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه
وعدها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد
سجداته ، والتعليم عند كل عشر آيات ، الى غير ذلك من حصر الكلمات
المتشابهة ، والآيات المتماثلة من غير تعرض لمعانيه ، ولا تدبر لما أودع
فيه ، فسبوا القراء . واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبنى من الأسماء
والأفعال والحروف العاملة ، واللازم والمتعدى ، ورسوم خط الكلمات
وجميع ما يتعلق به حتى أن بعضهم أعرب مشكلة وبعضهم أعربه كله .
واعتنى المفسرون بالفاظه فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واحد ، ولفظا
يدل على معنيين ولفظا يدل على أكثر ، فأجروا الأول على حكمه وأوضحوا
معنى الخفى منه ، وخاضوا فى ترجيح احتمالات ذى المعنيين والمعانى ،
واعمل كل منهم فكره وقال بما اقتضاه نظره .

واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الاصلية والنظرية مثل قوله سبحانه : « لو كان فيها آلهة الا الله لفسدنا » الى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله تعالى ووجوده وبقائه وقدمه وعلمه ، وتنزيهه عما لا يليق به سبحانه . وسموا هذا العلم بأصول الدين .

وتأملت طائفة من معنى خطابه فرأت منها ما يقتضى العموم ، ومنها ما يقتضى الخصوص الى غير ذلك ، فاستنبطوا هذه أحكام اللغات من الحقيقة والمجاز وتكلموا فى التخصيص والاخبار والنص والظاهر ، والمجمل والحكم والمتشابه والأمر والنهى والنسخ ، الى غير ذلك من أنواع الأقيسة ، واستصحاب الحال والاستقراء ، وسموا هذا أصول الفقه .

وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام فاسسوا أصوله وفرعوا فروعه وبسطوا القول فى ذلك بسطا حسنا ، وسموه بعلم الفروع ، وبالفقه أيضا وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السائفة والأمم الخالية ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم ، حتى ذكروا بدء الدنيا وأوائل الأشياء ، وسموا ذلك بالتاريخ والقصص وتنبه لما فيه آخرون من الحكم والأمثال والمواعظ التى تثقل قلوب الرجال ، وتكاد تدك الجبال ، فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وذكر الموت والمعاد والنشر والحساب والجنة والنار ، فصولا من المواعظ وأصولا من الزواجر ، فسموا بذلك الخطباء والمواعظ واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير مثل ما ورد فى قصة يوسف عليه السلام من البقرات السمان ، وفى منامى صاحبى السجن ، وفى رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة ، وسموه تعبير الرؤيا ، واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب ، فان عز عليهم أخرجها منه فمن السنة التى هى شارحة للكتاب ، فان عسر ، فمن الحكم ، ثم نظروا الى اصطلاح العوام فى مخاطبتهم وعرف عاداتهم الذى أشار اليه القرآن بقوله : « وأمر بالعرف » وأخذ قوم مما فى آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك ، علم الفرائض ، واستنبطوا منها من ذكر النصف

والثلاثان والثلاث والرابع والستس والثمان ، حساب الفرائض ، ومسائل
المعول ، واستخرجوا منه أحكام الوصايا .

ونظر قوم الى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة فى الليل
والنهار والشمس والقمر ومنازله ، والنجوم والتخوم والبروج ، وغير ذلك
فاستخرجوا منه علم المواقيت . ونظر الكتاب والشعراء الى ما فيه من
جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادئ والمقاطع والمخالص
والتلوين فى الخطاب والاطناب والابجاز ، وغير ذلك ، فاستنبطوا منه المعانى
والبيان والبديع ونظر فيه أرباب الاشارات وأصحاب الحقيقة ، فلاح لهم
من الفاظه معان ودقائق جعلوا لها أعلما اصطلاحوا عليها ، مثل الفناء
والبقاء والحضور والخوف والهيئة والانس والوحشة والقبض والبسط ،
وما أشبه ذلك .

هذه الفنون التى اتخذتها الملة الاسلامية منه .

**وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل
والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك .**

فاما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة ، وذلك
انما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة ، وقد جمع ذلك فى
قوله تعالى : « وكان بين ذلك قواما » وقوله تعالى : « كلوا واشربوا
ولا تسرفوا » وعرفنا فيه بما يعيد نظام الصحة بعد اختلاله وحدوث الشفاء
للبدن بعد اختلاله فى قوله سبحانه : « شراب مختلف ألوانه فيه شفاء
للناس » ثم زاد على طب الأجساد بطب القلوب وشفاء الصدور . وأما
الهيئة ففى تضاعف سورة من الآيات التى ذكر فيها ملكوت السموات
والأرض ، وما بث فى العالم العلوى والسفلى من المخلوقات . وأما الهندسة
ففى قوله عز وجل « انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب » الآية . وأما الجدل
فمقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب والمعارضة ،
وغير ذلك شيئا كثيرا ، ومناظرة سيدنا ابراهيم عليه السلام نمرود ومحاجة
فومه ، أصل فى ذلك عظيم . وأما الجبر والمقابلة فقد قيل ان أوائل السور

فيها ذكر مدد ، وأعوام وأيام لتواريخ أهم سالفه ، وأن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة ، وتاريخ مدة الدنيا وما مضى ، وما بقى مضروب بعضها في بعض وأما النجامة ففى قوله تعالى : « أو اثاره من علم » فقد فسر به بذلك ابن عباس . وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التى تدعوا الضرورة اليها .

ثم ان صاحب الاتقان ذكرها مفصلة فمن اراد الوقوف عليها فليرجع اليه . وقال القاضى أبو بكر بن العربي فى كتابه قانون التأويل : « علوم القرآن خمسون علما وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم ، على عدد آيات القرآن مضروبة فى أربعة ، اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ، وهذا مطلق دون اعتبار تركيب ، وما بينهما من روابط . وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه الا الله تعالى ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر ييده من بعده سبعة أبحر ، ما نفذت كلمات الله فهو وان كان لا يخلو الناظر فيه من نور ما يريه ونفع ما يوليه :

كالبدر من حيث التفت رأيتہ يهدى الى عينك نورا ثاقبا
كالشمس فى كبد السماء ، ونورها يفسى البلاد مشارقا مغاربا
ومن يستبعد هذا فليرجع الى كتب المسلمين ليرى فيها ما يحصل عنده اليقين ولولا خشية التطويل والخروج من الصدق « لسقت لك من صادق الأتوايل » ما فيه الكفاية للخصم الألد » ومن جعل الله تعالى النور ، تبين له صحة ما قاله العلماء كشمس الضحى فى الظهور .

فصل

أما قوله : « مثل فلق البحر لوسى » الخ

قال الشيخ الربانى « عبد القادر الكيلانى » قدس سره فى كتابه الغنية أن النبى ﷺ أعطى من المعجزات ما أعطيه غيره من الأنبياء أو زيادة . وقد عدّها بعض أهل العلم ألف معجزة الى أن قال : فلذلك صار القرآن معجزة له ﷺ كالعصا فى حق موسى ، لأن موسى عليه السلام بعث فى زمن السحرة والحذاق فى صنعتهم ، وكاحياء عيسى عليه السلام الموتى ،

وابراء الأكمه والأبرص لانه عليه السلام بعث فى زمن ، الناس فيه أطباء
حذاق ، فاتقادوا اليه وآمنوا به لجاوزته فى الصنعة عليهم ، وبراعته فى
المعزة فيما توأطئوه منه ، ففصاحة القرآن واعجازه معزة ، كالعصا
واحياء الموتى فى حقهما عليهما السلام ، الى أن قال : ولو جاء عليه الصلاة
والسلام بمثل ما جاء به الأولون ، لقاتلوا له : ما جئت بغريب وقد نقلت
من موسى وعيسى فأنت من أتباعهم لا تؤمن لك حتى تأتينا بما لم يأت به
الأولون . ولهذا لم يؤت الله سبحانه نبيا من أنبيائه معزة غيره ، بل
خص كل نبى بمعزة غير معزة من كان قبله « انتهى باقتصار .
وقد ذكرنا ما يتعلق بهذا فى محل آخر فراجعه ولا تغفل .

قوله : « مخلص العالم »

أراد به أن عيسى عليه السلام هو الاله ، وانه أراد أن يخلص عباده
من اثم ما ارتكبه أبوههم آدم عليه السلام من الخطيئة فى أكل الشجرة
التي نهى عن أكلها فى الجنة ، فأكلها فجاء الاله ودخل فى بطن مريم وصار
ولدا متجسدا فولدته أمه صغيرا وغذته ، وأكل وشرب ، ثم صفعه اليهود
وصلبوه وقتلوه ثم دفنوه ، فقام من قبره بعد نحو ثلاثة أيام ودخل الجحيم
ليكون ذلك تلخيصا لعباده من الخطيئة ، وصار ملعونا ، كما ادعاه بولس
فى رسالته . زاعما أن التوراة صرحت بلعنه وحاشاه عليه السلام . وهذه
عقيدتهم المدروجة فى أمانتهم التي ذكرناها بعجزها وبجرها فيما تقدم ،
وأنت تعلم أن هذه عقيدة مصادمة للعقل والنقل ، لا يقول بها من له أدنى
مسكة من تمييز ، وبطلانها وان كان أوضح من أن ينبه عليه الا أنا نقول
لهم : أخبرونا عن هذا الخلاص الذى تعنى الرب الأزلى سبحانه وفعل
بنفسه ما فعل مما جرى عليه بزعمكم ما هو ؟ وممن خلصكم ؟ ولم خلصكم ؟
وكيف استقل بخلصكم دون الآب والروح القدس ؟ مع أن الربوبية بينهم
أثلاثا لأن الثلاثة واحد بزعمكم ، ويلزم منه الترجيح بلا ترجح . وكيف
استدل وامتهن فى خلاصكم دون الآب والروح القدس ؟ وهل العن سرى
للأقانيم أم خاص بالابن ؟ وهذه عدة أسئلة لا يمكن أن يجاب عنها بما يقبله
العقل السليم الى نزول المسيح أو خروج الكليم .

فان زعموا الخلاص من تكاليف الدنيا وهمومها وموتها أكذبهم الحس ، فاننا نراهم لا مزية لهم على سائر بنى آدم ، وان كان من هموم السعى فى طلب الرزق والتكسب والعيال ونحو ذلك ، أكذبهم الحس أيضا وان كان من تكاليف الشرع كالصوم والصلاة ونحوها وانهم غير مؤاخذين بشيء منها أكذبهم المسيح والحواريون بما وضعوه عليهم من الصوم والصلوات وغيرها . وان زعموا أنه خلصهم من أهوال الدار الآخرة وأن من تعاطى فى الدنيا جريرة منهم وسرق وقتل لا يؤاخذ يوم القيامة بشيء من ذلك أكذبهم النبوات والأنجيل ، اذ يقول المسيح فيها : « انى أقيم الناس يوم القيامة عن يمينى وشمالى ، فأقول لأهل اليمين : فعلتم كذا وكذا ، فاذهبوا الى المنعيم المعد لكم قبل تأسيس العالم ، وأقول لأهل الشمال : فعلتم كذا وكذا فاذهبوا الى العذاب المعد لكم » فاذا كان هذا حالكم فى الدنيا والآخرة فأين الخلاص الذى تدعون أن الاله تعنى ونزل الى الأرض ، وتولد من مريم وقتل ودخل الجحيم ولعن ، ليخلصكم ، وسميتوه مخلص العالم ؟ فأين الخلاص ؟ ولات حين مناص .

واخبرنا لم اختلفتم بهذا الخلاص دون جميع الناس ؟ مع أن الكل أولاد آدم وجميعهم عبيده وتروون عنه فى الاصحاح الثالث من انجيل يوحنا أن المسيح قال : « لم يبعث الله ابنه الى العالم ليعدين العالم ، بل ليحيى به العالم » فلم اختلفتم بخلاصه لكم دون المسلمين واليهود والمجوس والصابين والمشركين والفلاسفة الدهريين ؟ وكان المقتضى أن يقال له : مخلص العالم ، وما فائدة قتل الاله نفسه لهذه الشرذمة القليلة من عباده ؟ وكيف يكون حال المتقدمين على زمن المسيح من الأنبياء الماضين وأمههم السالفين ؟ فان كان لخلصكم من جهنم فلم ترك الاله أكثر عبيده فيها وخلص نهام النذر القليل ؟ ولم لم ينزل فى أيام آدم أو نوح أو ابراهيم ويقتل نفسه اذ ذلك ليكون قد خلص الجميع أو الأكثر ؟ ويقتضى أن المسلمين خالصون لأنهم برسالته مؤمنون ، وأنتم بخلصهم لا تقولون . أو فأخبرونا من خخلصكم ؟ هل كان غلبه عليكم غالب أو سلبكم منه سالب أو خخلصكم

من الشيطان ؟ فكيف لم يخلص نفسه عندما افتقرن معه على الخشبة اللسان ؟
فينبغى أن الشيطان غلبه وقوى اليهود حتى صلبوا المههم على الخشبة .
فاجيبوا عن هذه الأسئلة البديهة الواردة على هذه الوسائس السوداء ،
ولا شك أنكم تعجزون عن ذلك الى الدينونة الأخروية والله الهادى الى
الصواب .

وقوله : « افصح منه كلام اليونانية عند الروم » الى آخره .

لا يخفى على كل متبصر أن هذا الكلام ليس له تماس بدعوى المسلمين ،
لأننا ندعى نهاية فصاحة القرآن وبلاغته واعجازه بالنسبة الى اللغة
العربية ، والى العرب ، وأنهم لا يأتون بمثله فى اللسان العربى والنبي ﷺ قد
تحداهم بذلك ، فعجزوا عن الاتيان بأقصر سورة منه . وقد شرحنا لك ذلك
على أتم وجه فى ما مضى من تأليفنا هذا وأما أن الألسنة العجمية كاليونانية
والسريانية والعبرانية والفارسية وغيرها ، فيها فصاحة وبلاغة فى حد
ذاتها ، فهذا شىء آخر ليس مما ادعت المسلمون خلفه ، ولا مما نحن
بصدد تصديقه أو تكذيبه ، اذ ادعائنا عجز العرب عن الاتيان بمثل
القرآن البالغ نهاية درجة الكمال فى الفصاحة والبلاغة والبيان شىء ،
وأن بقية الألسنة أيضا فيها بلاغة وفصاحة شىء آخر ، وما هذا منه الا
خروج عن علم آداب البحث والمناظرة ، فأين دعواه المعرفة بالبراهين
المنطقية والفلسفية ؟ فهل يصح لمن يناظر فى فصاحة القرآن واعجازه للعرب
أن يجعل ما فى لسان الاعجام من الفصاحة التى هى فى لسانهم خاصة ،
دليلا على عدم فصاحة وبلاغة القرآن ، وعلى نفى اعجازه للعرب ، على
أن اناقة اللسان العربى وشرفه وتقدمه وتوسعه على بقية الألسنة أمر
لا يخفى على من له ذوق ، حتى أن العجم والروم والفرس العارفين
بالعربى وغيره ، يشهدون بتفوقه وحسنه ورقته وعذوبة الفاظه وترفعه
على سائر الألسنة ، وهذا أمر مشهور فلا نتعب القلم بإيراد شواهد على
ذلك فافهم .

وقوله : « قد افترق في كتابه الى استعمال لسان غيره » الى آخره .

أنت تعلم أن هذا اعتراض يهوه به على من ليس له اطلاع على كشفه وأجوبته ، إذ أجوبته كثيرة ظاهرة على من له أدنى علم بما قاله المفسرون والعلماء اللغويون . فهنا ما نقله الامام السيوطي في كتابه الاتقان عن أكثر العلماء كالامام الشافعي وابن جرير وأبي عبيدة والقاضي أبي بكر بن مارس وغيرهم ، أنه لم يقع في القرآن العظيم من الكلمات العجيبة شيء وقد شدد الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه النكير على القائل بوقوع المعرب في القرآن وقال أبو عبيدة : انما انزل القرآن بلسان عربى مبين . قال تعالى : « قرأنا عربيا » وقال سبحانه : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا : لولا فصلت آياته . أعجمى وعربى » من زعم أن فيه غير العربية ، فقد أعظم التمول . وهذه الألفاظ التى يقال انها غير عربية كأباريق وأبا وأخذ والرقيم والسجل ومشكاة وغيرها ، عربية صرفة . ولكن لغة العرب متسعة جدا ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الأجلة قال الامام الشافعي في الرسالة : « لا يحيط باللغة الانبى »

ومنها : ما قاله بعض العلماء أنه كان للمعرب العارية التى نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة فى أسفارهم د نعلقت من لغاتهم ألفاظا غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها العرب فى أشعارها ومحاورتها ، حتى جرت مجرى العربى الفصيح ، ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرآن الكريم .

ومنها : أن ما ورد عن ابن عباس من تفسير ألفاظ من القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك ، انما اتفق فيه توارد اللغات ، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد ، قاله ابن جرير .

ومنها : ان وقوع بعض الكلمات اليسيرة فى القرآن بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيا ، فالقصيدة الفارسية مثلا لا تخرج عنها بلفظة

عربية ، وهذا فى غير الأعلام وأما هى فواقعة فيه بلا خلاف بين العلماء
الأعلام كموسى وهرون وابراهيم وغيرها من أسماء الأنبياء عليهم السلام .

ومنها : ما قاله ابن ميسرة التابعى الجليل ، وروى عن سعيد بن جبير
واختاره الامام السيوطى أن فى القرآن من كل لسان والحكمة فى ذلك :
الإشارة الى أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونبا كل شىء ، فلا بد أن تقع
فيه الإشارة الى أنواع اللغات والألسن ليتم احاطته بكل شىء ، فاختر
له من كل لغة أعذبها واخفها وأكثرها استعمالا للعرب . ثم نقل عن ابن
النتيب أنه قال : من خصائص القرآن على سائر كتب الله المنزلة أنها
نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ، لم ينزل فيها شىء بلغة غيرهم ،
والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الفرس
والروم والحبشة بعض كلمات « انتهى .

وأىضا : فالنبي ﷺ مرسل الى كل أمة . وقد قال تعالى : « وما
أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » فلا بد وأن يكون فى الكتاب المبعوث
به من لسان كل قوم ، وان كان أصله من لغة قومه .

ومنها : ما قاله أبو عبد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع
عن الفقهاء ، والمنع عن أهل العربية : « والصواب عندى مذهب تصديق
القولين جميعا . وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية ، كما قال الفقهاء ،
لأنها وقعت للعرب فعربتها بالسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها
فصارت عربية . ثم نزل القرآن . وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ،
فمن قال أنها عربية فهو صادق ، ومن قال : هذه الكلمات ك « مشكاة »
ونحوها عجمية فصادق . ومال الى هذا جماعة أيضا « انتهى فافهم .
قوله : « حاجوه فقطعوه ، فقال : « بل هم قوم خصمون » الى آخره .

لا يخفى عليك أن كلام هذا النصرانى تلبيس وخروج عن المعنى
للفوى ، لأن الخصم المختص بالخصومة قال فى النهاية الخصم مصدر

صهته أى نازعته خصما يقال خصمته مخاصمة وخصاما . وقال الله تعالى « وهو ألد الخصام » — « وهو فى الخصام غير مبين » ثم المخاصمة خصما ، واستعمل الواحد والجمع ، وربما يثنى ويجمع ، واصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر أى جانبه ، وأن يجذب كل واحد خصم الجوالق من جانب . وروى نسيته فى خصم فرائسى ، والجمع خصوم واخصام . وقوله تعالى : « خصمان اختصموا » أى فريقان ولذلك قال : « اختصموا » وقال الله « لا تختصموا لمدى » وقال تعالى : « وهم فيها يختصمون » والخصم الكثير المخاصمة . قال تعالى : « ومو خصيم مبين » والخصم المختص بالخصومة . قال تعالى : « بل هم خصمون » انتهى فمن أين تبين له من قوله تعالى « خصمون » أنهم حاجوا النبى عليه الصلاة والسلام فقطعوه وغلّبوه ؟ وهل هذا الا اختلاف وخلاف ما تقتضيه الآية الكريمة ، لأنها يفهم منها أنهم كثير والخصومة ولا يذعنون للحق ولو كان ظاهر فلا يخفى عليهم ولا على غيرهم ، بل لا يتبعونه عنادا واستكبارا . وأما أنهم خصموا النبى ﷺ وقطعوه عن حجته وغلّبوه فى برهانه ، فهذا لا يأتى الى ذهن جاهل فضلا عن فاضل ، لأن هذا ليس مما يستفاد من الآية البتة .

ولنذكر لك ما ذكره المفسرون فى تفسيرها وسبب ورودها لنزداد ايقانا وفهما لما ذكرناه : قوله تعالى فى سورة الزخرف : « ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون . وقالوا آلهتنا خير أم هو ؟ ما ضربوه لك الا جدلا ، بل هم قوم خصمون ، ان هو الا عبد أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلا لبني اسرائيل » قالوا : ان سبب نزولها أن لما نال خطابا للمشركين قوله تعالى : « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » قال عبد الله بن الزبيرى قبل اسلامه للنبى ﷺ : أليست النصرارى يعبدون المسيح وأنت تقول كان نبيا وعبدا من عباد الله تعالى صالحا ؟ فان كان فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه ففرحت قريش وضحكوا وارتفعت أصواتهم . وذلك قوله تعالى : « اذا قومك منه يصدون » فالعنى : ولما ضرب ابن الزبيرى عيسى بن مريم مثلا ، وحاجك بعبارة النصرارى اياه اذا قومك من ذلك ولأجله يرتفع لهم جلبة وضجيج ، فرحا وجدلا . والحجة لما كانت

تسير مسير الأمثال شهرة قيل لها : مثل ، أو المثل بمعنى المثال أى جعله مقياسا وشاهدا على ابطال قوله عليه الصلاة والسلام نفسه مثلا من باب المجاز . وروى عن على كرم الله تعالى وجهه أنه من الصدور أى أن قومك من أجل ذلك يعرضون عن الحق بالجدل بحجة داحضة واهية لأنه سبحانه قال : « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » فالمشركون سمعوا أولا من النبى عليه الصلاة والسلام « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى » كعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام « مبعدون » عن جهنم فضربهم هذا المثل هنا من باب العناد لأنه لا يذهب على ذى مسكة بطلانه ، ولكن العناد يعمى ويصم ، فهم قوم لدشداد الخصومة مجبولون على اللجاج . ولذا قال سبحانه : « ان هو » أى ما عيسى « الا عبد أنعمنا عليه » بالنبوة وروادفها . لكن ليس له من استحقاق المعبودية من نصيب ، فهو كلام حكيم مشتمل على ما اشتمل عليه قوله تعالى : « ان الذين سبقت » ولكن على سبيل الرمز ، وعلى فساد رأى النصارى فى ايثارهم عبادته عليه السلام تعريضا بمكان عبادة قريش غيره سبحانه وقوله تعالى : « وجعلناه مثلا » أى أمرا حقيقيا بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة « لبنى اسرائيل » حيث خلقناه من غير أب وجعلناه له (من ؟ المعجزات الجمة ما لم نجعل لغيره فى زمانه وقال الطيبى عليه الرحمة : ان قوله تعالى : « ان هو الا عب » الى آخره جواب عن جدل الكفرة فى قوله تعالى : « انكم وما تعبدون » الى آخره وأن تقريره : ان وجد لكم هذا باطل لأنه عليه السلام ما دخل فى ذلك النص الصريح لأن الكلام معكم أيها المشركون وأنتم المخاطبون به ، وانما المراد بما تعبدن : الأصنام التى تنحتونها بأيديكم وأما عيسى فهو عبد مكرم منعم عليه بالنبوة ، فمن أين يدخل فى قولنا انكم وما تعبدون ؟ وكذلك لا يدخل من يعبد الملائكة أو غيرهم من الصالحين . فليفهم .

قوله : « وان مسيلمة الحنيفة والأسود العنسى وطلحة ابن خويلد

الأسدى وغيرهم قد عملوا مثل ما عمل صاحبك » الى آخره .

أما مسليمة بن حبيب المعروف بالكذاب ، فقد كان ظهر باليهامة فى

بنتي حنيفة وكتب في آخر سنة عشر الى النبي ﷺ : « من مسيلمة الى رسول الله محمد رسول الله .

سلام عليك .

أما بعد ..

فانى قد أشركت في الأمر معك . رآن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشا قوم يعتدون »

فقدم عليه رسولا له بهذا الكتاب ، فكتب رسول الله ﷺ بهذا الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب .

السلام على من اتبع الهدى .

أما بعد ..

فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين »

وكان مما شرع لقومه : ان من أصاب ولدا ذكرا ، لا يأتي النساء حتى يصيب ابنا ثم يمسك ، ثم توفي رسول الله ﷺ وهو على دعواه النبوة وارتدت بعض الاعراب واستغلظ أمر مسيلمة واجتمع على طليحة عوام هيء وأسد ، وتبعته غطفان ، وتقدمت كتب أمراء النبي ﷺ تخبر أبا بكر رضى الله عنه بانتقاضهم وتسلبهم على المسلمين ، فحاربهم أبو بكر بما كان رسول الله ﷺ يحاربهم ، وبعث الى المرتدين السرايا ، بعث عكرمة بن أبى جهل الى مسيلمة وأتبعه شر حبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وبنو حنيفة يومئذ كثيرون ، كانت عدتهم أربعين ألف مقاتل فاقتتلوا قتالا شديدا ، ثم برز خالد ودعا الى البراز ، فلم يبرز اليه أحد الا قتله ، ثم دخلوا الحديقة فدخلها المسلمون عليهم ، واقتتلوا حتى قتل مسيلمة واشترك في قتله وحشى

«ولى جبير بن مطعم ، ورجل من الأنصار اما وحشى فدفع اليه حريته وضره
الأنصارى بسيفه ، وأخذهم السيف من كل جانب وكان النصر للمسلمين
والدائرة على الكافرين والحمد لله رب العالمين . وستأتى أيضا بعض أقواله
وآياته فى ترجمة سجاح قريبا ان شاء الله تعالى .

وأما الأسود العنسى ، فاسمه عييلة بن كعب بن عوف العنسى — بالنون
— وعنس بطن من مذحج وكان يلقب ذا الخمار لأنه كان معتما متخمرا أبدا
وكان فى اليمن ولما عاد رسول الله ﷺ من حجة الوداع ، وتمرض من السفر
غير مرض موته عليه الصلاة والسلام بلغه ذلك ، فدعى النبوة وكان
مشعبذا فاتبعته مذحج . وكان ردة الأسود أول ردة فى الاسلام على عهد
رسول الله ﷺ وغلب الأسود على ما بين مفازة حضرموت الى الطائف الى
البحرين والاحساء الى عدن ، واستطار أمره كالحريق وكان معه سبعمائة
فارس سوى الركبان واستغلظ أمره وكان الأسود تزوج « أزاد » امرأة
« شهر بن باذان » بعد قتله . وهى ابنة عم « فيروز » ونزح معاذ بن جبل
الى السكون . فعطفوا عليه ، وجاء اليهم والى من باليمن من المسلمين ،
كتاب النبى ﷺ يأمرهم بقتال الأسود ، فقام معاذ فى ذلك وقويت نفوس
المسلمين ، وذاكروا زوجته « أزاد » وذكروها بقتله لزوجها « شهر بن
باذان » واهلكه عشيرتها وفضيحة للنساء ، فأجابت وقات : والله ما خلق
الله تعالى شخصا أبغض الى منه ، ما يقوم الله على حق ، ولا ينتهى عن
محرم ، ثم قالت لهم : هو متحرز وليس من القصر شىء الا والحرس
محيطون به ، غير هذا البيت . فان ظهره الى مكان كذا وكذا ، فان أمسيتم
فانقبوا عليه ، فانكم من دون الحرس وليس دون قتله شىء ، وستجدون
فيه سراجا وسلاحا . قال الديلمى : فنقبنا البيت ودخلنا واقتدينا بفيروز ،
وكان أشدنا فنقلنا : أنظر ماذا ترى ؟ فخرج ونحن بينه وبين الحرس ،
فلما دنا من البيت سمع غطيطا شديدا . والمرأة قاعدة فلما قام على سباب
البيت أجلسه الشيطان ، وتكلم على لسانه وقال ما لى ولك يا فيروز فخشى
ان يرجع أن يهلك وتهلك المرأة ، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل ، فأخذ
برأسه فقتله ودق عنقه ، ووضع ركبته فى ظهره فدقه ، ثم خرج فأخبرنا

فدخلنا معه فخار كما يخور الثور ، فقطعت رأسه بالشفرة ، وابتدر الحرس المقصورة ، يقولون : ما هذا ؟ فقالت المرأة : النبي يوحى اليه ، فحمدوا الله . وتراجع أصحاب النبي ﷺ الى أعمالهم ، وكان يصلى بنا معاذ بن جبل ، وكتبنا الى رسول الله ﷺ بخبره ، وذلك بحياته ، وأتاه الخبر من ليلته من السماء ، وقدمت رسلنا وقد توفى رسول الله ﷺ فى ليلته التى قتل فيها فقال : « قتل العنسى قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين » قيل : من قتله يا رسول الله ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « قتله فيروز » وكان أول أمر العنسى الى آخره ثلاثة أشهر وقيل أربعة أشهر .

وأما طليحة بن خويلد الأسدى من بنى أسد بن خزيمه ، فقد تنبأ أيضا فى حياة النبي ﷺ فوجه عليه الصلاة والسلام ضرار بن الأزور ، عاملا على بنى أسد وأمرهم بالقيام على من ارتد فضعف أمر طليحة ، حتى لم يبق الا أخذه فضربه بسيف ، فلم يصنع فيه شيئا ، فظهر بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه ، ففكر جمعه وتوفى النبي ﷺ وهم على ذلك . فكان طليحة يقول ان جبريل يأتينى وسجع للناس الأكاذيب وكان يأمرهم بترك السجود فى الصلاة ويقول : « ان الله لا يصنع ما يغفر وجوهكم ويقبح أديباركم شيئا ، اكبر الله واعبدوه قياما » الى غير ذلك . وتبعه بعض من العرب عصبية ، فلذا كان أكثر أتباعه من أسد وغطفان وهى وأرسلوا الى المدينة يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة . فقال أبو بكر رضى الله عنه : « لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه » ثم أرسل أبو بكر اليه خالدا ، فاشتدت الحرب وتقاتلوا قتالا شديدا ، وانهزم الناس عن طليحة ، وكان طليحة قد أعد فرسه وراحلته لامرأته « النوار » فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته ، ثم نجا بها ولحق بالشام ، ثم أسلم وجاء بعد وفاة أبى بكر الى عمر رضى الله تعالى عنه فتابعه وقال له : ما بقى من كهانتك ؟ فقال نفخة أو نفختان ، ثم رجع الى قومه ، فأقام عندهم حتى خرج الى العراق وأخذ من أصحاب طليحة رجل كان عالما به ، فسأله خالد عما كان يقول ، فقال : ان مما أتى به : « والحمام واليمام ، والصد الصوام ، صمن قبلكم بأعوام ، ليبلغ ملكنا العراق والشام » .

قوله : « وغيرهم »

لعله أراد « سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية » فقد خرجت من اللججيرة وادعت النبوة ومعها هذيل بن عمران ، فى بنى تغلب مكان نصرانيا ، فترك دينه وتبعها . وكانت تريد غزو أبى بكر رضى الله تعالى عنه . واجتمع معها بعض الناس فسجعت لهم سجاح . وقالت : « أعدوا الركاب ، واستعدوا للنهاب ، ثم أغيروا على الرباب ، فليس دونهم حجاب » ثم خرجت سجاح فى الجنود ، وقصدت اليمامة وبنى حنيفة ، وقالت : « عليكم باليمامة ودفواديف الحمامة فانها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة » فبلغ ذلك مسيلمة فخاف ان هو شغل بها أن يغلبه أبو بكر رضى الله تعالى عنه على اليمامة ، فأهدت لها ثم أرسل اليها يستأمنها على نفسه ، حتى يأتيها ، فأمنته فجاءها فى أربعين من بنى حنيفة ، فقال مسيلمة لنا نصف الأرض وكان لقريش نصفها لو عدلت . وقد رد الله تعالى عليك النصف الذى ردت قريش . ولما جاءها ضرب لها قبة وجهرها ، لتذكر بطيب الريح الجماع ، واجتمع بها . فقالت له : ما أوحى اليك ربك ؟ فقال : « ألم تر الى ربك كيف فعل بالجبلى ؟ اخرج منها نسمة تسمى ، بين صفادق وحشى » قالت : وماذا أيضا ؟ قال : « ان الله خلق للنساء أفراجا وجعل الرجال لهن أزواجا فتولج فيهن ايلجا ، ثم تخرج اذا تشاء اخرجا فينتجن لنا سخالا انتاجا » قالت : أشهد أنك نبي . قال لك أن أتزوجك وأكل بقومى وقومى وقومك ؟ قالت نعم ، فقال :

وان شئت ففى المخدع	وان شئت سلقناك
ألا قومى الى النسبيك	وان شئت على أربع
فقد هبى لك المضجع	وان شئت بثلثيه
فان شئت ففى البيت	وان شئت به أجمع

قالت : بل أجمع ، فانه أجمع للشمل ، قال : بذلك أوحى الى . فأقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت الى قومها . فقالوا لها : ما عندك ؟ قالت : كان

على الحق فتبعته وتزوجته ، قالوا : هل أصدقك شيئا ؟ قالت : لا . قالوا :
مارجعى فاطلبى الصداق . فرجعت فلما رأها أغلق باب الحصن ، وقال :
مالك ؟ قالت : أصدقنى . قال : من مؤنك ؟ قالت : شبت بن ريعى
الرياحى ، فدعاه . وقال له : ناد فى أصحابك أن مسيلمة رسول الله قد
وضع عنكم صلاتين مما جاعكم به محمد ، صلاة الفجر وصلاة العشاء
الآخرة ، فانصرفت ومعهما أصحابها . فقال عطارد بن حاجب :

أمست نبينا اننى نطوف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وصالحها مسيلمة على غلات اليمامة سنة ، تأخذ النصف وتترك عنده
من يأخذ النصف ، وانصرفت الى الجزيرة وخلفت الهذيل وعقة وزيادة
لأخذ النصف الباقى ، فلم يفاجئهم الا دنو خالد بن الوليد اليهم فرفضوا ،
فلم تزل سجاج فى تغلب ، حتى نقلهم معاوية بن أبى سفيان عام المجاعة ،
وجاءت معهم وحسن اسلامهم واسلامها ، وانتقلت الى البصرة وماتت
بها . وقيل : انها لما قتل مسيلمة سارت الى اخوالها بنى تغلب بالجزيرة ،
فماتت عندهم ، والله تعالى أعلم .

ثم اعلم ان النبى عليه الصلاة والسلام كما قال ابو هريرة : رضى
الله عنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون رجلا كلهم يدعى النبوة »
ويوافقه ما فى الاصحاح السابع من انجيل متى أن المسيح عليه السلام
قال : « احذروا من الأنبياء الكذبة ، الذين يأتون اليكم بلباس المضان ،
وداخلهم ذئاب خاطفة ، فانكم تستعرفونهم بأثمارهم ، هل يقطف الناس
العنب من الشوك ؟ أو هل يجنى التين من العوسج » ؟ انتهى . وهذا
اخبار من عيسى عليه السلام أنه ستأتى بعده أنبياء كذايوس ، ويأتى فيهم
الصديق ، وفرق بالعلامات بين الصادق والكاذب . ولأن مفهوم الصفة
معتبر كما هو مقرر فى الأصول . ومن تنبأ صادقا بعده : أغايوس بنى
انطاكية كما فى الاصحاح الحادى عشر من أعمال الرسل ، وخالد بن سنان
فى الجبل ، وخاتمهم سيد العالمين نبينا محمد ﷺ فاستدل بعض النصارى

على انقطاع النبوة بعد المسيح بقوله هذا ، استدلال باطل لأنه مصرح فيه بعدم الانتقطاع فهو دليل عليهم لالهم كما لا يخفى .

قوله : « واثبت انى قرأت مصحفا لمسيلمة ، لو ظهر لأصحابك لرد اكثرهم » الى آخره .

أنت تعلم وكل عربى يدرى وينهم أن من ساوى بين القرآن الكريم وأقوال مسيلمة الكذاب الرحيم ، فهو أكذب منه ، اذ كالة الفاظه أمر ظاهر وأنه أشبه بالمضحكات والتوهات التى تضحك منها الأكاير والأصاغر ، وقد تقدم لك شىء منها . ولنردفه بما أنقلت الكتب عنها . فما جاء به وذكر أنه وحى : « يا ضفدع بنت ضفدعين ، نقى ما تنقين ، أعلاك فى الماء ، وأسفلك فى الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء نكدرين » وقال أيضا : « الفيل وما أدراك ما الفيل ، له زلوم طويل ، ان ذلك من خلق ربنا الجليل » وقال أيضا : « والمبيدات زرعا والحاصدات حصدا والزرايات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما اهالة وسمنا . لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقتكم أهل الدر ، ريقكم فامنعوه ، والمعيبى فأووه ، والباغى فتأووه » واثته امرأة فقالت : ان نحلنا السحيق وان آبارنا الجزر فادع الله لمائنا ونحلنا كما دعا ﷺ لأهل هزمان ، فسأل نهارا عن ذلك ، فذكر النبى ﷺ دعا لهم وأخذ من ماء آبارهم فتمضمض منه ومجه فى الآبار ففاضت ماء ، وأنجبت كل نخلة وأطلعت فسيلا قصيرا كمما ففعل مسيلمة ذلك فغار ماء الآبار ويبس النخل ، ورآه الوف من الناس واستفاض الخير عند كل أحد . وقال له نهار : مرديدك على أولاد بنى حنيفة ، مثل محمد ، ففعل وأمر يده على رعوسهم وحنكهم ، فقرع بعد ذلك كل صبى مسح رأسه لثع كل صبى حنكة ، وانما ظهر كل ذلك بعد مهلكه . وعلمه الناس كافة ، وتواترت به الأخبار فى سائر البلدان ، وجاءه طلحة النمرى فسأله عن حاله فأخبره أنه يأتية رجل فى ظلمة ، فقال له : اشهد انك يا مسيلمة لكاذب ، وان محمدا صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر فقتل بمصر يوم عقرباء كافرا — عليهما من الله ما يستحقان .

وإذا أحطت خبرا بما فصلناه وأجلت الفكر بما سطرناه من أحوال هؤلاء المتبئين وأقوالهم التي تمجها أسماع السامعين ، يتبين لك أن ما قاله عبد المسيح مخالف للصواب ، وأنه ما حمّله على مساواة كلام الكذبة لكلام رب الأرباب ، إلا محض العصبية والغيرة النصرانية ، والا فمن له أدنى مسكة من فهم وعقل كيف يدعى أن كلام مسيلمة من أفصح القول ؟ وليت شعري إذا رأى المسلمون قوله : « ألا قومي إلى النيك » أو قوله : « يا ضفدع بنت ضفدعين » أو قوله : « والمبديات زرعاً » إلى آخر الأبيات والفقرات التي ذكرناها آنفاً ، لم لم يرتدوا عن دين الإسلام بهذه الألفاظ الركيكة المبني والمرام ؟ فمن لا يفرق بينها وبين الفرقان لا يعد إلا من الانعام ، ومن يغرب عن عقله فيساوى بين التبر والרגام ، فليقطع الكلام ولا عليه السلام .

قال النصراني : « وكأني بك قد لجات فذكرت اللغة واعتدت بها وجعلتها خبئة لك تستتر تحت فيها ، فانت تعلم أن حجتنا في اللغة وحجتك واحدة ، والأمر بيننا فيها مشاع غير مقسوم ، واننا فيها شركاء ، فليس لك علينا فيها فضل ، ولا في يدك . منها ما ليس في أيدينا ، ولا علمك بأقل فيها من علمنا ، وانك لتقر طائعا : اننا معشر العرب نرجع جميعا في اللغة إلى يعرب بن يشجب بن نبايوت بن اسماعيل أبينا . وانما هذه المحجة المبهجة هي دعوى منلسة تجوز على الأنباط والأسقاط والعجم والمغفلين والاغبياء الذين لا معرفة لهم باللسان العربي ، وانما هم فيه دخلاء فلما ورد عليهم منه ما لم يفهموه صدقوه ، وتناولوه على قد عجمتهم ، فاما العرب العاربة الذين هم البديون فلسانهم واحد ولغتهم واحدة . وكل منهم يفهم كلام صاحبه . واما أهل الحضرمون نشأ بين الأبيات وخالط العجم والأعراب ، فلعمري لقد أعسدهم بعضهم كلام الآخر لطول المعاشرة وغلبة العادة فليست بك حاجة إلى ذكر اللغة ولا لك في ذلك بلفة ولا ملجا . فان قلت : ان قريشا انصح العرب وانهم قوم خصمون بالحجة ، وهم فرسان البلاغة والخطابة عارضناك بما لا تقدر أن تنكره ولا تجدد صدقه ، وهو أن مليكة بنت النعمان الكنديّة حين اقتضاها صاحبك ، وصارت عنده قالت : أمليكة تحت سوقة ؟ فنحن وانت لا نشك أن قريشا كانت تجار العرب وسوقها

وكندة كانوا الملوك المسططين على سائر العرب ولست أقول هذا افتخارا عليك بشرف جنسى من الكندية ولا لموضع نسبى فى العربية ، بل لكى تعلم أن كندة كانوا أقوىاء فصحاء بلفاء خطباء شعراء رجالا للملك وقادة للجيوش ذوى انعام وافضال ، حتى لقد كانت العجم من الروم والفرس يرغبون فى ماصهرتهم ، ويفتخرون بحمل بناتهم اليهم ، هذا ما لا يدفعه الا جاهل .

ولقريشى من الفضل فى السؤود والكرم — وخاصة لهاشم — ما لا ينكره الا من قد أعمى الحسد بصره وطمس نور عقله . وكذلك قولى فى جميع العرب وسائر قبائلهم لأن لهم الفخر والسبق بالفضل والكرم تخصيصا من الله على سائر العجم ، فان ادعيت ان كلام العرب مدون فى الشعر وان أخبارها قد قيدت به ، فلا تماريك فيه ونسلمه لك ، ولا نلتفت اليه . وذلك قلة اكرات لهذا القول وقلة ميالة به ، لأنه قول لا يخفى فساده على ذوى الألباب وتحض الحجة فيه ولا تثبت عند أهل النظر ، لأننا قد نجد كل مشفوف مصروف ودعى أعجمى قد قال الشعر ، فاذا نحن قرنا شعره بشعر غيره من العرب العاربة اللسان البدوى الشعر ، لم نجده مختلفا عنهم ولا مجابا لهم ، وجدناه سالكا سلبهم محتذيا منهمجهم ، واذا كان هذا كذلك ، فليس تدوين العرب اذن أخبارها وتقبيدها كلامها بالشعر ، حجة فى كتب سرائر الله القائل بها حجة ناطقة ، لأنه لا يؤمن أن يكون قد قيل من الشعر ما قد أشبه به شعر القدماء من العرب بما وقع فيه من الفساد والتغيير والزيادة والنقصان . فليس اذن الشعر حجة عند أهل الفحص والنظر ولا دعوى صحيحة ، بل هو عند الحكماء والفلاسفة هذيان ملوسوسين ، غير أننا معشر العرب نقدم الشعر ونؤثره ونقول بمحاسنه ومحاسنه ومناخره ، ونذكر فضائله ونعلم أن ديوان العرب فيه آداب كثيرة وعلوم ظريفة وأحاديث عجيبة ، ولا نشك عند تحملنا الأمور وصدقنا أنفسنا انه قد أفسد ، وأدخل فيه ما ليس منه بالتشبيه والمقايسة ، لأنه كلام لا يخطر عليه ، وإنما هو منثور وخواطره النفوس الفارغة ، ومشاع بين الناس جميعا يتناوله من أحب ويناله من طلبه ، تقريبا به الى

الملوك للاكتساب والموصلة اليهم بأسبابه ، فلهذا احتفل أن يدخله الفساد والتغيير والزيادة والنقصان ، فليس إذن الشعر حجة البتة فى شىء من كتب سرائر الالفة فاسدة ناقصة العقل فاقدة التركيب » انتهى .

فأقول : هذا الكلام كما يقال فى المثل نسع جمعة ولا نرى طحفا ، ومنفعة ولا سلاحا يقنى ولعمري انه يلزم فى كثير من الأحيان أن يمثل الانسان ما ورد فى العهد القديم عن سليمان من قوله فى الاصحاح السادس والعشرين من أمثاله . ونصه « لا تجاوبن غيبا نظير غباوته لئلا تصير شبيها به ، جاوب الغيبى نحو غباوته لئلا يظهر عند نفسه حكيميا » افقهى .

على أنا قد أجبنا عن مثل هذه السفسطة مفصلا فى شبهه فى القرآن وقدمنا ما يتعلق بهذه الأبحاث ، ولم ندع أن القرآن شعر ، بل قال الله تعالى : « وما هو بقول شاعر » وقال سبحانه : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » وقال عليه الصلاة والسلام : « لئن يمتأ شعرا » فراجعه ان شئت ولا تغفل .

ولنذكر لك ما قاله النسابون فى كندة الذين افتخر بهم تميما لزيادة الاطلاع ، قال العلامة الشيخ محمد أمين السويدي البغدادي فى كتابه « سبائك الذهب فى أنساب العرب » : « كندة واسمه ثور بن عفير بن الحارث بن أدوين زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قال المؤيد صاحب حماه فى تاريخه : « وانما سمي كندة لأنه كند أباه — أى كفر نعمته — وكندة هذا ابن أخى جذام ولخم وعامله وبنوه قبيلة من كهلان ، وبلاد كندة باليمن ، وكان لكندة هؤلاء ملك بالحجاز واليمن » انتهى . وفى القاموس : « الكنود كفران النعمة ، وبالفتح الكفور كالكناد والكافر واللوام لربه تعالى والبخيل والعاصى ، والأرض لا تنبت شيئا من يأكل وحده يمنع رفته ويضرب عبده ، والمرأة الكفور للبودة وكندة بالكسر ويقال كندى لقب ثور بن عفير أبى حى من اليمن ، لأنه كند أباه

النعمة ولحق بأخواله . والكند القطع « انتهى . قلت : فللكندي عبد المسيح ، نصيب من لقب جده القبيح ، وأما خبر مليكة الكندية فقد قدمناه لك فتذكرو ولا تغفل .

قال النصارى : « فلا تنظم — اصلحك الله — وتنجس تمييزك حقه ، بقبلة سلطان الهوى الجائر والعصبية ، فانه انما يجوز مثل هذا على الأغمار والجهال والأفنين ، واهل النقص فى الراى الذين لا عقل لهم ولا معرفة أصول الأخبار المتقدمة . فهم هج كاجلاف الأعراب المعتادين لكل الضب والحريان قد ربوا على الفقر والمسكنة وشقاء العيش فى البوادر والبرارى تسفعهم سماتهم الصيف وزمهير الشتاء ، وهم فى غاية الجوع والعطش والعرى ، فحيت لوح لهم بذكر انها خمر ولبن وأنواع الفاكهة واللحم الكثير والأطعمة والجلوس على الأسرة والالتكاء على فرش السندس والحريز والاستبرق ونكاح النساء اللواتى هن كاللؤلؤ المكنون ، واستخدام الوصائف والوصفاء والماء المعين المسكوب والظل الممدود التى هى صفات منازل الأكاسرة وقع هذا فى جدهم — وكان بعضهم قد رأى ذلك فى اجتيازهم ومسيرهم الى أرض فارس — واستطاروا فرحا وظنوا أنهم قد قالوه فعلا عند سماعهم اياه قولا ، فحملوا نفوسهم على محاربة اهل فارس لأخذ ذلك منهم وظفرهم به .

وقد علمت أن بعضهم قال لبعض فى حربهم تلك وقد ظفروا بسلال فيها حلوى من خزائن الفرس فاكلوا وتطعموا حلوة ما فيها : والله لو لم يكن لنا ديانة نحارب فيها لوجب أن نحارب على هذا ، فحاربوا أمة نجسة قذرة قد كانت طغت على الله ، وتجبرت . فسلط جل وعز عليهم من لم يفكروا فيه قط فقتلوهم وأخربوا بيوتهم بما كانوا يظلمون ويسفكون الدماء الزكية ، وكذلك حكم الله وفعله بالقوم الظالمين ، ينتقم بعضهم من بعض . ومثل الانباط والاسقاط الذين لا خلاف لهم ، قوم انما غنوا بالشفاء وربوا مع البقر فى السواد . ومثل الجواد الذين لا أدب ولا حسنى ولا علم ولا معرفة فحيت تكلموا بالعربية تنطقوا ببسط ألسنتهم واستعربوا عند أنفسهم واستطالوا على الناس ، فأحدهم يدعى الاسلام قولا بلسانه وفى قلبه بعض

من مرض يهوديته ومجوسيته ، فهو لا يعرف من خلقه ولو قيل له : ما الحد الذى تفرق به ما بين نفسك وخالقك والبهيمة ؟ ولم يدرك ولم يحسن أن يميز ولا يعلم ما هو ولا كيف هو الجواب فيه ، وانما هم كما أنعام بل وأضل سبيلا ، وكالبهائم الهائمة على وجوهها يميلون مع كل ريح ولا يعلمون حقيقة ما دخلوا فيه مما كانوا عليه أولا ، مثل عبدة الأصنام والمجوسية وأوساخ اليهود وسفاهتهم ، الذين انما طلبوا التعزيز بالدولة والتطاول على الناس بالسلطان وبسط السننهم على ذوى الأقدار وأولاد الأحرار ، وأهل الحسنى والمعرفة ، وأهل الديانة والعلم والمروءة والصيانة والشرف والنسب . ومثل أهل الريب والخيانات أيضا والجرائم الذين لم يكن ينهيا لهم ارتكاب المحارم وتكاح الفروج التى حرّمها الله عليهم مع بقائهم فى الديانة النصرانية ، الا بانصباب ذلك لهم بالدخول فى هذه المقالة ومثل من أباح لنفسه غاية الشره على الشهوات الجسدانية فمال الى الدنيا ولذاتها وزخرفتها طلبا للعرز القليل الزائل الفانى وشيكا للذهاب سريعا منها ، وطرحا للكثير الدائم الباقي الذى لا انقطاع له ولا زوال . وهو فى الآخرة . فانحاز الى هذا القول وجعله سببا له وسلما أوصله ما أراد .

اذ كان أقوى أسباب الدنيا يعبر منها ويعول عليها التى جعل سلطانها باب المحض إليها ، والسبيل الى ارتكاب الكبائر والمعاصى فيها ، ومال أيضا الى هذه المقالة من جعلها متجرا ومكتسبا لرزقه ، الذى قد كفاه ، ولقوته الذى فرغ له من الاهتمام به . والا فهل رأيت أكرمك الله أو بلفك من له بصيرة فى الديانة أو علم أو معرفة أو تحصيل للأمور أو قراءة الكتب وتفتيش لها واعتقاد صحيح ، أو نظر فى حكمه أو مدعى فلسفة صحيح العقل والفكر انتقاد الى غير الديانة النصرانية ، وخرج منها جاحدا مقالته ذاكرا معرفته ، من غير سبب دنيوى ، دعاه الاضطراب اليه ، ليجر بدينك وسلطانك على ما يريد من ركوبه وما تنازعه اليه نفسه من الأمور الخسيسة التى كانت الديانة النصرانية تخطرها عليه ، وتمنعه من الدخول فيها وتقيح له فعلها ، بل من لم يكن ينهيا له ذلك ولا يمكنه فعله ، دخل فى دين هو مطمئن فيه لما يريد من ذلك آمنا غير خائف تحت سلطان هذه الدولة مظهرا متابعا أهلها على قولهم ، فهذا أكرمك الله أقوى

أسباب هؤلاء الذين تراهم قد وافقوك على مقالتك ، واجتمعوا معك على اعتقادك وأكثرهم يعتقدون ويظهرون ويسرون خلاف ما يظهرون « انتهى » .

أقول خلاصة كلامه : ان نبينا عليه الصلاة والسلام ادعى النبوة فصدقته الأعراب الذين لم يعرفوا شروط النبوة . فاعلم ان النصراني غير هذا المؤلف ، صرحوا بخلاف قوله ، واعترفوا أن كثيرا من العرب كانوا مؤمنين بالمسيح عليه السلام ، وترجموا انجيله الى العربية قبل بعثة نبينا ﷺ وهذا يدل على نفى ما زعمه عبد المسيح من أنهم لا يعرفون شروط النبوة ولذلك آمنوا به . ولننقل لك من كتاب « تحفة الجيل فى تفسير الأناجيل » الذى جمعه « الخورى يوسف الياس الدبىس المارونى اللبناى » المطبوع فى بيروت سنة ١٨٦٨ فانه قال فى مقدمته فى بحث اختلاف تراجم العهدين ، وأن فيها تحريفا واختلافا ظاهرين ، وذكره لمن آمن من العرب بالمسيح عليه السلام ما عبارته : « فاذا تقرر ذلك أقول : زعم « ريناود وسيوس » فى مقالته فى ترجمات الكتاب المقدس عند الشرقيين وغيره من العلماء الأوريبين المتأخرين أنه لم يوجد ترجمة عربية للاسفار المقدسة الا بعد ظهور الاسلام ، وسند « ريناودوسيوس » زعمه هذا الى مجرد مبدأ كاذب ، وهو أن العرب لم يتنصروا الا متأخرا ، أو تنصر منهم قليلون فى مبادئ الكنيسة فخلق شكوك مذاهب اليهود والمانيين والوثنية وغيرهم بدار الايمان المقدس ، وأنه لم يكن لهم كنائس ولا أساقفة قبل « ماوية » ملكة الشراكسة التى كانت فى أيام « والس » الذى رقى سدره الملك سنة ٣٦٤ وأن الايمان مع ذلك لم يتمكن حينئذ عند العرب ، الا أن زعم « ريناودوسيوس » هذا باطل ، والمبدأ المؤسس عليه كاذب . ونكتفى لاثبات ذلك بايراد خلاصة ما كتبه بهذا الشأن العلامة السمعانى فى المجلد الرابع من المكتبة الشرقية . رأس ١٠ فصل ٣ فيقول : هناك قد أحكم « بارونيوس » بملاحظته أن انتشار الدين المسيحى فى العربية كان أولا بواسطة المجوس الذين هم اول من سجدوا للمسيح ، بعد مولده كما عليهم أئسعاء بوقله : « ان وفود مدين ، وانا الجميع يأتون من سبأ ويقدمون الذهب والبخور » ومن المعلوم أن المدينين والسبئيين من أخص قبائل

العرب . ولذا كان الجوس من العرب ، كما أثبت « يوستينوس » الشهيد فى خطابه مع « تريفون » و « ترتوليانوس » فى كتابه ضد اليهود ، و « ابيفانيوس » فى مختصر التعليم ، بناء على ما ورد فى الزمور « الا ملوك العرب وسبأ يقدمون الهدايا » والخصى الحبشى وكيل « قنذاقة » ملكة الحبش الذى عمده « فيلبوس » الرسول (ابركسيس ٨٥ عدد ٢٧) كان من سبأ المسماة الحبشة كما قدمنا . وأنذر بالايمان أهل وطنه الأعراب . وكان اليهود كثيرين فى العربية الحجرية والسعيدة فاليهود الذين أتوا من العربية الى أورشليم يوم البنديكستى وسمعوا الرسل يتكلمون بلغات مختلفة اعتنقوا الدين المسيحى ، وعلموه لمعاشريهم ، وقد جعل « فم الذهب » فى ميتر ٣ من الأبركسيس « بطرس » أول رسول الى العرب ، اذ قال : « ان بطرس كان فم الجميع ، وأول من جمع الكنيسة لا من الأورشليميين واليهود المجاورين لهم فقط ، بل من العرب والدخلاء الرويتائيتين أيضا » ومن علمهم بطرس فى أورشليم ، هذبهم بولس فى بلاد العربية ، فانه بعد أن آمن بالمسيح فى دمشق ، مضى الى العربية قبل أن ينطلق الى أورشليم الى الرسل الذين كانوا قبله ، كما شهد عن نفسه فى غلاطية ص ١ عدد ١٥ ويضاف الى بولس الرسول : رسل العرب وأولهم « تادى » الذى أثبت « نيكوفورس » و « فرتوناتوس » و « بيذا » وغيرهم أنه علم شعوب العربية وسورية وبين النهرين . ونسب عباد يشوع التبشير فى العربية لـ « تادى » الآخر أحد المتلاميذ وتلميذه « مارى » أنذر العرب الرحل واليمانية ، ثم ان الحبش والهنود الذين بشرهم متى الرسول ، كما روى سقراط وبرتلماوس ، كما ذكر أوريجانوس فى التكوين وأوسابيوس ومايتا ، يلزم أن يفهم بهم الحميريون شعوب العربية السعيدة لا الحبش ، سكان « ابيسينيا » الذين لم يستتروا بالايمان ، قبل « فرومنسيوس الصورى » الذى رسمه القديس « اثناسيوس الاسكندرى » اسقنا سنة ٣٢٧ ويثبت ما قلناه خاصة عن متى وبرتلماوس الرسولين « فيلوسترجيوس » و « سقراط » قال الأول منهما : (ان سكان الهند الأقصى رجعوا الى المسيح بانذار من تلماوس الرسول ، وهؤلاء الهنود رسموا أولا « سبائون »

من مدينة « سبا » التي هي عاصمة القبيلة كلها . والآن يسمون حميريون)
ومن ينكر أن الحميريين من العرب ؟ وقال سقراط في المحل المذكور آنفا
عن « أوفينوس » : (ان متى أصابته قرعة الرسالة في بلاد الحبش
وبرتلماوس في الهند المجاورة لها . وأما الهند الداخلة التي تسكنها قبائل
عديدة مستعملة لغات مختلفة (يريد بذلك بلاد الحبش بالحصار التي كانت
تسمى هند أيضا) فلم تستر بالايمان قبل أزمنة « قسطنطين » أي بواسطة
« فرومنسيوس » كما قدمنا . ومنذ مبادئ الكنيسة قد أقيمت في العربية
كراسي أسقفيات عديدة ، وكانت ميريوليطيتها منذ البداية مدينة البصرة ،
نحت ولاية البطريك الانطاكي كما يظهر من امضاءات الجامع والرسائل
السنيدوسية . وعدد السمعاني في المحل المذكور أسماء الأساقفة العرب
والجامع التي أمضوها من المجمع النيقاوي فصاعدا . وقال : انه كان
تحت ولاية ميريوليط البصرة جميع أساقفة كنائس العرب ، الا كنائس
دومانباطية وايصوريا وهوران وبلاد الشقيف ، وأنه عقدت عدة مجامع في
العربية وأولها سنة ٣٣٩ للمسيح ، الى أن قال : ان الاسماعيليين كانوا
يتقاطرون الى القديس سمعان العمودي أجواقا ، ويجحدون ضلال آرائهم
بصوت جهير ، الى أن يذكر تنصر « المنذر » ملك السراكسة في « الحيرة »
الذي جعله « دينا ودوسيوس » من أول من تنصر وآمن العرب بنوع ما ،
الى أن قال : « ولنا شواهد أيضا في اثبات مقصدنا : قال تاوادريطوس :
ان الأسفار العبرانية لم تترجم الى لغة واحدة ، بل الى الرومانية
والفارسية والهندية والأرمنية والمشيكية ، وبالاختصار الى جميع اللغات
مالمفهوم بالهندية لا لغة سكان الهند الداخل بل لغة سكان العربية السعيدة
التي كان تسمى قديما الهند الخارج ، وسكانها هم العرب الحميريون
كما قدمنا » انتهى باختصار ، وبقيت فيه دلائل كثيرة على اثبات تنصر كثير
من العرب وترجمة الكتب السماوية باللغة العربية قبل بعثة نبينا خاتم
النبيين صلى الله عليه وعليهم أجمعين .

وأما قوله : « ولقد علمت أن بعضهم قال لبعض في حربهم تلك »

الى آخر القصة .

فهو كذب مختلق وبهتان مصنوع وزور موضوع ، بل الأمر بخلاف ما قال
هذا النصراني وكتاب التواريخ والسير شاهدة بضد ما نسبه الى الصحابة
الكرام رضوان الله عليهم أجمعين .

قوله : « والا فهل رأيت » الى قوله : « أو نظر في حكمة أو مدعى
فلسفة » الى آخره .

ليت شعري أن أراد المدعى الحكمة والفلسفة (اثبات) المعتقد
بالتثليث (أى) أن الله سبحانه الواحد من كل وجه ، الذى لا يشبه
شئ : صار ثلاثة أجزاء والجزء الواحد منها دخل بعن مريم ، ثم ولد منها
وقتل ومات ، ثم جاء وصعد الى السما ، ثم صار مأكلة للنصارى فى السشا
الربانى يأكلون أكلا حقيقيا بشخصه ولحمه ودمه فى كل كنيسة ، وصار
لمعونا — والعياذ بالله — كما ادعاه « بولس » فى رسالته ، ودخل الجحيم
بدل خلقه ، فبأى برهان من البراهين المنطقية ؟ وأى قاعدة وأصل من
الأصول الحكيمية يبرهن الفلسفى المذكور على هاتين الدعوتين والعقيدتين
العجيبتين ؟ وبأى مقدمات وقياسات يستدل حتى صحيحة بجواز تجزئء
الاله وموته ، وأنه يؤكل لحمه فى كل يوم ؟ فلينصفه أخوان « عبد المسيح »
وليحكموا بما يدل من نصوص الانجيل على القياس الصحيح الواجب الترجيح
والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

قال النصراني : « فمنهم من يزدرى على صاحبك فى حسبه ونسبه ،
— ومنهم من يسبه ويدعى فى ذلك الكذب والبهتان — ومنهم من يزعم أن
غيره كان أحق بالأمر منه ، ولكنه سبب له ذلك بالغلط . وبعض يقول :
ان روح القدس انقسم ثلاثة أقسام ، فقسم كان فى عيسى ، وقسم فى
موسى ، وقسم فى رجل آخر أكرم ذكره . وان صاحبك خلو من ذلك .
فهؤلاء عندى أجهل البرية وأنثر من الزنادقة وأردأ مذهبا منهم . وهم
يظهرون الاسلام ويفتخرون به فى ظاهرهم . وكل ذلك ليتعززوا بسلاطان
الدولة ، على النصارى المسلمة قلوبهم المشبهين بالحملان بين الذئاب

الخاطفة ، كما سبق قول سيدهم ومسيحهم ومخلصهم الذى أعلمهم بما هو مزعم أن يكون من أمرهم . ولو أسهبت لأصف لك مقالات أصحابك ومعاذ الله أن يكونوا لك أصحابا ، بل هم أصحاب الشياطين وحزبه وشيعته وأولياؤه وما يروونه من الأحاديث الكاذبة الشنيعة ، التى تكاد تخزى الجبال منها للفرية التى فيها على الله جل ذكره أولا ، ثم على صاحبك وما يقذفونه به من الأباطيل ويشنعون به عليه من الكذب ، الذى لم يخلق الله له أصلا ، وصاحبك برىء منه كله ، لطال كتابى بذكره . فما قولك فيمن يروى عنهم أنهم يقولون : لربما هويتنا أمر فوضعنا فيه حديثا . وما أظنك من يروى أن الله جل وعز عما يفترون بعث الى أبى بكر يقول : يا أبا بكر أما أنا فراض عنك ، فهل أنت راض عنى ؟ فحسبك بهذا دليلا على فريتهم على الله جل وعز وكذبهم وتشنيعهم ، وكم مثل هذه الأحاديث قد زوروا وألغوا عليها ، فلعمري لقد صدق صاحبك حيث قال : « انه ما من نبى الا وقد كذبت عليه أمته ، وان أمتى ستكذب على أيضا » ولكنى لا أعرف أمة كذبت على نبيها كذب اليهود . وما أدرى ما أقول فى هؤلاء وفى كذبهم .

وأما الخلاف فى الآذان والتكبير على الجنائز والتشهد وصلاة الأعياد وتكبير التشريق ووجوه القراءات ، ووجوه النساء والفتيا ، وما أشبهه ذلك فإنه أمر يطول خبره جدا . ولولا أننى وأعلم انك الرجل الذى قد عشت أحاديثهم وانتقدتها وعرفت جميع عوارها وانكشفت لك مجاريها لكتبت اليك فى هذا الفن أشياء يطول الخطب فيها لكى أعرفك عالما بجميعها ، غير مثلك فى ذلك . وقد سترت الدولة وظاهر قول الديانة واسم الاسلام والتحلّى به والأعاجيب من اعتقادهم وكذبهم على الله وأنبيائه ورسله وأوليائه وعباده الصالحين ، وما يكتمون من النفاق ويظهرون أنهم النقية قلوبهم السليمة صدورهم ، وهم الدغلون الفاشون لله جل ذكره ولأنبيائه ورسله ، إذ كانوا يروون عن الله مثل هذه الأحاديث ، فكيف لا تأخذهم المرجفة ؟ وكيف لا تطبق عليهم السماء بالسخط والعذاب وهم ينطقون بمثل هذه العظائم ، ولكنه جل وعز لم يزل مستعملا طول الأناة والامهال ، لأنه

جل اسمه لا يخاف الفوت وهم اليه يرجعون ، فهو يمهلم الى يوم تتكشف فيه الستور ، ونعوذ بالله أن نكون من القوم الظالمين » انتهى .

فأقول : وبالله التوفيق .

قوله : « فمنهم من يزدرى على صاحبك » الى آخره .

لا يخفى أن طوائف الكفرة المكذبين بالأنبياء عليهم السلام كثيرون ، ومن كفر بنبي وصدق نبيا آخر أيضا كثير ، ونبينا عليه الصلاة والسلام كاخوانه الأنبياء فان من الناس من كفر به ومنهم من صدقه ، وهذا أمر بين

فمن كفر ببعثته ورسالته عليه الصلاة والسلام لا شك انه عدو مفتر متجرى على الحط من قدره الرفيع وشأنه العالى ، فهؤلاء اليهود على اختلاف فرقهم وكثرة عددهم ، يزعمون فى المسيح عليه السلام أنه متولد من زنا — وحاشاه — وأنه ساحر وكذاب فى دعواه وأنه خارج عن الايمان وأنه شريب للخمر مصاحب للنسوان ، فهل يلتفت الى قولهم وكفرهم به ؟ وكذلك سائر الأمم تكذبه سوى المسلمين ، فانهم يعتقدون نبوته ورسالته وعبوديته ، وأنه تولد من أم بلا ذكر ، حتى أن النصارى ما عدا مؤمنوهم المتقدمون كذبوه واختلفوا فيه . فمنهم من يقول انه عبد الله ورسوله كما يقول المسلمون ، وهؤلاء فرقة من المتقدمين على بعثة نبينا عليه الصلاة والسلام ، ومنهم من يزعم ألوهيته وأنه ابن يوسف النجار ، ومنهم من يزعم ألوهيته وأنه بلا أب بل تولد من الله ومن مريم ، فهو الاله المولود ، ومنهم من يقول بأن للمسيح ذاتا واحدة وطبيعتين طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية ، ومنهم من قال طبيعة واحدة ، ومنهم من نفى ألوهيته الروح القدس ، الى غير ذلك من الأقوال فهل هذه الاختلافات الباطلة الصادرة ممن بدعى النصرانية أو الموسوية تزرى بالمسيح أو تثبت بطلان نبوته أو يشينه ذلك القول القبيح ؟ كلا :

من كان فوق محل الشمس رتبته فليس برفعه شيء ولا بضعه

وكذلك أقوالهم في مريم فمنهم من يزعم أنها والدة الإله ، ومنهم من يقول من يجعلها أقنوما رابعا . كما صرح به صاحب كتابهم المسمى بأمجاد مريم ، وستقف على عبارته في محلها . ومنهم من يعبدها ويسجد لها . ويقول في صلاته : « يا أم الله يا خطيبة الله ، لك تسجد ولك تسجد الملائكة » كما قدمناه لك في الصلاة والتي يسونها صلاة العذراء . ومنهم من لا يرى محلها ذلك ، بل يجعلها كسائر النساء ، وأنها زوجة يوسف النجار الى غير ذلك من الأقاويل ، فهل يشين مقامها ما يقال في حقها من الأكاذيب والبهتان وخلاف الواقع ؟ وهل قول النصراني ان الإله منقسم ثلاثة أقسام آب وابن وروح القدس ، وأن الإله دخل في بطن مريم وتولد منها ، ثم ضرب وصفع وصلب ، ينقص من الألوهية شيئا . تعالى الله عما يقول المشركون :

قالوا : الإله ذو ولد قالوا : الرسول قد كهنا
ما سلم الله والرسول معا من لسان الناس كيف أنا ؟

ثم أنت تعلم أن أمة موسى عليه السلام انقسمت احدى وسبعين فرقة وأمة عيسى عليه السلام اثنى وسبعين فرقة ، وأمة نبينا محمد عليه السلام والسلام انقسمت على ثلاث وسبعين فرقة والفرقة التي هي على الحق واحدة منها لا يروى الاختلاف عنها . فلا يبطل نبوة الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام افتراق أممهم واختلاف عقائدهم ، ولا يشين دينهم اذا انتسب اليهم من ليس منهم ، وأدخل فيهم من الكثرة وأهل البدع والأهواء من هم منه براء ، ونسبوا الى شريعة ما ليس فيها زورا وافتراء . على الدين الحمدي — والحمد لله تعالى — نوره ساطع ظاهر لا يبطله كفر كافر ولا جدال مكابر ، ولا يحدشه تدليس الزنادقة ، ولا أكاذيب الفرقة المارقة ، ولا يضره شيئا مما يقوله الأعداء المخالفون ، ويفتريه المفترون « أن يظنوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يقيم نوره ولو كره المشركون » والله سبحانه الحكمة (في انه) قد قسم العبيد الى شقى وسعيد وتقى نقى ، وكافر شقى ، فلا تبديل لخلق الله ، ولا مغير لما قدره وقضاه . فلذا لا ترى

أمة من الأمم الا وظهر فيها من خالف جمهورها ، وارتكب قالا وقبلا « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » ولو أردنا استقصاء اقوال الأمة الموسوية وضلالاتها المروية وتعداد ما اختلفت فيه من الأصول والفروع (فى) المذاهب المسيحية ، لطال الكتاب وخرجنا من صد الجواب على أن أكثر ذلك معلوم وفى صحائف كتبهم وكتبنا مرسوم .

وتكفى لبيان شناعة عقيدتهم مسألتان :

أحدهما : جعل الاله سبحانه انسانا من مريم مولود ، ومهانا مصفوعا مصلوبا بين لصين بأيدى اليهود .

وثانيتها : انه بعد ذلك صار طعاما مأكولا بالأسنان على طول السنين لأمته ، وخبزا فى البطون لفرقتة ، يأكلونه بزعمهم أكلا حقيقيا بلحمه ودمه وشحمه وعظمه . فأى فجیعة أعظم من هاتين الفجیعتين ؟ وأى عقيدة فى الأمم حتى الجوس تماثل هاتين الشنیعتين ؟ بأن الاله المعبود تقتله اليهود ، ثم تأكل جسمه الحقيقى . وتتفوطه فى كل يوم أتباعه المسيحيون ، ولا تخلصه من أيدى اليهود والنصارى ملائكة الكروبيون . فانا لله وانا اليه راجعون .

قوله : « وما أظنك من يروى أن الله جل وعز بعث الى أبى بكر » الى آخره .

لا يخفى أن هذا الحديث بهذه الرواية وكذا بروايات أخر مع زيادات منكرة اشتهر على بعض الألسنة ورواه بعض من دون ترو الا أن نقاد الحديث فى القديم والحديث نصوا على أنه ليس بحديث صحيح ولا حسن ، بل هو حديث منكر غريب لا يقبله أهل التصحيح والترجيح ، ونهبوا على نكارته على اختلاف رواياته ، ومنهم العلامة ابن حجر المكى فى كتابه المصواعق ، على أنا اذ فرضنا صحته ، فأى بأس فيه بعد ورود القرآن العظيم بالرضا عن الصحابة فى قوله سبحانه : « رضى الله عنهم ورضوا »

عنه « وقوله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » وأى باس فى اخباره سبحانه برضاه عن خلص أحبائه بمعنى قبول أعمالهم ونحوه وبرضاهم عنه سبحانه بمعنى انقيادهم لما أمر به وانتهاهم لما نهى عنه ، وشكرهم لما أنعم عليهم من نعمة الاسلام . ثم ليت شعرى لم يستبعد النصرانى مثل هذا فى حق صحابى مقدم ؟ وقد بلغه عن ربه سبحانه نبي معظم ﷺ بواسطة جبريل المكرم أنه عنه راض بعد أن روى يوحنا فى أصحابه السابع عشر من انجيله أن عيسى عليه السلام قال فى حق رسله ما لفظه : « كما أنك يا أبت فى وأنا فيك ليكنوا هم أيضا فينا واحدا ، وأنا أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكنوا واحدا ، كما نحن واحد . أنا فيهم وأنت فى لئكون مكملين الى واحد ، وليعلم للعالم أنك أرسلتني وأنا أحببتهم كما أحببتنى » انتهى .

قال مفسرهم الخورى : « المعنى انى فيهم بجسدى الذى يعطونه هوة حقيقيا أى يأكلوه فى الأوخرىستيا ، كما أنك فى الاتحاد لاهوتك بجسدى ، فاذا كان اللاهوت فى جسده وجسده فى المؤمنين ، فيكون اللاهوت فى المؤمنين ، بواسطة جسد المسيح ، ويكون المؤمنون واحدا بالمسيح بسبب جسده ، فيكلمون على هذا فى واحد » انتهى . وفى الاصحاح الثالث عشر منه ما لفظه : « قام — أى يسوع المسيح — عن العشاء وترك ثيابه وأخذ منديلا شديده حقويه ، وصب ماء فى مطهرة ، وابتدا بغسل أرجل تلاميذه ، وكان يمسحها بالمنديل الذى أتزريه » انتهى . فهذا الاله بزعمهم يغسل أرجل أصحابه بيده ، وأنه حل فى أصحابه وفى سائر النصرارى بواسطة أكله فى العشاء الربانى ، وأنهم صاروا مع الله سبحانه واحدا ، وأنه أحبهم . فاذا قلنا بأن الله تعالى بلغ أبا بكر رضى الله تعالى عنه ما بلغه بواسطة الوحي الى نبيه ﷺ فأى باس فى ذلك ؟ وأى بدع من الأمر فيما هنالك ؟ فانهم والله تعالى أعلم .

قوله : « وأما الأذان والتكبير ووجوه القراءات » الى آخره .

لا يخفى على كل مطلع أن مثل هذه الاختلافات في الفروع والقراءات لا تعد اختلافا في الدين عند أهل الصيانات . وليس فيه ضرر عند جميع فرق المسلمين . وكم وكم بين علماء الملل اختلاف في مثل ذلك ولا يقال للمختلف فيها أنه في غير طريق الصواب سالك . وهؤلاء النصارى اخطف مفسروهم في تفسير الآية من الأناجيل على آراء كثيرة طالبت بينهم فيها الأناجيل ، حتى أنهم في الآية الواحدة ربما يكون لهم فيها نحو سبعين قولاً بلا بيان الراجح ولا فائدة . وهذا بديهي لمن طالع تفاسيرهم وسبر أهوالهم . وأما وجوه القراءات القرآنية فهذا أمر لا يذكر ولا ينبغي أن يورد جوابه ويحذر ، لأن القراءات نزلت من رب الأرضين والسموات فهي الهيئة ليست باخبارية ، وليس فيها ما يخل بأمر الدين ولا ما يكذب عين المسلمين . ولنضرب لك مثالا واحدا لتقيس عليه غيره . وذلك مثل قوله تعالى في الفاتحة : « مالك يوم الدين » و « ملك يوم الدين » فقه قرأ بهما النبي عليه السلام وعامة الصحابة والمسلمين ، والكلمتان من شيء واحد مشتقتان . وليت شعري لم يتناسى عبد المسيح ما قاله النصارى في الأناجيل ، وأنها كانت تزيد على أربعين ، ولم لم يتذكر اختلاف هذه الأناجيل الأربعة الموجودة فيما بينهم ؟ ولم ينعمي عن اختلاف نسخ كل انجيل وأنها غير موافقة المباني ولا متطابقة المعاني في طبع كل قبيل ؟ ولم يتخافت عما اثبتناه سابقا من التحريف فيها والتبديل ، والله يقول الحق وهو يهدي الى سواء السبيل .

قال النصراني : « وأما قولك — أصلحك الله — أنه مكتوب على العرش لا اله الا الله محمد رسول الله . فلقد كثر تعجبي منك ، كيف جاز هذا عليك في فطنتك وبقية عقلك وصحة فركك ؟ وكيف أمكن أن تتصور مثل هذا في عقلك أنه صحيح ، حتى ترويه ، وتكتب به الى مثلى من أهل اليقين ، ومن تعرفه بصحة الانتقاد وشدة الاعتبار ؟ وجوابك في هذا عندي مما يتمثل به العامة أنك تخذع نفسك وتصنع من عقلك وذهنك ، لأنك في كلمتك لم تترك شيئا للمشبهة لليهود ، الذين يحدون الله ربهم بأنه جالس على عرش محدود ، حتى تكتب على العرش اسمه واسم

آخر من خلقه ، ليت شعري اهو كتب ذلك الكتاب ام كتب له ؟ ولم كتب
ذلك لنفسه ؟ لئلا ينسى اسمه ام لتعرفه الملائكة ؟ فقد كانت عرفته
الملائكة ؟ فقد كانت عرفته الملائكة حين اراد خلق النور ، فقال ((ليكن
النور فكان النور)) وعند ذلك مدحته وسبحته ، قائلة : سبحان خالق
النور ، وعلمت انها مخلوقة ، وان لها خالقا فتلك المعرفة فى الملائكة قائمة
غير زائلة بانه خالقها ، وليس لها حاجة الى ان يكون لها كتاب نصب
اعينها يذكرها لئلا تنسى اسم خالقها . وهى تسبح اسمه وتقديسه من غير
فتور ولا انقطاع ، وتنفذ امره جل وعز فى كل لحظة ، وان كان انها كتب
ذلك للناس فهم غير منتفعين به ، لانهم لم يروا ذلك العرش ولا قرأوا
ما عليه من الكتابة .

فان قلت : ان ذلك كتب ليقرأ يوم القيامة ، فاقم لنا دليلا وبرهانا
على ذلك صحيحا مقنعا . على انك تعلم ان الناس كلهم يوم القيامة يعطون
المعرفة الكاملة بخالقهم ، وتبطل فى ذلك الوقت الشكوك وتضمحل
الظنون كلها ، ويحصلوا على اليقين الصحيح ، يوم لا ريب فيه ، يوم
تجزى كل نفس بما كسبت ، فلها شغل بما هى فيه . فقد هدر قولك
وتهافتت دعواك ان على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله
وبعد فلم ار احدا من اصحابك يوافقك على ذلك ولا يطابقك على رأيك ،
بل كلهم واكثرهم ، الراسخون فى العلم يبطلونه ويردونه اشد رد ويكذبون
به اعظم تكذيب ، وانه محال لم يات ذكره فى الأثر ولاله فى كتابك الذى
زعمت انه نزل من عند الله عز وجل ذكر البتة . فليت شعري من اين جئتنا
انت به ؟ بل اخاف يرحمك الله ان تكون اخذته من سماجات اليهود ،
فان لهم مثل هذا وتشبهه من التشنيعات التى قد وضعوها ودرسوها
اليكم ، بلطيف حيلهم ودقة كيدهم فى الادغال طلبا للمعائب والمكابدة ،
والقاء الشرور بين الناس . فان صدقت نفسك — اصلحك الله — علمت
حقا ان هذا محال لا معنى له ولا منفعة ، وان الله فى حكمته لا يفعل
المحال ، وما ليس له معنى . وقد وجدنا اجماعكم على ان الرجل اذا قام
خطيبا فيكم ، يببالغ فى دعائه ، ويظن فى نفسه انه قد بلغ الغاية القصوى

فى خطبته ، فيفتح كلامه قائلا : اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ،
كدا باركت على ابراهيم وآل ابراهيم ، فأراك — أبقاك الله — ظننت أنك
قد بالفت له فى الدعاء والصلاة عليه ، إذ تمنيت له وطلبت متشفعا أن
يصير مثل ابراهيم أو كاحد آل ابراهيم ، فهذا — أصلحك الله — نهاية
الشفاعة ، ان رجلا اسمه مع اسم الله جل ذكره وتقديست أسماؤه مكتوب
على العرش من نور ، وأن آدم بل الدنيا كلها انما خلقت بسببه كزعمكم
تتمنى له اللحاق برجل من آل ابراهيم ممن قد علمت ، وأكره ذكر اسمه فى
هذا الموضع ، وكتابتك الذى تزعم أنه منزل من السماء يشهد ويكرر الشهادة
فى عدة مواضع قائلا : « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت
عليكم ، وأنى فضلتكم على العالمين » (بقرة) فقد وجب عليك فى هذا
القول أن بنى اسرائيل أفضل منك وممن ذكرته بالفضائل وانما كان عهدى
بمثل هذه الشناعات من عمه اليهود ، ولم أظن عقلاء المسلمين يعتقدون
بمثل هذا وشبهه . وجوابنا لك — أرشدك الله — فى الماضى والمستأنف
من كتابنا هذا ، على قدر ما يحتمل من الكلام على أنا قد وضعنا النصفه
بيننا وبينك أساسا لكلامنا وطرحنا التناول بالسلطنة والبذخ والتفخر
بالانساب لأننا اذا حصلنا على العلم بانفسنا وصدقناها ، عرفنا أنه
ليس لاحد على صاحبه فضل فى النسب ، واننا نرجع الى أب واحد وأم
واحدة وجميعنا خلفنا من طينة واحدة ، ليس لحم أطيب من لحم ولا دم
أطيب من دم ، وانما التفاضل والتقدم بالعقول والعلوم . ولقد أحسن
عندى القائل : قيمة كل امرئ من علمه . وانى كثيرا ما أستوصب هذا
الكلام من قائله ، وانما ادخلت هذا القول فى هذا الموضع وان كان ليس
من جنس ما نحن بصدده حتى اذا نظر فى كتابنا بنظر متعنت — ينظر بعين
العماهية والجهالة التى ثمرتها الحسدة — لا يسبق الى قلبه لضعفه
وركاكته أنى لم أكن عارفا من حقكم أهل البيت ما أعرفه ، وأوجب ما وجبه ،
فكيف وأنا معتقد ذلك بجميع نرية آدم . ولكننى استعملت ما قاله بعض
الحكماء : هو أن ترك الجواب فى موضعه عى وظلم للعقل ، فكرهت ان
أكون ظالما لعقلى ، ولم التفت الى هذا الحاسد وهذيانه وجهله وطرحته

كلامه وراء ظهري ، بل لم أتوهمه الا عدوا ، فضلا عن التفاتى اليه « انتهى .

فأقول : أما ما نسبته للهاشمى من القول بكتابة لا اله الا الله محمد رسول الله على العرش ، فالظاهر أنه من باب زنا فخذة ، وتقول عليه فردة ، لأن هذا لم يبلغنا عن أحد من السلف الصالح المعتمد أنه رواه (١) ، ولا رأينا كتابا من الكتب الصحاح حواه ، لا سيما والنصرانى نفسه اعترف بأن الراسخين فى العلم يقولون انه ليس لهذا الأثر أثر ولا صحة له فى الخبر ، وأنه من موضوعات الأقوال « وكفى الله المؤمنين القتال »

على أننا ان قلنا بصحته ، فأى باس فى ذلك عند من سلم قلبه من الوقوع فى مظلم الكفر الحالك ؟ فهذا عيسى عليه السلام عند تعميده من يحيى ، نادى عليه الملك العلام (كما فى) لوقا ص ٣ قائلا : « هذا ابنى الحبيب الذى به سررت » كما زعمت النصرارى ، فيقال لكم : ان كان قال ذلك جهار لتسمع الملائكة ، فلا شك أن الملائكة تعرف ذلك ، لأن المسيح بزعمكم الههم ، فكيف لم يعرفوه الى ذلك الوقت ؟ وان كان قوله ذلك ليسمع اليهود ويؤمنوا أنه هو ابن الله وحبيبه ، وأنه هو الله تعالى فما سمعوا ولا آمنوا بالوهيته بل ولا بنبوته به ولا بايمانه . ولو سمعوا هذا النداء من الله تعالى فى هذا العالم لما وسعهم الا الاقرار ، مع أنهم ما سمعوا شيئا وأنكروا نبوة المسيح أعظم انكار . وكذا ان قلنا ان بعض المؤلفين من ضعفاء المسلمين ذكره ، فأى نقص يعترى المحدثين المحققين فهذا كتابكم المسمى بالغصن النضير صورتم فيه صورة انسان وقتلتم : هذه صورة الاله العظيم الخبير . وكذا كتابكم المسمى بأحماد مريم ونحوه من كتبكم المملوءة من الخرافات والأخبار المكذوبة المروية عن المسيح وأمه العذراء فيها ما لا يقوله الأطفال ، ويضحك كل نى عقل بل ذوى الخبال ، فتبعب وميز الأقوال .

(١) مكتوب على باب الجنة لا اله الا الله . هذا فى انجيل برنابا .

قوله : « فلم ترض أن جلسته على عرش محدود » الى آخره .

يا الله العجب من نصراني تعلن توراته (١) وأناجيله بالتجسيم ويزعم أن الله سبحانه حل في بطن مريم تسعة أشهر يأكل الدم وولد في حالة ذنبية في اسطبل في معلف الدواب ، ثم انه ضرب وصلب ومات ، وبقي في قبره ثلاثة أيام ثم حيي ورفع الى السماء وجلس عن يمين الله ، كما قال مرقس في آخر انجيله ، كيف ساغ له أن يعترض على المسلمين الموحدين المنزهين للباري سبحانه عن التجسيم والطول القائلين ان له تعالى عرشا مخلوقا حادثا ، كما قال في القرآن ؟ وانه عز وجل منزه عن المكان والاحتياج اليه ، وانه تعالى ليس بجسم ولا عرض ولا يشبهه شيء ، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ويقولون : ان من اعتقد الجسمية له سبحانه والجلول في شيء من مخلوقاته ، يكفر ولقد صدق على هذا النصراني قولهم في المثل رمي بدائها وانسلت . ولولا خشية التطويل لتكلمت في كشف هذه المسألة أكثر من هذا ، فانهم وأنصف .

قوله : « وقد وجدنا اجماعكم على ان الرجل اذا قام خطيبا » الى

آخره .

أهل هذه الصلاة الابراهيمية ففي الفاظها روايات . فمنها ما فيه ذكر آل ابراهيم ومنها ما ليس فيه ذكر آل ابراهيم . والتي فيها ذكر آل أشهر منها . وأي بأس في ذلك عند من له خبرة بتراكيب الكلام ؟ وأي محذور بعد ظهور المراد من هذا النظام ؟ فاسمع ترجيحه وأجوبته مما قاله العلماء الأعلام .

قال العلامة الخفاجي : « والتشبيه انما وقع بال ابراهيم لشهرتهم وتقديره — في الرواية الآتية للسلسلة — اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم الى آخره . واله فيهم أنبياء ورسول ، فشبه

(١) التوراة لا تعلن التجسيم فيها : أن الله ليس كمثله شيء . في سفر التثنية « ليس مثل الله » والتلمود هو الذي فيه التجسيم . انظر كتابنا نقد التوراة .

المجموع بالمجموع . والأول بالأول . فلا يرد عليه أن المشبه به دون المشبه ، فكيف شبه صلاة نبينا ﷺ بصلاة ابراهيم وهو أفضل منه في السؤال المشهور ؟ وقد أجيب عنه بأجوبة هذا محصلها . وللجلال الدواني فيه رسالة مشهورة . وقال في موضع آخر : وخص ابراهيم عليه السلام بالتشبيه . قال البغوي عن مقاتل : لأنه أفضل الأنبياء بعد نبينا ﷺ ومكانة له على دعائه لامة محمد عليه الصلاة والسلام بقوله : « رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين » أو لمشاركته في التأذين للحج والايامن ، وأمر بذلك اجابة لدعائه بقوله : « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » ولأنه أمر بالاعتداء به . وأما التشبيه به والمشبه دون المشبه به ، فقد عرفته وأجيب عنه أيضا بأنه قاله قبل أن يعلم أنه أفضل منه ، أو لسبق زمانه واشتهاره ، لا لعلو مرتبته . وقيل انه من باب التهيج وقيل الكاف للتعليل ، وقيل المشبه آل محمد . وقيل أن التشبيه للمجموع ، فان الأنبياء من آل ابراهيم كثيرون . ناذا قريبت تلك الذوات الكثيرة من ابراهيم وآله بالصفات الكثيرة لحمد ﷺ أمكن انتفاء التفاضل « انتهى .

وقال العلامة ابن القيم في جلاء الأهمام : « والأحسن أن يقال محمد ﷺ هو من آل ابراهيم ، بل هو خير آله ، فيكون قولنا كما صليت على ابراهيم متناولاً للصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية ابراهيم » قال « ولا ريب أن الصلاة الحاصلة لآل ابراهيم ورسول الله ﷺ معهم أكمل من الصلاة الحاصلة له دونهم وتظهر حيثئذ فائدة التشبيه وجريته على أصله ، وأن المطلوب له من الصلاة بهذا اللفظ أعظم من المطلوب له بغيره ، فانه إذا كان المطلوب بالدعاء انما هو مثل المشبه به ، وله أوفر نصيب منه ، صار له من المشبه المطلوب أكثر مما لابراهيم وغيره ، وانضاف الى ذلك ما له من المشبه به من الحصة التي لم تحصل لغيره . فظهر من فضله وشرفه على ابراهيم وعلى كل من آله ، وفيهم النبيون ، ما هو اللائق به . وصارت هذه الصلاة دالة على هذا التفضيل وتابعة له وهي من موجباته ومقتضياته . فصلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً ، وجزاه عنا أفضل ما جزى نبيا عن أمته « انتهى .

قوله : « وان آدم بل الدنيا انما خلقت بسببه »

أقول : لا يخفى عليك أنه وان اشتهر عند كثير من الناس حديث قدس
قدسى بهذا المعنى ، غير أن النقاد من الحفاظ المحدثين لم يحكموا بصحة
الفاظه ، والعلماء المتكلمون وان قالوا أن أفعال الله تعالى لا تغل بالأغراض
الا أنها عند التحقيق ليست بخالية عن الحكم والصلاح كما قال سبحانه :
« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ونحو هذه من الآيات المفصلة في
كتاب مفتاح دار السعادة ، وكتاب شفاء العليل للعلامة ابن قيم الجوزية
غير أنه لما كان خلق العالم للعبادة ومعرفة التوحيد والوهية البارى تعالى
من أجل الحكم وأعظم الأسباب والنعم ، وأن الشريعة المحمدية هي أحسن
الشرائع وأعدلها وخاتمتها والناسخة لها والمحافظة هي من النسخ الى
قيام الساعة ، فلا جرم أنه يصح أن يقال : ان آدم عليه السلام بل الدنيا
انما خلقوا بسبب محمد ﷺ بمعنى أن الله عز وجل خلق الانس ، والجن
للعبادة ، وعبادته وتوحيده سبحانه لا يعرفان الا بالأنبياء عليهم السلام
واستقامة الأحوال وانتظام العالم لا يكون الا بارسالهم وانزال الشرائع
عليهم ، ولما كان المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام هو خيرتهم وصفوتهم
وخاتمتهم ومتولدا من أبى البشر آدم عليه السلام « وربك يخلق ما يشاء
ويختار » فصار كانه هو العلة والسبب لايجاد آدم وخلق الدنيا اذ
ﷺ عرف الله عز وجل المعرفة المطلوبة وعبد العبادة الحق ، وبيعته
انكشف ضلال اليهود والنصارى وغيرها ، وظهر دين ابراهيم عليه
السلام وتوحيد الأنبياء السابقين ، وهو ﷺ الذى صدق المنبوت السالفة
كما ورد في التوراة في الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء :
« جاء الرب من سينا وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبل فاران .
ومعه الوف الأظهار » كما شرحنا لك هذا ونحوه في محله . وما أحسن
فى ذلك :

وآدم لولاك لم يخلق
كما ضاء تاج على مفرق
فبات وبالنار لم يحرق

تخريك الله من آدم
بجبهته كنت نورا مضى
وخلل تورك صلب الخليل

فجئت من الله فى أخذه لك العهد منهم على موثق
فيا لاحقا قط لم يسبق ويا سابقا قط لم يخلق
تصويت من صاعد هابطا الى صلب كل تقى نقى
فكان هبوطك عين الصعود فلا زلت منحدراترتقى

ثم ليت شعرى كيف ساغ لعبد المسيح الكندى أن يعترض على هذا القول الذى بينا المراد منه ، ونسى ما قالته النصرارى فى المسيح عليه السلام وأمه مريم رضى الله عنها وأنها أقنوم رابع كما نقلناه لك فى كتابنا هذا ، وأن الدنيا والآخرة انما خلقا من أجل مريم ، بل من أجل « ترازيا » الامراة المعروفة وقت المسيح عليه السلام ففى كتاب المتعبد لمريم تأليف الأثبا بولس السنرى الراهب المطبوع بمدينة رومية سنة ١٧٢٢ فى الصفحة الثالثة والثلاثين فى حق مريم رضى الله تعالى عنها ما لفظه : « على أنها اذا لم تكن الأولى بالعمل ، فهى الأولى بالمقصد ، هى العقل الاول المفعول منه تعالى فى مرتبة الخلائق الصرفة ، فالتى تكون هكذا تكون أيضا غاية مفعولات الله الآخر » انتهى .

ثم استدل على أن العالم خلق من أجلها بقوله : « أن المسيح قال يوما للقديسة « ترازيا » مظهرها لها تلك المحبة الفريدة التى كانت تميله اليها القديسة : اننى لو لم أكن خلقت العالم ، لكنى أريد أن أخلقه من أجلك فقط » انتهى بلفظه .

ثم انه أطنب بالأدلة الكاذبة على أن العالم خلق من أجل مريم ، فاذا كان خلقه من أجلها أو من أجل ترازيا الامراة القديسة ، وأن خالقه المسيح فلا بدع اذا قيل ان الله تعالى هو خالقه لأجل عبده ورسوله وصفوته من خلقه محمد بن عبد الله ﷺ بالمعنى المنير المتقدم ، لا بالمعنى الباطل المظلم . فميز الفرق بين القولين ، ودقق الفكر وأمعن النظر فيما قالوه وقلنا ، لينكشف لك الغين عن العين ، والله سبحانه الوفاق (١) .

(١) حيل علماء النصرارى على صحة مذهبهم ، كحيلة هذا الراهب فى هذه القصة :

« قال الجاحظ : كان ب « القسطنطينية » رجل نصراني ، اسمه « يوحنا » وكان وضع القدر ، سخيف الحال . فخرجت ابنة ملكهم يوم عيد . فلما رآها هويها ، ولم يكن يصلح لبنات الملوك ، وعلم أنه قد أحب ما لا يناله . فأمرضه عشقها . فشكا ذلك الى أمه .

فقالت : يا بني لا تقطع أملك من نيل مثلها . وان كنت لا تصلح لمثلها . فان النجح معقود بالطلب ، والظفر بأسور بالصبر ، والقدرة مقرونة بالحيلة ، والادراك موصول بالتأني . ولا يخيب الناس الا من (اعتقادهم في بقاء) ثلاث : بقاء الشباب ، والخلد في الدنيا ، ونيل ما لا يوجد .

وبلغ العشق من « يوحنا » أنه امتنع من الطعام والشراب ، الا في الشهر مرة . فلما علم أنه قدير على ذلك ، سار الى الملك وسأله أن يتخذ له صومعة يترهب فيها ، على أن يجعل نصف تبته وترهبه للملك ، وأعلمه أن معه شاهد من التعبد ، ليس مع أحد من الرهبان ، وجعل صبره عن الطعام والشراب شاهدا له . فأحب الملك أن يختبره . فكان يقعه معه نهاره ، وبعض ليله . فاذا أراد الملك النوم أدخله بيتا وأغلق عليه الباب . فاذا أصبح عاد الى مجلسه ، لينظر كيف صبره .

وكان « يوحنا » نام الحسن ، شجى الصوت . فاذا قرأ « الانجيل » اجتمعت اليه نساء الملك وبناته . فكن يبكين لبكائه . فلما تم له شهر . قال له الملك : كيف تجد قوتك ؟ قال : كيوم رآنى الملك . فعظم في نفسه . فأمر فبنيت له صومعة . فأحب الملك أن يكون تبته « يوحنا » في منزله . لما رجا من البركة في عبادته . فقال له : يا يوحنا . ما فضل الصومعة على البيت . وانما تريد العبادة الخلوة . وأنا أجعلك في بيت من بيوتى . لا يشغلك أحد عن العبادة ، فأتبرك بعبادتك وأنس بقراءتك ؟

فسر يوحنا وكره أن يترك الحيلة والتأني ، اللذين بنى عليهما أساس
ارادته . وخاف أن يكون ذلك مكر من الملك .

فقال : أيها الملك . ان صاحب الصومعة آيس من الدنيا ، فارغ
من شهواتها ، ممنوع من النزول منها . وصاحب البيت مشغول القلب
بالخروج منه ، والرجوع الى لذة الدنيا . فهذا فضل الصومعة على
البيت . فلما آيس الملك منه ، دس ابنته . وقال : ان النساء آخذ بقلوب
الرجال وأقدر على استمالتهم منهم .

فجاءته من حيث يسمع الملك . وقالت : يا يوحنا . ان الملك مشغول
بلهوه . وفيما من تريد العبادة ، وتكره التلهي معه بشيء من أمر الدنيا
فما الحيلة ؟ قال : الفرار الى الله . فانه يمنع الفار اليه من التعدي
عليه . قالت : فما ترى فى هذه الحيطان الحصينة والأبواب المنيعة وغلظة
المتوكلين بها على من يريد الخروج منها ؟ فلو كنت بيننا مقيما نسمع قراعتك
ونصلى بصلاتك ، لم يجد الملك علينا سبيلا . قال لها : وكيف يقيم مثلى
بينكن ، وأنتن مفسدات الدنيا وهلاك الصالحين والمانعات من الدين ،
والمشوقات الى الدنيا ؟

قالت له : ان المشغول القلب يرضى مولاه ، غير مكترث بشيء من
أمر الدنيا . ومن صح عزمه ، فسد هواه .

فقال لها : ان الشيطان (كان) عدوا للإنسان . وله دبيب
يسوق الفحشاء ، ويزرع بها فى قلوب الرجال محبة النساء . وهن أكبر
مصائبه ، لافتتان قلوب العابدين . وليس الراحة الا فى التخلّى من الدنيا
من الدنيا ومنكن ، وفى اليأس من الرجوع اليها واليكن . ولا بد من صعود
الصومعة .

فثقل ذلك على الملك وأحزنه ، وعلق حبه بقلب الملك وقلب ابنته .
فقال لها الملك : ويحك . إنا نرجو ببركة هذا الحبر معنا الكرامة من الله ،
والعز في الدنيا والثواب في الآخرة . فما الحيلة ؟

قالت : أشغل قلبه بصنوف الأموال وبحسان النسوان . . قال لها :
فلا أعرف أكثر منى مالا ، ولا في النساء منك جمالا . فاعلمى في ذلك على
ما يقطع عزمه عن مفارقتنا . فاتخذت له بيتا وجعلت سقفه بصفائح
الذهب ، وكللتها بالجواهر . وكذلك حيطانه . وتزينت وكشفت شعرها ،
وجلست في صدر ذلك البيت . وبعثت الى يوحنا : انه مسنى طيف من
أهل الأرض . وقد رجوت ببركة دعائك ، ويمن عونك أن أصير الى عافية .
فصر الى .

فقام يوحنا يمشى مشى امرىء قد ذعره الخوف . يرتعد ارتعاد
الخائف ، ويسلس ساس الآمن (مظهرا) أن ارتعاده من خشية الله ،
وسكنية (من) طمأنينته الى الصومعة . فلما رأى البيت وحسنه ، ونظر
الى الجارية ، هاله ذلك ، وظن أنها تجربته . فغمض عينيه وعلم أنه ان
فتحها شغله النظر اليها عن الحيلة والتأني . فلم تزل الجارية تدنيه ،
حتى أقعدته معها وجعلت تكلمه . فلما رأته لا يفتح عينيه ضمته الى
نفسها . فباعد يدها عنه . فزاد امتناعه منها في حرصها عليه . فدعت
بأبيها . فقالت ان يوحنا يظن أن هذا الأمر الذى أمعله من غير اذن
الملك ورأيه . فقال الملك : بل هو عن رأيى واذنى .
فقال : أيها الملك لا تجعل افتتانى فى الدنيا على يديك ، ولعلك أن
تخزنى . قال : بل أريد اكرامك لطاعتك لله تعالى وحسن عبادتك اياه .
فقال : أيها الملك . لست أفعل هذا أو أستخير الله سنة . فان عزم لى
على شىء أثبته . وهو الموفق . فازداد الملك فيه رغبة وأمهله وكان يحضر
مجلسه ، ولا يقطع أمرا دونه .

قوله : تمنى له اللهاق برجل من آل ابراهيم ممن قد علمت ، وأنا
أكره ذكر اسمه))

لم يتبين لى من قصد النصرانى بهذا الكلام . ولعله قصد به الأنبياء
الكرام من آل ابراهيم عليه السلام كلوط أو داود أو سليمان لأنهم رموا
الأول وحاشاه بالسكر والزنا فى بنيته ، ورموا الثانئين بالزنا والكفر
وعباداة الأصنام ، وحاشاهما . كما فضلنا ذلك غير مرة فى كتابنا هذا ،
فان كان قصدهما هذا من آل ابراهيم أو نحوهما ، فليس ببعيد من حال هذا
النصرانى المكفر للأنبياء الذين هم لالهة بزعمه آباء ، فقد نسب هو
وأخوانه اليهود اليهم كل شفاء . قال الله عز وجل فى سورة النساء فى
حق اليهود : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا

ويوحنا فى ذلك يديم الأمر الذى بدأ به ، والقيام على العبادة ،
والصبر على عدم الطعام والشراب . فقال له الملك ذات يوم : يا يوحنا
انى عملت أعمالا قبيحة . فما الذى يظهرنى منها ؟ فقال : ما من شىء أظهر
للعباد من التوبة ، والتخلى من الدنيا والاقبال على الآخرة . فقال : كيف
ترى لى أن أعمل حتى يخرج جنب الدنيا من قلبى ؟ قال : تجمع رعيتك
على السمع والطاعة لى ، وتصعد الى هذه الصومعة . فان قويت على
العبادة ، فبتوفيق الله والا نزلت وأخذت ملكك ممن لا ينازعك فيه ، وتأذن
لى فى صعودها . فقال الملك : نعم .

فجمع أهل مملكته على طاعة يوحنا ، فسار فيهم بالعدل ، حذرا من
نزول الملك ، فاجتمعت القلوب على الطاعة له ، حتى لو نزل الملك ليأخذ
الملك لقتلوه . فلما استوثق يوحنا من الملك والرعية ، أقبل على بنت الملك .
فقال منها ما دبره على سبيل العبادة ، بالحيلة والتأنى ، وقاداه الى
الملك . وليس من أهله « (مخطوط كتاب المصون فى سر الهوى المكنون
٦٠٢ . مكتبة عارف حكمت) .

آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ، فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ، وكفى بجهنم سعيرا » قال المفسرون : « نزلت هذه الآية بسبب حسد اليهود للنبي ﷺ على النبوة أو حسده وحسد أصحابه على النصره وقهر الأعداء ، وبين سبحانه لهم أن ما أعطاه لمحمد عليه الصلاة والسلام ليس بأبدع مما أعطاه لآل ابراهيم كداود وسليمان ، فقد أعطاهما النبوة والملك والنساء ، فلم يشغلهم ذلك عن أمر النبوة ، فقد كان لداود مائة امرأة ولسطينان ثلاثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية ، وقوله تعالى : « فمنهم من آمن به » أى من اليهود من آمن بالنبي عليه الصلاة والسلام كعبد الله بن سلام وأصحابه ، وقيل الضمير راجع الى ما ذكر من حيث آل ابراهيم ، وقيل : الضمير راجع الى ابراهيم ، والمعنى : فمن آل ابراهيم من آمن بابراهيم ، ومنهم من صد وأعرض عنه » انتهى غليظهم .

قوله : « فقد وجب عليك فى هذا القول أن بنى اسرائيل أفضل منك »

لا يخفى عليك أن النبى عليه الصلاة والسلام أعقل العقلاء وسيد البلغاء وخاتمة الأمماء ، فكيف يتصور فى عقل عاقل فضلا عن مطلع فاضل أن يناقض فى أقواله ، ويقول مرة : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ويتول قولاً آخر : ان بنى اسرائيل مفضلون على العالمين الأولين والآخرين مع وجود المشركين متقربين للانتقاد عليه ، فما هذا التصور الا من منجاهل أو جاهل ، لأن تفسير الآية معلوم وفى دبر الاولين والآخرين برسوم ، وكم وكم فى الأنجيل وغيرها من الآيات التى تؤول وتصرف عن الظاهر كما يعرفه كل خريت ماهر .

ولنذكر مثالا واحدا يستدل به على غيره . قال الكاثوليكي فى كتابه المطبوع سنة ١٨٧٧ فى بيروت بمطبعة المرسلين اليسوعيين ، رادا به على البروتستنت ما بعضه : « وهذا مصدر تناقض البروتستانت فى تأويل الآيات الالهية وبلوغ ذلك التناقض الى حد هذا الفحش ، حتى ان قول السيد المسيح الاجلى وهو فى العشاء السرى : « هذا هو جسدى » قد

أوله البروتستانتيون الى ما ينيف على مائتى تأويل ، الى عهد العلامة الشهر « الكردينال بلرمينوس » الذى توفى سنة ١٦٢١ والله اعلم بكم زاد ذلك العدد منذ ثلثائة سنة ونيف « انتهى . ولو اردنا ايراد كثير من ذلك لطال الكلام .

غير أنا نذكر ما فى هذه الآية من تفاسير الأعلام ، قال الموالد عليه رحمة العلام : « الكلام فى الآية على حذف مضاف ، أى فضلت آباءكم الذين كانوا قبل التغيير أو باعتبار أن نعمة الآباء نعمة عليهم ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « واذ أنجبناكم من آل فرعون » الآية ، والمخاطبون لم يروا فرعون ولا آله ، ولكنه تعالى ذكرهم أنه لم يزل منعما عليهم ، والمراد بالعالمين سائر الموجودين فى وقت التفضيل ، وتفضيلهم بما منحهم من النعم المشار اليه بقوله تعالى : « واذ قال موسى لقومه : يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا » فلا يلزم من الآية تفضيلهم على النبى ﷺ ولا على أمته ، الذين هم خير أمة أخرجت للناس « انتهى .

قوله : « وانما التفاضل والتقدم بالعقول والعلوم »

فنتول : نعم أنه سبحانه وتعالى لما جعل ذات سيدنا محمد ﷺ أشرف الذوات وخصها بأكمل الصفات ، وهو عز اسمه يخلق ما يشاء ويختار ، واختاره للرسالة وخصه بالنبوة « والله أعلم حيث يجعل رسالته » فاستمع شيئاً من خصاله العلية وأخلاقه السنية ومزاياه التى فاق بها البرية ، فقد قال الماوردى : « الباب العشرون » فى شرف أخلاقه وكمال فضائله ﷺ المهيا لأشرف الأخلاق وأجمل الانفعال المؤهل لاعلى المنازل وأفضل الاعمال لانها أصول تقود الى ما ناسبها ووافقها وتنفر عما باينها وخالفها ، ولا منزلة فى العلم أعلى من النبوة التى هى سفارة بين الله تعالى وعباده ، تنبعث على مصالح الخلق وطاعة الخالق ، فكان أفضل الخلق بها أخص وأكملهم بشروطها أحق بها وأمس ، ولم يكن فى عصر الرسول من دانا طرفيه ، ومن تاريخه فى فضله ، ولا دانا فى كماله خلقا وخلقاً وقولا وفعلاً ، وبذلك وصفه الله تعالى فى كتابه بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم »

فان قيل : فليست فضائله دليلا على نبوته ، ولم يسمع بمن احتج بها على أمته ، ولا عول عليها فى قبول رسالته لأنه قد يشارك فيها حتى يأتي بمعجز يخرق العادة ، فيعلم بالمعجز أنه نبي لا بالفضل . قيل : الفضل من امارتها وان لم يكن من معجزاتها ، ولأن تكامل الفضل معين فصار كالمعجز ، ولأن من كمال الفضل اجتناب الكذب ، وليس من كذب فى ادعاء النبوة بكامل الفضل ، فصار كمال الفضل موجبا للصدق ، والصدق موجبا لقبول القول ، فجاز أن يكون من دلائل المرسل .

فصل

فاذا وضح هذا فالكمال المعتبر فى البشر يكون من أربعة أوجه :
أحدها : كمال الخلق **والثانى** : كمال الخلق . **والثالث** : فضائل الأقوال .
والرابع : فضائل الأعمال .

فأما الوجه الأول : فمال خلقه بعد اعتدال صورته ، يكون بأربعة أوصاف : **أحدها** : السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم الداعية الى التقديم والتسليم ، وكان أعظم مهيب فى النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيئته ، حين أتوه مع ارتياضهم بصوله الأكاسرة ومكاثرة الملوك والجبابرة ، فكان فى نفوسهم أهيب ، وفى أعينهم أعظم ، وان لم يتعاضم بأهبة ولم يتناول بسطوة ، بل كان بالتواضع موصوفا وبالوطاء معروفا .

فصل

والثانى : الطلاقة الموجبة للاخلاص والمحبة الباعثة على المصانفة والمودة . وقد كان ﷺ محبوبا ، ولقد استحكمت محبة طلاقته فى النفوس ، حتى لم يمله مصاحب ولا تباعد عنه مقارب ، وكان أحب الى أصحابه من الآباء والأبناء وشرب البارد على الظمأ .

فصل

والثالث : حسن القبول الجالب لممايلة القلوب . حتى تسرع الى طاعته وتذعن بموافقته ، وقد كان قبول منظره مستقويا على القلوب ، ولذلك استحكمت مصاحبته في النفوس ، حتى لم ينفر منه معاند ، ولا استوحش منه مباعد ، الا من ساقه الحسد ، وقاده الحرمان الى مخالفته .

فصل

والرابع : ميل النفوس الى متابعتها وانقيادها لموافقته وثباتها على شدائده ومصابرته ، فما شذ عنه معها من اخلص ، ولاندعنه فيها من تخصص وهذه الأربعة من دواعي السعادة وتوانين الرسالة وقد تكاملت فيه فكل له ما يوازها واستحق ما يقتضيها .

فصل

وأما الوجه الثاني في كمال أخلاقه فيكون بست خصال : احدها : حاجة عقله ، وصحة وهمه ، وصدق فراسته وقد دل على وفور ذلك فيه صحة رأيه وصواب تدبيره وحسن تألفه ، وأنه ما استغفل في مكيدته ولا استعجز في شديده ، بل كان يلحظ الاعجاز في المبادئ فيكشف عيوبها ويحل خطوبها . وهذا لا ينتظم الا باصدق وهم وأوضح جزم .

فصل

والخصلة الثانية : ثباته في الشدائد ، وهو مطلوب ، وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب ، ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة لا يحار في شديده ولا يستكين لعظيمة أو كبيرة ، وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي ، ويهد الصياصي . وهو مع الضعف يصابر ،

صبر المستعلى ، ويثبت ثبات المستولى . وروى حماد بن سلمة عن ثابته عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لقد أخفت فى الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة وما لى ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا شئ يواريه ابط بلال » وروى عبد الرحمن بن زيد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : ما شبع آل محمد من الشعر يومين ، حتى قبض رسول الله ﷺ ومن صبر على هذه الشدائد فى الدعاء الى الله تعالى ، أمتع أن يريد به الدنيا وقد زويت عنه ، وما ذاك الا لطلب الآخرة . ومستحيل ممن كذب فى ادعائه اليها ان يستوحشها أو كذب على الله تعالى ان يثاب بها .

فصل

والخصلة الثالثة : زهده فى الدنيا واعراضه عنها وقناعته بالبلاغ منها ، فلم يمل الى غزارتها ولم يله لحلاوتها . وروى هلال بن أبى خباب عن عكرمة عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على رسول الله ﷺ وهو على حصير قد أثر فى جسمه فقال له : يا رسول الله لو اتخذت مراثيا أو طبا من هذا . فقال : « مالى وللدنيا والذي نفسى بيده ما مثلى ومثل الدنيا الا كراكب سار فى يوم صائف ، فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ، ثم راح وتركها » وروى حميد بن بلال بن أبى بردة قال أخرجت الينا عائشة رضى الله عنها كساء ملبدا وازارا غليظا ، وقالت : قبض رسول الله ﷺ فى هذين هذا وقد ملك من أقصى الحجاز الى عذار العراق ، ومن أقصى اليمن الى شجر عمان . وهو أزهده الناس فيها يقتضى ويدخر وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر ، ولم يخلق عينا ولا دينا ولا حفر نهرا ولا شيئا قصرا ولم يورث ولده وأهله متاعا ولا مالا ، ليصرفهم عن الرغبة فى الدنيا كما صرف نفسه عنها ، فيكونوا على مثل حاله فى الزهد فيها وروى أبو سلمة عن أبى هريرة قال جاءت فاطمة رضى الله تعالى عنه تريد الميراث ، فبئعها . فقالت : من يرثك ؟ قال ولدى وأهلى فقالت : فلا ترث رسول الله تعالى عليه وسلم بنته ؟ فقال أبو بكر : سمعت رسول الله

يقول : انا لا نورث ما تركناه فهو صدقه ، فمن كان رسول الله ﷺ يعوله فانا
أعوله ، ومن كان رسول الله ﷺ ينفق عليه ، فانا أنفق عليه . وحث رسول
الله عليه الصلاة والسلام على الزهد فى الدنيا والاعراض عن التلبس بها ،
ليكون عوننا على السلامة من تبعاتها وصرف النفوس عن شهواتها .

وروى أو موسى الأشعري ان رسول الله ﷺ قال : « من أحب دنياه
بأخبرته ، أثر ما يبقى على ما يفتى » وروى عن الحسن قال : قال رسول
الله ﷺ : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » وروى أبو الدرداء عنه عليه
الصلاة والسلام أنه قال : « فانها أسحر من هاروت وماروت » وروى أبو
جعفر عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يا عجا كل العجب للمصدق
بدار الخلود ، وهو يسعى لدار الغرور » وروى عوف عن الحسن قال :
قال رسول الله ﷺ « انما مثل الدنيا كمثل الماشى على الماء . هل يستطيع
الذى يمشى على الماء ان لا تنقل قدماه ؟ » ولهذه الدواعى والوصايا اقتدى
به خلفاؤه فى زهده وانقلوا بالأمر من بعده . فكان أبو بكر يتخلل عبادة
له وهو خليفة وتأتيه الأموال من كل جانب ، فسمى ذا الخلالين . وكان
عمر رضى الله عنه يلبس مرقعة من صوف فيها رقاع بن آدم ويطوف فى
الأسواق وعلى عاتقه درة يؤدب بها الناس ، وير بالنوى فيلقطه ويلقيه فى
لمنازل الناس ، حتى ينتفعوا به ، ويطوف وحده بالليل عسسا ويتطلع
غوامض الأمور تجسسا ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فافتتح البلاد
المقاصية ودانت له النفوس الطاغية وكان عثمان يقوم الليل وكان يختم
القرآن فى ركعة ، وجاد بما له الكثير ، وفدى الخلق بنفسه . وقال :
انا عبد أكل كما يأكل العبد ، وأشرب كما يشرب العبد وعلى كرم الله تعالى
وجهه مع كونه خليفة رسول الله ﷺ وزوج ابنته وابن عمه ، وكثرت أموال
بيت المسلمين فى خلافته ، لم يزل يأكل الخشن ويلبس الخشن ويفرق
الأموال على المسلمين ، حتى رش بيت المال ونام فيه . وقال : يا صفراء
يا بيضاء غرى غرى ، وكان نهاره صائما وليله الله تعالى قائما . وحقيق
بمن كان فى الدنيا بهذه الزهادة ، حتى اجتذب أصحابه اليه ، أن لا يهتم

بطلبها ويكذب على الله تعالى فى ادعاء الآخرة بها ويقع فى العاجل ، وقد سلب الآجل باليسور النذر ، ورضى بالعيش الكدر .

وقد روى عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقول فى شهر رمضان : « قدمى عشاءك المبارك » وربما لم يكن الا تمرتين . وروى عبد الله بن مسلمة عن مالك بن أنس أنه بلغه أن رسول الله ﷺ دخل المسجد ، فوجد أبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فسألهما . فقال : « ما أخرجكما ؟ » فقالا : أخرجنا الجوع . فقال لرسول الله ﷺ : « فاذهبوا . وأنا أخرجنى الجوع » فذهبوا الى أبى الهيثم بن التيهان ، فأمر لهم بحنطة أو شعير عنده يعمل ، وقام فذبح لهم شاة . فقالا له : « نكب عن ذات الدر » واستعذب لهم ماء ، علق على نخلة . ثم أتى بذلك الطعام ، فاكلوا منه ، وشربوا من ذلك الماء . فقال رسول الله ﷺ : « لتسالن عن نعيم هذا اليوم » ثم ملكوا الدنيا فرفضوها واقتنعوا بالبلاغة فيها .

فصل

والخصلة الرابعة : تواضعه عليه الصلاة والسلام للناس وهم أتباعه ، وخفض جناحه لهم وهو مطاع ، يمشى فى الأسواق ويجلس على التراب ، ويمتزج بأصحابه وجلسائه فلا يميز عنهم الا باطرافه وحيائه ، فصار بالتواضع متميزا ، وبالتذلل متعززا . ولقد دخل عليه بعض الأعراب فارتاع من هيئته . فقال : « خفض عليك فانما أنا ابن امرأة كانت تاكل القديد بمكة » وهذا من شرف أخلاقه وكريم شيمه ، فهى غريزة فطر عليها وجبلة طبع بها ، لم تندر فتعد ولم تحصر فتحد .

فصل

والخصلة الخامسة : حلمه ووقاره عن طيش يهزه أو خرق يستفزه ، فقد كان أحلم فى النفار من كل حلیم ، وأسلم فى الخصام من كل سليم .

وقد منى بجفوة الأعراب فلم يوجد منه نادره ولم يحقر عليه بادره ولا حلیم غيره الا ذو عثرة ولا وقور سواء الا ذو هفوة ، فان الله تعالى عصمه من مزع الهوى وطيش القدرة بهفوة أو عثرة ، ليكون بأتمه رعونا ، وعلى الخلق عطونا . وقد تناولته قريش بكل كبيرة وقصدته بكل جريرة ، وهو صبور عليهم ومعرض عنهم ، وما تفرّد بذلك سفهاؤهم دون حلمائهم ولا أراذلهم دون عظمائهم ، بل تمالاً عليه الجبلة والدون ، فكما كانوا عليه الأم والهج ، كان عنهم أعرض وأصفح ، حتى قهر فعنى وقدر فغفر ، وقال لهم حين ظفر بهم عام الفتح وقد اجتمعوا اليه : « ما ظنكم بي ؟ » فقالوا : ابن عم كريم فلان تعف فذاك الظن بك ، وإن تنتقم . فقد أسانا . فقلل عليه الصلاة والسلام : « بل أقول كما قال يوسف لاختوته : لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » قال ﷺ : « اللهم قد أدقت أول قريش نكالا فاذا ذاق آخرهم نوالا » وقد بقرت « هند » بطن عنه « حمزة » ولاكت كبده ، فصطح عنها وأعطاهها يده لبيعتها .

فان قيل : قد أمر بضرب بعض الرقاب صبورا ، فليين موضع العفو والصفح ؟ **فالجواب :** انما فعل ذلك في حقوق الله تعالى ، فلم يجز أن يعفو عن حق وجب لله تعالى وانما يختص عفوّه عليه الصلاة والسلام بحق نفسه .

فصل

والخصلة السادسة : حفظ العهد ووفاءه بالعهد ، فانه ما نقض لحافظ عهدها ، ولا أخلف لمراقب وعدا ، برى الغدر من كباثر الذنوب ، في الاخلاق من مساوىء الشيم ، فيلتزم فيها الأغلظ ويرتكب فيها الأصعب ، حفظا لعهدّه ووفاء بوعدّه ، حتى يبتدىء معاهدوه بنقضه ، فيجعل الله تعالى له مخرجا كفعل اليهود من بنى قريظة وبنى النضير ، وكفعل قريش بصلح الحديبية ، فجعل الله تعالى نكتهم خيرا له .

تهذه ست خصال تكاملت فى خلقه ، فضله الله تعالى بها على جميع خلقه .

فصل

وأما الوجه الثالث فى فضائل أقواله فمعتبر بثمان خصال :

أحدهن : ما أوتى من الحكمة البالغة وأعطى من العلوم الجمة الباهرة وهو أسمى من أمة أمية لم يقرأ كتابا ولا درس علما ولا صحب عالما ولا معلما فأتى بما بهر العقول وأذهل الفطن من اتقان ما أبان ، واحكام ما أظهر فلم يعثر فيه بزلل فى قول أو عمل ، وجعل مدار شرعه على أربعة أحاديث ، أو حزبها المراد وأحكم بها الاجتهاد : **أحدها قوله ق :** « أتما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » **والثانى :** قوله : « الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتهيات ، ومن يحم حول الحمى يوشك أن يقع فيه : **والثالث :** قوله : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » **والرابع قوله :** « دع ما يريبك الى ما لا يريبك »

وقد شرع من تقدم من حكماء الفلاسفة سننا حكوا الناس على التدين بها حين علموا أنه لا صلاح للعالم الا بدين ينقلدون له ويعملون به ، فما راق لها أثر ولا فاق لها خبر ، وهم ينبوع الحكم وأعيان الأمم ، وما هذه الفطرة فى الرسول الا من صفاء الجوهر .

فصل

والخصلة الثانية : حفظه لما أطلعه الله تعالى عليه من قصص الأنبياء مع الأمم وأخبار العالم فى الزمن الاقدم حتى لم يغرب عنه منها صغير ولا كبير ، ولا شذ عنه منها قليل ولا كثير ، وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه ولا يحفظها بعين تحرسه ، وما ذلك الا من ذهن صحيح وصدر

فسبح وقلب شريح . وهذه الثلاثة آلة ما استودع من الرسالة ، وحمل من أعباء النبوة فجدير أن يكون بها مبعوثا وعلى القيام بها محوثا .

فصل

والخصلة الثالثة : أحكامه لما شرع بأظهر دليل ، وبيانه بأوضح تعليل ، حتى لم يخرج منه ما يوجب معقول ولا دخل فيه ما تدفعه العقول ولذلك قال ﷺ : « أوتيت جوامع الكلم ، واختصرت الى الحكمة اختصارا » لأنه نبه بالقليل على الكثير ، فكف عن الاطالة وكشف عن الجهالة ، وما تيسر ذلك الا وهو عليه معان واليه مقاد .

فصل

والخصلة الرابعة : ما أمر به من محاسن الأخلاق ، ودعا اليه من مستحسن الآداب ، وحث عليه من صلة الأرحام ، وندب اليه من التعطف على الضعفاء والأيتام ، ثم ما نهى عنه من التباغض والتحاسد وكف عنه من التقاطع والتباعد ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا » لتكون الفضائل فيهم أكثر ومحلسن الأخلاق بينهم أنشر ومستحسن الآداب عليهم أظهر ، وتكون الى الخير أسرع ومن الشر أمتع ، فيتحقق فيهم قول الله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » فلزموا أوامره وأتقوا زواجره فتكامل بهم صلاح دينهم وديناهم ، حتى عزبهم الاسلام بعد ضعفه ، وذل بهم الشرك بعد عزه ، فصاروا أئمة أبرارا وقادة أخيارا .

فصل

والخصلة الخامسة : وضوح جوابه اذا سئل وظهور حاجاه اذا جودل ، لا يحصره عى ولا يقطعه عجز ، ولا يعرضه خصم فى جدال الا

كان جوابه أوضح وحجابه أرجح ، أتاه أبى بن خلف بعظم نخر من المقابر قد صار رميها مفركه حتى صار كالرماد ، ثم قال : يا محمد أنت تزعم أنا وآباؤنا نعود إذا صرنا هكذا ، لقد قلت عظيما ما سمعناه من غيرك « من يحيى العظام وهى رميم » فانطلق الله تعالى رسوله ببرهان نبوته ، فقال « يحييها الذى أنشأه أول مرة ، وهو بكل خلق عليم » فانصرف مبهوتا ولم يحرجوا ولما قال عليه الصلاة والسلام : « لا عدوى ولا طيرة » قال له رجل يا رسول الله : انا نرى النقبة من الجرب مى مشفر البعير فيعدو سائرة ، قلل : « فمن أعدى الأول » واسكته .

فصل

والخصلة السادسة : انه محفوظ اللسان من تحريف فى قول واسترسال فى خبر يكون الى الكذب منسوبا وللصدق مجانيا ، فانه لم يزل مشهورا بالصدق فى خبره فاشيد وكثيرا ، حتى صار بالصدق مرقوما ، وكانت قریش بأسرها نتيقن صدقه قبل دعوتهم الى الاسلام فجهروا بتكذيبه فى استدعائهم اليه ، فمنهم من كذبه حسدا ، ومنهم من كذبه عنادا ، ومنهم من كذبه استبعادا ان يكون نبيا أو رسولا ولو حفظوا عليه كذبة نادرة فى غير الرسالة لجعلوها دليلا على تكذيبه فى الرسالة . ومن لزم الصدق فى صغره كان له فى الكبر الزم ، ومن عصم منه فى حق نفسه كان فى حقوق الله تعالى أعصم . وحسبك بهذا دفعا لجاحد وردا لعائد .

فصل

والخصلة السابعة : تحرير كلامه فى التوضى به ابان حلجته ، والانتصار منه على قدر كفايته ، فلا يسترسل فيه هدرا . ولا يحجم عنه حصرا ، وهو فيها عدا حالتى الحاجة والكفاية أجمل الناس صمتا وأحسنهم سميت ، وكذلك حفظ كلامه ، حتى لم يختل وظهر رونقه حتى لم يعقل ،

واستعذبتة الأهواه حتى بقى محفوظا فى القلوب ، مدونا فى الكتب ، لمن
يسلم الاكثار من زلل ولا الهذر من ملل .

أكثر اعرابى عنده الكلام ، فقال عليه الصلاة والسلام : « يا اعرابى
كم دون لسانك من حجاب ؟ » قال شفتاى وأسفنتى فقال ﷺ : « ان
الله تعالى يكره الانبعاق فى الكلام ، فنضر الله وجه امرىء قصر من لسانه
واقصر على حاجته »

فصل

والخصلة الثامنة : أنه أفصح الناس لسنا وأوضحهم بيانا وأوجزهم
كلاما وأجزلهم ألفاظا وأصحهم معانى ، لا تظهر فيه هجنة التكلف ولا يتخلله
فيهقة التعسف . وقال ﷺ : « أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون » وقال
عليه الصلاة والسلام : « اياك والتشديق »

فصل

فمن كلامه الذى لا يشاكل فى ايجازه قوله ﷺ : « الناس بزمانهم
أشبهه » وقوله : « ما هلك أمرؤ عرف قدره » وقوله : « لو تكاشفتم
ما تدافنتم » وقوله « السعيد من وعظ بغيره » وقوله : « حبك الشئ
يعمى ويصم » وقوله : « العقل ألوف مألوف » وقوله : « اللهم أعوذ بك
من طمع يهدى الى طبع » وقوله : « افضل الصدقة جهد المقل » وقوله :
« اليد العليا خير من اليد السفلى » وقوله : « ترك الشر صدقة » وقوله :
« الخير كثير وقليل فاعله » وقوله : « الناس كمعادن الذهب » وقوله :
« نزلت العونة على قدر المؤنة » وقوله : « اذا أراد الله بعبد خيرا جعل
له واعظا من نفسه » وقوله : « أد الأمانة الى من ائتمنك ، ولا تخن من
خانك » وقوله : « المؤمن غر كريم ، والفاجر خب لئيم » وقوله : « الدنيا
سجن المؤمن وبلاؤه ، وجنة الكافر ورخاؤه »

فصل

ومن كلامه الذى لا يشاكل فى فصاحة قوله ﷺ : « لا تزال أمتى بخير ما لم تر الأمانة والصدقة مغرما » وقوله : « رحم الله عبدا قال خيرا ففغم أو سكت فسلم » وقوله : « اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع » وقوله : « هل يطمع أحدكم الا غنى مطغيا ، أو فقرا منسيا ، أو مرضا مفسدا ، أو هرما مفندا ، أو الدجال فهو شر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » وقوله : ثلاث منجيات وثلاث مهلكات ، فاما المنجيات فخشية الله فى السر والعلانية والاقتصاد فى الغنى والفقير ، والحكم بالمعدل فى الرضا والغضب . واما المهلكات فشح مطمع وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه » وقوله : « تقبلوا لى بست تقبل لكم الجنة » قالوا : وما هى يا رسول الله ؟ قل : « اذا حدث أحدكم فلا يكذب ، واذا وعد فلا يخلف ، واذا أوتمن فلا يخن ، غضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم » وقوله عليه الصلاة والسلام فى بعض خطبه : « الا ان الأيام تطوى ، والأعمار تبنى ، والابدان فى الثرى تبلى ، وان الليل والنهار يتراخضان تراخض البريد ، ويقربان كل بعيد ، ويخلقان كل جديد . وفى ذلك عباد الله ما نهى عن الشهوات ، ورجب فى الباطيات الصالحات » وقوله فى بعض خطبه وقد خاف من أصحابه فترة : « أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب وكان الحق فيها على غيرنا قد وجب . وكان الذى نشيع من الأموات سفر عما قليل الينا راجعون ، نبوأهم اجدائهم ، ونأكل تراثهم كأننا مخلدون بعدهم ، قد نسينا كل واعظة ، وأمننا كل جائحة ، طوبى لمن شغلته آخرته عن دنياه . طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس »

وهذا يسير من كثير لا يأتى عليه احصاء ، ولا يبلغه استقصاء ، وانما ذكرنا مثلا ، ليعلم أن كلامه جامع لشروط البلاغة ومعرب عن نهج الفصاحة ، ولو مزج بغيره لتمييز بأسلوبه ، ولظفر فيه آثار التنافر ، فلم يلتبس حقه من باطله ، ولبان صدقه من كذبه . هذا ولم يكن متعاطيا للبلاغة ولا مخالطا

لأهلها من خطباء أو شعراء أو فصحاء ، وإنما هو من غرائز فطرته وبدائه جبلته وماذاك الا لفاية تراد ، وحادثه تشاد .

فصل

فان قيل اذ كان كلامه مخالفا لكلام غيره فى البلاغة والفصاحة ، حتى لم يكن فيه مساجلا ، أكون له معجزا ؟ قيل له : لو كان هكذا وتحدى به صار معجزا ، ولا يكون مع عدم التحدى معجزا .

فصل

وأما الوجه الرابع فى فضائل أفعاله فمختبر بثمان خصال :

أداهن : حسن سيرته ، وصحة سياسته ، فى دين ابتكر شرعه حتى استقر ، ودبر أحسن وضعه حتى استبر ، نقل به الأمة عن مألوف ، وصرفهم به عن معروف الى غير معروف ، فأذعنت به النفوس طوعا وانقادت خوفا وطمعا والعادة شديد مزعها الا لمن كان بالتأييد الالهى معانا ، بجزم صائب وعزم ثابت . ولئن كان مأمورا بما شرع ، فهى الحجة القاهرة ولئن كان مجتهدا فيها ، فهى الآية الباهرة وحسبك بما استقرت شواعه الى الأبد ، حتى انتقل الى خلف يزداد فيهم حلاوته ويشيد فيهم جدته . ويرونه نظاما لأعصار تنقلب صروفها ، ويختلف مألوفها . أن يكون لمن قام به برهانا ولن أرتاب به بيانا .

فصل

والخصلة الثانية : أنه جمع بين رغبة من استمال ، ورهبة من استطال ، حتى اجتمع الفريقان على نصرته ، وقاموا بحقوق دعوته ، رغبا فى عاجل وآجل ، ورهبا من زائل ونازل ، لاختلاف الشيم والطباع فى الانتىاد الذى لا ينتظم بأحدهما ولا يستديم الا بهما فلذلك صار الدين بهما مستقرا والصلاح بهما مستمرا .

فصل

والخصلة الثالثة : انه عدل فيما شرعه من الدين عن غلو النصارى فى التشديد (١) وعن تقدير اليهود فى التقصير ، الى التوسط بينهما .
وخير الامور اوساطها ، لانه العدل بين طرفى اسراف وتقصير ، فليس لما جازز العدل حظ من شديد ولا نصيب من سداد . وقد قال ﷺ : « ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ، فشر السير القحقة ، وان المنبت لا أرضا قطع ولا أظهرها أبقى .

فصل

والخصلة الرابعة : أنه لم يمل بأصحابه الى الدنيا كما رغبت اليهود ، ولا الى رفضها كما ترهبت النصارى ، وأمرهم فيها بالاعتدال أن يطلبوا منها قدر الكفاية ، ويعدلوا عن احتجاب واستزادة . وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه : « خيركم من لم يترك دنياه لا آخرته ولا آخرته لدنياه . ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » وهذا صحيح لأن الانتطاع الى أحدهما اخلال ، والجمع بينهما اعتدال . وقال ﷺ : « نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة » وانما كان كذلك لأن منها يتروذ لآخرته ، ويستكثر فيها من طاعته ، ولأنه لا يخلو تاركها من أن يكون محروما مضاعا ، أو محروما مراعى . وهو فى الأول كل ، وفى الثانى مستذل . وأثنى على رجل بخير عند رسول الله ﷺ . وقالوا : يا رسول الله كنا اذا ركبنا لا يزال يذكر الله تعالى حتى ننزل . واذا نزلنا لا يزال يصلى حتى نرفع . فقال : « فمن كان يكتيه علف بعيره واصلاح طعامه ؟ » قالوا : كنا . قال : « فكلكم خير منه »

(١) النصارى ألفوا العمل بأحكام التوراة . وشرعوا لرعاياهم أن يلتزموا بقوانين البلاد التى يحلون فيها . ودين الاسلام تد ألقى من أحكام التوراة أحكاما . فلذلك هو دين الرحمة لأنه وضع الاصر والأغلال .
وفعل النصارى مخالف لقول لمسيح عليه السلام : « لا تظنوا أنى جئت لانقض الناموس » .

فصل

والخصلة الخامسة : تصديه لعالم الدين ، ونوازل الأحكام حتى أوضح للامة ما كلفوه من العبادات ، وبين لهم ما يحل ويحرم من مباحات ومحظورات . وفصل لهم ما يجوز ويمتنع من عقود مناكح ومعاملات ، حتى احتاج اليهود فى كثير من معاملاتهم وموارثهم لشرعه ، ولم يحنج شرعه الى شرع غيره . ثم مهد لشرعه أصولا تدل على الحوادث المغفلة ، ويستنبط لها الأحكام المعللة ، فأغنى عن نص بعد ارتفاعه ، وعن التباس بعد اغفاله . ثم أمر الشاهد أن يبلغ الغائب ليعلم بانذاره ويحتج باظهاره ، فقال عليه السلام : « بلغوا عنى ولا تكذبوا على ، فرب مبلغ أوعى من سامع ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه » فأحكم ما شرع من نص وتبيينه ، وعم بما أمر من حاضر وبعيد ، حتى صار لما تحمله من الشرع مؤديا ، ولما تقلده من حقوق الأمة موفيا ، لئلا يكون فى حقوق الله تعالى زلل ، ولا فى مصالح الأمة خلل . وذلك فى برهة من زمانه لم يستوف تطاول الاستيعاب ، حتى أوجز وأنجز ، وما ذاك الا بديع معجز .

فصل

الخصلة السادسة : انتصابه لجهاد الأعداء ، وقد أحاطوا بجهاته ، وأحقدوا بجنباته . وهو فى قطب مهجور ، وعدو محقور ، فزاد به من قل وعز به من ذل ، وصار بائخانه فى الإعداء محذورا ، وبالرعب منه منصورا ، فجمع التصدى لشرع الدين ، حتى ظهر وانتشر وبين الانتصاب لجهاد العدو حتى قهر وانتصر ، والجمع بينهما معوز الا لمن أمده الله بمعونته ، وأيده بلطفه ، والمعوز معجزة .

فصل

الخصلة السابعة : ما خص به من الشجاعة فى حروبه ، والنجدة فى مصابرة عدوه ، فإنه لم يشهد حربا فى فزاع الا صابر حتى انجلت عن

ظفر أو دفاع ، وهو فى موقفه لم يزل عنه هربا ولا حاز فيه رغبا ، بل ثبت بقلب آمن وجأش ساكن ، قد ولى عنه أصحابه يوم حنين وبقى بازاء جمع كثير وجم غفير فى تسعة من بيته وأصحابه على بغلة مسبوقة أن طلبت ، غير مستعدة لهرب ولا طلب . وهو ينادى أصحابه ويظهر نفسه . ويقول : « الى عباد الله . أنا النبى لاكذب أنا ابن عبد المطلب » فعادوا شذاذا وارسالا .

و « هوازن » تراه وتحجم عنه ، فما هاب حرب من كائره ، ولا انكفأ من مصاولة من صابره . وقد عضده الله تعالى بانجاد انجاد ، فانحاز ما وصبر حتى أمده الله تعالى بنصره . وما لهذه الشجاعة من عدل . ولقد طرق المدينة فزع فانطلق الناس نحو الصوت فوجدوا رسول الله ﷺ قد سبقهم اليه ، فلقوه عائدا على فرس عربى لأبى طلحة الأنصارى . وعليه السيف ، فجعل يقول : « أيها الناس لم تراعوا بل تراعوا » ثم قال لأبى طلحة : « أنا وجدناه بحرا » وكان الفرس يبطيء فما سبقه فرس بعد ذلك . وماذاك الا عن ثقة من أن الله تعالى سينصره ، وأن دينه سيظهره ، تحقيقا لقوله تعالى : « ليظهره على الدين كله » وتصديقا لقول رسول الله ﷺ : « زويت لى الأرض فرايت مشارقتها ومغاربها ، وسيلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » وكفى بهذا قياما بحقه وشاهدا على صدقه .

فصل

الخصلة الثامنة : ما منح من السخاء والجود ، حتى جاد بكل موجود وأثر بكل مطلوب ومحبوب ، وتوفى عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهونة (١) عند يهودى على أصوع من شعير لطعام أهله ، وقد ملك جزيرة العرب . وكان فيها ملوك وأقيال ، لهم خزائن وأموال ، يقتنونها ذخرا ، ويتباهون بها فخرا ، ويستمتعون بها أثرا وبطرا . وقد حاز ملك جميعهم ، فما اقتنى

(١) منع القرآن المرهن فى الحضر ، لقوله تعالى : « وان كنتم على

سفر ولم تجدوا كتابا فرهان مقبوضة »

دينارا ولا درهما ، يأكل الخشب ولا يلبس الا الخشن ، ويعطى الجزل
المخيط ، يوصل الجم الغفير ويتجرع مرارة الاقلال ، ويصدر على سبب
الاختلال . وقد حاز غنائم هوازن وهى من السبى ستة آلاف رأس ، ومن
الابل أربعة وعشرون ألف بعير ، ومن الغنم أربعون ألف شاه ، ومن الفضة
أربعة آلاف أوقية ، فجاد بجميع حقه وعاد خلوا .

روى أبو وائل عن مسروق عن عائشة رضى الله تعالى عنها قات ما ترك
رسول الله ﷺ دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولا أوصى بشيء .
وروى عمر بن مرة عن سويد بن الحارث عن أبى ذر قال : قال رسول الله
ﷺ : « ما يسرنى أن لى أحد ذهباً أنفقه فى سبيل الله ، أموت يوم أموت ،
وعندى منه دينار إلا أن اعدم لغريم » وكان ﷺ إذا سئل وهو معدم ،
وعد ولم يرد وانتظر ما يفتح الله سبحانه . فروى حماد بن زيد عن الحسن
ان رجلا جاء الى النبى ﷺ يسأله . فقال : « اجلس سيرزقك الله » ثم
جاء آخر ، فقال لهم : « اجلسوا » فجاء رجل بأربع أواقى فأعطاه
اياها . وقال : يا رسول الله . هذه صدقة ، فدعا الأول فأعطاه أوقية ،
ثم دعا الثانى فأعطاه أوقية ، ثم دعا الثالث فأعطاه أوقية ، وبقيت معه
أوقية واحدة ، فعرض بها للقوم فما قام أحد ، فلما كان الليل وضعها
تحت رأسه — وفراشه عباءة — فجعل لا يأخذ النوم فيرجع فيصلى ،
فقالت له عائشة : يا رسول الله حل بك شىء ؟ قال « لا » قالت : فجاءك
أمر من الله ؟ قال « لا » قالت : انك صنعت منذ الليلة شيئا لم تكن
تفعله فأخرجها . وقال : « هذه التى فعلت بى ما ترين ، انى خشيت
أن يحدث أمر من أمر الله ولم أمضها » وروى الزهرى عن أبى سلمة عن
أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم .
فمن ترك ديننا فعلى ، ومن ترك مالا فلورثته »

فهو مثل هذا الكرم والجود كرما وجودا ، أم هل للمثل هذا
الاعراض والزهادة اعراضا وزهدا ؟ هيهات هل يدرك شأو ، من هذه
شذور من فضائله . ويسير من محاسنه التى لا يحصى لها عدد ، ولا يدرك
لها مدد ، لم تكمل فى غيره فيساويه ، ولا كذب بها ضد يناوئه ، ولقد

جهد كل منافق ومعانده وكل زنديق وملحد أن يزرى عليه فى قول أو فعل .
أو يظفر بهفوة فى جد أو هزل ، فلم يجد اليه سبيلا . وقد جهد جهده
ورجع كيده ، فأى فضل أعظم من فضل تشاهده الحسدة والأعداء ، فلم
يجدو فيه مغمزا لثالب أو قادح ، ولا مطعنا لغامز أو فاضح ، فهو كما قال
الشاعر :

شهد الأنام بفضله حتى العدى والفضل ما شهدت به الأعداء

وحقيق لمن بلغ من الفضائل غايتها واستكمل لغايات الأمور آلتها أن
يكون لزعامة العالم مؤهلا وللقيام بمصالح الخلق موكلا ولا غاية بعد
النبوة أن يعم به صلاح أو ينحسم به فساد ، فافتضى أن يكون لها أهلا
وللقيام بها مؤهلا . ولذلك استقرت به حين بعث رسولا ، ونهض بحقوقها
حين قام بها كفيلا . فناسبها وناسبتة ، ولم يذهل لها حين أنته . وكل
متناسبين متشاكلان وكل متشاكلين مؤتلفان . وكل مؤتلفين متفقان .
والاتفاق وفاق ، وهو أصل كل انتظام وقاعدة كل التمام ، فكان ذلك من
أوضح الشواهد على صحة نبوته ، وأظهر الإمارات فى صدق رسالته ،
نما ينكرها بعد الوضوح الا مفضوح ، والحمد لله الذى وفق لطاعته ، وهدى
الى التصديق برسالته . انتهى .

قال النصرانى : ((واما ما دعوتنى اليه من الصلوات الخمس ، وصيام
شهر رمضان فالجواب فى ذلك : اقرارك بلسانك فى كتاب وما خططته
بأصابعك من أهر صلواتنا وصومنا ومواظبتنا ، فقد رأيت ذلك معاينة
وسمعتة ، وشاهدت تلك الامور الالهية المخالفة ما دعوتنى اليه من الامور
المنهجرة الدلوسة ، فاكثف — أكرمك الله — بما رأيت ، وليكن لك دليلا
وجوابا ، فليست أجيبك فى هذا بأكثر مما عندك من المعرفة وكفائك بذلك
حجة عند نفسك .

وأما قولك أن نستعمل الوضوء ونغتسل من الجنابة ونختن لنقيم
سفة أبنينا ابراهيم ، فجوابك قول المسيح الرب لليهود ، وقد قالوا له :

لم لا يفتسل تلاميذك ؟ فاجابهم الروح المحيي مخلص العالم : وما الذى يفنى عن البيت المظلم أن يكون فى ظاهره مصباح يتقد ، وباطنه مظلم ، وانما يجب أن تفسل النيات والقلوب من دنس الفكر وغسل الخطايا المؤدية الى الشرور ، والى اخال المكروه على الناس ، واذا نظفت نيته وظهر ضميره من ذلك الاعتقاد الردى ، حينئذ يغسل ظاهر بدنه بالماء ، فميز هذا القول — اصلحك الله — وانظر فيه بعقلك ، اليس هو قول مقتع وجواب شاف ؟

أقول : « من أمر صلواتنا وصومنا ومواظبتنا »

ولا يخفى على كل مطلع لبيب أن صلاة النصارى لا يخص بها البارى سبحانه عندهم ، فانهم يصلون ويسجدون له تعالى وللسيح وللصليب ولزريم وللقنيسين — اى الأولياء — ولللائكة كما نقلناه والبقناه فى كتابنا هذا ، ويصلون متوجهين الى مشرق الشمس ، وهى غير القبلة التى كان يضلئ اليها المسيح لأن قبلته بيت المقدس (١) ثم ان بولس اليهودى الذى أوتعمهم فى جب الهلاك ، هو الذى حولها من تلقاء نفسه . وكذا الصيام الذى عندهم عبارة عن ترك بعض أنواع الأطعمة لا عبارة عن ترك الأكل والشرب ، كما هو صيام المسلمين واليهود ، فهم خالفوا المسيح لأنه كان يصلئ لله وحده ويصوم بترك الأكل والشرب ونحوهما من المفطرات ، فصلواتهم لله وللعبيد . وكذا صومهم المبدل الى الحمية من بعض المأكولات .

قال النصرانى مؤلف كتاب القسطاس المطبوع فى بيروت سنة ١٨٧٨ ما لفظه : « ان تعليم الكنيسة الرومانية من جهة المطهر والغفرانات

(١) الله تعالى لم يحدد لموسى بن عمران قبلة ، ففى أى جهة يتجه ، يقبل الله منه الصلاة ولما بنى سليمان الهيكل فى القدس ، عظمه اليهود العبرانيون من تلقاء أنفسهم واتجهوا اليه فى الصلاة . وعظم السامريون هيكل جرزيم . وعيسى بن مريم عليه السلام قبلته هى قبلة موسى . وقد صرح — كما فى انجيل يوحنا — بنزع القبلة من الهيكلين الى جبة أخرى .

والسجود والعبادة للصور وللنخائر وكذا الصلاة للقديسين ، أمر باطل
مخترع ، لغو غير مؤسس على سند من الكتاب المقدس ، بل بالأحرى
مناقض لكلمة الله (قاعد الدين ع ٢٢) انتهى بحروفه .

فهذا كلام البروتستنت فى ابطال ما يعتقد اخوانهم الكاثوليك .

وفى كتاب البراهين الانجيلية للمعلم ميخائيل المطبوع فى بيروت
سنة ١٨٦٤ ما لفظه : « ونكتفى هنا بما يقال فى كنيسة الروم الباباوية
نحو صورة المباركة مريم العذراء ، هكذا : فلتخرس شفاه الذين لا يسجدون
لصورتك المقدسة يا والدة الاله التى صورت من لوقا الانجلى الكلى الطهر ،
التي بها اهتدينا الى الأمانة المستقيمة »

وفى كتاب الشهر الرسمى وهو شهر آيار المطبوع سنة ١٨٥٢ فى
أورشليم ما لفظه : « أولا تقدم الى مريم جميع العبادات المستعملة فى كل
الشهر مخصصا اياها الى قلبها للسجود له » وفيه أيضا ما لفظه :
« ليت شعرى أيمكن لأم حنونة أن تخبى ابنا عابدا لها ، مع أنها هى التى
منحت مرات كثيرة أنعاما فريدة لأكبر الخطاة لأجل تلاوة ورديتها أو صوم
مقدم لآكرامها » انتهى .

وفى كتاب أمجاد مريم فى الصحيفة (١٥٠) ما لفظه : « نحن نتوسل الى
القديسين فى أن يصلوا لوجه مريم بحسب كونها ملكتهم وسيدتهم » وفيه
أيضا فى صفحة (٣٧٥) : « أن البتول القديسة لكى تصير والدة لاله ، قد
احتاجت لأن تعلقوا الى مرتبة التساوى على نوع ما بأقنيم الالهية ، لهذا يقول
بطرس داما يونس ان الله يوجد متحدا مع خلائفه على أربعة أنواع : فاتحاد
مع مريم البتول هو اتحاد ذاتى لأنه تعالى هو نظيرها وهى نظيره ، فمن ثم
يهتف هذا القديس قائلا : ان الله يسكن فى البتولة ومعها يحوى جوهر
طبيعة واحدة هى ذاتها » انتهى . وفيه فى صحيفة (١٥٤) ما لفظه : « الله
ما يقدر يمنح النعم بدون تصرفات أو شفاعاة مريم » وفى صفحة (٢٢٦) :
« الله يوصى للشيطان من يصل الى مريم لا تؤديه الى جهنم » انتهى .

وأمثال هذا كثير فى كتاب التعمد لمريم والأمجاد وغيرها . وهذا
بضد ما فى التوراة من قوله : « لا تتخذ لك صورة ولا تمثال . مما فى
السماء من فوق وما فى الأرض من أسفل ، ولا ما فى الماء من تحت الأرض ،
لا تسجد لهن ولا تعبدهن » انتهى . فنتبين أنهم لا صلاة لهم ولا صيام ولا عبادة
خالصة للملك العلام ، ولا طاعة موافقة لما جاءت به الرسل الكرام عليهم
الصلاة والسلام .

قوله : « وأما قولك أن نستعمل الوضوء ونغتسل من الجنابة »
انتهى .

فلا يخفى على كل طاهر القلب سالم اللب أن الانسان اذا صلى
وعبد الله سبحانه وهو طاهر البدن والثياب والمحل ، أحسن من أن يكون
بنجسها عند مناجاة الله تعالى وعبادته ، والحضور فى معبده . فهؤلاء
الملوك اذا أردنا مجالستهم ومخاطبتهم ، نلبس لذلك أحسن ثيابنا ونكون
فى أجمل أحوالنا ونتطهر من المقدرات ونتجنب عن الأوساخ والنجاسات ،
فالبارى سبحانه أحق بذلك على أن هذا أمر تعبدى لا يسأل عن حكمته ،
بعد أن أمرت الشرائع بسلوك طريقته . على أن التطهر من الجنابة ونحوها
موجود فى الشريعة الموسوية التى قال فيها المسيح : « انى جئت
لأكملها (١) » لابد لها كما نقلناه بلفظه غير مرة .

وأما قول المسيح عليه السلام هنا وجوابه لليهود الذى زعمه عبد المسيح
ان صح انه قاله ، فله محمل حسن ، لأنه عليه السلام لما عرف خبث بواطنهم
ونفاق سرائرهم ، أراد نصحهم وأن يعرفهم أن غسل الأبدان من النجاسة
والجنابة والطهارة ، لا يفيدان شيئاً لمن خبث منه الجنان ، وفسق وخالف
فى فعله ما أتى به موسى بن عمران وليس مقصده عليه السلام أنه يجوز
للانسان أن يصلى أو يأكل وهو نجس اليد والبدن متضمخ بالنجاسة ظاهراً
وباطناً ، ولا مراده رفع أحكام التوراة الواردة بذلك . فان هذا لا يقوله

(١) أى أصححها .

عاقلة ، فضلا عن مثل هذا الرسول الكامل . وهذا ظاهر أيضا مما نقله النصراني عبد المسيح من كلامه عليه السلام هنا ، كيف لا والمسيح متبع للتوراة في مثل هذه الأحكام كما لا يخفى على من اطلع على أحواله عليه السلام . ففي الاصحاح الخامس عشر من سفر الأحبار المسمى بسفر اللاويين ما لفظه : « وكلم الرب موسى وهرون . وقال لهما : كلما بنى اسرائيل وقولا لهم : كل انسان يكون له سيل من جسده فذاك تجسر ، ومن مس فراشه يغسل ثيابه ويستحم بالماء ، ويكون نجسا الى المساء ، وكل ما يركبه ذو السيل فهو نجس ، وأي اثناء من فخار مسه من يقطر زرعه فليكسر ، وان كان الاتاء من خشب فليغسل بالماء ، وأبما رجل خرجت منه جنابة فيغسل جسده كله بالماء ، ويكون نجسا الى المساء وأي ثوب أو جلد وقعت عليه النطفة فليغسل بالماء ويكون نجسا الى المساء ، واذا جامع الرجل المرأة فليستحما كلاهما بالماء ويكونان نجسين الى المساء ، والمرأة اذا كان بها حيض الدم حيضها دما في جسدها ، فلتجس طامئة سبعة أيام وكل من يلمسها يكون نجسا الى المساء ، وكل شيء تنام أو تجلس عليه في أيام حيضها فانه نجس ومن لمس فراشها فليغسل ثيابه ويستحم بالماء ويكون نجسا حتى الليل .

فأبعدا بنى اسرائيل عن النجاسة لئلا يموتوا في نجاستهم ، ولا يتجسوا مسكنى الذى بينهم » انتهى .

وبقيت فيها أحكام كثيرة شبه هذه تركناها خشية الملل ، فليت شعري أى قولى النصرارى والأناجيل نأخذ ونعتمد عليه ؟ أنعمت على ما عزوه له من عدم لزوم الغسل من الجنابة والتطهر من النجاسة . أم على ما رووه عنه انه قال : « لم آت لابطل الناموس » أى التوراة « بل لأؤيد وأكد أحكامها ؟ » وهل هذان القولان الا متناقضان وحكمان متخالفان ؟ فيقال لعبد المسيح : ان الذى ينبغي ان يسمى ناقض نفسه هى الأناجيل لا كما زعمت الفرقان ، فافهم وأنصف . وستأتيك ان شاء الله مسألة الختان . وبالله تعالى المستعان .

قوله : « وغل الخطايا البتة »

لا يخفى عليك أن ازالة الخطايا متوقف على غفران قسوسهم ، واذا تاب الانسان من خطاياه وذنوبه الى الله تعالى وحده ، لا تغفر الا اذا اعترف المخطيء للكاهن بذنوبه وغفرها له ، فحينئذ تغفر له . وهذه عقيدة الكنيسة الرومانية ، كالكاثوليكين ومن تبعهم من جمهور النصارى ، كالأرمن الكاثوليك الحديث ، والروم الحديث ، والسريان الحديث ، والروم الحديث ، الكاثوليك واللاتين . فكلهم يزعمون غفران ذنوبهم كبائرهما وصغائرهما اذا اعترفوا بها للكهنة والقسيسين . وتسمى هذه العقيدة عندهم سر التوبة ، وخالفت فى ذلك فرقة البروتستانت . ولنذكر لك كلامهم عليهم والسهام الخارجة منهم اليهم ، ليقف الناظر على عقيدة سيئة ، ليس لهم بها سلف ، وليعرف ابتداءهم فى الدين المسيحى من لم يكن عرف . قال المعلم ميخائيل فى كتابيه « الدليل الى طاعة الانجيل » و « البراهين الانجيلية » ما لفظه : « ان الكنيسة الرومانية ومن يجرى مجراها تزعم أنه يجب اعتراف الخطاة للكهنة بخطاياهم ، لكى ينالوا منهم المغفرة عما اقترفوه ضد البارى تعالى . وتسمى هذه الصناعة سر التوبة ، وكان الأولى أن تسميها سر المغفرة أو الحل لأن الظاهر من معتقدها وأعمالها عدم الانتفاع بالتوبة أو لا تتم بها مغفرة الخطيئة ، بل تمام المغفرة يكون بالحل ا لذى يناله المعترف من الكاهن ، هذا ولم تكف بأنها اخترعت هذا التعليم الذى ليس له أصل فى الشريعة المسيحية ، ولا بأنها تجاسرت على أن تسميه سرا الهييا ، وتنسب اليه تعالى أمرا لم يأمر به ، ولا بأنها جعلته سرا مساويا لسرى المعمودية والافخرستيا ، بل تجاسرت على أن تجعله ضروريا للخلاص بضرورة الوسطة ، ولا يمكن خلاص المذنب بدون الاعتراف للكاهن . ولذا ترى أكثر اجتهاد القسيسين فى أن يلزموا المسيحى بالاعتراف لهم ، وهكذا المريض يسارعون لاستماع اعترافه ، وهو اختراع حادث قبيح مضر على أنفس المعترف والمعترفين من أوجه عديدة ، ولا جرى استعماله الا فى الجيل الثالث عشر فى مجمعها اللاتزالى ،

وغايتها : ورد فى التعاليم قولهم للخاطيء تب لعل الله يغفر لك ، وصورة استعمال هذا السر أن الكاهن يجلس على كرسي مرتفع فى الكنيسة ، ويركع المعترف تحت يده على الأرض مكشوف الرأس ، ويقول : أنا اعترف لله القادر على كل شيء وللقديسة المباركة مريم العذراء الدائمة البتولية والقديس مار ميخائيل رئيس الملائكة والقديس مار يوحنا المعمدان والقديسين الرسولين بطرس وبولس ولك يا أبانا ، لقد أخطأت بالفكر والقول والفعل ، أقبل اعترافى وسامحنى وبهذا الكلام يفهم أن الاعتراف ليس لله وحده ، فالظاهر أنهم يعتقدون أن هؤلاء القديسين شركاء البارئ تعالى فى حقوقه ، ثم إن الكاهن يسأل المعترف : كم لك من الزمان بلا اعتراف ؟ فيجيبه كذا من الأشهر أو من الأيام . ثم يسأله ثانيا : هل وفيت قانونك ؟ فيجيبه بالواقع فيأمره أن يشكى على نفسه وحينئذ يبتدىء المعترف بتقرير خطاياها واحدة فواحدة ، بحيث لو ترك أدنى شيء منها سأله عنه بكل تدقيق . وعلى الخصوص خطيئة الزنا ، وربما من كثرة التدقيق يتصل الكاهن الى معرفة الشخص المشترك معه فى الخطيئة ، وهو أول عيب يحدث من الاعتراف . ثم إن المعترف غالبا لا يكون ساقطا فى جميع الخطايا ، ويوجد كثيرون من البسطاء لا يعرفون جميع الخطايا ليفعلوها ، فالكاهن لى يفطنهم فيما يظن أنهم سهوا عن الاعتراف به يبتدىء فى تعداد الخطايا لهم واحدة فواحدة . وبذلك ينبهم على ارتكاب ما لم يكونوا ارتكبوه ، وربما يعلمهم خطايا لم يكونوا يعرفوها وهذا عيب ثان يحدث من الاعتراف ، ثم لا نقدر أن نجزم أن جميع الكهنة ولا سيما الغير المتزوجين لا يقدرن على ضبط شهواتهم ، فاستماعهم الاعترافات مما ينهض شهواتها ويحركها للوقوع فى فخ الشيطان ، ويسهل عليهم طريق الوصول الى مرغوبهم ، لأنهم بواسطته يعرفون من هى أهل لذلك . ولولا هذه المعرفة ربما كان برقع الوظيفة يجعلهم يستحون من الطلب ، خوفا من أن الباب الذى يقرعونه لا يفتح لهم ، فيفتضحون وبواسطة هذا الاعتراف يرفع عنهم هذا الخوف ويتجاسرون على فعل الخطيئة ، وهذا عيب ثالث يكون من الاعتراف . والعيب الرابع أن بعض النساء والرجال إذا عملوا

خطيئة وكانوا من أرباب الحياء أو يخشون اظهارها ، فيتركون التوبة ، وربما يكون ذلك باعثا لهم على فتح باب الخطايا وارتكاب المحرمات ، فيتعافون عن التوبة ، لعلمهم أنها لا تغفر الخطيئة الا عند القس والعيب الخامس يحدث فى نهاية الاعتراف عندما يفرض الكاهن القانون على المعترف ويحله من خطاياها ، لأن هذا المعترف المسكين يتوهم انه حمل خطاياها الثقيل عن ظهره فى ساحة مراحم القسيس ونال منه المغفرة لها ، وانه دفع ثمنها ذلك القانون الذى فرضه عليه ولم يبق عليه شىء الله تعالى ، فيتوجه ويتناول عشية الرب ويأكل الله بكل راحة ضمير فهذا التعليم الباطل كلى الضرر على المسيحيين ، ليس فيها يتعلق بأمور الدنيا فقط من وضع ضمائر تحت ادارة هؤلاء الكهنة الجهلة فى الغالب وتسليمهم نساءهم وبناتهن ليكتسفن ضمائرهن سر الرهبان شبان غير متزوجين ، وغالبا يمكنونهم من الانفراد معهم والاختلاء بهم والتردد عليهن عندما يكون الرجال غائبين فى حوانيت أشغالهم ولا يعرفون ما يعمل لهؤلاء الكهنة فى بيوتهم ، بل ذلك مسلم الى مروتهم . وأما الضرر الأعظم فهو وضع نفس المسيحي تحت خطر الهلاك الأبدى بسبب الانتكال على المغفرة الممنوحة من ذلك الكاهن ، لأن التمسك بها كالتمسك بحبال الهباء . وهذا التعليم هو اختراع أكليروسى محدث ، لأجل استيلائهم على ضمائر الناس وديراهمهم ، وأن المسيح والرسول لم يعملوا به ولا كنيسة المسيح الأولى استعملته ، لا كما زعمت هذه الفرق بأنه من أمر المسيح والرسول ، وأن البراهين التى يستندون عليها لا تفيد شيئا مما يزعمونه ، بل أخذوا آيات متضمنة معنى آخر صريحا ، فأولوها الى معان مبهمه ، وينتجون منها فاسدة لا تطابق المقدمات ، ويوهون بها على عقول الناس بالمر والخديعة ، اذ لا يقدر أن يغفر الخطايا غير الله وحده الذى يحق له المجد » انتهى باقتصار .

وقد أطنب فى ذكر أدلتهم وأجوبتها وتركناها لعدم اللزوم بها ، فيما نحن بصدده ، ومن أرادها فليرجع الى الكتابين المتقدم ذكرهما . هذا وإذا علمت ذلك فلا يخفى عليك أن هذا المؤلف النصرانى « عبد المسيح »

من يذهب الى وجود هذا الاعتقاد القبيح ، لأنه ممن جوز في كتابه هذا السجود للصليب ، وكل من يجوز السجود له من النصارى يقول بمسألة الغفران ، فليُنظر هو بعين عقله الى أن هذه العقيدة هل يقول بها ذو عقل ويجوزها غيور على البفات والأهل ؟ وهل هذه نظافة القلوب والصدور ، أم آلة الفسق والفجور ، وذنس لا يزيله الماء ، ووسخ لا تطهره وان أمطرت عليه السماء ؟ فتأمل وأنصف .

قال النصراني : « واما الختان فينبغى لك أولا أن تعلم قصته ، ثم تحث الناس على ذلك ، وان يمثلوا سنة ابراهيم ابيهم فاقول : ان الله — جل اسمه — لما كان مزعما ان يدخل بنى اسرائيل الذين هم ولد ابراهيم ارض مصر ، ولم يزل عالما أن أئشره سوف يحملهم على ارتكاب المفواحش التي قد حرمها عليهم ونجس أهلها ، جعل هذا سببا لمن اراد ارتكاب الفاحشة من امرأة مصرية ، نظرت الى هذه العلامة التي في جسده — وهى الختان — فامتنعت ولم تؤاته ، فوسمهم الله بهذه السمة لهذه العلة ، فكيف تحث الناس على الختان وانت تعلم أن صاحبك لم يختن ، كزعم أهل مقالتك على ما نقلت الرواة عنه ، أنه لم يكن مختونا بته ، لأنهم شبهوه كما ادعوا له ذلك أنه كآدم أبى البشر ، وشيت ونوح وحنظلة ابن أبى صفوان ؟ وهذا خبر ليس أحد من أصحابك ممن يعتقد مثل اعتقادك يشك في صحته ، فان قلت ان المسيح قد اختن . قلنا لك : اختن لأقامة سنة التوراه ، لئلا يرى أنه استخف أو نقض شيئا شيئا من سننها ، ثم أكد ذلك بقوله : (لم آت لأتقض بل لأتمم وأكمل) (متى ٥) .

وكنك قال رسول الحق بولس : « ان كنتم انما تختننون لأن المسيح اختن ، فان ذلك لا ينفعمكم شيئا ولا العزلة ايضا تضر شيئا مع الايمان الصحيح والقلب السليم النقى ، والا فيجب عليك أيضا أن تقرب القرايين وتحفظ السبب وتعمل الفصح وتقيم شرائع التوراة كلها ، كما أقامها المسيح سيدنا ، فانه فعل ذلك ورفعنا عنا وأكملة واتمه بفعله اياه وكفانا مؤنة العمل بشيء منه وأغنانا بسننه المحسنة الالهية ، وشرائعه الروحانية

التي رفعها اليها عن السنن التي شهد جل وعز على لسان نبيه ، قائلا :
أتى أعطيتكم — يعنى بنى اسرائيل سننا ليست بحسنة وشرائع ابن تقدرنا
أن تهيئوا بها . فان أنصفتنا علمت أن الختان ليس هو عليك فريضة
واجبة لأن كتابك الذى تدعى أن فيه شرائع ديانتك ، يذكر أن ليس الختان
شريعة واجبة ، وانما هو سنة من شاء استحسناها وعمل بها ومن شاء
استثنى عنها ولم يعمل بها . ومن اختن من أصحابنا وأسبغ الوضوء واغتسل
من الجنابة ، فليس يفعل ذلك لأنه سنة واجبة وفريضة لازمة عليه لا يحل
له إلا القيام بها ، بل يفعله على سبيل العادة الجارية عند أهل الزمان
والتشبه بأهل دهره الذى هو مقيم بين أظهرهم للنظافة الظاهرة لا غير ،
لعلنا أن من تفوط كان أحق أن يفيض عليه الماء السابغ بالفسل بقدر
ما يخرج منه نفن الرائحة وقبيح المنظر بخلاف من تصببه الجنابة التي
لا لون لها منكر ولا رائحة منتنة ، بل يتولد منها انسان كامل المعرفة والعقل
والعلم ، يكون منه النبى المرسل والملك المسلط والحكيم الناقد والعبد
الصالح المسبح لله ليلا ونهار ، أو كذلك يفعل من اجتنب منا أكل لحم الخنزير
كاجتنابه أكل لحوم الحمير والجمال ، لأن ذلك غير محرم عليه ، لأن الله لم
يخلق شيئا قبيحا ، كقوله جل اسمه فى التوراة على لسان موسى نبيه فى سفر
الخليقة : (فنظر الله الى جميع ما خلقه ، فرآه حسنا جدا) فالله تبارك وتعالى
استحسن كل ما خلق ، أفاجترى أنا وأقول عن شيء خلقه انه قبيح أو
حرام ؟ اذن أكون معاندا لله مقاوما ما خلقه واستحسنه . ومعاذ الله أن
أكون لربى معاندا ، بل كل ما خلقه الله مما تقبله نفسى ويجوز لى فى
طبيعتى أكله ، فهو مطلق لى ولجميع ولد آدم ، غير أكل الدم والامية وما ذبح
للأصنام فإنه نزل فى تحريمه أمر من الله نص . والسبب تحريم الخنزير
والجمل وغيرهما مما حرم على بنى اسرائيل أكله ، فذلك انما حرم عليهم لعله
معروفة مشهورة : لأنهم حيث كانوا مقيمين بمصر نظروا الى أهل مصر يعبدون
الأصنام التي كانت على خلق الثيران والبقر والكباش وسائر الفغم ، ألا ترى
كيف أجاب موسى فرعون قائلا له : ((لن يجوز أن تقرب الله قرابين تجاه
المصريين ، لأننا انما نريد أن تقرب القرابين التي يعبدونها ، وهى آلهتهم ،

فلذا فعاننا ذلك بين ايديهم لم نؤمن انهم يرحموننا ، اذا قربنا آلهتهم
ونبتحنها ، فدل بهذا القول ان اهل مصر كانوا يعبدون الثيران والكباش
وسائر الفنم . ودليل آخر : ان موسى حيث اقام فى طور سيناء وثب بنو
اسرائيل على هرون اخيه قائلين له : اتخذ لنا آلهة نعبده ، فان موسى قد
ابطا علينا ولا نعلم حاله وانما اتخذ لهم صنما على صورة العجل على
بهناج بما كانوا يرون من عبادة اهل مصر مثله ، فكان المصريون يعبدون
هذه الخليفة من البهائم ، ويقربون لها القرابين مما كان خالفها كالخنزير
والحمار والجمال والفرس وما ائسبه ذلك من الاثماء التى عندهم اخص ،
فى الخلقة من خلقة آلهتهم ، فحيث امر الله موسى بالقرابين ، امره ان
يفرب له من الثيران والبقر وسائر الفنم لا غير ذلك . وامر ان ينجس
الخنزير والجمال والحمار والفرس ليعلموا ان هذه نجسة فى اكلهم اياها
فضلا عن تقربها لى ، اذ كان المصريون يقربونها لآلهتهم ، بل كلوا لحوم
الثيران والبقر والكباش وسائر الفنم التى كانت آلهة عند اولئك وقربوا
لى منها وتجنبوا اكل الخنزير والجمال والحمار والفرس وما ائسبه ذلك .
ولا تقربوا لى شيئا منها اصلا لآنها نجسة غير زكية لذلك السبب ،
فزهدهم فى عبادة الثيران والفرس والكباش والبقر ، باطلاقه لهم اكل
لحومها وتقريب القرابين منها ، وزهدهم فى عبادة الخنازير والجمال
والحمار والفرس وما ائسبه ذلك ونفرهم منها ، بانه صيرها نجسة غير زكية ،
ولم يطلق القربان منها فحذرهم من عبادة الجميع بالقانونين جميعا ، فليس
الحرام والنجاسة ان يؤكل لحم الثيران والبقر وسائر الفنم والكباش
والخنزير والجمال والحمار والفرس ، بل الحرام والنجاسة ان نعبد هذه
ونتخذها آلهة من دونه جل وعز ، فاما من لم يعبدها ولم يكن اعتقاده انها
آلهة او قرب منها شيئا للاصنام ، فليس ذلك بحرام عليه . ولا بالنجس
عنده وماكلة لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر الفنم والخنزير والجمال
والحمار والفرس اليه حلال ورزق من الله طيب ، ياكله الانسان مطلقا ما لم
تعفنه نفسه ، او ينفّر منه طبعه ، فان ترك اكل الجميع او بعضه ، فذلك
البيّة لا لوم عليه فيه .

فأما تحريم لحم الخنزير فقط من بين البهائم كلها وإطلاق أكل الجمل وتقريب قربان منه ولحم الحمار والفرس المذى أتى به صاحبك ، فالسبب فيه من نيتك اليهوديين عبد الله بن سلام ووهب بن منبه ، اللذين أفسدا الدنيا واهلكا الأمة ، وصاحبك برىء من هذا كله .

فأما ما خفض النساء فالقصة فيه : أن سارة زوج ابراهيم لما رأت اعجاب ابراهيم بهاجر أمتها المصرية حين وهبتها له ، وأطلقت له أن يطاها لحقها ما يلحق النساء من الفيرة على أزواجهن ، فخفضت أمتها بيدها أرادت التشويه بها ، وأن تهتك الموضع الذى توهمت أن ابراهيم يعجب به منها . فكان ذلك على جهة ايقاع العيب بهاجر أمتها ، والتشفي منها . فلما صارت هاجر الى بلدتها « تهامة » وتزوج اسماعيل عمدت الى امراته فخفضتها لتلا تعيرها بذلك ، وأوهمتها أنها سنة لابراهيم . فلما ولد لاسماعيل ولد عمد الى الذكور من ولده . وولد ولده ، وأقام فيهم سنة ابراهيم ، وعمدت امرأة اسماعيل الى الاناث من اولادهم تخفضتهن وأقامت فيهن العلامة التى ورثتها من هاجر ، على أنها سنة كالختان للذكور . والدليل على ذلك : أنه لم ينزل فيه أمر ولا نهى ، ولا جرى له ذكر فى شيء من الكتب المنزلة ، وإنما عملت به العرب على حسب ما جرت به سنة البلد ، ولولا أن الديانة عندى أشرف من الحسب الجسدانى الزائل ، لكان يسعنى السكوت عن هذه الأمور ، إذ كنت أنا أيضا من ولد اسماعيل منتشيا اليه ، لكنى رجل نصرانى ولى فى هذه الديانة سابقة هى حسبى ونسبى وشرفى ، الذى أشرف به وأفتخر بمكانى منه ، وأرغب الى الله فى أمانتى على هذه الديانة ، وحشرى عليها فانه غاية أملى ورجائى الذى أرجو به الخلاص من العذاب فى نار جهنم ، والدخول الى ملكوت السماء ، والخلود فيها بفضلته واحسانه وسعة رحمته « انتهى » .

فأقول : يا سبحان الله من هذا التناقض العجيب والتهافت الغريب بين الانجيل ، وما يدعيه هذا النصرانى وما يثبت وينفيه ، فهو ينقل عن الانجيل أنه قال فيه : « لم آت لأنتقض بل لأتمم وأكمل » ولنذكر جميع عبارته

ونصها : « لا تظنوا أنى جئت لأحل الناموس أو الأنبياء ،
ما جئت لأحل بل لأكمل ، فالحق أقول لكم : حتى أن نزول
السماء والأرض ، بآء واحدة أو خط واحد لا يزول من الناموس ، حتى يكون
كله ، فمن أحل إحدى هذه الوصايا الصغار ، وعلم الناس هكذا يدعى
فى ملكوت السموات صغيرا ، فأما الذى يعمل ويعلم فهذا يدعى عظيما
فى ملكوت السموات » انتهى من الاصحاح الخامس من انجيل متى .

فهذا كلام ظاهر فى أن عيسى عليه السلام لم يأت ليبدل أو يغير
شيئا من أحكام التوراة أو الأنبياء السابقين ، بل أتى حاكما بها محكما لها
مكملا (١) غير منقضى من أحكامها شيئا ، وأنت قد أقررت بذلك من غير
شعور بما يرد عليك من المهالك ، وعلمت أن الله سبحانه كلم موسى قائلا : كلم
« بنى اسرائيل وقتل لهم : فى اليوم الثامن يختن الصبى » كما فى الاصحاح
الثامن عشر من سفر الاخبار . وقال لابراهيم كما فى الاصحاح السابع
عشر من سفر التكوين : « وأنت فاحفظ ميثاقى الذى تحفظونه بينى وبينكم
وبين نسلك من بعدك ، فليختن منكم كل ذكر ، وتختنون لحم غرلتكم ليكون
علامة للميثاق بينى وبينكم ، فالطفل ابن ثمانية أيام يختن بكم كل ذكر فى
أجيالكم المولود فى البيت والمبتاع ، فليختن ، وكل من لم يكن من نسلكم .
وسيكون ميثاقى فى لحمكم عهدا مؤبدا ، فالذكر الذى غرلته لا تكون
مختونة ، فتباد تلك النفس من شعبها ، لأنها أبطلت ميثاقى » انتهى بحروفه .

وأقررت أيضا : أن المسيح عليه السلام بنفسه اختن ونقلت الرواة
أيضا والكتب جميعها : أن الختان كان فى عصر المسيح عليه السلام الى
أن رفع الى السماء ، ثم بعد مدة متطاولة رفعتموه ، فبعد هذه العبارات

(١) المسيح لم يأت مكملا . بل أتى مصححا . لأن الأصل اليونانى
فيه : ما جئت لانقض ، بل لاصحح . ولو قلنا بالتكميل لاثبتنا أن المسيح
أتى بشرع جديد على ما تركه موسى . وهذا الشرع الجديد هو ما تركه
موسى — الذى أقره المسيح — وما أزاله عليه . وهذا لا يصح لأن المسيح
أوصى تلاميذه بأن يسمعوا كلام علماء اليهود (متى ٢٣ : ١ - ٣)

الصريحة من التوراة والإنجيل في وجوب الختان ، وبعد أن قال سبحانه في التوراة : ان هذا حكم مؤبد ، فوصفه بالأبد لا نهاية له (١) ولم يخصصه بزمان ولا مكان ولا قبيلة مخصوصة ولا أناس مخصوصين بهم ولا حر ولا عبد وجعله في الذرازي ، ما تناسلت الى أبد الأبدنين ودهر الدهارين . وحكم أن تلك النفس التي لم تختتن تباد من شعبها ، وبعد أن اختتن عيسى عليه السلام بنفسه ، وقال : « انى لم آت لأنقض » أو أبدل أحكام التوراة ، وبعد أن بقيت العرب أيضا على تلك السنة الابراهيمية الى زمان البعثة المحمدية ، ثم هو أيضا اختتن وأبقاها — عليه أفضل الصلاة والتحية — وكان أيضا الاختتان موافقا للمنافع البشرية والحكم الطبية ، فكيف يسوغ لعاقل يؤمن بأن التوراة كلام الله . وقد أمر فيها بالاختتان ابراهيم الأراه ، وموسى كليم الله ، وامثلها عيسى روح الله ، وأيدها (٢) رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله بعدل عن الاختتان ، ويكابر نفسه ويجحده كالشمس التي في العيان ، ويتشبث ببيت عنكبوت الأوهام ، ويورد تأويلا لا تقبله ذوو الألباب وبلاعصام ، ويريد أن يقابل السيوف القاطعة في الكفاح بقصة لانهابها أصحاب الوشاح ؟ وليت شعري من أين علم هذه الحكمة الاسرائيلية والتقية المسيحية ؟ وكيف اختلق هذه العلة العلية التي لا تقبلها ملة جليلة . وهو على ما في التوراة حكمه أن يباد من الحياة ، ويطلق مع أمثاله بالأموات ، وهلا رجع الى نفسه وطلب منها الانتصاف وقبولها للحق بعد ظهوره ، والاعتراف . وهلا بعد أن طلبه من صاحبه وظهر له هلال الحق مشرقا في مغاربه أن يقبله مدعنا ، ويصدقه مؤمنا ، ولا يراجع بعد كلام الله وفعل أنبيائه ومسيحه ، قسيسا ولا كاهنا . اذا الحق بدا ،

(١) الأبد له نهاية . هي الى زمان انتهاء العمل بشريعة موسى . لأن موسى نبه على نبى مثله سينسخ شريعته . فالأبد محدد . بجيء هذا النبي .

(٢) اختلف المسلمون في الختان على الذكر وعلى الأنثى . كما سنذكر

والحمد لله سبحانه ظاهر ولا يمارى ولا يجادل بالباطل ، الا من غش نفسه
من كل مكابر ، والشكر له أولا وآخرا .

ثم اعلم : أن الختان ورد في أحاديث تدل على الوجوب عن النبي ﷺ
على هذه الأمة المحمدية منها قوله عليه الصلاة والسلام : « اختتن ابراهيم
وهو ابن ثمانين سنة » وقد قال سبحانه في القرآن العظيم : « ثم أوحينا
إليك أن اتبع ملة ابراهيم » فوجب على الأمة اتباع ابراهيم بذلك . وروى
الإمام البخارى عن ابن عمر وأبى هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « من
الفطرة قص الشارب والختان والاستحداد ونتف الابط وتقليم الأظافر »
وروى أبو داود ، أن رجلا أسلم عند النبي ﷺ فقال له : « ألق عنك شعر
الكفر واختتن » وروى جابر أن النبي ﷺ ختن حسنا وحسينا لسبعة أيام ،
وغير ذلك من الأحاديث فذهب الإمام الشافعى وجمهور أصحابه وسحنون
من المالكية وعطاء الامام أحمد في رواية أنه فرض حتى قالوا : لو أسلم
الكبير لم يتم اسلامه حتى يختتن . وقال أبو حنيفة : انه واجب . وذهب
بعض العلماء : الى أنه واجب في حق الرجال أو سنة ومكرمة في حق
النساء . ورواية أخرى عن الامام أبى حنيفة أنه سنة النبي ﷺ ويأثم
تاركها . وعلى جميع أقوال المسلمين ان تارك الختان مخالف لسنة ابراهيم
أب النبيين ونبيه محمد — عليه أفضل صلاة المصلين — ومتحمل اللائم يوم
الدين والعقاب من رب العالمين .

ثم ان ما ذكره هذا النصرانى من اعتقاد جميع المسلمين أن النبي عليه الصلاة
والسلام ولد مختونا ، فهو نقل كذب لا أصل له ، بل المسألة ، فيها أقوال عندنا ،
فقيل ختن عند مرضعته حليلة السعدية ، وقيل ولد عليه الصلاة والسلام
مختونا ككثير من الأنبياء عليهم السلام وككثير من سائر الناس الذين
يوجدون مختونين أى صورته صورة المختون والذي عليه أكثر العلماء
المحققين أنه ختنه جده عبد المطلب أى أمر بختنه يوم سابعه ، لأنما سنة
توارثوها من ابراهيم واسماعيل لا بمجاورة اليهود كما يشير اليه فى حديث
هرقل : « أرى ملك الختان قد ظهر » وصنع له مآذبة وسماه محمدا .

رواه الوليد بن مسلم بسنده الى ابن عباس . وقد ألف كمال الدين بن
العديم كتابا مخصوصا فى هذه المسألة وبين فيه انه عليه الصلاة والسلام
ختن على عادة العرب .

قال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد : « وكان عموم هذه السنة
للعرب قاطبة مغنيا عن نقل معين فيها . وأما حديث أنه ﷺ ولد مختونا
فقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات » انتهى .

فتبين لك كذب ما ادعاه « عبد المسيح » وأن دعواه كذب صريح .

وأما قوله : « وكذلك قال رسول الحق بولس » الخ

فاسمع شرح حاله مما قاله العلامة القرامى فى الأجوبة الفاخرة
بها لفظه : « وقالت فرقة من المؤرخين عندنا وعندهم : ان عيسى عليه
السلام لما دعى بنى اسرائيل للايمان اجابه نفر يسير ، ثم رفع فاستحلى
الناس كلامه ، حتى بلغ أتباعه سبعمائة رجل ، فكانوا يجاهدون فى
بنى اسرائيل ، ويدعون للايمان ، فقام بولس (٣) اليهودى وكان ملكا فى
بنى اسرائيل فهربهم وأخرجهم من الشام الى الدروب ، فأعجزوه . فقال
بولس : ان كلام هؤلاء يستحلى ، وقد قدموا على عدوكم وسيردوهم الى
ملتهم ويتكثرون علينا فتعاهدوننى على كل شىء خيرا كان أو شرا ،
فتعلوا فترك ملكه وخرج اليهم ، وقد لبس لباسهم ليضلهم ، وقالوا الحمد
لله الذى أمكن منك . فقال لهم اجمعوا أكابركم فانه لم يبلغ منى حمقى أن
آنبيكم الا ببرهان . فقال أكابرههم : مالك . قال : لقد لعنتنى المسيح
عند منصرفى عنكم فأخذ سمعى وبصرى وعقلى ، فلم أسمع ولم أبصر ولم

(٣) وفى كتاب سنة سليمان فى أصول العقائد والأديان لتوفل
النصرانى المؤلف سنة ١٨٧٢ أن بولس المذكور فريسي من قبيلة بنيامين
وكان اسمه شاول وسمى أخيرا بولس ، وانه هو الذى أبطل الختان وأباح
أكل جميع الدواب والوحوش .

أعقل ثم كشف عني ، فأعطيت الله تعالى عهدا أن أدخل في أمركم ، فأنيت
لاقيم فيكم وأعلمكم التوراة وأحكامها ، فصدقوه ، وأمرهم أن يبنوا له بيتا
ويفرشوه رمادا ليعبد الله ففعلوا ، وعلمهم ما شاء الله . ثم أغلق الباب
فأطافوا به وقالوا : نخشى أن يكون رأى شيئا يكرهه ، ثم فتح بعد يوم
فقالوا : رأيت ما تكرهه ؟ قال : لا . ولكنى رأيت رأيا أعرضه عليكم ، فان
كان صوابا فخذوه ، وهو هل رأيتم سارجة تخرج الآ من عند ربها ، وتخرج
الآ من حيث تؤمر به ؟ قالوا نعم . قال : فاني رأيت الصبح
والليل والشمس والقمر والبروج انما تأتي من ههنا . وذلك أحق الوجوه
أن يصلى اليه قالوا : صدقت . فردهم عن قبلتهم ببيت المقدس الى الشرق
المحض ، ثم أغلق الباب بعد ذلك يومين ففزعوا أشد من الأول ، وأطافوا
به ، ففتح الباب فقالوا : رأيت شيئا تكرهه ؟ قال : لا . ولكنى رأيت
رأيا قالوا : : هات . قال : ألسنتم تزعمون أن الرجل اذا أهدى الى الرجل
هدية فردها ، شق عليه ؟ قالوا : نعم . قال : ان الله تعالى سخر لكم
جميع ما فى الأرض وما فى السماء ، والله تعالى أحق أن لا يرد عليه ،
فما بل بعض الأشياء حلال وبعضها حرام ؟ ما بين البقة الى الفيل
حلال . قالوا : صدقت فاتبعوه فى اباحة المحرمات ، ثم أغلق بعد ذلك
ثلاثة أيام ففزعوا أشد من الثانية ، فلما فتح لهم ، قال : انى رأيت رأيا .
قالوا : هات . قال : ليخرج كل من فى البيت الا يعقوب ونسطور وملكون
والمؤمن ، فقال : هل علمتم أن أحدا من الانس خلق من الطين خلقا ، فصار
نفسا . قالوا : لا . فقال : هل علمتم أن أحدا من الانس أبرأ الأكيه والأبرص
وأحى الموتى ؟ قالوا : لا . قال : فاني أزعم أن المسيح هو الله تعالى ،
تجلى لنا . ثم احتجب فقال بعضهم : صدقت وقال بعضهم لا . ولكنه
ثلاثة والد وولد وروح القدس . وقال بعضهم : اله وولده . وقال بعضهم :
هو الله تعالى تجسم لنا فافترقوا على أربع فرق . فأما يعقوب فأخذ بقول
بولس ان الله تعالى هو المسيح ، وبه أخذت شيعته وهم اليعقوبية ،
وأما نسطور فقال : المسيح ابن الله على جهة الرحمة ، وبه أخذت شيعته
المنسطورية ، الا أن شيعته لم يعتقدوا أنه ابن على سبيل الرحمة ، بل
على ما تقدم ، وأما ملكون فقال : ان الله تعالى ثلاثة وبه أخذت شيعته ،

وهم الملكانية . فقام المؤمن وقال لهم : عليكم لعنة الله تعالى . والله ما جاول هذه الا لافساد دينكم ، ونحن اصحاب المسيح قبله وقد رأينا عيسى عليه السلام : ونقلنا عنه ، وانما هذا يضلكم .

فقال بولس للذين اتبعوه : وقوموا بنا نقاتل هذا المؤمن ونقتله هو واصحابه ، والا افسد عليكم دينكم ، فخرج المؤمن الى قومه . وقال الستم تعلمون ان المسيح عبد الله ورسوله . وكذا قال لكم ؟ قالوا : بلى . قال : فان هذا الملعون اضل هؤلاء القوم ، فركبوا اثرهم فهزموا المؤمن واصحابه ، فخرجوا الى الشام فأسرتهم اليهود ، فأخبروهم الخبر ، وقالوا : انما خرجنا اليكم لنا من فى بلادكم وما لنا فى الدنيا من حاجة ، انما نلتزم الكهوف . والصوامع ونسيح فى الأرض ، فتركوهم ، ثم فعل بعض الذين كفروا مثل اصحاب المؤمن من الصوامع والرهينة ، فهو قوله تعالى : « ورهابنية ابتدعوها » الآية . وأدرك النبي ﷺ من أتباع المؤمن ثلاثين راهبا فاتبعوه . وماتوا على الاسلام وفيهم نزل قوله تعالى : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين » أى بالحجة وكانت هذه الوقعات بعد رفع المسيح بأربع سنين .

ثم لم يزل الأمر كذلك لم يستقر للجميع قدم الى زمن الملك « قسطنطين » فيصر الروم بعد رفع المسيح عليه السلام بثمانين سنة أو أقل ، فكثرت عدوه وكاد ملكه يذهب باختلاف رعاياه عليه ، وضعفهم وكسلهم عن نصرته ، فرام جمعهم على شريعة واحدة ، فأشار عليه أهل الرأى من دولته أن يتعبد المقوم بطلب دم ليكون ذلك أنسب لنصرته ، فوجد اليهود يذكرون فى تواريخهم أن رجلا جاءهم يدعى نسخ التوراة والانفراد بالتأويل فطلبوه وهو فى نسر يسير ممن اتبعه ، فظفروا بواحد منهم وشهد رجل بأنفه هو المطلوب ، فأخذوه وصلبوه وله يحققوا أنه هو الا بكونه لم يوجد بعد ذلك . فحينئذ عهد قسطنطين الى من ينتسب الى دين المسيح عليه السلام فوجدهم قد اختلفت آراؤهم وتفرقت كلماتهم ، فاستخرج ما بقى من رسم شريعتهم المنسوبة للمسيح عليه السلام وجمع عليه وزراه ، فأثبت ما أعجبه منها وتحكم فيها

باختياره ، وما وافق مقصده كالتقول بالصلبوت ليتعبد قومه بطلب دم المصلوب ، وكترك الختان لأنه شأن قومه . ثم أكد ذلك بمنام ادعى أنه رآه نجوع رعاياه من الروم على رأس سبع سنين من ملكه ، وقال رأيت أنى أنصر بهذا الشكل وأغلب الأمم أى بالصليب ، فأعظموا ذلك .

وفى زمنه كاهنة بعث اليها فقالت مثل ذلك . فتأكد قوله ومنامه ، ولم يعلم الناس ما سر ذلك الشكل ، حتى غزا غزوة به فغلب ، فهول عليهم ووعظهم وبالغ فى ذلك ، فسألوه عن سر الشكل والحواء عليه ، فقال لهم : أوحى الى فى نومي أنه كان الله تعالى هبط الى الأرض من السماء فصلبه اليهود ، فهالهم ذلك كثيرا أيضا . فانقادوا اليه انقيادا حسنا . وتأكدت أسباب دولته ، وشرع هذه الشرائع التى بأيديهم اليوم وأكثرها .

ولعل أكثر ما فى الاتجيل أو كتير منه من تلفيقات « تسطنطين » وهذه التواريخ لا ينكرها النصارى من حيث الجملة ، وأن أنكروا بعض تفاصيلها . ولا يقدرُوا أن يجحدوا محاربة « بولس » اليهودى ولا اجلاءهم من الشام . وكذلك رؤية تسطنطين .

وبولس هذا ، هو المفسد لدين النصارى بعد التوحيد ، والمغير لمعالم شريعتهم ، والحال لنظام أحكامهم فى الختان وغيره ، وهو أصل القول بالتثليث برأيه الخبيث . ومع ذلك فالنصارى فى غاية الاجلال ، وعلى رأيه فى غاية الاقبال . وكفى بهذه الثلاثة العظيمة فى دين النصارى خلا عظيما ، لم تترك لهم عقلا مستقيما ، ولا قلبا سليما .

وقد وقع فى كتبهم الفقهية تأويل للختان التزموا فيه على التوراة الباطل والبهتان . فقالوا : المراد بالختان فى التوراة نقاوة القلوب وصفاء النية بذهاب غلوفة القلب ، لأن اليهود كانت قلوبهم غلفا . فغلوفة القلب هى المضرة واما غلوة اللحم فلا مضرة فيها ، بل الأحسن ترك الاختتان كما خلقها الله تعالى .

قال القرافي : « هذا نص كلام النصراني . فانظر كذبهم على الله تعالى .
في قولهم انه اراد غلوفة القلب . ولو كان صحيحا لبيئة لموسى عليه السلام ،
ولما فعل الختان يحيى وعيسى وسائر الانبياء عليهم السلام ، الذين حكموا
بالتوراة ولم يزالوا يأمرن بالختان ، لقوله سبحانه في التوراة : « ليكون
عهدي ميسما في أجسادكم عهدا دائما الى الأبد » وثانيها : أنهم فهموا أحكام
الله تعالى ورسل الله سبحانه حيث قالوا : لا منفعة في ذلك ، مع أن الله
تبارك وتعالى قد حكم به وبلغه رسله وعملوا به .

ثم انا نبين فوائده حتى يظهر كذبهم في قولهم لا فائدة فيه ، فمنها ما يترتب
عليه من ثواب الله تعالى في الدار الآخرة . وأعظم بالسعادة الأبدية فائدة .
ومنها أنه لا يتأتى مع بقاء الغلفة مبالغة في النظافة ، ومع زوالها يتأتى ذلك .
ومنها أنه الذ في الجماع وأسرع لحيء الشهوة . وقد تكسل المغرلة عن
الانزال . ووجهه : أن رأس الحشفة أنعم من الجلدة ومع الخشونة يبعد
الانزال ، بل النعومة أصل في هذا الباب .

ومنها أنه أسرع في تدافق الانزال وانزعاج الماء لعدم الغلوف ، والمغرلة
تثبطه وتفتقره وإذا خرج فأنزل قلت اللذة ، وبعد عن محل التخليق فيبعد
حصول الولد ، الذي هو أهم المقاصد في النكاح ، استتقاء للنوع الانساني
الشريف وتسببيا لايجاد من يوحد الله تعالى ويععبده . ومنها أوامر الله تعالى
وطاعته ، خلق احسان وأيادي امتنان . وكلها تذهب بالفراغ من ملابتها
ولا يبقى لها أثر في الوجود الا الختان ، فانه يبقى مخلدا في الجسد الى
المات . وهذه خصيصة عظيمة دالة ما بقي الانسان على توجه الأمر الرباني
عليه والانتابة والطاعة لديه ، وكفى بهذه المنتر شرفا للانسان على الأزمان ،
واليها الاشارة بما تقدم من التوراة : « ليكون عهدي ميسما في أجسادكم عهدا
دائما على الأبد » فهذه خمس فوائد جلية جهلها الأغبياء ، وشقى بتركها
السفهاء . وثالثها : أنهم تركوا أحكام الله تعالى بالتوهم وتابعوا الهوى
والتحكم وتأولوا من غير حجة للتأويل ، ورفضوا النص الصريح في التنزيل .
وذلك هو التحريف والتبديل . ورابعها : ما كفاهم دفع كتاب الله عز وجل

حتى فضلوا أهواءهم على شرع الله تعالى : فقالوا : والأحسن أن تترك
الأجساد كما تخلقت ، وتبقى كما برئت ، ولم يعلموا أن الله سبحانه حكما فى
خليقته ، تدق على الأفكار ، وأحكما أبدها مادام الليل والنهار ، فثبا لمجمع
بحكم بعقله المقاصر ، ويبطل ما أمرت به كتبه الأوائل والأواخر ، من غير
دليل خفى أو ظاهر . وما هذا الا غاية الجهل والعماد ، واخترع شريعة
لم ينزلها البارى سبحانه للعباد «

تتمة :

ولننقل لك من كتبهم ما يؤيد ما أسلفناه من حال بولس ، ومسألة الختان ،
ليزداد لك الحال وضوحا وتبيانا . قال مفسرهم الخورى فى أول تفسيره
للرسائل فى النسخة المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٤٣ مسيحية « **توجهة**
القديس بولس الرسول : مخرجه من سبط بنيامين ومولده طرسوس فينيقيا ،
وقد كان لأهل « طرسوس » من « يوليوس قيصر » و « اغوستينوس » حق
الأهلية الرومانية ، لأن أهل « طرسوس » عاونوا الرومانيين فى الحرب ،
فجعل لهم الملكان المذكوران حق الاهلية . وعليه كان بولس رومانيا مدنيا ،
فعلم العلوم الرياضية فى مدينة « طرسوس » واما العلوم المذهبية فتلقاها
فى « أورشليم » وكان فى الحرب فريسيا ، ولتوهمه أن النصرانية تلقى
اليهودية وتنقضها ، حمل على اضطهاد النصارى ومقاومة المسيحيين ، فقاوم
على رجم القديس اسطفانوس ، أول شهيد من المسيحيين ، واستكتب رئيس
كهنة اليهود فى أورشليم رسالة الى مجمع اليهود فى الشام لبيبحوه أن يضبط
كل من يجده هناك من المسيحيين ، فلما كان متوجها الى الشام ، صرح فى
طريقته واستصرخ به المسيح من العلا : شاول شاول لماذا تضطهد فى ؟
فغشية العماء ولم يعد يبصر ، فقيد الى الشام وفيها إضافة رجل اسمه
يهودا ، من طرسوس ، وأتاه حنانيا الذى كان قد كوشف من الله عن
أمره فسفاه من عمائه وعمده ووضع عليه اليد . وذلك سنة ٣٤ أى بعد
صعود المسيح بنحو سنة ، فانقلب يبشر بالمسيح هناك ، ثم فى « أرابيا »
ثم عاد الى « دمشق » ففتاوى اليهود هناك على هلاكه ، فأقلت منهم

متديلا على السور ، وجاء الى « اورشليم » وفيها صلبوا المرسل وخطبهم ،
خائبوا تعليمه ، وضحوه اى شهدوا بضحته وصدقته ، لانهم وجدوه
مطابقا لتعليمهم ، ثم ذهب الى قبرجين حيث عمد سرجيوس يولس الوالى
سنة ٤٥ فمدى ياسمه على ما قال بعضهم ، وهناك اعمى نبيا يهوديا كاذبا
للقاومته له ومحاولته ازاحة الوالى المذكور عن ايمانه ، وفي سنة ٥١
حضر المجمع الاول فى اورشليم ثم انه حكم بى ان الختان ليس بضرورى
للمسيح ، لأن جملة ممن كان يتظاهروا بالانصرافية من المرسل الكذبة يدعون
الختان ، ويوجبونه على المؤمنين لحفظ رسوم الشريعة القديمة ، التى
انطقها المسيح ، وامتنق المؤمنون من عبوديتها ، ثم انه بعد ذلك بمدة ختن
« طيموثاوس » وذلك ليكون طيموثاوس مقبولا عند اليهود ، فان يولس
المرسل المذكور لما اراد ان يرسله الى اليهود ليُعظّمهم ، رأى ان اختنانه
ابلغ ما يكون فى تحبيبه اليهم ، فختنه ، وانما كان ليولس هذا الخيار فى
الختان ، من حيث ان الشريعة القديمة التى كانت قد انقضت وابطلت ،
لم تكن وهتند محرمة ، بل كان يجوز حفظها فى مثل هذه الحالة المذكورة .

ثم ان يولس ذهب يتتفد الكنائس التى كان قد اُنشأها فى « ارابيا
الصفرى » و « جبال » « سوريا » و « قيليقيا » ثم انه اخرج شيطانا من
فناة فجلد وحبس ، فانرجت الأرض وانحلت سلسله .

ثم ان اليهود هاجت عليه ، فانهزم منهم الى « بيرا » ثم انه جال
بعض البلاد وعمد من كان قد تعمد بمعمودية يوحنا ، وما برح يكابد اضطهادات
مبرحة ومتاعب موجعة الى أن جىء به مقيدا الى رومية سنة ٦١ ، ثم فى
سنة ٦٩ قطع رأسه فى رومية « انتهى باقتصار .

وتهافت هذا الكلام وتناقضه فى النقض والابرام لا يخفى على ذوى
الظن والأفهام . وقال يولس المذكور فى الأصحاح الخامس من رسالته الى
أهل غلاطية فى ابطاله الختان ما لفظه : « لاننا نحن انما ننتظر رجاء البر ،
بالروح الذى من الايمان ، لأن فى يسوع المسيح ليس الختان شيئا ولا الغرلة ،
بل الايمان الذى يكمل بالحب » انتهى .

قال مفسرهم الخورى « يوسف » : « يبرهن فى هذا على أن المتهودين الذين يرومون أن يتبرروا من الناموس قد سقطوا من المسيح ودينه ، وما هم مسيحيون حقا ، لأن المسيحيين الحقيقيين يطلبون البر المرجو من ايمان المسيح ، ومن روح النعمة والمحبة الذى هو من الايمان لا من الختان وغيره من أعمال الناموس » أه باقتصار . وقال : فى رسالته الى أهل رومية : « طوبى للرجل الذى لا يحسب الله له خطيئته ، فهذه الطوبى الآن للختان هى أم للغرلة ؟ اننا نقول : ان ايمان ابراهيم حسب له برا ، فكيف حسب له ؟ أفى الختان أم فى الغرلة ؟ ليس كان ذلك فى الختان ، بل فى الغرلة . وأخذ الختان سمة وختما لبر ابراهيم فى حالة الغرلة ليكون أبا لكل من يؤمن من أهل الغرلة ليحسب لهم الايمان برا ويكون أبا الختان لا للذين من أصل الختان فقط ، بل أيضا للمتبعين آثار ايمان غرلة أبينا ابراهيم » أه .

قال مفسرها الخورى : « اعلم أن الختان بالنظر الى ابراهيم كان علامة لثبوت ايمانه بولادة المسيح من زرعه ، وعلى ذلك قبل الختان فى عضو الزرع ، وأما من جهة الله فكان بمقام شهادة منه لابراهيم فى ايمانه . وقد شاء — تعالى اسمه — أن يبرر ابراهيم وهو أغلف ويجعل الختان علامة لايمانه كلفا بأن يكون أبا روحيا للامم الغلف ليحسب لهم ايمانهم بالمسيح بن ابراهيم للبر نظيره ويكون أبا أيضا لليهود أهل الختان ليكونوا أولاد اله لا باللحم والختان فقط ، ولكن بالايمان أيضا الموافق لايمانه بالمسيح ، على أنه لم يصر هو خليلا لله تعالى ومقبولا لديه الا بالايمان . كذلك اليهود فانهم لم يصيروا من أولاده الروحيين المحبوبين عند الله الا بايمانهم بالمسيح ، وكان الختان علامة الاقرار والايمان بالمسيح الآتى ، فختان اليهود الخالى من هذا الايمان ختان باطل » أه باقتصار .

ومن جميع ما نقلناه لك تعلم أن ترك الختان لم يكن فى زمن المسيح عليه السلام بل أبطله « بولس اليهودى » المذكور غشا للنصارى ، وأن بولس كان ذا مكر وخديعة ، وأضل النصارى بحيله وأكاذيبه التى منها

دعواه أنه عرج به الى السماء الثالثة كما صرح به فى رسائله . وان قول عبد المسيح فى رسالته هذه : « ان سبب الختان كان لأجل دخول بنى اسرائيل فى مصر » لم يقله أحد من النصارى غيره ، وما ادعاه ظاهر البطلان وتبين لك أنهم أبطلوا قول الله تعالى فى التوراة ان الختان مكتوب عليهم الى الأبد فتفطن ولا تغفل .

وأما عروجه الى السماء الثالثة والفردوس فقد ادعاه فى الاصحاح الثانى عشر من رسالته الثانية الى أهل كورنثوس قال مفسرها الخورى ما لفظه : « وأما اختطافه الى السماء الثالثة فقد جرى فى السنة الثامنة بعد ايمانه فى السنة الرابعة والأربعين للمسيح ، وذلك حين أرسل هو وبرنابا الى أنطاكية لا فى الأيام الثلاثة التى أقام فيها بعد ما صرعه اللدب فى سفره الى اللشام ، أما ايمانه بالمسيح فكان فى السنة السادسة والثلاثين فيكون اختطافه أى عروجه بعد ايمانه بثمان سنين ، وأما من جهة اختطافه بالجسد والروح معا حدث أم بالروح فقط ؟ فلا يعلم هو حقيقة ذلك لأن عقله سبى وشغل بما رآه ، والهى بما كشف له من الوحى ، فمن المفسرين من ذهب الى أنه بالجسد وانتقل انتقالا مكانيا ، ومنهم من ذهب الى أن روحه بارحت جسده وسمع هناك أقوالا لا يحل لانسان أن يتلفظ بها » أ.هـ باقتصار .

فتأمل ما قلناه بقلب خال عن العصبية ، والله سبحانه الموفق لاتباع الشريعة الأحمدية صلى الله تعالى على صاحبها فى كل بكرة وعشية وسلم تسليما .

قوله : « لعلنا أن من تغوط كان أحق أن يفيض عليه الماء » قد مر عليك فى هذا الكتاب ، وسلم عند ذوى الشرائع والألباب أن الأحكام التعبدية لا تغفل ولا يلزم علينا أن نعرف حكمتها وقد اعترف أيضا مفسروهم بذلك كما نقلناه لك أيضا فى غير هذا الموضع من كتابنا ، ما قاله الخورى فى تفسيره لرسالة بولس الأولى ، نمبر ٢ « أن بشارة الانجيل هى للطاعة لا للمجادلة ، ونحن مرسلون لبيتها لا لبيتها ونشرها ، لا لاثبات سرها ،

على أن ما قاله الله تعالى حقيق بالقبول والامتثال تؤن بحث وجدال « أهـ
على أن الحكمة فى الاغتسال من الجنابة دون التغوط ظاهرة . والفرق
بينهما جلى ، لأن المنى يخرج فى أزمئة قليلة بالنسبة الى خروج البول
والفائض فلو وجب فيها الاغتسال للزم الحرج على العباد ، وقد قال
نعالى : « ما جعل عليكم فى الدين من حرج » ووجوب الاغتسال بعد
الجماع وخروج المنى لحكم ، منها أداء لشكر هذه القسمة ، ومنها أن الانسان
إذا اغتسل بعدها تشتبط أعضاؤه وتعود قوته ويذهب فتوره الذى حصل
بعد الجماع ، حتى أنه ربما يشتهي الجماع مرة ثانية ، ولو كان الأمر
كما زعم عيد المسيح لما وجب الاغتسال فى شريعة موسى على المائض
ولجاز التقرب منها والنوم معها لزوجها ، مع أن الاغتسال واجب عليها
والتقرب منها غير جائز فى شريعته (١) .

وقال العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية فى كتابه أعلام الموقعين :
« ان ايجاب الشرع الغسل من المنى دون البول ، فهذا من أعظم محاسن
الشريعة ، وما اشتملت عليه من الرحمة والحكمة والمصلحة ، فان المنى
يخرج من جميع البدن ، ولهذا سماه الله تعالى سلاله ، لأنه يخرج ويسيل
من جميع البدن . وأما البول فانما هو فضلة الطعام والشراب المستحيلة
فى المعدة والمثانة ، فتأثر البدن بخروج المنى أعظم من تأثره بخروج البول .
وأبضا : فان الاغتسال من خروج المنى من أنفع شئ للبدن والقلب والروح
بل جميع الأرواح القائمة بالبدن فانها تقوى بالاغتسال والغسل يخلف
عليه ما تحلل منه بخروج المنى . وهذا أمر يعلم بالحس . وأيضا : فان الجنابة
توجب ثقلا وكسلا والغسل يحدث له نشاطا وخفة ، ولهذا قال أبو ذر رضى

(١) كان يجب على المؤلف أن يذكر هذا النص : « واذا حدث من
رجل اضطجاع زرع يرحض كل جسده بماء ويكون نجسا الى المساء .
وكل ثوب وكل جلد يكون عليه اضطجاع زرع يغسل بماء ويكون نجسا
الى المساء . والمرأة التى يضطجع معها رجل اضطجاع زرع ، يستحمان
بماء ويكونان نجسين الى المساء » (لاويين ١٥ : ١٦ - ١٨)

الله تعالى عنه لما اغتسل من الجنابة كئنها أقيت عنى جيبلا . وبالجملة :
فهذا أمر يدركه كل ذى حس سليم وفطرة صحيحة ، ويعلم أن الاغتسال
من الجنابة يجرى مجرى المصالح التى تلحق بالضروريات للبدن والقلب ،
مع ما تحدثه الجنابة من بعد القلب والروح عن الأرواح الطيبة ، فاذا
اغتسل زال ذلك البعد .

وقد صرح أفاضل الأطباء بأن الاغتسال بعد الجماع يعيد الى البدن
قوته ويخلف عليه ما تحلل منه ، وأنه أنفع شىء للبدن والروح ، وتركه
مضر ، ويكنى شهادة العقل والفطرة بحسنه ، على أن الشارع لو شرع
الاجتسال من البول لكان فيه أعظم حرج ومثقة على الأمة ، ولنع حكمة
الله تعالى ورحمته وإحسانه الى خلقه . وبالله التوفيق « أ. هـ

ثم اعلم أن هذا النصرانى يقبح الأحكام الالهية الثابتة فى الشريعة
المحمدية والموسوية برأيه الفاسد واتباع هواه الذى هو بأس رائد فيحسن
القبیح ويقبح الحسن . فأما الأول فتحسينه بأن يأكل الانسان ما يشتهيهِ
من لحم الخنزير ودود البغائط وسائر الحيوانات والحشرات والنجاسات ،
مع أن الله سبحانه حرمها عليهم فى التوراة . وأما الثانى فيقبح التطهر
والاجتسال من الجنابة والتوضؤ للصلاة والاستنجاء من النجاسة ، مع
أن الله عز وجل أوجب التطهر والاجتسال من الجنابة فى التوراة ، وشده
عليهم فى ذلك أكثر مما فى الشريعة المحمدية ، وعيسى عليه السلام
لم يبطل أحكام التوراة على ما نقلوه عنه فى أناجيلهم أنه جاء مكملًا
(أى مصححًا) لا مبطلًا وناقضًا . وقال متى فى الاصحاح الثالث والعشرين
من انجيله ما لفظه : « حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً : جلس
المكتبة والفريسيون على كرسي موسى ، فكل ما قالوا ما قالوا لكم أن
تحفظوه فاحفظوه وافعلوه »

فحكم عليه السلام بأن كل ما قالوه يجب حفظه ، ولا شك أنهم قالوا
برجوب حفظ أحكام التوراة التى فيها فى الاصحاح الخامس عشر من
سفر الأحبار (اللاويين) ما لفظه : « وأيما رجل خرجت منه جنابة
ليغسل جسده كله بالماء ، ويكون نجسا الى المساء ، وأي ثوب أو جلد

وقمت عليه النطفة ، فليفضل بالماء ، ويكون نجسا الى المساء ،
وإذا جامع الرجل المرأة فليستحما كلاهما بالماء ويكونان نجسين الى
المساء ، والمرأة اذا كان بها حيض الدم وكان حيضها دما فى جسدها
فلتجلس طامئة سبعة أيام ، وكل من يلمسها يكون نجسا الى المساء ،
وكل شئ تنام أو تجلس عليه فى أيام حيضها فانه نجس ، ومن لمس
فراشها فليفضل ثيابه ويستحم بالماء ويكون نجسا حتى الليل ، فأبعد بنى
اسرائيل عن النجاسة لئلا يموتوا فى نجاستهم ولا ينجسوا مسكنى الذى
بينهم « أ.هـ باقتصار . وقد نقلناه فيما سبق ، فتذكر .

فاذا زعم المسيحي أن هذه الأحكام نسخها المسيح وأجاز عدم التطهر
من النجاسة والجنابة والحيض ، فنقول : ان شريعتنا جاءت بمقوسطة
خالية عن تشديد التوراة وعن تخفيف الانجيل كما قال تعالى : « جعلناكم
أمة وسطا » فانهم .

تذنيب : الأعجب من ترك النصارى لهذه النصوص التوراتية ترك
اليهود لها ، فقد سألت غير واحد من اليهود عن حكم الاغتسال من الجنابة
والحيض عندهم فأجابوا أنهم الآن لا يفتسلون من الجنابة ، غير أن
نساءهم يفتسلن عند تمام مدة الحيض فقط ، فاعترضت عليهم بهذه الأحكام
التوراتية ، فأجابوا بأن بيت المقدس لما أخذ من أيديهم وخرب قبل بعثة
نبينا عليه الصلاة والسلام تركوا الاغتسال من الجنابة بلا أمر الهى ،
لأنهم فى حالة الحزن وهى لا يوافقها التطهر ، فقلت لهم : انن ينبغى
بزعمكم أن تترك المرأة الغسل من الحيض كما تركت الاغتسال من الجماع ،
فبهتوا ولم ينطقوا ببنت شفة ، فانظر الى هذا التحريف والتبديل واتباع
الهوى والسفسه وأعجب بمن اتخذ الهه هواه ورهبانهم أربابا من دون الله
ولا حول ولا قوة الا بالله .

قوله : من اجتنب منا أكل لحم الخنزير لأن ذلك غير محرم عليه « الخ .
العجب من النصارى وتناقض أقوالهم ، فانهم يقتلون فى أناجيلهم عن

المسيح عليه السلام أنه قال : « لا يزول شيء من أحكام التوراة » وأنه جاء مكملا مع أن الخنزير محرم في التوراة ، ويدعون عدم جواز النسخ ليتوصلوا بذلك الى ابطال نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ، ثم يدعون أن حرمة أكل الخنزير مفسوخة .

ولننقل لك هنا عبارة التوراة وما حرره النصارى عليها وما يتعلق بذلك من كلامهم ، ليتضح لك كيف لعب بهم مقدسهم بولس الذي ترجمنا لك حاله : ففي الاصحاح الحادى عشر من سفر الاحبار المسمى بسفر اللاويين أيضا ما لفظه : « وكلم الله موسى وهارون وقال لهما : كلما بنى اسرائيل . وقولا لهم : الأنعام التى تحل لكم أن تأكلوا منها من جميع الأنعام التى على الارض كل الانعام المشقوقة الظلف وتقسمه ظلفين وتجتزكلوا منها الا هذه فلا تأكلوها مما تجتز وما يشق الظليف : الجمل لأنه يجتز ولكنه لا يشق ظلفا فهو عليكم حرام » الى أن قال : « والخنزير لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين ولكنه لا يجتز فهو عليكم حرام ، فلا تأكلوا من لحم هذه البهائم ولا تمسوا لحومها لأنها نجسة محرمة عليكم » أ.هـ من النسخة المطبوعة فى الموصل بمطبعة الآباء الدومنيكين سنة ١٨٧٥ .

وقال محبيها ما لفظه : « قد ميز الله سبحانه بين الحيوانات لبنى اسرائيل وحرم عليهم أكل بعض منها لأسباب صوابية منها أن يعودهم على القناعة فى الأكل ، ومنها أن يمنع الأذيات الحاصلة من هذه الحيوانات النجسة التى أغلب أكلها مضر بعافية الجسد أو مهيجة للشهوة ، ومنها : أن يميزهم من سائر الأمم الذين كانوا يأكلون هذه الحيوانات فيبعدهم عن عبادتهم وذرائلهم ، ومنها : أن يكون لهم هذا التمييز الخارجى بين النجس والطاهر ، دليلا على دنس النفس بكسر وصايا الله وطهارتها بعمل الفضائل ولا يخفى أن نجاسة هذه الحيوانات التى حرّمها الله على اليهود لم تكن جوهرية فى نفسها ، فكانت هذه الشريعة وقتية ، وقد نسخها المسيح إذ أعتننا من عبودية التوراة ، فحلال لنا أن نأكل من لحم كل حيوان لا تأنف منه النفس ولا يضر بصحة البدن » أ.هـ

فما ادعاه « عبد المسيح » من سبب تحريم الخنزير لا دليل له . وقد اعترف غيره من النصارى ان من اسباب التحريم ان الخنزير ونحوه مما حرم على بنى اسرائيل انما كان لنجاسته وان اكله مضر بمافية الجسد ، واما النسخ الذى ادعوه فلا دليل عليه ايضا ، بل تجويز اكل هذه النجاسات ونحوها لهم ، من جملة ما ابتدعه بولس اليهودى ، كما فصلناه لك غير مرة ، ومن المعلوم ان الخنزير انما حرم لان الغذاء يصير جزء من جوهر المغتذى ، فلا بد ان يحصل للمغتذى اخلاق وصفات من جنس ما كان فحاصلا فى الغذاء والخنزير ، مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة فى المشتبهات ، فحرم اكله على الانسان ، لئلا يتكيف بتلك الكيفية ، وهو بخلاف الشاة ، فانها حيوان فى غاية السلامة ، فكأنها ذات عارية عن جميع الاخلاق ، لذلك لا يحصل للانسان بسبب اكل لحمها كيفية اجنبية عن احوال الانسان وهذه العلة دائمة فى الخنزير ، فكيف يحله الله تعالى بعد ما حرمه ؟ وشاهد الوجود من اعظم الأدلة على ما ادعينا ، وهو انما نرى من يأكل ذلك تسلب منه الفيرة الانسانية ، ويتصف بصفات غير مرضية ، وربما يبتلئ بملل ردية ، كما هو مسلم عند كل منصف .

قوله : « لأن الله تعالى لم يخلق شيئا قبيحا » الخ

لا يخفى أن الله تعالى أحسن كل شيء خلقه ، كما قال سبحانه فى سورة السجدة من القرآن العظيم : « الذى احسن كل شيء خلقه » وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة قليلا ما تشكرون « قال المفسرون فى الآية أوجه : الأول : معنى « أحسن » : حسن لأنه ما من شيء الا وهو مخلوق على ما تقتضيه الحكمة ، فكل المخلوقات حسنة . والثانى : أن يكون ضمن « أحسن » معنى أعطى ، والمعنى أعطى كل شيء خلقه ، الذى خصه به . وهذا على قراءة اسكان اللام فى خلقه . الثالث : ان المعنى أتمن وأحكم خلق مخلوقاته ، فبعض المخلوقات وان لم تكن حسنة فى نفسها ، فهى متقنة محكمة ، فتكون هذه الآية معناها معنى « أعطى كل شيء خلقه » أى لم يخلق الانسان على خلق البهيمة ،

ولا خلق البهيمة على خلق الانسان . وقيل هي عموم في اللفظ خصوص في المعنى ،
أى أحسن خلق كل شيء حسن . وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما :
أما رأيت القردة ليست بحسنة ، ولكنه أحكم خلقها . وعنه في الآية . قال :
أما ان است القردة ليست بحسنة ، ولكنه سبحانه أحكم خلقها . وقال :
« خلقه » صورته . وقال : أحسن كل شيء ، القبيح والحسن والعقارب
والحيات ، وكل شيء مما خلق وغيره لا يحسن شيئا من ذلك . وأخرج
الإمام أحمد والطبرانى عن الشريد بن سويد ، قال : أبصر النبي ﷺ رجلا
مد أسنانه أزاه فقال : « ارفع أزارك » فقال : يا رسول الله انى أحنفه
تصطبك ركبناى . فقال : « ارفع أزارك كل خلق الله حسن » وقال بعض
الافاضل ان الله تعالى خلق فى كثير من المخلوقات مغانع ومضار ، فالحية
ونحوها فيها من المنافع ما لا يعلم علمه الا الله تعالى ، وكذلك فيها من
المضار الظاهرة ظهور الشمس فى رابعة النهار .

ويقال لعبد المسيح : هل الشيطان هو من جملة المخلوقات حسن أم
قبيح ؟ وكذا كثير من المخلوقات كالسم القاتل والنار والجحيم والعقارب
والحشرات هل هي قبيحة أم حسنة .

قوله : « فالسبب فيه من ذنك اليهوديين »

لا يخفى عليك أن هذا كذب ظاهر لأن ابن سلام أسلم بعد الهجرة ، وهب
بن منبه ليس من الصحابة بل من التابعين ، ووفاته سنة أربع عشرة ومائة
كما تقدمت لك ترجمته ، فكيف يقال : انهما اللذان أفسدا ؟ فما هذا القول
من النصرانى الا ترهات ، وتمويه على ضعفة العقول من أهل دينه ، فلا تغفل

قوله : « فأما خفض النساء » الخ .

فكلام ليس له أصل ولم نره فى العهد القديم ولا الجديد ، بل الذى
فيهما أن ختان الذكور فرض على بنى اسرائيل الى الأبد ، وأن عيسى عليه
السلام وآبائه الكرام كلهم ، اختتنوا ، كما نقلناه وبيناه لك غير مرة .
وأما خفض النساء اختتانهن — فلم نره فى العهدين . وما نقله من السبب

فلم تر له أثر ولا عين . والخفض للنساء عندنا من الأمور المستحبة
المستحسنة لا الواجبة .

قوله : « ان هاجر صارت الى بلد تهامة ، وفعلت بالنساء » للمقصد
الذى زعمه .

فلا يخفى عليك ان هذا النصرانى يختلق لأحكام الشرائع أسبابا من
تلقاء نفسه ، ليروج بها باطله ، والظاهر أن هذا من جملتها . ثم اعلم
أنه لم تساعده نفسه لمآربه الخبيثة أن يصرح بأن هاجر رضى الله تعالى
عنها صارت الى مكة المعظمة ، بل قال الى تهامة ، لأن تهامة كما فى القاموس
بالكسر مكة شرفها الله تعالى وأرض معلومة لا بلد .

وفى سفر التكوين من التوراة عند ذكر أحوال سيدنا ابراهيم عليه
السلام وهاجر أنها لما أخذت اسماعيل عند ما طلبت سارة اخراجه « فخرجت
به وتاهت فى البرية ووضعته تحت شجرة ومضت وجلست بعيدا عنه ،
لثلاثى موته ، فناداها الملك : أن قومى وخذى الصبى فانى أجعله لشعب
عظيم ، ففتح الله عينها ، فنظرت بثرا من ماء ، فمألت السقاء ، وسقت
الصبى ، وكان الله معه ، ونهى وسكن برية فاران » انتهى من الاصحاح
الحادى والعشرين . وفاران هى مكة كما أثبتناه لك فيما سبق ، والبئر
هى بئر زمزم كما هو معلوم غير أن النصرانى أتى بلفظ تهامة لأن قلبه لم
يساعده على التصريح بأن هاجر سكنت فى مكة التى تسمى فى التوراة
فاران ، لأن فيها ان النبوة والشريعة تظهر من فاران ، فاذا قال ان هاجر
صارت الى فاران أو الى مكة يخشى أن يستدل عليه حينئذ بما ورد فى
التوراة لنبوة نبينا محمد ﷺ « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى
الله الا أن يتم نوره » وتفصيل مجيىء سيدنا ابراهيم واسماعيل عليهما
السلام الى مكة المشرفة وتعميرها البيت وصيرورة مكة بلدا مشهورا مدون
فى الكتب التفسيرية والتاريخية ، ولعلنا نذكره فى محل آخر ان شاء
الله تعالى . والله سبحانه الموفق .

قال النصراني : « وأما دعواك لى بالحج الى بيت الله الذى بمكة ورمى الجمار والتلبية وتقبيل الركن والمقام ، فسبحان الله ما اعظم هذا الكلام ، لقد جئت بامر فرى ، كائك تكلم صبيا أو تخاطب غيبا أو تجادل عيبا ، فليت شعرى اليس هو الموضع الذى عرفناه جميعا حق معرفته ، ووقفنا على أصول أسبابه ؟ وكيف كانت القصة فى ثباته ؟ وكيف جرى أمره الى هذه الغاية ؟ أولا تعلم أن هذا فعل الشمسية والبراهمة الذى يسمونه النسك بأصنامهم بالهند ، فانهم يفعلون فى بلادهم هذا الفعل بعينه الذى يفعله المسلمون اليوم ، من الحلق والتعرى الذى يسمونه الاحرام ، والطواف ببيوت أصنامهم الى هذا الوقت على هذه الحالة ، فلم تزد عليه أنت شيئا ولا نقصت منه ذرة ، فانك أخذته بذلك الفعل الذى سميته النسك متمسكا بتلك العادة محتذيا تلك السبل ، الا أنك تفعله فى السنة مرة واحدة فى وقت مختلف ، وأولئك يفعلونه فى السنة مرتين فى دفعيتين معروفتين عند دخول الشمس أول دقيقة من الحمل وهو الربيع ، وفى دخولها أول دقيقة من الميزان وهو الخريف ، وفى الأول لدخول الصيف ، وفى الثانى لدخول الشتاء ، فهم يضحون كما تضحى أنت ، وينسكون كنسكك لأصنامهم وانذارهم ، فهذا سبب حجك ونسكك ومقامك تلك المقامات وأفعالك تلك الأعجوبات . وأنت وأصحابك عالمون أن العرب كانت تنسك هذه المناسك وتفعل هذه الأفعال فى قديم الزمان منذ بنت هذا البيت ، فلما جاء صاحبك بالاسلام لم نره زاد فى هذه الأفعال ولا نقص منها شيئا ، غير أنه لبعد المشقة وطول المسافة وتخفيف المؤنة جعله حجة واحدة فى السنة ، وأسقط من التلبية ما كان فيه شناعة والقصة هى تلك القصة بعينها التى تفعلها الشمسية والبراهمة ببلاد الهند الى هذه الغاية وتنسك فيها لأصنامها . وأنى لاستصوب قولنا لعمر بن الخطاب وقد وقف على الركن والمقام فقال : « والله لأعلم أنكما حجران لا تنفعان ولا تضران ، ولكنى رأيت رسول الله يقبلكما ، فانا أقبلكما كذلك » فان كان الرواة الصادقون رووا هذه الرواية عنه — كذبوا عليه أو لم يكذبوا — فقد صدقوا فى ما حكوه عن هذين الحجرين ، وان كانوا صدقوا عنه أنه قال ذلك ، فلقد قال قولنا

حقا ، فكيفما أردت القول أيها الحبيب لم يخرج عن قانون الحق .

فأما ما يريد العائب أن يعيب به من يلقى شعر رأسه ويتعري ويعدو ، ويرمى بالحجرات ، فهذا فعل من قد غرب عقله ، وأنكر فهمه ، ومن ينخبطه الشيطان ، فقد نجد مساغا للمعيب وموضعا للثلب . ولقد احتجنا لكم عند من ثلبكم ، وقلنا : إنما يفعلونه من جهة التعبد وليس في التعبد عيب ، فاجابنا : أن الله جل وعز حكيم ولم يتعبد خلقه بالسنن الفاحشة الشنعة التي تنفر الطباع منها ويستسجها العقل ، بل السنن التي يستحسنها العقل ويفضلها — أعنى السنن الواضحة التي ارتضاها الله وفرضها على عباده — أن يدينوا له بها ويتقربوا بأقامتها إليه ، والا فما اتكاركم على المجوس الأتجاس حيث نكحت الأمهات والبنات والإخوات وتطهرت بالبول المعتنق ، وأوقفت النساء أمام الوابذة حتى ينضحوا البول المعتنق على فروجهن بعد الولادة . فان كان هذا قبيحا في التعبد ، فما اتم فاعلوه من الحلق والتعري والرمى بالحجارة والهرولة أقبح ، وأقبح من هذا كله : ما جاء في نكر الطلاق ونكاح المرأة رجلا آخر يسمى الاستحلال ، وأن يذوق من عسيلتها وتذوق من عسيلته ثم مراجعة الرجل الأول بعد ذلك هذا ، وقد يكون لها أولاد رجال نبل وبنات نساء كبار ذوات بيوت ، والزوج الذي له الشرف النفيس والحسب الخطير ، وتكون هي المرأة النبيلة في قومها المئثار إليها في عشيرتها البهية في أهلها ذات المجد والبيت الرفيع ، فهذا أقبح وأشنع من فعل المجوس الأتجار الأتجاس ، وأن كان ذلك في غاية القبح والقذارة والتجاسة ، فهل ترى — أصلحك الله ورضى عنك — أن تدعوني الى مثل هذا الذي تستشنعه البهائم وتستقبح فعله ؟ فأتى أظن بغير شك أنها لو سئلت فاذن لها في النطق لأخبرتنا بقبح هذه الأفعال واستشنعها أياها وأعلمتنا — لو أجبنا الى دعوتك — أنا قد ظلمنا تمييزنا وطباعنا . وأعوذ بالله أن أكون من القوم الظالمين » انتهى .

فأقول : أنا نذكر لك أولا مما ورد في الكتب السماوية من ذكر « مكة » زادها الله تعالى شرفا ، ثم نرجع الى رد كلماته أيضا بتوفيقه

سبعائه واعانته فمن ذلك ما فى الإصحاح الرابع والخمسين من كتاب
اشعياء بشيرا الى مكة زادها الله تعالى شرفا ، ما حفظه : « سبحى أيتها
العاقرة التى لست تلهين ، أنشدى بالحمد ، وهالى التى لم تلدى من أجل
أن الكثيرين من بنى الوحشة أفضل من بنى ذات رجل ، يقول الرب .
أوسعى موضع خيئك وسرادق مضاربك أبسطى ، لا تشقى طولى
عبالك ، وعبى أوتالك لأنك تفتدين يمنة ويعرة ، وزرعك يرث الأمم ويعم
المدن الخربة ، لا تخافى لأنك لا تخزين ، ولا تخليق فانك لا تستعين ، من
أجل أنك غزى صباتك تضاه ، وغارية ملك لا تذكرين أيضا ، فانه يتولى
عليك الذى صنعك رب الجنود اسمه وفاتيك قدوس اسرائيل الله جميع
الأرض يدعى ، انما الرب دعاك مثل الأمراة المطلعة والحزينة الروح وزوجة
منذ الصبا مردولة ، قال الهك لساعة فى قليل تركتك ، وبرحمات عظيمة
أجمعك فى ساعة الغضب أخفيت قليلا وجهى عنك ، وبالرحمة الأبدية
رحمتك قال فأتيتك الرب ، مظما فى أيام نوح لى هذا الذى حطفت له
أن لا أصب مياه نوح على الأرض ، هكذا حطفت أن لا أغضب عليك ،
وأن لا أوبخك ، فان الجبال ترتجف والتلال تزلزل ورحمتى لا تزول عنك
وعهد سلامى لا يتحرك ، قال رحيمك الرب . فقيرة مستأصلة بعاصف
بلا تعزية ها أنا ذا أبلط بالرتبة حجارتك وأؤسسك بالسفير وأجهل بسبا
محاصنك وأبوابك حجارة منقوشة وجميع حدودك لأحجار مشتهية ، جميع
بنيك متعلمين من الرب ، وكثرة السلام لبنيك ، وبالبرتؤسسين ، فابتعدى
عن الظلم لأنك لا تخافين ، ومن الهيبة لانا لا نقرب منك ، ها يأتى الحار
الذى لم يكن معى ، والذى قد كان قريبا يقترب اليك ها أنا ذا خلقت صائفا
الذى ينفخ فى النار جهرا ، ويخرج اناء لعمله ، وأنا خلقت قنولا للاهلاك
كل اناء مجبول ضدك لا ينجح ، وكل لسان يخالفك فى القضاء تحكيم
عليه ، هذا هو ميراث عبيد الرب ، وعد لهم عندى يقول الرب « انتهى
بحروفه .

ولا يخفى عليك أن المراد بالعاقرة « مكة المعظمة » لأنها لم يظهر
منها نبي بعد اسماعيل عليه السلام ، ولم ينزل فيها وحى بخلاف «أورشليم»

لأنه ظهر فيها الأنبياء الكثيرون وكثر فيها نزول الوحي . والمراد بينى الوحشة أولاد « هاجر » لأنها بمنزلة المطلقة المخرجة من البيت ساكنة فى البر ، ولهذا ورد فى حق اسماعيل فى وعد الله تعالى هاجر : « هذا سيكون انسانا وحشيا » كما هو مصرح به فى الاصحاح السادس عشر من سفر التكوين . وقوله : « من بنى ذات رجل » أراد به أولاد « سارة » فخاطب الله تعالى مكة أمرا لها بالتسبيح والتهليل والاثيان بالشكر الجزيل ، لأن كثيرين من أولاد « هاجر » صاروا أفضل من أولاد « سارة » فحصلت الفضيلة لها بسبب حصول الفضيلة لأهلها . ووفى سبحانه بما وعد بأن بعث نبينا محمدا ﷺ رسولا أفضل البشر خاتم النبيين من أهلها فى أولاد هاجر وهو المراد بالصائغ الذى ينفخ فى النار جمرًا ، وهو القتل الذى خلق لاهلاك المشركين ، وحصلت لها الموسعة بواسطة هذا النبى الأمين ﷺ ولم يحصل لغيرها من المعابد ما حصل لها ، اذ لا يوجد فى الدنيا معبد مثل الكعبة المكرمة من ظهوره عليه الصلاة والسلام الى هذا الوقت ، بل والى الأبد والتعظيم الذى يحصل لها من القرابين فى كل سنة من مدة ألف وثلاثمائة سنة لم يحصل لبيت المقدس الا مرتين ، مرة فى عهد سليمان عليه السلام لما فرغ من بنائه ، ومرة فى السنة الثامنة من سلطنة يوشيا .

ولا شك أن هذا التعظيم باق بحوله تعالى الى آخر الدهر كما وعد سبحانه بقوله : « لا تخافى لأنك لا تخزين ، ولا تخجلين لأنك لا تستحين » وبقوله : « برحمات عظيمة أجمعك وبالرحمة الأبدية رحمتك » وبقوله : « حلفت أن لا أغضب عليك ، وأن لا أوبخك » وبقوله : « رحمتى لا تزول عنك وعهد سلامى لا يتحرك » وملك زرعها شرقا وغربا وورثوا الأمم وعمروا المدن فى مدة قليلة ، لا تتجاوز اثنين وعشرين سنة من الهجرة ومثل هذه الغلبة فى مثل هذه المدة القليلة ، لم يسمع من عهد آدم عليه السلام الى زمان نبينا المصطفى ﷺ لمن يدعى الدين الجديد . وهذا مفاد قول الله سبحانه : « وزرعك يرث الأمم ويعمر المدن الخربة » وسلطين الاسلام سلفا وخلفا اجتهدوا اجتهادا تاما فى بناء الكعبة والمسجد الحرام وتزيينهما

وحفر الآبار والبرك والعيون فى مكة المكرمة ونواحيها ، ومن المدة الممتدة هذه الخدمة الجليلة متعلقة بسلاطين آل عثمان — أدام الله تعالى دولتهم الى آخر الدوران ، وغفر لأسلافهم ووفقهم للمعدل والخير الدائم مدى الزمان — فكم وكم لهم من خدمة فى الحرمين المعظمين ، وتعمير شيد للمسجدين المحترمين ، حتى جعلوا خادم الحرمين الشريفين لهم لقباً ، وبنوا فيها أبنية جسيمة وآوا فيها من الطائفين والمعابدين والزائرين الغرباء فجاور الناس وحجوا ، وقصدت البيت فى كل سنة الوف من الأنام وثجوا ، وأنته من أقاليم مختلفة برا وبحرا ومشرقاً ومغرباً وشمالاً وجنوباً ، منهم الراكب ومنهم الماشى على قدميه ، لا يشكروا الما ولا تعباً . وهذا مطابق لقوله تعالى : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » وفى الله عز وجل أيضاً بما وعد فى قوله : « كل اناء مجبول بصدك لا ينجح » وقد شوهد مرارا أن من قصدها بسوء من المخالفين أذله الله تعالى ، وخيب قصده كما ذكرنا لك فى كتابنا هذا ، من حال أصحاب الفيل الذين أرسل عليهم طيراً أبابيل ونحو ذلك مما نخشى بذكره التطويل .

وقد ورد من الاخبار فى الكتب السماوية نحو هذا شىء كثير ، فاستدل على الموانر بالقليل « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل »

فى الاصحاح الثانى والأربعين من سفر أشعيا فى النسخة المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٧٢ ما لفظه : « هوذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى ، وضعت روى عليه ، فيخرج الحق للأمم لا يصرخ ولا يرفع ولا يسمع فى الشوارع صوته ، قصبة مرضوضة لا يقصف وقتيلة خادمة لا يطفىء الى الأمان يخرج الحق ، لا يكل ولا ينكسر ، حتى يضع الحق فى الأرض ، وتنتظر الجزائر شريعته هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض وتنتائجها ، معطى الشعب عليها نسمة والساكين فيها روحاً ، أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك ، وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونورا للأمم لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس

المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة ، أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر ، ولا تسبيحى للمنحوتات . هوذا الأوليات قد أتت وبالحدیثات أنا مخبر بها ، قبل أن تثبت أعلمكم بها .

غفوا للرب أغنية جديدة تسيحه من أقصى الأرض أيها المنحدرون فى البحر اولؤه والجزائر وسكنها ، لترفع البرية ومدتها صوتها ، الديار التى سكنها قيدار ، لترنم سكان سلع من رعوس الجبال ، ليهتفوا ليعطوا للرب مجدا ، ويخبروا بتسيحه فى الجزائر ، الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غرته ، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه ، قد صمت منذ الدهر سكنت تجلدت كالولددة أصبح أنفخ وأنخر معا اخرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها ، ولجعل الأنهار يبسا وأنشف الأجسام وأسرى العمى فى طريق لم يعرفوها فى مسالك لم يدروها ، أمشيهم أجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجات مستقيمة ، هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم ، قد ارتدوا الى الوراء يخزى خزياً المتكلمون على المنحوتات للقائلون للمسبوكة : أنتن آلهتنا أيها المصم اسمعوا أيها العمى انظروا لتبصروا ، من هو أعمى الا عبدي ، وأصم كرسولى الذى أرسله ، من هو أعمى كالكمال وأعمى كعبد الرب ناظر كثيراً ولا تلاحظ ، مفتوح الأذنين ولا يسمع الرب ، قد سر من أجل بره يعظم الشريعة ويكرمها ، ولكنه شعب منهوب ومسلوب قد اضطهد فى الحفر كله ، وفى بيوت الحبوس اختبأوا ، صاروا نهبا ولا منقذ ، وسلبا وليس من يقول رد ، من منكم يسمع هذا يصغى ويسمع لما بعد ، من دفع يعقوب الى السلب واسرائيل الى الناهيين ، ألس الرب الذى أخطأنا اليه ولم يشاعوا أن يسلكوا فى طرقه ولم يسمعوا لشريعته ، فسكب عليه حمو غضبه وشدة الحرب ، فاوقدته من كل ناحية ولم يعرف وأحرقته ولم يضع فى قلبه « انتهى جميع الاصحاح بحروفه .

ولننقله أيضا من النسخة المطبوعة فى لندن سنة ١٨٣١ على النسخة المطبوعة فى رومية سنة ١٦٧١ لتتضح لك بعض ألفاظ النسخة المتقدمة ، وتعلم أن كتب للمهد القديم والجديد ، كيف غيرت وحرفت ، وأنهم لم يكتبوا

بذلك ، حتى حرفوا كل نسخة طبعت أو طبعت ، وأنهم لا يزالون في كل طبع ، يغيرون الطبع المتقدم ، بحيث أنه الآن لا توجد عندهم نسختان متفتحتان وهذا دينهم وشنشنتهم في كتبهم .

ونص هذه النسخة بحروفها هو هذا : « ها هوذا عبي ، فاقبله مختارى سرت به نفسى ، أعطيت روحى عليه ، يخرج القضاء للأمم لا يصرخ ولا يحابى بشخص ، ولا يسمع صوته خارجا القصة المرضوضة لا يكسرهما والكتان المدخن لا يطفئه ، بالعدل يخرج القضاء لا يكون حزينا ولا متعبسا ، حتى يجعل فى الأرض القضاء وشريعته تنتظرها الجزائر ، هكذا يقول الرب الاله خالق السموات وبساطها مثبت الأرض وبانيها معطى النسمة للشعب الذى عليها ، ومعطى الروح للساكنين فيها . أنا الرب دعوتك بالعدل ومسكت بيدك وحفظتك وجعلتك عهدا للشعب ونورا للأمم ، لتفتح عيون العمى وتخرج من الحبس المسجون من بيت السجن الجالسين فى الظلمة ، أنا الرب هذا هو اسمى كرامتى لا أعطيها لغيرى ، ومدحى للمنحوتات التى قد كانت »

أولها قد أتت . وأنا مخير أيضا بالأحداث قبل أن تحدث ، واسمعكم اياها ، سبحوا للرب تسبيحة جديدة ، حمده من اقاصى الأرض راكبين فى البحر وملؤه الجزائر وسكانه ، يرتفع البرية ومدنها فى البيوت ، تحل قيديا سجوايا سكان الكهف ، من رعوس الجبال يصيحون . يجعلون للرب كرامة وحمده يخبرون به فى الجزائر ، الرب كجبار يخرج مثل رجل مقاتل يهوش الغيرة بصوت ويصيح على أعدائه يتقوى سكت دائما صمت صرت صبيرا فأتكلم مثل الطالقة أبدي وأبتلع معا أخرب الجبال والآكام وكل نباتهن ، أجفف وأجعل الأنهار جزائر والبحيرات أجففهن ، وأقيد العمى فى طريق لم يعرفوها والسبل لم يعلموا أسيرهم فيها . أصير أمامهم الظلمة نورا والعقب سهلا . هذا الكلام صنيعة لهم ، ولم أخذلهم اندبروا الى ورائهم فلينخروا خزيا المتوكلون على المنحوتة القائلون للمسبوكة : أن أنتم آلهتنا يا أيها

الصم فاسمعوا ، أيها العمى انظروا لتروا من هو أعمى الا عبدى ، ومن أصم الا الذى أرسلت رسلى اليه ، من أعمى الا المبيوع ، ومن أعمى الا عبد الرب أيها الناظر الأشياء الكثيرة ألسنت أنت حافظا يا صاغى الآذان ، ألسنت تسمع والرب أراد أن يطهره ويعظم الشريعة ويرفع ، فأما هو شعب منتهب ومخرب فح الشبان جميعهم ، واختفوا فى بيوت السجون صاروا نهية وليس من ينقذ وللغنية ، وليس من يقول رد من هو بينكم أن يسمع هذا يصفى ويسمع الآتية من أعطى يعقوب غنية واسرائيل للذهب ؟ أليس الرب بذاته الذى أخطئنا اليه ولم يريدوا يسلكوا بطرقه ، ولم يسمعوا لشريعته ، قصب عليهم سخط رجزه وخربا شديدا وأحرقه كما يحوط به ولم يدري وأوقده ولم يفهم « انتهى بحروفه .

وفى انجيل متى زاعما أن هذا الاصحاح مبشر فى المسيح ، وناقلا هو ومفسرهم الخورى عنه أن من جملة عبارته : « ها هو ذا عبدى » وفى الكلدانية : « ها هوذا المسيا » وقرأت اللاتينية : « فتاى الذى ارتضيت به وحببى الذى تاقت اليه نفسى أضع روحى عليه ، ويبشر الأمم بالحكم لا يماحك ولا يصيح ولا يسمع أحد صوته فى الشارع(١) ، قصبه مرضوضة لا يكسر وسراجا مطلقا لا يطفىء حتى يخرج الحكم الى الظفر » وقرأت العبرانية : « حتى يبرز الحكم الى الحق وعلى اسمه تتكل الأمم » وفى العبرانية « الجزائر » انتهى .

فانظر كيف اختلفت عبارات الانجيل أيضا عما هو محرر فى أشعيا مع أنه نقل عنه . وانظر هداك الله تعالى الى نور الايمان كيف غيرت النصارى كتبهم ، واختلفت نسخهم وتصرفوا فى الألفاظ والمعانى ، فأما الألفاظ فقد رأيتها . وأما المعانى فحملهم لها على أنها بشارة بالمسيح ، مع أنها دالة على البشارة بنينا عليه السلام ابن اسماعيل الذبيح ، واخبار بأنه المبعوث الى كافة الناس وأن « مكة » ستكون محل الحج بلا التباس ، وأن « المدينة » سيسكنها الموحدون الأكياس ، كما سيظهر ذلك هنا بحوله تعالى أتم

(١) الاصحاح الثانى والأربعين من سفر اشعيا .

الظهور ، وينتشر بنور الفجر الصادق ظلام الديجور ، فاستمع ما يتلى عليك من البراهين بعون الله الواحد المعين .

البرهان الأول : ان متى ان صح عنه انه كتب هذا مستشهدا به على البشارة بالمسيح عليه السلام فهو انما بعد رفع المسيح قبل بعثة نبينا ﷺ ولما بعث عليه الصلاة والسلام تبين فساد ظنه وخطأ فكره لأن الانجيل كما عرفته مرارا الفت بعد المسيح ، وتعدد مؤلفوها وتناقض مصنفوها ، وكثرت أكاذيب جامعيتها كما اتضح ذلك مرارا ، فعلى هذا لا يلتفت الى قول متى الانجيلي أن هذه البشارة تسمى الى عيسى عليه السلام .

البرهان الثاني : ان هذه الأوصاف لا تطابق أوصاف المسيح بل كثيرا منها مضاد لأوصافه ، فمن ذلك أن النصارى يزعمون انه هو الله تعالى بذاته ، وليس هو غير الله — تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا — فكيف « هوذا عبيدي » ؟ فلا بد وأن يكون هذا النبي المبشر به عبد الله ، والمسيح ليس بعبد ، بل هو الله بزعمهم ومن ذلك قوله : « لا يسمع في الشوارع صوته » فذلك لا يوافق قول النصارى أن المصلوب صرخ صرخة عظيمة هي ذلك المجمع العظيم . ومن ذلك قوله : « قصبة مرضوضة لا يقصف » الى آخره ، فهو أيضا لا يوافق قول النصارى ، أنه قتل وصلب ، فأى رض وقصف أعظم من القتل ؟ فقد وقع عليه الكسر الذي ليس له جبر ، وكذلك أغلب رسله ومن ذلك قوله « وأحفظك » فأى حفظ حصل له بزعمهم ، وقد كان يتخفى وينهزم من مخافة اليهود أن يقتلوه ، حتى أوقعوا به ذلك بزعمهم ومن ذلك قوله : « وعلى اسمه تتكل الأمم » وهذا لا يوافق قول المسيح كما في الاصحاح الخامس عشر من متى : « لم أرسل الا الى الخراف التي ضلت من بيت اسرائيل » وهم ليسوا بأمة بل أمة واحدة . وفي هذه الكلمات اشيء آخر لا تطابق أوصاف المسيح عليه السلام لا تخفى على ذوى الأفهام .

البرهان الثالث : ان هذه الأوصاف تطابق أوصاف نبينا عليه الصلاة والسلام لا محالة فمن ذلك قوله : « عبيدي » فهو عبد الله ورسوله ، قال تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد

الأقصى » ومن ذلك قوله « أعضده » فقد قال تعالى : « ان لا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه : « لا تحزن ان الله معنا » ومن ذلك قوله « مختارى » فقد قال عليه الصلاة والسلام « فاخترانى منهم » كما سيأتى تمامه . وقوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » أى مختارا من أحسنكم ومن ذلك قوله : « سرت به نفسى » يقين منه أنه هو غير نفسه ، حتى تسر به نفسه . وعند النصارى المسيح نفسه . فكيف تسر النفس بنفسها اذ السرور غير السرور ومن أجله كما لا يخفى . ومن ذلك قوله : « أضع روحى عليه » هو جبريل عليه السلام فانه هو المبلغ له الأحكام عن الملك العلام والمعاضد الناصر له فى الزحام ، قال تعالى : « تنزل الملائكة والروح فيها » وقوله تعالى : « وأيده بجنود لم تروها » ومن ذلك قوله : « يخرج للقضاء للأمم » فيه صراحة بأن هذا البشر به نبى لجميع الناس ، وأنه حاكم قاض بلا التباس ، فان نبينا عليه الصلاة والسلام كان نبيا وقاضيا ، قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيها شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما » وقال تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » والمسيح عليه السلام قال : « لم أجيء قاضيا » لما أراد المحاكمة عنده خصمان من بنى اسرائيل ، كما تقدم لك نقله . وقال : « انى لم ارسل الا الى الخراف التى ضلت من بيت اسرائيل » كما مر عليك نقله ومن ذلك قوله : « لا يصرخ » الى آخره . فقد كان عليه الصلاة والسلام متصفا بهذه الأوصاف كما أجمعت عليه أصحاب الشرائع والمحدثون وأهل الأخبار كما هو مفصل فى جميع الاسفار ، والمسيح قد صرخ بزعم النصارى على الخشبة صراخا عظيما ، فقال عذابا لئليها . وقوله : « شريعة تنتظرها الجزائر والأمم » مما أثبتناه مرارا عديدة فى البشارات عنه ﷺ التى فى التوراة والانجيل ، ولا سيما أن أهل الجزائر كجزيرة العرب وغيرها كانت تنتظره ، قال تعالى : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل » وقال تعالى : « ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد » وهو « الفيرقنيط » كما

أوضحناه لك فيما سبق : وقال تعالى « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل » . ما مضت فترة من الرسل الا بشرت قومها به الأنبياء . وقوله : « نور الأمم » الى آخره لا يحتاج الى بيان ، لظهوره والله يهدى من يشاء لنوره . ولما كانت أغلب الأمم تعبد الأصنام وغيرها ، وهم فى ظلمة الشرك والكفر ، كان عليه الصلاة والسلام نورا مزيلا لذلك الظلام ، والقرآن أيضا نور تهتدى به الأنام على مدى الأيام .

كنت نورا وكان ثم عماء ونبيا وليس طين وماء . وقوله « اسى ومجدى لا أعطيه لآخر » دليل ظاهر على عدم كون هذه البشارة بالمسيح لأنهم يزعمون فى أمانتهم أن عيسى هو الله فقد أعطى اسم الله ومجده كما يزعمون ذلك بقولهم : « ان الابن مساو له » وقوله : « ولا تسبيحى للمنحوتات » هذا أيضا ينافى ما تفعله أكثر فرق النصرى من سجودهم للصليب المنحوت ، ولريم كما قدمناه لك ، فنذكر وقوله : « والحديثات أنا مخبر بها » أى الأشياء التى ستأتى كنبوة محمد ﷺ أخبركم بها قبل كونها ، وغير ذلك من المغيبات ، قال تعالى : « عالم الغيب والشهادة » وقوله « سبحوا للرب تسبيحة جديدة » وهم المسلمون آمنوا بالله وأذنوا للصلوات الخمس فى كل يوم فى مساجدهم ، وفى سائر بقع الأرض وكبروا وهللوا وسبحوا ، وحمدوه من أقاصى الأرض وأتوا الى مكة برا وبحرا ملبين مسبحين مكبرين مصلين ذاكرين الله تعالى فى كل جبل وسهل ، قال تعالى : « وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » وقال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام : « ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك » الآية . وقال سبحانه أيضا حكاية عنه : « عند بينك المحرم ، ربنا ليقموا الصلاة » وقوله : « الديار التى سكنها قيدار » ظاهر فى أن هذه بشارة بالنبي ﷺ فان قيدار المذكور ابن اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام كما فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين . وكونه كان فى الحجاز ومكة أمر مسلم عند كل خير بالكتب السماوية والتاريخية وهو جد النبي ﷺ ومنه تولد . وليس لهذه البشارة مماسة

بعيسى عليه السلام بوجه من الوجوه ، لأنه ليس من أولاد قيدار بن اسماعيل بل من أولاد اسرائيل بن اسحاق كما هو مسلم عند الجميع . وقوله : « لترنم سكان سلع » الى آخره ظاهر أيضا فيما ادعيناه ، فسلع كما فى القاموس وغيره جبل بالمدينة مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام وحبل لهذيل . وقد رأيت كيف حرفها صاحب النسخة الثانية بقوله « يا سكان الكهف من رعوس الجبال » ومع تحريفه فهى أيضا ظاهرة الدلالة ، فأى اهل مكة يكبرون الله تعالى ويوحدونه فى آذانهم ويلبونه من رعوس الجبال ، ويصلون فى كل أرض ؟ ولو لم يكن كنيسة ومعبد غير المسلمين . وهذا جبل عرفة تأتيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها فيكبرون الله تعالى عليه ويصلون له ويدعون ويستغفرون فتبين بهذه البشارة بأن بعثة النبى عليه الصلاة والسلام تكون فى مكة والمدينة ، وأن دعوته تعم مشارق الأرض ومغاربها ، وأن رسالته عامة فكان كذلك ، وبقي فى ألفاظ هذه البشارة ١٠ لا يخفى عليك الاستدلال به على المقصود ، وانما ذكرناه لك بطوله ، لتعلم ما فى نسخهم من التبديل والمخالفات وتعرف بعض ما قال أنبياء بنى اسرائيل فى حق اليهود والله سبحانه وحده هو المعبود والمقصود .

تمة :

بعد أن حررت هذا الاصحاح من النسختين والانجيل رأيت العلامة القرافى المتوفى سنة ٦٢٢ هجرية قد حرر شيئا منه فى كتابه الأجوبة الفاخزة . **وانذكره لك** لتزداد اطلاعا على تحريفهم وخبرة بأنه نص فى البشارة بنبينا المصطفى المختار صلى الله عليه وسلم قال « البشارة الثلاثون : قال أشعيا عليه السلام فى نبوته منبها على محمد عليه الصلاة والسلام : « عبدى الذى يرضى نفسه أعطيه كلامى ، فيظهر فى الأمم عدلى ، ويوصيهم بالوصايا لا يضحك ولا يصخب ، يفتح العيون العور ويسمع الأذان الصم ، ويحيى القلوب الميتة ، وما أعطيه لا أعطيه غيره ، أحمد يحمد الله تعالى حمدا جديدا ، يأتى من أفضل الأرض فتترح به البرية وسكانها ، ويوحدون الله تعالى على كل شرف ويعظمونه على كل رابية ، لا يضعف ولا يفلب ولا يميل الى الهوى ، ولا يذل الصالحين ،

الذين هم كالقصب الضعيف ، بل يقوى الصديقين المتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يطفىء أثر سلطانه على كتفه » وهذا كلام عظيم مشتغل على علامات قوية جدا . ومنها : الاشارة الى كونه أفضل الرسل بقوله : « عبدى الذى يرضى نفسى » وهذه صيغة حصر كقولك : الله حسبى ، هو الذى يرزقنى أى لا يرزقنى غيره . ومنها : الاشارة الى عموم رسالته بكتاب من عند الله تعالى الى جميع الثقلين ، بقوله : « أعطيه كلامى فيظهر فى الأمم عدلى ويوصيهم بالوصايا » وهذا لم يكن قط الا لحمد عليه الصلاة والسلام . ومنها : أن الله تعالى ينشر هديه ويبسر على الأمم اجابته وتصديقه ، لقوله : « يفتح العيون العمور ويسمع الآذان المصم ويحيى القلوب الميتة » وهى صيغة عموم وشمول فى جميع الخلائق ، ولم يتفق ذلك الا لحمد عليه الصلاة والسلام . ومنها : أن شريعته أفضل الشرائع وكتابه أفضل الكتب وأمه خير الأمم لقوله : « وما أعطيه لا أعطيه غيره » ومنها : التصريح باسمه أحمد كما صرح باسمه محمد قبل هذا ، ولم تكن هذه الأسماء لغيره عليه السلام ومنها أن مكة : أشرف الأرض لقوله : « يأتى من أفضل الأرض » وقد تعين أنه أحمد فتكون أفضل الأرض مكة . ومنها : أنه « تفرح به البرارى والقفار وسكانها » وهذه الصفة لم تكن لغير العرب ولم يهد العرب وينشر فيهم ذكر الله تعالى الا محمد ﷺ فيكون هو المقصود . ومنها : أن هذه الرسالة تفتضى عبادة الله تعالى على كل رابية وشرف ، وهو من خصائص هذه الأمة فان الأمم قبلها لا يصلون الا فى البيع والكنائس وهذه الأمة حيث أدركتها الصلاة وأذنت وسبحت وهلت ، فتكون هذه الأمة هى الموعود بها . ومنها : أن دينه يدوم الى يوم القيامة لقوله : « وهو نور الله الذى لا يطفىء » ومنها : أن بكتفيه علامة نبوته لقوله : « اثر سلطانه على كتفه » ولم يكن على كتف أحد علامة نبوة الا محمد عليه الصلاة والسلام فهو المبشر به .

فهذه عشر علامات من أشعياء عليه السلام لا يحتاج معها فى الرد على أهل الكتاب الى غيرها . ومن أنصف منهم لا يجد محيدا عنها « انتهى بحروفه .

ثم انه عدد بشائر فمن ارادها فليرجع اليه ، فتبين لك اختلاف هاتين النسختين عن النسخة التي كانت موجودة زمن « القرافى » الذى توفى قبل ستمائة سنة واثنتين وعشرين سنة ، ولو لم تكن عبارتها بهذه الحروف التي حررها كيف يمكنه أن يعزى ذلك الى سفر أشعيا وهو يعلم أن النصارى سيرون كتابه هذا ، لأنه ألفه جوابا لاعتراضاتهم على المسلمين ، فلا شك أنه يخشى التكذيب لو كانت عبارته مخالفة للكتب الموجودة بين أيديهم .

ونقل هذه البشارة أيضا بهذه الحروف أبو الفضل الممالكى فى رده على النصارى .

وقال العلامة المحقق ابن القيم فى هداية الحيارى ما لفظه : « الوجه الثالث والعشرون قوله فى كتاب أشعيا أيضا : « عبدى وخيرتى ورضى نفسى أفيض عليه روحى » أو قال : « انزل عليه روحى ، فيظهر فى الأمم عدلى ويوصى الأمم بالوصايا ، لا يضحك ولا يسمع صوته ، يفتح العيون العمى — أو العور — ويسمع الأذان الصم ويحيى القلوب العلف ، وما أعطيه لا أعطى غيره ، لا يضعف ولا يغلب ، ولا يميل الى اللهو ولا يسمع فى الأسواق صوته ، ركن للمتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يطفأ ولا يخضم ، حتى تثبت فى الأرض حتى وتنقطع به المذرة » فمن وجد بهذا الوصف غير محمد بن عبد الله صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؟ فلو اجتمع أهل الأرض لم يقدرُوا أن يذكروا نبيا جمع هذه الاوصاف كلها ، وهى باقية فى أمته الى يوم القيامة غيره عليه الصلاة والسلام فقوله : « عبدى » مطابق لقوله تعالى فى القرآن : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا » وقوله : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » وقوله : « لما قام عبد الله يدعوه » وقوله : « وخيرتى ورضى نفسى » مطابق لقوله ﷺ « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم » وقوله « لا يضحك » مطابق لوصفه الذى كان عليه ﷺ ، قالت الصحابة : « ما رؤى رسول الله ﷺ ضاحكا

حتى تبدو لهواته انها كان يتبسم تبسما ، وهذا لأن كثرة الضحك من خفة الروح ونقصان العقل ، بخلاف التبسم ، فإنه من حسن الخلق وكمال الإبراك . وأما صفته ﷺ في بعض الكتب المتقدمة بأنه الضحوك القتال ، فالمراد به أنه لا يمينه ضحكه وحسن خلقه عن القتل إذا كان حدا . الله تعالى وحقا له ، ولا يمينه ذلك عن تبسمه في موضعه ، فيعطى كل حال ما يليق بتلك الحال ، فترك الضحك بالكيفية من الكبر والتجبر وسوء الخلق وكثرته من الخفة والطيش ، والاعتدال بين ذلك غير منكر . وقوله « انزل عليه وحى » مطابق لقوله تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا » وقوله تعالى : « ينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون » وقوله : « يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده ، لينذر يوم التلاق » فسمى الوحي روحا لأن حياة الثلوب والأرواح به كما أن حياة الإبدان بالأرواح . وقوله : « فيظهر في الأمم عدلى » مطابق لقوله تعالى : « فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم » وقوله عن أهل الكتاب : « فان جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم ، وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا ، وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط » وقوله : « يوصى الأمم بالوصايا » مطابق لقوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » وقوله تعالى في سورة الأنعام : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا » الى قوله تعالى : « ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » ثم قال : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده » الى قوله تعالى « ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » ثم قال : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ووصاياه ﷺ هي عهوده الى الأمة بتقوى الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له والتمسك بما بعثه الله عز وجل به من الهدى ودين الحق ، والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه .

وقوله : « ولا يسمع صوته » يعنى ليس بصخاب ، لا له قدر كحال

من ليس له حلم ولا وقار . وقوله : « ويفتح العيون العمى والآذان الصم والقلوب » إشارة الى تكميل مراتب العلم والمهدى الحاصل بدعوته فى القلوب والابصار والاسماع ، فباينوا بذلك أحوال الصم البكم العمى الذين لهم قلوب لا يعقلون بها فان الهدى يصل الى المعبد من هذه الأبواب الثلاثة وهى مخلقة على أحد لا تفتح الا على أيدي الرسل ، ففتح الله تعالى بمحمد ﷺ الأعين العمى فأبصرت بالله والآذان الصم ، فسمعت عن الله تبارك وتعالى والقلوب الغلف ففغلت عن الله سبحانه ، فانقادت لطاعته عقلا وقولا وعملا وسلكت سبيل مرضاته ذللا . وقوله : « وما أعطيه فلا أعطى غيره » مطابق لقوله ﷺ « أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء قبلى » ولقول الملائكة لما ضربوا له المثل : « لقد أعطى هذا النبى ما لم يعط نبى قبله ، ان عينيه ينامان وقلبه يقظان » فمن ذلك انه بعث الى الخلق عامة وختم به ديوان الأنبياء عليهم السلام ، وأنزل عليه القرآن لم ينزل من السماء كتاب يشبهه ولا يقاربه وأنزل على قلبه محفوظا مثلوا وضمن له حفظه الى أن يأتى الله بأمره وأوتى جوامع الكلم ونصر بالرعب فى قلوب أعدائه ، وبينهما مسيرة شهر وجعلت صفوف أمته فى الصلاة على مثال صفوف الملائكة فى السماء ، وجعلت الأرض له ولأمته مسجدا وطهورا ، وأسرى به الى أن جاوز السموات المسبح ورأى ما لم يره بشر قبله ورفع على سائر النبيين ، وجعل سيد ولد آدم وانتشرت دعوته فى مشارق الأرض ومغاربها واتبعه على دينه أتباع أكثر من أتباع سائر النبيين من عهد نوح الى المسيح عليهما السلام .

فأمته ثلثا أهل الجنة ، وخصه بالوسيلة وهى أعلى درجة فى الجنة بالمقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون وبالشفاعة العظمى التى يتأخر عنها آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وأعز الله تعالى به الحق وأهله عزا لم يعزه بأحد قبله وأذل به الباطل وحزبه ، ذلا لم يحصل بأحد قبله وأتاه من العلم والشجاعة والصبر والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة والعبادات القلبية والمعارف الالهية ما لم يؤتته نبى قبله ، وجعلت الحسنه منه ومن أمته بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ، وتجاوز له عن أمته الخطأ والنسيان وما استكروها عليه وصلى الله

تعالى عليه وهو وجيع ملائكته وأمر عباده المؤمنين كلهم أن يصلوا عليه ويسلموا تسليما ، وقرن اسمه باسمه فاذا ذكر الله تعالى ذكر معه كما فى الخطبة والتشبهه والآذان فلا يصح لأحد آذان ولا خطبة ولا صلاة ، حتى يشهد أنه عبده ورسوله ولم يجعل لأحد معه أمر يطاع لا ممن قبله ولا من هو كائن بعده الى أن تطوى الدنيا ، ومن عليها وأغلق أبواب الجنة الا من سلك خلفه واقتدى به .

وجعل لواء الحمد بيده ، فأدم وجميع الأنبياء تحت لوائه يوم القيامة ، وجعله أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع ، وأول من يقرع باب الجنة ، وأول من يدخلها فلا يدخلها أحد من الأولين والآخرين الا بشفاعته ، وأعطى من اليقين والايان والصبر والثبات والقوة فى أمر الله والمعزيمة على تنفيذ أوامره والرضا عنه ، والشكر له والتنوع فى مرضاته وطاعته ظاهرا وباطنا سرا وعلانية فى نفسه وفى الخلق ما لم يعط نبى غيره . ومن عرف أحوال العالم وسير الأنبياء وأمهم يتبين له أن الأمر فوق ذلك ، فاذا كان يوم القيامة وظهر للملائق من ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (علم) أن يكون أبدا .

وقوله « ولا يضعف ولا يغلب » هكذا كان حاله صلوات الله وسلامه عليه ما ضعف فى ذات الله تعالى قط ، ولا فى حال انفراده وقلة أتباعه وكثرة أعدائه واجتماع أهل الأرض على حربه ، بل هو أقوى الخلق وأثبتهم جأشا وأشجعهم قلبا ، حتى أنه يوم أحد لما قتل أصحابه وجرحوا ما ضعف ولا استكان ، بل خرج من الغد فى طلب عدوه على شدة الفرح حتى أربع منه العدو وكر خاسئا على كثرة عددهم وعددهم وضعف أصحابه ، وكذلك يوم حنين أفرد عن الناس فى نفر يسير دون العشرة والعد وقد أحاطوا به وهم ألوف مؤلفة فجعل يثبت فى العدو ، ويقول : أنا النبى لا أكذب أنا ابن عبد المطلب . ويتقدم اليهم ، ثم أخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فولوا منهزمين .

ومن تأمل سيرته وحروبه عليه الصلاة والسلام علم أنه لم يطرع

العالم أشجع منه ولا أثبت ولا أصبر ، وكان أصحابه مع أنهم أشجع الأمم إذا أحرر البأس واشتد الحرب اتقوا به وتترسوا به ، فكان أقربهم إلى العدو ، وكان أشجعهم هو الذى يكون قريبا منه .

وقوله : « ولا يميل الى اللهو » هكذا كانت سيرته أبعد الناس من اللهو واللعب ، بل أمره كله جد وحزم وعزم ، مجلسه مجلس حياء وكرم وعلم وايمان ووقار وسكينة . وقوله : « ولا يسمع فى الأسواق صوته » أى ليس من الصخابين بالأسواق فى طلب الدنيا والحرص عليها كحال أهلها الطالبين لها . وقوله : « ركن للمتواضعين » من تأمل سيرته وجده أعظم الناس تواضعا للصغير والكبير والمسكين ، والأرملة والحر والعبد ، يجلس معهم على التراب ، ويجيب دعوتهم ويسمع كلامهم وينطلق مع أحدهم فى حاجته ، ويخصف لأحدهم نعله ويخيط له ثوبه ويأخذ له حقه ممن لا يستطيع أن يطالبه به .

وقوله : « وهو نور الله الذى لا يطفأ ولا يخضم ، حتى يثبت فى الأرض حتى وينقطع به العذر » هذا مطابق لحاله وأمره عليه الصلاة والسلام ولما شهد به القرآن فى غير موضع ، كقوله تعالى : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون » وقوله : تعالى « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » وقوله تعالى : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا » ونظائره فى القرآن كثيرة . وقوله : « حتى ينقطع به العذر وتثبت به الحجة » مطابق لقوله تعالى : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » وقوله تعالى : « ولولا أن تصيبيهم مصيبة بما قدمت أيديهم ، فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين » وقوله سبحانه : « أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين ، أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ، فقد جاءتمك بينة من ربكم وهدى ورحمة » فالحجة إنما قامت على الخلق بالرسول

وأيهم انقطعت المذرة ، فلا يمكن من بلغته دعوتهم وخالفها أن يعتذر إلى الله تعالى يوم القيامة ، إذ ليس له عذر يقبل منه .

واعلم : أن هذه البشارة مطابقة لما في صحيح البخارى أنه قيل لعبد الله ابن عمر : أخبرنا ببعض صفة رسول الله ﷺ في التوراة فقال : انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : « يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحزنا للأيمين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ، لا يجزى بالسبيئة السبيئة ، ولكن يجزى بالسبيئة الحسنة ، ويعفو ويغفر ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء ، فافتح أعينا عبياء وأذانا صماء وقلوبا غلفا بأن يقولوا : لا اله الا الله »

وقوله : ان هذا في التوراة لا يريد به التوراة المعينة التي هي كتاب موسى فقط ، فان لفظ التوراة والانجيل والقرآن والذبور يراد به الكتب المعينة تارة ، ويراد به الجنس تارة ، فيعبر بلفظ القرآن عن الذبور ، ولفظ التوراة عن القرآن ولفظ الانجيل عن القرآن أيضا وفي الصحيح الصحيح عن النبي ﷺ : « خفف على داود القرآن ، فكان ما بين أن تسرح دابته الى أن يركبها يقرأ القرآن » والمراد به : قرآنه وهو الذبور . وكذلك قوله في البشارة التي في التوراة : « سأقيم لبني اسرائيل من اخوتهم نبيا » أنزل عليه توراة مثل توراة موسى . وكذلك في صفة أمته ﷺ في الكتب المتقدمة : « أناجيلهم في صدورهم » فقوله : « أخبرني بصفة رسول الله ﷺ في التوراة » اما أن يريد به التوراة المعينة ، وليست المبدلة التي في أيدي اليهود الآن ، أو جنس الكتب المتقدمة وعلى التقديرين فاجابة عبد الله بن عمر بما هو في التوراة التي هي أعم من الكتاب المعين ، فان هذا الذي ذكره ليس في التوراة المعينة فقط ، بل هو في كتاب أشعيا كما حكيناه عنه . وقد ترجموه أيضا بترجمة أخرى فيها بعض الزيادة : « عبدى ورسولى الذي سرت به نفسى أنزل عليه وحى ، فيظهر في الأمم عدلى ، ويوصيهم بالموصايا ، لا يضحك ولا يسمع صوته في الأسواق ،

يفتح العيون العور والأذان الصم ويحيى القلوب الخلف ، وما أعطيه لا أعطيه أحدا ، يحمد الله حمدا جديدا ، يأتي من أقطار الأرض وتفرح به البرية وسكانها ، يهللون لله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية ، ولا يضعف ولا يغلب ولا يعيل الى الهوى ، مشفح ولا يذل الصالحين ، الذين هم كالقصبه الضعيفة ، بل يقوى الصديقين وهو ركن المتواضعين . وهو نور الله الذى لا يطفأ ، أثر سلطانه على كتفه « وقوله « مشفح » بالشين المعجمة والفاء المشددة بوزن مكرم وهى لفظة عبرانية مطابقة لاسم محمد معنى ولفظا ، مقاربا لمطابقته « مؤد مؤد » بل أشد مطابقة ولا يمكن العرب أن يتلفظوا بها بلفظ العبرانيين ، فانها بين الحاء والهاء وفتحة الفاء بين الضمة والفتحة ، ولا يرتاب عالم من علمائهم منصف أنها مطابقة لاسم محمد » .

قال أبو محمد قتيبة : « مشفح محمد بغير شك » واعتباره : انهم يقولون « شفحالاها » اذا أرادوا أن يقولوا : الحمد لله . واذا كان الحديث مشفح محمد بغير شك . وقد قال لى ولغري بعض من أسلم من علمائهم : ان ميد ميد هو محمد ، وهو بكسر الميم والهزة ، وبعضهم بفتح الميم ويدينها من الضمة « قال : « ولا يشك العلماء منهم بأنه محمد »

وان سكتنا عن ايراد ذلك وضرينا عن هذا صفحا ، فمن هذا الذى انطبقت عليه وعلى أمته هذه الصفات سواء ؟ ومن هذا الذى أثر سلطانه وهو خاتم النبوة على كتفيه ، رآه الناس عيانا مثل زر الحجل ؟ فماذا بعد الحق الا الضلال ؟ وبعد البصيرة الا العمى ؟ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

نصفات هذا النبى ومخرجه ومبعثه وعلاماته وصفات أمته فى كتبهم ، يقرعونها فى كنائسهم ويدرسونها فى مجالسهم ، لا ينكره منهم عالم ولا يباه جاهل ، ولكنهم يقولون : لم يظهر بعد ، وسيظهر وتبعه .

قال ابن اسحاق : حدثنى محمد بن أبى محمد بن عكرمة ، أو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن يهود كانوا يستفتحون على

الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعضه ، فلما بعثه الله تعالى من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه ، فقال معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة : يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك وتخبرونا بأنه مبعض وتصفونه بصفته . فقال سلام بن مسلم أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو الذي كنا نذكر لكم ، فأنزل الله عز وجل : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين »

وقال أبو العالية كان اليهود إذا استفتحوا بمحمد على مشركي العرب ، يقولون : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم ، فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » وقال ابن اسحق : حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة الأنصاري عن رجال من قومه قالوا : ومما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله عزوجل وهده ، ما كنا نسمع من رجال يهود : كنا أهل شرك أصحاب أوثان . وكان أهل الكتاب عندهم علم ليس عندنا فكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم وكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله تعالى رسوله ﷺ أجبنا حين دعانا الى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدونا به فبادرناهم اليه ، فأما به وكفروا به تعنتا . وفيهم نزلت هؤلاء الآيات التي في سورة البقرة : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » انتهى ما في هداية الحيارى .

وفي رد النصاري لجواد بن ساباط المطبوع سنة ١٢٢٩ هجرية في

المقالة الثالثة من التبصرة الثالثة ناقلا سبع براهين من رؤيا يوحنا التي هي عندهم من جملة العهد الجديد آيات مخبرة بمكة وأنها مستقصدها الأمم وتكون قبلة ، ولتنتقل لك بعضا منها تأكيدا لما أسلفناه .

قال : ومما ورد في الإصحاح الثاني والثالث من سفر الرؤيا قوله : « وسأعطى المظفر الذي يحفظ جميع أفعالي سلطانا على الأمم ، فيرعاهم بقضيب من حديد ، فيسحقهم كأنية الفخار كما أخذت أنا من أبي ، وأعطيه أيضا نجمة الصباح ، فمن كانت له أذن سامعة فليستمع ما تقول الروح للكنائس » وفيها أيضا : « المظفر أجعله عمودا في هيكل الهى ولا يخرج خارجا واكتب عليه اسم الهى واسم مدينة الهى أورشليم الجديدة التى نزلت من السماء من عند الهى ، واكتب عليه اسمى الجديد . فمن كانت له أذن سامعة فليستمع ما تقول الروح للكنائس » وفيها أيضا : « المظفر أهب له الجلوس معى على كرسى كما ظفرت أنا أيضا وجلست مع أبى على كرسيه ، فمن كانت له أذن سامعة فليستمع ما تقول الروح للكنائس »

ثم ان « ابن سابط » أطنب فى كشف البراهين المذكورة اطنابا مفيدا ، ومن اراده فليرجع اليه . وأقول : ان اجلاس النبى عليه الصلاة والسلام على العرش ورد أيضا مما رواه بعض المفسرين فى تفسيره قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك قاما محمودا » أن المقام المحمود هو اجلاسهم على العرش ، فقد أخرج الطبرانى عن ابن عباس أنه سبحانه يجلسه فيما بينه وبين جبرئيل عليه السلام ويشفع لأمته . فذلك المقام المحمود . وأخرج ابن جرير عن مجاهد أنه قال : المقام المحمود أن يجلسه معه على العرش ، وروى أبو وائل عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : يقعده على العرش . وفى المقام المحمود أيضا وجوه آخر من أرادها وأراد زيادة البحث عن الاجلاس ، وما قيل فيه ، وأن الحجر الأسود نزل من السماء ، فليرجع الى روح المعانى والى فتح البيان وغيرها من التفاسير المطولة ، فانها تدفع كل معضلة . والمقصود هنا : اثبات أن مكة المكرمة قد وردت البشارة بها فى الكتب المتقدمة ، فلا مجال للانكار عند من رزقه الله تعالى

نور البصيرة والابصار ، وهو سبحانه الموفق الهادى .
تكملة : ولنذكر لك ما ورد ايضا فى القرآن الكريم من ذكر مكة
والكعبة الواجبة للتعظيم ، وكيف عمرها سيدنا الخليل ابراهيم عليه افضل
الصلاة والتسليم ، قال سبحانه وتعالى : « واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات
ماتهن . قال : انى جاعلك للناس اماما . قال : ومن ذريتى ؟ قال :
لا ينال عهدى الظالمين . واذا جعلنا البيت مثابة للناس وامنا . واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى . وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل : ان طهرا بيتى
للطائفين والعاكفين والركع السجود . واذا قال ابراهيم : رب اجعل هذا
بلدا آمنا ، وارزق اهلك من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر .
قال : ومن كفر . فامتعه قليلا ، ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير .
واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل . ربنا تقبل منا انك انت
السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك
وارنا مناسكنا وتب علينا . انك انت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت
العزیز الحكيم . ومن يرغب من ملة ابراهيم الا من سفه نفسه . ولقد
اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه :
اسلم . قال : اسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه . ويعقوب :
ان الله اصطفى لكم الدين . فلا تموتن الا وانتم مسلمون »
وقال عز وجل : ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا . وهدى
للعالمين .

فيه آيات بينات ، مقام ابراهيم . ومن دخله كان آمنا . والله على
الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . ومن كفر فان الله غنى عن
العالمين «

وقال سبحانه حاكيا عن خليفه عليه السلام : « رب اجعل هذا البلد
آمنا ، واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس .
فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانه غفور رحيم . ربنا انى أسكنت
من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة ،

فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، وارزقهم من الثمرات . لعلمهم
يشكرون . ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن . وما يخفى على الله من شيء
فى الأرض ولا فى السماء . الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل
واستحق . ان ربي لسميع الدعاء »

ولنحرر اجمالا ما يفسر هذه الآيات بعونه تعالى قال المفسرون :
الابتلاء فى الأصل الاختبار ، والمراد به هنا التكليف أو المعاملة معاملة
الاختبار مجازا ، اذ حقيقة الاختبار محال عليه تعالى لكونه عالم السر
والخفيات . والكلمات جمع كلمة وأصل معناها اللفظ المفرد وتستعمل فى
الجهل المفيدة . وتطلق على معانى ذلك لما بين اللفظ والمعنى من شدة
الاتصال . وقد اختلف فى الكلمات المذكورة . والمشهور أنها الشرائع .
وقال ابن عباس رضى الله عنهما انها العشرة التى من الفطرة : المضمضة
والاستنشاق وقص الشارب واعفاء اللحية وفرق الرأس وئف الإبط
وتقليم الأظفار وحلق العانة والاستطابة — وهو غسل محل الغائط والبول
— والختان . وروى أيضا أنها أكثر ، فاتهمن ابراهيم أى أتى بهن على
الوجه الأتم .

وقوله تعالى : « ومن ذريتى » الخ أى واجعل من بعض ذريتى أئمة
لأنه أعلم أن يكون فى بعض ذريته ظالمون . وقد أجيب عليه السلام
الى طلبته . قال تعالى : « وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب » فكل نبى
أرسله الله تعالى وكل كتاب أنزله سبحانه بعد ابراهيم فى ذريته وقال
تعالى : « وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه
مبين » وقوله تعالى : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس » الآية أى اذكر
وقت جعل البيت مثابة أى مجمعا لهم ومرجعا يرجع الحجاج اليه بعد
تفرقهم عنه . وقيل : المثابة من الثواب أى يثابون هنالك . ومأنا أى
مرضع أمن اما لسكانه من الخطف أو الحجاجة من العذاب ، ويمحو ما قبله
غير حقوق العباد والحقوق المالية . والمراد من البيت الكعبة ، وهو من
الأعلام الغالبة كالنجم للثريا والآيات المبينات التى فى مكة كثيرة منها عدم

نفرة الطير من الناس هناك . ومنها عدم تعرض ضواري السباع للصيد فيه . ومنها قلة الجمرات على كثرة الرماة . ومنها أن أى ركن من البيت وضع الغيث فى مقابلته كان الخصب فيما يليه من البلاد ، وإذا عم البيت كان فى جميع البلدان . ومنها مقام ابراهيم وهو الحجر الذى كان يقوم عليه لبناء الكعبة ، لما ارتفع الجدار آتاه اسماعيل به ليقوم فوقه ، وكان أثر أصابع رجلي ابراهيم فيه فاندريست بكثرة المسح بالأيدى . وانما أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله ، ولم يزل هذا معروفا تعرفه العرب فى جاهليتها . ولهذا قال أبو طالب فى قصيدته المعروفة باللامية :

وموطىء ابراهيم فى الصخر رطبة على قدميه ، حافيا غير ناعل
وقد أدرك المسلمون ذلك فيه أيضا . وقيل المراد ملان مقام ابراهيم :

الحرم كله أو مواقف الحج كلها ، أو عرفة ومزدلفة والجمار . ومعنى اتخاذها مصلى : أزيد فيها ويتقرب الى الله تعالى عندها . وانما سئل ابراهيم عليه السلام أن يرزق أهله من الثمرات لأن مكة لم يكن بها زرع ولا نجرة ، فاستجاب الله تعالى له ، وجعل مكة حرما آمنا يجىء اليه ثمرات كل شىء . والقواعد جمع قاعدة . وهى الأساس . وقيل الجدر والمراد من المناسك : مناسك الحج ومعاله ، أو الأعمال التى تعمل فيه ، وقال مجاهد فى قول ابراهيم « وأرنا مناسكنا » لما قال ، آتاه جبريل فأتى به البيت فقال : أرفع القواعد ، فرفع وأتم البنيان ، ثم أخذ بيده فأخرجه فانطلق به الى الصفا . قال : هذا من شعائر الله . والشعائر واحدها شعيرة ومشاعر الحج معالها الظاهرة للحواس والواحد مشعر . ثم انطلق الى الصفا . قال : هذا من شعائر الله . ثم انطلق به الى المروة . فقال : وهذا من شعائر الله ، ثم انطلق به نحو منى ، فلما كان من العقبة اذا ابليس قائم عند الجمرة ، فقال كبر وارمه ، فكبر ورماه ، ثم انطلق ابليس فقام عند الجمرة الوسطى ، فلما جاز به جبريل و ابراهيم ، قال له : كبر وارمه . فذهب الخبيث ابليس . وكان الخبيث أراد أن يدخل فى الحج شيئا . فلم يستطع فأخذ بيد ابراهيم حتى أتى المشعر الحرام . فقال : هذا المشعر الحرام ، فأخذ بيد ابراهيم حتى أتى به عرفات . قال : قد عرفت ما أريتك . قالها

ثلاث مرات . قال : نعم . والمراد من الرسول الذى يبعث من الذرية — وهم العرب من ولد اسماعيل : هو نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام لأن ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة ، ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد ﷺ والمراد بقوله : « عن سفة نفسه » من جعلها مهانة ذليلة . والمراد من قوله « أسلم قال أسلمت » : الاستسلام والانقياد والاخلاص له سبحانه وتعالى .

و « بكة » لفة فى « مكة » عند الأكثرين . وقيل : هى موضع المسجد **مكة** : البلد بأمرها ، وأصلها من البك بمعنى الزحم . يقال تباك الناس اذا ازدحموا ، وكأنها انما سميت بذلك لازدحام الحجيج فيها . وقيل : مأخوذة من بكأت الناقة اذا قل لبنها ، وكأنها انما سميت بذلك لقلتها مائها وخصبها قيل : ومن هنا سميت البلد مكة أيضا ، أخذا لها من أمتك الفصيل ما فى الضرع اذا امتصه ، ولم يبق فيه من اللبن شيئا . وقيل : غير ذلك .

وسبب نزول هذه الآية : أن اليهود قالت بيت المقدس أعظم من الكعبة ، لأنها مهاجر الأنبياء ، ولأنه فى الارض المقدسة . فقال المسلمون : بل الكعبة أعظم . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنزلت .

ومباركية البيت كونه كثيرا خيرا لما أنه يضاعف فيه ثواب العبادة أو دوام العبادة فيه ولزومها أو لانه يجبى إليه ثمرات كل شىء ، وكون الحرم من دخله كان آمنا حتى الوحش والطير ، بل والنبات أمر ظاهر ، والأمن يراد به الأمن فى الدنيا من القتل وسائر العقوبات . فقد كان الرجل فى الجاهلية يلقى قاتل أبيه فيه ، فلا يتعرض به بسوء . وفى الآخرة من العذاب . فقد روى عنه ﷺ أنه قال : « من مات فى أحد الحرمين . بعث من الأمنين يوم القيامة » وروى : « من قبر بمكة مسلما بعث آمنا يوم القيامة » وقد عمر البيت ابراهيم عليه السلام ، وبنى الأقصى بعده بأربعين سنة . وورد فى الآثار : أن أول من بنى البيت الملائكة . وقد بنوه قبل آدم عليه السلام . ثم بناه آدم ثم شيث ثم ابراهيم ، ثم العمالقة ثم جرهم ثم قصى ثم قريش ، ثم عبد الله بن الزبير ، ثم الحجاج بأمر عبد الملك ابن مروان .

ولما أرادت قريش قبل الاسلام بناء الكعبة كانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدى لها كل يوم ، فشرفت على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون . وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد الا كسبت وفتحت فاما . فكانوا يهابونها فبينما هي يوما تشرف على جدار الكعبة ، بعث الله تعالى اليها طائرا ، فاختطفها فذهب بها . فقالت قريش انا لنرجو أن يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا ، فبنوها من كسبهم الطيب .

وقال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية :

عجبت لما تصويت العقاب	الى الثعبان وهى لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيخ	وأحيانا يكون لها وثاب
اذا قمنا الى التأسيس شدت	تهيينا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الرجز جاءت	عقاب تتلثب لها انصباب
فضمتها اليها ثم خلت	لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين الى بناء	لنا منه القواعد والتراب
غداة ترفع التأسيس منه	وليس على مساوينا ثياب
أعزبه المليك بنى لوى	فليس لا صله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدى	ومرة قد تقدمها كلاب
فبؤأنا المليك بذاك عزا	وعند الله يلتبس الثواب

وورد عن على كرم الله تعالى وجهه أنه قال : لما أمر ابراهيم عليه السلام ببناء البيت خرج معه اسماعيل وهاجر ، فلما قدم مكة رأى على رأسه فى موضع البيت مثل الغمامة ، فيه مثل الرأس ، فكلمه . قال : يا ابراهيم ابن على ظلى ، أو قال : على قدرى ولا تزدد ولا تنقص ، فلما بنى خرج وخلف اسماعيل وهاجر ، فقالت هاجر يا ابراهيم الى من تكنا ؟ قال : الى الله . قالت : انطلق ، فانه لا يضيعنا . قال : نعطش اسماعيل عطشا شديدا فصعدت هاجر الى الصفا ، فنظرت فلم تر شيئا ، حتى أتت المروة فلم تر شيئا ، ثم رجعت الى الصفا ، فنظرت فلم تر شيئا ، ففعلت ذلك سبع مرات ، فرجعت الى اسماعيل وهو ينحس فى رجليه من العطش ، فنبعث زمزم

ويجمع بين هذه الرواية وما تقدم من أن اسماعيل بنى مع أبيه بأن إبراهيم عليه السلام بنى البيت أولاً بأن حوطة ، ثم لما هجر اسماعيل عليه السلام بنياه معاً ، كما ورد في الكتاب العظيم ، فانهم .

وفى قصة بناء البيت وانزال الحجر الأسود من السماء وكذا فى الكعبة روايات وتفاصيل أخر تركتها خشية الملل . ومن أرادها فليرجع الى كتب التفسير كتفسير ابن كثير ، وروح المعانى وغيرها وكتب الحديث وشروحها وكتب السير والتواريخ ، فانها مفصلة فيها على أتم وجه . والله تعالى أعلم .

فصل

قوله : « وتقبيل الركن والمقام » فسبحان الله ما أعظم هذا الكلام الى آخره .

ليت شعرى هل ينبغى أن يستعظم مسألة الحج المشتبهة على العج والثج والنسك والعبادة والانقياد الى أمر الله تعالى واطهار الذل له والخضوع وكثرة التلبية والدعاء له والتضرع اليه والطلب منه سبحانه بلا توسط أحد من مخلوقاته فى محل خصه لذلك وعينه على لسان نبيه فيما هنالك .

نصرانى يسجد للصليب المنحوت بيده من الخشب ويأكل فى عشائه الربانى وخبزه الحوارى ، الهه ومعبوده وخالقه ومسجوده بجسمه الذى زعمه وروحه الذى جسمه ، أفلا يتذكر هذا النصرانى ما قاله المسيح : ينظر فى عين أخيك القذى ولا تنظر الخشبة التى فى عينك « على أنه والحمد لله تعالى لا قذى هنا فى عين أخيه ، بل الخشبة فى عينه فقط . والتقبيل ليس للركن والمقام . وهذا غلط منه ، بل الوارد تقبيل الحجر الأسود أنزل من الجنة ، وسيأتى ان شاء الله تعالى الكلام المفصل على ذلك ، فانظره ولا تغفل .

قوله : « اليس هو الموضع الذى عرفناه جميعاً حق معرفته » الى آخره .

لا يخفى أن البارى سبحانه — كما هو مسلم عند النصارى وغيرهم —
اختص بعض الأماكن والأزمنة بعبادات تكون فيها بأن يعبد فى ذلك المحل
فى ذلك الزمن ، كالصلاة مثلا عند الصباح والصلاة والدعاء فى بيت
المقدس ، وجبل طور سيناء لمناجاة موسى الكليم ، وجبل الزيتون للتجلي
على عيسى عندما جاء موسى وإبراهيم كما حكاه فى الانجيل . واختصاص
أورشليم بخصائص لم تكن فى غيره ، فذلك اختص مكة المكرمة والكعبة
المعظمة وجبل عرفات وفاران بخصائص . وأمر أن يعبد هناك فى زمن
مخصوص فى هيئة مخصوصة ، كما سنشرح لك مفصل ذلك قريبا ان
شاء الله تعالى .

على أن هذا النصرانى يتناسى ما ذكره علماءهم من أن الأسرار
الالهية لا يعترض عليها ولا يسأل عنها . فمن ذلك سر العشاء مع كونهم
يعترفون بأنه مخالف للعقل ، ويقولون : ان له سرا وذلك السر مجهول .
ومن ذلك ما قاله الخورى فى تفسيره لرسالة بولس الأولى نمبر ٣ ما لفظه :
« ان بشارة الانجيل هى للطاعة لا للمجادلة ونحن مرسلون لبثها ونشرها
لاثبات سرها . على أن ما قال الله تعالى حقيق بالقبول والامثال دون
بحث وجدال » انتهى .

قوله : « أولا تعلم أن هذا فعل الشمسية والبراهمة الذى يسمون
النسك لأصنامهم بالهند » الى آخره .

لا يخفى على كل منصف أن الكافر اذا عمل فى عبادته ما يوافق فى
بعضه بالصورة الظاهرة ، عبادة المؤمنين ، لا يكون ذلك ابطالا لعبادة
المؤمن ولا تزييفا لها . وفرق بين ما يفعله البراهمة وما يفعله المسلمون
فالمسلمون نسكهم وعبادتهم واحرامهم وتلبيتهم لله وحده سبحانه ، بقولهم
« لبيك اللهم لبيك » الخ . والبراهمة ان سلمنا أنهم يفعلون نحو ذلك فهو
لأصنامهم وأوثانهم التى يعبدونها بالخاصة ، لتقريبهم زلفى الى الله تعالى .
وهؤلاء النصارى يسجدون للصليب المنحوت من الخشب والصور المنقوشة
ولريم العذراء ويخاطبونها فى صلاتهم بقولهم : « لك نسجد » ويستقبلون
مطلع الشمس عند صلاتهم كما أن اليهود تستقبل بيت المقدس . والكل

يحجونه . واذا اعترضنا عليهم بان السجود للصليب عبادة صنم وسجود
محرم لغير الله ، يقولون : انا نسجد لله ولا نعبد غيره . وأن صدرنا هذا
الفعل ، والمسلمون لا يسجدون لصنم ولا صليب ولا يعبدون بناء ولا أحجارا
ولا أرضا ولا شمساً . فكيف يحسن من عاقل منصف أن يعترض عليهم بأن حجهم
هذا كفعل البراهمة العابدين للأصنام ؟ فهل هذا الا فرية وظلم ، مع أن بين فعل
النصارى وفعلهم مشابهة تامة ، وليس للمسلمين تماس بفعلهم ولا مشابهة
بصنيعهم ، مع أن الكافر اذا كان فى أعماله وعبادته ما يشبه عبادة المؤمن ،
لا يقال : ان المؤمن قلده فى ذلك العمل ، بل يقال أن الكافر قلده المؤمن
واتبعه فيه ، لأنه لما رأى المؤمن يعبد الهه الحق بهذه العبادة الدالة على
تعظيمه والالتقياد اليه والطاعة والذلة له ، أراد أن يحاكيه ويشابه فى ذلك
ويعبد صنمه والهه الباطل بنحو ما يعبد المؤمن الهه الحق ، فهؤلاء عباد
الأصنام لما رأوا أن من تعظيم الاله الحق الصلاة له والتضرع اليه وطلب
الحوائج منه وتقديم القرابين له ، وان المؤمنين يفعلون جميع ذلك ، لأن
الأنبياء كانوا قد شرعوا ذلك ، اذ حج البيت من زمن ابراهيم عليه السلام
بل من زمن آدم عليه السلام اذ كان يطوف به ، بل الملائكة كانت تطوف
به قبله كما ذكره العلماء الاعلام .

فشرعوا يعملونه لالهتهم الباطلة لما اعتقدوها الهه حقة ، فهل يقول
عاقل ان ما يفعله الأنبياء والمؤمنون من السجود لله سبحانه والصوم له
يفعله أيضا عباد الأصنام لأصنامهم ، فينبغى أن يتركه المؤمنون لئلا يشابهوا
الكافرين فى هذه العبادة ؟ وهذا كلام لا يقوله عاقل فتقرب أهل الشرك
الى معبوداتهم الباطلة بنحو ما يتقرب به أهل الايمان من عباداتهم المشروعة
الى معبودهم الحق ، لا يوجب شيئا عليهم ولا يفضى الى لومهم ، ولا يوجب
تركهم لها أو يحتم ابطالها .

واستمع نحلة البراهمة والشمسية لينجلى لك الحال ويتميز كاذب
العز وعن صادق المقال .

قال : العلامة الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل من أهل الهند
جماعة أثبتوا متوسطات روحانية يأتونهم بالرسالة من عند الله عز وجل ،

فى صورة البشر من غير كتاب ، فإمرهم بأشياء وبنهاهم عن أشياء ،
ويسن لهم الشرائع ويسن لهم الحدود ، وإنما يعرفون صدقه بتنزهه
عن حطام الدنيا . واستغنائاه عن الأكل والشرب والبعال . ومن ذلك
الكمالية زعموا أن رسولهم ملك روحانى أتاهم فى صورة بشر متمسح
بالرمد ، على رأسه قلنسوة من لبود حمراء طولها ثلاثة أشبار محيط
عليها صفائح من قحف الناس ، متقلدا قلادة من أعظم ما يكون متمنطق
من ذلك بمنطقة متسور منها بسوار ، مخلخل منها بخلخال وهو عريان ،
فأمرهم أن يتزينوا بزيفته ويتزيوا بزبه ، وسن لهم شرائع وحدودا . ومن
ذلك البهادونية قالوا أن بهادون كان ملكا عظيما أتانا فى صورة
انسان عظيم ، وكان له اخوان قتلاه وعملا من جلده الأرض . ومن عظامه
الجبال ومن دمه البحر وصورة بهادون راكب دابة كثير الشعر قد أسبله
على وجهه . وقد قسم الشعر على جوانب رأسه قسمة مستوية وأسبله
كذلك على نواحي الرأس قفاء ووجها ، وأمرهم أن يفعلوا كذلك وسن
لهم أن لا يشربوا الخمر ، وإذا رأوا امرأة هربوا منها ، وأن يحجوا الى
جيل يدعى حورعنى ، وعليه بيت عظيم فيه صورة بهادون . ولذلك البيت
سدنة لا يكون المفتاح الا بأيديهم فاذا فتحوا الباب سدوا أفواههم حتى
لا قصل أنفاسهم الى الصنم ، ويذبجون له الذبائح ويهدون له الهدايا ،
وإذا انصرفوا من حجهم لم يدخوا العمران فى طريقهم ولم ينظروا الى محرم
ولم يصلوا الى أحد بسوء وضرر من قول وفعل وغير ذلك . ومن ذلك
الناسوتية زعموا أن رسولهم ملك روحانى على صورة بشر ، فأمرهم بتعظيم
النار وان يقتربوا اليها بالعطر والطيب والأدهان والذبائح ونهاهم عن
القتل والذبح الا ما كان للنار وسن لهم شجرة بخيط يعقدونه من
مناكبهم الأيمان الى تحت شمائلهم ، ونهاهم أيضا عن الكذب وشرب الخمر
ولا يأكلون من أطعمة غير ملتهم ولا من ذبائحهم وأباح لهم الزنا لئلا ينقطع
النسل ، وأمرهم أن يتخذوا على مثاله صنما يقتربون اليه ويعبدونه ويطوفون
حوله كل يوم ثلاث مرات بالمعازف والتبخير والغناء والرقص ، وأمرهم
بتعظيم البقر والسجود لها حيث رأوها ويفزعوا بالتوبة الى المتمسح
بها أن لا يجوزوا نهر الكيل .

ومن ذلك الياهووية زعموا أن رسولهم ملك روحانى على صورة ليث واسمه ياهودا أتاهم وهو راكبه ثورا ، على رأسه اكليل مكلل بعظيم الموتى من عظام الرعوس ومقلد من ذلك بقلادة ، باجدى يديه قحف انسان وبالأخرى مرزاب ذو ثلاث شعب يأمرهم بعبادة الخالق عز وجل ، وبعبادته معه ، وأن يتخذوا على مثاله صنما يعبدونه وأن لا يعافوا شيئا وأن تكون الأشياء كلها فى طريقة واحدة لأنها جميعا صنع الخالق وأن يتخذوا من عظام قلائد يتقلدونها واكليل يضمونها على رعوسهم ، وأن يمسحوا أجسادهم ورعوسهم بالرماد . وحرّم عليهم الذبائح وجميع الأموال وأمرهم برفض الدنيا ولا معاش لهم الا من الصدقة .

ثم قال الشهرستانى فى عبدة الكواكب : ولم ينقل الهند مذهب فى عبادة الكواكب الا فرقتان توجهتا الى النيرين الشمس والقمر ومذهبهم فى ذلك مذهب الصابئية فى توجههم الى الهياكل السماوية دون قصر الربوبية والالهية عليهم فعبدة الشمس زعموا أن الشمس ملك من الملائكة ولها تفكر وعقل ، ومنها نور الكواكب وضياء العالم ، وتكون الموجودات السفلية ، وهى ملك الفلك يستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء . وهؤلاء يسمون الدسكينية ، أى عباد الشمس . ومن سنتهم أن اتخذوا الها صنما بيده جوهر على لون النار ، وله بيت خاص بنوه باسمه ، ووقفوا عليه ضياعا وقرى وله سدنة وقوام ، فيأتون البيت ويصلون ثلاث كرات وتأتيه أصحاب العلال والأمراض فيصومون له ويصلون ويدعون ويستشفون ، وعبدة القمر زعموا أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة ، واليه تدبير هذا العالم السفلى والأمور الجزئية ومنه يصح الأشياء المتكونة واتصالها الى كمالها ، وبزيادته ونقصانه تعرف الأزمان والساعات وهو تلو الشمس وقرينها ، ومنها نوره وبالنظر اليها زيادته ونقصانه وهؤلاء يسمون الجند رنكية أى عبادة القمر ، ومن سنتهم أن اتخذوا أصناما على صورة عجل تجره أربعة ، ويبد الصنم جوهر ومن دينهم أن يسجدوا له ويعبدونه ويصومون النصف من كل شهر ولا يفطروا ، حتى يطلع القمر ، ثم يأتون الصنم بالطعام والشراب واللبق ، ثم يدعون وينظرون الى القمر ،

ويسألونه حوائجهم ، فاذا استهل الشهر صعدوا على السطوح وأوقدوا
الدخن ودعوا عند رؤيته ورغبوا اليه ، ثم نزلوا عن السطوح الى الطعام
والشراب بالفرح والسرور ولم ينظروا اليه الا على وجوه حسنة ، وفي
نصف الشهر اذا نزعوا من الافطار أخذوا فى الرقص واللعب والمعارف
بين يدي الصنم والقمر »

ثم قال : « ان عبدة الأصنام الذين ذكرنا مذاهبهم يرجعون آخر
الأمر الى عبادة الاصنام ، اذ كان لا يستبر لهم طريقة الا بشخص حاضر
ينظرون اليه ويعكفون عليه . وعن هذا اتخذت أصحاب الروحانيات والكواكب
أصناما زعموا أنها على صورتها . وبالجمله وضع الأصنام حينما قدر
انها هو على معبود غائب ، حتى يكون الصنم المعمول على صورته وشكله
وهيئته نائبا منابه قائما مقامه ، والا فيعلم قطعا أن عاقلا ما لا ينحت خشبا
بيده صورة ، ثم يعتقد انه الهه وخالقه . واله الكل اذ كان وجوده مسبوقا
بوجود صانعه وشكله محدث بصنعة ناحته ، لكن القوم لما عكفوا على
التوجه اليها وربطوا أحوائجهم بها من غير اذن وحجة وبرهان وسلطان
من الله عز وجل ، كان عكوفهم على ذلك وطلبهم الحوائج منها اثبات الهية
لها . وعن هذا كانوا مقتصرين على صورها فى اعتقاد الربوبية والالهية
لا تعدوا عنها الى الرب الأرباب » انتهى .

قلت : وعلى ذلك قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات
والأرض ليقولن الله » — « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » —
« واذا ركبوا فى الفلك » الآيات .

وقول مشركى العرب فى التلبية : « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك
الا شريكا هو لك تملكه وما ملك »

وقول حصين بن المنذر لما قال له رسول الله ﷺ : « يا حصين كم
تعبد ؟ » قال : سبعة ، ستة فى الأرض ، وواحد فى السماء قال : « فيمن
الذى تعد لرغبتك ورهبتك ؟ » قال : الذى فى السماء . رواه الامام
أحمد وغيره .

قوله : « وأنت وأصحابك عالمون أن العرب كانت تنسك هذه الهاسك »
الخ .

قد ذكرنا لك فى كتابنا هذا : أن العرب كانت على بقية من دين إبراهيم واسماعيل فى هذه المناسك ، الا أنها غيرت وبدلت كثيرا منها .
قال الله تعالى « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا الى إبراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والمعاكين والركع السجود ، واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، قال : ومن كفر ، فأمتعه قليلا ، ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير ، واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك . ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن ملة إبراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ، اذ قال له ربه : أسلم قال : أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » فكانت العرب عند بعثته عليه الصلاة والسلام تطوف بالبيت ، غير أنها عراة حتى قال ﷺ : « لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان » وكانت تلبى الا أنها تشرك فى تلبيتها وتقول : لبيك لا شريك لك الا شريكا تملكه وما ملك ، حتى أمر بترك ذلك ولبى بقوله : « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك » وقد فصلنا لك حال دين العرب قبل البعثة فى كتابنا هذا ، فراجع ان أردت ولا تغفل .

قال العلامة الشيخ أحمد المشهور بشاه والى الله الدهلوى فى كتابه المسمى « حجة الله البالغة » فى باب أسرار الحج : « اعلم أن حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من الصالحين فى زمان ، يذكر حال المنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين . ومكان فيه آيات بينات قد قصد جماعات من أئمة الدين معظمين لشعائر الله متضرعين راغبين وراجين من الله تعالى الخير وتكفير الخطايا ، فا لهم اذا اجتمعت بهذه الكيفية لا يتخلف عنها نزول الرحمة والمغفرة . وهو قوله ﷺ : « ما رى الشيطان

يوما هو فيه أصفر ولا احمر ولا أحقر ولا أغيط منه في يوم عرفة « الحديث وأصل الحج موجود في كل أمة لابد لهم من موضع يتبركون به ، لما رأوا من ظهور آيات الله تعالى فيه وان قرابين وهيئات مأثورة عن أسلافهم يلتزمون بها لأنها تذكر المقربين ، وما كانوا فيه وأحق ما يحج اليه بيت الله ، فيه آيات بينات بناه ابراهيم صلوات الله عليه ، المشهود له بالخير على السنة أكثر الأمم بأمر الله تعالى ووحيه ، بعد ان كانت الأرض قفرا وعرا [١] اذ ليس غيره محجوج الا وفيه اشراك أو اختراع ما لا أصل له .

ومن باب الطهارة النفسانية ، الحلول بموضع لم يزل الصالحون يعظمونه ويحطون فيه ويعمرونه بذكر الله عز وجل . فان ذلك يجلب تعلق هم الملائكة السفلية (به) ويعطف عليه دعوة الملائكة الأعلى الكلية لأهل الخير ، فاذا حل به غلب ألوانهم على نفسه .
وقد شاهدت ذلك رأى عين .

ومن باب ذكر الله تعالى رؤية شمائر الله وتعظيمها ، فانها اذا رؤيت ، ذكر الله كما يذكر الملزوم اللازم ، لا سيما عند التزام هيئات تعظيمية وقيود وحدود تنبه النفس تنبيها عظيما . وربما يشناق الانسان الى ربه أشد شوق ، فيحتاج الى شىء يقضى به شوقه فلا يجده الا الحج ، وكما ان الدولة تحتاج الى عرضة — أى اختيار — بعد كل مدة ، ليعتبر الناصح من الغاش ، والمنقاد من المتمرد ، وليرتفع الصيت وتعلو الكلمة ويتعارف أهلها فيما بينهم ، فكذا الملة تحتاج الى حج ليعتبر الموفق من المنافق ، وليظهر دخول الناس فى دين الله أفواجا ، وليرى بعضهم بعضا ، فيستفيد كل واحد مما ليس عنده ، اذ الرغائب انما تكتسب بالمصاحبة والترائى . واذا جعل الحج رسما مشهورا ، نفع عن غوائل الرسوم . ولا شىء مثله فى تذكر الحالة التى كان فيها أئمة الملة والتخصيص على الأخذ بها . ولما كان الحج سفرا شاسعا وعملا شاقا لا يتم الا بجهد الأنفس كان مباشرته خالصا لله مكنرا للخطايا هاديا لما قبله بمنزلة الايمان أه .

وقال في باب تعظيم شمائر الله تعالى : « وأما الكعبة فكان الناس

فى زمن ابراهيم عليه السلام توغلوا فى بناء المعابد والكنائس باسم روحانية الشمس وغيرها من الكواكب ، وصار عندهم التوجه المجرى غير المحسوس بدون هيكل يبنى باسمه يكون الحلول فيه والتلبس به ، نقر بأمتهم ، أمرا محالا تدفعه عقولهم بآدى الرأى ، فاستوجب أهل ذلك الزمان ان تظهر رحمة الله تعالى بهم فى صورة بيت يطوفون به ويتقربون به الى الله تعالى ، فمضوا الى البيت وتعظيمه ، ثم نشأ قرن بعد قرن على علم أن تعظيمه مساوق لتعظيم الله تعالى والتفريط فى حقه مساوق للتفريط فى حق الله عز وجل ، فعند ذلك وجب حجه وأمروا بتعظيمه ، فمنه أن لا يطوفوا الا متطهرين ، ومنه أن يستقبلوها فى صلاتهم ، وكراهية استقبالها واستدبارها عند الغائط « ١ . هـ .

قوله : « وانى لاستصوب قولا لعمر بن الخطاب ، وقد وقف على الركن والمقام » الى آخره .

لا يخفى عليك أن هذا النصرانى خلط بكلامه ولم يميز الركن والمقام والحجر الأسود ، والحديث فى صحيح الامام البخارى عن عابى بن ربيعة عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه جاء الى الحجر فقبله ، فقال : انى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا انى رأيت النبى ﷺ يقبلك ما قبلتك . وفى شرحه للامام الحافظ ابن حجر أنه ورد فى الحديث ان الحجر الأسود من الجنة ، وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم ، وانه يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق ، وأن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله تعالى نورهما ، ولولا ذلك لأضاء ما بين المشرق والمغرب .

وعن ابن عباس قال : رأيت عمر قبل الحجر ثلاثا ثم قال : « انك حجر لا تضر ولا تنفع » — أى الا باذن الله — « ولولا انى رأيت الرسول ﷺ قبلك ما قبلتك » ثم قال : « رأيت رسول الله فعل مثل ذلك »

قال الامام الطبرى انها قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام فخشى عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار ، كما كانت العرب تفعل فى الجاهلية ، فأراد عمر رضى الله

تعالى عنه أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله ﷺ لا لأن الحجر يرفع ويضر بذاته ، كما كانت الجاهلية تعتقد في الأوثان .

قال المهلب : « وانما شرع تقبيله اختبارا ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيهه بقصة ابليس حيث أمر بالسجود لآدم »

وروى أن آدم عليه السلام لما حج استلم الأركان كلها وأن ابراهيم واسماعيل لما فرغا من بناء البيت طافا به سبعا يستلمان الأركان « ١ . هـ .

ولعل له حكما آخر تعجز عن ادراكها أفكار النصارى على أن الأمور التعبدية التي أمرت بها الرسل عليهم السلام اتباعهم ، لا يلزم البحث عنها ويجب العمل بها كما سيأتيك اعترافه بذلك قريبا ، والعجب أن هذا المؤلف يعترض على هذه المسألة الجزئية التي هي عبارة عن التبرك الخالي عن العبادة والسجود للحجر ، وينسى ما ذكره عن الصليب وتعظيمه وتقبيله والسجود اليه وله واستحالة الخبز والخمر الى لحم الهه ودمه وأكله وشربه ، وغفل عن قول المسيح : « لا تنظر القذى بعين أخيك وتنسى الخشبة التي في عينك » وقد فصلنا لك عبادتهم للصليب وصورة مريم ، ورد جميع ذلك ، فتذكره ولا تغفل .

قوله : « فاما ما يريد المعائب أن يعيب به من يخلق شعر رأسه ويتعمرى ويعدو ويرمى بالجمرات » الخ .

لا يخفى عليك أن كل كلامه هذا خلط وتويه وتدليس وكذب على من لم يعرف دين المسلمين وحجهم ، فاما حلق شعر الرأس أو بعضه أو ولو شعرة منه أو تقصير بعضه ما عدا النساء ، فانما يكون عند تمام الحج والخروج منه إذ حلق ذلك لا يكون قبل الحج ولا في أثنائه ، بل هو عند الاكمال وعند لبس الثياب المعتادة ، وأما التعرى فهو كذب بل من أراد الحج الذي هو عبارة عن الوقوف في منى الجبل المعروف والأرض المعلومة وعبارة عن زيارة الكعبة والسعى بين الصفا والمررة المحل المعروف

أيضا ، وعبارة عن دعاء الله سبحانه وحده فيها والصلاة له والطلب منه عز وجل فى ذلك المكان الشريف ، فانه يترك الجماع فى تلك المدة ولا يلبس الثياب المخيطة بل يلبس ثيابا غير مخيطة ويتزربها ، ولا يجوز له أن يتعرى بل يكون كأنه فى أكفان الموتى ورأسه حالته السابقة لا يخلقه ولا يقصره ، غير أنه لا يجعل عليه قلنسوة ولا عمامة ولا يستتره بشىء سوى شعره الذى عليه ، سواء كان كثيرا أم قليلا . على أن هذه قد تسقط عنه اذا كان معذورا أو يخرج فدية ويقدم للفقراء شيئا معلوما فى الشرع . وهذا وان كان أمرا تعبديا لا يسئل عن حكمته الا أن بعض حكمه ظاهرة ، لأن هذه الحالة مشعرة بكمال انقياد الانسان الى خالقه اذا اتاه فى حالة شبيهة بحال الموتى فى أكفانها ومضاهية لحالة البعث والنشور ، وفيها غاية الذل لأن الانسان اذا تذل للملك من الملوك ولا سيما اذا كان ذا جناية يجعل ما برأسه فى رقبته ، ويدخل الى الملوك مكشوف الرأس . وهذه من عادة العرب الى الآن فانها توجد هذه العادة فى كثير منهم ، حتى ان الفرنج وسائر من يقلدهم من النصارى اذا ادخلوا على رجل جليل يرفعون قلنسواتهم من رعوسهم ولا يلبسونها الى وقت خروجهم من مقامه ، فأى عيب من تذل العبد لربه سبحانه وتعالى أن يكشف رأسه تذلا اذا أتى الى محل عبادته فى السنة مرة واحدة بل فى عمره مرة واحدة وأن يستتر جسمه يوما بثياب غير مخيطة ؟ وهؤلاء رهبانكم ومترهبانكم فى كنائسكم لهم لباس مخصوص بهم ، ولهم زناجر وهيئات يستعملونها فى وقت عبادتهم ، فهلا تذكركم وتذكرت أنواع العبادات المخترعات التى تستعملونها فى كنائسكم مما لو أردنا بسطه لطال المقال بانكشاف الحال ؟

وأما العدو فهو عبارة عن السعى والاسراع فى المشى بذلك لعبادة الله تعالى وقهر الأعداء والكفار .

وأما رمى الجمرات فهو عبارة عن لعن الشيطان الذى تقاوم مع المسيح عليه السلام الاله بزعمكم ، فاذا كان التصارع مع الاله محققا لديكم فلا بأس علينا اذا نحن رميناه بحصيات ولعنناه .

قوله : « وقد احتجنا لكم عند من ثلبيكم بهذا وقلنا انما يفعلونه من
جهة التعبد فاجابنا » الخ .

لا يخفى عليك أن الحج وان كان أمرا تعبديا ولا يلزم بيان حكمته لأن
الأمور التعبدية لا يلزم بيان حكمتها غير أن حكمه كثيرة . منها ما هو
ظاهر بلا التباس . ومنها ما هو خفى على كثير من الناس .

فمن الحكم الظاهرة : أن المسلمين اذ ادعوا البارئ سبحانه فيما ينفعهم
فى الدنيا والآخرة مجتمعين ، فانه يكون اقرب لاجابة المضطرين وأنفع
فى ابتهال الداعين .

ولذا أمرت الشريعة المطهرة بترتب الاجتماعات على أربع مراتب :
فأولها : فى أداء الصلوات الخمس فى الجماعات ، لأن القوم اذا اجتمعوا
حصلت من تلك الجمعية آثار لا تحصل عند الانفراد . وثانيها : صلاة
الجمعة ، فان الجمعية هناك أتم وأكثر ، فلا جرم تكون قوتها أكمل
وأفضل .

وثالثها : صلاة العيد والجمعية فيها أكثر وأتم مما فى صلاة الجمعة .
ورابعها : اجتماع أهل العالم فى موقف الحج ، فان الحج العظيم من أهل
المشرق والمغرب يجتمعون فى ذلك الموقف ويوجهون أفكارهم وأذهانهم الى
استنزال الرحمة وطلب المغفرة من الله تعالى ، بقلوب منكسرة وأفئدة اليه
سبحانه منقطعة ، وهم مع ذلك على هيئة خروجهم من القبور للبعث
والنشور ، ليس عليهم من الثياب الا ما يحاكي الأكفان ، ولا يطلبون من
سواه الغفران . وكلهم غرباء الأوطان ملبون لندائه من البر والبحر وأبعد
البلدان ، فلا جرم يحصل فى هذا الحال والاجتماع من التأثير ما لا يحصل
من سائر الوجوه وفى بقية البقاع ، كما لا يخفى على المطلع الخبير .

تتمة : قد وقع فى العهد القديم ما أوجب أيضا استهزاء الملاحدة عليه ،
ولنذكره لك لترى الفرق بينه وبين مناسك الحج التى شرعت للمسلمين .
(م ٢٥ - الجواب الفسيح)

وفيها الحكم الظاهرة والمنافع للناسكين ، ففي الاصحاح الرابع من سفر حزقيال من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٤ ما لفظه : « وأنت تنام على جانبك الأيسر وتجعل آثام بيت اسرائيل عليها على عدد أيام ترقد عليها وتتخذ اثمهم أما أنا أعطيتك سنى آثامهم على عدد أيام ، ثلاثئة وتسعين يوما ، وتحمل اثم آل اسرائيل ، ثم اذا كملت هذا تنام على جانبك اليمين ثانية ، وتتخذ اثم آل يهوذا أربعين يوما ان يوما عوض سنة جعلته لك ، وتقبل بوجهك الى محاصرة اورشليم ، وذراعك تكون مشدودة وتبنى عليها ، هوذا شدتك بوثاق ولا تلتفت من جانبك الى الجانب الآخر حتى تتم أيام محاصرتك ، وأنت خذلك حنطة وشعير وفولا وعدسا ودخنا وجاورس وتجعلهن فى اثناء واحد وتخبزلك خبزا على عدد الأيام التى ترقد فيها على جانبك ثلاثئة تسعين يوما تأكله ، وطعامك الذى تأكله يكون بالوزن عشرين مثقالا فى كل يوم ، من وقت الى وقت تأكله ، وتشرب ماء بمقدار السدس من القسط من وقت الى وقت تشربه ، وكخبز ملة من شعير تأكله وتلطخه بزبل يخرج من الانسان فى عيونهم »

فأمر تعالى حزقيال عيه السلام ثلاثة أحكام : الأول : أن يرقد على جانبه الأيسر ثلاثئة وتسعين يوما ويحمل آثام اسرائيل ، ثم يرقد على جانبه الأيمن أربعين يوما ويحمل اثم آل يهوذا . والثانى : أن يقبل بوجهه الى محاصرة اورشليم وتكون ذراعه مشدودة ولا يلتفت من جانب الى جانب آخر ، حتى تتم أيام المحاصرة . والثالث : أن يأكل الى ثلاثئة وتسعين يوما كل يوم خبزا ملطخا بغائط الانسان . والملاحدة يستهزءون من هذه الأحكام كما قاله النصرارى فى كتبهم ، ويستبعدون أن تكون هذه أحكاما الهية ، ويقولون اما أمكن أن يكون ادم النبى المقدس غير براز الانسان ؟ الا أن يقال ان الغائط المذكور يكو طاهرا فى حق الطاهرين . كما يفهم من كلام مقدسهم بولس فى الآية الخامسة عشر من الاصحاح الأول من رسالته الى نيطس ، على أن الله تعالى قد أخبر بواسطته : « أن النفس التى تخطى فهى تموت ، والابن لا يحمل اثم الأب ، والأب

لا يحمل اثم الابن . وعدل العادل يكون عليه ، ونفاق المنافق يكون عليه « كما هو مصرح فى الآية العشرين من الاصحاح الثامن عشر من كتابه . فكيف امره أن يحمل اثم يهوذا واسرائيل ؟ ووقع أيضا فى الاصحاح العشرين من سفر أشعيا : أن الله امره أن يكون يكون عريانا حافيا الى ثلاث سنين ، ويمشى على هذه الحالة . والملاحدة أيضا يقولون مستهزئين كيف يمكن أن يأمر الله تعالى نبيه أن يمشى ثلاث سنين مكشوف العورة بين النساء والرجال ؟ ووقع أيضا فى الاصحاح الأول من سفر هوشع أن الله تعالى امره أن يتزوج زانية ويولد أولاد زنا . ثم وقع فى الاصحاح الثالث من السفر المذكور أن يتعشق امرأة فاسقة محبوبة لزوجها ، مع أنه فى الآية الثالثة عشر من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الأحبار ما نصه : « ولا يتزوج الكاهن الا امرأة عذراء . ولا يتزوج أرملة ولا مطلقة ولا منجسة بالزنا ، فلا يتزوج من هؤلاء البتة ، بل يتزوج عذراء من قومه » وفى الاصحاح الخامس من انجيل متى : « كل من ينظر الى امرأة يشتهيها فقد زنى بها فى قلبه » فكيف يأمر الله نبيه بما ذكر ؟

إذا علمت ذلك فليكن التعرى فى الحج كتعرى أشعيا مع أن الفرق ظاهر ، إذ لا تعرى فى الحج بل هو عبارة عن لبس ثياب ساترة لجميع البدن ، غير أنها ليست بمخيفة . وأما أكل الغائط فليس له نظير فى حكم من أحكام الاسلام وغيرهم . ولت شعرى كيف غفل « عبد المسيح » عن هذه الأحكام حتى اعترض على مناسك الاسلام ؟ وكيف نسى أحكام النصارى التى بينها غير مرة ؟ وكيف كتم الطامات الكبرى والتبديلات العظمى حتى هنك الجواب سترة ؟ فنعوذ بالله تعالى من الخذلان وله الحمد على توفيقه لأحسن الأديان .

قوله : « فما انكاركم على الجوس » الخ .

لا يخفى على المطلع المنصف أنه لا مشابهة ولا مناسبة بوجه من الوجوه بين عبادة المسلمين وعبادة الجوس . والفرق بينهما ظاهر كالفرق بين

الصباح والليل الكافر ، اذ المسلمون لا يعبدون الا الله وحده لا شريك له ولا يسجدون لمخلوق من مخلوقاته ولا يعبدون رسولا من أنبيائه ولا ملكا ولا انسا ولا جنا ولا حجرا ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا ولا يجعلون بينهم وبينه وسائط لجلب نفع أو دفع ضرر .

فالمشابهة بين المجوس والنصارى ظاهرة ، لا يقدرّون على التخلص منها . كما فصلناه لك فى كتابنا هذا من عبادتهم وسجودهم للصليب ، ولصورة المسيح عليه السلام وأمه مريم البتول رضى الله تعالى عنها ولصور الملائكة والقديسين ولن ظنوه من الصالحين فيصلون لهم ويسجدون ويوسطونهم فى أمورهم ويبتهلون ويتضرعون ، لأن يقضوا حوائجهم ويزيلوا كربهم ويخلصونهم من نار الجحيم . وهذه كتبهم طافحة بذلك ، فأى فرق البين المجوس ومن يسلك هذه المسالك ؟ وليت شعرى من لا ينتزّه عن النجاسات ويأكل الخبائث ويستبيح أكل الخنزير والقاذورات ويأكل فى الاوخرستيا — وهو العشاء الربانى — جسم من يعتقدده الها ويشرب دمه الحقيقى ، ويزعم أن هذا الاله المأكول ملعون بلسان التوراة ويدخل الجحيم — كما نقلنا جميع ذلك وأمثاله مرارا عديدة من كتبهم — كيف يسوغ له أن يعترض على المسلمين فى حجهم ومناسكهم ؟ مع ما تفعله النصارى فى حجهم الى بيت المقدس وما يفعلونه فى أعيادهم من الافعال الشنيعة ويتخذونه الى التقرب ذريعة ، وذلك مثل ما يفعلونه فى عيد مريم وغيره من أعيادهم من الشنائع التى لم تسبقهم اليها الأم ، فتتبع وانصف .

قوله : « واقبح من هذا كله ما جاء فى ذكر الطلاق ونكاح المرأة رجلا آخر يسمى الاستطال » الخ .

لا يخفى على من اطلع على كتب الاسلام ووقف على أحاديث نبينا عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام أن مسألة التحليل التى زعمها النصارى محرمة وملعون فاعلها . فقد قال ﷺ : « لعن الله المحلل والمحلل له » وسماه عليه الصلاة والسلام التيس المستعار ، فهى حرام عند المسلمين

بللوجه الذى موه به النصرانى والمسألة مبسطة فى الكتب . ولشيخ
الاسلام تقي الدين الحرانى كتاب مخصوص مفصل فى هذه المسألة ، وكذا
الشيخ شمس الدين بن القيم بسط هذا البحث فى كتابه « اعلام الموقعين »
وان هذا لفعل حرام ملعون فاعله ومعاقب يوم الدين . ولولا خشية التطويل
لذكرت أقوال الأئمة فى تحريمها ولعن فاعلها ومن أراد زيادة البيان
فليرجع اليها .

وقال العلامة ابن القيم فى كتابه اعلام الموقعين : ، واما تحريم المرأة
على الزوج بعد الطلاق الثلاث وابطاحتها له بعد نكاحها الثانى ، فلا يعرف
حكمته الا من له معرفة بأسرار الشريعة وما اشتملت عليه من الحكم
والمصالح الكلية . فنقول وبالله تعالى التوفيق : لما كان اباحة فرج المرأة
للرجل بعد تحريمه عليه ومنعه منه من أعظم نعم الله تعالى عليه واحسانه
اليه كان جديرا بشكر هذه النعمة ومراعاتها والقيام بحقوقها وعدم تعرضها
للزوال . وتنوعت الشرائع فى ذلك بحسب المصالح التى علمها الله تعالى
فى كل زمان ولكل أمة ، فجاءت شريعة التوراة باباحتها له بعد الطلاق
ما لم تتزوج (١) فاذا تزوجت حرمت عليه ولم يبق له سبيل اليها . وفى
ذلك من جهة الحكمة والمصلحة ما لا يخفى ، فان الزوج اذا علم انه اذا
طلقها وصار أمرها بيدها وان لها أن تنكح غيره وأنها اذا نكحت غيره
حرمت عليه أبدا كان تمسكه بها أشد وحذره من مفارقتها أعظم ، وشريعة
التوراة جاءت بحسب الأمة الموسوية فيها من الشدة والاصر ما يناسب
حاله ، ثم جاءت شريعة الانجيل (٢) بالمنع من الطلاق بعد التزويج البتة ،
فاذا تزوج بامرأة فليس له أن يطلقها ، ثم جاءت الشريعة الكاملة الفاضلة

(١) التثنية ٢٤ .

(٢) الانجيل ليس شريعة منفصلة عن شريعة التوراة لقول المسيح :
« ما جئت لأنقض الناموس » (مت ٥ : ١٧) وتحريم الطلاق الالعة
الزنا موجود عند النصارى وهو من مبتدعاتهم ، لأن المسيح لم ينسخ التوراة
وفيهما اباحة الطلاق .

المحمدية التي هي اكمل شريعة نزلت من السماء على الاطلاق واجلها وافضلها واعلاها واقومها بمصالح العباد في المعاش والمعاد بأحسن من ذلك كله واكمله وأوفقه للعقل والمصلحة ، فان الله سبحانه أكمل هذه الأمة دينها وأتم عليها نعمته وأباح لها من الطيبات ما لم يحه لأمة غيرها ، فأباح للرجل أن ينكح من أطايب النساء أربعاً وأن يتسرى من الاماء بما شاء ، وليس التسرى في شريعة غيرها (١) اذ لعل الأولى لا تصلح له ولا توافقه فلم يجعلها غلاماً في عنقه وقيداً في رجله وأصرأ على ظهره ، وشرع له فراقها على أكمل الوجوه لها وأن يفارقها واحدة ، ثم تتربص ثلاثة قروء . والغالب انها في ثلاثة أشهر فان تاقت نفسه اليها وكان له فيها رغبة وصرف مقلب القلوب قلبه الى محبتها ، وجد السبيل الى ردها ممكناً والباب مفتوحاً فراجع حبيبته واستقبل أمره وعاد الى يده ما أخرجه يد الغضب ونزغات الشيطان منها ثم لا يؤمن غلبات الطباع ونزغات الشيطان من المعاودة ، فمكن من ذلك أيضاً مرة ثانية . ولعلها أن تذوق من مرارة الطلاق وخراب البيت ما يمنعه من معاودة ما يغضبه ويذوق هو من ألم فراقها من يمنعه من التسرع الى الطلاق . فاذا جاءت الثالثة جاء ما لا مرد له من أمر الله ، وكأنه قيل له قد اندفعت حاجتك بالمرّة الأولى والثانية ولم يبق لك عليها بعد الثالثة سبيل ، فاذا علم أن الثالثة فراق بينه وبينها وانها القاضية امسك عن ايقاعها فانه اذا علم انها بعد الثالثة لا تحل له الا بعد ثلاثة قروء ، وتزوجت زوج راغب في نكاحها وامساكها فان الاول لا سبيل له اليها حتى يدخل بها الثاني دخولا كاملاً يذوق فيه كل واحد منهما عسيلة صاحبه بحيث يمنعه ذلك من تعجيل الفراق ثم يفارقها بموت أو طلاق أو خلع ، ثم تعتد من ذلك عدة كاملة يبين له حينئذ بأس بهذا الطلاق الذي هو أبغض الحلال الى الله تعالى وعلم كل واحد منهما أنه لا سبيل له الى العود بعد الثالثة ، لا باختياره ولا باختيارها وأكد هذا المقصود

(١) التسرى في شريعة التوراة موجود . وكان لسليمان عليه السلام سبعمائة سرية وهو على شريعة التوراة . وكان لإبراهيم عليه السلام تسراري وانجب منهن (تكوين ٢٥)

بل لعن الزوج الثاني اذا لم ينكح نكاح رغبة يقصد فيها الامساك ، بل ينكح نكاح تحليل ، ولعن الزوج الأول اذا ردها بهذا النكاح بل ينكحها الثاني كما نكحها الأول ، ويطلقها كما طلقها الأول ، ويطلقها كما طلقها الأول . وحينئذ فتباح للأول كما تباح لغيره من الأزواج .

وأنت اذا وازنت بين هذا وبين الشريعتين المنسوختين (٢) تبين لك عظمة هذه الشريعة وجلالتها وهيبتها على سائر الشرائع ، وأنها جاءت على أكمل الوجوه وأتمها وأحسنها وأنفعها للخلق . وهذه الدقائق ونحوها مما يخص الله تعالى بفهمه من شاء ، فمن وصل إليها فليحمد الله ومن لم يصل إليها فليسلم لأحكام الحاكمين واعلم العالمين ، وليعلم أن شريعته فوق عقول العقلاء وفوق فطر الأولياء :

وقل للعيون الرمد لا تتقدمي

الى الشمس ، واستغشى ظلام الليالي

وسامح ولا تنكر عليها وخلصها

وان انكرت حقا فقل خل ذالبا

عاب التفقه لا عقول لهم

وما عليهم اذا عابوه من ضرر

ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة

ان لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وأما مسألة الطلاق فهي من الأحكام الشرعية الالهية ولم يخترعها علماءنا من أنفسهم ، كما اخترع « بولس » بعد المسيح أحكاما مضادة للتوراة ، كمسألة الختان وأكل لحم الخنزير وتغيير قبلتهم من بيت المقدس الذى كان يستقبله المسيح الى مشرق الشمس وغير ذلك ، ولم تكن شريعتنا بدعا

(٢) يقصد أن الانجيل شريعة ، والتوراة شريعة . والصحيح أن الانجيل هو البشرى بمجىء النبي ﷺ . والمسيح بين فيه انه ملتزم بالتوراة .

فى مسألة الطلاق ، فالتوراة مصرحة بجواز ذلك كما نظناه لك غير مرة ،
على أن نسخ الشرائع أثبتناه لك مفصلا فى محله .

فاذا سلمنا وقلنا ان هذه المسائل مختصة بالشرعية المحمدية ، فأى
بأس فى ذلك بعد أن يكون النسخ ثابتا فى الشرائع السالفة ؟ فهذه مسألة
الطلاق والختان تسلمون أنهما كانا فى عهد موسى عليه السلام الى أن
رفع المسيح ، ثم نسختا وحرمتا عندكم ، فلتكن كثير من مسائل المسلمين
ناسخة لما قبلها من شرع المرسلين ، فلا يضرنا هذا شئنا بعد أن أثبتنا
ولله تعالى الحمد نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام وأنه خاتم النبيين ، وأن
النسخ واقع والحكم الالهية ليس لها دافع ، وقد ذكرنا لك فى بعض المواضع
من كتابنا هذا جملة من محاذير عدم جواز الطلاق عند النصرارى ، وما يقرب
عليه من وقوع المحاذير والزنا من الامرأة . والرجل منهم اذا كانا متباغضين
أو أحدهما شاب والآخر بخلافه كما شوهد مرارا لا سيما والتزوج بأكثر
من واحدة ممنوع أيضا . فافهم وأنصف وسيأتيك ان شاء الله تعالى زيادة
كلام على هذه المسألة فانظرها ولا تغفل .

قال النصرانى : « واما قولك : تنظر الى حرم رسول الله وتشاهد
تلك المواضع المباركة العجيبة .

فقد صدقت ى أكرمك الله — فى قولك : انها مواضع عجيبة اعجب
من تلك المواضع عند نوى العقول والتمييز التى يرتكب فيها ما يرتكب
من ظلم العقل ، والتمييز الذى فضل الله به الانسان على سائر البهائم ،
وانعم به عليه ؟

واما قولك : « انها مواضع مباركة »

فخبرنى ما الذى صح عندك من بركتها ؟ أى مريض مضى اليها فبرئ
من مرضه ؟ أو أى زمن قصدها فنهض من زمانته ، أو أى أبرص زار ذلك
المكان فذهب عنه برصه ، أو أى أعمى صيرته الى تلك البقعة فافتتحت عيناه ،
أو أى مخطب من الشيطان حمل الى ذلك البلاد فرجع صحيحا سليما ؟ فما اظنك

— ابقاك الله — بل كيف اظنك وحبك ولا اجد احدا ممن يتقادم مثالك او يرى رايك يجترىء ان يفكر فى مثل هذا ويقول ان مثل ذلك الموضع فعل مثل ذلك ، فضلا ان يدلنا على احد يومئ اليه انه كان عوفى وانصرف عن مثل الحال التى طالبناك بها . وكيف اقول وانت واهل ملكك ونيبك الذى تتفخر به وبحبك اليه ليس احد على وجه الأرض ممن يضمه هذا الفلك المحيط يقدر ان يدعى شيئا مما طالبناك به ، او يصح فى يديه الا من انتحل الملة النصرانية ؟ فهذا امر قاطع فيك وفى غيرك من جميع اهل الاديان والمال ، فمامعنى اضافتك ذكر البركة والتشريف ، والحاكك ذلك فى هذه المواضع ؟ وانما عرفنا البركات تحل فى المواضع التى يعبد الله فيها حق عبادته ، ويأويها الأبرار الصالحون الاتقياء الذين قد وهبوا أنفسهم لله فهم فى طاعته دائبون ليلهم ونهارهم ، لا يفتررون ولا يشغلهم عن ذلك شغل ، قد رفضوا الدنيا وخلوها ونزعوا عن قلوبهم الفكر منها والاهتمام بشيء من أمرها ، فهم أحق بأن تنزل البركات من عند الله عليهم وعلى مساكنهم وتنزل الأثنية والعوافى على أيديهم . واذا سالوه تعالى أعطاهم ، واذا طلبوا أنجح طلبتهم ، واذا تشفعوا اليه شفعهم ، واذا دعوه أجابهم لأن موعدة لا يخلف فيه ولا يضيع عنده أجر المحسنين . وكذلك قال الله تبارك وتعالى على لسان داود النبى : « يطلب الأبرار فيجدونه » وقال فى موضع آخر : « الرب قريب ممن يدعوه بالحق ، ويات مسرة أتقيائه ، ويسمع دعاءهم ، فيخلصهم ، والرب يحفظ جميع من يفشاه » (مزامير ٣٤ — ١٤٥) وأكد هذا القوب الرب المسيح فى انجيله المقدس بقوله : « استلوا تعطوا اطلبوا تجدوا » ثم قال فى موضع آخر : « ايما رجلان متكما يتفقان على مسألة أمر ما من الأمور باسمى فانهما يعطيها من أبى الذى فى السموات » (متى ١٨) فقد أنجز موعدة وحقق قوله وصدق ما جاء به من النور والهدى فى انجيله ، فليس من مكروب ولا ملهوف ولا محزون ولا مريض ولا مستغيث يسأله بايمان صحيح ، ونية صادقة وقلب سليم من أولياء المسيح باسم المقدس الطاهر الا فرج عنه همه وغمه وكربه وكفى مؤنة هزئه ، ونزلت له العافية والشفاء من الله بواسطة أوليائه ،

وبركة دعاء الصالحين عبادة ، لأنه طلب الأمر . من جهته وسأل حاجته من الناحية التي تسأل الحوائج منها . فهذه الديارات العامرة بالبيع وجميع المواضع التي يذكر فيها اسم المسيح مخلص العالم وياوى فيها الرهبان ، ممثلة من هذه البركات تفيض على جميع من صار اليها وقصدها باخلاص نيته وسلامة قلبه ، واسترسال الى من يسكنها وتصديق لما فى أيدي من يطلب منه ذلك فيضا لا يطلب من أحد ثمنا ولا مكافأة ، ولا ينال على ذلك جزاء ولا شكر الا أن السيد المسيح مخلص العالم قال فى انجيله الطاهر : « مجانا أخذتم مجانا اعطوا ، ولا تأخذوا ذهباً ولا فضة » (متى . ١٠)

فهم حافظون لوصيته تابعون مقتفون أثره وهو جل ذكره راع يسمع دعاءهم ويؤتى البركات وينزل الرحمة والاشفية على أيديهم للناس كافة الا من عاند الحق وارتد خائبا وصد معرضا عن التقوى ، فانه يخيب ويخسر . على أنه ان رجع قبل كما يقبل الأب الابن الحبيب الذى نظير الضالة يشرذ عن بيت أبيه ثم يعاتب نفسه فيرجع نادما تائبا عارفا بما يجب عليه من الحق اللازم له مقرا بخطئه منتصلا من ذنبه منخلدا نليلا لما جنى من نكوصه وشره ، فتلقاه رحمة أبيه فتقبله حقا المقبول ويسر بتوبته واعتذاره ويفرح بموافاته واوبته ولا يؤأخذه بما جناه على نفسه بقلة معرفته وجهل صباه ثم يقول له : انك كنت ميتا فعشتت وضالا فاهتديت ومستغويا فرشدت ، فمين اصلحك الله الامرين ولا تتداخلك الحمية ، فانها ثمرة كيد الشيطان ان الشيطان كان للانسان عدوا » فهل ترى لى يرحمك الله أن أدع ما فى يدي من هذه النعمة العظيم قدرها الجليل خطرهما التي تفبطنى الملائكة عليها فضلا عن بنى البشر من نرية آدم وما كانت الأنبياء والملوك والأبرار اترجاه وتتوق أنفسها اليه وأخذ بما كتبت به الى مما يأنف منه طبعى وياباه تمييزى ، ويلوونى عليه عقلى وينفر منه . ما أظننى أكون اذا فعلت ذلك لنفسى من الناصحين » ا . هـ .

أقول : ان كلام النصرانى هنا كلام لا طائل تحته ولا يحتاج فى الحقيقة الى الرد ، غير أنا لم نتركه من الجواب خشية ظن النصرارى أنه كلام له

أهمية وفيه ما يوجب الظعن في دين الاسلام ، وأنا عجزنا عن جوابه ، مع أن الأمر ليس كذلك لأن المسلم الهاشمي الذي تقول النصراني على لسانه هذه الرسالة الرسالة منه الى النصراني ، لا تظن صحتها وان ظننا صحتها لا تثبت جميع كلماتها عن المسلم ، لأن دس النصراني فيها بعض الكلمات ليبنى عليها فاسد مقاصده واعتراضاته من أقرب ما يجيء الى الذهن ، على أنه ليس فيها بأس عند من انصف . وذلك مثل قوله : « وتشاهد تلك المواضع المباركة العجيبة » فان بركة المدينة المنورة والحرم النبوي أمر لا ينكره مسلم ووصفها بالعجيبة ان صح لفظ الهاشمي بها فلها رأى المسلمون من الخوارق الواقعة في الحرم النبوي من الأنوار الساطعة والأشعة اللامعة على الروضة المطهرة ومن الكرمات التي أكرمها الله تعالى نبيه ﷺ واستجابة الدعاء هناك لمن دعا بقلب خالص وانا بصادقة الى الله تعالى وما وقع . كثير من الزائرين وما رأوه من المعجزات النبوية والخوارق التي ملأت منها بطون الكتب ، وعرفها المسلمون وصدقها الموحدون . ولو أردنا ذكرها لأفضى بنا الحال الى الاطناب .

ومن ذلك القصة الشهيرة التي وقعت في أيام السلطان « نور الدين » فقد ذكر الوالد نور الله تعالى ضريحه في كتابه « الطراز المذهب » ناقلا عن التواريخ المعتمدة ما لفظه : « ان الحجرة النبوية الشريفة اليوم محاطة بالرضا من تحت الأرض لأمر اقتضى ذلك وهي حادثة الاشقرين ، فقد نقل أن السلطان نور الدين بن زنكى — عليه الرحمة — رأى النبي ﷺ في المنام ثلاث مرات في ليلة واحدة ، وهو يقول كل مرة : « يا محمود أنقذنى من هذين الشخصين » لشخصين أشقرين تجاهه ، فاستحضر وزيره قبل الصبح ، فأخبره . فقال له : هذا أمر حدث في المدينة ليس غيرك له . فتجهز وخرج على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغيرها حتى دخل المدينة ، على حين غفلة من أهلها ، فلما زار طلب الناس عامة للصديقة ، وقال لا يبق أحد بالمدينة الا جاء فلم يبق الا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان في الناحية التي وراء الحجرة المكرمة عند دار آل عمر ، التي تعرف اليوم بدار العشرة ، فسئلا عن سبب فتخلها . فقالا : نحن في كفاية ، فجدد في طلبها ، حتى جىء بها فلما رأها قال للوزير : هما

هذان . فسألها عن حالهما وما جاء بهما . فقالا : جئنا لجاورة النبي ﷺ
فكرر السؤال عليهما حتى أفضى الى العقوبة ، فأقرا أنها من النصارى
جاءا لينقلا النبي ﷺ من حجرته ، ووجدهما قد حفرا نقبا من تحت حائط
المسجد القبلى يجعلان التراب فى بئر عندهما فى البيت فضرب أعناقهما
عند الشباك الذى شرقي الحجرة المطهرة خارج المسجد ، ثم أحرقا وجعل
للحجرة المعظمة خندقا وملاء رصاصا حذرا من وقوع مثل ذلك ، ثم ركب
متوجها الى الشام — عليه رحمة الملك العلام — .

وهذه القصة مما شاع وذاع فى سائر البلاد والبقاع « أ. ه — وكذا
ذكرها والاشارات اليها قد وقع قبل بعثة نبينا عليه الصلاة والسلام وأدرج
فى الكتب التاريخية والتاريخية كما ذكرنا غير مرة . ومن ذلك : ما ذكره
العلامة ابن خلدون فى الجزء الثانى من تاريخه فى بحث ملوك القبايلة من
حمير وأوليتهم باليمن عند ذكر تبع الأصغر ، وهو تبان أسعد أبو كرب .
ويقال له : الرائد وأنه أخذ بدين اليهودية ، وذكر فى سبب تهوده ما لفظه :
« لما غزا الى المشرق مر بالمدينة يثرب ، فملكها وخلف ابنه فيهم ، فعدوا
عليه وقتلوه غيلة ، ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلة من بنى النجار ، فلما
أقبل من المشرق وجعل طريقته على المدينة مجمعا على خرابها فجمع هذا
الحى من أبناء قبيلة لقتاله فقاتلهم ، وبينما هم على ذلك جاء حبران من أحبار
يهود من بنى قريظة ، وقالوا له : لا تفعل فانك لن تقدر ، وانها مهاجر نبي
قرشى يخرج آخر الزمان وتكون قرارا له ، وأنه أعجب بكما واتبعهما على
دينهما ، ثم مضى لوجهه . ولقيه دون مكة نفر من هذيل وأغروه بمال الكعبة
وما فيها من الجواهر والكنوز ، فنهاء الحبران عن ذلك . وقالوا له : انها
أراد هؤلاء هلاكك فقتل النفر من الهذليين وقدم مكة ، فأمره الحبران بالطواف
بها والخضوع ، ثم كساها وأمر ولاتها من جرهم بتطهيرها من الدماء والحيض
وسائر النجاسات ، وجعل لها بابا ومفتاحا ثم سار الى اليمن . وقد
ذكر قومه ما أخذ به من دين اليهودية وكانوا يعبدون الأوثان فتعرضوا
لمنعه ، ثم حاكموه الى النار التى كانوا يتحاكمون اليها فتاكل المظالم وتدع
المظلوم ، وجاؤوا بأوثانهم وخرج الحبران متقلدين المصاحف ودخل

الحميريون فأكلتهم وأوثانهم ، وخرج الخبران منها توشح وجوههم وجباههم عرقا فأمنت حمير عند ذلك ، وأجمعوا على اتباع اليهودية ، ثم ذكر من شعره بعد أن قاتل قباد بن فيروز ملك العراق قوله :

اذ حسينا جياننا من دمء ثم سرنا بها مسرا بعيدا
واسستيدنا بالخيل خيل قياد وابن اقليد جاءنا مصفودا
وكسوننا البيت الذي حرم آل لله ملا منضدا وبرودا
واقمننا به من الشهر عسرا وجعلنا لبابه اقليدا

على أن أمر صحة نبوته عليه الصلاة والسلام ليس متوقفا على أن يشفى عند قبره المريض والأبرص ويفتح بصر الأعمى ويصح عقل المجنون ويبرأ الزمن ، لأنهم ندع ألوهية نبينا عليه الصلاة والسلام وتصرفه في الكون حيا وبعد مفارقة الدنيا ، بل الأمر كله لله يفعل بعبيده ما يشاء ويحكم ما يريد ، ويظهر على يد أنبيائه المعجزة متى شاء ويظهر على يد أوليائه الكرامة متى شاء . وليس من شروط النبو أن تظهر له معجزة بعد وفاته ، وأن يفعل الله تعالى كل ما أحب في حال حياته ، وأن يتصرف في الكون بعد وفاته فيكون شريكا لله تعالى فيما قدره على عبيده وقضاه .

وليس من شروط أولياء الله تعالى أن تظهر لهم كرامات أو يخلق الله تعالى لهم ما هو من خارج العادات ، بل يفعل لهم ذلك عند تعلق ارادته في تصرفه بخليقته . ولبت شعري هل يسوغ لعائل أن ينكر نبوة موسى وغيره من المرسلين ، لاندراس قبره الآن وقبورهم ، أو ينكر نبوة يونس عليه السلام المعروف بيونان ، لأنه الآن ظاهر مشهور بنينوى قرب الموصل ، ولم نر وجود هذه الأشياء عند قبره ؟ مع أن ذا المعاهات يقصدونه فلم يشف مريض هناك ، ولم يفتح بصر أعمى ولم يقع شيء من هذه الخوارق هناك . ولم نر شيئا وقع من هذه الأشياء في بيت المقدس أو بيع النصارى وكنائسهم ومعابدهم أيضا ، على أن من الأنبياء كحيى وزكريا وغيرهم من قتله بنو اسرائيل ولا يخل قتلهم بأمر نبوتهم أو تسلط أعدائهم عليهم

وعدم خلاص أنفسهم من شرهم . فهل يكون ذلك دليلا على عدم نبوتهم ؟ مع أنا نرى ما يقع لعباد الأصنام من الخوارق عند زيارة أصنامهم والدعاء عندها ، وما يقع لعباد النار والماء والكواكب من الخوارق عند الابتهاال بالدعاء لمعبوداتهم الباطلة . فهل يكون ذلك دليلا على صحة دينهم وحقيقة نحلتهم واصابة فعلهم ، مع أن بطلان دينهم وعقيدتهم من الأمور المسلمة عند المسلمين والنصارى واليهود ؟ فأولياء الشيطان ربما يقع لهم من الخوارق ما لا يقع لأولياء الرحمن ، واستدراج المارقين ربما يجعل به قبل استجابة دعاء الصالحين ، لحكم الهيئة واردة من خالق البرية المتصرف فى عباده كما يشاء ويختار »

والأمر كله لله لاراد لحكمه ولا مشارك له فى قضائه . فهذا عيسى روح الله بزعم النصارى طلب عند الصلب من الله تعالى أن يؤخر عنه كأس الموت فما أخره وطلب المغفرة والعفو منه سبحانه لصالحيه فما قدره — كما حكاه مؤلف هذا الكتاب فيه — فهل يخل عدم استجابة دعائه بنبوته أو الالهوية على زعمهم الباطل ؟ على أن كثيرا من صلحاء المسلمين دعوا الله تعالى مكة والمدينة المشرفتين وغيرهما وأجيبت دعواتهم ، وظهرت لهم كرامات وخوارق لا تعد ولا تحصى . وقد ملأت بطون الكتب وقرعت الأسماع والبقاع فى كل عصر مما يضيق كتابنا هذا عن ذكرها .

وأما ما جعله هذا النصرانى دليلا على صدق دينه من ترفه حال النصارى ونيلهم للدنيا ببيعهم وشرائهم وسعة ذات يدهم وتمولهم وشفاء بعض مرضائهم بدعائهم من المسيح ، فكلام يقضى منه العجب ، وتمويه على صقيعى العقول ، لأن الجوس وعبدة الأوثان ومتبعى الشيطان والمشركين بالرحمن والبراهمة ، ونحوهم من الملل المخطئة يقع لهم أكثر مما يقع للنصارى من تمولهم واستجابة دعائهم من آلهتهم الباطلة ومن معبوداتهم الشيطانية ، كما لا يخفى على كل ذى رؤية .

قال النصرانى : « ثم قلت : ادعوك الى سبيل الله الذى هو غزو المخالفين والكفرة المنافقين وقتال المشركين ضربا بالسيف وسابا وسببا

حتى يدخلوا في دين الله ويشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله
أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فهل أردت — أبغاك الله —
العاقل الحكيم أن تدعوني الى فعل الشيطان المنزوعة منه الرحمة
الذى اتما أفرغ حسده لادم وذريته في شرمة منهم ، استغواهم ، فافرغ
فيهم غيظه ومأهم حنقه وحنقه وجعلهم سائلا له وأولياء ، يتقادون
لأرادته ويبلغون مشيئته ويأتون مسرته وينتهون الى طاعته ومحبته في
القتل والسلب والسبى ، فعرفنى كيف أجمع بين قوليك وبين تباعدهما ؟
وأنت المقاتل نقضاً لهذا في كتابك الذى تدعى أنه منزل من عند الله : (ولتكن
منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك
هم المفلحون) (آل عمران) ثم تكتب : « ليس عليك هداهم ، ولكن الله
يهدى من يشاء » (بقرة) ثم تزيد فى هذا شيئاً : « لو شاء ربك لآمن من
فى الأرض كلهم جميعاً . أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ وما كان
لنفس أن تؤمن الا باذن الله » (يونس) أفلا ترى كيف يناقضك هذا القول ،
ثم تكتب : « قل يا أيها الناس تد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما
يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ، واتبع ما يوحى
اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين » (يونس) ثم تكتب أيضاً
فى موضع آخر : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة . ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » (هود) ثم تكتب تأكيداً لهذا القول
عن صاحبك أنه بعث بالرحمة للناس كافة ، فأى رحمة مع القتل والسبى
والسلب ؟

واننى لكثيراً ما أتذكر بعض اليهود اذ يسمى كتابك « ناقض نفسه »
وأنا لا أسمى كتابك بهذا الاسم الشنيع ، بل أسمى « كلامك » فإنه حقا
مناقض نفسه ، الا فأنت مدع ما أنت دائم تدعى . ثم ترجع الى نفسك
وتنقض كلامك ، لكننى أسألك أن تخبرنى عن سبل الشيطان ، هل هى
الا القتل والسفك والسلب والسبى والسرقة ؟ أتقدر أنت أو غيرك أن
تقول فى هذا : انه ليس كما كتبت اليك ؟ فان احتججت علينا بموسى —
نجى الله تبارك وتعالى — أنه قاتل الكفار وعبدة الأصنام قلنا لك : اذكر
— أصلحك الله — ما قرأته فى التوراة كم من أعجوبة ، وكم من آية فعلها

موسى حتى صدقناه ان الذى اتاه من الحرب وقتل عبدة الأصنام كان عن أمر الله . وكذلك يسوع بن نون حيث استوقف الشمس والقمر فوقا له وكان ذلك منه آية معجزة لا يقدر على مثلها الا من كان من أولياء الله عز وجل ، فاية آية تقدر أنت على نكرها ؟ أو آية أعجوبة تخبرنا أن صاحبك جاء بها مقدمة تكون شاهدة له يجب علينا بها تحقيق قوله وتصديق ما جاءنا به . وخاصة قتل الناس بأمره وأن يسلبهم أهوالهم ويسبى ذراريهم ، ويقصد بذلك قوما هم أولياء الله المعنصون بعبادته القائمون بفرائضه وسننه . وقد بذلوا مهجهم فى دينه وآمنوا بمسيحه واتفقوا على نفاقه ، فهداهم الى الحق المستقيم ، فوجوههم مضيئة فى الدنيا والآخرة .

ثم لم يقنعك حتى سميت سبيل الله ، فحاشا لله جل وعز أن يكون اقترف شيئا من هذه المآثم أحد من أوليائهم أو من أهل طاعته ، لأن الله جل وعز لا يحب عمل المفسدين . وكيف أقول فى تناقض هذا الأمر وتضاده ؟ اذ تكتب (لا اكراه فى الدين) وتزعم أن الله تبارك وتعالى قد قال : « وقل للذين أتوا الكتاب والأهيين : أسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » (آل عمران) وأنت الذى تقول : « ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ، ولكن اختلفوا فمنهم آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد (بقرة) وأنت الذى تقول : « قل : يا أيها الكافرون » ثم نختم ذلك فتقول : « لكم دينكم ولى دين » (الكافرون) وتقول : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هى أحسن » (عنكبوت) ثم أنت تحث على قتل الناس ضربا بالسيف وسلبا وسبيا ، حتى يدخلوا فى دين الله كرها وقهرا ، وكيف اصنع بك ؟ وبأى قوليك أخذنا ؟ بالأول ام بالثانى ؟ فتدخل على قولك أنه ناسخ ومنسوخ ، فانك الذى تدعيه هذا ، وان ادعيته لم تلحق معرفته لأنك لا تدري أيهما الناسخ ولا أيهما المنسوخ ، فلعل الناسخ هو الذى عندك المنسوخ ، وكذلك ينمكس عليك القول فيه أن الذى هو عندك المنسوخ هو الناسخ ، فاذا قد أقررت بالجهل بهذا ، وانك لم تحط معرفته ولم تثبت له عندك حجة ولا تقدر أن تقيم فيه برهانا صحيحا عند من يطالبك بالبرهان

الصحیح ، فليس بك ولا لنا حاجة الى نكرك ، فقد خلصنا منك الآن .

على انك خالفت وأبطلت قولك ودحضت حججك وتقصت شرطك في
انك ادعيت أن صاحبك بعث بالرحمة والرافة الى الناس كافة وأن لا اكراه
في الدين ، وفي قولك أن تضرب الناس بسيفك وتسلبهم وتسبيهم حتى
يدخلوا في دينك كرها ويقولوا بقولك قسرا ويشهدوا بشهادتك قهرا ،
فاذا كنا الى هذه الغاية لم نقف بعد هذا كله على صدق أحد قوليك ، ولم
نقدر على تحقيق أحدهما بأن نفرق بين الحق ومنها والباطل ، وايهما المنزل
والماخوذ به ، وجب عليك من هذه المقدمات أن تكون النتيجة في ذلك أن
القولين كليهما باطلان غير محققين ، لأن الذي هو عندك حق ، يجب أن يعمل
به ، لعله هو الباطل المتروك الذي لا يجب أن يؤخذ به ولا يعول عليه ،
وأن الله جل ثناءه لم يأمر ولا شىء منهما ، فهل بلغك — يرحمك الله — أو
قرأت في شىء من الكتب المنزلة وغيرها أن أحدا ممن استجلب الناس الى
مقالته ودعاهم الى الاقرار بما جاء به قهرا وكرها أو ضربا بالسيف وتهديدا
بالسلب والسبى ، غير صاحبك .

فقد عرفت قصة موسى وما أتى به من الآيات المعجبة وقرأت أقاصيص
الأنبياء بعده وما فعلوا ، وكان ذلك محققا وشاهدا لما جاءوا به أنه من عند
الله « ا . هـ .

أقول : قد بينا لك سابقا : أن القرآن الكريم ليس فيه تناقض ولا اختلاف
كما قال سبحانه وتعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا » وما قاله بعض أهل الالحاد من أن فيه تناقضا فهو من جهلهم ،
وقد ألف العلماء كتبا في رد كلامهم وبيان عدم التناقض ، فلا حاجة الى
التكرار ، ونقلنا لك أيضا شيئا مما يتعلق بحال أنجيلهم وكتبهم ، ولنزيدك
اطلاعا هنا أيضا ، ولنذكر لك أولا شيئا يسيرا من كثير مما في الانجيل من
التناقض الظاهر في ظاهره والتحريف اللائح من باطنه . ثم نعود ان شاء
الله تعالى الى رد كلامه .

(وانا) العاقل الحكيم ان تدعونى الى فعل الشيطان الخروطة منه الرجحة :

فمن ذلك ما فى الاصحاح للرابع والعشرين من انجيل متى بعد أن ذكر علامات قيام الساعة (١) وسقوط النجوم من السماء ومجىء المسيح على السحاب والنفخ فى الصور ونحو ذلك ، ما لفظه : « الحق أقول لكم : ان هذا الجيل لا يزول حتى يكون هذا كله ، والسماء والأرض يزولان ، ولكن كلامى لا يزول ، فأما ذلك اليوم والساعة لا يعرفها أحد ولا ملائكة السموات الا الآب وحده » وفى انجيل مرقس : « ولا الابن أيضا » انتهى .

وأنت تعلم أن ذلك الجيل من الناس قد زال ولم تقم الساعة ، وأن عيسى لو كان هو الله كما يزعمون ، لعلمها ، ولما قال : « ولا الابن أيضا » والعجب من مفسرى النصارى بعد أن ذكروا هذه الآية قالوا : ان هذا القول يراد به الحاضرون وقتئذ لا الآتون بعدهم الذين لا مانع من ان يعرفوا ذلك بوحي الهى أو طريقة أخرى كما حكاه الخورى يوسف فى تفسير الانجيل المطبوع فى بيروت سنة ١٨٦٨ وأقره .

ومن ذلك قوله فى الاصحاح السادس عشر من متى ما لفظه : « ان ابن الانسان لعتيد أن يأتى بهجد أبية مع ملائكته القديسين وحينئذ يجازى انسانا فانسانا حسب أعماله ، الحق أقول لكم : ان ههنا قوما من القيام لا يذوقون الموت حتى يعاينوا ابن البشر آتيا فى ملكوته » انتهى . وفسره كثير منهم بهجيئه الى الدينونة العامة و (فسروا الذى لا يذوق الموت . يوحنا الانجيلى ، وأنت تعلم أن المسيح بزعمهم قال « قوما » ويوحنا مفرد لا يطلق عليه لفظ القوم وضمير الجماعة يابى ذلك أيضا ، مع أنا لم أحدا من أولئك القوم بقى حيا الى الآن والنصارى معترفون أيضا بعدم حياة القوم المذكورين ، فهل هذا الكلام الا مخالف لما اتفقت عليه الأقسام .

(١) هو لا يقصد قيام القيامة بهذا التعبير ، وانما يقصد مجىء المسلمين لاحتلال القدس على يد المسلمين . وقد بينا ذلك فى كتاب البشارة ونبى الاسلام فى التوراة والانجيل — نشر دار البيان العربى بمصر .

ومن ذلك ما فى الاصحاح السادس من انجيل متى انه امرهم ان يقولوا
فى جميع صلواتهم : « اعطنا الخبز كفاية ليومنا » ثم يقول : « لأن ايمانكم
عالم بما نحتاجون اليه قبل أن تسألوه » ثم يقول : « فلهذا أقول لكم
لا تهتموا لفسكم بما تأكلون ولا بما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون
تأملوا طير السماء التى لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن فى الأهداء وأبوكم
السماوى يقينها الستم بالحرى أفضل منها » ثم يقول : « اسئلوا تعطوا ،
اطلبوا تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم ، لأن كل من يسأل الله أمرا يأخذ » انتهى

ومن ذلك ما فى الاصحاح الخامس عشر من انجيل متى قول المسيح :
« لم أرسل . الا الى الخراف التى ضلت من بيت اسرائيل » فهذا اعتراف
صريح من المسيح عليه السلام أنه لم يرسل الا الى الضالين من بنى
اسرائيل ، لا الى العرب ولا الى المعجم والمجوس ، وهو يناقض دعواهم
أن رسالته عامة لكافة الناس (٢) .

ومن ذلك ما فى الاصحاح التاسع عشر من انجيل قول المسيح
« لماذا تدعونى الصالح ؟ وليس الصالح الا الله الواحد » وهذا أيضا
يناقض قول النصارى ان عيسى هو الله .

ومن ذلك أن عيسى عليه السلام جاء مؤيدا لشرية موسى لا ناسخا
لها كما تحكيه أقوالهم عن أناجيلهم ، وهو يناقض ما ورد فى الانجيل
ورسائل رسلهم مما يخالف التوراة كعدم الختان ، وعدم الطلاق وعدم
التجنب عن أكل النجاسات وإباحة جميع الحيوانات التى كثير منها محرم
عن بنى اسرائيل فى التوراة .

ومن ذلك أنهم نقلوا فى الأناجيل أن المسيح قال : « طوبى لك يا ستمعون
رأس الجماعة ، وأنا أقول : إنك الحجر وعلى هذا الحجر تبتنى بيعتى ،

(٢) لاحظ أنه وجه دعوته بالضرورة أو بالحرى الى اليهود . وبعد ما
فهم اليهود غرضه ، أمرهم بالانطلاق الى الأمم .

فكل ما أطلته على الأرض يكون محلا في السماء وما عقده على الأرض يكون معقودا في السماء » ثم بعد أسطر يقولون عنه انه قال له : « اذهب عنى يا شيطان ولا تعارض ، فانك لى شك » أو جاهل ، فكيف يكون شيطانا جاهلا مطاعا في السموات ؟ وفى انجيل متى أن المسيح قال : « لا تحسبوا انى جئت لأصلح بين أهل الأرض لكن حربا وأفرق بين المرء وابنه » ثم يقول : « انما قدمت لتحياهم وتزادوا خيرا وأصلح بين الناس » ونحو هذا مما لو أردنا استقصاءه هنا لطل الكلام وخرجنا عن الصدد والمرام .

ثم اعلم أنا قد أثبتنا مرارا عديدة في كتابنا هذا مسألة جهاد الكفار عن موسى ويوشع وغيرهما من الأنبياء الأبرار ونبينا عليه الصلاة والسلام قد أمر كما أمرنا من جانب الله سبحانه . وهذا أمر فرغنا منه فلا حاجة الى التكرار سيما والخصم معترف هنا بقتال موسى للكنار ، وفرغنا أيضا من اثبات معجزاته الدالة على صدق دعواه عليه الصلاة والسلام .

ولنتقدم قبل تفسير الآيات التي ذكرها ما يصلح له جوابا عن تمويهه من تفسير الخورى ، ثم نرجع الى تفسيرها ان شاء الله تعالى ففي الاصحاح السادس من انجيل متى فى بحث صلاة النصارى أن يقولوا : « ابانا الذى فى السموات ، ليتقدس أسمك ، ليات ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السما كذلك على الأرض ، أعطنا الخبز كفاية يومنا ، واغفر لنا ذنوبنا كما غفرنا لمن أخطأ الينا ، ولا تدخلنا للتجارب ، لكن نجنا من الشرير آمين » قال مفسرهم الخورى « يوسف الياس » على قوله : « لتكن مشيئتك » ما لفظه : « هذه هى الطلبة الثالثة ، ونطلب بها أن كل ما يريد الله ويأمر به يتمه الناس على الأرض بكمال واتفاق وسرعة كما يتمه الملائكة والقديسون فى السماء ، ثم ان ارادة الله أى مشيئته على قسمين ارادة السرور وارادة الدلالة ، فان السرور هى التى يريد الله بها شيئا ما بالاطلاق وهذه تكمل فى كل شىء ولا يصدها شىء ، وفيها قال المرتل : « كل ما أراد الله صنع فى السماء والأرض » زمور ١١٣ وأما ارادة الدلالة فهى التى

فهى التى يدلنا بها تعالى بشرائعه ووصاياه على ما يلزم أن نفعله . وهذه لا تكمل دائما ويمكن ارادتنا أن نقاومها كقول ماربطرس فى الأبركسيس : « أنتم دائما تقاومون ارادة الروح القدس » وجميع الآباء يفهمون هذه الطلبة عن هذه الارادة الثانية ، لأن ارادة السرور تكمل دائما ولا شىء يصدها فلا حاجة الى أن نطلب تكميلها ، ثم ان مطابقة ارادتنا لارادة الله لا تمنع من أن نتوسل الى الله ليزيل بعض مصائب يكون أنزلها أو سمح بها عقابا لخطايانا ، فالله كان يريد دمار « صادوم » (١) ومع ذلك كان ابراهيم يتوسل اليه أن لا يصنع بها ذلك . ولهذا أمثال عديدة « انتهى بحرونه فليفهم .

ولنرجع الى تفسير ما ذكره الخصم من الآيات البيّنات :

قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة » الأمة الجماعة التى تؤم أى تقصد لأمر ما وتطلق على اتباع الأنبياء لاجتماعهم على مقصد واحد ، وعلى القدوة . ومنه : « ان ابراهيم كان أمة » وعلى الدين والملة وعلى الزمان وعلى غير ذلك « يدعون الى الخير أى الى ما فيه صلاح دينى أو دنيوى فعطف قوله سبحانه : « ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » عليه من باب عطف الخاص على العام ايذانا بمزيد فضلها على سائر الخيرات ، ومنهم من فسر الخير باتباع القرآن وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ومنهم من فسره بالايمان بالله تعالى وجعل المعروف فى الآية ما عداه من الطاعات .

وقال الامام مقاتل ان الخير الاسلام والمعروف طاعة الله تعالى والمنكر معصية ، والخطاب فى آية عام . وقيل متوجه الى أصحاب رسول الله ﷺ ومن للتبعيض وقيل للتبيين وهى تجريدية كما يقال لفلان من أولاده جند يراد بذلك جميع الأولاد وأولئك هم المفلحون « أى المختصون بالفلاح الكاملون فيه . ثم انه سبحانه أمر هذه الأمة بعد أن أمرها بالدعاء الى

(١) يريد هلاك قرية « صادوم » على الفاسقين الذين وعظهم لوط عليه السلام .

الخير بأن لا تكون كاليهود والنصارى بقوله سبحانه : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » وليت شعري أى تناقض فى هذه الآية وأى مخالفة فيها لغيرها من الآيات حتى يسود هذا النصرانى صحائفه بما لا يخفى باطله وتمويهه على من له أدنى مسكة من عقل وثبات ؟

قوله : « ثم تكتب ليس عليك هداهم » الآية .

قال المفسرون : « ليس عليك هداهم » أى لا يجب عليك أيها الرسول أن تجعل هؤلاء المأمورين مهتدين قابلين لما أمروا به ونهوا عنه . فالهدى مصدر مضاف الى المفعول ، أو ليس عليك أن يهتدوا فيكون مضافا لفاعله « ولكن الله يهدى » هداية موصلة الى المطلوب قطعاً « من يشاء » هداية منهم « وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله . وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » أى لا ننقصون شيئاً من ثواب أعمالكم قال ابن عباس فى سبب نزول هذه الآية : ان النبى ﷺ كان يأمرنا أن لا نتصدق الا على أهل الاسلام ، حتى نزلت هذه الآية وفى رواية كان أناس من الأنصار لهم أنسباء وقرباة وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم ويريدونهم أن يسلموا فنزلت . والآية نزلت فى جواز دفع الصدقة لكافر فأى تناقض بينها وبين غيرها من الآيات كما لا يخفى على كل مدعن للحق غير مكابر ؟

قوله : « ثم تزيد فى هذا شيئاً : « ولو شاء ربك » الآية

قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير ما لفظه : « اعلم أن هذه السورة من أولها الى هذا الموضع فى بيان حكاية شبهات الكفار فى انكار النبوة مع الجواب عنها ، وكانت احدى شبهاتهم أن النبى ﷺ كان يهددهم بنزول العذاب على الكافرين ويعد أتباعه أن الله ينصرهم ويعلى شأنهم ويقوى جانبهم ، ثم ان الكفار ما رأوا ذلك ، فجعلوا ذلك

شبهة فى الطعن فى نبوته عليه الصلاة والسلام وكانوا يببالغون فى استعجال ذلك العذاب على سبيل السخرية ثم ان الله سبحانه وتعالى بين أن تأخير الموعد به لا يقدح فى صحة الوعد ، ثم ضرب لهذا أمثلة وهى واقعة نوح وواقعة موسى عليهما السلام مع فرعون وامتدت هذه البيانات الى هذه المقامات ، ثم فى هذه الآية بين أن جد الرسول ﷺ فى دخولهم فى الايمان لا ينفع ، ومبالغته فى تقرير الدلائل وفى الجواب عن الشبهات لا تفيد ، لأن الايمان لا يحصل الا بتخليق الله تعالى ومشيئته وارشاده وهدايته ، فاذا لم يحصل هذا المعنى لم يحصل الايمان « ا. هـ .

وليت شعرى أى تناقض فى هذه الآية أيضا عند كل منصف ؟

قوله : « ثم تكتب » يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم « الآية .

لا يخفى على كل مطلع على القرآن العظيم وشريعة الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم أن نبينا لم يؤمر اولا بجهاد الكفار بالسيف ، بل بالانذار والموعظة الحسنة ثم أمر بالقتال كما وقع لكثير من اخوانه المرسلين — سلام الله عليهم أجمعين — فهذه الآية منسوخة الحكم عندنا بآية السيف وكل ذلك من الحكم الالهية والارادات الربانية ، فهذا موسى أمر بالقتال وكذا يوشع وغيره وأمر عيسى بالنصيحة فى المقال ، ونسخ كثير مما أتى به موسى كالختان بزعم النصارى وأكل الحيوانات التى كانت محرمة وتحريم الطلاق المحلل عند موسى عليه السلام ، فالبارى سبحانه لم يرسل نبيا واحدا ولا شريعة واحدة ، بل عدد الأنبياء فى الأزمنة المختلفة ونسخ بعض الأحكام وحرم ما كان اباحه وأباح ما كان حرمه وأمر بعض أنبيائه بالجهاد وأرسل بعضهم غير مأمورين بمقاتلة أهل العناد ، وهدى بعض عباده المرشاد وجبل بعضهم على الكفر والفساد « ومن يضل الله فما له من هاد » وكل ذلك غير خال عن حكم ومصالح وابتلاء للصالح والطالح ، كما فعل بفرعون ، فقد أرسل له موسى ودعاه للايمان ، وقسى قلبه كما فى التوراة وفرعون العون ، فلا يسأل عما يفعل ، اذ لا يفعل ما عنه يسأل . ويمثل

ما ورد به القرآن فى هذا الشأن جاءت أيضا كتب اهل الأديان فانظر التوراة والانجيل ، ففيهما شىء كثير مما يطابق القرآن من هذا القبيل « والله يحق الحق بكلماته ويهدى الى سواء السبيل » .

قوله : « ثم لكتب فى موضع آخر : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة » الآية .

قال المفسرون أى مجتمعين على الدين الحق بحيث لا يقع من أحد منهم كفر لكنه لم يشأ سبحانه ذلك فلم يكونوا مجتمعين على الدين الحق . ونظير ذلك قوله سبحانه : « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » وروى هذا عن ابن عباس . وروى عن الضحاك أن المراد لو شاء لجعلهم على هدى أو ضلالة « ولا يزالون مختلفين » بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل ، ولعل المراد الاختلاف فى الحق والباطل من العقائد التى هى أصول الدين ، بقريئة المقام « الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » أى الناس والاشارة الى المصدر المفهوم من مختلفين . ونظيره .

إذا نهى السفية جرى اليه .

كأنه قيل وللإختلاف خلق الناس على معنى لثمره الإختلاف من كون فريق فى الجنة وفريق فى السعير خلقهم ، واللام لام العاقبة والصرورة لأن حكمة خلقهم ليس هذا ، لقوله سبحانه : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ولأنه لو خلقهم له لم يعذبهم على ارتكاب الباطل .

قوله : « يسمى كتابك ناقض نفسه »

حاشا لله أن يكون متناقضا كلام الكريم « سبحانه » هذا بهتان عظيم « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » نعم ان التوراة والانجيل لكونهما محرفين تجد فيهما التناقض الكثير والتحريف الوفير ، كقصة زناء لوط عليه السلام بابنتيه بعد ما أسكرتاه وكفر سليمان عند نصبه

الأصنام فى بيته وعبادتها وجعل المسيح الها مع اطلاق ابن الانسان وابن داود عليه (١) وأنه يطلب من ربه سبحانه أن يؤخر عنه الموت ، وأنه لا يكون ما يريد بل ما يريد الله . وقوله لن سماه صالحا : « لا صالح الا الله وقوله فى القيامة (٢) : « لا يعلم وقتها الا الله وحده » وأكل جسمه فى العشاء الربانى الذى يسمونه أوخرستيا وغير ذلك من التناقض والتحريف والتبديل الذى أثبتناه فى التوراة والانجيل .

قوله : « بل اسمى كلامك فانه حقا مناقض نفسه »

لا يخفى على كل منصف أن هذه الرسالة المنسوبة الى الهاسمى ، وان كان يغلب على الظن انها مفتعلة مختلقة من النصرارى على لسان الهاسمى ، فليس فيها من التناقض شىء ، بل هى عبارة عن بيان بعض ما يتعلق بدين الاسلام والنصيحة فى اتباعه لكونه أحسن أديان الأنام وبيان شىء من محسناته وذكر يسير من الأحكام القرآنية وآياته وهو عن التناقض بمعزل وبعيد عنه بألف ألف منزل . والتناقض بديهى فى كلامك يا عبد المسيح لأنك تستقبح جهاد النبى ﷺ للمشركين ، وتدعى أن القتل والسفك من سبل الشياطين ، ثم تقر هنا أن موسى وغيره من المرسلين فعلوا أكثر من ذلك بالمخالفين فقد سبوا وسلبوا وقتلوا ونهبوا وكل ذلك بحكم رب العالمين ، وبعد أن أثبتنا نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام بنحو ما ثبتت به رسالة الأنبياء الكرام فلا يعترض عليه عله الصلاة والسلام بمسألة جهاده للكفار الأبين عن الاسلام بعد دعوتهم وامتناعهم عن توحيد الملك العالم . لأن ذلك من الارادات الالهية وسنة الله التى قد خلقت فى الأمم السالفة كأمة نوح ولوط ويشوع وغيرهم ممن يطول الكتاب بذكر

(١) لقب ابن الانسان من القاب نبى الاسلام فى الاصحاح الثانى من سفر دانيال . ولقب ابن داود مأخوذ من الزمور الثانى لداود . وقد بينا ذلك فى كتاب المسيا وفى كتاب البشارة .

(٢) هو لا يقصد القيامة وانما يقصد تأسيس ملكوت السموات فى اورشليم القدس (انظر كتاب البشارة بنبى الاسلام) .

وقائمهم وما فعلوه وما فعله الله تعالى بمن امتنع عن الايمان بهم من الاغراق
الاهلاك والقتل والنهب والسبى والاسترقاق ونحو ذلك . وكل من طالع
التوراة وتواريخ الأمم يعلم ذلك .

قوله : « وآملوا بمسيحه »

ليت شعري كيف يكون مؤمنا من يجعل المخلوق من تراب رب الأرياب ،
ويعتقد أن عبد الله المسيح بن مريم هو الله لا غيره ، ثم يحكم عليه بأنه
قتل وصلب وضرب بأيدي اليهود وسلب ؟ ثم انه يؤكل لحمه في الكنائس
كما يؤكل لحم الطيبي الكانس والطيير الآنس ، ومع هذا فانه ملعون بمقتضى
نص التوراة كما زعم بولس في رسالته وأنه دخل الجحيم وحاشاه عليه
السلام من جميع ذلك ، فاذا لم يجاهد في كل زمن من يقول ذلك ، فقل
لى هداك الله من ؟

قوله : « اذ تكتب « لا اكراه في الدين »

اعلم أن القول المشهور للمفسرين أن هذه الآية أيضا منسوخة (٣)
بآيات الأمر بالقتال ، مثل قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا
الذين يولونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » وقوله جل وعز « ستدعون
الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمن » وقوله تعالى : « يا أيها
النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ، يا أيها النبي حرص المؤمنين
على القتال » الى قوله سبحانه : « حتى يثخن في الأرض » وقوله عز من
قائل : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب
المعتدين » وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي يطول البحث بذكرها لأن
رسول الله ﷺ وأصحابه بعده وأمراء المؤمنين قد أكرهوا العرب على دين
الاسلام وقاتلوهم ولم يرضوا منهم الا الاسلام وقاتلوا غيرهم من أهل
الكتاب على الاسلام أو قبول الجزية كما أمر كثير من أنبياء بنى اسرائيل

(٣) انظر كتابنا لا نسخ في القرآن . نشر دار الفكر العربي بمصر .

بمثل ذلك وعدنا جملة منهم فيها مر ، ويأتى أيضا من كتابنا هذا ، حتى انه عليه الصلاة والسلام أمر أن الجهاد قائم الى آخر الزمان ولم يتركه عليه الصلاة والسلام الى وفاته ، فعلم بفعله وقوله المتواتر ومعمل أصحابه والآيات المعلوم وقت نزولها أن آيات السيف والقتال ناسخة لآيات عدم الاكراه ، وقوله تعالى : « يا أيها الكافرون » الى آخرها وأمثال ذلك مما يدل على الأمر بعدم مقاتلة الكافرين وهذا شئ معلوم بالضرورة والبداهة لكل من يقرأ ويطلع التواريخ وسيرة سيد الأكران . ولو كان الأمر كما يزعم هذا النصرانى من عدم معرفتنا تقدم آية عدم الاكراه على آية السيف ، وأن الأمر لعله بالعكس لقال الصحابة يا رسول الله : انا كنا نجاهد الكفار لنزول الأمر بقتالهم ، والآن لما نزلت آية عدم الاكراه لا يباح لنا قتالهم ، وكل عاقل يعلم أنه لا يمكن أن يقول عليه الصلاة والسلام لأصحابه ان هذه الآية نزلت فى عدم القتال ، ثم انه يطلب منهم أن يقاتلوا الكفار والمشركين وعشائره الأقربين .

فقول عبد المسيح الآتى : « انك لا تدري ايها الناسخ ولا ايها المنسوخ » كلام لا يرتضيه من له أدنى عقل ، وأضعف دراية فى العلم ، وأقل رسوخ اذ كيف يمكن أن يقول أعقل العقلاء واعلم الأنبياء لمثل عمر بن الخطاب الذى اتفقت على صدعه بالحق وسياسته وصفاء نكرته أولو الأبواب ان الله سبحانه قد أمر بالقتال ، ثم يقول انه تعالى أمر بعدم الاكراه ، ثم يشرع يقاتل بلا أمر الهى ؟ وحاشا فيسكت عمر وغيره من الأصحاب ويقاتلون مع علمهم أن فعلهم هذا مخالف للكتاب ، فتدبر ما قلته لتعرف حقيقة ما ذبرته ، وتعلم أن كلام هذا النصرانى من أوله الى آخره سفسطة لا يقبلها من له أدنى خبرة بأقاصيص الأنبياء ووقوف على سيرة نبينا امام الأصفياء ﷺ ما قام الجهاد فى الأرجاء .

ثم ان فى الآية قولا آخر لبعض المفسرين وهو أنها نزلت فى أهل الكتاب خاصة ، وأنهم لا يكرهون على الاسلام اذا أدوا الجزية للامام ، بل الذين يكرهون هم أهل الأوثان فلا يقبل منهم الا السيف أو الايمان ،

وهذا حكم مستمر الى آخر الزمان . وسبب نزولها على ما حكاه ابن عباس :
ان رجلا من الانتصار من بنى سالم بن عوف يقال له الحصين ، كان له ابنان
نصرانيين ، وكان هو رجلا مسلما فقال للنبي ﷺ الا استكرههما فاتهما
قد ابيا الدخول فى دين الاسلام ؟ فانزل الله تعالى فيه ذلك ، فانهم ما قتلناه
واسلك فى الآيات المصدق بعضها بعضا أوضح المسالك .

قوله : « وأنت الذى تقول : « قل يا أيها الكافرون » الى آخره .

هذه السورة سواء قلنا انها منسوخة بآيات السيف أو غير منسوخة ،
ليس فيها مناقضة لغيرها من الآيات الكريمة .

وسبب نزولها : أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة
ويعبدوا الهه سنته ، فأمره الله سبحانه أن يقول لهم لا أعبد ما تعبدون
وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنها أن قریشا دعت رسول الله ﷺ
الى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء
فقالوا : هذا لك يا محمد وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء ، فان لم
تفعل فاننا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح ، قال : ما هى ؟
قال : تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة ، فنزلت هذه السورة ، ونزل
قوله تعالى : « قل أنغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون » الى قوله :
« بل الله فاعبد ، وكن من الشاكرين » وقال الحافظ ابن القيم فى البدائع
ما حاصله : ان بعض العلماء ظنوا أن هذه السورة منسوخة بآية السيف
لاعتقادهم أن قوله تعالى : « لكم دينكم ولى دين » اقتضت التقرير لهم
لهم على دينهم ، وظن آخرون أنها مخصوصة بمن يقرون على دينهم ، وهم
أهل الكتاب ، وكلا القولين ضعيفان اذ لا نسخ فى السورة ولا تخصيص
بل هى محكمة ، عمومها نص محفوظ . وهذه السورة أخلصت التوحيد
والآية اقتضت البراءة المحضة ، وان ما أنتم عليه من الدين لا أوافقكم عليه
فانه دين باطل فهو مختص بكم لا نشركم فيه ولا تشركوننا فى ديننا الحق ،
فهذا غاية البراءة من موافقتهم فى دينهم ، فأين الاقرار حتى يدعى النسخ

والتخصيص ؟ افتري اذ اجوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة ، لا يصح ان يقال لهم كم دينكم ولى دين ؟ بل هذه الآية قائمة بحكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين الى ان يطهر الله تعالى منهم بلاده وعباده انتهى .

قوله : « وتقول : « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن » الى آخره .

قال المفسرون : أى بالخصلة التى هى احسن للثواب ، وذلك على سبيل الدعاء لهم الى الله عز وجل والتنبية لهم على حججه وبراهينه ، وجاء اجابتهم الى الاسلام لا على طريق الاغلاظ والمخاشنة . وعن ابن عباس قال بالتي هى احسن بلا اله الا الله الا الذين ظلموا منهم بأن أفرطوا فى المجادلة ، ولم يتأدبوا مع المسلمين فلا بأس بالاغلاظ عليهم والتحسين فى مجادلتهم ، ويكون المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى . وقيل معنى الآية : ولا تجادلوا من آمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وسائر من آمن منهم الا بالتي هى احسن يعنى بالموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أهل الكتاب ويكون المراد بالذين ظلموا على هذا القول هم الباقون على كفرهم ، قال مجاهد : هذه الآية محكمة فيجوز مجادلتهم بها ، وقيل هى منسوخة بأية القتال . وقيل المراد بالذين ظلموا بنهم الذين نصبوا القتال للمسلمين وآذوا رسول الله ﷺ فجدالهم بالسيف ، حتى يسلموا أو الجزية ، وقيل الا الذين أثبتوا الولد والشريك فيدخل فيه أهل الشرك وعبدة الأوثان ، والآية تدل على جواز المناظرة مع الكفرة فى الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذى به تحقق المجادلة المحقة التى هى احسن .

إذا علمت ما تقدم الى هنا علمت ما تقدم الى هنا ، علمت أن الجهاد من الأنبياء عليهم السلام للكفرة اللثام أمر واقع وسنة متبعة ، وقد حكته الكتب السماوية واعترف به كل من تخلقى عن العصبية ، وسلم من الأقوال السفسطانية وأن نسخ الآيات والأحكام معلوم بالضرورة من ارسال الأنبياء عليهم السلام وأحكامهم المتبدلة للثام كمسألة تزوج أكثر من امرأة

وكذلك سائر الحيوانات وكمسألة السبب والظن واللاطق وغير ذلك
ما تعرفه النصارى وتدعيه باللسان .

قوله : « فانك لا تدري أيهما الناسخ ولا أيهما المنسوخ » الى آخر
ما قال .

فاقول : الجواب عن مسألة النسخ هذه ، معقود لك في ثلاثة مقاصد :
فالمقصد الأول : في بيان ما يتعلق بنسخ بعض الآيات القرآنية والأحكام
الشرعية . والمقصد الثاني : في جواز نسخ ملة بملة وشريعة بشرية
أخرى . والمقصد الثالث : في ثبوت المنسخ في شرائع أهل الكتاب . ومنه
سبحانه نستمد التوفيق .

المقصد الأول : قال الله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير
منها أو مثلها ، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ؟ ألم تعلم أن الله
له ملك السموات والأرض ؟ وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ،
أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ؟ ومن يتبدل الكفر
بالإيمان فقد ضل سواء السبيل » قال المفسرون : نزلت هذه الآية لما قال
المشركون أو اليهود ألا ترون الى محمد ﷺ يأمر أصحابه بأمر ثم يناهم
عنه ويأمرهم بخلافه ، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً ، ما هذا القرآن
الا قول محمد ﷺ يقوله من تلقاء نفسه . وهو كلام يناقض بعضه
بعضاً أ.هـ

فعبد المسيح انما قال ما قاله اخوانه المتقدمون واعترض على
المسلمين بما اعترض به المشركون . واعلم انه كما أفرد العلماء بالتصنيف
الجواب عن التناقض ، كذلك الناسخ والمنسوخ أفرده بالتصنيف خلائق
لا يحصون ، منهم أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو داود السجستاني وأبو
جعفر النحاس وابن الانباري وابن العربي وآخرون . قال الأئمة لا يجوز
لأحد أن يفسر كتاب الله الا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ .

وفى هذا البحث مسائل :

الأولى : يرد النسخ بمعنى الأزالة كمنسخت الشمس الظل ، وبمعنى التبديل ومنه قوله تعالى « وإذا بدلنا آية مكان آية » وبمعنى التحويل وبمعنى النقل من موضع الى موضع . وشرعا هو بيان انتهاء حكم شرعى بخطاب آخر شرعى .

الثانية : قال الامام السيوطى فى الاتقان : « النسخ لحكم منها التيسير ، وقد أجمع المسلمون على جوازه ، وأنكره اليهود ظنا منهم أنه بداء ، كالذى يرى رأى ثم يبدوله ، وهو باطل لأنه بيان مدة الحكم كالأحياء بعد الأمانة وعكسه ، والمرض بعد الصحة وعكسه ، والفقر بعد الفنى وعكسه ، وذلك لا يكون بداء كذلك الأمر والنهى .

الثالثة : لا يقع النسخ الا فى الأمر والنهى ، ولو بلفظ الخبر الذى ليس به معنى الطلب فلا يدخله النسخ ، ومنه الوعد والوعيد .

الرابعة : النسخ أقسام أحدها نسخ المأمرية قبل امتثاله وهو النسخ على الحقيقة **الثانى :** ما نسخ مما كان شرعا لمن كان قبلنا كآية شرع المقاصص والدية وانها يسمى هذا نسخا تجوز . **الثالث :** ما أمر به بسبب ثم يزول السبب .

الخامسة : قال السيوطى رحمه الله تعالى :

قد أكثر الناس فى المنسوخ من عدد
وهاك تحرير أى لا مزيد لها
أى التوجه حيث المرأ كان ، وأن
وجرمة الأكل بعد النوم مع رفث
وحق تقواه فيما صح من أثر
والاعتداد بحول مع وصيبتها
والحلف والحبس للزانى وترك أولى
فانحلوا فيه آيا ليس تنحصر
عشرين حررها الحذاق والكبر
يوصى لأهلية عند الموت مختص
وفدية لطيق الصوم ومشتهر
وفى الحرام قتال للأولى كفروا
رأن بيان حديث النفس والفكر
كفر ، واشهادهم والصبر والنفر

ومنع عقد لزان أو لزانبة وما على المصطفى في العقد مختطر
ودفع شيء لمن جاءت وآية نجوا كذاك قيام الليل يسقط
وزيد آية الاستئذان من ملكة وآية القسمة الفضلى لمن حضروا

فان قلت : ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة ؟ فالجواب من
وجهين : احدهما : ان القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به ، يتلى
لكونه كلام الله تعالى ، فيثاب عليه ، فتركت التلاوة لهذه الحكمة والثاني :
ان النسخ غالبا يكون للتخفيف فأبقيت التلاوة لهذه الحكمة تذكيرا للنعمة
ورفع المشقة .

السادسة : ليس في القرآن ناسخ الا والمنسوخ قبله في الترتيب
الا في آيتين : آية العدة في البقرة ، وقوله تعالى : « لا يحل لك النساء »

السابعة : قال أبو بكر بن العربي : كل ما في القرآن من الكف
والاعراض عن الكفار فهو منسوخ بآية السيف . وهي « فاذا انسلك
الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين » الآية .

الثامنة : قال ابن الحصاد : « انما يرجع في النسخ الى نقل صريح
عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي يقول آية كذا انسخت كذا » قال :
« وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به ، مع علم التاريخ ليعرف
المقدم والمتأخر ، فالمعنى فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد » انتهى
باقتصار .

المقصد الثاني : اعلم ان اليهود ما عدا الفرقة العيسوية منهم ، قالوا
لا يجوز النسخ عقلا ولا سمعا فلا تنسخ ملة بملة لأنه يوهم البداء على الله
تعالى وهو ظهور مصلحة له بعد خفائها ، حتى نسخ ما مضى لأجلها .

قال البوصري في منظومته الشهيرة :

مثل ما قالت اليهود ، وكل لزمته مقالة شنعاء

أذهم استقروا البداء وكم ساق وبالا لديهم استقراء
برأهم لم يجعلوا الواحد القها رفى الخلق فاعلا ما يشاء

قال العلامة ابن حجر : واعلم أن شريعة نبينا ﷺ ناسخة لجميع
الشرائع اجماعا واختلفوا فى شريعة عيسى عليه السلام هل هى ناسخة
لشريعة موسى عليه السلام أو مخصصة ؟ والأظهر أنها مخصصة لا ناسخة
لقوله تعالى : « ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » قلت : وعلى ذلك تدل
آيات الانجيل كقوله : « جئت مكبلا لناموس » كما تقدم لك غير مرة .

وقال الامام فخر الدين فى المطالب العالية (١) : « الشرائع منها ما يعرف
نفعه بالعقل معاشا ومعادا ، فهذا يتمنع طرق النسخ عليه كمعرفة الله
تعالى وطاعته أبدا ومجامع هذه الشرائع العقلية أمران التعظيم لأمر الله
تعالى والمشفقة على خلق الله سبحانه . ومنها سمعية لا يعرف الانتفاع
بها الا من السمع وهذا يمكن طرق نسخه وتبديله . وحكمة نسخه : أن
الأعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة ، وظن
أنها مطلوبة لذاتها فميتنع الوصول بها لما هو المقصود من معرفة الله تعالى
وتجيدته ، بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطرق ، وعلم أن المقصود من الأعمال
انما هو رعاية أحوال القلب والروح فى المعرفة والمحبة ، فان الأوهام
تنتقع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر الى تطهير السرائر »

وقال غيره : « حكيمته أن الخلق طبعوا على الملالة من الشىء ،
موضع فى عصر كل رسول شريعة جديدة لينشطوا فى أدائها وأعظم حكمة
أظهار شرف نبينا ﷺ فانه نسخ بشريعته شرائعهم ، وشريعة لا ناسخ
لها لأنه نبى الساعة .

ومن حكم النسخ أيضا : ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يأمر بدواء
فى يوم ، وبآخر فى يوم ثان وهكذا بحسب المصلحة . وان كان الثانى
أبعد ، ثم ان ما زعمته اليهود أن النسخ يستلزم البداء باطل ، لما تقرر أن
المصالح الداعية للنسخ ترجع اما لأحوال المكلفين أو الأزمنة . وذلك

(١) المطالب العالية من العلم الالهى : ٩ أجزاء فى ٥ مجلدات
نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة — تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا
(م ٢٧ — الجواب الفسيح)

لا يستلزم البداء ، بل ولا يقتضى أن الله تعالى ظهر له شىء بعد أن لم يكن .

وقولهم ان الفعل اما حسن فيستحيل النهى عنه أو قبيح فيستحيل الأمر به ، فالنسخ محال . فجوابه أن التحسين والتقبيح شرعيان لا عقليان ، وان قلنا انها عقليان فالعلم العادى قاطع بأن الفعل قد يكون مصلحة فى وقت ومفسدة فى وقت آخر ، وكذا بالنظر للمكلف يكون مصلحة فى حق واحد ومفسدة فى حق آخر ، ولا مانع أن علمه تعالى يتعلق بأن حرمة كذا ينتهى بوقت أو فعل كذا ، قالوا : والسمع يمنع النسخ أيضا لأن اللفظ الدال على شرع موسى ، اما أن يدل على الدوام ، فان ضم اليه ما يقتضى نسخه فهو تناقض ، وان لم يضم له كفى فى العمل به مرة فلا يتصور فيه نسخ .

قالوا : ومما يمنعه أيضا : ما علم بالتواتر من قول التوراة « تمسكوا بالسبب أبدا » وجوابه : معلوم لديك مما مر عليك غير مرة : أن التوراة غير متواترة . وقد ثبت التحريف فيها . على أنه يمكن أن يراد من لفظ الأبد طول المدة والزمن .

والعجب : أن اليهود اعترفوا بالمسخ ، وهو أن كثيرا منهم حولت صورته الى أقبح منها فى زمن موسى عليه السلام لما خالفوه فى السبب ، فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير ، ولم يعترفوا بالنسخ مع أنه لا يلزم عليه محذور كما عرفت من حده . فالقول بالنسخ أولى من القول بالمسخ ، لأن ذلك بالاحكام وهذا بالذوات . وقالوا : ان النسخ بداء وهو غير جائز على الله تعالى لانه ظهور مصلحة له بعد خفائها ، حتى نسخ ما مضى لأجلها ، مع أنهم يقولون : انه سبحانه وتعالى ندم على خلق آدم ويعترفون بمسألة اسحق الذبيح ، وأنه بعد أن أمر ابراهيم بذبحه أمره بعدم ذبحه .

ولقد أحسن البوصيرى بقوله :

جوزوا النسخ مثال ما جوزوا المسخ
ليس الا أن يرفع الحكم بما
خ عليهم لو أنهم فقهاء
وخلق فيه وأمر سواء

ولحكم من الزمان انتهاء ولحكم من الزمان ابتداء
فسلوهم أكان في نسخهم النسخ لآيات الله أم انشاء ؟
وبدء بقولهم ندم الله على خلق آدم أم خطاء

المقصد الثالث :

ملخص من اظهار الحق في اثبات النسخ في التوراة والانجيل وما يتعلق بذلك . اعلم : أن النسخ كما تقدم في اللفظة : الازالة . ومنه نسخت الشمس الظل . وفي اصطلاح المسلمين : بأن انتهاء مدة الحكم العملي الجامع للشروط ، لأن النسخ لا يطراً عندنا على ما قصه الله تعالى علينا من التصص ، ولا على الأمور القطعية العقلية ، مثل أن صانع العالم موجود ولا على الأمور الحسية مثل ضوء النهار وظلمة الليل ، ولا على الادعية ولا على الاحكام التي تكون واجبة نظر الى ذاتها ، مثل أمننا ولا تشركوا ، ولا على الأحكام المؤبدة ، مثل قوله تعالى : « ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا » ولا على الأحكام المؤقتة قبل وقتها المعين ، مثل قوله عز وجل : « فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره » بل يطراً على الأحكام التي تكون عملية محتملة للوجود والعدم غير مؤبدة وغير مؤقتة ، وتسمى الأحكام المطلقة ، ويشترط فيها أن لا يكون الوقت والمكلف والوجه متحدون بل لا بد من الاختلاف في الكل أو البعض من هذه الثلاثة ، وليس معنى النسخ المصطلح : أن الله تعالى أمر أو نهى أولاً وما كان يعلم عاقبته ، ثم بدا له رأى فنسخ الحكم الأول ، ليلزم الجهل ، أو أمر أو نهى ثم نسخ مع الاتحاد في الامور المسطور ليلزم الشناعة عقلا . وان قلنا : انه كان علما بالعاقبة فان هذا النسخ لا يجوز عندنا — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — بل معناه : أن الله تعالى كان يعلم أن هذا الحكم يكون باقيا على المكلفين الى الوقت الفلاني ، ثم ينسخ فلما جاء الوقت أرسل حكما آخر ظهر منه الزيادة والتنقصان أو الرفع مطلقا . ففي الحقيقة هذا بيان انتهاء الحكم الأول ، لكن لما لم يكن الوقت مذكورا في الحكم الأول ، فعند ورود الثاني يتخيل لقصور علمنا في الظاهر أنه تغيير .

ونظيره بلا تشبيهه : أن تأمر خادمك الذى تعلم حاله بخدمة من الخدمات ، ويكون فى نيتك أن يكون على هذه الخدمة سنة مثلا فقط ، وبعد السنة يكون على خدمة أخرى لكن ما أظهرت عزمك ونيتك له ، فإذا مضت المدة وعينته لخدمة أخرى ، فهذا بحسب الظاهر عند الخادم وكذا عند غيره الذى ما أخبرته عن نيتك تغيير . وأما فى الحقيقة وعندك فليس بتغيير . ولا استحالة فى هذا المعنى لا بالنسبة الى ذات الله سبحانه ، ولا الى صفاته ، فكما أن فى تبديل المواسم كالربيع والخريف والصيف والشتاء ، وكذا فى تبديل الليل والنهار وتبديل ألوان النباتات وتبديل حالات الناس من الفقر الى الغناء ومن المرضى الى الصحة ، وغيرها حكما لله تعالى ومصالح للناس ، سواء ظهرت لنا أو لم تظهر فكذلك فى نسخ الأحكام حكم ومصالح نظرا الى حال المكلفين والزمان والمكان . ألا ترى الحكيم الحاذق كيف يراعيه حال المريض من الزمان والمكان والأدوية ومخالفة العقاقير على حسب ما تقتضيه المصلحة والحكمة والطبابة ، ولا يحمل ذلك أحد على جهله ، فكيف يظن عاقل بالحكيم المطلق العليم بالأشياء كلياتها وجزئياتها بالمعلم القديم الأزلى الابدى أنه يفعل شيئا خاليا عن الحكمة أو يأمر بغير ما تقتضيه المصلحة عبثا ؟

وإذا علمت هذا فاعلم أنه ليست قصة من القصص المندرجة فى العهد القديم والجديد منسوخة عندنا . نعم بعضها كذب مثل أن لوط عليه السلام زنى بابنه وحملنا منه كما فى الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين ، وأن يهوذا ابن يعقوب عليه السلام زنى بثامار زوجة ابنه وحملت منه وولدت توأمين فارص وزارج كما فى الاصحاح الثامن والثلاثين من السفر المذكور ، مع أن داود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم من أولا فارص المذكور كما فى الاصحاح الأول من انجيل متى ، وأن داود عليه السلام زنى بامرأة أوريا وحملت منه ، وأنه أهلك زوجها بالكر ، ثم تزوجها كما فى الاصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى ، أو أن سليمان عليه السلام ارتد فى آخر عمره وكان يعبد الأصنام بعد الارتداد ، وبنى المعابد لها كما هو مصرح به فى الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول ، أو أن هارون

عليه السلام صاغ عجلا وعبده وأمر بنى اسرائيل بعبادته كما هو مصرح به
فى الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج .

فنتقول : ان هذه القصص وأمثالها كاذبة باطلة عندنا ، ولا نقول :
انها منسوخة . والأمور القطعية العقلية والحسية والاحكام الواجبة والاحكام
المؤيدة الوقتية قبل أوقاتها والاحكام المطلقة التى يفرض فيها الوقت والمكلف
والوجه متحد ، لا تكون هذه الأشياء كلها منسوخة ، ليلزم الشفاعة . وكذا
لا تكون الادعية منسوخة فلا يكون الزبور الذى هو أدعية منسوخا بالمعنى
المصطلح عندنا ، ولا نقول قطعا انه ناسخ للتوراة ومنسوخ من الانجيل
كما افتراه صاحب ميزان الحق على أهل الاسلام . وقال : ان هذا
مصرح به فى القرآن والتفاسير ، وانما منعنا عن استعمال الزبور والكتب
الأخر من العهد العتيق والجديد لأنها مشكوكة يقينا بسبب عدم اسانيدھا
المتصلة وثبوت وقوع التحريف اللفظى فيها بجميع أقسامه كما عرفت فى
كتابنا هذا .

ويجوز النسخ فى غير المذكورات من الأحكام المطلقة الصالحة للنسخ
فنعترف بأن بعض أحكام التوراة من الأحكام التى هى صالحة للنسخ ،
منسوخة فى الشريعة المحمدية ، ولا نقول : ان كل حكم من أحكامها منسوخ
كيف وبعض أحكام التوراة لم ينسخ يقينا مثل حرمة اليمين الكاذبة والقتل
والزنا واللواطه والسرقه وشهادة الزور والخيانة فى مال الجار وعرضه ،
ووجوب اكرام الأبوين وحرمة نكاح الآباء والأبناء والامهات والبنات والاعمام
والعمات والاخوال والخالات وجمه الاختين وغيرها من الأحكام الكثيرة ،
وكذا بعض أحكام الانجيل لم ينسخ يقينا مثل ما وقع فى الاصحاح الثانى
عشر من انجيل مرقس ما لفظه : « فقال له عيسى وهو يحاوره ان أول
الأحكام قوله : اسمع يا اسرائيل فان الرب الهنا رب واحد ، وأن تحب
الرب الهك بقلبك كله وروحك كله وادراكك كله وقواك كلها . هذا هو
الحكم الأول . والثانى مثله : وهو أن تحب جارك كتنفسك وليس حكم آخر
أكبر من هذين » فهذان الحكمان باقيان فى شريعتنا على أوكده وجه وليسنا
بمنسوخين .

والنسخ ليس بمختص في شريعتنا بل وجد في الشرائع السابقة أيضا كثيرا بكلا قسميه أعنى النسخ الذى يكون فى شريعة نبي لا جق لحكم كان فى شريعة نبي سابق ، والنسخ الذى يكون فى شريعة نبي لحكم كان فى شريعة نبي سابق ، والنسخ الذى يكون فى شريعة نبي لحكم آخر من شريعة هذا النبي وأمثلة القسمين فى العهد العتيق والجديد غير محصورة ، لكن نكتفى ههنا ببعضها فنقول :

أمثلة القسم الأول هذه :

الأول : تزوجت الاخوة بالاخوات فى عهد آدم عليه السلام وسارة زوجة ابراهيم عليه السلام أيضا كانت اختا علانية له كما يفهم من قوله فى حقها المندرج فى الآية الثانية عشر من الاصحاح العشرين من سفر التكوين فى الترجمة العربية سنة ١٦٢٥ وسنة ١٦٤٨ والمطبوعة سنة ١٨٣١ فى : « وهى أيضا أنها أختى بالحقيقة ابنة أبى وليست ابنة أمى وقد تزوجت بها » والنكاح بالأخت حرام مطلقا فى الشريعة الموسوية عينية كانت الأخت أو علانية أو خيفية ، ومساو للزنا والناكح ملعون ، وقتل الزوجين واجب كما فى الآية التاسعة من الاصحاح الثامن عشر من سفر الاحبار هكذا : « لا تكشف عورة أختك من أبيك كانت أو من أمك التى ولدت فى البيت أو خارجا من البيت » والآية السابعة عشر من الاصحاح العشرين من السفر المذكور هكذا : « أى رجل تزوج أخته ابنة أبيه أو أخته ابنة أمه ورأى عورتها ورأت عورته فهذا عار شديد فيقتلان أمام شعبهما . وذلك لأنه كشف عورة أخته فيكون اثمهما فى رأسهما » والآية الثانية والعشرين من سفر الاستثناء هكذا : « يكون ملعونا من يضاجع أخته من أبيه أو أمه »

فلو لم يكن هذا النكاح جائزا فى شريعة آدم وابراهيم عليهما السلام يلزم أن يكون الناس كلهم أولاد الزنا والناكحون زانين وواجبى القتل وملعونين ، فكيف يظن هذا فى حق الأنبياء عليهم السلام ؟ فلا بد من الاعتراف

بأنه كان جائزا في شريعتهما ثم نسخ .

فائدة : ترجم صاحب الترجمة العربية المطبوعة في بيروت سنة ١٨١١ الآية الثانية عشر من الاصحاح العشرين من سفر التكوين هكذا : (هي قريبتى من أبى لا من أمى) فالظاهر أنه حرفه قصدا لئلا يلزم النسخ بالنسبة الى نكاح سارة لأن قريبة الأب تشمل بنت العم والعمة وغيرها .

الثانى : قول الله تعالى فى خطاب نوح وأولاده فى الآيه الثالثة من الاصحاح التاسع من سفر التكوين فى النسخة المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٦٤٨ (وكل ما يتحرك على الأرض وهو حى يكون لكم مأكولا كالبلبل الأخضر) فكانت جميع الحيوانات حلالا فى شريعة نوح عليه السلام كالبتوات وحرمت فى الشريعة الموسوية الحيوانات الكثيرة ، منها الخنزير أيضا كما هو مصرح به فى الاصحاح الحادى عشر من سفر الأحبار والاصحاح الرابع عشر من سفر الاستثناء ولفظه : (ولا تأكلوا مما يجتر وهو غير مشقوق الظلف كالجمال والأرنب والوبر فهى حرام عليكم والخنزير أيضا فإنه يشق الظلف وليس يجتر فهو حرام ولا تأكلوا من لحومها) .

فائدة : حرف ههنا أيضا صاحب الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ وترجم الآيه الثالثة المذكورة هكذا : (كل ديبب طاهر حى يكون لكم مأكلا كخضر العشب) فزاد لفظ الطاهر من عنده لئلا يشتمل (على) الحيوانات المحرمة فى شريعة موسى لأنه نص فى التوراة أنها نجسة .

الثالث : جمع يعقوب عليه السلام بين الاختين ليا وراحيل ابنتى خاله كما صرح به فى الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين . وهذا الجمع حرام فى الشريعة الموسوية كما صرح به فى الآيه الثامنة عشر من الاصحاح الثامن عشر من سفر الأحبار ولفظها هكذا : (ولأ تتزوج أخت امرأتك فى حياتها فتحزنها ولا تكشف عورتها جميعا فتحزنهما) فلو لم يكن الجمع بين الاختين جائزا فى شريعة يعقوب ، يلزم أن يكون أولادهما أولاد زنا والعياذ بالله تعالى وأكثر أنبياء بنى اسرائيل من أولادهما .

الرابع : أن يوحاىذ زوجة عمران كانت عمته فكان أبو موسى تزوج عمته وهذا نكاح محرم فى الشريعة الموسوية فى الاصحاح الثامن عشر من سفر الأحبار : « لا تكشف عورة عمك لأنها قرابة أبك » فلو لم يكن هذا النكاح جائزا قبل شريعة موسى ، للزم أن يكون موسى وهرون ومريم أختهم من أولاد الزنا والعياذ بالله تعالى . ولزم أن لا يدخلوا جماعة الرب الى عشرة أحقاب كما هو مصرح به فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الاستثناء .

الخامس : فى الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر أرمياء : « ها هوذا ستأتى أيام يقول الرب وأعاهد بيت اسرائيل وبيت يهوذا عهدا جديدا ، ليس مثل العهد الذى عاهدت آباءهم فى اليوم الذى أخذت بأيديهم لأخرجهم من أرض مصر عهدا نقضوه ، وأنا تسلطت عليهم يقول الرب » انتهى .

والمراد من العهد الجديد : الشريعة الجديدة ، فيفهم أن هذه الشريعة الجديدة تكون ناسخة للشريعة الموسوية ، وادعى مقدسهم بولس فى الاصحاح الثامن من رسالته الى العبرانيين أن هذه الشريعة شريعة عيسى ، فعلى اعترافه شريعة عيسى عليه السلام (تكون) ناسخة لشريعة موسى عليه السلام وهذه الأمثلة الخمسة لالزام اليهود والمسيحيين جميعا ، ولا الزام المسيحيين أمثلة أخرى ستأتىك قريبا أن شاء الله تعالى .

السادس : يجوز فى الشريعة الموسوية أن يطلق الرجل امرأته بكل علة ، وأن يتزوج رجل آخر بتلك المطلقة بعد ما خرجت من بيت الأول كما صرح به فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر الاستثناء ، ولا يجوز الطلاق فى الشريعة العيسوية الا بعلة الزنا ، كما صرح به فى الاصحاح الخامد والتاسع عشر من انجيل متى ولما اعترض الفريسيون على المسيح عليه السلام فى هذه المسألة قال مجيبا لهم : « ان موسى ما جوز لكم طلاق نسائكم الا لتسوة قلوبكم ، واما من قبل فانه لم يكن كذلك ، وأنا أقول لكم ، ان كل من طلق زوجته لغير علة الزنا وتزوج بأخرى ، فقد زنى .

ومن يتزوج بتلك المطلقة يزنى « فعلم من جوابه عليه السلام أنه ثبت النسخ في هذا الحكم مرتين ، مرة في الشريعة الموسوية ومرة في شريعته ، وأنه قد ينزل الحكم تارة موافقا لحال المكلفين ، وإن لم يكن حسنا في نفس الأمر .

السابع : كانت الحيوانات الكثيرة محرمة في الشريعة الموسوية ونسخت حرمتها في الشريعة العيسوية ، وثبتت الإباحة العامة بفتوى بولس كما في الاصحاح الرابع عشر من رسالته الى اهل رومية ولفظها : « فاني أعلم واعتقد بالرب عيسى أن لا شيء نجس العين بل ان كل شيء نجس لمن يحسبه نجسا » وبما قاله أيضا في الاصحاح الأول من رسالته الى طيطوس ولفظه : « فان جميع الأشياء طاهرة للطاهرين وليس شيء طاهر للنجسين والمنافقين لأنهم كلهم نجسون ، حتى عقلمهم وضميرهم » وهاتان الكليتان في قوله : « ان كل شيء نجس » الخ وقوله : « جميع الأشياء طاهرة » الخ عجيبتان في الظاهر ، ولعل بنى اسرائيل لم يكونوا طاهرين فلم تحصل لهم هذه الإباحة العامة ، ولما كان المسيحيون طاهرين حصلت لهم الإباحة العامة ، وصار كل شيء طاهرا لهم ، وكان مقدسهم جاهدا في اشاعة حكم الإباحة العامة ، ولذلك كتب الى تيموثاوس في الاصحاح الرابع من رسالته الأولى ما لفظه : « لأن كل ما خلق الله حسن ولا يجوز أن يرفض منه شيء اذا أكلناه ونحن شاكرون ، لأنه يتقدس بكلمة الله وبالتضرع ، فان ذكرت الاخوة بهذا فقد صرت للمسيح خادما جيدا متربيا في كلام الايمان والتعليم الصحيح الذي اتبعت أثره » انتهى .

الثامن : احكام الاعياد التي فصلت في الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الاحبار كانت واجبة أبدية في الشريعة الموسوية كما تدل على أبديتها الآية الرابعة عشر والآية الحادية والعشرون والحادية والثلاثون والحادية والأربعون من الاصحاح المذكور من السفر المزبور .

التاسع : كان تعظيم السبت حكما أبديا في الشريعة الموسوية ، وما كان لأحد أن يعمل فيه أدنى عمل ، ومن خالف يجب قتله . وقد تكرر

بيان هذا الحكم فى كتب العهد العتيق فى مواضع كثيرة منها ما فى الاصحاح الثانى من سفر الخروج ، ومنها ما فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الخروج ، ومنها ما فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الأحبار ، ومنها ما فى الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر الخروج ، ولفظه : « كلم بنى اسرائيل وقل لهم أن يحفظوا يومى يوم السبت من أجل أنه علامة بينى وبينكم فى أجيالكم لتعلموا أنني أنا الرب الذى أطهركم فاحفظوا يومى يوم السبت ، فإنه طهرلكم ، ومن لا يحفظه فليقتل قتلا ، من عمل فيه فتهلك تلك النفس من شعبها اعملوا عملكم ستة أيام واليوم السابع هو يوم سبت راحة طهر للرب ، وكل من عمل عملا فى هذا اليوم ، فليقتل ، وليحفظ بنو اسرائيل السبت وليتخذوه عيدا بأجيالهم ميثاقا الى الدهر بينى وبين بنى اسرائيل علامة الى الأبد ، لأن الرب خلق السماء والارض فى ستة أيام ، وفى اليوم السابع استراح من عمله »

ومنها ما فى الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر الخروج : « لانتشعلوا النار فى جميع مساكنكم يوم السبت » وفى الاصحاح الخامس عشر من سفر المعداد : « أن من عمل فيه يرحم بالحجارة حتى يموت » وكان اليهود المعاصرون للمسيح عليه السلام يؤذونه ويريدون قتله لأجل عدم تعظيمه للسبت ، وكان هذا أيضا من أدلة انكارهم عليه كما فى الاصحاح الخامس من انجيل يوحنا ما لفظه : « ومن أجل ذلك طرد اليهود عيسى وطلبوا قتله لانه كان قد فعل الأشياء يوم السبت » .

وإذا علمت هذا تبين لك أن مقدسهم بولس الذى ترجمنا لك حاله فى كتابنا هذا نسخ هذه الأحكام التى مر عليك شرحها ، وبين أن هذه الأشياء كلها كانت اضلالا فى الاصحاح الثانى من رسالته الى أهل كوروسى من قوله : « فلا يدينكم أحد بالمأكل أو المشروب أو بالنظر الى الاعياد أو الأهلة أو السبوت ، فان هذه الأشياء ضلال للامور المزمعة بالانتيان واما الجسد فإنه للمسيح » وقد ذكر مفسروهم أن هذه الأشياء نسخت .

العاشر : حكم الختان كان أبديا فى شريعة سيدنا ابراهيم عليه السلام

كما صرح به فى الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين ، ولذلك بقى هذا الحكم فى اولاد اسماعيل واسحاق عليهما السلام وبقى فى شريعة موسى ايضا وقد ختن المسيح عليه السلام ، وقد نسخه بولس كما فى الاصحاح الخامس من رسالته الى اهل غلاطية كما فصلناه فى محله .

الحادى عشر : أحكام الذبائح كانت كثيرة وأبدية فى شريعة موسى ، وقد نسخت كلها فى الشريعة العيسوية .

الثانى عشر : الاحكام الكثيرة المختصة بال هرون من الكهانة واللباس وقت الحضور للخدمة وغيرها كانت أبدية ، وقد نسخت كلها فى الشريعة العيسوية .

الثالث عشر : نسخ الحواريون بعد المشاورة التامة جميع الاحكام العملية للتوراة الا اربعة ذبيحة الصنم والدم والمخوق والزنا فأبقوا حرمتها وأرسلوا كتبها الى الكنائس ، وهذا محرر فى الاصحاح الخامس عشر من أعمال الحواريين ، وأنها أبقوا هؤلاء الأربعة لئلا ينفرد اليهود الذين هم قرييوا عهد بالدخول فى دين النصرانية ، لأنهم كانوا يحبون التوراة ورسومها . ثم لما رأى مقدسهم بولس بعد هذا الزمان أن هذه الرعاية ليست بضرورية فنسخ حرمة الثلاثة الأولى . وعليه اتفاق جمهور البروتستنت ، فما بقى من أحكام التوراة العملية الا الزنا ولما لم يكن فيه حد فى الشريعة العيسوية ، فهو منسوخ ايضا من هذا الوجه .

فقد حصل الفراغ فى هذه الشريعة من نسخ جميع الأحكام العملية التى كانت فى الشريعة الموسوية ، أبدية كانت أو غير أبدية .

ثم انه أتى بشواهد تنوف على العشرين من أرادها فليرجع الى كتابه ، الى أن قال :

وأهتلة القسم الثانى فهذه :

المثال الأول : ان الله تعالى أمر ابراهيم عليه السلام بذبح ولده ثم نسخ هذا الحكم قبل العمل كما صرح به فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين .

الثانى : انه نزل قول نبي من الأنبياء فى حق على الكاهن فى الاصحاح الثانى من سفر صموئيل الأول هكذا : « فإله اسرائيل يقول : انى قلت ان بيتك وبيت ابيك يخدمون بين يدي دائما لكن يقول الله الآن حاشا لى لا يكون الأمر كذلك ، بل أكرم من يكرنى ومن يحقرنى يصير ذليلا ، وانى أقيم لنفسى كاهنا متدينا » الخ . فكان وعد الله سبحانه وتعالى أن منصب الكهانة يبقى فى بيت على الكاهن وبيت أبيه ثم أخلف وعده ونسخه ، وأقام كاهنا آخر . وفى تفسير دوالى : « ورجردمينت » قول الفاضل « باترك » هكذا : « ينسخ الله ههنا حكما كان وعد به وأقر به بان رئيس الكهنة يكون منكم الى الأبد (ثم) أعطى هذا المنصب لعازر الوالد الأكبر لهارون ، ثم أعطاه لثامار الواد الأصغر لهارون ، ثم انتقل الآن بسبب ذنب أولاد على الكاهن الى أولاد العازار » انتهى . فوقع الخلف فى وعد الله تعالى مرتين الى زمان بقاء الشريعة الموسوية ، وأما الخلف الذى وقع فى هذا الباب عند ظهور الشريعة العيسوية مرة ثالثة ، فهذا لم يبق أثرا ما لهذا المنصب لا فى أولاد العازار ولا فى أولاد ثامار ، والوعد الذى كان للعازار مصرح به فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد ، ما لفظه : « انى قد وهبت له ميثاقى بالسلام ، فيكون له ميثاق الحيورة ولخلفه من بعده الى الدهر » انتهى . ولا عجب من خلف وعد الله عز وجل على مذاق أهل الكتاب لأن كتب العهد العتيق طافحة به ، وبأن الله تعالى يفعل أمرا ثم يندم (عليه) — تعالى الله عما يقول الظالمون — .

وقد نقل فى الآية التاسعة والثلاثين من الزبور الثامن والثمانين أو التاسع والثمانين على اختلاف التراجم ، قول داود عليه السلام مخاطبا للبارى عز وجل بما لفظه : « ونقضت عهد عبدك ونجست فى الأرض مقدسة » وفى الاصحاح السادس من سفر التكوين ما حروفه : « نندم

على عمله الانسان على الأرض ، فتأسف بقلبه داخلا ، وقال : أمحو
البشر الذى خلقته عن وجه الأرض ، من البشر حتى الحيوانات ، من
الدبيب حتى طير السماء ، لأنى نادى نادم أنى علمتهم « انتهى .

فهذا يدل على أن الله تعالى ندم وتأسف على خلقه الانسان . وفى
الزبور الخامس بعد المائة : « فنظر الرب فى أحزانهم اذ سمع صوت
تضرعهم ، وذكر ميثاقه وندم لكثرة رحمته » وفى الآية الحادية عشر من
الاصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الأول قول الله هكذا : « ندمت
على أنى صيرت شاوول ملكا انه رجع فى ورائى ، ولم يعمل بما أمرته » ثم
فى الآية الخامسة والثلاثين من الاصحاح المذكور هكذا : « ان صموئيل
حزن على شاوول لأن الرب اسف على أنه ملك شاوول على اسرائيل .

قال فى اظهار الحق : « وههنا خدشة يجوز أن نوردها الزاما ، وان
كنا لا نعتقدها . وهى أنه لما ثبتت الندامة فى حق الله وثبت أنه ندم على
خلق الانسان ، وعلى جعل شاوول ملكا ، فيجوز أن يكون قد ندم على
ارسال المسيح عليه السلام بعد ما أظهر دعوى الألوهية على ما زعمه
أهل التثليث لأن هذه الدعوى من البشر الحادث أعظم جرما من عدم اطاعة
شاوول أمر الرب سبحانه ، وكما لم يكن الله تعالى واقفا على أن شاوول
يعصى أمره ، فكذا يجوز أن لا يكون واقفا على أن المسيح عليه السلام
يدعى الألوهية ، وهذا ذكرناه الزاما للخصم لانا لا نعتقد ندامة الله سبحانه
ولا ادعاء المسيح الألوهية ، بل البارى تنزهه عن ذلك ، وعيسى بن مريم
معصوم مما هنالك « انتهى .

الثالث : فى الاصحاح الرابع من سفر حزقيال فى النسخة المطبوعة
سنة ١٨٣١ فى لندن ما لفظه : « وطعامك الذى تأكله يكون بالوزن عشرين
منقلا فى كل يوم من وقت الى وقت تأكله وتشرب ماء بمقدار السدس
من القسط ، من وقت الى وقت تشربه . وكخبز ملة من شعير تأكله وتلطخه
بزبل يخرج من الانسان فى عيونهم . وقال الرب هكذا بأكل بنو اسرائيل

خبزهم تجسبا بين الأمم الذين أطردهم اليهم ، فقلت آه آه آه يارب الاله ، ها هوذا نفسى لم تتنجس والميت والفريسة من السبع لم أكل منه منذ صباى ، حتى الآن ولم يدخل فى فمى كل لحم نجس ، فقال لى ها أعطيتك زبل البقر عوض رجيع الناس ، وتصنع خبزك فيه « انتهى . فأمره أولا بالرجيع ثم لما استغاث حزقيال عليه السلام نسخ هذا الحكم قبل العمل .

الرابع : فى الاصحاح العاشر من انجيل متى ما لفظه : « هؤلاء الاثنى عشر ارسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : الى طريق أمم لا تمضوا الى مدينة للسامرين لا تدخلوا ، ولكن انطلقوا خاصة الى الخراف التى هلكت من بيت اسرائيل » وفى الاصحاح الخامس عشر من انجيل متى قول المسيح عليه السلام فى حقه ما لفظه : « لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة » فعلى هذا كان عيسى عليه السلام يخص رسالته الى بنى اسرائيل ، وتدل قوله مرقس فى الاصحاح السادس عشر من انجيله بما لفظه : « اذهبوا الى العالم أجمع وأكرزوا بالانجيل للخليفة كلها » فأحد الحكمين منسوخ (١) أو الآيتان متناقضتان كما لا يخفى .

الخامس : فى الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل متى ما لفظه : « حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : جلس المكتبة والفريسيون على كرسى موسى ، فكل ما قالوا لكم فاحفظوه وافعلوه » ا ه فحكم بأن كل ما قالوا لكم فافعلوه ، ولا شك أنهم يقولون بحفظ جميع الاحكام العملية للتوراة لاسيما الأبدية — على زعمهم — كلها منسوخة فى الشريعة العيسوية كما علمت ذلك مفصلا آنفا . فهذا الحكم منسوخ البتة ، وقد بقيت أشياء كثيرة وآيات فى العهدين وفيرة تدل على النسخ ، تركناها خشية التطويل .

(١) لا تناقض هنا فى قول المسيح فان قوله ولكن انطلقوا خاصة أو اذهبوا بالحرى يدل على بدء الدعوة ، أى تكون لليهود بالضرورة ، واذا فهموها انطلقوا الى العالم فلا تناقض . وقد بينا هذا فى كتابنا نقد التوراة أسفار موسى الخمسة .

واذا عرفت أمثلة القسامين لم يبق لك شك ولا ريب فى وقوع النسخ بقسميه فى الشريعة الموسوية والعيسوية ، وظهر أن ما يدعيه أهل الكتاب من امتناع النسخ باطل ، كيف لا وأن المصالح قد تختلف باختلاف الزمان والمكان والمكلفين ، فبعض الاحكام يكون مقدورا للمكلفين فى بعض الاوقات ولا يكون مقدورا فى بعض آخر ويكون البعض مناسبا لبعض المكلفين دون بعض ؟ ألا ترى أن المسيح عليه السلام قال مخاطبا للحواريين : « ان لى أموراً كثيرة أيضاً لاقول لكم ، لكن لا تستطيعون الآن أن تحتملوا ، واما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق » كما صرح به فى الاصحاح السادس عشر من انجيل يوحنا . وقال للابرس الذى شفاه : لا تخبر عن هذا الحال أحداً » كما صرح له فى الاصحاح الثامن من انجيل متى ، وكذلك ما أمر بنو اسرائيل بجهاد الكفار ما داموا فى مصر ، وأمروا بعد ما خرجوا .

هذا وما ذكرناه لك قل من جل ، وتبين لك أن كلام هذا النصرانى هنا ، تلبيس وتدليس وتمويه لا طائل تحته ولا ثمرة له فيه ، غير تسويد وجوه الأوراق وأن يكون لما قال الشاعر مصداق :

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

فنعوذ بالله أن نكون كمن اتبع هواه ، وأضله الشيطان وغواه .
ونسأله التثبيت على الصراط المستقيم ، انه سبحانه هاد لمن استهداه
كريم .

قال النصرانى : « وقد هذرت المجوس الأنجاس فيما ادعت وزعمت عن « زرادشت » أنه حيث صار الى جبل سيلان ، نزل عليه الوحي هناك ، فحينئذ دعا كشتاسف الملك ، ودعاهم فاجابوه وأذعنوا له ، حيث اراهم بسحره ومخاريقه وتمويهاته ما هو عندهم آية تمنع فى الطباع ، مثل الفرس الذى أحيام بعد موته ، ومثل ذلك الهذيان أتى به من باب الزمزمة الذى زعم أنه يشتمل على كل لسان ، وجمع فيه كلام أكمل لفة نطق بها

الآدميون وكتبه فى اثنى عشر ألف جلد من جلود الجواميس ، وسماه « زندوستا » أى كتاب الدين ، فهم اذا سئلوا عن تفسيره أنكروا معرفته وأقروا بجهله ، وكذلك فعل « البد » بالهند حيث أراهم — كما زعموا — عنقاء مغرب وفى بطنها جارية ، وهى تهتف بهم وتخبرهم أن « البد » صتم محق فى كل ما دعاهم اليه وخبرهم به .

فهذه بعض أخبار المستحسين وخذعهم ، فهل تجد — أكرمك الله — أحدا من الدعان الذين دعوا الى حق أو باطل الا وقد جاء بحجة أو دليل ؟ صحيح بان ذلك أمر بين وهو موه فى الظاهر ممتزج الى أن يدخل فى ميزان المحنة ، فحينئذ يتبين عند العيان صحته من خبئه ، وكذلك فعل كل ذى دعوة باهل دعوته ، غير صاحبك فانا لم نره دعى الناس الا بالسيف وبالسلب والسبى والاخراج من الديار ، ولم نسمع برجل غيره جاء فقال : من لم يقر بنبوتى واتى رسول رب العالمين ، ضربته بالسيف وسلبته بيته وسببت ذريته ، من غير حجة ولا برهان . فاما المسيح سيد البشر ومحى العالم فيتعالى ذكره ويجل قدره أن تذكر دعوته فى مثل هذا الموضع ، وأنت عالم بالقصة كيف كانت . وكفى بعلمك ؟ أفرأيت — أصلحك الله — من استخار لنفسه فى مثل عقلك وأدبك أن تدعو مثلى مع شدة امتحانى الأمور وتحصيلى لها الى مثل ما دعوتنى اليه ، وخاصة وأنا أتلو كلام سيدى يسوع المسيح ليلى ونهارى ، وهو شعارى وثنارى ، وأسمعه يقول : « تفضلوا على الناس جميعا وكونوا رحماء ، كى تشبهوا أباكم الذى فى السماء فانه يشرق شمس على الأبرار والفجار ، ويحدر مطره على على الأخيار والأشرار » (متى) فكيف يظن بمثلى والمسيح يخاطبنى بمثل هذه المخاطبة . وقد رببت فى هذه النعمة ونجحت بهذه البركة ، وجرت فى أعضائى وفى جسمى مع الدم دما ، وفى عظامى مع المخ مخا ، نشأت فى هذا النجاح والرحمة ونبت لحمى وشعرى عليها ، فحاشا أن يقسو قلبى ، وأتورد منتشيطنا حتى أصير فى صورة ابليس العدو القاتل ، فأضرب وأقتل أبناء جنسى وذرية آدم المجدول بيد الله ، وعلى صورته تعالى

وأنه جلت قدرته هو القائل ((: لست أحسب موت الخاطيء لأنه اليوم
فى خطاياہ وغدا يقوب ، فأقبله كالأب المرحوم)) سيما وقد شرف الله سبحانه
وتعالى النوع الانسانى بان كلمته الخالقة تجسدت منه واتحدت به وأعطته
ما لها من الربوبية والألوهية والسلطان والقدرة ، فصارت الملائكة تسجد
له وتقدس اسمه ، وتسبح نكره كما يسبح اسم الله ونكره ، ولا تفرق
فى ذلك بينهما ، ثم زيد نعمة الى النعمة المتقدمة بأن أعطى الجلوس عن
يمين ذى العزة تشريفاً لذلك الجسد المأخوذ منا الذى هو من ذرية آينا
آدم ، فهو مثلنا وأخونا فى الطبيعة ، وخالقنا والها باتحاد الكلمة الخالقة
به بالحقيقة ، ثم دفع اليه تفضلا منه عليه وإكراما له وانعاما جميع السلطان
فى السموات والأرض ، وخوله تدبير الخلاق وصير البعث والنشور
والدين اليه ، وان يحكم حكما نافذا جائزا على الملائكة والانس والشياطين ،
أفتريد — يا حبيب — أنى أنا أضاد أمر الله — تبارك اسمه — وأضربهم
بالسيف وأسلبهم وأسببهم ؟ ان هذا الجور على الله عز وجل وعناد
أمره وظلم لنعمته وجدد لمعرفته وكفران لإحسانه وكفران لإحسانه وقلة
شكر لتفضله . وأعوذ بالله من خذلان الله وغضبه)) انتهى .

أقول : ان مقصد هذا النصرانى هنا أن خوارق العادات قد تظهر
من غير نبى حق ، فلا تدل على نبوته . وذلك مثل ما ظهر من « زرادشت »
والصنم المسمى بـ « البد » ليتوصل بزعمه الباطل الى ابطال نبوة نبيينا خاتم
الأنبياء ﷺ الذى بلغت معجزاته الحد وتجاوزت العد ، وقد ذكرنا لك منها
جملة سالمة الغش لدى السبك والنقد . والفرق بين ما يظهر من الساحر
ونحوه من الخوارق وبين ما يظهر من النبى الصادق . حررناه لك فى محله
من هذا الكتاب ، فراجعه ان شئت لتقف على بهرجة المخرق الكذاب ،
ولا يخفى أن مثل ما أشار به عبد المسيح ليتوصل به الى الطمن القبيح
قد قاله الزنادقة ومنكرو النبوات كالبراهمة فى حق سائر الأنبياء عليهم
من الله تعالى أكمل الصلوات والتسليمات ، وأنت تعلم ما قاله فرعون وقومه
فى حق موسى وهرون وما جرى من الأقوام مع زكريا ويحيى ويوشع بن
نون . وهؤلاء اليهود قالوا فى المسيح عليه السلام من الأقوال الشنيعة

التي تحجم عند ذكرها الأعلام وادعوا أنه ابن ربيعة ساحر ورموه بالعظائم والكبائر ، فصلبوه بزعمهم الفاجر ، فهل نقص ذلك شيئا من قدره العالى ؟ اذ لا يضر تبخ الكلاب التمر المتلألئ .

وقد ذكرنا لك فى كتابنا هذا بعض عقائد المجوس ، التي لا تقبلها طيبات النفوس . ولتذكر لك هنا شيئا من حال رئيسهم المنحوس .

ففى شرح المنظومة التاريخية بنظم الجمان ، للشيخ أحمد بن أبى عدسة المقدسى عليه رحمة الملك الديان ما لفظه :

ابن زرادشت الذى قد حكما ومن الى نطقه قد انتمى ؟
ومسا الهذى أسسه من البدع فى ملة الفرس وما قد صنع ؟
ثم أتى الموت فما استطاعا من حيلة . ولم يجد دفاعا

زرادشت صاحب كتاب المجوس ، قيل : انه كان صاحب نيرنجيات وسحر وحيل ، وقيل : انه كان غلاما لأشعياء النبى عليه السلام قد عليه غبرص وأظهر زرادشت كتابا لهم زعم أن الله تعالى أنزل عليه . وقال البارى تعالى انه خالق النور والظلمة ومبدعها ، وأنه واحد لا شريك له ، وان الخير والشر والصلاح والفساد اتما حصلوا من امتزاج النور بالظلمة ، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم ، ولا يزال المزاج حتى يغلب النور على الظلمة . ثم يخلص الخير الى عالمه والشر الى عالمه ، وقيلة زرادشت الى الشرق ، حيث تطلع الأنوار ولهم فى خلقه كلام ، يقولون : ان الله تعالى خلق ظلما واحتف به تسعون ألفا من الملائكة المكرمين ، وخلق الشمس والقمر والكواكب والأرض وبقيت غير متحركة ثلاث آلاف سنة ثم جعل روح « زرادشت » فى شجرة أنشأها فى أعلى عليين وغرسها فى جبل من جبال « آذربيجان » تعرف بـ « اسمو متدجر » ثم مازح شبح « زرادشت » بلبن بقرة فشربه أبو زرادشت واسمه « نور » فصار نطفة ثم مضفة فى رحم أمه ، واسمها « وعدد » وهى (من) قرية من قرى آذربيجان فقصدها الشيطان وغيرها . فسميت أمه نداء من السماء فيه دلالة برئها فبرئت ، ثم لما ولدته

ضحك تنبها لمن حضر ونشأ بفد ذلك الى أن بلغ ثلاثين سنة ، ثم بعثه الله تعالى رسولا على زعمهم ، ولم تزل الفرس على دينه الى أيام « مردك » وله كتاب الزممة يسمى « زندواستيا » يدور على ستين حرفا من أحرف المعجم ، ليس فى حروف سائر اللغات أكثر حرفا من هذا وكتبه فى اثنى عشر ألف جلد بالذهب ولم تزل للموكهم تعمل بما فيه الى عهد « الاسكندر » فأحرق الاسكندر بعضه ، وهلك « زرادشت » وعمره سبع وتسعون سنة « انتهى باقتصار .

وفى روح المعانى عند تفسير قوله تعالى : « ولهم عذاب عظيم » ما لفظه : « نفى العذاب مطلقا مما لم يقل به أحد ممن يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر ، حتى أن المجوس لا يقولونه ، مع أنهم الذين بلغوا من الهذيان أقصاه فان عقلاءهم — والمعتل بمراحل عنهم — زعموا ان ابليس عليه اللعنة لم يزل فى الظلمة بمعزل عن سلطان الله تعالى لم يزل يزحف حتى رأى النور فوثب ، فصار فى سلطان الله تعالى وأدخل معه الآفات والشرور ، فخلق الله تعالى هذا العالم شبكة له ، فوقع فيها فصار لا يمكنه رجوع الى سلطانه ، فبقى محبوسا يرى بالآفات ، فمن أحياء الله تعالى أماته ، ومن أصحبه أسقته ، ومن أسره أحزته ، وكل يوم ينقص سلطانه . فاذا قامت القيامة وزالت قوته طرحه الله تعالى فى الجور وحاسب أهل الأديان وجازاهم على طاعتهم للشيطان وعصيانهم له .

نعم المشهور عنهم أن الآلام الدنيوية قبيحة لذاتها ولا تحسن بوجه من الوجوه ، فهى صادرة عن الظلمة دون النور ، وبطلان مذهب هؤلاء أظهر من نار على علم « انتهى .

وفى كتاب الملل والنحل للفاضل أبى الفتح محمد الشهرستاني ما بعضه : « من ذلك المجوس وأصحاب الاثنيين والمناوية وسائر فرقهم المجوسية » الى أن قال : « منها المجوس أثبتوا أصلين كما ذكرنا الا أن المجوس الأصليين زعموا ان الأصليين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين ، بل النور أزلى والمظلمة محدثة ، ثم لهم اختلاف فى سبب حدوثها . فمن النور حدثت أم من شىء آخر ؟ وهؤلاء يقولون : المبدأ الأول من الأشخاص

« كيومرث » وربما يقولون : « اردوان الكبير » . والنبي الآخر « زرادشت » والكيومرثية يقولون : هو آدم عليه السلام . وقد ورد فى تاريخ الهند والعجم أن كيومرث آدم ، ويخالفهم أصحاب التواريخ . والكيومرثية أثبتوا أصليين « يزدان » و « أهرمن » وقالوا : يزدان أزلى قديم ، وأهرمن مخلوق .

ومن ذلك الروزانية قالوا ان النور ابدع أشخاصا من نور كلها روحانية نورانية ربانية ، ولكن الشخص الأعظم الذى اسمه رزوان شك فى شىء من الأشياء فحدث أهرمن الشيطان من ذلك الشك .

ومن ذلك الزرادشتية أصحاب زرادشت بن نوردشت الذى ظهر فى زمان كشتاسف بن لهراسف الملك ، وأبوه كان من آذربيجان وأمه من الرى ، زعموا أن لهم أنبياء وملوكا أولهم كيومرث فكان من ملك الأرض وكان مقامه باصطخر ، وبعده هوشينج بن فراوك نزل أرض الهند ، وكانت له دعوة ثمة ، وبعده طهمورث وظهرت المصابئة فى أولى سنة من ملكه ، وبعده أخوه جم الملك ، ثم بعده أنبياء وملوكا منهم بنو جهرك ، نزل بابل وأقام بها ، وزعموا أن موسى عليه السلام ظهر فى زمانه ، حتى انتهى الملك الى كشتاسف بن لهراسف ، وظهر فى زمانه زرادشت الحكيم ، وتدعى الزرادشتية له خوارق .

ومن الزرادشتية صنف يقال لهم السيسانية ورئيسهم رجل من رستاق نيسابور ، خرج فى أيام أبى مسلم صاحب الدولة كان زمينيا يعبد النيران ثم ترك ذلك ودعى المجوس الى ترك الزمزمة ورفض عبادة النيران ، ووضع لهم كتابا وأمرهم بارسال الشعور وجرم الأمهات والبنات والاخوات وحرم عليهم الخمر ، وأمرهم باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة ، ولا يذبحون الحيوان ، حتى يهرم ، وهم أعدى خلق الله للمجوس الزمزمة ثم ان أبا مسلم قتله على باب جامع نيسابور ، فقال أصحابه : انه سعد الى السماء على بردون ، وسينزل عليه فينتقم من أعدائه .

ومنها الثنوية يزعمون أن الظلمة والنور أزليان قديمان ، بخلاف
المجوس فانهم قالوا بحدوث الظلام .

ومن ذلك المانوية أصحاب ماني بن ماین الحكيم الذى ظهر فى زمان
شايورس أزدشير ، فقتله أمان بن شابور ، وذلك بعد عيسى عليه السلام ،
أخذ دينا بين المجوس والفرسانية . وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ،
ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام واعتقاده فى الشرائع والأنبياء أن أول
من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة آدم أول البشر ، ثم شيئا بعده ، ثم
نوحا بعده ثم إبراهيم بعده عليهم السلام ، ثم بعث بالبدره الى أرض الهند
وزرادشت الى أرض فارس ، والمسيح كلمة الله وروحه الى أرض الروم
والغرب ، وبولس بعد المسيح اليهم ، ثم يأتى خاتم النبيين ﷺ الى
أرض العرب .

ومن ذلك المزدكية هو مزدك الذى ظهر فى أيام قباد ، والدنوشروان .
ومن ذلك الديسانية أصحاب ديسان . ومنهم المرقونية أثبتوا أصلين
قديمين النور والظلمة وأصلا ثالثا وهو المعدل الجامع وهو سبب المزاج ،
ومنهم من يقول هو روح الله وابنه . من ذلك : الكينونية والصيامية وأصحاب
التناسخ ذكر جماعة من المتكلمين أن الكينونية زعمت أن الأصول ثلاثة
النار والأرض والماء ، وانما حدثت الموجودات من هذه الأصول دون الاصلين
اللذين أثبتها الثنوية ، قالوا : والنار بطبيعتها خيره نورانية والماء ضدها فى
الطبع ، فما كان من خير فى هذا العالم فمن النار ، وما كان من شر فمن
الماء ، والأرض متوسطة . وهؤلاء يتعصبون للنار شديدا وتوجهوا فى
عبادتهم الى النيران تعظيما لها وأمسكوا أيضا عن النكاح والذبائح .
والتناسخية منهم قالوا بتناسخ الأرواح فى الأجساد .

وأما بيوت النيران للمجوس فكانت قبل زرادشت فى بلاد كثيرة ، ثم
جد زرادشت بيت نار نيسابور ، وآخر بنسا . والمجوس انما يعظون النار
لمعان منها أنها جوهر شريف علوى . ومنها ما أحرقت الخليل عليه السلام .
ومنها ظنهم أن التعظيم ينجيهم فى المعاد من عذاب النار .

وبالجملة : هي قبلة لهم ووسيلة وشارة « انتهى باقتصار .
وأن أردت تفصيل أقوالهم فعليك بالملك . والنحل وكتب التوليد
والله تعالى أعلم .

ولما قوله : « البد »

فأصحاب البددة صنف من البراهمة المنتسبين الى رجل منهم اسمه
برهام ، قد مهد له نفي النيات أصلا ، وقرر استحالة ذلك عقلا ومعنى
البد عندهم على ما قال الشهرستاني : شخص فى هذا العالم لم يولد
ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ، وأول بد ظهر فى هذا
العالم اسمه « ساليين » وتفسيره السيد الشريف من وقت ظهوره الى وقت
الهجرة خمسة آلاف سنة ، قتلوا : ودون مرتبة البد مرتبة النور ، وزعموا
أن البددة أتوهم وأعطوهم العلوم وظهروا لهم فى اجناس وأشخاص
شتى ، واختص ظهور البددة بأرض الهند وفى القاموس : « البد بالضم
البعوض والصنم ، معرب بت وجمعه بددة وأبداد وبيت للصنم » انتهى .
فاذا علمت ما يتعلق بالجوس واحطت خبرا بها حررناه لك غير مرة
من اثبات الجهاد ومشروعية من رب العباد ، ووقفت على ما أبطنا به مرارا
دعواه التثليث والوهية المسيح ، تبين لك أن هذا الكلام الذى سود به وجه
صحيفته عبد المسيح ، من أوله الى آخره متهافت متناقض لا طائل تحته
ولا حجة تقوم على صدقه ولا برهان يؤيده ، مزوج بدعاوى كاذبة واعتقادات
غير صائبة .

وقد تقدم منا ما يرد باطله ويبين عاطله ، بل هو لعمر الله لا يحتاج
الى رد ولا جواب لظهور فساده على نوى الألباب ، غير أنا نبين عدم
عمله بقوله « أفرأيت أصلحك الله من استخار لنفسه فى مثل عقلك وأدبك
أن تدعو مثلى مع شدة امتحانى الأمور وتحصيلي لها الى مثل ما دعوتنى
اليه » الى آخره . فالعجب من هذا النصرانى يدعى التفلسفة والعقل
وامتحانه للأمور ، مع أنه يعتقد التثليث المضاد للعقل ويزعم أن المسيح
الذى جعله الهه يؤكل لحمه ويشرب دمه فى كل يوم وفى كل معبد للنصارى ،
فهل يعد قائل ذلك من العقلاء أو يمنح سمعا لعجيب هذا الافتراء .

ولنورد ذلك على ما يأتي على هذه العقيدة من الحال ونسوق
لابطالها أدلة تقعد صدور عليها على الإعجاز في الجدل ولا يجردون
لها أجوبة ، ولو اجتمعوا بالمسيح الأعمى الجبل . ولنذكر أولا ما قالوه
في كتبهم عند تعليمهم لهذه العقيدة المضحكة من الكتاب الموسوم بمختصر
التعليم المسيحي ، المطبوع في « الموصل » طبعة ثالثة في دير الآباء
الدومنيكيين سنة ١٨٨٥ في الصحيفة ٢١٢ ما نلفظه :

الفصل التاسع في سر الأوخرستيا وفيه خمسة مباحث أولا في حقيقة

سر الأوخرستيا .

س : ما الأوخرستيا . ج : الأوخرستيا وتسمى أيضا القربان
المقدس هي سر يحوى في الحقيقة والجوهر جسد ودم سيدنا يسوع
المسيح مع نفسه وألوهيته تحت اشكال الخبز والخمر .

س : متى رسم المسيح سر الأوخرستيا ؟ ج : رسم المسيح سر
الأوخرستيا يوم الخميس المقدس ليلة موته .

س : كيف رسمه ؟ ج : ان المسيح لما أراد أن يرسم سر الأوخرستيا
أخذ خبزا وبارك عليه وكسره وأعطاه لتلاميذه قائلا خذوا كلوا هذا هو
جسدى ثم تناول كأسا فيه خمر وقال خذوا واشربوا هذا هو دمي اصنعوا
هذا لذكرى .

س : أى أعجوبة صنع المسيح بقوله هذا هو جسدى وهذا هو دمي ؟
ج : ان المسيح بهذه الكلمات هذا هو جسدى وهذا هو دمي صنع أعظم
العجائب لأنه حول الخبز الى جسده والخمر الى دمه .

س : لماذا ربنا يسوع المسيح بعد هذه الاستحالة قال لرسله اصنعوا
هذا لذكرى ؟ ج : ربنا يسوع المسيح بعد هذه الاستحالة قال لرسله
اصنعوا هذا لذكرى حتى يعطيهم لهم ولخلائهم من أساقفة وقسوس سلطانا
أن يحولوا مثله الخبز الى جسده والخمر الى دمه .

س : متى يستحيل الخبز الى جسد المسيح والخمر الى دمه ؟ ج :
يستحيل الخبز الى جسد المسيح والخمر الى دمه في ذبيحة المقداس وقت
الكلام الجوهري حينما يكلم الكاهن يلفظ كلمات المسيح بذاتها هذا هو جسد
وهذا هو دمه .

س : هل يبقى خبز وخمر بعد التقديس أى بعد الكلام الجوهري على
المذبح ؟ ج : بعد التقديس لا يبقى على المذبح خبز ولا خمر بل تبقى اشكالها
أو اعراضها أى صورة خبز وخمر فقط .

س : ما المراد باشكال أى اعراض الخبز والخمر ؟ ج : المراد باشكال
اعراض الخبز والخمر ما يبان لحواسنا منها أى لون وصورة وطعم ورائحة
الخبز والخمر .

س : هل يوجد المسيح بصحته حيا ممجدا فى كل من شكلى الخبز
والخمر ؟ ج : نعم يوجد المسيح بصحته حيا وممجدا تحت كل من شكلى
الخبز والخمر حتى أن أصغر جزء منها يحوى المسيح بصحته حيا
وممجدا كمثل أكبر جزء منها .

س : هل يخلى المسيح السماء عندما يحضر فى القربان المقدس ؟
ج : أن المسيح لا يخلى السماء عندما يحضر فى القربان المقدس بل هو
معا فى السماء وتحت كل من الجوهرات المقدسة حيا وممجدا .

س : هل يجب علينا أن نسجد لجسد المسيح ودمه فى القربان المقدس ؟
ج : نعم يجب علينا أن نسجد لجسد المسيح ودمه فى القربان المقدس لأن
جسده ودمه متحدان مع اللاهوت بلا انفصال .

س : لماذا رسم المسيح الاوخرستيا ؟ ج : رسم المسيح الاوخرستيا
لكى يقرب ذاته فيها قربانا لله أبه ولكى يكون لنا قوتا وحياتنا ولها اياه
انتهى .

وفى كتاب « القسطاس » المطبوع فى بيروت سنة ١٨٧٨ ما لفظه :
س : ما هو تعليم الكنيسة الرومانية فى الأسرار ؟ ج : أن العقيدة
الثالثة من قانون ايمان البابا بيوس الرابع هى اعتراف ايضا أنه لا ريب
فى أن فى الشريعة الجديدة سبعة أسرار مرسومة من ربنا يسوع المسيح ،
وهى فى غاية الموافقة وضرورية لخلاص كل البشر وهى المعمودية والتثبيت
والعشاء الربانى والاعتراف والمسحة الأخيرة ودرجات الكهنوت والمزيجة
وأما حكم مجمع تزيت فهو كل من يحكم أن أسرار العهد الجديد ليست
جميعها مرسومة ، من يسوع المسيح ربنا أو أن بعضها ليست أسراراً
حقيقية ، ولا تستحق أن تدعى كذلك فليكن ملعونا « انتهى .

ومثل هذا فى كتبهم على اختلاف عباراتهم كثير جدا وعلى هذه العقيدة
جمهور النصارى وأكثر فرقهم ، إلا أن بعض فرقهم يخالف فى ذلك مما هو
مبسوط فى كتبهم وأشرنا الى بعضه فى أثناء كتابنا هذا فاطلبه فيه ، ان
أردته .

وهذه العقيدة باطلة من وجوه :

الأول : ان قولهم ان القربان ذبيحة غير دموية وان كل من لا يقول
ان دم المسيح موجود فيه كاملاً يكون محروماً ، فان كان ذبيحة غير دموية ،
يكرن قولهم ان الدم موجود فيه باطلاً ، وان كان الدم موجوداً فيه ، يكون
قولهم ان الذبيحة غير دموية باطلاً .

الثانى : ان كان القربان ذبيحة حقيقية كما يقولون ، فان المسيح
يموت كل يوم مرارا كثيرة ، وعندهم انه لا يموت الا مرة واحدة ، وان كان
ذبيحة سرية فهو تذكار موته كما ذهب اليه البروتستنت ، فالاستحالة باطلة
والسر اشارة الى الحقيقة عندهم لا هو عين الحقيقة .

الثالث : قولهم ان المسيح يحل فى خبز القداس فان كان الأمر
كذلك ، يكون الخبز قد بقى خبزاً والمسيح حال فيه وان كان قد استحال

الى المسيح فقد اجتمع مسيحيان ، وان كان المسيح يبقى فى السماء والقرايين تصير مسحاء كثيرين فما أشنع هذا الكفر بل هو حيوان صرف .

الرابع : ان كان المسيح أعطى جسده الحقيقى على زعمهم لتلاميذه قبل الامة ، وأكلوه كله حقيقة ، فالذى كان بعد ذلك حيا معهم يخاطبهم فى البستان ويصلى معهم كان خيالا لا مسيحا ، لأنهم كانوا قد أكلوه بزعمهم قبل ذلك ، وان كان هو المسيح وكان باقيا معهم الى نهاية امره فالذى أكلوه قبله هو خبز فقط فالاستحالة باطلة .

الخامس : ان كان الذى أكله التلاميذ ، هو المسيح حقيقة ، فاليهود حينئذ لم يصلبوه بل صلبوا خيالا أو غيره ، وان كان هو الذى صلب كما يزعمون فالتلاميذ أكلوا خبزا فقط لا مسيحا فالاستحالة لا أصل لها .

السادس : يقولون ان المسيح غائب بالجسد والبابا الذى فى رومية الحاضر نائب عنه وهو مثله فان كان كذلك ، فالقربان ليس هو المسيح وان كان القربان الحاضر كل يوم هو المسيح ، فلا حاجة الى نيابة البابا عنه .

السابع : ان الخبز بزعمهم اذا استحال وصارا لها ويسجد له فان كان هذا حقا يلزم دوامه مادام الله موجودا بلا زوال ولا فساد مع أنه ليس بدائم لأنهم كل يوم يحتاجون أن يقدسوا غيره ، لأن ما قبله قد فسد وتلاشى ، فالاستحالة باطلة ، وهى مكر وغش وخديعة من رؤسائهم .

الثامن : يقولون أيضا أن القربان هو الذبيحة المغفرة ، التى قربها المسيح لمغفرة الخطايا وفى كل يوم قداس يحصل الغفران التام فان كان الأمر كذلك فينبغى أن يكون قداس واحد كافيا لخلص خاطيء واحد من المطهر ، الذى يزعمونه بل لخلص الوف الى أبد الدهر كما قالوه فى ذبيحة الصليب وان كان قداس واحد يكفى لخلص الخاطيء من المطهر ، فالذين يأخذون أجره القداميس الأخرى كاذبون محيلون .

التاسع : يقولون ان يسوع المسيح لما كسر الخبز ، وقال انه هو الذي يكسر ويهرق لاجل مغفرة الخطايا فان كان هذا حقا يكون موته على الصليب أخيرا عينا لانه أوجد الغفران كاملا قبل ذلك بكسر للخبز واعطاء الكأس وان كان موته على الصليب ، كان لازما ، فالذى فعله أولا لم يكن استحالة فبطل العشاء الرباني والاستحالة .

العاشر : ان المسيح على زعمهم بعد ان قال هذا هو جسدي الى آخره قال اصنعوا هذا لذكري فان كان القربان هو المسيح في الحقيقة فلا يكون ذلك تذكارا له بعنه ذلك ، لأن تفكار الشيء ليس هو حقيقة الشيء وان كان تذكارا له بعد غيبوبته عنهم بالجسد فالاستحالة باطلة كاذبة لانه لم يقل لهم اصنعوا هذا لحضوري .

الحادي عشر : ان المسيح تألم كثيرا عند موته الحقيقي الذي يزعمونه ، فان كان الآن أيضا يحمل في كل قداس آلاما عندهما يقديس الكاهن فهو قتل جديد وآلام مترادفة غير منقطعة ، وان قالوا انه بلا ألم فهو انكار لظهورى وان قالوا : ليس بقتل حقيقة فقد بطلت الاستحالة ويكون السجود للقربان عبادة اصنامية .

الثاني عشر : ان المسيح لم يزل بعد الاتحاد ذا طبيعة انسانية ، لم تستحل ، واذا كان هذا حقه فجسده في السماء ، عن يمين الآب فقط كما يزعمون ذلك وان كان حاضرا في كل القرايين كما يزعمونه ، فقد نفوا انسانيته واستحال كله الهه ما بقى ذا طبيعتين كقول الذين يدعونهم لراثة ، وان كان الأمر كذلك فلا يلزم انحصار جسده في القربان فقط ، بل يكون حاضرا في كل بالأجمال .

الثالث عشر : انهم زعموا أن المسيح باللاهوت حاضر واما بالجسد فهو غائب ، فان كان للقربان المنظور اليه هو المسيح بعينه فهذه الشهادات الالهية ، التي يدعونها كاذبة مثل قوله انا لست معكم كل حين وقوله : « أنا ماض الى الآب ولستم ترونى بعده » فان كان قوله صادقا في المنظور اليه ليس هو المسيح ، فالاستحالة باطلة .

الرابع عشر : ان كان يمكن ان نفس المسيح الناطقة تسكن وتحل في جماد الخبز كما يزعمونه ، فيها أيضا ان تسكن الأرواح في الصور والأصنام وتباح العبادة لها كالوثنيين ، وان كان لا يمكن ذلك ، فلا تجوز العبادة للقربان ، فبطلت الاستحالة .

الخامس عشر : ان كان خبز القربان هو الجسد المأخوذ من العذراء بعينه وهو انساني فليأكلوا لحم أى انسان كان وان كان بينهما فرق فقد ترقى بين الماهية الانسانية مع أن الماهية الانسانية واحدة ، وان قالوا أن هذا الجسد يؤكل كلونه حل فيه اللاهوت ، فقد اكلوا الناسوت واللاهوت وهو باطل .

السادس عشر : انهم يزعمون ان عيسى هو الله سبحانه وأنه يكون الخبز عينه فينبغى أن من أكله يكون الاله حالا فيه وان تحل فيه صفاته أيضا ، فصارت النصرارى كلها آلهة فلما بعد ذلك ، يغفر لهم القس ذنوبهم أيضا ؟ ولماذا بعد موتهم يأخذ منهم دراهم ليخلصهم من نار جهنم ؟ وكيف جاز على من حل به الاله أن يموت أو يعذب ويدخل النار ؟ فبطلت الاستحالة .

السابع عشر : اذا حل وبقي القربان في جسد الأكل الذى هو مرتكب للخطايا فهل يدخل معه الى جهنم أم لا فان دخل معه فقد دخل المسيح أيضا ، وان لم يدخل لم يكن متحدا .

الثامن عشر : اذا دخل معه ، ودخل مع غيره أيضا فاما أن يتعدد أو يتجزىء ، وكلاهما باطلان .

التاسع عشر : اذا خرج منه هل خرج من بطنه بحاله أم تغير ؟ وكلاهما فاسدان باطلان .

العشرون : أنه لو كان واقعا لصح المريض عنه أكله ، مع أنه لا يصح ولا يشفى .

الحادى والعشرون : ينبى أن العبادة بعد أكله تسقط عن الأكل لأنه استحال لها ، وإله معبود لا عابد ، فبطلت الاستحالة .

الثانى والعشرون : ما قاله المعلم مخيايل فى كتابه « الدليل » ما لفظه : والأغرب من هذا جميعه أن الكاهن بعد أن يقدس ويصير بين يديه مسيح كامل يقسمه الى أجزاء صفار ليوزعها على المتناولين فكل متناول جزء منها يتناول مسيحا كاملا بلاهوته وناسوته ، وما بقى من هذه الأجزاء يتناوله الكاهن . فنسأل هذا الكاهن أنه عندما قسم هذا القربان الى أجزاء شتى ، هل تقسم المسيح على عددها أم صار مسحاء شتى ، كل واحد منهم فى جزء من أجزاء هذا القربان ؟ فإذا كان تقسم على عدد الأجزاء لا يكون المتناول أخذا مسيحا كاملا ، فمن أين جنابه أوجد المسحاء الزائدين عن الواحد ؟ أنه على زعمه حينما قدس التقدمة استحالت الى مسيح واحد لا الى مسحاء كثيرين ، وإذا سلمنا أن كل جزء قد احتوى على مسيح كامل . وأما الأجزاء التى تزيد عن عدد المتناولين وربما كانت كثيرة ، فهذه يتناولها الكاهن جميعها فيلزم أنه تناول مسحاء كثيرين على مقدار عدد الأجزاء ، أم أنها استحالت جميعها الى مسيح واحد أم أن المسحاء الزائدين عن الواحد تلاشى وجودهم « ١ . هـ .

وليعلم أنه لشناعة هذه العقيدة وظهر بطلانها خالف فيها فرقة البروتستانت سائر فرق النصارى القائلين بها ، كما أنهم خالفوهم أيضا فى مسألة الصور ، وجواز السجود لهن ، وفى غفران القسوس ذنوب المذنبين وبيعهم الجنة لهم ، وفى مسألة تزوج القسيسين ، وغير ذلك فحكروا بضلالهم وكفرت البروتستانت سائر فرق النصارى القائلين بها . والعجب منهم أنهم لا يقولون بحقيقة العشاء الربانى ، بل يجعلونه للتذكار بلا حقيقة ، لأن القول مخالف للعقل عندهم ، ومع ذلك يقولون بالتثليث المخالف للعقل أيضا .

ولنتقل لك من كلامهم مع الكاثوليك وغيرهم وردهم عليهم ليزداد الناظر منهم علما فى بطلان هذه العقيدة ، فقد قالوا فى ردهم المطبوع

فى بيروت سنة ١٨٥٦ أن الكتب المقدسة تعلمنا أن المسيح لم يزل فى السماء عن يمين أبيه بفاسوته ، وليس يأتى ليسكن فى القربان ، ولا القربان يصير مسيحا آخر ، ونقول أيضا : ان الذى خلق حواسنا لا يلزمنا أن نؤمن بخلاف المحسوس بها ، لأنه كما حقق تحويل الماء خمرا أمر بذوقه ، وأحيا العائر وغيره لتصرفوك مع الأحياء ، وعند دخوله على التلاميذ والأبواب مغلقة قال : جسونى ، وانظروا الى آخره . وقال لتوما : ضع يدك فى جنبى ، وفى كل ذلك لم يلزم أحدا أن يؤمن بالوهم ضد حواسه . فكيف يلزمنا أن نؤمن بأن الخبز صار لحما بل لها ونحن نراه خبزا كما كان لم يتغير أصلا .

قالوا : ونحن نقول أيضا ان ربنا له المجد لم تأنس لم تستحل ألوهيته ولا بعد صعوده الى السماء ، نيا للعجب كيف يصير الخبز لها حينما يرفع على أيدي القسوس ؟ وإى قوة فى أيديهم حتى يصنعوا من تراب الأرض انها خلق السموات والأرض ؟ وإى علامة عندهم لاثبات ذلك قالوا : ونقول أيضا : أن حسما عنصريا مخلوقا لا يمكن وجوده فى مكانين معا فى وقت واحد ، وذلك الاله التجسد أعنى المسيح اذ كان على الأرض لم يكن قط فى مكانين معا فى وقت واحد ، فكيف يحضر جسده بعد صعوده الى السماء فى ألوف من الأمكنة بدقيقة واحدة ؟ وماذا يقصد فى ذلك الا ان بهلا اكياس الكهنة من أجرة القدايس ؟

نعم لو قيل انه حاضر بالروح واللاهوت ، لكان ذلك مسلما بالضرورة وأما الجسد فكيف يكون ذلك ؟ وما الدليل عليه ؟ قالوا : وأيضا نقول : ان كان يمكن تحويل الخبز لها أو الاله خبزا لجاز لنا أن نؤمن أن الله تعالى يتغير من أزل الى زمنى ، ومن روح الى جسد ، ومن غير منظور الى منظور ، فتعالى الله سبحانه عن مثل هذا الكفر الشنيع .

قالوا أن الكنيسة الرومانية ومن يتبعها تعتقد أن الخبز والخمر المتقدمين من جميع الكهنة فى العالم بأسره ولو كانوا مليونات من الكهنة يقدسون فى دقيقة واحدة على حده وتستحيل تقدمة كل منهم الى مسيح

كامل بلاهوته ونفسه الناطقة وجسده ، فكيف يمكن أن يكون كل من هؤلاء المسحاء هو عين الآخر مع ان مادة تقدمه كل واحد منهم غير مادة تقدمه الآخر ؟ فهذا يستحيل وقوعه فى الأجسام والأنفس المخلوقة والبارى تعالى . لا يطلب منا أن نؤمن بالمستحيلات والمسيح يصب ناسوته تحت هذا القانون ، لأنه كان يجوع ويأكل ويعطش ويشرب ويتعب .

قالوا : ونقول أيضا ان الجسد والدم يؤكلان لا محالة ، وأما اللاهوت والنفس اللذان على زعمكم يوجدان فى القربان ، فكيف يمكن أكلهما وهما روحيان ؟ وأى فائدة من نزولهما الى الجوف النجس الذى ينطرد كل شىء منه أخيرا الى المخرج ؟ قالوا : ونقول أيضا يا من تصدق ان القربان الذى تناولته مرة كان المسيح بعينه ، وتريد أن تتناوله مرة أخرى ، ان كان الأول باقيا فى بطنك يتبعى أن تكتفى به عن الثانى لأنه عين الاول ، وان كنت تظن أن الاول هرب من بطنك فلا تحبس الثانى فيه ، لأن الأحسن له أن يسكن فى السماء لا فى هذه الجيفة ، وان كنت تظن أن الاول فسادا ولهذا تريد الثانى والثالث ، فصاعدا فلا شك أن الفاسد ليس هو المسيح الذى لا يتاله فساد ، فلا تسجد لهذا القربان ، ولا تكفر بالحق بل احكم بالعدل . وان قلت انه لم يبق فى بطنه بل اتحد بجسمى ودمى ، فإريد عليك الاعتراضات السابقة التى لا تجد لها جوابا البتة .

ونقول أخيرا أن كان القربان يصير الها بالحقيقة فيجوز السجود له ، وان كان لا يصير الها فيكون السجود له عبادة أصنامية لأن كل سجود لغير الله فهو صنم ، وان قلت : انى وأن سجدت للقربان فذلك السجود هو لله تعالى ، فيقال لك انك لو سجدت له بالروح بلا قربان ، أفلا يقبلك ؟ أو يكون سجودك له بواسطة القربان عنده أفضل ؟ وأى دليل لك ؟ ولعلك تحب أن يكون الهك منظورا لعينيك ، مثل بنى اسرائيل لما فرحوا بعبادة العجل المنظور أو مثل الوثنيين الذين يفرحون بأصنامهم أكثر من الاله الغير المنظور ، قالوا : وأكثر النصارى يقولون انه توجد فى الديانة بعض أمور عمرة الفهم وفائقة العقل البشرى ، ومنها مسألة الاستحالة ،

منجبيهم انا نسلم انه ربما يوجد فى بعض المسائل أمور عسرة الفهم الا أن ذلك يكون فيها يخص جوهر اللاهوت لا خبز القربان الذى هو عنصر التراب ، وقد قال عنه المسيح « واصنعوه لذكرى » لا اعبدوه عوضا عنى ، فما قاله الكاثوليكون ومن وافقهم شىء لا تقبله العقول ، ولا تعاضده النقول ، فهو كفر وضلال وتضحك منه الأطفال فضلا عن عقلاء الرجال .

والعجب أن البروتستانت لما رأوا شناعة هذه العقيدة الباطلة الخطأ والكاثوليك ونحوهم لتكذيب الظاهر لهم واستحالة ما قالوه عقلا استبعدوا الوهية المسيح وكون الاله يكون ثلاثة اجزاء ويحل فى بطن مريم ، مع أن ذلك أيضا يكذبه الظاهر ويحيله العقل . فايانهم بحال وكترهم بحال آخر شبيهه ، مما يقضى منه العجب أيضا ، فاعرف ولا تغفل . وأما دعواه التثليث والوهية المسيح عليه السلام فقد تقدم ردها ، وستأتك أيضا زيادة على ذلك وتأكيد لما مر هنالك فانتظرها ولا تسأم .

قال النصرانى : « فان قلت : انه جل ذكره قد نراه يميتهم ويبيهم بالأسقام والأوجاع فما يمنعك من التشبه به ، فاجيبك أصلحك الله باحضر جواب واضح ليس كجوابك فى الروح ، حيث سألت عن أمر الروح فكان جوابك انه من أمر الله ، وهو جواب لم يسمع السامعون بمثله ، أما نحن فنجيبك فى هذا ونقول ان الله تبارك وتعالى انما يتلى ويبيت عباده لا لأنه يريد الاضرار بهم أو عن بغض منه لهم ، ولو كان ذلك كذلك لما خلقهم فكيف وانما خلقهم جودا منه وتفضلا وانعاما عليهم ، اذ نقلهم من العدم الى الوجود واصارهم من لا كون الى كون لينقلهم من هذه الدنيا التى هى زائلة غير باقية وفاتية غير دائمة وناقصة غير تامة الى دار الخلود الباقية الابدانية الكاملة ، فلا يقال لمن نقل من مدينة خسيصة الى مدينة شريفة أو من مدينة شريفة أو من مدينة وضيعة الى مدينة رفيعة انه اراد بصاحبه سوءا وتعدى عليه ظلما بل هو محسن متفضل أولا وآخرا .

وأما قولك انه ابلاهم بالأسقام المؤلمة والأوجاع المؤذية فجوابنا فى هذا انه انما اراد بذلك أن تكون مستحقين الأجر والثواب ، وان يكون

تبارك وتعالى مع فضله عليهم ينالون ما ينالون ما ينالون من حسن الثواب باستحقاق منهم له فهو عز وجل متفضل عليهم فى الحالتين جميعا كالطبيب الماهر المشفق الذى يشفى المريض بالأدوية المرة الطعم البشيمة الرائحة ، وربما كوى بعضهم بالنار وقطع بعض الأعضاء من اجسادهم بالحديد ، وبعض يمنعهم شهواتهم من اطعام والمشارب نظرا منه واشفاقا عليهم ، فنقول انه يفعل ذلك بهم على سبيل العداوة والبغضة ، بل انما يريد بذلك صلاحهم وصحة ابدانهم وانقاذهم من الأسقام والأدواء والمؤذية لهم ونقلهم من تلك الحال الكريهة التى هى فيها الى حال العافية وطيب العيش .

فان قلت قد كان يمكنه أن يتفضل عليهم ويأجرهم من غير أن يعذبهم بالأسقام والأوجاع قلنا لك : وقد كان أيضا يمكنه ألا يخلق الدنيا وكان يخلق الآخرة والجنة ، ويدخل الناس النعيم من غير محنة ولا بلوى ولا استحقاق فهذا كان ممكننا فى قدرته لكنه خطأ فى التدبير لأن المتعقب كان يتعقب ، فيقول : لم يمكنه أن يخلق الا خالفا واحدا فخلق عز وجل هذه الدنيا وجعلها فانية دار محنة ومتجر وجعل الناس فيها مسافرين ينزلونها كما ينزل بنو السبيل الخانات نزول مبيت لا نزول اقامة ، فينتقلون منها الى دار الاقامة التى هى الغاية القصوى ليكون لهم فيها نقرة الخلود . هذا هو الثواب فى التدبير ، فخلقهم تبارك وتعالى جودا منه وأبلاهم بالأسقام والأوجاع خيرة لهم فى زمان منقطع زائل وحياة مشاركة ليجزيهم ويأجرهم تفضلا منه عليهم واستحقاقا من ثوابهم واتماما للنعمة عندهم فى تلك الدار التى لا زوال فيها لحياتهم ولا فناء لنعيمهم ولا انقطاع لفرحهم وسرورهم .

فان كان وصاحبك هذا يرحمك الله الذى ادعيت له ما ادعيت ودعوتنا الى اتباعه بما دعوتنا اليه انما يقتلهم بسيفه ويضربهم بسوطه ويسبى ذراريهم ويجلبهم عن ديارهم ، يريد بذلك لهم الخير لينقلهم مما هم عليه الى ما هو خير منه ، فقد لعمرى نصح وتفضل وأحسن وتشبه بفعل الله تبارك وتعالى اسمه الخالق الجواد ، ولكنه ما فعل الذى فعله لهذا ولا خطر

بباليه ولا فكر فيه وما أراد الا نفع نفسه وأصحابه واقامة دولته في العاجل
والدليل على ذلك قوله : « حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون » أفلا ترى
أيها المميز أنه لم يرد بما فعل أن ينقلهم مما هو عنده أنه شرك وكفر الى
ما زعم أنه الدين القويم نظرا منه لهم ومحبة لمنفعتهم وصلاحهم ولكنه
أراد بلوغ اربه وانهاد مرامه وتوطين سلطته كما يفعل المنتفاب هذا وهو
يقول في كتابه الذي يدعى أنه منزل : « قل للذين أوتوا الكتاب والأمينين
أسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير
بالعباد » ألا ترى أصلحك الله أنه أمر ان يقول ويبلغ بلسانه ونهى عن
القتل والنسبى ؟ فأمعن يرحمك الله في هذا الأمر وميز هذا التناقض
وأفهمه « أ ، هـ .

فأقول : ان أغلب كلام هذا النصراني هنا خارج عما هو بصدده من
اثبات نبوة وألوهية سيدنا عيسى عليه السلام وانكاره لنبوة نبينا الأكرم
ﷺ وليس له مدخل فى موضوع البحث وليس تحته طائل ، وكان اللائق
عدم الجواب عنه الا انا نخشى من ظنه وظن أمثاله أن المسلمين عاجزون عن
جوابه ، فلنجب ان شاء الله تعالى عن المهم بما فيه .

فأما قوله : « ليس كجوابك فى الروح » الى آخره .

فيقال له : انا بعد أن أثبتنا نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام بما تثبت
به نبوة غيره من الأنبياء الكرام من معجزاته المتواترة وأخبار الكتب السماوية
ومعجزة القرآن العظيم والآيات الباهرة لدى كل ذى قلب سليم وعقل
مستقيم ، فلا تمس الحاجة الى الجواب عن هذا الاعتراض فى بحث
الروح ، لأن هذا كلام الله سبحانه وهو أعلم بالحكم والمصالح وما يقتضى
بيانه للناس ، وما لا يقتضى وهذا شئ كثير لا يمكننا حصره ، ومنه أنه
سبحانه لم يعلم أحدا بأجله ورزقه وسعادته وشقاوته وعمله ولم يطلع
أحدا بوقت قيام الساعة ونزول الأمطار وأمارات الساعة الكبرى ، ونحو
ذلك مما أجمع عليه أهل الملل من عدم علمه لأحد الا الله سبحانه وتعالى .

فمن ذلك ما فى الاصحاح الرابع والعشرين من انجيل متى ما نصه :
« وأما ذلك اليوم والساعة لا يعرفها أحد ولا ملائكة السموات الا الآب
وحده » انتهى على أن المسيح لما سأل عن السلطان الذى يعمل به الأعمال
لم يبين للسائل ذلك كما فى الاصحاح الحادى عشر من انجيل مرقس
ما نصه « فأجاب يسوع وقال لهم : ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا » . أ. هـ

على أننا نذكر ما قاله العلماء المفسرون فى تفسير هذه الآية الكريمة
قال تعالى فى سورة الاسراء : « ويسألونك عن الروح ؟ قل الروح من
أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » روى عن ابن عباس رضى الله
عنها أن قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشأ فىنا بالأمانة والصدق ،
وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة
واسألوه عن فأنهم أهل الكتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود :
سألوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أو لم يجب عن شىء منها فليس
بنبى وان أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبى ، فسألوه عن فتية
فقدوا فى الزمن الأول ما كان من أمرهم ، فانه كان لهم حديث عجيب وعن
رجل بلغ شرق الأرض وغربها ما خبره وعن الروح (١) فسألوه ، فقال
النبى ﷺ : « أخبركم بما سألتكم غدا » ثم نزل فى الفتية قوله تعالى : « أم
حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجا » ونزل فيمن بلغ
الشرق والغرب : « ويسألونك عن ذى القرنين » ونزل فى الروح :
« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى »

قال الوالد عليه الرحمة فبين ﷺ لهم القضيتين وأبهم أمر الروح وهو
مبهم فى التوراة والآية على هذا مكية وعلى قول مدنية وجمع بعضهم بين
ذلك بأن الآية نزلت مرتين واختلف العلماء فى الروح المسأل عنها فالجمهور
على أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذى هو مدار البدن الانسانى
ومبدأ حياته ، لأن ذلك من أدق الأمور التى لا يسع أحدا انكارها وتكل

(١) فى كتاب رسالة فى اللاهوت والسياسة لسبببوز، بحث موطن
عن الروح القدس .

الأذهان عنها ولا تكاد تعلم الا بوحي . وقال بعض السلفيين ان المسئول عنه الروح الذى أخبر الله تعالى عنه فى كتابه انه يقوم يوم القيامة مع الملائكة عليهم السلام قال لأنهم انما يسألونه عليه الصلاة والسلام عن أمر لا يعرف الا بالوحي وذلك هو الروح عند الله تعالى لا يعلمه الناس ، وأما أرواح بنى آدم فليست من الغيب وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنها انه قال : الروح خلق من خلق الله تعالى وصورهم على صورة بنى آدم وما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد من الروح ، ثم تلا قوله تعالى : « يوم يقوم الروح والملائكة » وأخرج أبو الشيخ وغيره من طريق عطاء عنه رضى الله تعالى عنه أنه قال فى الروح المسئول عنه هو ملك واحد له عشرة آلاف جناح جناحان منهما ما بين المشرق والمغرب وله ألف وجه لكل وجه لسان وعينان وشفقتان يسبح الله تعالى بذلك الى يوم القيامة .

وقال الحسن وقتادة : الروح هو جبريل عليه السلام وقد سمي روحا فى قوله تعالى « نزل به الأمين على قلبك » والسؤال عن كيفية نزوله والقائه الوحي اليه عليه الصلاة والسلام وقال بعضهم : هو القرآن وقد سمي روحا فى قوله تعالى : « وكذا كأوحينا اليك روحا من أمرنا » وقيل عيسى عليه السلام فانه روح الله وكلمته ، ومعناه أنه ليس كما يقوله اليهود ولا كما يقوله النصارى وقيل غير ذلك .

وعلى القول بأنه المركب فى الخلق الذى يحيى به الانسان ، فقد تكلم فيه قوم ، فقيل هو الدم وقيل نفس الحيوان وقيل هو عرض وقيل هو جسم لطيف ، وأولى الأقاويل أن يوكل عليه الى الله سبحانه ، وقوله تعالى : « من أمر ربي » كلمة من تبعية وقيل بيانية ، والأمر واحد الأمور بمعنى الشأن . والاضافة للاختصاص العلمى لا الإيجادى ، اذا ما من شئ الا وهو مضاف اليه عز وجل بهذا المعنى ، وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما فى الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه أى من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الأسرار الخفية التى لا تكاد تدركها عيون عقول البشر .

وقال غير واحد : معنى كون الروح من أمره تعالى أنه من الإبداعات الكائنة بالأمر التكويني من غير تحصل من مادة وتولد من أصل كالجسد الانساني فالمراد من الأمر واحد الأوامر أعنى « كن » والسؤال عن الحقيقة . والجواب اجمالى وماله أن الروح من عالم الأمر مبدعة من غير مادة لا من عالم الخلق وهو من الأسلوب الحكيم كجواب موسى عليه السلام سؤال فرعون اياه « ما رب العالمين ؟ » اشارة الى أن كنه حقيقته مما لا يحيط به دائرة ادراك البشر ، وانما الذى يعلم هذا المقدار الاجمالى .

انتهى باقتصار .

وقال الامام فخر الدين الرازى عليه الرحمة بعد أن ذكر أبحاثا كثيرة تتعلق بالآية الكريمة ما لفظه : « بل المختار عندنا أن اليهود سألوا النبى عليه الصلاة والسلام عن الروح وأنه صلوات الله تعالى وسلامه عليه أجاب عنه على أحسن الوجوه . وتقريره ان المذكور فى الآية أنهم سألوه عن الروح والسؤال عنه يقع على وجوه كثيرة : أحدها أن يقال ما ماهية الروح ؟ أهو متحيز أم حال فى المتحيز أم موجود غير متحيز ولا حال فى المتحيز . وثانيها أن يقال : الروح قديمة أم حادثة ؟ وثالثها : أن يقال الأرواح هل تبقى بعد موت الأجسام أو تنفى ؟ ورابعها أن يقال : ما حقيقة سعادة الأرواح وشقاوتها ؟ وبالجملة فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة . وقوله سبحانه « ويسألونك عن الروح » ليس فيه ما يدل على أنهم عن أى شيء من هذه المسائل سألوا الا أنه تعالى ذكر فى الجواب عن هذا السؤال قوله عز وجل : « قال الروح من أمر ربي » وهذا الجواب لا يليق الا بمسالتين من المسائل التى ذكرناها احداهما : السؤال عن ماهية الروح . والثانية عن قدها وحدوثها .

أما البحث الأول : فهو أنهم قالوا ما حقيقة الروح وما هيته ؟ أهو عبارة عن عرض آخر قائم بهذه الأجسام أم هو عبارة عن موجود يغاير هذه الأشياء ؟ فأجلب سبحانه بلنه موجود مغاير لهذه الأجسام ولهذه الاعراض . وذلك لأن هذه الاجسام وهذه الاعراض أشياء تحدث من امتزاج

الاخلاق والعناصر ، وأما الروح فإنه ليس كذلك بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث الا بمجرد قوله كن ، فقالوا لما كان شيئا مغايرا لهذه الأجسام ، ولهذه الأعراض فما حقيقته وماهيته ؟ فأننا لا نعقل شيئا سوى هذه اعراض وهذه الأجسام . فأجاب الله تعالى عنه بأنه موجود يحدث بأمر الله تعالى وتكوينه وتأثيره في افادة الحياة لهذا الجسد ولا يلزم من عدم العلم بحقيقة المخصوصة نفيه ، فان أكثر حقائق الاشياء وما هياتها مجهولة ، فأننا نعلم أن السكنجيين له خاصة تقطع الصفراء ، فأما اذا أردنا أن نعرف ماهية تلك الخاصة وحقيقتها المخصوصة فلذلك غير معلوم ، فثبت أن أكثر الماهيات والحقائق مجهولة ولا يلزم من كونها مجهولة نفيها فكذا ههنا ، فهذا هو المراد من قوله تعالى : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا »

وأما المبحث الثانى : فهو أن لفظ الأمر قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى : « وما أمر فرعون برشيد » وقال « فلما جاء أمرنا » أى فعلنا فقوله سبحانه « قل الروح من أمر ربي » أى من فعل ربي . وهذا الجواب يدل على أنهم سألوه الروح قديمة أم حادثة ؟ فقال : بل هي حادثة ، وإنما حصلت بفعل الله تعالى وتكوينه وإيجاده ، ثم احتج على حدوث الروح بقوله عز وجل « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » بمعنى أن الأرواح فى بدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف ، ثم تحصل فيها المعارف والعلوم فهى لا تزال تكون فى التغير من حال الى حال وفى التبدل من نقصان الى كمال ، والتبدل والتغير من أمارات الحدوث ، فقوله سبحانه : « قل الروح من أمر ربي » يدل على أنهم سألوه الروح حادثة أم لا ؟ والجواب بأنها حادثة واقعة بتخليق الله تعالى وتكوينه . وهو المراد من قوله تعالى : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » انتهى المراد منه ، فاعرفه ولا تغفل .

وبقى فيها ابحاث كثيرة تركناها خشية الخروج من الصدد وسأمة الطالبين وبالله تعالى التوفيق .

قوله : « ولكنه ما فعل الذى فعله لهذا ولا خطر بباله ولا فكر فيه وما أراد الأنفع نفسه » الى آخره .

ليت شعري كيف ساغ له انكار الأمور المعلومة بالضرورة إذ الإشارات الدالة على انه عليه الصلاة والسلام ما أراد الا نفعهم متعددة والأدلة على ذلك ظاهرة متواترة ، لانه ﷺ ما دعاهم الا للتوحيد الذي دعت الأنبياء كلهم اليه كافة العبيد والتصديق بسائر الانبياء وتبرئة ابن مريم العذراء ، وطلب منهم فعل الخيرات ونهاهم عن المنكرات ولو كان أراد نفع نفسه كما زعم النصراني لادخر الاموال وتنعم بهاتيك النفائس ولأكل انفس الأطعمة ، ولللبس أمخر الملابس ، ولكنز الصفراء والبيضاء ولشيد القصور وسكن أعلى البناء من الدور ، ولجعل النبوة سلطنة بعد فتحه عليه السلام للبلاد وانقياد العباد ، مع أن سيرته العلية وزهده فى الدنيا الدنية وأخلاقه النبوية لا تحتاج الى بيان ، فقد ملئت الكتب وقرطت الأذان وتواتر لدى المؤمن والكافر والعدو والمسلم حسن أخلاقه العظيمة وطيب سيرته الكريمة بحيث لا يخلج فى ذهن عاقل أن ذلك كان لاقامة دولته فى العاجل كما زعم هذا القائل ، ولو أردنا أن نذكر هنا عشر معشار صفاته السنية مما هو مذكور فى كتب السيرة النبوية ، لطال الكلام وخرجنا عن الاقتصار فى المرام .

وأما دليله الذى ساقه على قوله الفاجر انه عليه الصلاة والسلام أمر يأخذ الجزية من الكافر (١) فهذا شيء عمله قبله كثير من النبيين كما فصلناه لك سابقا فكن من الذاكرين ، على أنا نذكر ما قاله المفسرون فى تفسير هاتين الآيتين ونرى كل مصنف انه لا تناقض فى البين .

فأما قوله تعالى فى سورة التوبة : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » قال

(١) قوله تعالى « تقاتلونهم أو يسلمون » دليل على أن الجزية لا تؤخذ من أهل الكتاب فقط (انظر تفسير القرطبي فى سورة الفتح وسورة التوبة) .

المفسرون أمر الله تعالى بقتال أهل الكتابين اثر أمرهم بقتال المشركين ، ومنعهم من أن يحوموا حول المسجد الحرام والتعبير عنهم بالموصول للايدان بعلية ما فى حيز الصلة للأمر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك فى سلك المشركين ، وايمانهم الذى يزعمونه ليس على ما ينبغى فهو كلا ايمان وقرله سبحانه « ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله » أى ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا أو غير متلو ، فالمراد بالرسول نبينا ﷺ وقيل المراد به رسولهم الذى يزعمون أتباعه ، فانهم بدلوا شريعته وأطوا وحرهوا من عند أنفسهم أتباعا لأهوائهم فيكون المراد لا يتبعون شريعتنا ولا شريعتهم ومجموع الأمرين سبب لقتالهم وان كان التحريف بعد النسخ ليس علة مستقلة . وقوله : « ولا يدينون دين الحق » أى الدين الثابت فالإضافة من اضافة الموصوف الى الصفة ، والمراد به دين الاسلام الذى لا ينسخ بدين كما نسخ كل دين به ، وقوله سبحانه : « من الذين أوتوا الكتاب » أى جنسه الشامل للتوراة والانجيل ، ومن بيانية لا قبعضية ، وقوله سبحانه : « حتى يعطوا الجزية » أى يقبلوها وهى مشتقة من جزى دينه أى قضاؤه أو من جزيته بها فعل اذا جازيته لأنهم يجيزون بها من من عليهم بالعفو عن القتل ، وقوله سبحانه « عن يد » يحتمل أن يكون حالا من الضمير فى « يعطوا » وان يكون حالا من الجزية . واليد يحتمل أن تكون اليد المعطية وأن تكون اليد الآخذة وعن تحتمل السببية وغيرها أى يعطوا الجزية عن يد مواتية ، أى منقادين أو مقرونة بالانقياد أو عن يدهم أى مسلمين أو مسلمة بأيديهم لا بأيدي غيرهم من وكيل ورسول لأن القصد فيها التحقير ، وهذا ينافيه أو عن غنى أى اغنياء أو صادرة عنه . ولذلك لا تؤخذ من الفقير العاجز ، أو عن قهر وقوة أى أذلاء عاجزين ، أو مقرونة بالذل أو عن انعام عليهم ، فان ابقاء مهجهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة ، أى منعما عليهم أو كائنة عن انعام عليهم ، أو نقدا أى مسلمة عن يد الى يد أو مسلمين نقدا .

وقوله سبحانه « وهم صاغرون » أى أذلاء وذلك بان يعطوها قائمين

والقابض منهم قاعد .

واعلم أنها تؤخذ عند الامام أبى حنيفة رحمه الله تعالى من أهل الكتاب مطلقا ومن مشركى العجم والمجوس ، لا مشركى العرب لأن كفرهم قد تفلظ لما أن النبى ﷺ نشأ بين أظهرهم وأرسل اليهم وهو عليه الصلاة والسلام من أنفسهم ، ونزل القرآن بلغتهم . وذلك من أقوى البواعث على ايمانهم ، فلا يقبل منهم الا السيف أو الاسلام زيادة فى العقوبة عليهم ، مع اتباع الوارد فى ذلك . وعند الامام أبى يوسف رحمه الله تعالى لا تؤخذ من العربى كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من العجمى كتابيا كان أو مشركا وأخذها من المجوس ثبت بالسنة عن النبى ﷺ . وتفصيل بحثها فى روح المعانى وغيره .

والمقصود هنا أن الجزية الالهية المضروبة فى دين المسلمين قد حكم بمثلها بعض أنبياء بنى اسرائيل على بعض قومهم الكافرين . فالاعتراض على الاسلام بذلك محمول على جهل المعترض وعدم اطلاعه على كنه السماوية المبرحة فيها هنالك . على أن المصالح الدينية التى ترتبت على أخذ الجزية وحكمها الخيرية أظهر من أن تطيل الكلام بتعدادها غير انا نذكر بعضا مما قاله الوالد تغمده الله برحمته .

قال « وقد استشكل أخذ الجزية من هؤلاء الكفرة بأن كفرهم من أعظم الكفر فكيف يقرون عليهم بأخذ دراهم معدودات . وأجيب بأن المقصود من أخذ الجزية ليس تقريرهم على الكفر ، بل إهمال الكافر مدة ربما يقف فيها على محاسن الاسلام وقوة دلائله فيسلم وقال الاتقانى أن الجزية ليست بدلا عن تقرير الكفر ، وإنما هى عوض عن القتل والاسترقاق الواجبين ، فجازت كاستقاط القصاص بعوض أو هى عقوبة على الكفر كالاسترقاق ، ومن قال انها بدل عن الإقرار على الكفر فقد توهم وهما عظيما » . هـ ما فهموا لله تعالى أعلم .

وأما قوله : « هذا وهو يقوله فى كتابه الذى يدعى أنه منزل : » قل
للذين أوتوا الكتاب « الى آخره .

فيقال له : ان هذين الحكمين ليس فيهما تناقض بل هذا من باب الناسخ والمنسوخ ، الذى ورد فى جميع الشرائع ، واثبتناه لك سابقا وكذلك الجزية المأخوذة فى نبوة بعض الأنبياء ، فلا حاجة الى التكرار والتطويل .

ولنذكر لك ما قاله الوالد عليه الرحمة فى تفسيره وهو قوله تعالى : « وقل للذين أتوا الكتاب والأمينين » عطف على الشرطية والمعنى فان حاجك أهل الكتاب فقابلهم بذلك فان أجدى ، فعمم الدعوة ، وقل للاسود والاحمر : «أسلمتم متبعين لى كما فعل المؤمنون ؟ فانكم قد جاءكم من الآيات ما يوجب ويقتضيه أم أنتم على كفركم بآيات الله تعالى واصراركم على العناد . وهذا كما تقول اذا لخصت لسائل مسألة ولم تدع من طرق البيان مسلكا الا سلكته ، فهل فهمتها على طرز « فهل أنتم منتهون » اثر تفصيل الصوارف عن تعاطى ما حرم تعاطيه ، وفى ذلك تعبير لهم بالمعادنة وقلة الانصاف وتوبيخ بالبلادة وجمود القريحة ، والكثيرون على أن الاستفهام للتقرير وفى ضمنه الأمر ووضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين المتعاطفين والمراد من الأمين الذين لا يكتبون من مشركى العرب قاله ابن عباس وغيره « فان أسلموا فقد اهدوا » على تضمين معنى الخروج أى اهدوا خارجين من الضلال كذا قيل ، وبعض يفسر الاهتداء باللازم وهو النفع أى فقد نفعا أنفسهم قالوا وسبب اخراجه عن ظاهرة أن الاسلام عين الاهتداء فان فسر على الأصل اتحد الشرط والجزاء ، وفيه منع ظاهر ، وان تولوا أى عرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا « فانها عليك البلاغ » قائم مقام الجواب ، أى لا يضرك شيئا اذ ما عليك الا البلاغ وقد أديته على أكمل وجه وأبلغه ، وهذا قبل الأمر بالقتال ، فهو منسوخ بآية السيف « والله بصير بالعباد » تذييل فيه وعد على الاسلام ووعيد على التولى عنه .هـ

ولا يخفى عليك أن الله سبحانه أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أولا بدعوة الكفرة الى دين الاسلام باللسان من غير قتال بسيف وسنان ، وذلك قبل كثرة المسلمين وقوتهم على قتال المشركين ، ثم لما انتشر الاسلام وقوى منه الدعاء وتكاثر الموحدون وتناصر المسلمون ، واتضح الحق وعلا مناره

ونزل الشرك وجنى أواره ، أمر سبحانه نبيه الأكرم ﷺ باعلاء كلمة التوحيد
وأن يجاهد الموحدون بأنفسهم وأموالهم كل عنيد ، ليوحده العباد ويقر
منكرهم يوم التفاد ويقبل الجزية من أهل الكتاب ولا يقبل الا الايمان من
الأعراب ، ليكون الدين كله لله ويستضيء الأحمر والاسود والعربي والعجمي
بأنوره وضياه .

وحكمة أخذ الجزية قدمناها أنفا اليك فتذكرها واقبل والا يحق القول
عليك .

قال النصراني : « ثم أعجب من هذا تسميتك من قتل من أصحابك شهداء
فهلهم ننظر في أخبار الذين قتلوا من أصحاب المسيح على عهد ملوك
الفرس وغيرهم ، أهم كانوا مستحقين لاسم الشهادة ، أم أصحابك الذين
يقتلون في طلب الدنيا والحاربة على سلطانها ؟ فقد بلغنا كيف صبر أولئك
ومسارعتهم الى بذل دمائهم ومهجهم ودماء أولادهم والخروج عن دنياهم
ونعيمهم ، وكيف كانت نياتهم وصحة ضمائرهم وشدة يقينهم بما كانوا عليه
من ديانتهم ، وكانوا يسارعون الى أن يقربوا أجسادهم الى الذبح والقتل
وأشنع العذاب قربانا لله ، وقد كان يقتل الواحد فيتنصر من ساعته في ذلك
المكان المائة والأكثر والأقل ، فقتل في زمان من تلك الأزمنة أحد ملوك
الروم المردة ، وقد لجج في قتلهم مقتلة عظيمة فقال له بعض أصحابه : أيها
الملك انك انما تزيد فيهم من حيث تظن أنك تنقص منهم ، فقال : كيف ذلك ؟
فقيل له انك قتلت أمس كذا وكذا فتنصر أضعاف هذا العدد ، فقال : وما
النسب في هذا ؟ فقيل له : ان القوم يقولون ان رجلا يطلع عليهم من السماء
فيشجعهم فعند ذلك أمران يرفع عنهم السيف ، وكان هذا القول داعيا الى
تنصر الملك ورجوعه عما كان عليه من الكفر وقتل أولياء الله .

فاتنظر الى هؤلاء الذين كانت لهم البصائر بالديانة وشدة اليقين
والإخلاص وجودة الإيمان كيف لم يفتر إيمانهم والمسيوف تأخذهم ، وكانوا
يعذبون بأنواع العذاب وهم على ذلك محبون لما ينالهم غير ممتنعين فرحون
مسرورون جدلون متيقنون انهم اذا أتوا ذلك فهم مقصرون عما في أنفسهم
من أداء حق النعمة التي أوتوها من الدخول في الديانة النصرانية ، فيبذلون
أجسادهم اختيارا كما بذلوا ، فمنهم من سلخ وهو حي ، ومنهم من
قطعت أعضاؤه وهو ينظر الى ذلك ، ومنهم من أحرق بالنار ، ومنهم من
ألقى للسباع وبعض نشر جسده بالمتنشر ، وهذا دائم ثابت في من ينتحل
دين النصرانية ليس يخلو في وقت من الأوقات من أن يبذل نفسه للموت
طوعا واختيارا أو يرغب بها عن الحياة وعن جميع ما يحويه العالم .

ونحن نعلم وأنت وجميع من يقول بالحق أنه ليس في دين من الأديان
أحد يأتي بمثل هذا الأمر ويحول نفسه عليه غير أهل هذه الشريعة ، اذ كان

هؤلاء في العذاب الذي لا توصف شدته ، وهم في جميع ذلك على غساية التمسك بديانتهم ، وفي غاية الفرح بما ابتلوا ، حتى سال واحد منهم وهو يعذب عذابا شديدا وهو في حالة تلك ، يتلفت يمنا ويسرة ويضحك ، فقيل له : ما سبب ما كنا نراه من تلفتك وضحكك وأنت في ذلك العذاب ، أما كنت تجد ألما ؟ فأجاب : ما كنت أجد ألما في ما كنت اعذب به ، وقد كنت في تلفتي أرى رجلا شابا بالقرب مني وهو يضاحكني ويمسح الدماء التي كانت تسيل من جراحاتي بخرق بيض كانت معه ، وكنت أرى ذلك العذاب كأنه إنما يقع بواحد من الذين يعذبونني ، فعملنا أنه كان صادقا في قوله والا فما صبره على تلك الشدة من العذاب ؟

وتعلم أن الله وتعالى يصرف عنايته بأهل طاعته ويصبرهم على الشدائد .

فان قلت : لو أمر الله ذلك الملك الذي وكله بتشجيعه ومسح الدماء من جروحه أن يصد عنه من كان متوليا تعذيبه ، فيكون سببا لتوبتهم ورجوعهم . قلت : أنت أصلحك الله تعلم أن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه لو شاء أن يجمع الناس كلهم على الإيمان به ، ويجبرهم عليه لكان قادرا على ذلك ، غير أنه طبع سبحانه وتعالى جوهرهم بعدله على استطاعة الحرية ليثيبهم أو يعاقبهم على ما اكتسبوا لأنفسهم ، لا على الذي يجبرهم عليه هو ، ولولا ذلك لم توجب الحجة على الممتنع من قبوله ، فلذلك أظهر على يد هؤلاء في ذلك الزمان آياته وبراهينه ، ليستكملوا قبول الدين وأمسك عن الباقيين ، ليظهر أنهم مستطيعون ، ولو نابوا بذلك السبب لم يكن لهم في ذلك أجر لأنهم إنما نابوا قهرا أو تسرا ، ولكنه تركهم حتى بلغوا أراذلهم ولم يغفل عن معونة أوليائه ليظهر استطاعة الحرية وثمرة العقل ، وجعل فكره في كيفية قبول الأولين لأنه برهان واضح وحجة لازمة ويجب على كل ذي لب اليقين ، بأنه لم ينتقل هؤلاء المختلفون في أجناسهم وأهوائهم وأديانهم إلى هذا الدين إذ خلا من الخصال كلها إلا بالآيات المعجبة ، ومع هذا فان قوة أصل تلك الآيات قائمة باقية في أصل هذا الدين إلى هذه الغاية نعاين آثارهم بأبصارنا ونسمعها بأذاننا ونعني منها بعقولنا

من الجرائح التي تجرى على أيدي أصحابهم ورهبانهم وأبصارهم من رفع الجنون والتخيل وإبراء أنواع الأمراض في الكنائس والديارات والبيع المبنية على اسم هؤلاء الشهداء الذين وصفنا أحوال صبرهم على العذاب الذين هم بالحقيقة مستحقون لاسم الشهادة .

فمنها ما فيها قبورهم ومنها ما فيه الجزء من عظامهم فتكون منها هذه النعمة في كل موضع من المشرق والمغرب وبلاد الروم وأرض الشام وبلاد فارس وأرض الحبشة وجزائر البحر وأمصار العراق وبلاد خراسان لا يخلو ذلك من يلوذ بهم ويلتجئ اليهم في هذا النحو وشبهه غير منكر لهم ذلك سوى بلاد صاحبك فإنه من ذلك خلوص لأنه لم يقع إليه من هؤلاء القوم ولا صار في ناحيته أحد من يعبد هذا الدين غير الرجلين اللذين تعرفهما : سرجيوس المسمى لسطريوس ، ويوحنا المعروف بحيرا .

ثم ليست هذه الفضيلة في شيء من الأديان ولا يدعيها أحد من أهل المقالات خلادين النصرانية فان ذلك لهم ورثة قائمة فيهم الى هذه النهاية والى انقضاء الدنيا ، فاي دليل واضح وأي حجة أضوء وأنور وأسطق من هذه لطالب الحق ، فهلم أكرمك الله ننظر في هذا الأمر نظر نصفة ويقين واستقصاء ونجعل بيننا نظر ناظر بعين عقله ينصح لنفسه ويعدل عن الهوى ، فمن هو أصلحك الله أحق بأن يسمى شهيدا ويشهد له أنه قتل في سبيل الله ؟ أم قرب نفسه قريبا عن ديانتته وقد قيل له اسجد للقمير والشمس وغير ذلك من الذهب والفضة والخشب مما صنعتها الأيدي واتخذها أربابا لك من دون الله واترك عبادة الله وكلمته وروحه ، فأبوا ذلك وبنلوا مهجهم ودماءهم وأموالهم وحياتهم وأهاليهم وأولادهم أم من خرج طالبا للنسب والسرقة والغنيمة وسبى الذراري ونكاح الفروج التي هي محرمة محرمة وثمن الفارات ، ثم يسمى ذلك جهادا في سبيل الله ، ويقول من قتل أو قتل فهو في الجنة .

فانصف أيها الحبيب فانتا رجلان تقدمنا اليك فحكمتك في الأمر فاي حكم كنت تحكم اذا آثرت الحق وترضيت العدل والنصفة ؟ فنقول

ان لصا ثقب منزل رجل ليسرقه ، فسقط عليه حائط أو وقع فى بئر وبادره صاحب البيت ، فضربه ضربة تلفت نفسه منها ، أتوجب لهذا اللص دية ؟ ما اظنك أيها القاضى تفعل ذلك . فكيف توجب الجنة أن مضى الى قوم آمنين مطمئنين فى مساكنهم لا يعرفهم ولا يعرفونه ، فسرقهم ونهبهم وسلبهم وقتلهم وفجر فيهم ، ثم لا يقنعك ذلك اذ فعلته وتعود الى ريك نادما على ذنبك مستغفرا تائباً عما كان منك ، بل تقول انه ان قتل أو قتل فهو فى الجنة ونسميه شهيدا فى سبيل الله ، فان أنت حكمت بهذا فما حكم الشيطان الذى هو عدو آدم وذريته قديما الا دون حكمك على أنى أعلم أن عقلك وعدلك يمنعانك من ذلك ، ولا يطلاقانه لك . وقد علمنا — أحاطك الله — ما اشترطته لنا من الصبر على الحجة اذا وردت بك ، اذ لم تكن منا المسألة وانما كان الابتداء فى المبالغة فى الحجة منك ، فقبلنا ذلك من قولك . وعلى كل حال فلم نكتب بما كتبنا به الا وقد قصرنا لأن لو كشفنا فى هذا الفن من كلامنا ، لفعلنا كما فعل غيرنا ، وكلامنا هذا انما هو جواب اقتضاه ابتداءك واذا عدلت فى القول ، علمت أن الأمر كالنار التى تستكن فى الحجر والحديد فكلمنا استقدحتها بزنادك استعرت اضطراما . وقولى اكرمك الله لك فى هذا ولغيرك ممن ينظرون فى كتابى قول واحد « ا . هـ .

أقول : لا يخفى عليك مما قدمناه مرارا زيف مثل هذا الكلام وبطلانه من أوله الى آخره وأنه موهو مختلق لا يروج الا على عديمى الاطلاع والبله من أهل نحلته ، وأنه لا طائل تحته . فلذا نضرب صفحا عن التظويل فى رده وبيان باطله ، غير اننا لا نتركه هملا عن بيان بعض ما فيه من التويه .

فأما قوله : « فلهم تنظر » الى آخره فيقال اننا نظرنا والله الحمد واطلعنا على أخيار الملتين ورأينا أن دين المسيح فى مبدأ أمره كان دينا غير مغير ولا مبدل ، وأنه دين قويم والذى بعث به هو رسول الله وعبيده ، وأن أتباعه على الحق ، وقد نهجوا طريق الصدق ، وليس لنا كلام فى ذلك الى أن غيره قومه وحرفوا الانجيل وحملوا معناه على مردود الأباطيل ،

(١) النصرانى يشير الى تقديس المزارات الأضرحة . وقد نهى الله تعالى عن ذلك . ونهاهم عن اتخاذ الأحرار والرهبان أربابا من دون الله .

وادعوا أنه عليه السلام اله مولود وابن انسان معبود ، حتى بعث نبينا عليه الصلاة والسلام وأظهر المعجزات الجمة كما أظهر اخوانه الأنبياء معجزاتهم فى كل أمة ، فنسخت شريعته وانتهت الى ذلك العصر دعوته ، كما أخبرت بذلك التوراة والانجيل فى صريح الآيات التى ذكرناها قبل هذا ، ولا تحتمل التأويل ، فعند ذلك جاهد فى الله حق الجهاد كما جاهدت أسلافه من الأنبياء عليهم السلام أهل الكفر والعناد ، وقد شرحناه لك مفصلا وأعدناه غير مرة مجملا .

واتبعه أصحابه عليه السلام وخلفاءه وأنصار دينه فى ذلك وتبين مسيرهم على القتل والتعذيب وحسن ابتلائهم فيما هنالك وشربهم للسم ودخولهم الى النيران وظهور كراماتهم الخارقة فى العيان أكثر مما ذكرت لو صح عن أصحاب المسيح ومتبعيه ، مما لو أردنا ذكره لطال الكلام على سامعيه ، ونكتفى مما بسط العلماء فى كتبهم واستقصوه فى سيرهم ، فمن أراد فليرجع إليه ويكنى العاقل دليلا أنهم رضى الله تعالى عنهم فتحوا البلاد الشاسعة بأقرب أمد ، واستولوا بأقل عدد وأضعف عدد على الممالك الواسعة واستأسروا الملوك ، ودخل فى الدين الحمى شرقا وغربا الفنى والصلعوك وأكثرهم عن حب له واختيار رجلهم عن ترجيح له وعدم اجبار ، وصبر كثير منهم على ما نال لأجل ذلك من عذاب الكفار والبعد عن الأهل والمال والديار ، فلو لم يكن هذا الدين الهيا ، والحزب مؤيدا من الله سبحانه نبويا ، لما أسهل الله تعالى نشره واستطالته وبلوغه الى آخر المسكونة واتباع أهل المشرق والمغرب والجنوب والشمال له من عرب وعجم وترك وفرنس وهند وديلم ويهود ونصارى ومجوس وروم وسودان وغير ذلك ، ولما دام متزايدا هذه المدة الطويلة واستقام متكثرا السنين العديدة وقبله أصحاب كل لسان واستحسننت أحكامه الرصينة فى كل شأن ، اذ الباطل له جوله ويزول وسيف الحق لا يعتريه فلول .

وقد علمت النصارى وغيرهم أحوال الأنبياء الكذبة ، وأن كل فرد منهم لم يبلغ أربه ، وتبينت للناس بأقصر زمن أحوالهم وظهر لكل عاقل وجهلهم ومحالهم ولم يتبعهم فى حياتهم سوى أفراد قليلون ، ولم يستمع

أقوالهم الا شرذمة جاهلون ، ثم تفرق عنهم الناس وارثع بأقصر يده عن
عينهم الالتباس ، حتى هلكوا فماتت معهم اباطليهم واختفت كذبرهم
أقاويلهم ، فكانوا فيما ادعوه ضحكة لكل عاقل وعبرة للأواخر والأوائل .

وأما حال نسطوريوس ويحيى فقد أسلفناه لك فلا حاجة الى الإعادة
بأنها مدحه للنصارى الذين لا يسجدون للقمر والشمس والخشب
وغيره مما صنعته الأيدي ، فقد أثبتنا فى كتابنا هذا خلافه عنه لأنه يسجد
لغير الله اذ كل نصرانى يسجد للمسيح ويعتقده الله ، ويسجد لريم وللصليب
النجوم من الخشب ويأكل فى خبزه لحم ذلك الرب ويرميه بكل عيب ،
ثم يطلب منه ومن القس والملائكة غفران الذنب ، ويزعم ان حججه فى
مطلبه لامعة ومطالبه فى أفق الحق ساطعة ، ولم يدرك هذا النصرانى أن
الشیطان حسن له أعماله وهواه صحح له أقواله ، وأن ما يدعيه لا يخفى
بباطله بالتمويه .

فليسبح الآن ما قاله العلامة البوصيرى فى أمثاله وفيه أنه وأهم
الله يكتفيه ، فافهم وقابل فى نظمه ظاهره وخافيه :

فأبى أفل العالمين عقولا
من جهلهم لله فيه خلولا
بالأفك والبهتان فيه القبلا
بالحق تجريحا ولا تعديلا
ليكذبوا التوراة والانجيلا
تزيهها لالهها التكيلا
وأضلهم راوا القبيح جميلا
أعداؤه بالباطل التجيلا
زمرأ ، ألم تر عقد هم محولا
لم يعط حال النفخة التكميلا
يتناول المشروب والمأكولا
ويربوم من حر الهجر مقيلا
صرفا له عنه ولا تحويلا

جاء المسيح من الاله رسولا
قوم راوا بشرا كريما فادعوا
وهصابة ما صدقته واكثرت
لم يات فيه مفرط ومفرط
فكاننا جاء المسيح اليهم
فأعجب لأمته التى قد صيرت
واذا أراد الله فتلة معشر
هم يجلوه بباطل فابتزه
وتقطعوا أمر العقائد بينهم
هو آدم فى الفضل الا أنه
أسمعتهم ان الاله الحاجة
ويهام من تعب ويدعو ربه
ويمسه الألم الذى لم يستطع

من كان بالتعبير عنه كخيلا
 من بعده أم أثر التعطيل
 وأراه كان القاتل المقتولا
 تجزوا يهوذا الآخذا البر طيلا
 منهم كليما ربنا وخليلا
 أفلم يكن لفدائكم مذبولا
 عن أن يرى بيد اليهود قتيلا
 من كتبكم ما وافق التنزيلا
 أفجعلون دليله مدخولا
 أو من أشيد بنصره مخدولا
 سبحان قاتل نفسه . فاقولا
 شوك القتاد لرأسه أكليلا
 للموت مكتوف اليدين ذليلا
 ان تسمعوا التبيكات والتخجيل
 لا يهتدون الى الرشاد سبيلا
 لم يجعلوا العدد الكثير قليلا
 ذا صورة ضلوا بها وهيولا
 بهم على طرق الهدى مدلول
 قد خالفوا المعقول والمنقول
 ودوا اتخاذ المرسلين عجولا
 بهوى النفوس وقتلوا تقيلا
 يجدون درياق السموم قتولا

يأليت تسعري حين مات بزعمهم
 هل كان هذا الكون دبر نفسه
 زعموا الاله قدى العبيد بنفسه
 اجزوا اليهود بصلبه خيرا ولا
 ا يكون قوم فى الجحيم ويصطفى
 واذا فرضتم أن عيسى ربكم
 وأجل روحا قامت الموتى به
 فدعوا حديث الصلبي عنه ودونكم
 شهد الزبور (١) بحفظه ونجاته
 أ يكون من حفظ الاله مضيعا
 ايجوز قول منزه لاله :
 أو جعل من جعل اليهود بزعمكم
 ومضى لحال صليبه مستسلما
 كم ذا أبكتكم ولم تستنكفوا
 ضل النصارى فى المسيح وأقسموا
 جعلوا الثلاثة واحدا ولوا هتدوا
 عبدوا الها من اله كائنا
 فدع النصارى واليهود ولا تكن
 فالمدعو التثليث قوم سوء غفوا
 والعابدون العجل قد فتنوا به
 فاذا أنت بشرى اليهم كذبوا
 أبناء حيات الم تر أنهم

(١) شهادة الزبور أى سفر الزمير لا تنطبق الا على المسيا الذى

يفسره المسيح (انظر فصل المسيا المقالم من كتاب المسيا المنتظر) .

قال النصراني : « فاما ما دعوتنى اليه وعدتته من الأمور الزائلة
الفانية التى هى كاطلام النائم والبرق الخلب الذى يضىء قليلا ويذهب
وشيكا ويبقى راجيه فى الظلام مقبها لو كانت أشياء دائمة غير زائلة
ولابثة غير ذاهبة ثم باقية غير فانية وقيمة غير منقطعة ، لما كان يجب على
ذى رأى ولا على ذى لب أن يرغب فيها ولا يميل اليها فكيف وهى مشاركة
الخنازير والكلاب والتشبيه بالحمر وسائر البهائم التى انما همتها الاكل
والشرب والنوم ، وانما هذه الدنيا كلها بالأقدر لها ولا قيمة عند ذى عقل
اذ يعلم أن الأمر فيها أسرع وأعجل من أن يبقى على شيء واوشك أن يفنى
ويصحل فى أسرع وقت وانما يميل الى مثل هذه الأوضاع من قد غلب
عليه الشره فى اخلاقه وطباعه ، ولا اظنك اكرمك الله عرفتنى باراغيب
فى هذا وشبهه ، فليت شعرى كيف أردت أن تصيدنى بمثل هذه المصائد
الدنية الخسيسة التى انما يميل اليها ويفتر بخدعتها من كان طبعه يشاكل
طبع البهائم ، فاما المميزون الذين قد نظروا فى الأمور فانهم ابرياء من مثل
ما ذكرته وعدتته ، بل هم مجتهدون غاية الاجتهاد فى أن يدفعوا آفات
ابدانهم التى لا تقوم لهم الابهار ، ولو نهيا لهم دفعها فى المطابع او كان
ممكنا لهم ذلك لدفعوها فكيف تريد أن يطلبوا الملك ويحتالوا الحيل بخلاف
ذلك ، وما لهذا خلق الله تبارك وتعالى الخلق ولا مثله بيعتهم من الموت
يوم القيامة فانت تزعم فى كتابك : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »
(الذاريات) فلا اراك الا مناقضا لقولك لأنك قلت انما قلت للعبند ثم تقول
فتمنقض وتهدم بفاعك المتداعى ، وتقول : « انكحوا ما طالب لكم من النساء
مفنى وثلاث ورباع » ومن الاماء « ما ملكت أيمانكم » وأن تاكل وتشرب مثل
البهائم التى لا خطر عليها من ناموس عقل ولا الزام سنة الكتاب « آهه .

اقول قوله : « وما لهذا خلق الله تبارك وتعالى الخلق » الى قوله :
وتقول « انكحوا ما طاب لكم من النساء » الى آخره .

يريد هذا النصراني أن من قال ان العباد خلقوا للعبادة ينبغى له أن
لا يجوز نكاح النساء ولا يرتكبه ، وأن لا ياكل ولا يشرب الطيبات ولا زيادة
على اللازم ، وزعم أن آية خلق الجن والانس للعبادة ، وآية نكاح النساء

بمخالفات ، والسبب في كراهة الهواء المخلق المتقدم الى أن توصل
الى هذا بما لا طائل تغطه ، ونسى ما قاله المسيح في حق يحيى بن زكيا
وهو نفس نفسه ، اذ يقول لوقا في الاصحاح السابع أن المسيح قال : « جاء
يوحنا المعمدان لا يأكل خبزا ولا يشرب خمرا ، قلتم ان فيه شيطانا جاء
ابن الانسان يأكل ويشرب ، قلتم ان هذا رجل اكول يشرب الخمر ، ويواد
العشارين والخطاة » ونسى ما في الاصحاح المذكور ايضا وما في
السادس والعشرين من متى ، ويوحنا « ان مريم المجدلية أى الخاطئة
جاءت الى المسيح عليه السلام ومعها قارورة طيب ثمين جدا فأفرغته
على رأس يسوع وعلى قدبيه وهو متكئ في الوليمة ، ولذا شاهد تلاميذه
هذا فتمتموا قائلين : لم هذا الضجاع ؟ وقد كان ينبغي أن يباع هذا بثمن
كثير ويعطى للمساكين » ا. هـ .

ونسى هذا النصرانى أيضا ما قدمناه لك مرارا من جواز وتكاح
أكثر من امرأة واحدة في شريعة موسى وأن ابراهيم عليه السلام
وهارود ، وسليمان وغيرهم تزوجوا النساء المتعددا في زمن واحد ،
وأن الزواج يقرب عليه كثرة النسل وزيادة من يعبد الله تعالى ولولاه لما بقى
النوع الانسانى ، ولولا النساء لما ولد بزعمهم الاله من مريم — تعالى الله
عما يقول المشركون — ولولا الأكل والشرب لفنى النوع البشرى والجنس
الحيوانى والله سبحانه لم يخلق هذه المأكولات والنباتات والفواكه الطيبات
الا لهم « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق »
وقال سبحانه : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » فقد حد الله تعالى لنا حد
الأكل والشرب ، وبين رسوله عليه الصلاة والسلام آداب ذلك والباح منه
والحرم والمكروه ، وفصله العلماء في كتبهم المفصلة ، وبينوا ما يتعلق
به في تأليفاتهم المطولة وعملوا بما فيها ولا حاجة لنا الآن الى تفصيل
ما هو معلوم مشهور ، والى الأطناب في رد كلامه الذى لا يحتاج الى رد
لكمال الظهور ، غير أنا نذكر تفسير الآيتين على طريق الاختصار ليتبين
منه خيط الليل من النهار .

قوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » قال المنسرون :
هى جملة مستأنفة مقررة لما قبلها لأن كون خلقهم مجرد العبادة مما ينشتم
رسول الله ﷺ للتذكير وينشطهم للاجابة .

قيل : هذا خاص فيما سبق بعلم الله تعالى انه يعبده فهو عموم مراد
به الخصوص ، قال القشيري : والآية دخلها التخصيص بالقطع لأن المجانين
والصبيان لم يؤمروا بالعبادة ولا أرادها منهم وقد قال سبحانه : « ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس » ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق
للعبادة ، فالآية محمولة على المؤمنين منهم . وقيل المعنى ليعرفوننى لأنه
او لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده قالوا : وهذا قول حسن وقيل المعنى
الا لآمرهم وانهاهم ، يدل عليه قوله تعالى « وما أمروا الا ليعبدوا الها
واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون » وقال بعضهم : هو ما جبلوا
عليه من السعادة والشقاوة ، خلق السعداء من الجن والانس للعبادة
وخلق الأشقياء للمعصية ، فخلق سبحانه موسى لطاعته وفرعون للكفر
به ، وقسى قلبه . كما فى التوراة . وقيل المعنى ليوحدون ، فأما المؤمن
فيوحده فى الشدة والرخاء ، وأما الكافر فيوحده فى الشدة دون النعمة ،
كما فى قوله تعالى : « واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له
الدين » الآية وقال جماعة الا ليخضعوا الى ويتذلوا ، ومعنى العبادة
فى اللغة الذل والخضوع والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع
لقضاء الله متذلل لمشيئته منقاد لما قدره عليه ، خلقهم على ما أرادوا رزقهم
كما قضى لا يملك أحد منهم لنفسه نفعا ولا ضرا وقيل معنى « ليعبدون »
ليقتروا بالعبودية طوعا أو كرها قاله ابن عباس ، وعنه وقيل « الا ليعبدون »
أى مستعدين لأن يعبدوا بأن خلقت فيهم العقل والحواس والقدرة التى
تتجصل بها العبادة ، وهذا لا ينافى فى تخلف العبادة بالفعل من بعضهم
لأن هذا البعض وان لم يعبد الله تعالى لكن فيه التهيؤ والاستعداد الذى
هو الغاية بالحقيقة قال فى فتح البيان : وهذا الوجه أحسن .

ثم انه سبحانه بين استغناؤه عن عبده بقوله : « ما أريد منهم من
رزق وما أريد أن يطعمون » أى لا أريد منهم منفعة كما يريد السادة من

غيبوهم بل هو الغنى المطلق الرزاق المعطى « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » هذا تعليل لعدم ارادة الرزق منهم فلا رازق سواه ولا معطى غيره .

واما الآية الثانية فقد حذف بعضها ترويجا لفساد مطلبه ، وهى قوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك اذنى ان لا تعملوا » ومعنى الآية انكحوا النوع الطيب من النساء اى الحلال وما حرمه الله تعالى فليس بطيب .

وقيل : مادتم مستحسنين للنكاح فانكحوا من الواحدة الى الاربعة او انكحوا واقتصروا على ما ملكت ايمانكم من السراى . وذلك النكاح فقط او الترسى اقرب الى ان لا تعملوا اى تجوروا ، والمعنى ان خفتم عدم العدل بين الزوجات هذه التى امرتم بها اقرب الى عدم الجور .

وقيل ان معنى « ان لا تعملوا » لا تكثر عيالكم ، وقيل عال بمعنى اقتصر ، وهذه الآية ناسخة لما كان المشركون فى الجاهلية والمسلمون فى اول الاسلام يتزوجون من الحرائر ما شاءوا فقصرهم الله تعالى بهذه الآية على اربع من الحرائر وما ملكت ايمانهم وان ظنوا الجور فواحدة ، والنكاح عندنا معاشر المسلمين كما هو مبين فى كتبنا الشرعية ينقسم الى اقسام فمنه ما هو واجب وذلك عند التوقان وخوف الزنا فاذا تيقن انه اذا لم يتزوج يزنى ، فحينئذ يفرض عليه الزواج اذا قدر على المهر والنفقة ، وقسم دون الواجب يعنى سنة مؤكدة وينوى بتزوجه التحصين والولد ، وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ، وقسم منه مكروه وتحريما اذا خاف الجور فان تيقن الجور على الامراة حرم الزواج لان النكاح انها شرع لمصلحة النسل وتحصين النفس وتحصيل الثواب ، وبالجور ياتم ويرتكب المحرمات ، فتندم المصالح لرجحان هذه المفاسد .

قال بعض المحققين ومن الحكم أن الرجل أبيع له التزوج من الواحدة إلى الأربعة بالشروط المذكورة لأن المرأة قد تحيض ويعتريها النفاس والحبل والاستحاضة وغير ذلك من الأمراض ولعل الرجل الذى هو مركب من العناصر الأربعة من دم وسوداء وصفراء وبلغم لا يصبر على ترك للجماع كما هو مشاهد فى كثير من الناس ، ولعل منهم من يجامع كل ليلة وإذا لم يجامع مدة تحصل فيه أمراض عظيمة أو يخشى الزنا ، فالبارى سبحانه بمقتضى لطفه وحكمته أباح أكثر من واحدة ليحصن الرجل فرجه ويحفظ من الزنا نفسه ، ويزداد نسله الذين يوحدون الله ويعبدونه ويكثر فرع بنى آدم الذين خلقهم الله تعالى للتناسل كما سبقت مشيئته ، وإنما أبيحت الأربعة ليكون على تعداد فصول السنة لأن الامزجة الانسانية تختلف طباعها لاختلاف عناصرها باختلاف الفصول ، ولعل منهم من تظهر علقها أو حيضها أو استحاضتها صيفا والأخرى شتاء أو ربيعا أو خريفا فإذا حصل لواحدة منهم شىء فى فصل ، فلعل الأخرى تكون سالمة صحيحة فيحصن بها فرجه ويدفع ألم شهوته ولا ينظر الى الأجنبية ولا يخشى عليه ما يخشى الآن على المترهبات والمترهبين من البليات والسيئات المهلكات ، لا سيما والبارى سبحانه خلق البنين من البنات ثم ان هذا الحكم موجود فى الكتب السماوية والأمم الماضيات كما ذكرناه لك كرات ومرات .

وأما ملك اليمين فانه أيضا كان فى بنى اسرائيل فى الاصحاح التاسع عشر من سفر الأحبار ما لفظه : « وأيا رجل ضاجع امرأة مضاجعة الزرع وهى أمته ذات زيجة لم تبع بثمن ولم تعتق فيجلدا اثنيها ولا يقتلا انها لم تعتق » أ. ه. وفى الاصحاح الثانى والعشرين منه ما لفظه : « وان اشترى الخبز مملوكا بثمن من ماله فليأكل من خبزه » ١. ه. وفى الاصحاح الخامس والعشرين منه أيضا ما لفظه : « وأما عبيدكم واماؤكم الذين تتخذون غليكونوا من الأمم الذين حولكم ومن الغرباء السكان معكم ، فاتخذوا منهم عبيدا أو من نسلهم الذى توالد فى أرضكم ويكونوا لكم ميراثا ورثوهم من بعدكم واستبعدوهم الى الأبد وأما من اخوتكم بنى اسرائيل فلا يستعبد الرجل منكم أخاه استعبادا شديدا » ٢.

فتبين مما فى التوراة أن ملك اليمين كان حلالا فى بنى اسرائيل ،
وتحصل أيضا أن التزوج بالوجه المزبور مطابق للعقل والنقل موافق لقوله
تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » لأنه كلما أكثر النسل
كثرت العبادة ، وان الأكل والشرب المأمور بهما فى قوله تعالى : « كلوا
واشربوا ولا تسرفوا » مما يتم به أمر العبادة اذ بهما قوام البدن وبقاء
النفوس والقوى ، وأما الزهد والعبادة والأعمال الصالحة فهى فى الأمة
المحمدية أشهر من أن تذكروا ظهر من أن ينبه عليها وتشهر ، وأما عدم
تزوج النصارى من أكثر من واحدة فستأتيك محاذيره ان شاء الله تعالى
تريبا مع بيان محاذير منع الطلاق بحول الله وقوته .

تمة : ولنتنقل لك بعضا مما قاله العلامة ابن القيم فى كتابه أعلام
الموقعين مما يزيدك اطلاعا على بعض حكم الشريعة الأحمدية المقدسة
الطاهرة قال : « وأما قصر عدد المنكوحات على أربع وإباحة ملك اليمين
بغير حصر ، فهذا من تمام نعمته وكمال شريعته فى موافقتها للحكمة والرحمة
والمصلحة ، فان النكاح يراد للوطء وقضاء الوطر ، ثم من الناس من
يغلب عليه سلطان هذه الشهوة فلا تندفع حاجته بواحدة ، فأطلق له
ثانية وثالثة ورابعة ، وكان العدد موافقا لعدد طباعته وأركانه ، وعددا
فصول السنة ولرجوعه الى الواحدة بعد ضرر تلك عنها .

وأما الاماء فلما كن بمفzلة سائر الأموال من الخيل والعبيد وغيرها
لم يكن لقصر المالك على أربعة منهن أو غيرها من العدد معنى فكما ليس
فى حكمة الله تعالى ورحمته أن يقصر السيد على أربعة عبيد وأربعة دواب
وثياب ونحوها فليس فى حكمته ان يقصره على أربع اماء أيضا فللزوجة
حق على الزوج اقتضاه عقد النكاح يجب على الزوج القيام به ، فان
شاوركها غيرها وجب عليه العدل بينهما فقصر الأزواج على عدد يكون العدل
فيه أقرب مما زاد عليه ، ومع هذا فلا يستطيعون العدل ولو حرصوا
عليه ، ولا حق لا مائة عليه فى ذلك . ولهذا لا يجب لهن قسم . ولهذا
قال تعالى « فان خفتن ان لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » والله
تعالى أعلم « أ. هـ .

ثم قال : « والله سبحانه لم ابلح للرجل أن يتزوج بأربع زوجاته
ولم يبيح للمرأة أن تتزوج بأكثر من زوج واحد ؟ فذلك من كمال حكمة الرب
سبحانه واهسانه ورحمته بخلقه ورعاية مصالحهم ويتعالى سبحانه عن
خلاف ذلك ويتنزه شرعه أن يأتي بغير هذا ولو أبيع للمرأة أن تكون عند
زوجين فأكثر لفسد العالم وضاعت الأنساب وقتل الأزواج بعضهم بعضا
وعظمت البلية واشتدت الفتنة وقامت سوق الحرب على ساق ،
وكيف يستقيم حال امرأة فيها شركاء متشاكسون وكيف يستقيم حال الشركاء
فيها ؟ فمجىء الشريعة بها جاءت به من خلاف هذا من أعظم الأدلة على
حكمة الشارع ورحمته وعنايته بخلقه . فان قيل : فكيف روى جانب الرجل
وأطلق له أن يستمر ويقضى وطره وينتقل من واحدة الى واحدة بحسب
شهوته وحاجته وداعى المرأة داعية وشهوته شهونها وشهوتها شهوته ؟
قيل : لما كانت المرأة من عاداتها أن تكون مخبأة وراء الخدر ومحجوبة في
كن بيتها لحكم أكثرها ظاهر وكان مزاجها أبرد من مزاج الرجل وحركتها
الظاهرة والباطنة أقل من حركته ، وكان الرجل قد أعطى من القوة والحرارة
التي هي سلطان الشهوة أكثر مما اعطيته المرأة ، وبلى لم تبل به ، أطلق
له من عدد المنكوحات ما لم يطلق للمرأة ، وهذا مما خص الله تعالى به
الرجال وفضلهم به على النساء كما فضلهم بالرسالة والنبوة والخلافة والملك
والإمارة وولاية الحكم والجهاد وغير ذلك ، وجعل الرجال قوامين على
النساء ساعين في مصالحهم ، يدابون في أسباب معيشتهم ويركبون
الأخطار ويحرقون العقار ، ويعرضون أنفسهم لكل بلية ومحنة في مصالح
الزوجات ، والرب تعالى شكور حلیم ، فشكر لهم ذلك وجبرهم بأن
مكنهم مما لم يمكن به الزوجات .

وأنت اذا قايست بين تعب الرجال وشقائهم وكدهم ، ونصبهم في
مصالح النساء من الغرة وجدت حظ الرجال من تحمل ذلك التعب والنصب
والدأب أكثر من حظ النساء من تحمل الغيرة ، فهذا من كمال عدل الله وحكمته
ورحمته ، فله الحمد كما هو أهله .

وأما قول القائل ان شهوة المرأة تزيد على شهوة الرجل ، فليس كما
كما قال والشهوة منبعها الحرارة وأين حرارة الأنثى من حرارة الذكر ؟

ولكن المرأة لفرغتها وبطالتها وعدم معاناتها لما يشغلها عن أمر شهوتها ومضاه وطرها يفرها سلطان الشهوة ويستولى عليها ولم تجد عندها ما يعارضه ، بل يصادف قلبا فارغا ونفسا خالية فيتمكن منها كل التمكن ، فيظن الظان أن شهوتها أضعاف شهوة الرجل وليس كذلك ، ومما يدل على ذلك أن الرجل إذا جامع امرأته أمكنه أن يجمع غيرها في الحال ، وطاف سليمان عليه السلام على تسعين امرأة في ليلة واحدة ، ومعلوم أن له عند كل امرأة شهوة وحرارة باعثة على الوطء والمرأة إذا قضى الرجل وطرها ففترت شهوتها وانكسرت نفسها ولم تطلب قضاها من غيره في ذلك الحين ، فطابقت حكمة القدر والشرع والخلق والأمر ، والله الحمد .

ثم قال : « وانما أباح سبحانه للرجل أن يستمتع من أمته بملك اليمين بالوطء وغيره ، ولم يبيح للمرأة أن تستمتع من عبدها لا بوطء ولا غيره ، فهذه أيضا من كمال هذه الشريعة وحكمتها ، فان السيد قاهر لملوكه حاكم عليه مالك له ، والزوج قاهر لوجته حاكم عليها وهي تحت سلطانه وحكمه ، تشبه الأسير ، ولهذا منع العبد من نكاح سيده للقناني بين كونه مملوكها ويعلمها وبين كونها سيده وموطوعته ، وهذا أمر مشهود بالفطر والعقول قبحه ، وشريعة أحكم الحاكمين تنزه أن تأتي به » أ . هـ .

وتد مر عليك ما يتعلق بهذه المباحث فتذكر فما في العهد من قدم والله تعالى أعلم .

قال النصراني : « فاما باب الطلاق والاستجلال والمراجعة الذى احله صاحبك ، فلولا كراهية التطويل لتلوته عليك ، مما قرع الله به اهله على ثمان ارمياء النبى ، لكنك تعلم ما فى هذا الأمر من العيب والشناعة عند جميع الأمم وسائر اهل الملل ، وكيف استقباحهم له وانكارهم اياه ، واتى لانهى نفسى عن سعة المخاطبة فيه ، وترديد الذكر له ، وارفع قدر كتابى عن ادخال شيء من ذكره آنفا منه ، وتنزيها لكتابى فهذا الجواب فيه .
واما قولك فاكتب آمنة مطمئنا لا فرق ولا خائف انك لا تظلم ولا يتعدى عليك ، فان سيدنا المسيح مخلص العالم حيث شجعنى فى انجيله المقدس واعلمنى ما هو عتيد ان يكون ، قال : (لا تخف ممن سلطانه على الجسد وليس له سلطان على النفس ، بل ينبغى لك ان تخاف ممن هو قادر ان يعذب الجسد والنفس معا فى جهنم) فقد آمنت بقوله ان ليس لأحد على نفسى سلطان الا الذى خلق نفسى وخلق جسدى ، وقد زادتى فى ذلك أمانا ما بسط الله من عدل سيدى أمير المؤمنين وانصافه ورافته للضعيف ، الذى مثلى من يقرب من وجوده ، ويعيش فى ظل حمايته ، فانه قد شملنا عدله وعمنا انصافه ووسعنا رحمته ، اثابه الله تعالى على ذلك واعطاء ماؤله فى نفسه وولده من أمر دنياه واجاب صالح دعائى له بهمه « ا. هـ .

فأقول : لا يخفى عليك أن شريعتنا لم تكن بدعا فى مسألة الطلاق كما أنها لم تكن بدعا فى أمر تعدد النساء بل كل ذلك ايضا فى شريعة موسى عليه السلام والتوراة ناطقة مصرحة بذلك كما عرفته غير مرة ، حتى جاء عيسى عليه السلام ويزعم النصارى أنه نسخ ما هنالك ، مع نقلهم عنه فى الاصحاح الخامس من متى قوله : « لا تظنوا انى جئت لأحل الناموس أو الأنبياء ما جئت لأحل بل لأكمل » ا. هـ .

وهما يصرح بأن الطلاق عندهم انما حره المسيح (١) ما فى هذه

(١) المسيح لم يحرم الطلاق مطلقا ، لأنه غير ناسخ للتوراة كما ذكر المؤلف ، ولم يمنعه بأمر الالزام ، وانما نصح بأن يكون لسبب قوى وهو

الإصحاح الثالثس ونصه : « قد قبل من يطلق امرأته فليدفع لها كتاب الطلاق وأنا أقبول لكم من يطلق امرأته من غير كلمة الزنا ومن تزوج مطلقة فقد زنى » . وما فى الإصحاح التاسع عشر من متى أيضا ما لفظه : « قائلوا له فلماذا أمر موسى أن تعطى كتاب الطلاق ويسرحها ؟ قال لهم ان موسى من اجل مساواة قلوبكم اذن لكم ان تطلقوا نساءكم ، ومن البدء لم يكن هكذا ، فانى أقول لكم ان كل من طلق امرأته الا بسبب الزنا ونكح أخرى فقد زنى ، ومن تزوج مطلقة فقد زنى ، وقال له تلاميذه : ان كانت هكذا علة الرجل مع امرأته ، فخير له أن لا يتزوج فقال لهم ليس كل أحد يقبل هذا الكلام ، الا الذين قد أعطوا ، لأن خصيانا ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، وخصيانا خصاهم الناس ، وخصيانا خصوا انفسهم من اجل ملكوت السموات ، من استطاع أن يأخذ فليأخذ » أ. هـ .

وفى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر الأخبار ما لفظه : « وان أرملت ابنة الكاهن أو طلقت ولم يكن لها اولاد ثم رجعت الى بيت ابيها فلتأكل جميع ما كانت تأكل فى صباتها من خبز ابيها » أ. هـ .

فتبين أن الطلاق فى شريعة موسى ثابت ، وفى قول المسيح لا يجوز الا بسبب الزنا ، ثم ان مقدسهم بولس فى رسالته الاولى الى أهل كورنثوس فى الإصحاح السابع منها منعهم بزعمهم من الطلاق ولو زنت ، مخالفا لما قاله المسيح عليه السلام .

وأما مسألة المراجعة فأى بأس فيها وأى شئنا يعترها ؟ فالبارى سبحانه مع اباحته للفراق ، بين نبيه الأكرم ﷺ أن أبغض حلال الى الله تعالى الطلاق فهو عند اللزوم والضرورة مباح ، وعند عدمه مبطوف محظور ، فاذا أطلق ثم تراضيا على المراجعة أو تجديد النكاح فأرجعها

علة الزنا . وذلك فى قوله فى نهاية النص : « من استطاع أن يأخذ فليأخذ » وكان عند اليهود فى زمان المسيح رأى يقول أن الطلاق لا يكون الا للزنا ، ورأى يقول لأى سبب كما بين الدكتور فرديريك فارار فى كتابه حياة المسيح . فضم عيسى عليه السلام صوته للرأى الاول .

عاق بأس على ذلك ، وإى عيب فيها هنالك ؟ نعم المحاذير العظيمة والبلايا
الوخيمة فيما يفعله النصرارى من عدم جواز تعدد الزوجات ومخع الطلاق ،
فكم من رجل شاب منهم يزنى لقبح زوجته ، أو لاطلاعه على ريبتها وزناها
ولم يجد طريقا لدفع عنها وأخذ سواها أو لكبر سنها أو لمرضاها وطول
مدته أو تكون قرناء أو عاقرا فلا تكون له ذرية أو تكون سيئة الأخلاق ردية
وكم من امرأة شابة تسافح لمرض زوجها أو عقبه أو عنته أو كبره أو كبره
أو سوء عشرته أو قبح صورته وسيرته أو عسره وقلة ذات يده ، فيكون
كل منهما على صاحبه طوق بلاء وقيد ابتلاء ونقمة خالية عن آلاء ، فالزنا
أقرب إليها من حاجبها لعينها .

وأما مسألة التحليل فالبارى سبحانه جعله تأديبا للمطلق زوجته ثلاثا
بته لأنه لمخالفة السنة لا يحل له ارجاعها الا بعد زوج آخر حتى يمتنع
الناس عن الطلاق الذى أبيع للحاجة إليه ، واشترطوا أن لا يكون تزوج
الثانى بشرط التحليل .

وقال نبينا الرؤوف الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم « لعن الله
المحلل والمحلل له » وفى رواية أخرى « الا أخبركم بالتيس المستعار ؟
هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له وقال عمر بن الخطاب كما نقله العلامة
ابن القيم فى كتاب أعلام الموقعين « لا أوتى بمحلل ولا محللة الا رجمتها »
وقد تبين أن فاعل ذلك ملعون من رحمة الله لأنه عليه الصلاة والسلام
لا يلعن رجلا من أمته نكح نكاحا شرعيا صحيحا ولم يرتكب فى عقده محرما
ولا قبيحا ، وما لعنه الا لأنه تجاوز الحدود الشرعية وأتى بالفعل الردية ،
وقد مر عليك أيضا مما يتعلق بالطلاق فتذكر .

تتمة :

لنذكر لك من تفسير النصرارى الذى ألفه الخورى يوسيف
اللياس وطبع فى بيروت سنة ١٨٦٨ تكميلا للبحث وشرها لا جمال
ما قدمناه آنفا من الأناجيل ، وحيث تكررت هذه الآية المتقدمة فى انجيل
متى فى موضعين الاصحاح الخامس والتاسع عشر ، وتكلم عليها مفسرهم

المذكور ، فننقل لك من كلامه فى المصلين ، حتى يزيدك اختلافهم عبرة
ياحوالهم وأقوالهم .

قال : « ان المسيح هنا يصلح ويكمل شريعة الطلاق أولا لأن الشريعة
كانت تسمح بالطلاق لأسباب عديدة والمسيح سمح بالهجر لعدة الزنا فقط
وثانيا ان الشريعة كانت تسمح للمطلق والمطلقة بالزواج بعد الطلاق
والزوجان حيان والمسيح نهى عن ذلك ، وثالثا ان الشريعة كانت تمنح
الرجل وحده الحق على الطلاق والمسيح ساوى بحق الهجر الرجل والمرأة
كما علم الرسول فى رسالة كورنثوس ، وقال بعضهم انه يفهم بالزنا
الكفر ، اذ كثيرا ما دعاه الأنبياء زنا الا أن أكثر المفسرين يفهمون الزنا
حقيقة فكيف إذن لا يجوز الهجر لغير الزنا ؟ نعم يجوز ، وقد عينت الكنيسة
لجوازه ثلاثة أسباب خاصة الأول : اذا ارتكبت المرأة الخطيئة الصارومية .
الثانى : اذا وقعت فى الأرتطة . الثالث : اذا حاولت ابتغاء الرجل فى
اثم ثقيل ، والمهجورة لعدة غير الزنا يلتزم الرجل بردها متى أصلحت
نفسها » أ. ه .

وقال أيضا : « وهذا يعنى أن الطلاق لم يكن منذ الابتداء لأن الله
تعالى جعل بين آدم وحواء رباط زواج غير منحل ، والطبيعة المنفسدة
امتضت السماح بحله مؤقتا ، وأما الآن فقد أتى مصلح الناموس ومكمله
ولهذا أريد أن يكون الطلاق محرما وأن يعود الزواج الى ما كان عليه فى
بداية الطبيعة قبل انفسادها ، وأن يكون منذ الآن فصاعدا مثلا للاتحاد
الغير المنفك بين أقنومى الالهى والطبيعة البشرية والاتحادى مع كنيستى »

ثم قال مفسرهم المذكور : « زعم الروم ولوتاروس وكلونبوس وتباعها
وأراسموس وغيرهم سندا على هذه الآية أنه يجوز طلاق المرأة لعدة زنائها
والتزوج بغيرها ، والحال أن ذلك كاذب ومضاد لتعليم الكنيسة لأن مرقس
ولوقا يذكر القيد الذى هو قوله من غير زنا وفى رسالة الرومانيين الاصحاب
السابع أن المرأة مادام بعلمها حيا فلا تفارقه الا اذا مات ، ورسم المجمع
الترينديتىنى أن من تزوج غير امرأته سواء وجد الزنا أو لم يوجد يزن »

ثم ان هذا المفسر اطنب في الأدلة على انه ليس للزوج أن يتزوج وان ثبت الزنا منها ، وهي ليس لها التزوج بنيره أبدا ورد على من يقبول منهم ان لها التزوج اذا زنت ، فعلى هذا القول المصحح المعمول به عندهم أن الرجل اذا رأى بعينه ان امرأته تزنى مرارا عديدة مدى الليالي والأيام وتكون من ذوات الاعلام فليس له فراقها ولا يصح بوجه من الوجوه الى الأبد طلاقها ، فلتزنى ما شئست يفتوه ، والقه رغما على ذنن الديوث وانفسه .

وليت شعري هل جهل عبد المسيح هذه المسألة الفاضحة أم علمها وعدها من الأمور الصالحة والتجارة حتى اعترض على المسلمين في تجويز الطلاق المأمور به في شريعة موسى كليم رب العالمين وانتقد مسألة المراجعة والتحليل لو فرضنا صحتها كما يزعم ، لكانت بعيدة عن شناعة زناء زوجاتهم بألف ألف ميل ؟ مع أن الزواج بشرط تحليل الزوجة للزوج الأول محرم في الشريعة الحمديدية على القول المقول ، وقد قدمنا لك ماورد فيه عن نبينا صاحب الأحكام المفصلة من قوله عليه الصلاة والسلام « لعن الله المحلل والمحلل له » والمراجعة عبارة عن أن يطلق الرجل زوجته طلاقا رجعيا أو بائنا ثم يراجع بلساته أو بمهر جديد خليلته وذلك قبل أن يتزوجها غيره من الأنام كما هو مفصل في كتب الأئمة الاعلام ، فما اقوال هذا النصراني الا افتراء وتمويه على الجهلاء وتهويل ليس عليه تعويل وقلب للحقائق وتحرير للاكاذيب ليجهوه أنه مطلع وفي نقله صادق .

قال النصراني : « وأما قولك أسلمك الله أن هذا دينك القيم وهذه شريعتك وسبيلك ومن يتحلل نطقك ، وأنى إذا دخلت فيه وشبهت مثل شهادتك كنت بمثلك ، وهسي بك شرفا فى الدنيا والآخرة فقد فهمت ذلك ، فأما دينك وشرائعه وسننه فقد سبق من قولنا ما غيه كفاية لمن أراد أن يمتحن ما ذكرته ، وأما الشرف فى الدنيا والآخرة ، فلعمري لقد أتاك الله فى هذه الدنيا الخلافة التى جعلها فى أهل دينك ، فنسأله تعالى أن يعيم لك النعم ويبقى عليك ولا ينزعه عنكم يا أهل البيت وأما شرف الآخرة فلا يعرف الا العمل الصالح ، وقد حكى عن صاحبك أنه قال : « يا بنى عبد مناف انى لست أغنى عنكم شيئا عند الله فلا تاتونى بالأنساب ويأتينى غيركم بالأعمال فان خيركم عند الله أتقاكم » فان كان هذا فقد هدر شرف الآخرة بالعمل الصالح ، ولم نجد أولياء الا القوم الذين لا حسب لهم ولا شرف فى الدنيا وإنما شرفهم فى الآخرة العمل الصالح ، فانت وغيرك انى عمتم العمل الصالح كإن لكم الشرف والنسب ، ولتسنا نصب أن نفتخر بما لنا من السبق والنسب فى العربية وشرف الآباء فيها اذ كان ذلك معروفا غير مجهول لأبائنا. وأجدادنا فقد علم ذى علم ولب كيف كانت ملوك كندة للذين هم ولدونا وما كان لهم من الشرف على سائر العرب ، لكننا نقول ما قاله رسول الحق موسى « لا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فإنه غاية الفخر والشرف » فليس لنا اليوم فخر نفتخر به الا دين النصرانية ، الذى هو المعرفة بالله وبه نهتدى الى العمل الصالح ونعرف الله حق معرفته ، ونقترب اليه ، وهو الباب المؤدى الى الحياة والنجاة من نار جهنم « أ.هـ.

أقول : لا يخفى أنه لا يفهم من هذا الكلام المنسوب الى « الهاشمى » أن « عبد المسيح » اذا أسلم يكون مثله فى الشرف النسبى والدينى حتى يطيل بما لا طائل تحته بل مقصده المائلة له عند اسلامه فى الشرف الدينى فقط ، والهاشمى يعلم ما قاله سبحانه فى كتابه الكريم « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وقوله تعالى : « فلا أنساب بينهم يومئذ » وقوله عز وجل لنوح عليه السلام فى حق ابنه : « انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح »

وَلَوْ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَا تَفْضَلُ الْعَرَبِينَ عَلَى عِبَادِي نَحْمًا مَفْضُولًا
بِالْعَرَبِيِّ » وَلَمَّا هَذَا مُشْرَفًا لِلنَّبِيِّ أَتَى أَتَمُّهُ مَعَ شَرَفِهِ الْعَقْوَى ، فَهِيَ ثَوْرٌ عَلَى
ثَوْرٍ ، وَهِيَ رَافِعَةُ النَّسَبِ إِنْ كَانَتْ لِمُسْلِمٍ تَكُونُ كَالأَطْوَاةِ فِي النُّجُورِ .

وعلى أن النصارى يفتخرون باتصال نسب المسيح بداود (١) وهو
بزعمهم إله معبود ، فكيف أنكر شرف الانساب حتى أطال الكتاب بما لا يدخل
له في الجواب ، والله سبحانه الملهم للصواب . وأما حال بولس الذي زعم
أنه رسول الحق ، فقد عرفناك به في موضعه من هذا الكتاب ، وأما كندة
فقد بينا لك نسبهم أيضا فيه ، وكيف يتسنى له أن يرفعهم بالشرف على
سائر العرب ، مع أن الباقي على كفره منهم ذهب شرفه إذ لا شرف إلا
بالإسلام لا بدعوى التثليث للملك العالم ، وليت شعري بعد دعواه أن الله
سبحانه تجزا ودخل في بطن مريم ، وولد وقتل ، كيف ساغ له أن يقول
وتعرف الله حق معرفته ؟ فانظر كلامه أيها العاقل وأنصف ولا تغفل .

قال النصراني : « فإما قولك بان نبيك يقول يوم القيامة إذ يكون
كل مشغول بنفسه « أهل بيتي أهل بيتي أمي أمي » وما يجب إليه من
الشفاعة ، فنامت عينك يا خليلي ، وخيرا رأيت يا حبيبي ، ما هذه إلا
اضغاث أحلام وخرافات العجائز ومواعيد النسبثة وآمال التتليس لأننا
لا نشك أن سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي شهد له كتابك أنه هو
الوجه في الدنيا والآخرة ولا وجه سواه ديان الخلق والخالق يوم
القيامة لا بد من أن يكافئ كل أحد على عمله ان خيرا وان شرا فثرا
ولا محاباة عنده ولا هوادة لأحد بل يحكم بالقسط ويقضى بالحق بين
الخالق في ذلك اليوم ، فإنا لك من الناصحين ، فاقبل مني ولا تمل الى هذا
الطمع الكاذب الفرار المبهرج وتدع ما يجب عليك من العمل الصالح

(١) النصارى يفتخرون بنسبته الى داود . والصحيح : أن المسيح
عيسى عليه السلام ينتسب الى هرون النبي أخى موسى عليه السلام وليس
الى داود . وقد بينا ذلك في كتاب البشارة بنبي الاسلام في التوراة
والانجيل .

كلمته في هذه الدنيا مقبولا فتزود منها ما تلتج به ، فان ينزع في ذلك اليوم لا لتقوى نزع عنك الميل الى احاديث الكسالى وعليك بلاجه للهدى ، فان الرحيل سريع والموت قريب ، والوقفه بين ايدي المسيح الديان صحيح ، ولا بد من مناقشة الحساب حيث لا عذر ولا حجة ولا طلب ولا توبة ((يوم لا ينطقون ولا يؤمن لهم فيعتذرون)) فانق الله في نفسك يا هذا ، واعلم ان تقوى الله خير تجارة ، تاتي الأرباح فيها بغير بضاعة ، فقد رايت اجتهاد أولئك الرهبان كيف هو ؟ وكيف تصبوا اجسادهم لله وقد وهبت عليك الحجة بما طبع الله عز وجل في نظرك من التمييز والمعرفة فلا عذر لك ولا علة ، فان قبلت منى فائى لك من الناصحين ((١.هـ .

أقول : لا يخفى على كل ذى عقل سليم أن هذا كلام ليس تحته طائل وتساويه لصحيفته بما لا يدون من سمع كل عاقل ، وليس له مدخل في رد المسلمين عما اتبعوه من رسالة النبي ﷺ لأن نبينا عليه السلام والسلام بعد أن ثبتت نبوته وسلمت رسالته فكل ما يقوله حق لا ريب فيه ولا شك يعتريه ، فهو قد أخبرنا ان يوم القيامة يأذن الله تعالى لأتبيائه ومقربيه وعباده الصالحين ، فيشفعون لمن هو أهل لأن يشفع له وهو عليه الصلاة والسلام سيد الشفعاء ومقدم الأصفياء الذى ثبتت رسالته في التوراة والانبيا وبالعجرات المتواترة جيلا بعد جيل ، وأما سيدنا المسيح فهو أيضا من جملة الشافعين ووجهه كما أخبرنا الكتاب المبين ، ولو لم يخبر بوجاهته لما عرفنا ذلك له ، ولو لم يشهد نبينا بفضله لم تكن تشهد له ، فالتصديق بوجاهة عيسى عليه السلام موقوف على التصديق بالقرآن فمن لم يصدق بالقرآن كيف يسوغ له أن يستدل به على وجاهة المسيح عليه السلام غير انا نسال من النصارى ولا سيما من هذا القائل هنا أن المسيح هو الذى يدين الخلائق يوم القيامة ويحاسبهم ويحكم بالقسط ويقضى بالحق بين الخلائق لا غيره ، ونقول لهم : حصل لنا في ادعائكم هذا اشكال عظيم وأعراض قويم وسؤال لا يجد له جوابا كل منصف حكيم ، وذلك أن المسيح اذا صار هو الديان كما زعمتم فكيف يتحاكم مع اليهود الذين صلبوه فهو الخصم والحكم ؟ فلا بد أن يكون الحكم غيره فاذا تحاكموا

عهد أحد ملهبد وأن يتحاكموا عند الله تعالى ، فحينئذ يتبين أن عيسى ليس هو الله ، لأنه لو كان هو الله فقد تجزأ جزئين وصار بعضه حاكما لبعضه ، والله تعالى لا يتجزأ وان قلنا هو غير الله وتحاكموا عند الله ، فلا بد أن الله يحكم لليهود لأنهم لا بد أن يدعوا أن ذلك أن عيسى أبوه فمتهم في الدنيا عن قتلهم له ودعا لهم وطلب عند صلبه من أبيه المغفرة لهم ، وقال « يا أبت اخصر لهم ظنهم لا يعطلون ما يشعلون » لوقا ص ٢٢ كما حكاه المؤلف في كتابه هذا ، فلم تبقى لعيسى عليه السلام دعوى معهم فيكونون من أهل الجنة لأنه طلب المغفرة لهم وهو الوجيه في الدنيا والآخرة فلا بد أن يقبل الله شفاعة فيهم ودعاه لهم ، لا سيما وهو الخصم المقتول ظلما ، وقد نزل عن دعواه في الدنيا فلم يبق له حق المطالبة في الآخرة « وان لم يتحاكموا عند الله بل عصى المسيح عليه السلام ليقضى بنفسه لنفسه على خصمائه وقال لهم انى أريد أن أمر ربكم الى جهنم لتقتلكم الى ظلما وكفرا فلا شك أنهم يقولون له يا ربنا أنت عند الصلب غفرت لنا ذنبا وشهدت انه لا نعلم ما تفعل فلم لما كتبت معنا في الدنيا غفرت والآن رجعت عما قلت ودعوت ؟ فما الذى بدل حكمك وغير فكرك وأبطل قولك ؟ والرب لا يبدل القول لديه ولا تبديل لحكمه ولا يليق به الرجوع عن عطائه وشهادته ، فباللزام أن يأمر بهم حينئذ الى الجنة وتزول عنهم كل محنة ، ثم انه بعد ذلك اذا حاكم المسلمين وأراد ادخالهم الى النار يقولون له : ليس من عدل العادل وحكمة الحكيم أن يدخل أعداءه وقتليه الكافرين به الى جنسات التعميم ، ويدخل محبيه ومن يعترف بنبوته ورسالته وجاهته وبرأته مما يزعم قتلوه فيه عذاب الجحيم ، مع أنهم لم يتولوا قتلهم وقتل عوفوا فضله ، فلا ريب انه يدخلهم الجنة دار القران كما أدخل قتاليه الأشرار الفجار .

وقد استوفينا هذا السؤال فى محله وأعدناه هنا لمناسبة ما ادعاه عبد المسيح فى باطل قوله ، فانهم هذا وذاك ، والله تعالى يتولى هدايتنا وهداك .

ثم انا نقول لهذا النصرانى : انك قد حصرت الشفاعة والوجاهة فى المسيح عليه السلام ، وانه لا ديان سواه مع انكم جعلتموه شريكا للبارى

سبحانه بل عين البارى تعالى ثم ناقضتم قولكم وجعلتم أم الاله بزعمكم
مريم والملائكة والقديسين منكم شفعاء أيضا ، وصرحتم بذلك فى كتبكم .

ولننقله هنا ليسمعه طالب الحق من السامعين ، ويتبين لهم الكاذبون
من الصادقين ، فى كتاب ايجاد مريم تأليف الفونسوس ليكورى المطبوع
فى رومية ١٨٢٧م صحيفة ١٢٠ : « ان الله لا يهبنا نعمة الخلاص من دون
شفاعة مريم » الى ان قال : « نحن نتوسل للقديسين فى أن يصلوا لوجه
مريم بحسب كونها ملكتهم وسيدتهم ، من أجل خيرنا واسعافنا » وفى
صحيفة ١٥٩ منه أيضا ما لفظه : « لم تتصل فيما بعد الى خليفة ما من
الخالق ولا نعمة واحدة من الله الا بواسطة مريم وعن يدها » وقال أيضا
فيه : « ان مريم ولئن كانت تستمد من الاله ابنها النعم متوسلة فمع ذلك
هى تتضرع اليه على نوع ما بروح رياسى بحسبها هى والدته ، فانن
نحن من دون ريب تحصل جميع ما ترغبه وتطلبه لأجلنا » وقال أيضا فى
صحيفة ١٦٦ : « البشر أجمعون بواسطة شفاعتها يفلون الخلاص
الأبدي » أ. هـ.

والعجب أنهم لم يكتفوا بشفاعتها وشركتها فى الأمر حتى جعلوها
شريكة فى الألوهية والاتانيم فقد قال فى الكتاب المذكور فى صحيفة ٣٧٥
« ان الله لم يقدر أن يرفع مريم العذراء رفعة أكثر سموا مما رفعها اليه
فى سر التجسد الالهى يكفى فى هذا الموضوع القول أن الله قد صر هذه
البتول أما له ، وبذلك يعرف أن الله تعالى لم يقدر أن يعلى شأنها ويرفع
مقامها بأكثر مما صنع معها لأنها ما عدا الله هى أعلى من الجميع مطلقا »

الى أن قال : « ان البتول القديسة لكى تصير والدة الاله قد
احتاجت لأن ترتقى الى مرتبة التساوى على نوع ما بأقانيم الالهية ، لهذا
يقول بطرس راميانوس ان الله يوجد متحدا مع خلائقه على أربعة أنواع
فاتحاده مع مريم البتول هو اتحاد ذاتى لأنه تعالى هو نظيرها وهى نظيره ،

فمن ثم يهتك هذا القديس قائلا أن الله يسكن في البتولة ومعها يحوى
جوهر طبيعة واحدة هي ذاتها « أنت هي بلفظه .

وقد نقلنا في كتابنا هذا مفصل صلواتهم وعبادتهم للملائكة والقديسين ،
فلا حاجة بنا الى ذكرها هنا . وقد تبين كذب قول المؤلف انه لا وجيه سوى
المسيح ولا شفيع سواه ، مع انهم قد عددوا الشفعاء وجعلوا أيضا مريم
شريكة لله ، فلا حول ولا قوة الا بالله — تعالى الله عما يقول الظالمون —

بغير علم ولا سلطان ولا قوة الا بالله تعالى .
والله اعلم بالصواب .

قال النصراني : « فلما ما تكرت من التسهيلات في شرائعك ومسننك وكيف يكون هذا الذي جكوت ، هيهات هيهات ليس ما سولت لك نفسك ، والمسيح سيدنا يقول في اتجيله المقدس حيث بالغ في الوصايا واكد وجتم : « اذا فطتم كل ما امرتم به واكلمتم كل الخبر ، قولوا لنا عبيد بظالمون انما عرفنا ما امرنا به ، على فضل لنا » وهو السيد الذي قال « يا الضيق للطريق للذي يؤدي الى النجاة والخلص ، وما اقل السالكين فيها والولتردين اليها ، وما يوسع للباب الذي يدخل الى المهلكة ، وما اكثر المسائرين اليه والداخلين منه » (متى) .

فهذا اكرمك الله خلاف ما تدعو انت اليه واشبهه بامور الآخرة من تسهيلاتك العجينة وابوابك الواسعة ، وقولك : « حجب الى الطيب والنساء » « وانكحوا ما طاب لكم من النساء » ونظائر هذه الوصايا والله المستعان على ما قد انشرح له قلبك وتصور في فهمك من هذا الامر الذي قد توهمت أنك منه على صحة واستقامة ، ويعز على كيف قد خفي عنك تدليسه وبهرجته ، فاسأل الله الذي يهدى من الضلال الى الرشاد ، ان يشرق عليك من نور المعرفة ما تهتدى به وتستضيء بضوئه حتى تخرج من ظلمة هذه الضلالة التي أنت منغمس فيها ، فان ذلك واجب على ان ادعوك خاصة وللناس جميعا عامة ، اذ كان عندنا معشر النصراني ان صلواتنا لا تتم الا بالدعاء للناس كافة بالهدى للتائبين عن سبيل الحق ان يفتح الله على بصيرتهم ويكشف كتمة الفى عن قلوبهم حتى يروا خطأ ما هم فيه ، ويرجعوا عنه الى طاعته ، والمهتدين ان يثبتهم فيما انعم عليهم به ، فعل الله ذلك بك وجميع اخواننا بحوله وقوته « ا . هـ .

اقول : ان هذه الرسالة التي زورها ولفقها النصراني ونسبها المسلم ليبنى كلامه عليها ، ليس فيها التصريح بما ادعاه عبد المسيح بل فيها ذكر شىء من محاسن دين الاسلام وما شرعه لعباده الملك العالم من الأحكام ، وأما التسهيلات بالمعنى الذى يزعمه هذا الملقف فليس منها شىء فى الشريعة الحمديّة والأحكام الالهية نعم ان الله تعالى يريد بقاء اليسر

ولا يريد بنا العسر ، وان الله تعالى يعيب ان تؤذى رخصه كما تؤتى عزائمه ،
وانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وانته « يعيب التوايين ويحب المتطهرين »
وما جعل علينا في الدين من حرج ، لكنه سبحانه فرض علينا بمعاشر
المسلمين فرائض وسنن رسوله عليه الصلاة والسلام سننا .

فمن فرائضه الاغتسال من الجنابة كالجماع والاستحلام وعند تمام
الحيض والتفاس ، وفرض علينا الوضوء للصلوات الخمس في اليوم
والليلة والتطهر من النجاسات وتطهير الثياب والبدن وبوضع الصلابة
والاستنجاء ، وفرض علينا الجهاد والحج على من استطاع اليه سبيلا ،
وفرض الصوم وهو عدم الأكل والشرب والجماع في شهر رمضان كله
ما عدا الليل ، وفرض الزكاة وهي أن يخرج الفضة ربع العشر من ماله
في كل سنة ويعطيها الفقراء ، وهذا ما عدا الصدقات الأخر .

وحرم علينا الزنا والربا وقتل النفس ظلما وشهادة الزور والكذب
والبهتان والحسد والغيبة والنميمة وعقوق الوالدين وأكل مال اليتيم وأخذ
أموال الناس بغير حق ، وحرم لظلم والاضرار والفحواش ما ظهر منها
وما بطن والاثم والتعدي على الغير ، وحرم الخبائث والخمر والقمار وأكل
الميتة وما أهل به لغير الله ، وحرم علينا لحوم كثير من الحيوانات كالخنزير
والكلب ونحوهما مما هو مفصل في الكتب الإسلامية ، حرم أكل النجاسات
والحيوانات المؤذيات والمفترسات .

وأمرنا أن لا نعبد سواه ولا نصلى ولا نسجد ولا نخضع للشرائين ،
ولا ننذر لغيره من انس أو جن أو ملك أو صنم أو صورة أو حجر أو
شجرة أو حيوان وان نجعل بيننا سبحانه وسائط نتضرع اليهم ونطلب
منهم ، وأن لا نستعين الا به ولا نتكل الا عليه ولا نتوب الا اليه ،
ولا نطلب غفران الذنوب الا منه ، وأن لا نجعل معه الها آخر ، وأن نعتقد
أن جميع المخلوقات والموجودات من العوالم انما وجدت بخلقه وسخرته
وكلهم عبده ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، لا حول ولا قوة الا به ،
واحد احد لا اول ولا شبه له ولا تد ولا آخر له ، مؤصف بالصفات

الغيا لا يعتريه نقص ولا زوال ولا يشبهه شيء من خلقه ولا يحتاج إلى مصنوعات ، أرايق لا أرايق لسواه ، يحيى ويميت ، وهو موجود حتى قادر دائم عالم شيع بصير مزيد متكلم ، يعلم ما كان وما يكون ولا يخفى عليه شيء من حركة ولا سكون ولا يعجزه شيء ولا يستعين بشيء ولا يفوته شيء .

أرسل رسلا من عباده لعباده مبشرين ومنذرين ، وجعل خاتمهم سيد المرسلين سيدنا محمد النبي العربي الصادق الأمين ، وأنزل عليه القرآن مصدقا لما تقدمه من كتب النبيين — عليه وعليهم صلوات الله تعالى وسلامه اجمعين — وأنه يعيد الناس ويحشرهم ويحاسبهم بلا التباس « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » فمن كفر به وبرسله ففي النار ومن آمن به وبرسله ففي الجنة خالدا فيها بلا فناء ، وأمرنا أن نعتو عن المخطئين ونحب اخواننا المؤمنين ونبغض الفاجرين ونغض البصر عن رؤية المحرمات ، ونتجنب الملهيات ، ونستتر العورات ، ونشتغل بالطاعات وناكل الطيبات ونذكر الله تعالى ونطلب غفرانه ، وأن نستعين به من عذابه .

ونبينا ﷺ سن لنا سننا كثيرة في العبادات .

فاذا علمت ما عليه المسلمون ، وعرفت ما يتدين به المسيحيون ، تجزم ان كنت من العارفين ان ما عراه عبد المسيح تمويه وترويج لباطله على الحق الصريح ، لأن النصرى عندهم التسهيلات وقلة الكلفة وعدم المشقة في الطاعات .

فمن ذلك أن المسلمين لا يعبدون الا الها واحدا والنصرى قد عبدوا آلهة فسهل الأمر عليهم لأنهم يهرعون في أمرهم الى أحد الثلاثة فاذا لم يقضها قضاها بزعمهم الاله الآخر ، والا فتقضية مريم أم الاله وخطيبة الاله لأنهم كما قدمناه لك في الصلاة المسماة عندهم بصلاة العذراء يقولون لها : « لك نسجد » مع أن الله تعالى قال لهم في التوراة : « لا تسجد لغير الهك » . فبادام أنهم سجدوا لها تبين أنها عندهم هي اله ، والا لله

سجدوا لها . والمسلمون لا يعتقدون الا الهيا واحدا ولا يعبدون الا الهيا واحدا ولا يهرعون الا اليه ، وليس لهم غيره فاذا لم يستجب لهم لا يذهبون الى احد سواه ، فانظر هل التسهيلات عندنا ام عندهم ؟

ومن ذلك ان المسلمين يختنون كما فرض الله تعالى ذلك في التوراة وابراهيم اخقن وموسى وعيسى ويحيى الممدان ، وبنو اسرائيل اختنوا ، والنصارى لا يختنون خوفا ان يقطعوا من لحمهم شيئا ، فهل التسهيلات عندنا ام عندهم ؟

ومن ذلك أنهم يتغوطون ويبولون ولا يستنجون بخلاف المسلمين ، فهل التسهيلات عندنا ام عندهم ؟ ومن ذلك أنهم يحتلمون او يجمعون او تخيض نسائهم وتتلفس ولا يغتسلون لشيء من ذلك ، والمسلمون سواء كان صيفا او شتاء حرا او بردا رجالا ام نساء من كل واحد منها يغتسلون بالماء الحار او البارد ، فهل التسهيلات عندنا ام عندهم ؟ ومن ذلك أنهم يصلون بلا وضوء ولا طهارة الثياب ولا المكان ، والمسلمون لابد ان يتوضأوا ويغسلوا وجوههم وأيديهم وأرجلهم ثلاث مرات ، ويمسحوا برؤوسهم للصلوات الخمس ليلا ام نهارا صيفا وشتاء بالماء البارد ام الحار نساء ورجالا ويطهرون ابدانهم وثيابهم ومكان صلواتهم من كل نجس وحدث وخبث ، حتى من قطرت البول ، والنصارى لا تفعل جميع ذلك ، وتصلى بحدثها وخبثها ولا يتكفون لغسل شيء ولا لطهارته ، فهم في راحة من كلفة ذلك ومثقلته ، فهل التسهيلات عندنا ام عندهم ؟ ومن ذلك ان الانسان اذا عمل معصية وظلم احدا فعندنا لابد ان يرضى خصمه ويتوب الى الله تعالى فانه لا يغفر الذنوب الا هو واذا فاته شيء من عباداته لابد وان يقضيه ويأتى به ويتوب ويستغفر ، فلعل الله تعالى يتوب عليه ، والنصارى اذا عمل احدهم ذلك يأتى الى القس أو البطريرك ليغفر له ويقر له بخطيئته ، ولو كانت المخطئة امرأة وقد زنت فتعترف له بخلوة صحيحة بينها وبينه ، فالقس يغفر الذنوب للمخطيء والمخطئات ، فيكون غفرانه بدلا عن غفران خالق الأرض والسموات ، فلذلك الآن يبيعون صكوك

التفخرات ، ودخول اللجنات ببيع الخنازير والخضروات ويقبض بتركهم
بدلها خريجات ، والمسلمون لا تباح لهم هذه الهبات ، فهل عندنا أم عندهم
التسهيلات ؟ ومن ذلك أنهم يزعمون أن الصوم في السنة مرة وهم يأكلون
ويشربون ليلا ونهارا كسائر الحيوانات ، غير أنهم يمتنعون عن بعض
أنواع المأكولات ، والمسلمون يصومون في كل سنة شهر رمضان كله ولو
وافق في أشد الحر وأحر البلاد ، ولا يأكلون ولا يشربون شيئا ولا يجلسون
من طلوع الفجر الى الليل ، فهل عندنا أم عندهم التسهيلات ؟ ومن ذلك
أنهم لا يصلون في اليوم والليلة خمسة أوقات (١) ونحن نصليها ما عدا
ما نصليه من المسنونات ، فهل عندنا أم عندهم التسهيلات ؟ ومن ذلك أنهم
يستبيحون أكل جميع الحيوانات البحرية والبرية والحشرات والبيئة والدم ،
وليس يستفتى عندهم عنها شيء ، حتى لو أربأ الإنسان أكل النجاسات
والموتى الغائط فهو ليس من المحرمات ، ولا يحكمون بنجاسته شيء من
القناريات ، فالتجاسة عندهم معلومة أو من الأمور الموهومة ، والمسلمون
سواء تعلق الحد - مسائلون من التضمخ بالنجاسات ، ولا يأكلون الا
الطيب من الحيوانات والنباتات ، فهل عندنا أم عندهم التسهيلات ؟
ومن ذلك أنهم يشربون الخمر والمسكرات ويأكلون الربا ويبيعون
الأجنبيات ، وكل ذلك عندنا من المحرمات ، فهل عندنا أم عندهم التسهيلات ؟
ومن ذلك أنهم لا يرحج (٢) عندهم ولا اعتبار فلا يصلون بعبادتهم في
الأسفار ولا ينفقون نفقة ولا يفارقون أهلا ولا يخرجون من دار ، والمسلمون
يتحملون مشاق السفر ويقتلون أموالهم امتثالاً لما أمرهم الله في الآيات
فهل عندهم أم عندنا التسهيلات ؟ ومن ذلك أنهم لا يعتقدون المصناد
الجبلى (٣) بل يثبتون الروحاني . والمسلمون يعترفون بأن الناس
يخرجون ويحشرون من الأرض كما يخرج الله سبحانه النبات ، فهل

(١) للنصارى يصلون سبع صلوات ، صلوات الأدعية .

(٢) النصارى يخرجون الى بيت المقدس للصلاة والذكرى .

(٣) بعض فلاسفة المسلمين يعترفون بالمعاد الروحاني (انظر شرح

الإرشاد لأبي بكر بن مبيون / نشر الانجلو المصرية) .

عندنا أم عندهم للتسييلات ؟ ومن ذلك أنهم يعتقدون أن عيسى الهمم ،
وقد نزل في بطن مريم ، يولد وصيل لأجل تخليصهم من الخطيئات ، وعندنا
لا يخلص المؤمن بعد غضبان الله تعالى إلا الأعمال الصالحات ، فهل
عندنا أم عندهم للتسييلات ؟

والمثال هذه المسائل كثيرات ولو أربنا تعدادها لتسلسلت الكلمات ،
ويغنى قليل العبارات عن غيرها عند ذوى القياس من أرباب الدرايات ،
فلنقتلها ولا نقتصر بها نقد المؤلف من زيف التويهات ، واسأله تعالى
اتباع آياته البيّنات .

ثم انه عد الطيب والنكاح من التسييلات ، ويعد ويرودهما في السفة
من العجبيات ، فالمعجزة العجلب من فتح هذا الباب ، ألم يعلم بأن المسيح
كان يحب الطيب أيضا ولولا حبه له لما أفرغت مريم الجدانية الخاطئة
المطلومة قارورة الطيب على رجلي المسيح عليه السلام ، حتى اعترض
عليه الحواريون بسبب ذلك ، وبالولا للنساء لما ولد الله من مريم حتى
يخلص النصراني من نار جهنم ، فما هذه الاعتراض إلا كهذيان المحوم
أو كتشفس المزكوم ، وقد أجبنا عنها أيضا في غير هذا المحل بجواب
مفصل ، وليت شعري أى بلس اذا كان الطيب محبوبا عند الأنبياء ؟
وإى نقص يحترقهم اذا أحبوا الحلال من النصار ؟

على أن نبيننا عليه الصلاة والسلام ليس بدعا في ذلك ، فكم وكم غيره
من الأنبياء عدد الزوجات ، وغدا السراري المتعددت مالك ، كما صرح به
في التوراة عليه الصلاة والسلام لما بعث كان كثير من الناس في الجاهلية
تحتم عشرة أزواج أو أكثر ، ولما نزلت الآية ويلفها لهم اقتصروا على
الأربعة (٤) وسرحوا الزائد عليها ، فهو عليه الصلاة والسلام لم يزد على
بما كانت عليه الأمم السالفة بل نقص عنهم بمقتضى الأمر الإلهي ، وبما
زيادتهن لنفسه ﷺ وأخذة لتسع ، فقد بسطنا جوابه الشافي أيضا في
محلّه من هذا الكتاب ، فراجعه لتكون على بصيرة تامة في الجواب ، والله
مسيحاته الهادي الى صوب الصواب .

قال التصرانى : « اما قولك — أصلحك الله — دع ما أنت عليه من الكفر والضلالة ، وقولك بالآب والابن والروح القدس ، وعبادة الصليب التى تضر ولا تنفع ، فاما الكفر والضلالة فقد كشفنا لك عن امرهما كسفا يغنى عن الاعداد وأتينا بالحجة على من تقع هاتان اللفظتان عليه ، ومن هو المقيم على الكفر ، ولا حاجة لنا الى أكثر من ذلك . واما التخليط فكانك أصلحك الله كل ما لا تفهمه كان عندك تخليط كقول القائل أن الانسان عدو لما جهل ، واعدو بالله من ذلك ، فليس الأمر على ما توهمت ، فلا تحكم لنفسك ولا تشهد لها مادام خصبك غائبا لأنه ليس من فعل أهل التخرج والادب ، فان الذى وسمته بالتخليط واجترأت عليه بمثل هذا القول ، هو سر الله ، الذى كانت الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون يركضون فى طلبه ، ويرغبون فى معرفته منذ خلق الله تبارك وتعالى اسمه الخلق ، فلم تكن تعطى منه الا الشيء اليسير باللمح الخفى ، ولم تطلع منه الا على النزر بالرمز المستور ، حتى جاء الابن الحبيب السيد نازلا من حضن أبيه فكشفه لأوليائه وأهل طاعته ، فآلهم معرفته ودفعه اليهم كاملا مشروحا مفسرا مبينا ، فقال لهم مصرحا : « امضوا فادعوا الناس الى المعرفة الصحيحة الكاملة ، التى هى باسم الآب والابن والروح القدس » فقبل ذلك الحواريون من فيه الطاهر ، فادوه اينا معشر المؤمنين بالمسيح ، فقبلناه منهم بالآيات العجيبة ، ونحن مقيمون عليه بفضلته ونعمته الى انقضاء العالم .

واما قولك عبادة الصليب التى تضر ولا تنفع لما رأيت من تعظيمنا اياه وتبيلنا له وتبركنا به ، فنجيبك عنه قائلين : انا نعمل ذلك للذى مثل لنا فيه من أمر المسيح وما جرى به تدبيره فى خلاصنا واستبقائنا من الهلكة باحتماله الصلب عليه ، والموت لأجلنا ، فان النعمة عندنا فى ذلك مما لا يبلغه منا وصف ولا يفى به شكر والصليب يمثل هذه النعمة نصب اعيننا يحثنا على شكر مولينا والمنعم بها واليه نقصد بالتعظيم والتبجيل لا الى الخشب وغيره مما تصنع منه الصليبان ، ولو كنا نعظم الخشب كما توهمت لما اتخذنا الصليب من غيره ولكننا نتخذ من الخشب

والذهب والقضة والحجارة والجواهر وغيرها ونخطه خطا ونرسمه بآيماننا
ونك نليل على اننا لا نقصد بالتعظيم الجواهر التي تتخذ منها الصليبان ،
بل من هو ممثل بالصليب وكما انه من السنة تعظيم كل شيء من امر الملك
وما نسب ليه وخاصة الممثل فيها شخصه ، فان السنة جارية فيها على
وجه الدهر بان نتحنها بالسجود تعظيما للملك ، وما مثل فيها من امره ،
فكنك توجب نحن تعظيم الصليب وتكرمه واستلامه اذ كان ممثلا لنا امر
المسيح سيدنا وملكنا وجسيم نعمته عندنا لما صلب دوننا .

ثم ان الناس في الدهر ايضا على بقية من هذه السنة ، قانهم
يقبلون ايدى ملوكهم واقدامهم وكتبهم اعظاما لهم ، فيحظون بذلك عندهم
ويروته لهم من انفسهم برا ورشدا ، فكيف الآن تنكر علينا تعظيم الصليب
واستلامه ومحلّه عندنا المحل الذي وصفنا واننا نجد في الكتب المنزلة
من عند الله ان الانبياء كانوا يعظون التابوت الذي عمله موسى بأمر
الله تبارك اسمه ويسجدون بين يديه ، وكان موسى كلما حمل التابوت
الذي عمله موسى بأمر الله تبارك اسمه ويسجدون بين يديه ، وكان موسى
كلما حمل التابوت يقول : « قم يارب وليهز من شانوك » واذا وضع
يقول : « عد يارب الى الآلوف وعشرات الآلوف من بنى اسرائيل »
انهم خروا سجدا بين يدي التابوت معظمين له عابذين به مما نالهم ، وداود
النبي حين نقل التابوت الى اورشليم عظمه غاية التعظيم واتحنه بالذبائح
والقرايين ، وشيعه بالتنسيع والتهليل وافتتح ذلك بمثل مقالة موسى النبي
فقال : « ليقم الله ولتبتد جميع أعدائه ويهرب شانوه من بين يديه »
وكان فعلهم هذا بالتابوت تعظيما لله لا للخشب وغيره ، فنحن على هذه
السنة ايضا في تعظيم الصليب ونجري فيها على ما جرى عليه الانبياء
الابرار ، فلم — اصلحك الله — غلب عليك النسيان في هذا الموضع ،
كانك جاءتك حمية الاسلام ومرضتك المعصبية الهائمية فاذاغتك عن سبيل
الحق ، وحادت بك الى خلاف ذلك السبب الذي أنت اقررت به بفيك ولفظ
به لسانك ، مما جريت من القوة الحالة في الصليب حين استعدت به عند
سقوطك عن الدابة ، وحين هربت ممن هربت منه ، وحين لقيت الذي

التي، في طريقك ، وأنت ماثل إلى غير الكوخ ، وبين تلك الأسمه وتقررت
سبيلنا الذائق ، افتراك — أصحك الله تسيب هذه المواقف ، فمن كنت، أنت
تسينها فتحن فالكرون لها ظم — أصحك، الله — فكور بللمية، وتكفريه
بالتر ، ونقل من التسكر وتكر المعروف ، وليس هذا مذهب من هو
ملك من أهل الخرج والتمسك بالصدق ، ولم قلت : أن عبادة الصليب
تضر ولا تنفع ؟ فليت شعري أي ضررتا لك عند تعونك بالصليب وأنت
تعلم أنا معشر النصارى لا نعبد الصليب واتما تعبد القوة الخالة في
الصليب ، والتأييد الذي أيننا به والخلص الذي أوتيناه بيسيه ، ألم يجز
بيننا من الكلام والمحاجة بحضرة من جرى ما قد أتتك ؟ وتعلم كيف كان
الحكم عليك في ذلك المجلس ، فلم رجعت عما كان صح عندك وأقررت
بصوابه ، حتى ذكرت أنك امتحنت ذلك فوجنته صحيحا ؟ أو كان ذلك
من الحكم الذي جرى عليك ممن قد علمته أم أنها أردت مدافعة ذلك الوقت ؟
على أي أرجو أن لا يكون هذا القول منك في الصليب اعتقادا ، ولا إبطال
للفضيلة التي رأيتها حاله فيه . ا . هـ .

فأقول وبالله تعالى التوفيق أن ما في هذا الكلام من ادعاء التوهية المسيح
عليه السلام قد رددناه غير مرة فيما تقدم ، وتأتك أيضا زيادة عليه في
محلها فلا حاجة بنا لاتعاب البيان هنا ، وأما ما فيه من التهافت والتناقض
والتمويه والاختلاق على الهاشمي بما لا يقبله ذو فطنة لا يخفى على كل
مقبصر فطن ، وقد تقدم لك ردا مثاله مرارا فلا حاجة لنا إلى بيان زيفه
الظاهر ، وأما ما فيه من التقويه بقدر سيدنا المسيح عليه السلام وأثبت
ثبوتها فلا كلام لنا فيه إذ نحن والله تعالى الحمد ممن يقر بعبوديته لله سبحانه
ورسالته منه لا كما توهم اليهود أهل الغضب والجحود ، ولا كما تزعم
النصارى الغالون فيه ، حتى جعلوه لها مسجودا له ومعبونا ، غير أنا
نذكر ما يتعلق بأمر السجود للصليب وأن كنانا مؤنة رده علماء البروتستنت
من النصارى في تصنيفاتهم لئلا يظن الناظر عجزنا عن رده وتناصرنا
عن بيان فاسده .

فاستمع بعض الصواعق النازلة منهم عليهم ، وانظر بعض الشرر
المحرق لهم الخارج من بينهم الذي قاله أهل ملتهم .

قال المعلم ميخائيل مشاته في كتابه البراهين التجيلية ضد الباطنيين الباباوية الذي رد به على كتاب يوحنا الجنماتي المطبوع في بيروت سنة ١٨٦٣ ما لفظه : « الاصحاح الحادى والعشرون : يتكلم المؤلف في هذا الفصل عن استعمال الصور « وكيفية عبادتها في كنائسهم وأنهم يسجدون لها السجود التكريمى فقط ، وأنهم لا يعتقدون فيها وجود قوة فعالة ، الى الخرم ، فهذا المؤلف ايا أنه في حيله الماضى لم تكن اتصلت كنيسته رومية في عباداتها الأصنامية الى ما اتصلت اليه في عصرنا واما أنه قد استحق وأنفى الجزء الأعظم من الاعتقاد البابلوى الذى يأمر بالسجود المطلق والعبادات الفاتكة كما للذوات الالهية نحو بعض المواد المخلوطة كخشبة الصليب وصور السيد المسيح بلواعها وأشكالها والخبز والخمر المقدسين ، فهذه العبادات الوثنية قد تكلمت عنها بالكفاية في رسالة الليل فلا حاجة لتكرار الكلام عليها ، ولكننى اکتفى بأقله بما أمر به البارئ تعالى في الوصية الثانية التى سرقها البابلويون وأخفوها عن عين الشعب ، ولما نقص مع عددها وصارت تسعد والشعب يسمع أنها عشرة فهجموا على الأخيرة منها وقطموها شطرين وجعلوا كل شطر وصية كاملة سترافشهم وخذاعهم ، فلن الله قد قتل فيها بالقلم المريضى « لا نتخذ لك صورة ولا تمثيل كل ما فى السماء من فوق وما فى الأرض من أسفل ولا ما فى الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهم ولا تعبدن فانى أنا ربك العزيز القيور وأجتزى ذنوب الأباء من الأبناء الى ثلاثة والى أربعة أجيال لأعدائى وافعل الحسنه الى ألف جيل لاجبائى وحافظى وصاياى فأننا نرى البارئ تعالى فى وصيته ، قد أطلق تحريم السجود لها كما أطلقه بتحريم عبادتها . وهكذا لم يجعل فرقا ما بين صورة من هو فى السماء ومن هو فى الأرض أو تحتها ، ولم يذكر لنا سجود لا تريا ولا سجودا يبرضوليا مما يفرعه البابلويون فى تعاليم عباداتهم الباطلة .

وأما احتجاجه بالكاروبيين اللذين وضعا على ظهر التابوت فان سليمان له يصنع الكواريب فقط ، بل صنع أيضا ثيرانا وأسود ونخيلا وجميعها كانت للزينة لا للعبادة ، حسبما هو واضح فى نص الكتاب ، فاذا كان ذلك مستحقا أن يسجد له فيجب أيضا أن يسجد أمام البقية لا بل حينئذ بنوع أوجب يجب السجود لذات الأرض ، ومن للكنيسة الباباوية أنها فى وقت

ما تحدد وجوب عبادة الكرة الأرضية لأنها مختلطة بكثير من تلك العظام
البالية التي تتخذ منها الذخائر المقدسة ، وكمن مرة جبل ترابها بدماء
الشهداء وكمن من الأنبياء والرسل حتى السيد المسيح قد مشوا على سطحها
وخلأ عن ذلك أن هذا مؤيد بنص الهى صريح ومأثور به بخلاف دعوى
الصور التي تدفعها وصايا الله ، فان الكتاب المقدس قال عن الله : « ان
السماء كرسيه والأرض موضع قدميه » وقال أيضا : « اسجدوا لموطء
قدميه » فأى برهان أوضح من هذا على وجوب عبادة الكرة الأرضية ،
ثم من المعلوم أن تابوت العهد قد وضع بأمر الله وكان يخاطب بنى اسرائيل
من فوقه ، فيشوع بن نون لم يسجد للتابوت بل سجد مع شيوخ بنى
اسرائيل لله على الأرض أمام التابوت ، لاله ، وأن الله حينئذ قد خاطبه
وأمره بما يريد أن يعلمه . وقط لم يتوسل يشوع الى التابوت ولا الى
قسط المن واللوحين الحجرين أو عصا هرون الموجودات ضمنه ، بل توسل
الى الله فقط ، وأما الباباويون فيلتمسون من الموضوعات التي يسجدون
لها نوال احتياجاتهم الروحية والزمنية ، كما أوضحنا ذلك فى مواضع
كثيرة ، ونكتفى هنا بما يقال فى كنيسة الروم الباباوية نحو صورة المباركة
مريم العذراء هكذا : « فلتخرس شفاه الذين لا يسجدون لصورتك المقدسة
والدة الاله التي صورت من لوقا الانجيلى الكلى الطهر التي بها اهتدينا
الى الامانة المستقيمة » فإين اعتقادهم هذا بأن هدايتهم للأمانة كانت بواسطة
تلك الصورة من قول المؤلف ؟ انهم لا يلتصون من تلك الصورة شيئا
وما كفاهم تورطهم فى هذه العبادة الاصنامية المحضة حتى اتهموا القديس
لوقا الانجيلى بأنه كان يصنع التماثيل ، نظير ديمتريوس الأفسى ، حاشاه
من ذلك .

ثم اننى أقول للمؤلف بأن يشوع بن نون عند سجوده أمام التابوت ،
قد استجاب الله لطلبته وخاطبه بكلام مفهوم ، فياترى عندما يسجد حضرته
أمام أحد أوثانه فهل يستجيب الله له ويخاطبه كما يخاطب يشوع ؟ فربما يجيبنى
انه لم يحصل معه ذلك قط ، الا اذا كان يقع معه كما يخبرون عن الوثنيين
القدماء بأن الشيطان كان يخاطبهم من داخل الصنم ، ثم اذا كان الله لم
يخاطبهم حين التجائهم الى الصورة عندما يسجدون لها ولم يكن لها

خواص ، فما بالهم لا يعملون ما عمله حزقيا الملك عندما كسر الحية النجاسية وتلف وجودها احتراسا من تورط الشعب فى عبادة الأوثان ، مع كونها مصنوعة باهر الله ، هذا ومع أن علماء الباباويين عند الاعتراض عليهم يحاولون بانهم قط لا يقدمون عبادة الى أوثانهم ، ومع ذلك فهم يوقدون أمامها الشموع ويطلقون البخور ، وأما الشعب البسيط فيعتقد وجود القوى والفعل فى ذلك تلك الأوثان ، وما ذلك الا من فحاشة تعليم رؤسائهم ووضع الصور فى المعابد .

الفصل الثانى والعشرون فى هذا الفصل يتكلم المؤلف عن أنواع عبادتهم التى يقدمونها نحو الذخائر المقدسة التى تخجل من تسميتها عبادة فيسميها تكريما الذى بواسطته يعطون عربونا يثبت ثقتهم بشفاعاة القديسين ، التى هى أيضا غريبة عن التعليم الانجلى ، وكأنه يقصد بتعليمه هذا أن يؤيد التعليم الباطل بشفاعاة القديسين بباطل آخر نظيره بأن يلتجئ الى كسرة عظم بالية أو قطعة تماش رثة أو خشبة نخرها السوس ، مع تمادى الأجيال ثم يبرهن على وجوب هذه العبادة الوثنية بما ورد فى نص الكتاب المقدس عن الميت الذى طرحوه فى قبر اليشع النبى ، وعندما لمس جسمه عظام اليشع رجعت الحياة لذلك الميت كما فى الاصحاح الثالث عشر من سفر الملوك (عدد ٤) وهكذا نازفه الدم التى شفيت بلمسها ثوب المخلص (ص ٩ متى) وان كثيرين شفوا من أمراضهم بمجرد ظل ماري بطرس وبمسهم منديل ماري بولس (اعمال ٥) .

وان بعض الآباء قد مدحوا هذا العمل ثم انه ينكر على هذه الذخائر مزية ما أو قوة سرية مكونة فيها ، غير أن الله يصنع بعض الأحيان نعماء عظيمة بواسطتها .

فنجيب باننا لا نشك بكون البارى قد صنع ويصنع عجائب كثيرة يستخدم فيها بعض المواد الأرضية كالصخرة التى شرب منها بنو اسرائيل فى البرية وعصا موسى التى عمل بها معجزات شتى وعصا هارون المفرخة والنهر الذى اغسل فيه نعمان السريانى وبركة سيلوها والتراب الذى صنع منه السيد المسيح الطين لشفاء عيني الأعمى وجرة الدقيق وقلة الزيت اللتان كانتا عند الأرملة فى صارفية صيدا ولم تفرغا الى حين ما أمطرت السماء بكلمة ايلياء النبى ، الى غير ذلك مما يطول شرحه .
(م ٣٢ - الجواب الفسيح)

فماذا كان البارى تعالى قد استخدم شيئا من هذه الأشياء فى وقت
لاظهار قدوته الفائقة ، فهل تكون تلك الأشياء قد اكتسبت لذاتها قوة
أو خواص تستحق بواسطتها العبادة ؟ كلا فان المؤلف ذاته يعرف بأنه
لا قوة بها ولا خواص ، ماذا كانت هى عذبة القوى والخواص السرية
فى ذاتها فتكون هى وبقية الأشياء التى من طبيعتها على حد سوى
ولاء رق بين عظام الفونسيوس ليكورى وعظام غيره من البشر ولا بين
عصا موسى وغيرها من نوع خشبها لأن التركيب الطبيعى أو الكيماوى
هو متساو فى أفراد النوع ، ولو وجدت عصا موسى ذاتها فى يد المؤلف
أو فى يد معلمه البابا الذى يدعى امتداد سلطانه فى السماء والأرض ، فهل
يقدر أن يصنع بها ما صنعه الله بيد موسى النبى ؟ والنهر الذى شفى نعمان
السرمانى بالاعتسال فى مائه ، هل بقى محفوظا فيه خواص الشفا لمن
يغتسل فيه الآن ؟ وعظام اليشع التى قام الميت بملامستها ، هل لامنها
ميت آخر ورجعت إليه الحياة ؟

واليهود المشحونة أدمغتهم بالعقائد الخرافية وتصديق الأباطيل ،
هل اتخذوا عظام هذا النبى ذخيرة مقدسة واعتبروها واسطة لحياء
موتاهم ، وقدموا لها أنواع العبادة ؟ كلا بل انهم مع سرعة تصديقتهم
للأمور الخرافية لم يخبرنا الكتاب بانهم أخرجوا هذه العظام من مدفنها .
هذا وان الكتاب المقدسى لم يعلمنا بأن نعمل شيئا مثل ذلك ولا يلزمنا أن
نعبد شيئا من المواد التى استخدمها البارى تعالى فى أعمال عجائبه والا
لكان يلزمنا أن نعبد الخشب لأن عصى موسى كانت خشبا ونعبد الأنهر
لأنها من طبيعة النهر الذى اغتسل فيه نعمان ، ونعبد الحجارة لأنها من
طبيعة الصخرة التى شرب منها بنو اسرائيل ، ونعبد مجامع المياه احتراما
لبركة سيلوحا ، وذلك قياسا على ما أوجبه الباباويون من عبادة عظام
القديسين لكون الله أحيا ميتا بملامسة عظام اليشع النبى ، وهذا الموضع
يحتمل الكلام الكثير ، وهو من الأمثال المأخوذ كغيرها عن الوثنيين وعن
السحرة ، الذين يشعبدون على ضعيفى العقول بأخذهم أشياء من أثر
الانسان أو بتعقيد شعر أو خيوط على قطعة من العظم أو الخشب
أو كتابة احرف وأرقام عديدة على عظم كتف خروف أو تبس أو جلد يحفظونها

فى أهد المقابر أو فى سلك البيوت لأجل نوالهم بعضى بقاصدهم يفتنونها ، فالمسيحيون القدماء لم يلتفتوا الى خرافات وسخریات مضحكة كهذه يفجبل اسحاب العقول من ذكرها فضلا عن الاعتماد عليها ، أفلا يفجبل ذلك الأسقف الباباوى الأعمط من نفسه عندما يلبس تلك الاثواب المشفولة بالنقوش والقصب مما هو خاص بزينة النساء ، ويتقلنس بذلك التاج الهارونى المرصع بالجواهر الثمينة ، ويحمل بيده الواحدة شبه عصا هارون المفرعة مضوغة من المعادن ، وهو معتد بنفسه بأن دماغه قد امتلا وطفح من العلوم العقلية واللاهوتية ، ومع عظمتة هذه يحبل بيده الأخرى اناء ضمنية شظية نخرة من عظام أحد الموتى يدور فيها بزياج احتفالى بين المصابيح الموقدة نهارا مع دق الأجراس ، وأخيرا يسجد لهذا الأعظم البالية ويقبلها ويلتمس منها المعونة والنجاة من الأمراض والهلاك ، ويتوقع بواسطتها نوال الخلاص الأبدى .

فانظروا الى هذا الأمر العجيب .

ثم فحتم الكلام بما يقع من النفس والخذاع فى بيع هذه الذخائر ونكتفى عن جميع الحوادث بخبر واحد مما ورد عن تصرف الباباوات بأنه يوجد اعتقاد شائع عند باباوى أوربا بأن أسنان مارى انطونيوس البادوانى لها خواص الشفاء من وجع الرأس لمن يحملها فالمصابون بالصداع يفتنون ذخيرة من هذه الاسنان ، مثبتة صحتها بحجة من الطرف الأقدس الباباوى ، مصحوبة معها ، ففى مملكة الانكليز التى كانت بالسابق أشد تعصبا مما عداها بالمذهب الباباوى ، عندما زال عنها ظلام المذهب الرومانى وأشرف عليها نور الانجيل أخذ الشعب يبحث فى التعاليم الباباوية ويرفعها من بين التعاليم الانجيلية كمن يقطع الزوان من بين القمح وكان مما دخل تحت الفحص بأنهم جمعوا ذخائر أسنان مارى انطونيوس المثبتة بسندات مكتوبة من طرف البابا ، وذلك فى مملكة الانكليز وحدها فاجتمع منها ثلاثة براميل مملوة ، ومن غباوة الانجلييين وجهلهم قد افتركوا بأن البابا كان يجمع أسنان الموتى ويبيعهما على أنها من أسنان القديس المذكور ، واما ذوو العلم والتقوى من الباباويين لم يجهلوا يكون ذلك أعجوبة باباوية .

فإن السيد المسيح قد بازك الخبزات وكثرها وأما نائيه فقد كثر بيوكته
الأسنان التي تطحنها .
ونكتفى بذكر هذه القضية عن كثير من أمثالها ففساله تعالى أن يتحنن
على عبده ويزيح عن بصيرتهم برقع الظلمة البابوية ، ليروا نور الانجيل
ويرفضوا الأضاليل المهلكة »

انتهى ما كتبه المعلم ميخائيل مضافاً النصراني بحروفه .

وقال المعلم ميخائيل أيضاً في كتابه المسمى بالدليل الى طاعة الانجيل
المطبوع في بيروت سنة ١٨٦٠ في الباب الخامس منه في عباد
الأيقونات ما لفظه « ان كنيسة رومية المتأخرة ومن يجرى مجراها تستعمل
دائماً في هياكلها التماثيل والصور ، لكي تقدم لها أنواع العبادة كالتخير
وكشف الرأس واحناؤه لها وتقبيلاها وايقاد الشموع والقناديل ، وقرع
الصدور والسجود أمامها وتغطيتها بأستار مزركشة والتضرع اليها وطلب
المعونة منها التي لا ينبغي للمسيحي أن يطلبها الا من الله وحده ولا يكتفون
في غلظهم هذا ، حتى أنهم يسفهنون في صلواتهم بالشتائم وطلب الانتقام
لكل من لا يعمل هذا العمل المضاد لوصايا الله على الخط المستقيم ، ولا سيما
في الصلاة المسماة بالباركليسي الموجودة في طقس الشرقيين الروم
المفروضة اقامتها عندهم كل يوم بعد صلاة الغروب في مدة الأربعة عشر
يوماً التي يصومونها للقديسة المباركة مريم العذراء مبتدئين بها من أول
شهر « آب » وهي تتضمن طلبات وتوسلات الى طوبايتها مما يليق بالسيد
المسيح وحده ، ليس هنا محل بيانها ثم في أواسط هذه الصلاة يصرخ
المرتل بأعلى صوته قائلاً : فلتخرس شفاه الذين لا يسجدون لأيقونتك
المقدسة يا والدة الاله التي صورت من لوقا الانجيلي الكلي الطهر التي
بها اهدينا الى الأمانة المستقيمة . وهذه الألفاظ لا توجد مكتوبة رسمياً
ضمن كتب الطقس ، بل ان استعمالها عند الروم الكاثوليكين وغير
انكاثوليكين — على زعمهم — من التقليدات الغير المكتبة ، وحينئذ كل من
في الكنيسة يخر ساجدا ويقبل الارض أمام تلك الصورة المنصوبة أمام
تلك الصورة المنصوبة أمام الهيكل على مائدة مرتفعة وهي مغطاة الرأس ،
والشموع متقدة أمامها ولم يكتفوا بفضاعة غلظهم هذا فيما يصنعونه من

العبادات ، لا من خشبة مطلية بالزرنينخ والنسندرونس وبقية الألوان ولا من اعترافهم بأن هدايتهم الى الأمانة المستقيمة كانت من صورة على خشبية ، لا من الله ولا من مسيحه ولا من رسله .

بل يزيدون على ذلك افتراءهم على هذا الانجيلي المغبوط بأنه هو اصل هذا التعليم الباطل ، اذ يتهمونه أنه هو الذى اخترع الصور فى كنيسة المسيح ، مع أنه قد كتب اعمال الرسل والانجيل ولم يذكر فيها شيئا من ذلك ، وفيهم يذكر الرسول صناعته ، ويقول انه كان طبيبا لا مصورا ، واذا اعترض على الكنيسة الرومانية بأن هذه العبادة أصنامية ، نجيب اننا لا نعبد هذه الصورة عبادة مطلقة بل نكرمها بعبادة تقوية اكرامها عائدا الى عنصرها ولكونها صورة احياء المسيح فاكرامها يرجع الى المسيح نفسه ، وأما السجود بالعبادة المطلقة فلا تقدمه الا نحو خشبة الصليب التى ارتفع عليها المخلص ، ونحو تصاويره المقدسة وتساوير الآب الأزلى والروح القدس لأن عنصرها هو الله تعالى ، ونحن نسجد له سجودا للاتريا فهكذا يلزمنا أن نسجد نحو تماثيله وصوره .

نعم انهم يقولون ما ذكرناه عن السجود نحو صور القديسين ، ولكن التصرف العام فى الكنائس بخلاف ذلك لأن العامة يقدمون أنواع العبادة المطلقة نحو جميع صور القديسين بدون استثناء لا بل يوقرون صورة مريم العذراء أكثر من صورة المخلص ، وينذرون النذور لنفس صورتها وياخذون ستر رأسها ويضعونه على رعوس المرضى طلبا للشفاء ، ولا يفعلون ذلك مع صورة المخلص ، وجميع هذه الأعمال بمشاهدة القسوس والمطارنة مرشديهم ولا يوجد منهم من ينهيهم عنها .

غير أن السيد مكسيموس بطريرك الروم الكاثوليكين قد سمع منه فى بعض مخاطباته الشفاهية بعض النهى ، المتضمن أنه يجب أن يقدم السجود الاكرامى لصور القديسين ، وأما السجود العبادى المطلق فهذا يجب تقديمه لعود الصليب المقدس ، ولصور المخلص والآب الأزلى والروح القدس فقط ، وبما أن صور القديسين والملائكة تنفى عبادتها الذين صورت على أشباههم ، نترك الكلام عليها الى الباب الموضوع لذلك .

وأما الآن فننتكلم على عبادة عود الصليب وصور الثالوث الإلهي الذي هو بذلته مستحق للعبادة المطلقة ، وننظر هل يجب علينا أن نعبد هذه التماثيل كما هو واجب علينا لن نعبد الله ؟ أن الهاري تعالى قد نهانا عنها مطلقا عن اتخاذ الصور والتماثيل وعن عبادتها وعن السجود لها ولم يستثن لنا منها شيئا يجب عبادته بل أطلق التحريم عليها كما أوضح لنا ذلك بلسان موسى النبي ﷺ في الوصية الثانية من الوصايا العشر بقوله : « لا تتخذ لك صورة ولا تمثيلا كل ما في السماء من فوق وبها في الأرض من أسفل ، وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدن » (خر ٢٠) فإنا نرى هل الذين يتخذ صورهم سواء كان للثالوث الإلهي ، أم للتدبسين ، أم للملائكة لا يصدق عليهم أنهم مما في السماء أو الأرض أو الماء تحت الأرض ؟ وهل هم بمعزل عن الوجود في أحد هذه الأمكنة الثلاثة لكي يكونوا بمعزل عن دخولهم تحت جد هذه الوصية فيجوز لنا اتخاذ صورهم وتماثيلهم وتقديم لها السجود والعبادة المنوعين من الله نفسه أن يقدموا لصورة وتمثال كل ما يوجد في هذه الأمكنة الثلاثة ؟ والجواب : أنهم ضمن هذا الجسد ، فإذن لا نقدر على تقديم أنواع العبادات لصورهم وتماثيلهم بدون مخالفة أمره تعالى مخالفة صورية ، هذا ما عدا أن الهاري تعالى قد عرف بسابق عمله بسرعة فساد قلوب البشر وأنه لو ظهر علينا ليفي إسرائيل ربما كانوا يضلون ويتخذون له صورة وتمثالا ويعبدونهما ، ولذلك لم يظهر لهم ذاته البتة وقد حذرنا من ذلك بقوله : « لحفظوا بأنفسكم بحرص فانكم لم تروا شيئا يوم كلمكم الرب في حوريب من جوف النار ، لئلا تطغوا وتصنعوا لكم شبيها منحوتا أو صورة ذكر أو أنثى » (تث ٤ : ٢٣) .

ثم يكبر التجذير في الإصحاح ذاته بقوله : « فاحفظ ولا تضل أبدا ميثاق الرب الهك الذي واثقت وتصنع لك شبيها منحوتا من الأشياء التي الرب الهك منع عملها » (٤٠ : ١٨) .

وهكذا أشعيا النبي يقول : « فالآن شبهتم الله أو أي صورة تجعلون له ؟ أعمل الصانع صاغ منحوته أم الصانع صورة من

ذهب» (٤٠ : ١٨) وهو يكرر ذلك أيضا بقوله تعالى : « بين شبهتموني ويسويتوني ومثلقوني وشككتوني » (٤٦ : م) ثم ان بولس الرسول يشير الى ذلك فى رسالته الى رومية بقوله : « يواستيدلوا بجد الله للذي لا يناله فساد ، شبه صورة الانسان الفاسدة » الخ (١ : ٢٣) هذا ، وموسى النبى قد ختم الكلام فى سفر الاستثناء بقوله : « ملعون من يصنع منحوتا ومسيوكا ، فهو مرجوس عند الرب عمل ايدى الصناعات » (٧) والكتب المقدسة مشحونة من التحريمات واللعنات والتحذيرات والقواعد لكل من يعمل شيئا من هذه الأشياء .

فقد اتضح جليا من نصوص الكتب الالهية نفسها التى لم يكن فيها اذى التباس ان الله تعالى لم يحرم علينا فقط اتخاذ صور القديسين والملائكة المخلوقين منه تعالى مثلنا ، بل امرنا عاما مطلقا ان لا نتخذ شيئا ولا صورة ولا شكلا لذاته تعالى ، فمن بعد هذه النواهي الشديدة والتحريمات القاطعة ، من أين جاز للكنيسة الرومانية ومن يجرى مجراها ان تستعمل وتامر بعمل ما حرم الله تعالى عمله تحريما واضحا قاطعا لكل حجة ، الا ان تكون بعولها هذا تم نبذت وصاياه تعالى وراء ظهرها وسلبت طريق أسلافها قدام الرومانيين ، واستردت المشتري هيكل القديس بطرس حيث ملأته من التماثيل المتنوعة الأشكال حسب عادته القديمة ؟ هذا وهى تستند على ما لا يستند اليه ولا يفيد ما تزعمه ، وهو ان البارى تعالى قد أمر موسى النبى ان يصنع كاروبين فوق الغفران ، كما ورد فى سفر الخروج (٢٥) .

ولكن يا ترى هل كان البارى تعالى فى أمره هذا مبيحا لعمل قد حرمه بعد ذلك على ألسن أنبيائه كما تقدم بيانه آنفا أم بالجرى يجب علينا أن نفهم ان ذلك العمل من أصله حرام مطلق ، لاستلزامه تقديم المعبودات لغير الله لا سيما أن الأنبياء قد كتبوا بتحريمه من بعد عمل الكاروبين ؟ فلو كان الأنبياء حصلوا على درجة علوم الرومانيين بأدراك اللاهوتيات ، لكانوا يأمرؤنا أن نقدم السجود وأنواع المعبودات الى

الكواريب وبقية التماثيل ، وكفوا عن تحذيرنا من ذلك ولكن استيلاء الجبل على أهالي تلك الأعمار قد منعهم عن الوصول الى معرفة المتأخرون من علماء رومية اللاهوتيين .

ولسوء حظنا لم يعرف الرسل أكثر من أن يوضحوا لنا تحريم هذه الأعمال تحريها قاطعا مطلقا ولذلك صرنا مجبورين أن نقف عند أقوالهم لأننا عند افتراض صحة زعم كنيسة رومية بجواز اتخاذ التماثيل اعتمادا على قضية الكاروبيين ، لم نزل مجبورين على العمل بمقتضى الوصية الأخيرة ، لأن العمدة عليها لنقضها ما تقدمها نقضا صريحا ليس فيه أدنى التباس البتة ، وقط لم يأمر الله تعالى موسى أن يقدم شيئا من أنواع العبادة لهذين الكاروبيين ولا قدم لهما موسى ولا بنو اسرائيل شيئا من ذلك ، وإذا كان يجب علينا تقديم العبادة لهما لأنهما عملا لأجل آله القدس ، فحينئذ يلزمنا تقديم العبادة ليس الى الكواريب فقط ، بل الى الثيران والأسود والنخل لأن هذه الأشياء أيضا قد صنعت في بيت المقدس ولكن

هل صنعت للعبادة ؟ كلا بل للزينة والنقش كما هو واضح من الكتب المقدسة .

أولا : من سفر الملوك الثالث حيث يقول : « ونقش الكاريم والنخل بنوع زينة ظاهرة والبس النقش كله ذهبا » (٦) ثم يقول : « وصير البحر على اثني عشر ثورا » (٧) الى أن يقول : « ونقش على تلك الألواح التي من نحاس وعلى زواياها كاروبيا وأسودا ونخلا » (٢٦) .

ثانيا : من حزقيال اذ يقول : « ومنقوش في مصارع الهيكل نقش كاروبيم ونقش نخيل ، مثلما كانت منقوشة في الحيطان » (حز ٢٥) . مع ان الآباء القدماء كانوا يفهمون أن ذلك قد عمل للزينة لا للعبادة ، كما هو واضح في مؤلفاتهم ، وان كان ما فهموه لا يكون برهانا على نقض صريح النصوص الالهية الا أن ذلك يفيد العوام الذين تموه عليهم ضمة الكليروس بقولهم لهم ان هذه الأشياء قد اعتقدت بها الآباء القدماء وجبوع المسيحيين في كل زمان ومكان ، مع أن ما يزعمونه كذب محض

والذى يشجعهم على تطبيق هذه الأكاذيب أمران :
 الأول : غفلة الشعب واعتقادهم وهما بهؤلاء الأشخاص أنهم خلفاء
 الرسل ، وأنه يجب تصديقهم وتحريم مخالفتهم .
 والثانى : منع الشعب عن مطالعة الكتب المقدسة وعن الوقوف
 على كتب أصدادهم الذين يبهون الراقدين من غفلتهم ، لكى يبصروا
 الحق ، وبهذه الوسيلة قد وضعوا اللجم فى أفواه الرعية ، وركبوا على
 ظهورهم وساقوهم الى حيثما أرادوا وقبضوا بأيديهم سوطا جهنميا حتى
 كل من يرفس أو يتأخر عن السلوك فى طريقهم كما يريدون بدون أدنى
 معارضة ، يجلدونه به من غير شفقة تاديبا له وعبرة لغيره .
 فمن الشهادات المورودة من الكتب المقدسة ومن شهادات كثيرة
 غيرها لم نذكرها طلبا للاختصار يتضح جليا أن عمل هذه الأشياء إنما
 كان لأجل التنبيق والنقش فقط لا لأجل تقديم العبادة لها ، لانه لو كان
 عملها للعبادة لكان يتحقق وجود التناقض المتنع وجوده فى أوامر
 البارئ تعالى .

قيل فى سفر العدد : « قال الرب لموسى اصنع حية من نحاس واجعلها
 آية لمن تلدغه حية ، فينظر اليها فيحيا » (٢١) وهكذا صنع موسى حية
 وفى سفر الملوك الرابع يخبر عن الملك حزقيا المتقى الله أنه قطع حية
 النحاس التى عمل موسى لأن بنى اسرائيل كانوا يقدمون لها البخور (١٨)
 مع أن هذه الحية كانت تمثال المخلص كما فهمتها الآباء القدياء استنادا
 على قوله تعالى فى يوحنا : « وكما رفع موسى الحية فى البرية
 هكذا ينبغي أن يرفع ابن البشر » (٣) وكان الواضع لها موسى النبى
 الشارع الشريعة بأمر الله تعالى ومع كل ذلك لم يحتمل بتخيرها حزقيا
 الملك ، ورأى أن هذا الفعل عبادة اصنامية لأنه مقدم الى تمثال فكسرها
 حالا ولم يله أحد على ذلك ، بل مدح عليه فى العهدين القديم والجديد ،
 فاذن لم يكن لكنيسة رومية سند على الكتب المقدسة فى جواز اتخاذها
 الصور والتماثيل لأجل العبادة ، لا بل ان الكتب المقدسة تنهى وتحريم
 استعمال ذلك نهيا وتحريما عامين مطلقين وتلعن من يرتكبه .

وأما اعتمادها على التقاليد فهذا يظهر بطلانه باندني تبصر ، لأنه لو كان هذا التقليد صحيحا لكان يوجد له دليل أو اشارة أو مطابقة أو قياس من الكتب المقدسة ، أو بالأقل كان يوجد عاما في جميع الكنائس في كل زمان ومكان ، ولم يكن من يطعن عليه في الأجيال الأولى القريبة العهد ، لتسليم هذا التعليم ولا كان احتاج الأمر الى عقد مجامع يعارض بعضها بعضا في هذا المعتقد .

ولما الكتب المقدسية فليس أنها لا تثبت اتخاذ الصور وعبادتها فقط ، بل تحريم وتلعين من يفعل ذلك كما تقدم بيانه آنفا . وإذا وجدنا تقليدا ما مغايرا ليصوص لكتب المقدسة ، فهل يمكن أن يكون هذا التقليد صادقا وملتوخذا عن الذين كتبوها ؟ وهل يمكن أن الأنبياء والرسل المعصومين من الله تعالى ينهون عن الشيء ثم يفعلونه بأنفسهم ؟ وإذا كانوا يفعلون خيرا ما كتبوه ، فلربما كان الشعب يرجوهم .

ومما تقدم يظهر أنه لا يوجد لها سند راين على التقاليدات .
وأما اذا كان كنيسة رومية تعتمد بفعلها هذا على ما تقر في المجمع السابع ، فنقول :

أولا : أن المجمع المذكور لم يحدد أنه يجب تقديم العبادة المطلقة لشيء من التصاوير ، حتى ولا لصورة المخلص كما هو واضح من أعماله ، حتى أن طائفة الروم الغير الكاثوليكين مع شدة تمسكهم بتحديدات هذا المجمع وبأقوال الآباء القديسين لا يعتقدون بوجوب تقديم العبادة المطلقة نحو صورة المخلص كما تعتقد كنيسة رومية المتأخرة ، فاذن يكون استنادها على تحديد المجمع المذكور باطلا .

ثانيا : ان آباء المجمع المذكور بعيدون عن عصر الرسل وكان قد دخل على بعض الكنائس تعاليم غريبة من بعلمي الزور وكثيرون من السذج تمسكوا بعوائب غريبة إما لجهلهم وإما من غش المعلمين كما هو الحال في عصرنا هذا فلا عجب أن الذين ارتنوا تكريم الأيقونات لا عبادتها بسبب المجمع المذكور ، وقد اغتروا بأن ذلك هو تقليد حقيقي اعتمادا على وجود هذه العادة عند البعض المشوشين بسذاجتهم ، أو بعلمي

النفوس ، وهذا للجميع لم يكن محقوبا على جميع الكنائس بل على البعض منها ، ولذلك وجد كثير من لم يرفضوا بهذا للتعليم حتى ان مجمع فرانكفورت المحتوى على اكثر من ثمانمائة أسقف قد عارض هذا للتعليم ، وهذا المجمع لا يقال عنه انه صغير لأنه احتوى على أساقفة أكثر مما احتوى عليه بعض المجمع السكونية ، وهو يضاهي المجمع النيقاوي الأول . وهكذا مجمع باويس الملتئم سنة ٨٢٥ لم يقرر عبادة الأيقونات بل رفضها غير أنه لم يأذن بتكسيها ، ولهذا مما يؤكد عدم اتفاق الكنيسة على هذا الرأي ، وعدم وجود الاعتماد عليه ، ولا سيما أن اكثر الشوقيين في ذلك الوقت ، لم يقبلوا هذا التعليم .

ثالثا : لو اتفق لبس بعض الإساقفة بل العالم بأسره على قضية في مجمع عام وكان اتفاقهم هذا مخالفا لنص الكتاب المقدس ، لا يكون عليه اعتقاد بل يجب رفضه بالكلية والاعتماد على كلام الله ، واننا لا نلتفت الى الكثيرين لنزيع عن الحق لأن الله تعالى صادق وكل الناس كاذبون ، وهذه القضية قد تكلمت الكتب الالهية ضدها بنص صريح .

ولننظر الآن فيما يلزم أن يلتحق بما يصنعه عباد الأيقونات من تقديمهم لها العبادة المطلقة بسجودا للاتريا .

فالاول نقول : لكنيسة رومية ان خشبة الصليب المقدس يجب أن تقدم لها العبادة المطلقة ، لأنها قد مست جسد المسيح وهو ارتفع عليها . وهذا يلتحق به أنه يلزمنا أيضا أن نقدم العبادة المطلقة الى ذلك الحمار الذي ركبته المخلص ، فكان موضع راحته ودخوله مجدا الى اورشليم بأنه ملكها الحقيقي ، وبالتالي يلزمنا تقديم السجود نحو جميع الحمر لأنها تمثل لنا ذلك الجحش ابن الأتان بنوع حى من ذات جنسه ، هذا وأما موضوع الاكرام الحقيقي فهو ليس خشب الصليب ، بل تعليم الصليب أى موت المسيح على الصليب ، لكي ينجي العالم من الموت الأبدى ، فهذا للتعليم هو أساس ديننا ومستحق الاكرام الفائق بل القبول القلبي من كل انسان ، لأن خلاص النفس يتعلق عليه . وإذا قيل ان غسل للصليب إنما صار بسبب كونه واسطة للفداء بموت المسيح

لأجل خلاصنا ، فالذى ينتج من ذلك أن الوساطة الأولى هى الاحق بهذا ، وهو يهوذا الدافع ، لأنه لولا تسلطيه المخلص لم يكن لليهود مسكه ليصلبوه ، فهل نلتزم أن نعبد يهوذا المذكور لأنه صار السبب فى موت المخلص ؟

وإذا قيل ان السبب هو سيلان دمه الكريم على تلك الخشبية ، فالحال أن دمه الأقدس قد سال أيضا على الشوك المصفور اكليلا على رأسه ، فما بالننا نشعله بالنار ؟ وعلى حسب رأيكم كان يجب أن نعبده أيضا . فقد اتضح أن هذه العبادة لم تكن مبنية على قاعدة وثيقة لا من الكتب المقدسة ولا من التقليدات ولا من القياس على نظائرها ، ويظهر أنها من وساوس المتصرين من الوثنيين ، قد أدخلوها فى الكنيسة غشا .

ثانيا نقول : انه يجب تقديم العبادة لصور الثالوث الأقدس لكونه الاله الواحد ، فنجيب .

أولا لو فرضنا جواز ذلك لم يمكننا ان نتحقق هذه الصورة المصنوعة هل هى مطابقة لصورته تعالى أم لا ؟ فربما تكون مطابقة لصورة أحد اللصوص أو الكفار فيقع سجودنا لمن هى على شكله لأن السبب فى عبادة الصور هو لكونها تمثل الذين تصورت على أشباههم ، والا لكان يجوز لنا أن نسجد لصورة قرد مثلا ، ونعنى به عبادة توما اللاهوتى .

ثانيا : اذا كان يجب السجود لصورة الله ، فسبحانه وتعالى قد قال انه خلق الانسان على صورته ومثاله ، فلماذا لا تعلم الكنيسة الرومانية بوجود السجود العبادى المطلق لكل انسان ؟ وهكذا البابا الرومانى لماذا لا يسجد لكل الانسان يقابله بل عوضا عن ذلك يحتقر صورة الله ويمد رحله لذلك الانسان لكى يقبل حذاءه .

ثالثا : اذا قلتم انه لا يضر اجتلاف الصورة عن شكل عنصرها لأن المرجع الى ضمير الساجد انه يسجد لله الحقيقي لا لها ، فيجب أنه اذا كان الأمر هكذا فقد صار وجود الصورة عبثا ، ويكفى أن الساجدين يسجدون

الله بالروح والحق حسب أمره تعالى ويحفظون أنفسهم من الأصنام حسب تحذير يوحنا الرسول لأن عابدي الأصنام لا يعملون غير ذلك ويعرفون جيدا أن الاصنام هي صنعة أيديهم ولكنهم يعبدون الآلهة بها على أنها صورها وكما أنهم يجهلون معرفة صورها الحقيقية ، هكذا كنيسة رومية ومصورها يجهلون ذلك ، ويوحنا الانجيلي يقول : « الله لم يره أحد قط »

وان قلتم ان بعض الأنبياء قد رأوه فذلك لا يقبل .

اولا : لأن الذى كان يظهر للأنبياء هو أحد الملائكة وكانوا يسمونه الله وبرهانه واضح من الكتب المقدسة كما ورد فى سفر القضاة حيث يقول : « ولم يعد ملاك الرب يتراءى لنوح وامراته ، حينئذ لوقته فرق منوح أنه ملاك الرب ، فقال منوح لامراته بموت نموت لأننا عاينا الله » (١٣) فاتضح جليا أن الملك الذى كان يظهر للأنبياء كان يسمى الله فى بعض الأوقات .

ثانيا : لو سلمنا أن الذى رآه ذلك النبى هو صورة الله تعالى ، فمن أين نتحقق أن التماثيل التى يصورها المصورون الآن هي طبق الصورة التى ظهرت للنبى لأن المصور لم يشاهدها عيانا ، حتى يقدر أن يعمل شبيها ، واذا كان لم ير البارئ تعالى لا يمكن أن يقدر على عمل صورته كما هو ، ومتى لم تكن صورته كما هو فالسجود لها هو عين عبادة الأصنام المنهى عنها .

وليكن ما أوردناه فى هذا الباب كافيا لايضاح أن الله تعالى قد حرم اتخاذ الصور والتماثيل للسجود والعبادة ، سواء كانت على شبيهة تعالى ام على شبه غيره ، وأن الأنبياء والرسل لم يستعملوا ذلك بل نهوا عنه نهيا عاما مطلقا ، وانه فى كل وقت قد وجد فى الكنائس من يقاوم استعمالها حتى قبل المجمع السابع وبعده ، وانه اذا كان يجب السجود لصورة ما ، فقد كان يجب السجود والعبادة لكل انسان لأنه مصنوع على صورة الله تعالى ومثاله ، ولذا كان يجب عبادة الصليب يجب أيضا عبادة الحمار ويهوذا الدافع وشوك الفواب ، وان كل عبادة تتقدم لغير الله فهي عبادة اصنامية ولا فرق بينها وأن الساجدين

الله ينبغي أن يسجدوا له بالروح والحق لأن السيد له المسجد قد نفي
المسجد لغيره تعالى ثانيا عاما مطلقا بقوله : « للرب الهك تسجد ولسه
وحده تعدد » (مت ٤) والذي يتجاصر ويقول : انه مع آباء المجمع السابع
يصرخ قائلا : « فليكن محروما و ملعونا من يزعم ان تكريم الأيقونات عبادة
وثنية » أجييه اننى اصرخ مع الله وموسى النبي وسائر الأنبياء « ملعون
من يصنع منحوتا ومسبوكا فهو مرجوس عند الرب عمل ايدى الصناع
(تث ٢٧) واهتف مع بولس الرسول قائلا : « ان أتاكم ملك من السماء
وبشركم بخلاف ما بشرناكم فليكن محروما » (غل ١) انتهى بلفظه .

الى ان قال فى عبادة الملائكة والقديسين وطلب معوناتهم وشفاعتهم
ان الكنيسة الرومانية ومن يجرى مجراها قد تجاوزت الحد فى اكرام
الملائكة والقديسين حتى اتصل غلطها ليس فقط الى تقديم العبادات
الاكرامية ، بل انها تصلى وتتضرع اليهم وتطلب منهم الشفاء من الأمراض
الجسدية والروحية والحماية والصيانة من الناس ، ومن الشيطان ،
والشفاعة والمعونة حتى وخلص النفس ايضا من عذابات جهنم وتطلق
البخور وتشعل الشموع وتسجد أمام صورهم ، ونحو ذلك من الأعمال
السهجة التى لو عرفها الذى تقدم لهم لم يرتضوا بها أصلا لكونها تحط
شرفهم لأنها أحباء الله ومسيحه القدوس ، فلا يريدون أن يقدم لهم او يطلب
منهم ما يجب أن يكون تقديمه وطلبه لله تعالى ومسيحه فقط .

نعم انه يجب علينا تقديم الاكرام اللائق لملائكة الله وقديسه بألفاظ
التوقير والاحترام ، واذا كانوا على الأرض معنا فنقدم لهم لسجود
التكريمى كما يسجد الابن لأبيه والرعية لحاكمها والوطنى للغريب (١)
حسب الاستعمال منذ الأجيال القديمة ، لان هذا معلوم عند الجميع أنه
لا يتضمن شيئا من العبادة ولا يقع منه شبهة عبادة فى ضمائر الشعب ،
وأما الذى لا يجوز استعماله نحو الملائكة والقديسين هو ما يسمونه عبادة
تقوية ، ويضعون تحتها التماس المعونة والشفاعة وخلص النفس والذبح
وما أشبه ذلك من الأشياء المطلق تحريها بنصوص الكتب المقدسة لأنه

(١) هكذا فى الأصل . وفى ظنى : والغريب للوطنى .

لا يجوز تقديم السجود والعبادة لغير الله تعالى وكل ما يقتدم منها لغيره تعالى سواء كان ملاك أم لقديس أم للشمس أم للقمر أم لشيء من المخلوقات ، فهو عبادة أصنامية لأن عبادة الاصنام تشمل كل معبود غير الله تعالى ولا فرق بين هذه المعبودات ان كانت ملائكة أو خشبا أو حجارة ، فانها على حد سواء لأنها مخلوقة من الله فلا تصلح لأن يقدم لها شيء مما يخص الباري تعالى وبخده .

قال تعالى في سفر الاستغناء « ليذهبوا أو يعبدوا آلهة أخرى ويسجدوا للشمس والقمر ولكل أجناد السماء مما لم أمر به أنا » (١٧) .
ولعل المتشككين يعترضون أن التحريم كان لتركهم عبادة الله .

والجواب : أنهم كانوا يعبدون الله ويحلفون به وهكذا يعبدون جنود السماء يحلفون بها كما هو تعليم كهنة كنائس هذا العصر أن تعبد الله تعالى وتعبد أيضا مار الفونسيوس مثلا وتحلف به أو بالكنيسة المشيدة على اسمه كما تحلف بالله تعالى ، ومن كلام الله تعالى بلسان صفتيا النبي بتضح جليا أنهم كانوا يعبدون الله ويحلفون باسمه غير أنهم يزيدون على ذلك عبادة اشياء أخرى كالملائكة (صف ١) وربما كانت كهنتهم ترشدهم بتعليمها لهم أن هذه الزيادة لا تضر بل هي مرضية عنده تعالى ومقبولة لديه لكونها فضيلة تقوية كما تعلم الآن كهنة الرومانيين وأمثالها ولكن الله تعالى لم يرض من بنى اسرائيل لهذه الزيادة في العبادة وأظهر ارادته ضد ما كانوا يعلمون أولئك الكهنة الذين أهلكهم الله بغشهم واهلك الشعب المستمع لهم ولم يقبل اعتذارهم بأن كهنتهم قد أضلوهم لأنه أعظامهم كتاب شريعة ليسلكوا بموجبها ولا يحدوا عنها يمنة ولا يسرة . ولهذا حق عليهم الهلاك وأما ما يحتج به عابدو البشر والتمثيل والصور من سجود السجان لبولس وسيلا ، فهو حجة من يستند عليها (كأنه يستند) على الهواء ، وأولاد المكاتب قدس على دحض حجتهم هذه الواهية .

فأولا : أن ما فعله السجان لا يطلق عليه سجود لكونه وقع عند أقدامها من الخوف الذي اعتراه بسبب الزلزلة العظيمة التي حدثت ظانان المحبوسين قد هربوا وإذلك استل سيفه وأراد أن يقتل نفسه

كما هو واضح فى سفر الأعمال ، وإنه دخل وهو يرتعد ووقع على أقدام بولس وسبلا (١٩) .

ثانيا : اذا فرضنا أن وقوعه على أقدامهما يحسب سجودا ، فماذا ينتج من ذلك ؟ لأنه رجل وثنى لا يحرم عنده سجود مثل هذا قد اعتاد أن يسجده قدام الحجارة والأخشاب فضلا عن البشر .

وأما تقديم التضارعات والتوسلات الى القديسين لكي يخلصونا أو يشفئونا من الأمراض أو يشفئوا فينا ، فهذا يضاده الايمان والعقل من وجهين :

الأول : أن هؤلاء القديسين أموات لا يشعرون بما نطلبه منهم .

والثانى : انهم لا يقدرين على خلاصتنا ولا يجوز لنا ان نطلب ذلك منهم .

أما كونهم لا يشعرون بطلباتنا فذلك لسببين :

أولهما : عدم امتلاكهم قوة الوجود فى كل مكان لأنها مختصة بالذات الالهية وحدها .

والثانى : كونهم موتى لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعلمون ما يحدث فى الأرض لانهم بشر مثلنا .

وبرهانه واضح من الكتب المقدسة .

قال فى سفر الجامعة « والموتى ليس يعرفون شيئا من بعد » (٩) .
وأما كون هذا الطلب لا يجوز لنا أن نطلبه منهم وكونهم لا يقدرين ان يخلصوا احدا ، فلقول بولس الرسول فى رسالته الأولى الى تيموثاوس ان الله واحد والوسيط بين الله والناس واحد انسان يسوع المسيح « (٢) وقال الله بلسان حزقيال النبى « نوح ودانيال وأيوب موجودون فى وسطها حى أنا يقول الرب الاله انهم لا ينجون لا ابنا ولا بنتا بل هم ينجون أنفسهم بغيرهم » (٢٠٤) وقال فى سفر ارميا « هكذا يقول الرب : ملعون الرجل الذى يتوكل على الانسان » (١٧) فاذا كان الله تعالى قد لعن الرجل الذى يتوكل على الانسان ، فكيف نتجاسر أن نضع أنفسنا تحت هذه

اللعنة بتوكلنا على القسيسين أو الباباوات أو غيرهم لأن جميعهم من النوع
الانسانى وليس هم آلهة ؟

ثم ان هؤلاء الكهنة يموهون على الشعب بقضية تقديم الصلاة أى
الدعاء الى الملائكة والقديسين والاستشفاع بهم والتماس معونتهم بمثل
فساد يضر بونه لهم . وهو انه كما لا يمكننا الوصول الى السلطان أو الوالى
الا بالواسطة لكى نقدر على قضاء حوائجنا هكذا تلزما هذه الوساطة عند
الله تعالى لأنه أعظم من كل سلطان وبواسطتهم يقضى حوائجنا لأنه
« كما فى السماء كذلك على الأرض » فالبسطاء من الشعب يسارعون
الى تصديق قياسات مملوكة فاسدة مثل هذه مما يلقى هؤلاء الكهنة المشعبذون فى
آذانهم من غير تبصر ولا رؤية ويقبلون منهم تفاسير معوجة مثل هذه
لاعتمادهم على صدق الكهنة وتوهمهم أنهم ملتزمون أن يفهموا المعنى كما
يفسرهم لهم هؤلاء الكهنة لا سيما أنهم قد ولدوا ونشأوا على هذا المعتقد
الذى تسلموه من آبائهم ولا يتفكرون ولا يتجاسرون أن يجاوبوهم على
فساد قياسهم هذا بأن الحاكم لكونه انسانا وربما كان ظالما عديم الشفقة
لا يرحمنا وليس له محبة نحونا ، فلذلك نضطر الى اتخاذ الوساطة بيننا
وبينه من حاشيته الذين نستميلهم بالرشوة أو غيرها فنجعلهم يحبوننا أكثر
لنا وبواسطتهم نستميل قلبه الى محبتنا ، وما البارى سبحانه فلا نقدر أن
نجمعه قاسيا علينا الا أن نقع فى التجديف لأنه كلى الصلاح والرأفة
نحونا أكثر مما يتراف الأب على بنيه ولا يمكن كون القديسين محبين لنا
أكثر منه تعالى ، لكى تكون رأفتهم علينا أكثر من رأفته وهذا الاله العظيم
قد جعل وسيطنا عنده ابنه الوحيد الذى أظهر محبته لنا ببذل نفسه فداء
عنا ، فكيف يسوغ لنا أن نسلب حق وظيفة المسيح ونجعل لنا وسيطا
غيره ، وهو يقول « لا يقدر أحد أن يأتى الى الآب الا بى »

هذا وانه لا يمكننا التحقيق على أن هؤلاء القديسين جميعهم حاصلون
على السعادة ، بل ذلك بهوجب الظن والترجيح لأننا لا نعلم أفكارهم عند
موتهم ولا فى حياتهم فحكمنا بقداستهم انها هو بمقتضى ظواهرهم لأنه من
(م ٣٣ — الجواب الفسيح)

بعد انتقال الرسل الأطهار من هذا العالم لم يعد يوجد عندنا من يخبرنا عن الذين توفوا بعدهم الى أن ذهبوا بوجه التحقيق ، والكنيسة الرومانية لم تجعل فرقا بين الآباء القدماء الذين شهد المسيح ورسله بخلصهم ، والذين شهدت هي لهم بالسعادة ، وربما تكون غلطت فى ذلك ، وغلطها هذا يلتحق ضرره بالمسيحيين لأنه ربما تكون قدست واحدا لتعبده الناس ويكون هو فى جهنم ، فتكون حينئذ عبادتهم لرجل هالك . وقد ورد فى سفر الجامعة قوله : « رأيت منافقين مقبورين الذين فى حياتهم كانوا مأكثين فى مكان مقدس ، وكانوا يمدحونهم فى المدينة كأنهم أبرار » .

هذا واننا نرى الاختلاف فى ذلك بين طوائف الكاثوليكين انفسهم فان الشرقيين منهم يعتقدون مثلا بقداسة الملك قسطنطين الكبير ويطلبون شفاعته ، والرومانيين لا يقبلونه قديسا ، يقولون انه كان آريوسيا ولهذا ربما كان هالكا وهكذا المارنيون يعتقدون قداسة بطريكم الأول يوحنا مارون ، ويتخذونه شفيعا خصوصا لطائفهم ، ويطلبون شفاعته ومعونته مقدمين اليه صلواتهم وتضرعاتهم ، ويشيدون كنائس على اسمه ، وأما الرومانيون مع باقى طوائف الكاثوليكين فيعتقدون أن يوحنا مارون المذكور هو رأس بدعة المونثيليين فى جبل لبنان ، ومحكوم عليه بالهرطقة ، ومن كان هذا حاله فهو حالك فى جهنم »

ثم قال : « والآن فلنترك هذا البحث لتحقيقاتهم الباطلة وننظر فيما يقولونه نحو القديسين والملائكة فى صلواتهم بهذه الأجيال المتأخرة ، هل تركوا لنا شيئا نقوله نحو البارى تعالى ومسيحه القدوس أم اقتصروا الجميع الملائكة والقديسين ؟

فمن ذلك ما يقولونه للقديسة المباركة مريم العذراء فى صلاة نصف الليل وغيرها : « افتحى لنا باب التحنن يا والدة الاله المباركة فاننا باتكالنا عليك لا تخيب ، وبك تخلص من كل المحن لأنك أنت خلاص لجنس المسحيين يا رجاء من لا رجاء لهم ، انقذينى يا عذراء من وهاد الجحيم وخلصينى اعطينى من النار الأبدية »

ومن ذلك « هلم نسعى بحرص واجتهاد نحن الخطاة الحقرين
البائسين ونركع لها بالتوبة ساجدين ونصرخ اليها من عمق القلب » الى
ان يقول : « أيتها البتول اشف أمراض نفوسنا وطبى اوجاع اجسادنا
لكيما نمجداك يا نقىة الى سائر الأدهار »

وأما غيرها فيقال نحو القديس أرشبيش فى شباط : « ان الكنيسة
مقنيتك ككوكب عظيم يا ارشبيش ، ومستنيرة بشهاب عجائبك وصارخة
اليك خلص المكرمين بايمان لتذكارك » وكذلك لغيره مما يطول شرحه ،
ويقولون نحو الملك جبرائيل فى تموز : « أيها الناظر فى السماء مجد لله
والمناح النعمة من العلو للذين على الأرض يا غبريل زعيم الملائكة الحكيم
خادم مجد الله والعاضد الالهى ، للعالم خلص وصن الهاتفين اليك كن لنا معينا
لثلا يكون أحد علينا » ويقال نحو الملك الحارس فى التسبيحة السابعة
من قانون الملك : « عندما تزمع أن تديننى وتحاكمنى أنا المخصوم المدان
من ضميرى يا الهى وحاكمى ، فقبل تلك الدينونة افتدنى أنا عبدك الخاطيء
ولا تنسنى » .

فهذا الكلام لا يوجد مبالغة أكثر منه وكنت أظن أنه متجه نحو البارى
تعالى او نحو السيد المسيح ، وبعد مراجعة القانون المذكور من أوله الى
آخره لم أجد فيه شيئا منسوبا الى البارى تعالى أو الى السيد المسيح ،
وقد سألت عن ذلك بعض القسوس العارفين ، فأجابنى أن هذا مما يتعلق
بالملاك لأنه يصح هذا القول عليه فأخذتنى الرعدة من هذا الإفراط المهلك ،
ولذلك دوتها فى رسالتى هذه تنبيها للفاظين من الشعب المسيحى
لينظروا الى أين اتصل حد التفريط فصار من المعلوم أن الكتب المقدسة
تعلمنا بخلاف ما يعلمنا الآن بابا والبترك وقسوسها لأن
الكتاب المقدس يقول « لا تعبد ولا تسجد لغير الله » وهم يعلموننا أن نعبد
ونسجد للقسيسين والملائكة والصور والتمائيل والكتاب المقدس يخبرنا أنه
ليس لنا شفيع عند الله غير المسيح ، وهم يعلموننا بوجود ألوف من
الشفعاء والكتاب المقدس يعلمنا أنه لا يفخر الخطايا الا الله وحده ، وهم

يزعمون أن مغفرة الخطايا مفوضة لهم ، وناهيك بهذا التعليم الذى لا يوجد تجديف ضد الله أعظم منه .

ولا يسعنا أن نذكر كل تعاليمهم المضلة التى بها يضادون شريعة الله الحقيقية ويعلمون شريعة الوثنيين تحت اسم شريعة الله « انتهى كلام المعلم ميخائيل باقتصار .

وقال القس كرنيليوس قان ديك فى كتابه المسمى « كشف الأباطيل فى عبادة الصور والتماثيل » المطبوع فى بيروت سنة ١٨٧٣ مسيحية ما لفظه : « قال الله لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب الهك اله غيور افتقد ذنوب الآباء فى الإبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى وأصنع احسانا الى الوفاء من محبى وحافظى وصاياى » (خر ٣ : ٤ : ٦) فنقول ان هذه الكلمات هى جزء من الشريعة الأدبية أى وصايا الله العشر التى نطق بها تعالى من جوف النار فى مسامع شعب اسرائيل وهم قديما وحديثا قد حسبوها وصية مستقلة قائمة بذاتها وعدوها الثانية من العشر فى العدد ، وقد وافقهم على ذلك المسيحيون الأولون عموما . وهكذا أكثرهم فى أيامنا هذه خلافا لطائفة منهم التى تحسبها جزء من الوصية الأولى التى هى قوله تعالى : « لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » وبناء على ذلك قد حذفوها من بعض كتبهم الكنائسية كأنها فضلة لا حاجة الى ذكرها ولكن الأمر واضح لدى كل ذى بصيرة ، ان قوله تعالى : « لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » هو مختص بالمعبود أى أنه يدلنا على من تجب عبادته ، وقوله « لا تتخذ لك صورة » الى آخره مختص بطريق العبادة أى أنه يدلنا على كيفية عبادة ذلك المعبود الذى دلنا عليه الكلام الأول ولا يخفى ما بين الأمرين من التفاوت وذكر هذين الأمرين فى الوصايا الأدبية لا بد منه لسبب جهالة البشر بالعبادة التى بها يرتضى الله بدون إعلان منه تعالى لأننا لو كنا نعبد الله بدون هذه الوصية لربما كنا نعبده على طريقة غير مرضية له ، مما يهان به عوضا أن يكرم فيكون وجود تلك العبادة أشر من عدمها

فاذا لا وجه لزعم البعض انها بدل من الاولى أو تفسيرية لها ، وغاية الذين يحسبونها هكذا انها هي أن يدفعوا عن أنفسهم التهمة بمخالفة وصايا الله في استعمالهم الصور والتماثيل في العبادة ، ولكنهم بقولهم هذا يثبتون على أنفسهم نفس الخطية التي يريدون أن يتبرؤوا منها لأنه اذا كانت هذه الألفاظ كما يزعمون بدلا من قوله تعالى : « لا يكن لك آلهة أخرى أمامي » أو تفسيراً له ، يفتح من ذلك ان استعمال الصور والتماثيل هو بالذات اتخاذ اله آخر غير الله ، لأن التفسير لا داعي له عند الوضوح ، ولكن اذا وقعت جملة مبهمة يؤتى بعدها جملة أخرى تفسرها ، وعلى حسب زعم هؤلاء يكون قوله : « لا يكن لك آلهة أخرى أمامي » مبهما مفتقرا الى تفسير ، فيسأل وبماذا يقوم اتخاذ اله آخر غير الله ؟ فيجاب : أنه تعالى فسر مراده في ذلك بقوله « لا تصنع لك تماثلا منحوتا ولا صورة ما » الى آخره فاذا الذين يتخذون صورة أو تماثلا قد اتخذوا آلهة أخرى غير الله حسب التفسير الذي يفسرونه هم أنفسهم ، وحسب قولنا أن هذه الوصية قائمة بذاتها يكونون قد تعدوها باستعمالهم الصور والتماثيل في العبادة ، فالتعدى واقع على كلا الوجهين .

ثم اذا اعتبرنا سمو شأن العقل البشرى وامتداد قواه ومعرفته الطبيعية بالله فضلا عن معرفته الأدبية الناتجة عن النظر الى أعماله تعالى نظن أن سقوطه في عباده صنعة الأيادي أمر مستحيل ، وأنه ليس بممكن له ان ينحني امام صورة أو حجر منقوش أو يفرس شجرة فينميتها المطر ثم يأخذ منها حطباً للنار ، فيطبخ عليه طعاما ويصطلى به ، ومن البقية يأخذ لوحا أو جذعا ويركع قدامه قائلا : خلصنى أنت الهى أو اشفع فى فانك رجائى (أش ٤٤: ٩ الى ٢٠) ولكن الأمر الواقع يرينا ضرورة هذه الوصية لأن الناس قد سقطوا في العبادة منذ زمان نوح وفى عصرنا هذا لم يزل الثلثان من أهل المسكونة عبدة أصنام أسما وفعلا ، ونحو الثلثين من المسيحيين هم كذلك بالفعل ، وان لم يكونوا بالاسم ، فاذا ذكر هذه الوصية ضرورى وعوضا عن حذفها أو اخفائها يجب أن ينادى بها فى مسامع البشر بأعلى صوت . فلننظر أولا الى أصل استعمال الصور والتماثيل فى العبادة وامتداده فى العالم وذلك على سبيل الاختصار ، فنقول : الظاهر أن هذه العادة

ابتدأت بين نسل نوح بعد الطوفان بمدة وجيزة لأن الكتاب المقدس يعلمنا أنها كانت قد قويت وامتدت كثيرا فى عصر ابراهيم الذى كان قبل المسيح بنحو ألفى سنة ، فاننا نقرأ فى سفر يشوع بن نون (٢٤ : ٢) هكذا : « قال الرب اله اسرائيل اباؤكم سكنوا فى عبر النهر منذ الدهر تارح أبو ابراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى ووجد اصنام فى بيت لابان ابى ليا وراحيل امرأة يعقوب (تك ٣١ : ١٩ و ٣٠ و ٣٥ : ٢ و ٤) وفى سفر أيوب الذى كان بالقرب من عصر ابراهيم (٣١ : ٢٦ و ٢٢) نقرأ عن هذه العبادة هكذا « ان كنت قد نظرت الى النور حين ضاء أو الى القمر يسير بالبهاء وغوى قلبى سرا ، ولثم يدي فمى فهذا أيضا ثم يعرض للقضاة لأنى أكون قد جحدت الله من فوق » فمن هذه الآيات نرى أن العبادة الباطلة كانت شائعة فى تلك الأيام .

ومن بعض تقليدات اليهود بيان أنها ابتدأت بين قوم نمرود بن كوش بن نوح فى أرض الكلدانيين فى نواحي بابل لأننا نقرأ فى سفر يهوديت ص ٥ أن اسلاف ابراهيم سكنوا فى أرض الكلدانيين حتى طردهم الأهالى من هناك لأنهم لم يعبدوا آلهتهم فارتحلوا الى ما بين النهرين ، وسكنوا هناك .

فالظاهر أن عبادة الأصنام فى ذلك العصر كانت قد عظمت جدا حتى أن أصحابها اضطهدوا الذين لم يوافقوهم عليها وطردهم من بلادهم ، وكان ذلك بعد الطوفان بنحو أربعمئة سنة وكان فى أول الأمر يعبدون الأجرام السماوية الشمس والقمر والكواكب السيارة .

وطائفة منهم صنعوا لهذه الأجرام تماثيل لكى يوجهوا عبادتهم اليها متى كانت غائبة عن أبصارهم ، وآخرون كانوا يضرمون نارا يشيرون بها الى نور الشمس ويعبدونها ثيابة عن الشمس وبعد حين دعيت الأولى الطائفة الصابئة والأخرى الطائفة المجوسية ، ثم عند ما توفى بعض مشاهيرهم جعلوا لهم مواسم وأعيادا تذكرة لهم ، وبعد قليل تحولت التذكرة الى عبادة ، فانه على توالى الزمان زاد اعتبار هؤلاء الأشخاص عند قومهم شيئا فشيئا ، حتى ارتقوا الى درجة الألوهية وهكذا تكاثرت

معبودات الناس وتنوعت طرق العبادة ، وعلى حسب أقوال بعض المؤرخين القدماء كانت التماثيل فى أول الأمر بسيطة جدا مثل قائمة من الحجارة أو قطعة من الخشب أو من الحجر أو من المعادن الكريمة بدون عمل ولا نقش ولا هيئة معينة وكانت الغاية بها التذكير والتفطين فقط لأنهم لم يستطيعوا أن يتصوروا الله ولا للاجرام التى كانوا يعبدونها هيئة معلومة ثم متى أقاموا البعض من البشر آلهة كما ذكرنا ، صنعوا لهم تماثيل على هيئة بشرية وأحيانا على هيئة حيوانات متصفة ببعض صفات الاشخاص المذكورين كهيئة الأسد للشجاع وهيئة الحية للحكيم وهيئة الثعلب للمحتال ، وهلم جرا .

ولا يلزم أن تحسب قوم نمرود الذين أنشأوا هذه العبادة قوما متبريرين لأنهم كانوا يعرفون شيئا من العلوم والصنائع كما يتضح من مدنهم وأبنياتهم ، وهم الذين قسموا النجوم الى أبراج وصور ورسبوها بأسماء مختلفة كالحمل والثور والسنبلة وغير ذلك ، وقد بقى ذلك التقسيم والتسمية الى أيامنا هذه . وكذلك لا يجب الظن بأنهم عدوا فى نفس الخشب أو الحجر ولا أنهم زعموا التمثال نفس المعبود الذى قصدوا عبادته ، بل انما اعتبروا ذلك رمزا وإشارة ، أو مثل تاريخ صامت استعانوا به على عبادة عنصره ، وبالتدريج زاد عندهم اعتبار نفس التمثال أو الصورة حتى تخيلوه مسكنا أو مقرا ماديا للمعبود وتوهموا حضور ذلك المعبود بنوع خصوصى حيثما حضر التمثال أو الصورة ، ثم ان قوم نمرود الذين أنشأوا هذه العبادة فى ارض « شنعار » قويت شوكتهم ، وامتدت سيطوتهم مدة من الزمان حتى تشتتوا وتفرقوا بتبليل الألسنة وبالحرروب التى وقعت بينهم بعضهم مع بعض ، ومع طائفة من نسل سالم .

فمنهم من انتقل الى نواحي الهند ومنهم الى ارض كنعان ، ومنهم الى بلاد العرب ومصر والحبش ، ومن هذه الأماكن ارتحل قوم منهم الى آسيا الصغرى وبلاد اليونان وثرأقية وإيطالية ، ومواطن أخرى فى مجاورة البحر المتوسط ، وحيثما توجهوا أخذوا معهم آلهتهم وأقاموا عبادتهم ، وإذا نظرنا الى آلهة اليونانيين والرومانيين والمصريين القدماء ، أو الى

آلهة أهل الهند في أيامنا هذه يسهل ردها بالتسلسل الى ارض شنمان والى الأعصار القريبة من الطوفان ، ومن ثم الى مجيء المسيح لم تبقى معرفة الاله الحقيقي وعبادته الابين شعب اليهود فقط ، وهم أيضا قد التطخوا كثيرا بالعبادة الأصنامية مع وجود هذه الوصية بين أيديهم « ومع كثرة الربط التي قيدهم الله بها لكي يمنعهم عن السقوط فى هذه الرذيلة ، ولما قويت الديانة المسيحية وامتد التبشير بها فى المسكونة آمن بها كثيرون من الأمم وتركوا عبادة الأصنام كما يتضح من قول ديمتريوس صانع بيوت الفضة لأرطاميس آلهة الأفسيسيين (أع ١٩ : ٢٦) حيث يقول : « وأنتم تنظرون وتسمعون أنه ليس من افسس فقط ، بل من جميع آسيا تقريبا استمال وازاغ بولس هذا جمعا كثيرا ، قائلا : ان التى تصنع بالأيادي ليست آلهة « أ. ه.

وكهنة الأوثان فى تلك الأيام وبعدها اشتكوا من امتداد الديانة للمسيحية وتأثيرها فى الشعب ، حتى كادت هياكل الأصنام تهجر بالتمام وبقي هذا العمل على التزايد حتى آمن قسطنطين للملك ، فنفتت الأصنام من المملكة الرومانية بأسرها .

٢ - ولننظر ثانيا الى دخول استعمال الصور والتماثيل فى الديانة المسيحية ، وهل من فرق فى الحقيقة بينه وبين العبادة الوثنية ، حتى لا يحسب تعديا على هذه الوصية أن شعب اليهود قد وقعوا كثير فى العبادة الوثنية مرة بعد أخرى ، حتى أرسلهم الله الى بابل مدة سبعين سنة ، وهذا السبب شفاهم من مرضهم هذا شفاء تاما حتى لم يستطيعوا بعد ذلك أن يطبقوا نكر الأصنام فضلا عن عبادتها ، والرسل وتلاميذهم الأولون كانوا يهود أو مثل قومهم بوجه العموم كرهوا الصور والتماثيل كراهة شديدة ووعظوا تلاميذهم من الأمم أن لا يجلسوا فى بيت الوثن ولا يأكلوا مما ذبح له أع ١٥ : ٢١ و ٢٥ : ٢١ و ١٠ : ١٩ و ٢٠ و ٢٨) فبعد ما شددوا عليهم كثيرا فى اجتناب هذا العمل ، هل كان يسعهم أن يسمحوا لهم باتخاذ صور أو تماثيل . ولو كانت على اسم الله أو الملائكة أو القديسين ؟

واستمر هذا النفور الشديد من استعمال صنعة الأيادي فى العبادة حتى غلبت الديانة المسيحية على الوثنية كما تقدم ، ولكن كثيرين من الأمم المعتادين على الهياكل المزخرفة المملوءة من التماثيل ، ومن أفخر أنواع صنعة الأيادي وعلى أشكال ملابس الكهنة ورهج الزفاف واطلاق البخور ونحو ذلك لم يلتذوا بالدخول الى كنائس المسيحيين الخالية من هذه الزخارف المبهجة ، ولم يرتضوا ببساطة العبادة المقتصرة على تلاوة الانجيل واقامة الصلوة والترتيل وتناول عشية الرب .

ولأجل ارضاء هؤلاء واجتلابهم ابتدا المسيحيون فى القرن الرابع يستعملون البخور والصور فى بعض الكنائس ، ثم ازداد هذا العمل حتى أخذوا الهياكل الأصنامية كما هى وجعلوها كنائس مسيحية وغيروا أسماء التماثيل الموجودة فيها من أوضاعها الوثنية الى أوضاع مسيحية ، فالتماثيل الذى كان على اسم زفس صار على اسم بطرس ، والذى كان على اسم هرمس صار على اسم بولس ، والذى كان على اسم الزهرة صار على اسم العذراء المباركة ، وهلم جرا فهيكلك جميع الآلهة فى رومية مع تماثيلها أصبح كنيسة جميع القديسين .

ثم ان جانباً كبيراً من المسيحيين فى ذلك العصر من الاكلروس والهوام أخذوا فى مقاومة هذا العمل باجتهاد بليغ وفى سنة ٧٥٤ فى أيام الملك قسطنطين ابن لاون ، القام المجمع القسطنطينى وكان فيه ٣٣٨ أسقفا من الشرقيين والغربيين ، وبعد ستة اشهر من المفاوضات فى هذا الأمر حكم هذا المجمع بأن استعمال الصور والتماثيل فى العبادة مطلقاً مناقض للديانة المسيحية وأنه ليس الا رجوعاً الى الديانة الوثنية ، ثم بعد ذلك تجددت المنازعة والمنازعة فى الكنائس شرقاً وغرباً بين أصحاب هذا المجمع وأضدادهم ، حتى قوى حزب الأضداد ، والقام المجمع النيقاوى الثانى فى سنة ٧٨٧ بأمر الملكة ايرينا وكان فيه ٣٥٠ أسقفا من الغرب ، ولم يكن فيه ولا واحد من الشرق وبعد اجتماعهم ٨ يوماً حكموا بوجوب استعمال الصور والتماثيل ، وهكذا دخلت هذه العبادة فى الكنيسة .

غير أن اهل الغرب قبلوا الصور والتماثيل واهل الشرق قبلوا

الصور فقط ، ونفروا من التماثيل ، ولم يزل هذا الفرق بينهم الى يومنا هذا .

فهذه العادة مناقضة أولا لأوامر الرب الواضحة المكررة فى أماكن شتى من الكتاب المقدس كما فى الوصية المتقدم ذكرها وكذلك قوله تعالى فى سفر اللاويين ٢٦ : ١ « لا تصنعوا لكم أوثانا ولا تقيموا لكم تماثلا منحوتا أو نصبا ولا تجعلوا فى أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له » وفى سفر تثنية الاشرع ٤ : ٥ قيل أيضا : « فاحفظوا جدا لأنفسكم فانكم لم تتروا صورة ما يوم كلمكم الرب فى حوريب من وسط النار ، لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تماثلا ، وتصنعوا لكم منحوتا صورة مثال ما شبه ذكر أو انثى » الى آخره .

انظر أيضا نبوة أشعيا ٤٤ : ٩ الى ٢٠ « ولكن اصحاب هذه العبادة يحتجون بأن موسى صنع كروبيم فى قبة الشهادة وحية النحاس فى البرية ، أما الكروبيم فكانت داخل الحجاب حيث لا يراها أحد من الناس اصلا ، فلم تمكنهم عبادتها خر ٢٥ : ٣ الى ٢٢ و ٢٦ : ٣٣ و ٣٧ .

وهذا مسلم عند جمهور من أصحاب عبدة الصور كما ذكر فى كتاب « الجامع الكبير » تأليف لاباى اليسوعى مجلد ٨ صحيفة ١٩٣٨ حيث يقول : ان الكروبيم لم توضع للعبادة قط ، وأما حية النحاس فقد كسرها الملك حزقيا حالما ابتدؤا فى تبخيرها دون عبادتها ، وسماها قطعة نحاس ، وإذا وجبت عبادة كل ما وجد فى قبة الشهادة أو فى هيكل سليمان يجب أن نعبد تماثيل الثيران والأسود وشجرة النخل وغيرها مما وضع فى الهيكل للزينة ، وينبغى أن نذكر هنا ما كتب به البابا غريغوريوس الثانى فى هذا الشأن الى الملك لاون الأيسورى كاسر الصور ، حيث يقول : « أنت شبيه بعزيا الذى كسر تلك الحية النحاسية المقدسة التى أدخلها داود مع التابوت الى الهيكل » أ. هـ .

والحال أن عزيا هو جد ابى حزقيا الذى كسر الحية وكل من له أدنى اطلاع على العهد القديم ، يعلم أن الهيكل لم يبن فى أيام داود ، ومن هذا الكلام .

اولا : نرى شيئا من عصمة باباوات رومية ومعرفتهم بالكتب المقدسة ، فكيف استطاع عزيا أن يكسر حية النحاس بعد موته بسنين عديدة ؟ وكيف استطاع داود أن يدخلها الى بيت لم يبين بعد ؟ ومن شك في صحة هذه القصة فليراجع رسالة البابا المذكور بعينها في كتاب الجامع الكبير تأليف لاباي اليسوعي مجلد ٨ صحيفة ٦٥٨ .

ثانيا : ان هذه العادة مناقضة لعادة الكنيسة في أكثر من ثلاثة قرون باتفاق المؤرخين جميعا .

قال بعضهم ان الصور لم توجد في الكنائس مدة ثلاثة قرون ولا في البيوت أيضا . وقال آخرون انه لم تر في الكنائس صورة في الثلاثة قرون الأولى واقوال كثيرة مثل هذه .

انظر اصول الديانة المسيحية للمعلم جونيي مجلد ٤ وجه ٢٨٠ وتاريخ المعلم دانيال مجلد ٢ وجه ٧٧ وتاريخ المعلم اسكندر مجلد ١٤ وجه ٦٥٤ و ٦٥٥ ر ٦٥٦ ومصنفات المعلم أبرزمس مجلده وجه ١١٨٧ ومجلد ١١ وجه ١٧٧. وفي تصانيف ايرنيوس اسقف ليون ، وتصانيف لوسابيوس اسقف قيصرية ، وأبيفانيوس اسقف قبرس ، وأثاناثيوس وأبرونيوموس (نجد ذكر الاشياء المستعملة في طقوس المسيحيين بالتفصيل ، ولكن لا يذكرون بينها الصور ولا التماثيل أصلا ، وهذه العادة ابتدأت بين طوائف من الأراتقة مثل السيمونية والمانيكية والغنوستكية الذين صنعوا تماثيل على اسم المسيح ، وفيثاغوروس وأفلاطون .

ومن هذه الطوائف امتدت الى الكنائس الارثوذكسية وآباء الجمع النيقاوى الثانى لم يقدر رواقط أن يستندوا على شهادة أحد الآباء الذين كانوا قبل القرن الرابع ، فاحتاجوا أن يبنوا رأيهم على حكايات خرافية وقصص باطلة لا أصل لها قد اخترعها الناس في القرن السادس ، مثل حكايتهم عن الصورة التي أرسلها المسيح الى الأيجر ملك الرها التي لم يخبر عنها أحد ، ولم يسمع بها أحد في مدة ستمائة سنة بعد المسيح ، فكيف بقيت هذه الصورة العجائبية مختفية مدة ستة قرون لم يعلم أحد بوجودها الى

قرب ايام الجمع النيقاوى مع ان اوسابيوس أسقف قيصرية فى فلسطين الذى كان فى نحو سنة ٣١٥ ذكر فى تاريخ الكنيسة كتابة جرت بين المسيح والملك المذكور ، ولكن هذه الصورة لم يذكرها اصلا مع انها اولى من الكتابة بالذكر ، فالظاهر انه لم يسمع شيئا ولم يعلم بشيء عن هذه الصورة .

ولما أرسلت الملكة قسطنطيا الى هذا الأسقف طالبة منه صورة المخلص ، لكونه مقيما فى أرض فلسطين حيث تردد المخلص ، اجابها : أنه لا يجوز تصوير صورة المسيح لا لهوته ولا ناسوته ، لأن اللاهوت ليس له هيئة يتصور عليها والناسوت اللابس مجد اللاهوت لا يدل عليه بتركيب الألوان »

هذا قول اوسابيوس أحد المشاهير فى أوائل القرن الرابع وكذلك ابيفانيوس أسقف قبرص فى مروره على فلسطين وجد فى بعض الأماكن سقرا عليه صورة المخلص ، فمزقه قائلا : ان مثل هذا الأمر عيب على الشعب المسيحى ، وأما قولهم ان لوقا الانجيلى كان مصورا وأنه صور صورة العذراء المباركة ، فهذا أول من قاله رجل اسمه نيسفوروس كلستى كان فى القرن الرابع عشر ، وأما قبل ذلك ففى مدة أربعة عشر قرنا لم يسمع أحد قط ان لوقا الانجيلى كان مصور .

ثالثا : ان هذه العادة مناقضة لحكم عدة من المجامع ، منها مجمع القام فى مدينة الفيراي اندلس فى اسبانيا فى القرن الرابع ، فهذا المجمع حكم بأنه لا يجب وضع الصور فى الكنائس ، لئلا ينقاد الناس الى عبادتها وهذا حكم المجمع القسطنطينى الذى ليس لهم حق فى رفضه أكثر من غيره ، لأنه التأم بأمر ملكى مثل سائر المجامع وكان فيه من الأساقفة عدد كثير ولم تحجز حريتهم بشيء ، وان قيل ان البابا الرومانى لم يرسل اليه وكيلا ، فنجيب انه أيضا لم يرسل وكيلا الى المجمع المسكونى الثانى ولا الى الثالث . وان قيل انه لم يحضر فيه وكلاء من قبل بطاركة اسكندرية وأورشليم وأنطاكية بقول : كذلك لم يحضر أحد من الشرق فى المجمع النيقاوى الثانى ، ومجمع باريس حكم بوجوب الاحتراس من عبادة الصور على أى نوع كان .

رابعا : ان هذه العادة مناقضة لحكم عدة من الأساقفة المشهورين
كما رأينا آنفا فى ما قاله أوسابيوس وأبيفانيوس وفى سنة ٦٠١ كتب
أغريغوريوس أسقف رومية الى سربينوس أسقف مسيلا قائلا : « لا تكسر
الصور لأن هذا الاسقف كان قد كسر الصور فى كنيسته لكن ارفع الناس
من أن يقدموا لها أى نوع كان من العبادة » انظر كتاب « المجامع الكبير »
مجلد ٦ صحيفة ١٥٦ .

ثم ان الوصية الثانية تنهانا عن اتخاذ الصور وعن عبادتها وعن
السجود لها . وأصحاب هذه العبادة يحامون عن أنفسهم بقولهم ان هذه
الصور لا يقدم لها سجود اللاتريا الذى يجب تقديمه لله وحده بل يقدم
لها نوع من العبادة دون اللاتريا وقد قسموا العبادة الى ثلاثة أنواع :
لاتريا وهيرضوليا وضوليا (انظر كتاب خلاصة المجامع تأليف القس
غريولانوس الفرنسيسى وجه ٣٩١ ومنتشور البطريك مكسيموس مظلوم
المحرر فى القسطنطينية فى ١٥ نيسان سنة ١٨٤٢) فعلى قول غبطة
وقول معلمى كنيسة رومية بوجه العموم يجب تقديم اللاتريا الصورة
المخلص وللصليب .

وفى كتاب البنفكالى الرومانى قد قيل ان صليب القاصد الرومانى
يجب وضعه على اليمين لأنه يقدم له سجود لاتريا .

وفى كتاب الخدمة اليومية الرومانية وكتاب خدمة العذراء المباركة
فى الترنيمه التى يقال فى السبت الواقع قبل جمعة الآلام وفى بعض
الأوقات الأخر يقال هكذا : « السلام لك يا أيها الصليب ، الرجاء
الوحيد ، رد نعمة للأتقياء ، وهب للمذنبين مغفرة الخطايا » وفى كتاب
رتبة الزياحات يقال « أيها الصليب خلص هذا الجمهور المجتمع اليوم
لتسبيحتك ، أيها الصليب الذى أتى بالخالص للأشقياء » أ . هـ .

فماذا يمكن أن يقال لله أكثر من ذلك ؟ ولكن كهنة الرومانيين يقولون :
هذه الألفاظ باللغة اللاتينية وعامة الشعب لاتفهم ما يبررون به فى تلك
اللغة الميتة .

ثم انهم ادعوا فى القرن السادس والسابع أن بعض الصور تصورت بمجرد وضع لوح على صورة المخلص ، فانطبعت الصورة عليه ، وكثرت هذه الصور فى القرن السابع وسهوها غير مصنوعة بالأيدى وكانت تقال لها هذه التسيبحة وهى مترجمة من ترنيمة يونانية : « كيف نستطيع بالأعين الجسدية أن ننظر الى هذه الصورة التى لا تقدر الأجناد السماوية أن ننظر الى بهجتها ، الساكن فى السماء قد شاء أن يزورنا اليوم بواسطة صورته الموقرة ، ذلك الجالس على الكروبيم افتقدنا اليوم بصورة قد صورها الآب بيده الكلية الطهارة ، ونحن نقدها مسبحين لها بالخوف والمحبة » انتهى .

فقد رأينا أنه بحسب رأى عبدة الصور يجب أن تتقدم لصور المخلص وللصليب اللاتريا أى نفس العبادة التى تتقدم لله ، وقد ذكروا نوعا آخر من العبادة يجب تقديمه لصورة العذراء المباركة ، وهو دون اللاتريا قليلا ، ونوعا ثالثا يجب تقديمه لصور القديسين بوجه العموم وسمو الأول منها هييرزوليا والآخر ضوليا كما مر .

قال السيد مكسيموس فى منشوره المشار اليه آنفا « ان تعليم الكنيسة الرومانية واضح فى أن العبادة التقوية التى تتقدم للايقونات والتمائيل المقدسة ليست فى رتبة واحدة متساوية للجميع ، كلا لأنه من حيث أن هذا التكريم راجع الى العنصر الأصلى الممثل بتلك المواد المنسوبة اليه ، فبالضرورة يلزم التمييز فى هذا التكريم » أ. هـ.

ثم يستلئى ذكر أنواع العبادة الثلاثة التى ذكرناها آنفا فلنسأل عبدة الصور ، من منكم اذا ركع قدام صورة يفكر فى نفسه أولا أن هذه الصورة يجب أن أقدم لها اللاتريا أو هذه صورة قديس لا يستحق منى الا الضوليا ؟ فحاشا أن أعطيه أكثر من استحقاقه . ونسألهم ايضا على أى شئ يتوقف التمييز بين هذه الأنواع الثلاثة ؟ هل على الألفاظ التى يستعملونها ؟ كيف نسمعهم يقولون للعذراء المباركة ولبعض القديسين نفس الأقوال التى تقال لله الآب أو للرب اليسوع ، كما فى مزامير القديس

بونا ونتورا ، الذى رفع اسم الله من مزامير داود ، ووضع اسم العذراء عوضا عنه ؟ فاننا نقرأ فى مزاميره هكذا : « معظمة أنت يا سيدة ومجدة جدا فى مدينة الهنا وفى بيعة مختارية ، يا أم الهنا تشفعى فينا لأنك خلاص الملائكة والناس الى مريم صرخت فى شدتى فأجابتنى برفعتها اليك ، يا سيدة رفعت نفسى فى قضاء آلهى ، فلا أخرى ، ان معونتنا بقوة اسمك وبك تستقيم أعمالنا كلها » وعبارات أخرى كثيرة نظير هذه .

ومن هذا القبيل أيضا قول طلبة ماريوسف عند الطائفة المارونية « يا أيها القديس شريك الثالث الأقدس فى خلاص النفوس » وأعظم من ذلك ما يقال عند طائفة الروم والروم الكاثوليكين فى عيد اسبيريدونوس وهو هذا : « لقد ظهرت محاميا عن المجمع وصانعا العجائب ، يا أبانا سبيريدونوس اللابس اللاهوت »

أمهذا ضوليا أم هبأضوليا أم لاتريا ؟ وكذلك الترنيمه التى تقال عند اللاتينية فى عيد القديسة تريسا : « لك أن تخلصنى الشعوب من نار جهنم » وفى بداية كتاب خدمة العذراء المباركة نجد هذه الطلبة للثالوث الأقدس ، ولصليب ناسوت ربنا يسوع المسيح وللعذراء المباركة الدائمة البتولية ولجميع القديسين « ليكن الحمد والكرامة والثناء والمجد من كل الخليفة ولنا مغفرة جميع خطايانا الى أبد الأبدين آمين » فهنا قد وضع الثالوث الأقدس والصليب والعذراء وجميع القديسين فى منزلة واحدة ، فأين التمييز الضرورى بين اللاتريا والهبيرضوليا والضوليا ؟

وان لم يتوقف الفرق بين هذه الأنواع على الألفاظ التى ينطق بها ، فهل يتوقف على حاسيات القلب التى يشعر بها المصلى ؟ وهل يمكن لأحد من معلمى كنيسة رومية أن يرينا الحد بين اللاتريا والهبيرضوليا والضوليا حتى لا نغلط من هذه الجهة ؟ واذا استطاع المعلم الحاذق فى التمييز بين حاسيات القلوب المختلفة أن يحفظ نفسه من الخطأ فى هذه القضية اذا ركع أمام صورة ، وأن يعرف جيدا كيف ينتقل من أحد هذه الأنواع الى آخر منها ، فهل يمكن لعامة المسيحيين أن يعرفوا ذلك ؟ وهل لا يكون

الرجل البسيط فى خطر من السقوط فى الخطية بتقدمته الهير ضوليا أو اللاتريا لأحد القديسين وهو لا يستحق الا الضوليا أو بتقدمته الضوليا للعدراء المباركة ، وهى تستحق الهيرضوليا ، فيكون قد أهان شرفها بذلك وتفتاظ منه ، عوضا عن أن تسريه ؟

وإذا عرف الفرق بين هذه الأنواع أفلا يظن أحيانا أنه يزيد صلاته قبولا عند أحد القديسين بتقدمه له نوعا من العبادة أفضل مما يستحقه فيرفض ذلك القديس عبادته ، لأنها مخالفة للحق ؟ هذا وقد رأينا أن هذه العبادة أوقعت أصحابها والمحامين عنها فى أوهام واحتجاجات مشوشة يعيده عن دائرة الحكمة كما تقدم ، ولا بد أن نذكر هنا تفسير البابا غريغوريوس الثانى لقول المسيح : « حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور » قال ان الجثة هى المسيح والنسور هم رجال أتقياء طاروا الى أورشليم ، مثل النسور ، وصوروا صورة المسيح ويعقوب واستفانوس والشهداء . وهذا التفسير من البابا المدعى بالعصمة (انظر كتاب الجامع للابى اليسوعى مجلد ٨ وجه ٦٥٥ و ٧٧٠) .

ونرى أيضا أن عبادة الصور والتماثيل فى الكنائس تطابق العبادة الوثنية فى الطقوس والاحتفالات اذا قابلنا الواحدة منهما بالأخرى ، فانهم فى هياكل الأصنام يبدأون بالطقس صباحا ويكملونه فى أوائل النهار ، ومهما تأخروا فلا بد من اتمام كل شىء قبل الظهر ، وكذلك عبدة الصور يبدأون بأعظم طقسهم فى أول النهار وينتهون قبل انتصافه . وكاهن الأصنام كان يدخل الى الهيكل من باب عن جانب المذبح وهو لابس ثوبا أبيض فوقه رداء من ألوان مختلفة ثم يدور حول المذبح ويصنع عدة مطاينات ثم يقف قدامه متجها نحو الشعب ، وحول المذبح مصابيح وشموع كثيرة موقدة ولو كانت الشمس فى عنفوان اشراقها والكهنة من الرتبة الثانية والخدام يبخرون ويصنعون مطاينات كثيرة ، ومتى انتهى الطقس يصنعون الاله الذى يعبدونه فى علبة ويقفلون عليها ثم يدور الكاهن نحو الشعب قائلا : « قد تم كل شىء فامضوا » وعند خروجهم يرش عليهم الخدام ماء

ممزوجا بملح فيمضون الى سبيلهم والذبيحة التي كانوا يقدمونها لم تكن دائما من الحيوانات ، بل كانوا أحيانا كثيرة يقدمون قرصة من البرشاش ، يزعمون أنها ترفع خطايا الشعب وهذه الذبيحة رتبها الملك نوما وهو من أول ملوك الرومانيين ، وسماها الذبيحة غير الدموية وكانوا يحملون آلهتهم بزفاف وترتيل وايقاد شموع ، واطلاق بخور ، وما يشبه ذلك .

ولا يسعنا هنا أن نذكر جميع أوجه المشابهة بين عبادة الصوور والتماثيل عند الوثنيين وعبادتها عند المسيحيين ، فقد رأينا أن هذه العادة مخالفة لوصايا الله ومخالفة لكنيسة اليهود القديمة ، ومخالفة لكنيسة المسيحية في أكثر من ثلاثة قرون ومخالفة لحكم عدة من الجامع والأساقفة في القرون الأولى ، وفي القرن السادس ، وأنها شديدة المشابهة بعبادة الأوثان عند الوثنيين وأنها توقع الحامين عنها في ارتكاب أوام باطلة سخيفة تشين الجوهر العقلي وتخفض شأن النفس وتجعل صاحبها عرضة للاستهزاء وتصير المذهب المسيحي أضحوكة بين الأمم .

ترى مما تقدم شرحة : فساد الطبيعة البشرية ، فلا شك أن سام وحام ويافتك أولاد نوح عرفوا الله وعملوا أولادهم عبادته تعالى وسام عاش الى عصر ابراهيم ، فدخلت العبادة الباطلة وزادت وامتدت حتى عمت أكثر الناس في مدة حياة هذا الأب الذي كان يعلمهم خلاف ذلك لا محالة .

ولا شك أن الناس في تلك الأيام كانوا يوقرون هذا الأب كثيرا كما كان ينبغي لهم ولكن مع كل احترامه ووقاره عندهم ، لم يقدر أن يصد الطبيعة عن ميلها الشديد الى الابتعاد عن الله وعن عبادة غيره ، وهكذا فبغوا الآلهة الباعلة وعبدوا الأصنام مع وجود هذه الوصية بين أيديهم والبروق في أعينهم اتخذوا عجلا للعبادة ، وهكذا مرارا عديدة وبعد ذلك تبعوا الآلهة الباطلة وعبدوا الأصنام مع وجود هذه الوصية بين أيديهم وصوت انذار الأنبياء في مسامعهم والآيات والمعجزات تحت نظرهم ، وهكذا المسيحيون عندما انتصرت ديانتهم على الديانة الوثنية ، جمعوا الأصنام التي كانت لأمم قد تركتها وغيروا أسماءها وجددوا عبادتها .

(م ٢٤ - الجواب الفنسيح)

ولإسبب لهذا الميل إلى هذه العبادة الا فساد لطبيعة وإبتعادها عن الله حتى تفضل ما تستحسنه هي على وصيته تعالى .

نرى أيضا مما تقدم : خبث الشيطان ومكره اذ لا شك أن غاية هذا المضل انها هي نفى المعرفة بالله من العالم بأسره ، وهو قد أضل الجانب الأكبر من البشر وأعزاهم بعبادة الأصنام وأعدمهم معرفة الله تماما وأما فى الاماكن التى دخل إليها نور الانجيل فاذا لم يستطيع أن يلاشى منها المعرفة بالله اخترع طرقا لافساد عبادته تعالى ورأى الناس أنهم يعبدون الله عبادة مقبولة بسجودهم لصورة أو تمثال على اسم أقنوم من الأقانيم الثلاثة أو على اسم قديس من القديسين ، مع أنه تعالى قد أخبرنا علانية أنه لا يرضى بأن نعبد على هذه الطريقة أصلا ، ولما تلاشت مملكة الشيطان فى جانب كبير من العالم بانتشار والديانة المسيحية وهجرت هياكل الأصنام وأنحط شان الصور والتماثيل ، فبالواسطة المذكورة أقامها ثانية فى وسط الكنيسة المسيحية حتى خفض شرفها بين الطوائف الأخر وأبعدهم عن الايمان بها .

ونرى المسيحيين الذين يعبدون الصور يستحون من ذلك عند مقابلة الأمم فالطوائف الوثنية لا يقبلونها لأنهم لا يرون فيها ما يفضلها على مذهبهم والطوائف الأخر لا يقبلونها لشدة نفورهم من عبادة الأصنام ، فلنطلب من الله أن ينير عقول الجميع ويهديهم الى طاعة وصاياها الواضحة الصريحة ، فيطهرون الكنائس من الأصنام كما طهر يوشيا الهيكل من رجسائه (٢ مل ٢٣ : ٧ الى ٦) .

وبعد أن أحطت خبرا بها قاله المنصفون من النصرارى فى رد ما ادعاه عبد المسيح من جواز عبادة الصليب ، وما قدمناه لك فى ضمن الإبيات المسالفة أنه ينبغى اهانتة لا عبادته لانه قد صار اله لاهلاك الاله بزعمهم وان اللازم أن يداس ولا يباس ، تبين لك فساد زعمه وبطلان قوله ، وأن هذا شىء ترده الشرائع والعقول ، ويضاده المنقول والمعقول ، وأنه كفر صريح وعبادة وثن فعلها قبيح ، وقد شهدت أيضا ببطلانها علماء ملته والمنصفون من أهل نحلته .

وأما المسلمون والحمد لله فهم ممثلون لما ورد في التوراة ولا يعبدون
الا بالله ولا يستعينون الا بالله كما ورد في القرآن الكريم من قوله سبحانه
« اياك نعبد و اياك نستعين » ولا يعظمون تمثالا ولا صورة و يحرمون عملها
وجودها في بيوتهم و مساجدهم ولا يسجدون لغير الله سبحانه ولا يشركون
بعبادة ربهم أحدا كما في الكتاب المقدس « للرب الهك تسجد له وحده
تعبد » فانظر أيها المنصف وتدبره أنقلناه عن المليون و اتبع الحق تكن من
المؤمنين ، وخذ ما افدناك وكن من الشاكرين .

تتمة لنا كانت عبادة الصور والصليب والتماثيل من جملة عقائد
أكثر الوثنيين ما عدا فرقة البروتستانت ، وقد بينا بطلانها وأن هذه العقيدة
مخالفة للتوراة والأنجيل ، وكذا نبهناك على بطلان العشاء الرباني فيها
تقدم وبقيت مسائل أخر من الأشياء التي يسمونها الأسرار الستة أحييت
التنبه عليها أيضا اجمالا لتزيدك اطلاعا على عقائدهم .

منها الطريقة الرهبانية وعى عدم التزوج (١) قال ميخائيل مشاققة
البروتستانتى فى كتابه « البراهين » ردا على اخوانه المثلثين : « ان هذه
الطريقة اختراع شيطاني قبيح لم يكن له رسم فى الكتب المقدسة ولا فى
أجيال الكنيسة الأولى ، وهو مضر على أنفس الرهبان وعلى الشعب ،
ومن المعلوم أن الاكثريين من رسل المسيح كانوا ذوى نساء تجلن معهم ،
وأن شريعة موسى أباحت تعدد الزوجات الا أن المسيح نقصها الى واحدة ،
ومن المعلوم أيضا ان الطبيعة البشرية تفصب الانسان على استيفاء
حقها ، ومن العدل أن تستوفيه ، وليس بمحرم عليها استيفاءه حسب
الاشريعة ولا استطاعته لجميع البشر على حفظ البتولية ، ولذلك نرى

(١) ليس فى القرآن الكريم نص على وجوب أن يضاجع الرجل امرأته
فى الليل أو فى النهار بهرات معدودة . وانما النصوص التى تدل على
أن المرأة حرث للرجل ، وعلى الرجل أن يأتى امرأته من أجل الحرث فى
أى وقت يشاء من ليل أو نهار . فقد قال تعالى : « نساؤكم حرث لكم ،
فأتوا حرثكم أنى شئتم » فقد شبه المرأة بحقل يوضع فيه البذر ، والبذر

ينمو ويكبر ويفيد واضعه . وكذلك الرجل يضاجع المرأة ويضع فيها منه ، فيصير فيها بعد ذكرها يفيد ، أو أنثى تفيد . ولو أن الزارع قد أصلح الحقل وأعدّه ، ثم وضع فيه البذر ، ورآه بعينه قد طلع ونما ، فإنه في هذه الحالة لا يضع بدله بذرا ، وكذلك الحال في رجل ضاجع امرأته ، وانقطع منها دم الحيض ، واستيقن بانقطاعه أنها قد حملت ، فإنه لو ضاجعها مرة أخرى ، يكون كمن يبذر بذرا في أرض مزروعة ، لا ينوبه منها إلا خسارة الحب الذي ألقاه فيها . وهذا التشبيه الذي أورده القرآن بين المرأة والحقل ، يدل ظاهره على أن الرجل لا يضاجع امرأته إذا حملت . ولماذا يضاجعها والحرق الذي يبيغيه منها قد وضع بذرته وتأكد من صلاحية البذر في الرحم ؟

فان قال قائل : انها شهوة . وكيف يصبر الرجل عليها الى أن تضع المرأة وليدها ثم تنتهي له بعد النفاس ، وكيف تصبر المرأة ؟ يقال : وكيف صبر من الصغر الى أن تزوج ؟ وكيف صبرت هي ؟ وكيف يصبران أيام الحيض وأيام الولادة والنفاس ؟

ويقال : ان آلة التناسل قد خلقها الله وأعدّها لحفظ النسل ، ولذلك حرم الزنا وحرم اللواط والسحاق والاستمناء بأى شكل من الأشكال . فلو أن امرأة قد مات عنها زوجها ، وظلت من بعده أربعة أشهر وعشرة أيام ، أو لو أن رجلاً ماتت زوجته أو طلقت ، وهو غير قادر على مهر امرأة ، فكيف يكون الحال ؟ وكيف تقضى الشهوة ؟ أذن يمكن الصبر عليها ، والتغلب على دواعيها . وهذا هو مراد الشريعة ، الظاهر من هذا النص .

فان قال قائل : ان الله يقول : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » وهذا يدل على أن المرأة كالفاكحة ، ليست محرمة اذا ما اشتهاها . يرد عليه : بان المرأة اذا طابت للزواج بكبر سنّها ، وأنها صارت محبوبة لمن يريدّها ، وأراد الزواج منها فليتزوجها ، واذا دخل بها . فلتكن للحرق . وليس للشهوة وحدها . وعلى هذا يكون المعنى : ما طاب لكم من النساء تنكحوهن من أجل الحرق . ومثل هذا المعنى يقال في الجوارى فانهن نساء . أى اذا اشترى جارية أو استرقها في حرب ، وحسنت في

فليستبرئ رحمها ، ثم ليدخل عليها من أجل الحرث كالحرمة سواء بسواء .
ولو كانت الجارية تنكح من أجل الشهوة وحدها ، ما أمر الشارع باستبراء
رحمها اما بحيض واما بوضع حمل قبل أن يمسه سيدها .

وإذا قيل : ان الله نصح بالزواج من الحرمة ، وأباح الأمة عند الضرورة
في قوله تعالى : « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات ،
فمن ما ملكت أيمنكم من فتياتكم المؤمنات » ثم قال : « ذلك لمن خشى العنت
منكم ، وأن تصبروا خير لكم » وهذا يدل على أن الشهوة قد تضطر الرجل
الى الزوجة لثلا يزنى . يقال : انه أباح الأمة عند عدم القدرة على مهر
الحرمة والانفاق عليها ، والعنت قد يفسر بالمشقة على عدم النكاح
وهو تائق له وقد يفسر العنت بتفسيرات أخرى ، كان يكون الرجل
وحيدا يحتاج الى أنيس ، أو يحتاج الى من تخدمه فى المأكل والمشرب
والملبس ، أو يحتاج الى من تساعد فى مرض ألم به ، أو شاغل مهم
شغله ومع هذا العنت ، حث على الصبر عن آلامه ورغب فيه ، وبحثه على
الصبر فان الرجل يكون قادرا — اذا شاء — على أن يمتنع عن شهوة
النساء . وهى شهوة مقدور عليها .

ووسائل القدرة عليها كثيرة منها اداء الصلوات فى أوقاتها والمرابطة
فى سبيل الله ، وصلاة الليل ، والاستغفار ، وصلاة الضحى ، وما شابه
ذلك من أنواع العبادات والقربات الى الله عز وجل . والتقليل من الطعام
والشراب مفيد فى دفع الشهوة . لأنه ما الفائدة فى أن يأكل الرجل
كثيرا ، والأمعاء تنشغل به وتتعب فى هضمه ، الى أن يصير قوة فى
البدن ثم ينزو على المرأة ، ويفرغ على الأرض فى لحظات ما انشغلت
به الأمعاء فى ساعات طويلة ؟ وما الفائدة فى أن يتعب فى تحصيل رزقه
طوال النهار ، ثم فى لحظات يضيعه ، كأنه ما حصل شيئا ؟ ان الشريعة
لظاهر قوله « حرث لكم » لا تبيح الوطء الا فى موضع الحرث ، واذا تم
الجماع وحصل اللقاح . قليمتنع الرجل ليحفظ صحته من الضياع .

هذا اذا حبلت المرأة . وان كانت عاقرا فكيف يكون الحال ؟ لأن
حظها وحظ رجلها من الشهوة سيكون كبيرا . اذا البذر لم يوضع بعد ،
وامتناع الرجل عن اتيانها ليس عليه من دليل . وليس من نصيحة والحال

هكذا الابن يكون الرجل « حكيما » والحكمة هي وضع الشيء في موضعه .
فاذا تأكد له أن لا فائدة من الجماع تكون ، فليبتعد عنه صاحب الأذن
السليمة عن سماع اللهو ، لئلا يستعمل آلة في غير ما خلقت له .

وقد قرأت في بعض الكتب : أن صب المنى على الأرض جائز في
حال ضرورة ، كمن سافر إلى أرض بعيدة في طلب علم أو تجارة وليس
معه من زوجه . فيرتكب أخف الضررين وهما ، ضرر الزنا ، وضرر
الاستمناء على الأرض . وأخفهما ضرر الاستمناء على الأرض . لأنه
لا يؤدي إلى ظهور نسل ، وليس فيه تعدى على حرمة الغير . هذا ما قرأته .
وفي كتاب « الحلال والحرام في الإسلام » مثله .

وربما قاسوا النكاح على الطعام ، في حال الضرورة . فان الميتة
والدم ولحم الخنزير من الأطعمة الباحة في حال توقع الموت وليس من
أطعمة مباحة تسد الرق . وعند هذا القياس — الذي سيتبين فيما بعد
فساده — يقرأون قوله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا
ما اضطررتم اليه » وهذا القياس فاسد . فان الطعام اذا لم يوجد ، كان
الهلاك بسبب الجوع من الأمور المؤكدة . أما المرأة اذا لم توجد ، فان
الانصراف عن مثير الشهوة أمر ممكن . بأن لا يتخيل ما يكون من المرأة حال
الجماع ، أو اذا طرأ التفكير في اتیان الشهوة ، يصرفه
بالتفكير في أمر غيره ، أي أمر يحزن أو يفرح .
أو اذا رأى امرأة غانية ، يفض من بصره ، أو ينصرف عن سماع اللهو ،
والخوض في الباطل . كل هذا ممكن . وهو يؤدي إلى منع الشهوات .
لكن لا يمكن للجائع أن يستغنى عن طعام . ولذلك ترى الناس يموتون
من الجوع ، ويصحون من ترك الشهوات . فاذا أبيع في الأسفار
الاستمناء على أنه أخف الضررين في حال الضرورة . فليس من ضرورة
غير أن « الشيطان سول لهم وأملى لهم » وفي الحقيقة أن الاستمناء
على الأرض ضرر ، وليس هو باخف الضررين على فاعله . ذلك لأن
الذي يتعوده ما أن يفرغ من مرة الا وتحركه نفسه إلى غيرها ، خاصة
اذا كان كسولا منطويا على نفسه . فاذا فعل في اليوم أكثر من مرة ،
والزاني ربما ينتظر شهورا حتى يجد الفاسقة التي توافقه . فأين أخف

كثيرين من الأساقفة والقساوس والشمامسة لا بل من الباباوات المدعين بالعضية ، قد تكردستوا في هوة الزنا لعدم تحصنهم بالزواج الشرعى ، ومن طالع التواريخ علم أنه كان لكثير منهم عدة اولاد من الزنا ، وبعضهم كان كافرا وآريوسيا ويعقوبيا « انتهى باختصار .

وقد ذكرنا لك أيضا ما يتعلق بأمر الزواج فى محله ، فان أردته فارجع اليه ومنها وجوب اعتراف المخطئين للقسيسين بذنوبهم وغفرانهم لهم وهو شئ اخترعوه ويقال له الاعتراف السرى ولم يعرف قط فى عصر الرسل ولا علموا به ، وغاية ما ورد فى تعاليمهم وقولهم للمخطيء « تب لعل الله يغفر لك » وقد فصلنا لك ما يتعلق بهذه العقيدة من المفاصد العديدة ، فراجعها فى محلها ان أردت . ومنها وجوب اعتقاد المطهر والغفرانات ، وهو أن الكنيسة الرومانية بعد زمان الرسل بأجيال كثيرة زعمت أن أنفس المسيحيين عند مفارقتها لأبدانها ترسل الى محل هو غير جهنم ، كأنه مقطوع منها ، وهو تحت أمر البابا يدخل فيه من شاء ويخرج منه من يريد ، فى أى وقت أراد .

الضررين عند الفاعل ؟ ان هذا ضرر وذاك ضرر . والشريعة قد نهت عن الضررين معا . والعاقل من حفظ بطنه ، وحفظ فرجه .

وهذا الذى قدمته هو فى ظاهر النص الكريم « نساؤكم حرث لكم » والذين أباحوا من العلماء الجماع فى قبل المرأة فى أى وقت غير وقت الحيض والنفاس وشبههما ، استدلوا بأن المراد من آية الحرث هو منع انيان المرأة من الدبر . وقد استيقنوا بأن هذا هو المراد من قوله تعالى : « أتاتون الذكران من العالمين ، وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم » ؟ فانهم كانوا يأتون الذكور فى أى وقت ، لأن الشهوة تأتى فى أى وقت ، فنهاهم عن الذكور الى النساء ، وليس الغرض من النهى استبدال مكان بمكان ، بل الغرض : هو ترك الذكر مطلقا والاتفات الى الأنثى التى خلقها الله لتكون سكنا للذكر ، ولتكون موضع حرثه لبقاء نسله ، وتخليد ذكره .

هذا هو الخلاف فى هذا الموضوع . وقد ذكرنا الرايين بأدلتها من القرآن . وهو موضوع جدير بالدراسة والبحث .

وهذا الاطلاق قد يكون بالايمان وقد يكون مجاناً بالامتنان .
وما كان منه بالثمن فهو على وجهين اما بموجب تذكرة غفران من
البابا مطبوعة أو مختومة من وكيله فيعتق بها ذلك المعذب من سجنه ،
ويدخل بواسطتها الى السماء حينما تدفع ورثته ثمنها ، واما بموجب
قداسات تعلمها القسوس بالثمن عن نفس ذلك الميت ، وحينئذ يخلص ،
وأما الفقراء الذين ليس لهم مال فتفرض القسوس على المعترفين بخطاياهم
أن يقدموا شيئاً من الدراهم بدل أنفسهم هؤلاء المساكين الذين يسمونهم
المنقطعين أو يعملون فى الكنائس ما يسمونه نصيباً روحانياً ، وهو نوع
من القمار أو صور آخر وتفصيلها فى كتاب « الدليل الى طاعة الانجيل »
ليخائيل المذكور ، وهى صورة كالحة تضحك الأطفال .

ومنها عصمة البابا وأنه مثل المسيح وأنه لا يخطئ ، مع أن المسيح
— كما فى الانجيل — لما قال له رجل : يا صالح قال له : « لم تدعونى
صالحاً ؟ لا صالح الا الله »

ومنها أن البابا هو القاضى الأعلى للحكم على معانى الكتب المقدسة
فلذا لا يبيحون قراءة الانجيل لكل أحد ، حتى تكون النصارى فى عمام
لثلا يعرفوا شيئاً من الدين الا ما يقوله قسيسهم لهم ، ويكون لهم السلطان
الكامل عليهم .

ومنها اعتقادهم أن الولادة الثانية يحصل عليها الانسان بالعمودية
بالماء ، وأن هذا الماء هو الذى يصدر نعمة الروح القدس بتلاوة المعبد
صورة الكلام الذى قاله المسيح لتلاميذه كما فى انجيل متى : « اذهبوا
الآن وتلمذوا كل الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح والقدس »
مع سكب الماء على رأس المتعمد أو تغطيسه فيه — على خلاف بينهم —
والبروتستنت أيضاً تخالفهم فى هذه العقيدة فعندهم — كما قالوا — أن
الولادة الثانية هى تجديد القلب المقترب بالايمان لأن التغطيس فى الماء
مع عدم تجديد القلب والايمان الصادق لا يفيد شيئاً البتة .

ولنختم هذه القصة بما في « تاريخ البيعة » المطبوع بالعربية في مدينة رومية : « انه في سنة ١٢٦٧ م أهدى البابا أوبانوس ليوحنا الملك شمعنة عسليمة مباركة وكان مكتوبا بالشعر حولها وكان لتلك الشمعة قوة في النجاة من الموت الفجائي ، ومن حريق النار ومن غريق الماء ومن تجارب الشياطين ، ومن السقوط في الخطايا وكانت تمحو وتغفر الخطايا العرضية ، كما كتبه البابا المذكور للملك المسطور » فقس على هذه الفعلة العجيبة أفعال البابا المعصوم وقبول أقواله عند كل مسيحي محروم ، وكم لكم لهم مثل هذه الأفعال والأقوال ، مما لو نقلناه لاورثت الملل فاعتبر الكثير على القليل ، والله الهادي الى سواء السبيل .

قال القسراى : « وأما قولك أنك استغفرت على من النار ورضيت على ما رضيته لنفسك ، فهذا القول يجب شكرك على ظاهره ، وإذا عكست قولى لك فيه وجب شكرى عليك فى باطنه ، فهيمز أعزك الله هذا الموضع وانفهمه ، فإنه أصلح فى البدء والعاقبة وما شرط الكلام الذى لا نفع فيه ولا خير ؟ وكيف أقول وأنت تسأل وتتضرع الى الله كل يوم فى صلواتك الخمس قائلا : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ؟ فان كنت يرحمك الله مهتديا فقد استغفرت عن المسألة والتضرع فى كل وقت ، وعند فاتحة كل صلاة أن يهديك إذ لا معنى لطلبك الهداية ، وأنت مستغف عنها ، وان كنت لم تهتد بعد وكنت طالب الهداية فاعلمنى أكرمك الله من هم هؤلاء المنعم عليهم الذين تسأل ربك تبارك اسمه ليلا ونهارا أن يهديك الى صراط ويلحقك بهم ؟ وأنت تدعى أنكم خير أمة أخرجت للناس ، وأن الدين عند الله الدين الذى رضيته أنت لنفسك ، وأنه لم يقبل غيره من الأديان والنحل ، هم المجوس عبدة الشمس والنار ذووا الشرائع النجسة التى تبيح نكاح الأمهات والأخوات والبنات وما شا كل ذلك من المسنن الخنيسة التى تانفها النفوس وتستشنعها بالعقو وتنفرو منا الطبايع فانت تعلم وكل ذى خبرة أيضا أن هؤلاء لم ينعم عليهم بالمعرفة النامة ، إذ هم لا يوحدون بل يشركون مع الله سبحانه وتعالى معبودهم ابليس فليست المجوس اذن المنعم عليهم فأخبرنى هل هم اليهود الذين تبرأ صاحبك منهم وقال كتابك فيهم أنهم هم المغضوب عليهم المرذولون المشتتون بين الأمم الملقى عليهم الذل والمسكنة ومنهم القردة والخنازير الملعونون على لسان كل نبى ورسول فليست اليهود اذن المنعم عليهم الذين تسأل أن نهدي الى صراطهم ما صراطهم بمستقيم وأن قلت عبدة الملات والعزى ويفوت ويعوق وكثرى وشمس وجهار وهبل ونسر وسواع وود وأسان وئانلة وذى الكفين ومناة وسعد وذى الخاصة وسائر الاصنام التى كانت العرب تعبدها بمكة وتهامة فهذا كتابك ينقض عليك قولك ويدحض حجتك من قرب قائلا « ووجدك ضالا فهدى » فالضالون اذن هم عبدة الأوثان إذ قال « وجدك ضالا فهدى » لأن صاحبك لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا مجوسيا وانما كان حنيفايعبه

الاسنان ونائلة الصنمين اللذين كانت قريش تعبدهما والأحابيش فلما من الله عليه بمعرفة التوحيد بالسبب الذى ذكرناه سالفا سال ربه أن يعيذه من صراط الضالين الذين هم عبده الأصنام فإن ادعيت وقلت أن صراط الدهرية والجهرانية والسمانية والبراهمة وغيرهم ممن اشبههم فى المقالة واعتقاد الزنادقة هو الصراط المستقيم ، وهم المنعم عليهم قلنا لك هذه المقالات أنت تعلموكل ذى عقل وعلم أن صاحبك لم يسمع بها قط ولا عرفها ولا حضر المجالس التى يجاوب فيها عنها بل تعوذ منهم ومن صراطهم واذ قد تعونت من صراط الجوس وصرات اليهود المفضوب عليهم وصرات عبدة الاصنام اللذين هم الضالون ولم يخطر ببالك صراط الدهرية والجهرانية والسمانية والبراهمة فما بقى الا صراط المنعم عليهم اللذين هم التصارى وهو الصراط المستقيم وهداية رب العالمين المنعم بالمعرفة الكاملة بالله وكلمته وروحة عز وجل وبالسنن الحسنة والشرائع الروحانية وما قلت لصالحك الله شيئا لا تفهمه وانما ذكرتك ما تعلمه والا فهل تقدران تجحدنا حقنا هذا الذى فى ايدينا ولنا من النعمة التى اوتيناها وهو نور الأنجيل وهدايتة ما اقر لنا به صاحبك فى كتابه ولم يذكره وجميع الأديان والامم مقرون مذعنون لنا به لا يتنها لهم دفعة ولا يمكن لهم ابطاله فامعن يرحمك الله النظر فى هذا الفصل من كتابنا وردد فكرك فيه كنفعل من يريد نصح نفسه لا كنفعل من يريد غشها فان النصيحة واجبة على الناس جميعا وهى على المرء لنفسه خاصة حق والحق حق ينزع فلا ينبغى أن تبخس الحق حقة ارشدك الله الى الخير وهداك الى الصراط المستقيم بحولة وقوته انتهى .

اقول اعلم أن هذه الاية التى ذكرها النصرانى هى من سورة الفاتحة التى نقرأها فى كل صلاة كما أن النصرانى يقرؤن فى كل صلاة اعطنا خبزنا الكمات الاتى ذكرها اخر البحث ان شاء الله تعالى ولنذكر تفسير جميع كلماتها على وجه الاجمال لنرى الفرق بين الصلاة الخبزية النصرانية وبين الفاتحة المشتملة على الثناء وعلى الله عز وجل والتعبد بامرته ونهيه ، وبيان وعده ووعيده وانها هى الواقية الكافية والسبع المثنى ، الشافية الحاوية لعلوم

تعجز عن حصرها الأقلام وتكل عما فيها من دقائق المعانى أفكار العلماء الأعلام قال الله تعالى فى كتابة العظيم المنزل على نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم بسم الله الرحمن الرحيم هى على القول المشهور من خواص هذه الأمة المحمدية لما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يأمر بكتابة باسمك اللهم الى أن نزل « باسم الله مجراها » فأمر بكتابة باسم الله ، حتى نزل « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى » فأمر بكتابة بسم الله الرحمن الى أن نزلت آية « انه من سليمان وانه الله الرحمن الرحيم » فأمر بكتابتها .

وقيل أن الله تعالى افتتح بها كل كتاب . والباء للاستعانة والمصاحبة ، والمراد التبرك باسم الله تعالى وفى الاستعانة تلميح من أول وهلة الى اسقاط الحول والقوة ونفى استقلال قدرة العباد وتأثيرها ، وهو استفتاح لباب الرحمة ، وظفر يكثر لا حول ولا قوة الا بالله . ومتعلق الجار والمجرور محذوف أى اتلو وأبتدىء أو ابتدئى ، والاسم هو اللفظ الدال على المسمى وقد يطلق عين المسمى على نفس الذات والحقيقة والوجود والعين وهى أسماء مترادفة فالاسم اذ ذاك والله علم عربى مرتجل جامد عند الأكثر خلص لذات واجب الوجود تفرد به البارى سبحانه ، بحيث لم يطلق على غيره ولا يشركه فيه أحد .

وقيل مشتق من اله بمعنى مألوه أى معبود ، وقيل من اله كفرح اذا تحير لتحير العقول فى كنه ذاته وصفاته ، وثبت فى الحديث الصحيح « أن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » وقال تعالى : « والله الأسماء الحسنى فادعوه بها » « والرحمن الرحيم » المشهور أنهما صفتان مشبهتان بنيتا لامادة البالغة .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : هما اسمان أحدهما أرق من الآخر وقيل معناهما ذو الرحمة جمع بينهما للتأكيد ، والرحمة ارادة الخير والاحسان لأهله . وقيل ترك عقوبة من يستحق العقاب ، واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الأول صفة ذات ، وعلى الثانى صفة فعل ، وأسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التى هى أعمال دون

المبادئ التى هى انفعالات ، وافرادا الوصفين الشريفين بالذكر
لتحريك سلسلة الرحمة .

وقد ورد فى انجيل لوقا اطلاق لفظ الرحيم عليه تعالى فى الاصحاح
السادس منه ما لفظه : « فكونوا رحماء كما هو رحيم أبوكم » ا. هـ .

ولما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بالبسملة وهى نوع الحمد ناسب
أن يردنها بالحمد الكلى الجامع لجميع أفرادها البالغ أقصى درجات الكمال ،
فقال جل شأنه : « الحمد لله رب العالمين » والحمد على المشهور : هو
الثناء باللسان على الجميل ، سواء تعلق بالفضائل أم بالفواضل .

وقال ابن جرير : الحمد ثناء أثنى به سبحانه على نفسه وفى ضمنه
بُهر عبادته أن يثنوا عليه ، فكأنه قال قولوا الحمد لله ، ثم رجح اتحاد الحمد
والشكر . وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : الحمد لله
كلمة الشكر ، وقال عليه الصلاة والسلام « اذا قلت الحمد لله رب العالمين ،
فقد شكرت الله تعالى فزادك » وآل فى الحمد للاستفراق أو الجنس ،
والرب اسم من اسماء الله تعالى ولا يقل عندنا أعنى المسلمين فى غيره
تعالى الا بالاضافة كرب الدار مثلا وهو فى الأصل مصدر بمعنى التربية ،
وهى تبليغ الشيء لى كماله بحسب استعداده الأزلى شيئا فشيئا ،
وكانها من ربى الصغير كعلا اذا نشأ فعدى بالتضعيف ووصف به للمبالغة
الحقيقية أو الصورية فيكون مجازا .

وقيل هو صفة مشبهة ، وقيل اسم فاعل وأصله راب فحذفت الفه
كما قالوا رجل بار ويطلق أيضا على الخالق والسيد والملك والمنعم والمصلح
والمعبود والصاحب ، وحمله الزمخشري هنا على معنى المالك . والعالمين
قيل جمع عالم وهو كالتام اسم لما يعلم به الخالق تعالى شأنه ، وهو
كل ما سواه من الجواهر والأعراض ويطلق على مجموع الأجناس وهو
الشائع كما يطلق على واحد منها فصاعدا ، فكأنه اسم للقدر المشترك .
وقال ابن عباس — رضى الله عنه — العالمون هم الجن والانس .
وقيل اسم جمع عالم بالفتح وليس جمعا له لأن العالم عام فى العقلاء
وغيرهم ، والعالمين مختص بالعقلاء والخاص لا يكون جمعا لما هو أعم
منه . وذهب كثير الى أنه جمع عالم حقيقية الجمع .

« مالك يوم الدين » أي وقت الحساب والجزاء للخلائق وهو يوم القيامة ، يدينهم بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر ، الامن عفى عنه ، فلا يملك أحد معه تعالى في ذلك اليوم حكما كملكهم في الدنيا ، ولا يدعى أحد هينالك شيئا ولا يتكلم أحد الا باذنه ، والدين الجزاء يقال كما تدين تدان . وقال تعالى : « وما أدراك ما يوم الدين » يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله » وفي الحديث « البر لا يبلى والاثم لا ينسى والديان لا يموت فكن كما شئت » وفي هذه الآية من الفاتحة اثبات المعاد كما أن فيما سبق توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية في قوله تعالى : « اياك نعبد و اياك نستعين » أي نخصك بالعبادة ولا نعبد غيرك ونوحدك ونطيعك خاضعين لك ، ومنك لا من غيرك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا . والعبادة أعلى مراتب الخضوع ولا يجوز شرعا ولا عقلا فعلها الا لله تعالى لأنه المستحق لذلك لكونه موليا لأعظم النعم من الحياة والوجود وتوابعهما ، ولذلك يحرم السجود لغيره سبحانه لانه وضع أشرف الاعضاء على أهون الأشياء وهو التراب ، وموطىء الاقدام والنعال غاية الخضوع ، وتستعمل بمعنى الطاعة وبمعنى الدعاء وبمعنى التوحيد ومنه قوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » وكلها متقاربة المعنى .

وذكر بعض المحققين أن لها ثلاث درجات ، لأنه اما ان يعبد الله رغبة في ثوابه ورهبة من عقابه ، ويختص باسم الزاهد حيث يعرض عن متابعة الدنيا وطيباتها طمعا فيما هو أدوم وأشرف ، وهذه مرتبة نازلة عند أهل الله وتسمى عبادة ، واما أن يعبد الله تعالى تشرفا بعبادته أو لقبوله لتكاليفه أو بالانتساب اليه ، وهذه مرتبة متوسطة ، وتسمى بالمعبودية ، واما أن يعبد الله تعالى لاستحقاقه الذاتي من غير نظر الى نفسه بوجه من الوجوه لا يقتضيه الا الخضوع والذلة ، وهذه أعلى الدرجات وتسمى بالعبودية ، واليه الاشارة بقول المصلى : أصلى الله تعالى فانه لو قال : أصلى لثوابه تعالى مثلا أو للتشرف بعبادته فسدت صلاته .

وفي هذه الآية ابطال الجبر والتدر معا ، ووجه الاستدلال : أن « اياك

نعبد « مشير إلى صدور الفعل من العباد ، وذلك يستدعي قدرة يكون بها الإيجاد ، ومن لا قدره له أو له قدرة لا مدخل لها في الإيجاد ، لا يقال أوجدو « أياك نستعين » يدل على نفى الاستقلال فيه ، وأنه باذن الله تعالى وإعانتة كما يشير إليه لا حول ولا قوة الا بالله . وهذا هو اللبن السائغ الذى يخرج من بين فرث ودم فلا جبر ولا تفويض ، ولولا خشية الخروج مما نحن بصدده ، لاستوفينا الكلام فى هذه المسألة التى حيرت أفهام الأنام :

ولو كان هذا موضع القول لاشتفى فؤادى . ولكن للمقال مواضع ولنذكر لك فوائده :

الأولى : فى سر قوله « نعبد » دون أعبد ، فقد قيل هو الإشارة الى حال العبد كأنه يقول الهى ما بلغت عبادتى الى حيث أذكرها وحدها لأنها ممزوجة بالتقصير ولكن أخطأها بعبادة جميع العابدين ، وأذكر الكل بعبارة واحدة حتى لا يلزم تفريق الصفقة ، وقيل لو قال اياك أعبد لكان ذلك بمعنى أنا العابد ، ولما قال « اياك نعبد » كان المعنى انى واحد من عبيدك وفرق بين الأمرين ، وسيأتيك فى كلام العلامة « ابن القيم » ما يزيدك وضوحا فى هذا المقام .

الثانية : فى سر تكرار « اياك » فقيل التنصيص على طلب العون منه تعالى فانه لو قال اياك نعبد ونستعين لا حتمل أن يكون اخبارا بطلب المعونة من غير أن يعين ممن يطلب . وقيل لأنه لو اقتصر على واحد ربما توهم أنه لا يتقرب الى الله تعالى بالجمع بينهما والواقع خلافه . وقيل انه جمع بينهما للتأكيد وقيل أنه تعليم منا فى تجديد ذكره تعالى عند كل حاجة .

وقال الوالد نور الله تعالى مراده ان التكرار للاشعار أن حيثية تعلق العبادة به تعالى غير حيثية تعلق طلب الاستعانة منه سبحانه ، ولو قال اياك نعبد ونستعين لتوهم أن الحيثية واحدة ، والشأن ليس كذلك ، إذ لا بد فى طلب الاعانة من توسط صفة ولا كذلك فى العبادة ، فلا اختلاف التعلق أعاد المفعول ليشير بها اليه .

الثالثة : انما قدمت العبادة على الاستعانة لتوافق رعوس الآى ولكون الأولى وسيلة الى الثانية .

الرابعة : انما عدل من الغيبة الى الخطاب للتفنن فى الكلام والعدول من أسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع ، وفيه الترقى من البرهان الى العيان ، والانتقال من الغيبة الى الشهود ، ومن المعقول الى المحسوس .

وقيل لما شرح الله صدر عبده وأفاض على قلبه وقاله نور الايمان والاسلام من عنده ترقى فى بذريعة الحمد المستجلب لمزيد النعم الى رتبة الاحسان ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك ، مع أن العرب يستكثرون من الالتفات فى كلامهم لفوائد تستدعيه ويرون الكلام اذا انتقل من أسلوب الى أسلوب آخر كان أدخل فى القبول وأذ للقلوب وأكثر ايقاظا كما تقور فى علم المعانى .

ثم قال تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم » الى آخر السورة وحيث أن عبد المسيح قد اعترض على هذه الآيات البيئات ، فلنذكر ما قاله العلامة الحافظ ابن القيم فى كتابه « بدائع الفوائد » مما يتعلق بجوابه على وجه الاقتصار ومنه ينقشع ظلام الليل ويتبين لكل ذى عينين ضياء النهار .

فقد قال فيه : « ان فى قوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم » الآيات عشرين مسألة احداها ما فائدة البدل فى الدعاء والداعى مخاطب لمن لا يحتاج الى البيان والبذل يقصد به بيان الاسم الأول ؟ الثانية : ما فائدة تعريف الصراط المستقيم باللام ؟ وهلا اخبر عنه بمجرد اللفظ دونها كما قال تعالى : « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » ؟ الثالثة : ما معنى الصراط ؟ ومن أى شىء اشتقاقه ؟ ولم جاء على وزن فعال ؟ ولم ذكر فى أكثر المواضع فى القرآن بهذا اللفظ وفى سورة الاحقاف ذكر بلفظ الطريق فقال « يهدى الى الحق والى طريق مستقيم » ؟ الرابعة : ما الحكمة فى اضافته الى قوله تعالى « الذين انعمت عليهم » بهذا اللفظ ولم يذكرهم بخصوصهم فيقول صراط النبيين والصديقين ؟ فلم عدل الى لفظ

عليهم دون المفسر ؟ الخامسة ما الحكمة في التعبير عنهم بلفظ الذين مع صلتها دون ان يقال المنعم عليهم وهو أخص كما قال « المغضوب عليهم » ؟ وما الفرق السادسة : ولم فرق بين المنعم عليهم والمغضوب عليهم فقال في أهل النعمة « الذين أنعمت عليهم » وفي أهل الغضب « المغضوب عليهم » بحذف الفاعل ؟ السابعة : لم قال « أهدنا الصراط » فعدى الفعل بنفسه ولم يعد بالي كما قال سبحانه « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » وقال « واجتبناهم وهديناهم الى صراط مستقيم » الثامنة : ان قوله تعالى « الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم » يقتضى ان نعمته مخصصة بالأولين دون المغضوب عليهم والضالين ، وهذا حجة لمن ذهب الى انه لانعمة له على كافر فهل هذا استدلال صحيح أم لا ؟ التاسعة ان يقال لم وصفهم بلفظ غير ، وهلا قل لا المغضوب عليهم كما قال ولا الضالين ؟ وهذا كما تقول مررت بزيد لا عمرو .

العاشرة : كيف جرت صفة على الموصول وهي لا تعرف بالاضافة وليس المحل محل عطف بيان ، اذ بابه الاعلام ولا محل ابدال ، اذ المقصود في باب البديل هو الثانى والأول قوطئة وفي باب الصفات المقصود الأول والثانى بيان ، وهذا شأن هذا الموضع ، فان المقصود ذكر النعم عليهم ووصفهم بمغايرتهم فريقي الغضب والضلال .

الحادية عشر : اذا ثبت ذلك في البديل ، فالصراط المستقيم مقصود للاخبار عنه بذلك ، وليس في نية الطرح ، فكيف جاء صراط الذين أنعمت عليهم بدلا منه ؟ وما فائدة البديل هنا ؟ الثانية عشر : أنه قد ثبت في الحديث الذى رواه الترمذى والامام أحمد وأبو حاتم تفسير المغضوب عليهم بانهم اليهود ، والنصارى بأنهم الضالون ، فما وجه هذا التقسيم والاختصاص ، وكل من الطائفتين ضال مغضوب عليهم ؟ الثالثة عشر : لم قدم المغضوب عليهم في اللفظ على الضالين ؟ الرابعة عشر : لم أتى في أهل الغضب بصيغة مفعول المأخوذة من فعل ، ولم يأت في الضلال بذلك فيقال المضلين ، بل أتى فيهم بصيغة فاعل المأخوذة من فعل ؟ الخامسة عشر ما فائدة العطف بلا هنا ، ولو قيل المغضوب عليهم والضالين لم يخل الكلام (م ٣٥ — الجواب الفسيح)

وكان أوجز ؟ السادسة عشر : إذ قد عطف بها ، فباب العطف بابها مع الواو والنفي ، نحو ما قام زيد ولا عمر ، وكقوله تعالى : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون » الى قوله سبحانه « ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم » وأما بدون الواو فبابها الايجاب نحو مررت بزيد لا عمرو .

فهذه ست عشر مسألة في ذلك السابعة عشر : هل الهداية هنا هداية التعريف والبيان أو هداية التوفيق والالهام ؟ الثامنة : عشر كل مؤمن مأمور بهذا الدعاء أمرا لازما لا يقوم غيره مقامة ولا بد منه ، وهذا انما يسأله في الصلاة بعد هدايته ، فما وجه السؤال لأمر حاصل ؟ وكيف يطلب تحصيل الخاصل ؟ التاسعة عشر : ما فائدة الاتيان بضمير الجمع في « اهدنا » والداعي يسأل ربه لنفسه وخارجها لا يليق به ضمير الجمع ؟ ولهذا يقول رب اغفر لي وارحمني وتب علي .

العشرون : ما حقيقة الصراط المستقيم الذي يتصوره العبد وقت سؤاله ؟ فهذه أربع مسائل حقها أن تقدم أولا ، ولكن جن الكلام اليها بعد ترتيب المسائل السادسة عشر .

فالجواب بعون الله تعالى وتعليمه : فانه لا علم لأحد من عباده الا ما علمه ولا قوة له الا باعانتة .

أما المسألة الأولى : وهي فائدة البدل في الدعاء أن الآية وردت في معرض التعليم للعباد الدعاء ، وحق الداعي أن يستشعر عند دعائه ما يجب عليه اعتقاده مما لا يتم الايمان الا به ، إذ الدعاء مخ العبادة ، والمخ لا يكون الا في عظم والعظم لا يكون الا في لحم ودم ، فاذا وجب احضار معتقدات الايمان عند الدعاء ، ووجب أن يكون المطلب ممزوجا باثناء فمن ثم لفظ الطلب للهداية والرغبة فيها مشوبا بالخير تصريحاً من الداعي بمعتقده وتوسلا منه بذلك الاعتقاد الصحيح الى ربه فكان متوسلا اليه بأيمانه واعتقاده أن صراط الحق هو الصراط المستقيم أنه صراط الذين اختصهم بنعمته وحياهم بكرامته ، فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم « والمخالفون للحق يزعمون انهم على الصراط المستقيم أيضا ، والداعي يجب عليه اعتقاد خلافهم

واظهار الحق الذى فى نفسه ، فلذلك أبدل وبين لهم ليمرن اللسان على اعتقاد الجنان ، ففى ضمن هذا الدعاء المهم الاخبار بفائدتين جليليتين احدهما فائدة الخبر والثانية فائدة لازم الخبر ، فأما فائدة الخبر فهى الاخبار عنه بالاستقامة ، وأنه الصراط الذى نصبه لأهل نعمته وكرامته .
وأما فائدة لازم الخبر فإقرار الداعى بذلك وتصديقه وتوسله بهذا الإقرار الى ربه سبحانه . فهذه أربع فوائد : الدعاء بالهداية اليه ، والخبر عنه بذلك ، والإقرار والتصديق بشأنه ، والتوسل الى المدعو اليه بهذا التصديق وفيه فائدة خامسة : وهى أن الداعى انما أمر بذلك لحاجته اليه وان سعادته وفلاحه لا يتم الا به ، وهو مأمور بتدبير ما يطلب وتصور معناه ، فذكر له من أوصافه ما اذا تصور فى خلدته وقام بقلبه كان أشد طلبا له وأعظم رغبة وأحرص على دوام الطلب والسؤال له ، فتأمل هذه النكتة البديعة .

وأما المسألة الثانية : وهى تعريف الصراط باللام هنا فاعلم أن الألف واللام اذا دخلت على اسم موصوف اقتضت أنه أحق بتلك الصفة من غيره الا ترى أن قولك جالس فقيه وعالم ليس كقولك جالس الفقيه والعالم ، ولا قولك أكلت الطيب ، الا ترى قوله ﷺ أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ، ثم قال ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق فلم يدخل الألف واللام على الأسماء المحدثه وأدخلها على اسم الرب تعالى ووعد وكلامه ، فاذا عرفت هذا فلو قال اهدنا صراطا مستقيما لكان الداعى انما يطلب الهداية الى صراط مستقيم على الإطلاق ، وليس المراد ذلك ، بل المراد الهداية الى الصراط المعين الذى نصبه لأهل نعمته وجعله بطريقا لرضوانه وجنته وهو دينه الذى لا دين له سواه ، فالمطلوب أمر معين فى الخارج والذهن لا شىء مطلق من ذلك ، فاللام هنا للعهد العلمى الذهنى ، وهو أنه طلب الهداية الى معهود ، وقد قام فى القلوب بمعرفته والتصديق به وتميزه عن سائر طريق الضلال ، فلم يكن يدل من التعريف .

فان قيل : فلم جاء منكرا فى بعض الآيات نحو قوله تعالى « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » ؟ فالجواب : انها ليست فى مقام الدعاء والطلب ، وانما هى فى مقام الاخبار من الله عز وجل عن هداية رسوله

اليه ، ولم يكن للمخاطبين عهد فيه ، ولم يكن معروفا لهم فلم يجيء معروفا
بلام العهد المتسيرة الى معسروف في ذهن المخاطب ، قائم في خلد ه ،
ولا تقويه في اللفظ معهود تكون اللام مصروفة اليه ، وانها ياتي لام العهد
في احد هذين الموضوعين اعنى ان يكون لها معهود ذهنى او ذكري لفظى ،
واذ لا واجد منهما في هذه المواضع ، فالتنكير هو الأصل وهذا بخلاف
قوله « اهدنا الصراط المستقيم » فانه لما تقرر عند المخاطبين ان الله صراطا
مستقيما هدى اليه انبياءه ورسله وكان المخاطب سبحانه المسئول منه
هدايته عالما به ، دخلت اللام عليه .

واما المسألة الثالثة : وهى اشتقاق الصراط فالشهور أنه من صرطت
التشوى أصرطه اذا بلغته بلحا سهلا فسوى الطريق صراطا لأنه يستويط
المارة فيه ، والصراط ما جمع خمسة أوصاف : أن يكون طريقا مستقيما سهلا
مسلوكا واسعا موصلا الى المقصود فلا تسمى العرب الطريق العوج
صراطا ولا الصعب المشتق ولا المستود غير الموصل .
ومن تأمل موارد الصراط فى لسانهم واستعمالهم تبين له ذلك .
قال الشاعر :

أمر المؤمنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم
وبنو الصراط على فعال لأنه مشتبل على سالكة اشتمال الحلق على
الشيء المصروط . وهذا الوزن كثير فى المشتلمات على الأشياء كاللحاف
والخيار والرداء والغطاء والفراش والكتاب وأما ذكره له بلفظ الطريق فى
سورة الأحقاف خاصة ، فهذا حكاية الله تعالى لكلام مؤمنى الجن أنهم قالوا
لقومهم « انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى
الى الحق والى طريق مستقيم » وتعبيرهم عنه ههنا بالطريق فيه نكتة
بديعة ، وهى أنهم قدموا قبله ذكر موسى وأن الكتاب الذى سمعوه مصدقا
لما بين يديه من كتاب موسى وغيره ، فكان كالنيابة عن رسول الله ﷺ
فى قوله لقومه : « ما كنت بدعا من الرسل » أى لم أكن أول رسول بعث
الى أهل الأرض بل تقدمت قبلى رسل من الله تعالى الى الأمم وأنا بعثت
مصدقا لهم بمثل ما بعثوا به من التوحيد والايمان ، فقال مؤمنو الجن

« انا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم » لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم « أى الى سبيل مطروق ، وقد مرت عليه الرسل قبله وأنه ليس ببدع كما قال فى أول السورة نفسها فاقتضت البلاغة والاعجاز لفظ الطريق لأنه فعيل بمعنى مفعول أى مطروق مشيت عليه الرسل والأنبياء قبلى فحقيق على من صدق رسل الله تعالى وآمن بهم أن يؤمن به ويصدقته ، فذكر الطريق هنا اذا أولى لأنه ادخل فى باب الدعوة والتنبيه على تعيين اتباعه عليه السلام والسلام .

وأما المسألة الرابعة : وهى اضافته الى الموصول المبهم ، دون أن يقول : صراط النبيين والمرسلين ، ففيه ثلاث فوائد .

أحدها احضار العلم واشعار الذهن عند سماع هذا بأن استحقاق كونهم من المنعم عليهم ، هو بهدائيتهم الى هذا الصراط ، فيه صاروا من أهل النعمة ، وهذا كمال تعلق الحكم بالصلة دون الاسم الجامد ، لما فيه من الاعلام باستحقاق ما علق عليها من الحكم بها ، وهو كقوله « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ، فلهم أجرهم عند ربهم — » والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون » — ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم » وهذا الباب مطرد ، فالأيتان بالاسم موصولا أدل على هذا المعنى من ذكر الاسم الخاص .

الفائدة الثانية : فيه اشارة الى نفي التقليد عن القلب واستشعار العلم بأن من هدى الى هذا الصراط ، فقد أنعم عليه ، فالسائل مستشعر بسؤاله الهداية اليه ، طلب الانعام من الله تعالى عليه . والفرق بين هذا الوجه والذي قبله : أن الأول يتضمن الاخبار بأن أهل النعمة هم أهل الهداية ، والثانى يتضمن الطلب والارادة أن يكون منهم .

الفائدة الثالثة : ان الآية عامة فى جميع طبقات المنعم عليهم ، ولو أتى باسم خاص لم يكن فيه سؤال الهداية الى صراط جميع المنعم عليهم ، فكان فى الأيتان بالاسم العام من الفائدة أن المسئول الهدى الى جميع

تفاصيل الطريق التي سلكها كل من أنعم عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين . وهذا أجل مطلوب وأعظم مسؤل ولو عرف الداعي قدر هذا السؤال لجعله هجيراً وقرنه بأنفاسه ، فإنه لم يدع شيئاً من خير الدنيا والآخرة الا تضمنه ، ولما كان بهذه المثابة فرضه الله تعالى على جميع عباده فرضاً متكرراً فى اليوم والليلة لا يقوم غيره مقامه ، ومن هنا تعلم تعين الفاتحة فى الصلاة وأنها ليس عنها عوض يقوم مقامها .

وأما المسألة الخامسة : وهى أنه قال « الذين أنعمت عليهم » ولم يقل المنعم عليهم كما قال المغضوب عليهم « فجوابها .

وجواب المسألة السادسة : واحد ، وفيه فوائد عديدة :

أحدهما : أن هذا جاء على الطريقة المعهودة فى القرآن وهى أن أفعال الاحسان والرحمة والجود تضاف الى الله سبحانه فيذكر فاعلها منسوبة اليه ولا يبنى الفعل معها للمفعول ، فاذا جاء الى أفعال العدل والجزاء والعقوبة ، حذف الفاعل وبنى الفعل معها للمفعول أدباً فى الخطاب ، فمنه هذه الآية فإنه ذكر النعمة فاضانها اليه ولم يحذف فاعلها ، ولما ذكر الغضب حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول ، فقال « المغضوب عليهم » وقال فى الاحسان « الذين أنعمت عليهم » ونظيره قول ابراهيم عليه السلام « الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطمعنى ويسقن ، واذا مرضت فهو يشفين » وقوله تعالى حكاية عن مؤمنى الجن : « وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم رشداً » ونحو هذا كثير فى القرآن الكريم .

الفائدة الثانية : أن الانعام بالهداية تستوجب شكر المنعم بها ، وأصل الشكر ذكر المنعم والعمل بطاعته ، وكان من شكره ابراز الضمير المتضمن لذكره تعالى ، الذى هو أساس الشكر ، وكان فى قوله سبحانه « أنعمت عليهم » من ذكره وازافة النعمة اليه ما ليس فى ذكر المنعم عليهم لو قاله ، فتضمن هذا اللفظ الأصلين ، وهما الشكر والذكر المذكورين فى قوله تعالى : « فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون » .

الفائدة الثالثة : أن النعمة بالهداية الى الصراط لله وحده ، وهو بالمنعم بالهداية دون أن يشركه أحد فى نعمته فاقضى اختصاصه بها أن تضاف اليه وقصرها عليه ، فقال : « أنعمت عليهم » أى أنت وحدك المنعم المحسن المتفضل بهذه النعمة ، وأما الغضب فان الله سبحانه غضب على من يكن من أهل الهداية الى هذا الصراط وأمر عباده المؤمنين بمعاداتهم ، وذلك يستلزم غضبهم عليهم موافقة لغضب ربهم عليهم ، فموافقته تعالى تقتضى أن تغضب على من غضب عليه وترضى عن رضى عنه ، فتغضب لغضبه وترضى لرضاه . وهذا حقيقة العبودية . واليهود قد غضب الله عليهم فحقيق بالمؤمنين الغضب عليهم ، فحذف فاعل الغضب وقال « المغضوب عليهم » لما كان للمؤمن نصيب من غضبهم على من غضب الله عليه ، بخلاف الانعام فانه لله وحده ، فتأمل هذه النكتة البديعة .

الفائدة الرابعة : ان المغضوب عليهم فى مقام الاعراض عنهم وترك الالتفات اليهم والاشارة الى نفس الصفة التى لهم والاقتصار عليها ، وأما أهل النعمة فهم فى مقام الاشارة اليهم وتعينهم والاشادة بذكرهم ، واذا ثبت هذا فالألف واللام فى المغضوب ، وان كانت بمعنى الذى فليست مثل الذى فى التصريح والاشارة الى تعيين ذات المسمى ، فان قولك الذين فعلوا وقولك الضاربون والمضربون ليس فيه ما فى قولك الذين ضربوا أو ضربوا ، فتأمل ذلك ، فالذين أنعمت عليهم اشارة الى تعريفهم بأعيانهم وقصد ذواتهم ، بخلاف المغضوب عليهم ، فالمقصود التحذير من صفتهم والاعراض عنهم وعدم الالتفات اليهم ، والمقول عليه من الاجوبة ما تقدم .

وأما المسألة السابعة : وهى تعدية الفعل هنا بنفسه دون حرف الى فجوابها : ان فعل الهداية يتعدى بنفسه تارة وبحرف الى تارة وباللام تارة والثلاثة فى القرآن الكريم فمن المعدى بنفسه هذه الآية وقوله تعالى « ويهديك صراطا مستقيما » ومن المعدى باللام قوله تعالى فى قول أهل الجنة « الحمد لله الذى هدانا لهذا » وقوله عز وجل « ان هذا القرآن يهدى

التي هي أقوم » والفروق بين هذه المواضع تدق جدا عن افهام العلماء
ولكن نذكر قاعدة تشير الى الفرق وهي أن الفعل المعدى بالحروف المتعددة
لا بد أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر ، وهذا
بحسب اختلاف معانى الحروف فان ظهر اختلاف الحرفين ظهر فرق نحو
رغبت فيه ورغبت عنه ، وعدلت اليه وعدلت عنه ، وأن تقاربت معنى
الأدوات عسر الفرق نحو قصدت اليه وقصدت له ، وهديته الى كذا
وهديته لكذا .

وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر .

وأما المحققون من غيرهم فلا يرتضون هذه الطريقة بل يجعلون للفعل
معنى مع الحرف ، ومعنى مع غيره فينظرون الى الحرف وما يستدعي
من الأفعال فيشربون الفعل المعدى به معناه وهذه طريقة امام الصناعة
سببويه ، وطريقة حذاق أصحابه يضمنون الفعل معنى الفعل ولا يقيمون
الحرف مقام الحرف ، وهي قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ولطافة
فى الذهن ، وهذا نحو قوله تعالى « عينا يشرب بها عباد الله » فانهم
يضمنون يشرب معنى يروى فيعبدونه بالباء التي يطلبها فيكون فى ذلك
دليل على الفعلين أحدهما بالتصريح به والثانى بالتضمن والإشارة اليه
بالحرف الذى يقتضيه ، مع غاية الاختصار ، وهذا من بديع اللغة ومحاسنها
وكمالها .

ومنه قول الشاعر فى السحاب :

شربن بهاء البحر ثم ترفعت متى ليج خضرلهن نثيج

أى روين به ثم ترفعن ، وهذا أحسن من أن يقال يشرب منها فانه
لا دلالة فيه على الرى ، وأن يقال يروى بها لأنه لا يدل على الشرب بصريحة
بل باللزم ، فاذا قال يشرب بها دل على الشرب بصريحه وعلى الرى بحرف
الباء فتأمله ، فاذا عرفت هذا ففعل الهداية متى عدى تضمن الاتصال
الى الغاية المطلوبة ، فأتى بحرف الغاية ومتى عدى باللام تضمن التخصيص
بالشئ المطلوب ، فأتى باللام الدالة على الاختصاص والتعيين ، فاذا
قلت هديته لكذا فهم معنى دخرت له وجعلته له وهياته ونحو هذا ، وإذا

تعدى بنفسه تضمن المعنى الجامع لذلك وهو التعريف والبيان والالهام « فأقائل إذا قال « اهدنا الصراط المستقيم » هو طالب من الله سبحانه وتعالى أن يعرفه آياه ويبينه له ويلهمه آياه ويقدره عليه ، فيجعل فى قلبه وعلمه وارادته والقدرة اليه فجرد الفعل من الحرف وأتى به مجردا معدى بنفسه ليتضمن هذه المراتب كلها ولو عدى بحرف لتعين معناه وتخصص بحسب معنى الحرف ، فتأمله ، فإنه من دقائق اللغة وأسرارها .

وأما المسألة الثامنة : وهى أنه خص أهل الهداية بالنعمة دون غيرهم ، فهذه مسألة اختلف الناس فيها وطال الحجاج من الطرفين ، وهى أنه هل لله تعالى على الكافر نعمة أم لا ؟ فمن ناف يحتج بهذه الآية ويقول عز وجل « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » فخص هؤلاء بالنعمة ، فدل على أن غيرهم غير منعم عليه ، ويقول سبحانه لعباده المؤمنين « ولأنتم نعمتى عليكم » وبأن الانعام ينافى الانتقام والعقوبة ، فأى نعمة على من خلق للعذاب الأبدى ؟ ومن مثبت محتج بقوله عز شأنه « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » وقوله سبحانه لليهود : يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم « وهذا خطاب لهم فى حال كفرهم ، ويقول تعالى فى سورة النعم وهى سورة النحل التى عدد فيها نعمه المشتركة على عباده من أولها الى قوله « كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ، فان تولوا فأنما عليك البلاغ المبين . يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » وهذا نص صريح لا يحتمل صرفا .

واحتجوا بأن البر والفاجر والمؤمن والكافر كلهم يعيش فى نعمة الله تعالى ، وكل أحد مقر لله بأنه يعيش فى نعمته وهذا معلوم بالاضطرار عند جميع اصناف بنى آدم الا من كابر وجحد حق الله سبحانه وكفر بنعمته .

وفصل الخطاب فى المسألة : أن النعمة المطلقة مختصة بأهل الايمان لا يشركهم فيها سواهم ومطلق النعمة عام للخليفة كلهم برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم ، فالنعمة المطلقة التامة هى المتصلة بسعادة الأبد

وبالنعميم المقيم — فهذه غير مشتركة — ومطلق النعمة عام مشترك ، فان أراد النافى سلب النعمة المطلقة ، أصاب ، وان أراد سلب مطلق النعمة أخطأوا ، وان أراد المثبت اثبات النعمة المطلقة للكافر أخطأوا وان أراد اثبات مطلق النعمة أصاب ، وبهذا تتفق الأدلة ويزول النزاع ويتبين أن كل واحد من الفريقين معه خطأ وصواب ، والله تعالى الموفق .

وأما قوله تعالى « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى » فانما يذكرهم نعمته على آبائهم ، ولهذا يعددها عليهم واحدة واحدة بأن أنجاهم من آل فرعون وبأن فرق بهم البحر وبأن وعد موسى أربعين ليلة ، فضلوا بعده ، ثم تاب عليهم وعفى عنهم ، الى غير ذلك من نعمه التى يعددها ، وانما كانت لأسلافهم وآبائهم فأمرهم أن يذكرواها ليدعوهم ذكرهم لها الى طاعته والايمان برسوله والتحذير من عقوبته بما عاقب به من لم يؤمن برسوله ولم ينقد لدينه وطاعته ، فكانت نعمته على آبائهم نعمة منه عليهم تستدعى منهم شكرا ، فكيف تجعلون مكان الشكر عليها كفركم برسولى وتكذيبكم له ومعاداتكم اياه ؟ وهذا لا يدل على أن نعمته المطلقة التامة حاصلة لهم فى حال كفرهم والله تعالى اعلم .

وأما المسألة التاسعة : وهى انه قال : « غير المغضوب عليهم » فيقال لا ريب أن « لا » يعطف بها بعد الايجاب ، كما تقول جاعنى زيد لا عمرو ، وجاعنى العالم لا الجاهل ، وأما غير فهى تابع لما قبلها وهى صفة ليس لا كما سيأتى ، وأخراج الكلام هنا مخرج الصفة أحسن من اخراجه مخرج العطف ، وهذا انما يعلم اذا عرف فرق ما بين العطف فى هذا الموضوع والوصف ، فنقول لو أخرج الكلام مخرج العطف وقيل « صراط الذين أنعمت عليهم » لا المغضوب عليهم لم يكن فى العطف بها أكثر من نفي اضافة الصراط الى المغضوب عليهم ، كما هو مقتضى العطف ، فانك اذا قلت جاء فى العالم لا الجاهل لم يكن فى العطف أكثر من نفي الجيء عن الجاهل واثباته للعالم ، وأما الاتيان بلفظ غير فهى صفة لما قبلها فاناد الكلام معها وصفهم بشيئين : أحدهما : انهم منعهم عليهم

الثانى : أنهم غير مغضوب عليهم ، فأفاد ما يفيد العطف مع زيادة الثناء عليهم ومدحهم ، فإنه تضمن صفتين صفة ثبوتية وهى كونهم منعما عليهم وصفة سلبية وهى كونهم غير مستحقين لو صف الغضب ، وأنهم مغايرون لأهله . وهذا لما أريد بها هذا المعنى جرت صفة على الذين أنعم عليهم ، ولم تكن منصوبة على الاستثناء لأنها يزول منها معنى الوصفية المقصود .

وفيه فائدة أخرى : وهى أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ادعوا أنهم هم المنعم عليهم دون أهل الإسلام فكانه قيل لهم المنعم عليهم غيركم لا أنتم وقيل للمسلمين : المغضوب عليهم غيركم لا أنتم فالإتيان بلفظه « غير » فى هذا السياق أحسن وأدل على إثبات المغايرة المطلوبة فتأمله ، وتأمل وتأمل كيف تتساءل « المغضوب عليهم ولا الضالين » ولم يقل اليهود والنصارى ، مع أنهم الموضوعون بذلك ، تجريدا لوصفهم بالغضب والضللال الذى به غايروا المنعم عليهم ، ولم يكونوا منهم بسبيل ، لأن الانعام المطلق ينأى الغضب والضللال ، فلا يثبت لمغضوب عليه ولا ضال ، فتبارك من أودع كلامه من الأسرار ما يشهد بأنه تنزيل من حكيم حميد .

وأما المسألة العاشرة : وهى جريان « غير » صفة على المعرفة وهى لا تتعرف بالاضافة ففيه ثلاثة أجوبة أحدها أن غيرا هنا بدل لاصفة وبدل النكرة من المعرفة جائز وهذا قول مردود من وجوه مذكورة فى محلها الثانى أن غير ههنا صح جريانه صفة على المعرفة لأنها موصول والموصول مبهم غير معين ، ففيه رائحة من النكرة لإبهامه ، فإنه غير دال على معين ، فصح وصفه بغير لقربه من النكرة الثالث — وهو الصحيح — أن غيرا ههنا قد تعرفت بالاضافة فإن المانع لها من تعريفها شدة إبهامها وعمومها فى كل مغاير للمذكور فلا يحصل بها تعيين ، ولهذا تجرى صفة على النكرة فنقول رجل غيرك يقول كذا ويفعل كذا فتجربى صفة للنكرة مع اضافتها الى المعرفة ، ومعلوم أن هذا الإبهام يزول بوقوعها بين متضادين

بذكر أحدهما ثم تضيفها الى الثانى فتعنين بالاضافة ويزول الابهام
الذى يمنع تعريفها بالاضافة ، كما قال :

نحن بنو عمرو الهجان الأزهر النسب المعروف غير المنكر

أفلا تراه أجرى غير المنكر صفة على النسب كما أجرى عليه المعروف
لأنهما صفتان معينتان فلا ابهام فى غير لأن مقابلها المعروف وهو معرفة
وضده المنكر متميز ، فتعنين كتعنين المعروف أعنى تعين الجنس وهكذا قوله
تعالى : « صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم » فالنعم عليهم
هم غير المغضوب عليهم فاذا كان الأول معرفة كانت غير معرفة لاضافتها
الى محصل متميز غير مبهم فاكتسب منه التعريف ، وينبغى
أن يتفطن ههنا لنكتة لطيفة فى غير تكشف لك حقيقة أمرها وأين تكون
وأين تكون نكرة وهى أن غيرا هى نفس ما تكون
تابعة له وضد ما هى مضافة اليه ، وهى واقعة على متبوعها وقوع الاسم
المرادف على مرادفه ، فان المعروف هو نفسه غير المنكر والمنعم عليهم هم
غير المغضوب عليهم ، هذا حقيقة اللفظ فاذا كان متبوعها نكرة لم تكن الا
نكرة ، وان أضيفت كما اذا قلت رجل غيرك فعل كذا وكذا ، واذا كان
متبوعها معرفة لم تكن الا معرفة كما اذا قلت المحسن غير المسىء محبوب
معظم عند الناس ، والبر غير الفاجر مهيب ، فهذا لا يكون فيه غير الا معرفة
فتأمله .

وأما المسألة الحادية عشر : وهى فائدة اخراج الكلام فى قوله
سبحانه « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » مخرج
البدل مع أن الأول فى نية الطرح .

فالجواب : أن قولهم الأول فى البدل فى نية الاطراح كلام لا يصح
أن يؤخذ على اطلاقه ، بل البدل نوعان نوع يكون الأول فيه فى نية الطرح
وهو بدل البعض من الكل وبدل الاشتغال لان المقصود هو الثانى لا الاول وقد
تقدم نوع لا ينوى فيه طرح الاول وهو بدل الكل من الكل بل يكون الثانى فيه
بمنزلة التذكير والتوكيد وتقوية النسبة مع ما تعطيه النسبة الاسنادية اليه

من المفائدة المتجددة الزائدة على الأول فيكون فائدة البديل للتوكيد والاشعار
بمحصول وصف البديل منه فإنه لما قال اهدنا الصراط المستقيم فكان الذهن طلب
هل هذا الصراط مختص بنا أم سلكه غيرنا ممن هداه الله تعالى ؟ فقال
« صراط الذين أنعمت عليهم » وهذا كما اذا دلت رجلا على طريق لا يعرفها
وأردت توكيد الدلالة وتحريضة على لزومها وأن لا يفارقها فانتم تقول له
هذه هي الطريق الموصلة الى مقصودك ، ثم تزيد ذلك عنده توكيدا وتقوية
فتقول هي الطريق التي يسلكها للناس والمسافرون وأهل النجاة ، أفلا ترى
كيف أفاد وصفك لها بأنها طريق السالكين للتأجبن قدرا زائدا على وصفك
لها بأنها طريق موصلة وقريبة سهلة مستقيمة فإن النفوس مجبولة على
الناسى والمتابعة فاذا ذكر لها من تناسى به في سلوكها أنست واقتحمتها
عليهم

وأما المسألة الثانية عشر : وهى ما وجه تفسير المغضوب عليهم
باليهود ، الضالين بالنصارى مع تلازم وصفى الغضب والضلال ؟
والجواب : أن يقال : هذا ليس بتخصيص يقتضى نفى كل صفة
من أصحاب الصفة الاخرى فان كل مغضوب عليه ضال وكل ضال مغضوب
عليه لكن ذكر كل طائفة بأشهر وصفها وأحقها به والصفة بها وأن ذلك
هو الوصف الغالب عليها وهذا مطابق لوصف الله تعالى اليهود بالغضب
فى القرآن والنصارى بالضلال ، فهو تفسير الآية بالصفة التي وصفهم بها
فى ذلك الموضع أما اليهود فقال تعالى فى حقهم « فباؤوا بغضب على
غضب وللكاافرين عذاب مهين » وفى تكرير هذا الغضب هنا أقوال : منها
أن الغضب الأول بسبب ما عطلوه من شرائع التوراة وتحريفهم وتبديلهم
وتكذيبهم المسيح ، والغضب الثانى بكفرهم بمحمد ﷺ .

وقال تعالى فى شأنهم « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله :
من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير » فهذا غضب
مشفوع باللعنة والمسخ وهو من اشد ما يكون من الغضب .

وأما وصف النصارى بالضلال ففى قوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب
لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ،
وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » فهذا خطاب للنصارى لأنه فى
سياق خطابه معهم بقوله سبحانه « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح

مريم ، وقال المسيح : يا بنى اسرائيل عبدوا الله « الى قوله « وذلوا
عن يسوء السبيل » (المائدة ٧٢ — ٧٧) فوصفهم بأنهم قد ذلوا أولا
ثم أضلوا كثيرا وهم أتباعهم ، فلما بعث النبي ﷺ ازدادوا أضلالا آخر
بتكذيبهم له وكفرهم به ، فتضاعف الضلال فى حقهم .

ثم لما كان الهدى والفلاح والسعادة لا سبيل الى فيه الا بمعرفة
الحق وايثاره على غيره ، ولما كان الجهل يمنع العبد من معرفته بالحق
والقى يمنعه من ارادته ، كان العبد أحوج شىء الى أن يسأل الله بكل
وقت أن يهديه الى الصراط المستقيم تعريفا وبيانا وارشادا والهاما وتوفيقا
واعانة ، فيعلمه ويعرفه ثم يجعله مريدا له قاصدا لاتباعه ، فيخرج بذلك عن
طريقة المغضوب عليهم الذين عدلوا عنه على عمد وعلم ، والضالين الذين
عدلوا عنه عن جهل وضلال .

ومن تصور رعلم أحوال هاتين الأمتين وعلم أحوال الظق عرف أن
ليس للبعد دعاء أنفع من هذه السورة ولا أوجب من هذا الدعاء عليه ، وأن
حاجته اليه أعظم من حاجته الى الحياة والنفس ، لأن غاية ما يقدر بفوتهما
موته .

قلت وليت شعرى هل يشبه دعاء النصرارى فى صلواتهم وقراءتهم
التي هى عندهم بمنزلة الفاتحة عندنا من قوهم « أعطنا خبزنا » المارة عليك
سابقا فاتحة الكتاب عند ذوى الألباب ، فنسأل الله تعالى أن يهدينا الى
الصراط المستقيم « صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين » آمين .

وأما المسألة الثالثة عشر وهو تقديم المغضوب على الضالين فلوجوه
هديدة احدها : أنهم مقدمون عليهم بالزمان الثانى : أنهم كانوا هم الذين
يلون النبي ﷺ من أهل الكتابين فانهم كانوا جيرانه فى المدينة والنصارى
كانت ديارهم نائية عنه ، ولهذا تجد خطاب اليهود والكلام معهم فى القرآن
أكثر من خطاب النصرارى الثالث : ان اليهود على ما قيل أغلظ كفرا من
النصارى ، ولهذا كان الغضب أخص بهم واللعنة والعقوبة ، فان كفرهم
عن عناد وبغى لا سبيا وقد كفروا بنبيين وهما نبينا ﷺ وعيسى عليه السلام ،

فالتحذير من سبيلهم والبعد منها أهم وأحق بالتقديم الرابع : أنه تقديم ذكر المنعم عليهم والغضب ضد الانعام ، والسورة هي السبع المثاني التي يذكر فيها الشيء ومقابلة ، فذكر المغضوب عليهم مع المنعم عليهم ، ففيه من الإزدواج والمقابلة ما ليس في تقديم الضالين ، فقولك : الناس ممنعم عليه ومغضوب عليه ، فكن من المنعم عليهم أحسن من ق و لك : ممنعم عليه وضال .

وأما المسألة الرابعة عشر : وهي أنه أتى في أهل الغضب باسم المفعول ، وفي الضالين باسم الفاعل ، فجوابها ظاهر فإن أهل الغضب من غضب الله تعالى عليهم وأصابهم غضبه فهم مغضوب عليهم ، وأما أهل الضلالة فإنهم هم الذين ضلوا وآثروا الضلال واكتسبوه ، ولهذا استحقوا العقوبة عليه ولا يليق أن يقال ولا المضلين مبينا للمفعول ، لما في رأئحته من اقامة عذرهم وأنهم لم يكتسبوا الضلال بل فعل فيهم .

ولا استرواح في هذا للقدرية (١) فإنا نقول : أنهم هم الذين ضلوا ، وإن كان الله تعالى أضلهم بلى . فيه رد على الجبرية الذين لا ينسبون إلى العبد فعلا الا على ، جهة المجاز لا الحقيقة فتضمنت الآية الرد عليهم كما تضمن قوله سبحانه : « اهدنا الصراط المستقيم » الرد على القدرية ففي الآية

(١) يقصد بالقدرية : المعتزلة — أهل العدل التوحيد — والمؤلف قال : « ففي الآية ابطال قول الطائفتين والشهادة لأهل الحق أنهم هم المصيبون وهم المثبتون للقدر ، توحيدا وخلقاً ، ولاضافة أفعال العباد اليهم عملاً وكسباً » وظاهر عبارته هو اثبات الاختيار ، وباطنها هو اثبات الجبر الا أن يكون كلاماً لا معنى له . وبيان ذلك :

١ — قول الله تعالى « ختم الله على قلوبهم » يدل ظاهره على الجبر
٢ — قول الله تعالى « فبظلم من الذين هادوا ، حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » يدل على الاختيار . أي أنهم ظلّموا في البدء . وهذا اختيار . ولما ظلّموا وكانوا قادرين على أن لا يظلموا ، حرم الله عليهم طيبات كانت من قبل طعاماً لهم . وللتوفيق بين النصين هذين . قالت المعتزلة : أن الله تفضل بجوده ورحمته على عباده بنعمة العقل وحرية الإرادة ليتحقق عدله

لبطل قول الطائفتين ، والشهادة لأهل الحق أنهم هم المصيبون وهم المثبتون
للقدر توحيدا وخلقا و لاضافة أعمال العبد اليهم عملا وكسبا ، وهو متعلق
بالأمر والنهي ، كما أن الأول متعلق بالخلق والقدرة فاقترضت الآية الكريمة
لثبوت الشرع والقدر والمعاد والنيوة ، فان للنعمة والغضب هو ثوابه
وعقابه والمنعم عليهم ربيله واتباعهم ليس الا وهداية اتباعهم انما تكون
على أيديهم ، فاقترضت اثبات النبوة بأقرب طريق وأبينها وأدلها على عموم
الحاجة وشدة الضرورة اليها وانه لا سبيل للعبد أن يكون من المنعم عليهم
الا بهداية الله تعالى له ، ولا تنال هذه الهداية الا على أيدي المرسل
وأن هذه الهداية لها ثمرة وهي النعمة التامة المطلقة في دار التعميم ولخلافها
ثمرة وهي الغضب المقتضى للشقاء الأبدى ، فتأمل كيف اشتملت هذه
الآية مع وجازتها واختصارها على أهم مطالب الدين وأجلها والله تعالى
الهادى الى سواء السبيل .

وأما المسألة الخامسة عشرة وهي : ما فائدة زيادة « لابين » المعطوف

في اثناء الطبع وتعذيب العاصي . وخصته على قلوبهم ثم يكن الا يعسد
ظلمهم لأنفسهم . ويؤكد قوله تعالى : « وضرب الله مثلا : قرية كانت
آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف ، بما كانوا يصنعون » (النحل ١١٢) فانهم
بسبب صنعهم ، أذاتهم ، ولم ينقهم قبل اختيارهم للصنع .

والجبرية نظروا في القولين هذين . وقالوا : ان الله يختم على
قلب العبد اذا اراد ولا راد لمشيئته . ولم يعملوا العقل للتوفيق بين
القولين . واكفوا بقولهم ان الظلم الذى حصل من اليهود ، قد نسبه الله
ليهم مجازا . وفى الحقيقة لا فاعل الا هو — كما قال المؤلف —

قال المؤلف : نحن نأخذ بالقولين ، ولا نعمل العقل للتوفيق بينهما .
فنسلم بمشيئة الله المطلقة . ونسلم بمشيئة للعباد . كما نسلم بيد الله
لقوله « يد الله » ونسلم بنفى الكيفية لقوله « ليس كمثله شيء » ومن
يسلم بيد ، وينفى كيفيتها فقد أثبت جسما ومن أثبت جسما فقد أثبت جهة .
ومن أثبت جهته ، أثبت خلوجاه من الله . وهذا هو الذى يدفع المعتزلة
لتأويل اليد بالقدرة .

والمعطوف عليه ففي ذلك أربع فوائد احدها : أن ذكرها تأكيد للنفي الذي تضمنه « غير » فلولا ما فيها من معنى النفي ، لما عطف عليها بلامع الواو ، فهو في قوة لا المغضوب عليهم ولا الضالين أو غير المغضوب عليهم وغير الضالين . الفائدة الثانية : ان المراد المفارقة الواقعة بين النوعين وبين كل نوع بمفرده ، فلو لم يذكره لقليل غير المغضوب عليهم والضالين ، أوهم أن المراد ما غير المجموع المركب من النوعين ، لا ما غير كل نوع بمفرده ، فاذا قيل : ولا الضالين كان صريحا في أن المراد صراط غير هؤلاء وغير هؤلاء . وبيان ذلك : أنك اذا قلت ما قام زيد وعمرو فانما نفيت القيام عنهما ولا يلزم من ذلك نفيه عن كل واحد منهما بمفرده ، فاذا قلت ما قام زيد ولا عمرو وكان صريحا في تسليط النفي على كل واحد منهما الفائدة الثالثة : رفع توهم أن الضالين وصف المغضوب عليهم ، وانهم صنف واحد وصفوا بالغضب والضلال ، ودخل العطف بينهما كما يدخل في عطف الصفات بعضها على بعض نحو قوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون » الى آخرها . فان هذه صفات المؤمنين . ومثل قوله تعالى : « سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى » ونظائره فلما دخلت « لا علم » أنهما صفتان متغايرتان مقصودتان بالذكر .

وكانت « لا » أولى بهذا المعنى من « غير » لوجوه : احدها : أنها أقل حروفا الثانية : التناهي من تكرار اللفظ الثالث : الثقل الحاصل بالنطق بغير مرتين من غير فصل الا بكلمة مفردة ، ولا ريب أنه ثقل على اللسان الرابع أن لا انها يعطف بها بعد النفي ، فالاتيان بها مؤذن ينفي الغضب عن أصحاب الصراط المستقيم كما نفى عنهم الضلال ، وغير وان افهمت هذا فلا أدخل في النفي منها . وقد عرف بهذا جواب المسألة السادسة عشر وهي أن لا انها يعطف بها في النفي .

وأما المسألة السابعة عشر : وهي أن الهداية هنا من أى أنواع الهدايات ؟ فاعلم أن أنواع الهداية أربعة .

أحدها : الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة فى قوله تعالى : « الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » أى أعطى كل شىء صورته التى لا يشتبه فيها بغيره وأعطى كل عضو شكله وهياته ، وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه الى ما خلقه له من الاعمال . وهذه الهداية تعم هداية الحيوان المتحرك بارادته الى جلب ما ينفعه ودفن ما يضره وهداية الجماد المسخر لما خلق له ، فله هداية تليق به وان اختلفت أنواعها وضروبها ، وكذلك بكل عضو هداية تليق به ، فهدى الرجلين للمشى واليدين للبطش والعمل واللسان للكلام والأذن للاستماع والعين بكشف المرئيات ، وكل عضو لما خلق له وهدى الزوجين من كل حيوان الى الازدواج والتناسل وتربية الولد وهدى الولد الى التقام الثدي عند وضعه وطلبه ، وهدى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومن الأبنية ثم تسلك سبل ربها مذلة لها لا تستعصى عليها ثم تأوى الى بيوتها وهداها الى اطاعة يعسوبها وأتباعه ، ثم هداها الى بناء البيوت العجيبة الصنعة المحكمة البناء ومراتب هدايته سبحانه لا يحصيها الا هو فتبارك الله رب العالمين .

ومن تأمل بعض هدايته المبتوثة فى العالم شهد له بأنه الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم وانتقل من معرفة هذه الهداية الى اثبات النبوة بأيسر نظر وأول وهلة واحسن طرق وأخصرها وابعداها من كل شبهة ، فان من لم يهمل هذه الحيوانات سدى ولم يتركها معطلة بل هداها الى هذه الهداية التى تعجز عقول العقلاء عنها ، كيف يليق به أن يترك النوع الانسانى الذى هو خلاصة الوجود الذى كرمه وفضله على كثير من خلقه مهملًا وسدى معطلا لا يهديه الى أقصى كمالاته وأفضل غاياته ، بل يتركه معطلا لا يأمره ولا ينهاه ولا يثيبه ولا يعاقبه ؟ وهل هذه الامناف لحكمته ونسبته له الى ما لا يليق بجلاله ؟

ولهذا انكر ذلك على من زعمه ونزه نفسه وهى أنه وهى أنه يستحيل نسبة ذلك اليه وانه يتعالى عنه فقال سبحانه « أمحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق » فنزه نفسه عن

هذا الحسبان ، فدل على أنه مستقر بطلانه فى الفطر السليمة والعقول المستقيمة ، وهذا أحد ما يدل على اثبات المعاد بالعقل وأنه مما تضافر عليه العقل والشرع كما هو أصح الطريقتين فى ذلك . ومن فهم هذا فهم سر اقتران قوله تعالى : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم الى ربهم يحشرون » بقوله تعالى : « وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ؟ قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون » وكيف جاء ذلك فى معرض جوابهم عن هذا السؤال والاشارة به الى اثبات النبوة ، وأن من لم يهمل أمر كل دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه ، بل جعلها أمما وهداها الى غايتها ومصالحها كيف لا يهديكم الى كمالكم ومصالحكم ؟ فهذه أحد أنواع الهداية وأعمها .

النوع الثانى : هداية البيان والدلالة والتعريف لتحدى الخير والشر وطريقى النجاة والهلاك ، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام فانها سبب وشرط لا موجب ، ولهذا ينتفى الهدى معها كقوله تعالى : « وأما نهود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » أى بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا . ومنها قوله تعالى : « وانك لتهدى الى صراط مستقيم »

النوع الثالث : هداية التوفيق والالهام وهى الهداية المستنزعة للاهتداء فلا يتخلف عنها . وهى المذكورة فى قوله تعالى « يضل من يشاء ويهدى من يشاء » وفى قوله تعالى « ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل » وفى قول النبى ﷺ « من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادى له » وفى قوله تعالى : « انك لا تهدى من أحببت » فنفى عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان ، فى قوله : « وانك لتهدى الى صراط مستقيم »

النوع الرابع : غاية هذه الهداية وهى الهداية الى الجنة والنار اذا اسبق أهلها اليهما قال تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم » وقال

أهل الجنة فيها : « الحمد لله الذى هدانا لهذا » وقال تعالى عن أهل النار : « احشروا الذين ظلموا أزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم » اذا عرف هذا فالهداية المسئولة فى قوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم » انما تتناول المرتبة الثانية والثالثة خاصة ، فهى طلب التعريف والبيان ، وهو حاصل له . وكذلك الالهام والتوفيق ، قيل : هذه هى المسألة الثانية عشر ، وقد أجاب عنها من أجاب بأن المراد التثبيت ودوام الهداية ، ونحن نبين بحمد الله أن الأمر فوق ما أجاب به وأعظم من ذلك بحول الله تعالى .

فاعلم : أن العبد لا يحصل له الهدى التام المطلوب الا بعد ستة أمور ، هو محتاج اليها : الاول : معرفته فى جميع ما يأتيه ويذره بكونه محبوبا للرب تعالى مرضيا له فيؤثره ، وكونه مبنغوضا له مسخوطا له فيجتنبه فان نقص من هذا العلم والمعرفة شىء نقص من الهداية التامة بحسبه . الأمر الثانى : أن يكون مرید الجميع ما يحب الله تعالى منه أن يفعله عازما عليه ومريدا لترك جميع ما نهى الله تعالى عنه عازما على تركه بعد خطورة بالبال مفصلا وعازما على تركه من حيث الجملة مجملا ، فان نقص من ارادته لذلك شىء نقص من الهدى التام بحسب ما نقص من الارادة . الأمر الثالث أن يكون قائما به فعلا وتركه فان نقص من فصله شىء نقص من هداه بحسبه ، فهذه ثلاثة هى أصول فى الهداية ويتبعها ثلاثة هى من تمامها وكمالها أحدها : أمور هدى اليها جملة ولم يهتد الى تفاصيلها فهو محتاج الى هداية التفصيل فيها . الثانى : أمور هدى اليها من وجه دون وجه ، فهو محتاج الى تمام الهداية فيها لتكمل له هدايتها . الثالث : الأمور التى هدى اليها تفصيلا من جميع وجوهها فهو محتاج الى الاستمرار على الهداية والدوام عليها . فهذه ستة أصول تتعلق بما يعزم على فعله وتركه ويتعلق بالماضى أمر سابع ، وهو أمور وقعت منه على غير جهة الاستقامة فهو محتاج الى تداركها بالتوبة منها وتبديلها بغيرها . واذا كان كذلك فانها يقال كيف ينال الهداية وهى موجودة له ؟ ثم يجب عن ذلك : بأن المراد التثبيت والدوام عليه اذا كانت هذه المرادة الست

حاصلة له بالفعل ، فحينئذ يكون سؤال الهدايا سؤال تثبيت ودوام ،
فأما إذا كان ما يجله أضعاف ما يعمله وما لا يريده من رشده أكثر مما
يريده ولا سبيل له إلى فعله إلا بأن يخلق الله تعالى فاعليته ، فالمسئول
هو أصل الهداية على الدوام تعليما وتوفيقا وخلقا للإرادة فيه وأقدارا له
وخلقا لفاعليته وتثبيتا له على ذلك ، فعلم أنه ليس أعظم ضرورة منه إلى سؤاله
الهداية أصلها وتفصيلها علما وعملا ، والتثبيت عليها والدوام إلى المات . وسر
ذلك : أن العبد مفتقر إلى الهداية في كل نفس في جميع ما يأتيه ويذره أصلا
وتفصيلا وتثبيتا ومفتقرا إلى مزيد العلم بالهدى على الدوام ، فليس له
أنفع ولا هو إلى شيء أحوج من سؤال الهداية .

فنسأل الله تعالى أن يهدينا الصراط المستقيم وأن يثبت قلوبنا
على دينه آمين .

وأما المسألة التاسعة عشر : وهي الاتيان بالضمير في قوله جل وعز
« اهدنا » ضمير جمع فقد قال بعض العلماء في جوابه : ان كل عضو
من أعضاء العبد وكل حاسة ظاهرة وباطنه مفتقر إلى هداية خاصة به
أتى بصيغة الجمع تنزيلا لكل عضو من أعضائه منزلة المسترشد والطالب
لهداه والصواب أن يقال : هذا مطابق لقوله تعالى : « اياك نعبد واياك
نستعين » والاتيان بضمير الجمع في الموضعين أحسن وأفخم ، فان
المقام مقام عبودية وافتقار إلى الرب تعالى بالفاقة إلى عبوديته واستعانته
وهدايته فأتى فيه بصيغة الجمع أى نحن معاشر عبيدك مقرون لك
بالعبودية ، وهذا كما يقول العبد الملك المعظم لشأنه : نحن عبيدك
وممالكك وتحت طاعتك ولا نخالف أمرك ، فيكون هذا أحسن وأعظم موقعا
عند الملك من أن يكون : أنا عبيدك ومملوكك . ولهذا لو قال : أنا وحدي
مملوكك ، استدعى مقتته فاذا قال أنا وكل من في البلد ممالكك وعبيدك
وجندلك ، كان أعظم وأفخم لأن ذلك يتضمن أن عبيدك كثيرون جدا وأنا
واحد منهم فكلنا مشتركون في عبوديتك والاستعانة وطلب الهداية
منك ، فقد تضمن ذلك من الثناء على الرب سبحانه بسعة مجده
وكرمة عبيده وكثرة سائله الهداية ما لا يتضمنه لفظ الافراد ، فقامله ،

وإذا تأملت أدعية القرآن ورأيت عابثتها على هذا النمط نحو « ربنا آتنا
فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »

وأما المسألة المتممة للعشرين : وهى ما هو الصراط المستقيم ؟
فنذكر فيه قولاً وجيزاً فان العلماء قد تنوعت عباراتهم فيه وترجمتهم عنه
بحسب صفاته ومتعلقاته . وحقيقته شىء واحد ، وهو طريق الله الذى
نصبه لعباده موصلاً لهم اليه ولا طريق اليه سواه ، بل الطرق كلها مسدودة
عن الخلق الا طريقة الذى نصبه على ألسن رسله وجعله موصلاً لعباده
اليه وهو افراذه بالعبودية فلا يشرك به أحداً فى عبوديته ولا يشرك
برسوله عليه الصلاة والسلام أحداً فى طاعته فيجسد التوحيد ويجرد متابعة
الرسول . وهذا معنى قول بعض العارفين « ان السعادة والفلاح كله
مجموع فى شيئين : صدق محبته : ، وحسن معاملته » وهذا كله مضمون
شهادة أن لا اله الا الله محمداً رسول الله ، فأى شىء فسر به الصراط
فهو داخل فى هذين الأصلين ، ونكتة ذلك وعقده أن تحبه بقلبك كله وترضيه
بجهدك كله ، فلا يكون فى قلبك موضع الا معمور بحبه ولا يكون لك ارادة
الا متعلقة بهرضاته فالأول يحصل بالتحقق بشهادة أن لا اله الا الله ،
الثانى يحصل بالتحقيق بشهادة أن محمداً رسول الله . وهذا هو الهدى
ودين الحق وهو معرفة الحق والعمل به وهو معرفة ما بعث الله تعالى
رسله والقيام به ، فقل ما شئت من العبارات التى هذا أحسنها وقطب
رحاها . وهو معنى قول من قال : « علوم وأعمال ظاهرة وباطنة مستفادة
من مشكاة النبوة » ومعنى قول من قال : « متابعة رسول الله ﷺ ظاهراً
وباطناً علماً وعملاً » ومعنى قول من قال : « الا قرار الله تعالى بالوحدانية
والاستقامة على أمره ، وأما ما عدا هذا من الأقوال كقول من قال :
« الصلوات الخمس » وقول من قال « هو أركان الاسلام الخمس التى
عليها » فكل هذه الأقوال تمثيل وتنويع لا تفسير مطابق له ، بل هى جزء
من أجزائه وحقيقته الجامعة ما تقدم . والله سبحانه وتعالى أعلم .

انتهى هذا .

وأما آمين فليسبت من القرآن بل هى من كلام النبى عليه الصلاة

والسلام وهي اسم فعل بمعنى استجب ، أى اللهم اسمع دعائنا
واستجب لنا .

وإذا علمت ما تمزقت به شبه هذا النصرانى فى اعتراضه علينا بقراء
تفانى صلواتنا فاتحة الكتاب الجامعة من الأدعية لب اللباب ، فاستمع
فاتحتهم ليظهر الفرق لذوى الألباب . قال متى فى الأصحاح السادس من
انجيله ما حروفه : « فهكذا تصلون أنتم : أبونا الذى فى السموات ليتقدس
اسمك آيات ملكوتك لكن مشيئتك كما فى السماء ، على الأرض ،
خبزنا كافنا . أعطنا اليوم وأغفر لنا خطايانا كما تغفر نحن لمن أخطأ
إلينا ولا تدخلنا فى التجارب ، لكن نجنا من الشرير آمين » انتهى . وأنت
تعلم أن المسلمين — والله تعالى الحمد — لهم تسبيح فى ركوعهم وتقديس
فى سجودهم واذكار كثيرة فى قيامهم وتعودهم وسور عديدة قرآنية يقلونها
فى وقوفهم وأدعيته جليلة يقرعونها فى صلواتهم مما يطول الكلام عند
ذكرها فى هذا الكتب ، الموضوع لرد الجواب . وقد جمعت تلك الدعوات
والأذكار فى ضخام الاسفار التى تشرح صدور المؤمنين وتنور قلوب ذوى
البصائر والأبصار ، ونحن لم نر مما تقرأه النصرارى فى صلواتهم بعد
مطالعة كتبهم سوى هذه الصلاة الخيزية وصلاة مريم العذراء التى هى
عبارة عن قولهم « يا خطيبة الله يا أم الله ، لك نصلى ونسجد » الى آخر
ما ذكرناه لك فيما تقدم من هذا الكتاب ، فراجع لترى العجب للعجائب .

وأما قوله « فإن كنت يرحمك الله مهتديا فقد استغفيت عن المسألة
والتضرع » الى آخره .

لعل هذا النصرانى يتجاهل أو جاهل بما فى كتبهم من تكرار الصلاة
والتضرع الى الله تعالى ولعل طلب الخبز فى كل يوم من الله تعالى الوارد
عندهم أولى عنده من طلب الهداية والتثبيت على الايمان والعمل
الصالح منه سبحانه ، وإذا لم يكن معنى لتكرار الدعاء ، فلم يقول بولس
الرسول فى رسالته موصيا أهل ملته : « لا تهتموا بشيء بل فى كل حين
بالصلاة والتضرع والشكر ، فلتعرف طلباتكم قدام الله » انتهى .

وقد قال داود فى المزمور الخامس والعشرين « عرفنى يارب
طرقك ، وسبيلك علمنى ، وأرشدنى الى جحك ، وعلمنى ، لآنك أنت هو
الهى ومخلصى واياك رجوت كل الايام ، صالح هو الرب يهدى الودعاء
بالحكم (١) » انتهى . ومثله كثير ولو كان الدعاء مرة واحدة يكفى ، فلم
كان المسيح يكرر صلواته لا سيما ليلة صلبه وداود فى مزاميره يوالى فى
كل يوم دعواته مع انها نبيان مغفور لهما ما يكون وكان ، معصومان من
العصيان ؟ فتدبر أيها المنصف اعتراضات هذا النصرانى وانظر الى
ما حرره من باطل المبانى والمعانى ، وتأمل كيف أضله الله على علم حتى
سلب منه الدراية والفهم ، وأراد أن يموه على الجاهلين بكلامه ويصيدهم
بشبكة حيله ودجله ويستقرز من استطاع منهم برجله وخيله ويريهم الحق
باطلا ليوقعهم فى ظلامه وينال بزعمه الفاسد كاسد مراره ، فبأله نعتصم
من كيد الخائنين والدجالين ونسأله سبحانه أن يهدى الى الأيمان بوحدانيته
من طلب الحق المبين آمين .

(١) النص فى المزمور الخامس والعشرين من ترجمة البروتستانت
وفى الرابع والعشرين من ترجمة الكاثوليك .

يقال النصراني : « وأما قولك يرحمك الله أن أكتب بما عندي من أمر ديني والذي صح في يدي منه آما مطمئنا لتبصر فيه وتجمعه الى ما في يدك فما أولاك بفلك أصلحك الله وما أجدرك بفعله لأن الحجة عليك أوجب منها على غيرك ، لما قد فضلك الله به من العقل والتمييز ولما عرفته ودرسته من الكتب واختبرته من المقالات ، والحق أهم أن يفصله ذوو العقول على الأمور كلها لجلالة مرتبته لانه ميز أن الله سبحانه ودستوره . ونحن نسأله تعالى أن يقبل بقلبك وينير عقلك ويفتح عين نفسك لتنظر فيما يميله علينا الروح القدس نظرا يفتكك الله به في العاجل والآجل كما نسأله عز وجل أن يفعل ذلك أيضا بكل من ينظر في كتابنا هذا بمنه وكرمه ، فلنبدا الآن بتطهير قلوبنا وأسماعنا وتقديس ألسنتنا بالأخبار عن أسباب البشارة الطاهرة المقدسة ونصدر بعض شهادات الأنبياء الذين استودعهم الله سره وكلمهم بوجهه وأمرهم بأن يخبروا الناس بما هو مزمع عليه في سابق علمه من اكمال نعمه عندهم واتمام تفضله عليهم ، ببعث ابنه الحبيب الذي هو كلمته الخالقة ، فاتخذ منهم جسدا بشريا وصار انسانا يجب له بذلك المجد والسجود والطاعة من الملائكة والانس والشياطين ، والاذعان بالربوبية المتحدة به ، والألوهية الحالة فيه . وليعلم الناس مخاطبته اياهم شفاه مصرحا أن الله الواحد المثلث الأقانيم أب وابن وروح قدس ، اله واحد تام ، فيستكملوا النعمة بالمعرفة . فيكون عز وجل قد أتم جوده عليهم واحسانه اليهم بتعريفهم سره المخزون وتكون حجته بالفة ، وتنقطع حجة المتعنت ويضحل قول القائل : انه لم يؤت المعرفة وأن الأمر كان مستورا عنه محجوبا دونه مرموزا لا يفهمه ، فحينئذ لا عذر لمن جحد لحق ولا علة لمن عانده . كما قال بولس رسول المسيح (لينسد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله (رومية ٣) وقال الله تعالى على لسان موسى في التوراة في السفر الأول الذي هو سفر الخليقة ان يعقوب المعروف باسرائيل الله ، لما قربت وفاته دعا اولاده كلهم فباركهم وأخبرهم بما هو مزمع أن يكون في آخر الزمان وأودعهم هذا السر ولم يزل يبارك واحد فواحد حتى انتهى الى يهوذا ، الذي من نسله ولدت المغبوظة مريم أم المسيح مخلص العالم ، فقال :

يهودا لك تخضع اخوتك يدك على اكتاف أعدائك ، يسجد لك بتو ابيك ، شبل ليث يهوذا ، من فريسة صعنت يابني ، جئار وريض كاسد وكلبوة ، من ينهضه ؟ لا يزول القضيبي من يهوذا والمخير من فخذة ، حتى يجيء الملك واياہ تنتظر الشعوب) (تكوين) فانظر أعزك الله في هذا الكلام نظرا روحانيا مستقصيا يعين العدل والانصاف وتفهمه ، فان لم يفهمه لم ينتفع به ، هل تليق هذه النبوة من ذلك الشيخ المبارك اسرائيل الله وصفيه الا على المسيح مخلص العالم ؟ لآته هو الخارج من يهوذا بانسانيته وله خضع بنو اسرائيل لما دخلوا في دعوته ، وصارت يد الروم التي هي يده على اكتاف من عاداه من بنى اسرائيل وجحدوا ربوبيته وكفروا به ، فقتلهم الروم ومزقتهم كل ممزق ، فلا تقوم لهم قائمة أبدا ولا يزالون أذلاء الى الانقضاء وزوال الدنيا ، وهو الذى بعث من بين الأموات حيا بعد ثلاثة أيام من صلبه ، وهو الذى سجد له بنو اسرائيل حيث رأوا الأعاجيب والآيات التي اظهرها بين أيديهم وهو شبل الليث لآته ابن الله القوى العزيز الجبار لم تزل النبوة تترادف في بنى اسرائيل حتى جاء المسيح وجاء البشر الذى أنبأت عنه النبوات كلها التي كانت تهتف بالدلالة على مجيئه وتشهد لظهوره وتبشر بطلوعه ، فلما جاء المسيح سيدنا انقطعت النبوات عن يهوذا أو بنى اسرائيل فلم يقيم بنى بعد مجيئه واياہ كانت تنتظر الشعوب ، وله كانت تترجى الأمم ، وكما أنه لا معنى لاجيء الرسل بعد طلوع الملك عليهم ، كذلك لا معنى للانبيا بعد ظهور الإله المسيح الذى هو بالحقيقة ملك كما سبقت الأنبياء وسمته ملكا .

وتبأ زكريا النبى هاتفا بصوته عن الروح القدس على كلمة الله نبارك وتعالى فقال : (افرحى يا بنت صهيون واهتفى يابنت اورشليم هوذا ملكك ياتيک بارا ومخلصا ومتواضعا وراكبا حمارا وعلى جحش اثنان فتهلل لجيئه المراكب من أفرام والخيول من اورشليم ، ويكسر قسى القتال ويخاطب الشعوب بالسلام والأمان) (زكريا ٩) فهل أصلحك الله هل كملت هذه النبوة الا على المسيح ؟ انه جاء بالبر والخالص والتواضع ، ثم أباد بمجيئه من بيت المقدس وأورشليم التي هي صهيون جميع ما كان فيهما من المراكب

والخيل المعدة للحرب وانكسرت القسي التي هي من آلات القتال ودالة عليه وركب جحشا بن اتان تواضعا وكلم الأمم الذين هم الشعوب بالسلم والأمان وأدخلهم فى مبرات دعوته وجعلهم أبناء ملكوت السماء الذى هو موعد الله تبارك اسمه لنا .

وهذا هو داود النبى يقول مصرحا على لسان الله : (الرب قال لى انت ابنى انا اليوم ولدتك اسألنى فاعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصى الأرض ملكا لك) (زبور ٣) أى أنهم مزعمون أن يدخلوا فى دعوته وطاعته وان سلطانه يمتد الى اقاصى الأرض وقال ايضا (يا أيها الملوك افهموا وباحكام الأرض اعلموا ، اعبدوا الرب بخشيته وسبحوه برعوة واقبلوا الابن لتلا يغضب فتهلكوا بسخطه لأنه عما قليل يستشيط غضبا طوبى للمتوكلين عليه) (زبور ٣) معنى ذلك اقبلوا ما ياتيكم به الابن وهو المسيح ويقوله لكم بشفتيه ولسانه ، فانكم ان لم تقبلوا ذلك غضب فيهلككم بغضبه لأنه بعد قليل يشتد غضبه على اليهود الجاهدين لربوبيته الذين لم يقبلوا منه ما قال ، فهلكوا أو بدد شملهم وطوبى للمتوكلين عليه أى المؤمنين والمصدقين لقوله :

وقال أيضا : (قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى اجعل اعدائك موطئا لقدميك لأن الرب يبعث عصا العز من صهيون ويسطك على أعدائك) (زبور ١٠٩) فافهم أفهمك الله كل خير قول النبى داود . وهذا فان فيه سرا يحتاج الى معرفته كل ناظر فى كتابنا هذا ليصبح عنده الأمر فاقول ان عادة العبرانيين منذ عهد موسى نحي الله ان الاحرف التى يكتبون بها اسم الله تبارك وتعالى احرف منفردة لا يكتبون بها شيئا غير ذلك . وهكذا كانت هذه الاحرف فى اللوحين اللذين دفعهما الله تبارك اسمه الى موسى للنبى ففى قول داود عن الله عز وجل (قال الرب لربى) هما اسمان وتعالى فهذا عند اليهود والنصارى وهما امان متعديتان لا اختلاف بينهما فيه . ولا شك وذلك عن غير تواطء ، فافهم هذا السر الذى أوعزه الله

تبارك وتعالى الى نبيه ، فانك اذا وقفت الفكر فيه وجدته تصريحا لقوله
(قاب الرب لربى) :

وقال فى موضع آخر (الرب أشرف من علو قدسه ، الرب من السماء
ظهر على الأرض لىسمع أنين الأسرى ويطلق المربوط من الموت) (زبور ١٠٠)
ومعناه موت الخطيئة الذى هو عبادة الاصنام وانقطاع الرجاء من موعد
الحياة الدائمة التى بشر بها المسيح مخلصنا انه يعطينا اياها يوم القيامة
قال : (ليدارسوا فى صهيون اسم الرب ويتسبيحه فى اورشليم عندما
تجتمع الأمم والملوك معا لعبادة الرب) فقد كملت نبوة داود فهذه اورشليم
تجتمع فيها الأمم ويدارسون اسم الرب اى اسم الآب وابن والروح
القدس ، الذى هو اسم الرب لمخزون ويمجدونه بانواع التماجيد وأصناف
التسابيح بالألسن المختلفة واللغات الغربية آناء الليل والنهار لا يملون
ولا يفترون ولا ينقصون ما يجب عليهم من حق عبادته بقصدهم اياها من
البلدان الشاشعة وجميع أقطار الأرض البعيدة ، فمن عاند هذا يا خليلي
فما هو عند أهل الحق الا جاحد كافر قد اعماه الجهل وطمس على قلبه
الحسد .

وهذا اشعياء المغبوط قد تنبا وصرخ بأعلى صوته قائلا : (قال الله
تبارك وتعالى : تقوى أيتها الأيدى الضعيفة ويا أيتها الركب المرتعشة
تثبتى ، وقل لضعاء القلوب : تقووا ولا تخافوا فان الهكم يجيئ الهما
مخلصا فيخلصكم ، هنالك ، وهنالك تنفتح اعين العميان وأذان الصم
تسمع ، ويففز المقعد فى ذلك اليوم كالأبل ولسان البكيم يتكلم) (اش ٣٥)
مكتوبان بالأحرف التى تسمى المنفردة التى لا يكتب بها الا اسم الله تبارك
وأنت أرشدك الله الى الحق تعلم أن كتابك يشهد بان المسيح الاله قد
نعل هذا كله ، وانه أبرأ المقعد الذى كانت قد أتت عليه ثمان وثلاثون
سنة . فقال له : ((قم احمل سريرك واذهب الى بيتك)) فقام عاجلا ومضى
وهو الذى أبرأ تلك الأبرص والأخرس الابكم المعقوه المشروح خبره فى
الانجيل الصادق ، وما جرى من قول اليهود الكفرة البهت عندما عاينوا بره.

وخروجه سليما من جميع العاهات التي كانت به وتفرغ سيدنا اياهم
ودحضه حجتهم .

وقال أشعيا النبي أيضا من موضع آخر مشيرا الى مولد المسيح
(اسمعوا يا بيت داود الرب يعطى علامة لشعبه ، هوذا العذراء تحبل
وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل) (اش ٧) تفسيره المهنا معنا ، فاي شيء
يكون أكثر توضيحا من هذا ؟ فهذه بعض النبوات التي قنبا بها الأنبياء
على مجيء السيد محيي العالم وكنا نريد أن نزيد من الشهادات ولكننا كرهنا
أن نطول كتابنا فيمله القارئ وفيما أتيناها كفاية لمن لا يعاند الحق ويظلم
نفسه « انتهى » .

فأقول ومنه سبحانه التوفيق أقوم طريق : ما أسهب به هذا النصراني
هنا وسود به صحائف كتابه ، فتطويل من غير طائل ، بل هو كسراب
بقية يحسبه الظمان ماء ، وتهافته وتناقضه لا يخفى على من يفرق بين
الأرض والسماء ، وهو مع ما فيه من التحريف والتأويلات الفاسدة لا يفى
بمقصده الفاسد وزعمه الباطل الكاسد ، لأن ما فيه من دعوى ألوهية سيدنا
عيسى بن مريم ، مردودة بما مر لك وخلي فيها تقدم ، فلا حاجة بنا الآن
الى اتعاب جواد القلم .

وأما دعواه نبوته عليه السلام فأمر قدره دين الاسلام وليس لنا فيها
كلام ، ولولا بعثة نبينا المكرم لبقى أمر المسيح مبهم لأن اليهود كذبوه وبزعم
النصارى صلبوه ، فصحة نبوته موقوفة (١) على تسليم نبوة خاتم المرسلين
ورسول رب العالمين سيدنا محمد ﷺ وآله أجمعين ، إذ هو الشاهد
العدل لنبوة عيسى والمكذب لما رمته به أمة موسى ، فلو لم يصدقه سيدنا
الرسول لما تبين خطأ اليهود الموافق للمعقول المصادم لصحيح المنقول ،
فالتصديق بنبوة المسيح بن داود (٢) متوقف على الايمان بصدق القرآن

-
- (١) يقصد موقوفة في نظر المرتابين بعد ظهور الاسلام .
(٢) الصحيح أن المسيح عيسى عليه السلام من نسل هرون أخى موسى
عليهما السلام .

المنزل على صاحب المقام المحمود ، والايمان بعيسى عليه السلام يلزمه
الايمان بسيد الرسل الكرام لانه قد بشر به فى التوراة والانجيل بما سمعته
قيل وما ستسمعه قريبا على أوضح تأويل .

فأما ما نقله عن سفر الخليقة لو فرضنا صحته وعدم تحريفه ، فقصارى
ما فيه اثبات النبوة للمسيح ولا كلام لنا فيها على أن هذه الآية كما تقدم
فى محله حجة على اليهود والنصارى لأنها صريحة بنبوة نبينا عليه الصلاة
والسلام . قال فى الاصحاح التاسع والاربعين من سفر التكوين ما لفظه :
« يهوذا لك يحمد اخوتك ، ويدك على قنا أعدائك ، يسجد لك بنو ابيك ،
يهودا جر وأسد ، من الافتراس سعدت يا ابنى ، جثا وربض كمثل الأسد
وكمثل اللبوة ، فمن يفهضه ؟ لا يزول القضييب من يهوذا والمدير من بين
رجليه حتى يجيء الذى له ، وله يكون خضوع الشعوب ، يربط بالكرمة
جحشه ، وبالجفنة ابن أتانه ، غسل بالخر حلته وبدم العنب رداءه ،
عيناه من الخمر مسودة وأسنانه مبيضة من اللبن » انتهى بحروفه من
النسخة المطبوعة سنة ١٨٧٥ فى الموصل . وفى النسخة المطبوعة فى لندن
سنة ١٨٢١ « حتى يجيء الذى له الكل واياه تنتظر الأمم ، يربط بالكرمة
جحشه ، يا ابنى ، والى دالية الكرمة أتانه ، يغسل بالخر حلته وبدم
العنب رداءه ، عيناه من الخمر متباشرة وأسنانه أبيض من اللبن » انتهى
بحروفه .

فهذه النسخ على اختلاف الفاظها ، المراد من آياتها بيان حال يهوذا
ابن يعقوب عليه السلام الذى هو الجد الأعلى لعيسى (١) . وقد حملها

(١) فهم المؤلف أن المراد بيهودا ، شخص يهوذا . والصحيح : أن
المراد بيهودا هو الإشارة الى جميع اليهود بأسرهم . والمعنى : لا يزول الملك
من اليهود والشريعة ، شريعة التوراة يعرفها الناس تحت امرة الرؤساء
منهم والملوك . حتى يأتى من ينسخها ويتسلم الملك من اليهود . وعيسى
عليه السلام من اليهود ، من نسل هرون أخى موسى من جهة أمه رضى
الله عنها وليس من نسل يهوذا . والذى تخضع له الشعوب لا يكون هو ،

النصراني وغيره من النصارى على البشارة به مع أنها صريحة فى البشارة برسالة نبينا عليه الصلاة والسلام .

قال مفسرهم فى النسخة المطبوعة فى الموصل : فى قوله « يربط بالكرمة جحشه » الى آخره ما لفظه : « المعنى الحرفى هو عن يهوذا من حيث هو يكون كراما ماهرا والمعنى الرمزي هو عن المسيح المذكور فى الآية السابقة من حيث يضم بالكرمة أى بكنيسة الشعوب ، جحشه أى أمة اليهود » انتهى . وفى قوله غسل بالخير الخ « أى خضب جسمه وفديت كنيسته بدمه » انتهى .

وأنت تعلم أن قوله لا يزول القضيبي من يهوذا والمدير من بين فخذة حق يجرى الذى له الكل واياه تنتظر الأمم ، صريح فى نبينا عليه الصلاة والسلام لأن عيسى عليه السلام لم تخضع له الشعوب بل قتلوه بزعم النصارى ، وأنه لم يكن له حكم على بنى اسرائيل ولا عصا ولا سيف يسوسهم به ، بل كان شاردا عنهم متعبدا فى الجبال ، ثم ان قوله حتى يجرى الذى له الكل غاية لملك أولاد يهوذا (١) ، يعنى أن ملكهم ورياستهم غايتها الى مجيء من له الكل الذى تنتظره الأمم فاذا جاء ، فقد انقطعت رئاستهم وزال قضيبهم ، فحتى هنا مثلها فى قوله تعالى : « لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى » أى أن عبدة العجل من بنى اسرائيل قالوا لا نبرح عن عبادته الى أن يرجع موسى من المناجاة ، يعنى فاذا رجع فقد انتهى عكوفهم ، وكذلك هنا المعنى لا يزول الملك من

كما يدعى النصارى ، ولا يكون من اليهود والى اليوم لم يأت كما هو أحد الرابين عند اليهود الآن . وانما يكون من غير اليهود . وحيث ان التوراة نصت على بركة لاسماعيل عليه السلام فان الذى تخضع له الشعوب يكون من اسماعيل لتتحقق بركته المنصوص عليها فى الاصطاح السابع عشر من سفر التكوين .

(١) غاية لملك اليهود بأسرهم .

يهوذا والمدير من نسله الى أن يجيء الذى تنتظره الأمم ، فاذا جاء فقد زال الملك من بين فخذة ، ولو كان كما زعم النصارى أن المراد به سيدنا عيسى عليه السلام لقال لا يزول القضيبي من يهوذا الى يوم القيامة ، قلها غياه الى مجيء من له الكل ، علمنا أن من له الكل ليس من نسل يهوذا ، وعيسى من نسله (٢) فهو نص صريح على أن المراد به غير عيسى ، وليس عندنا من خضعت له الشعوب وانتظره الكل غير نبينا عليه الصلاة والسلام ، ولا يكابر فى هذا الا من يغش نفسه ، ويستتر بالجحود حدسه .

قوله : « افرحى يا بنت صهيون ، واهتفى يا بنت اورشليم » الى آخره اعلم أن هذا من الاصحاح التاسع من سفر زكريا ، وفى النسخة المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٧٢ هكذا « ابتهجى جدا يا ابنة صهيون اهتفى يا بنت اورشليم هوذا ملكك يأتى اليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن اتان ، وأقطع المركبة من أفرام والقوس من اورشليم ، وتقطع قوس الحرب ويتكلم بالسلام للامم وسلطانه من البحر الى البحر ، ومن اللنهر الى أقاصى الأرض » انتهى . وفى الاصحاح الثانى منه : « ترنمى وافرحى يا بنت صهيون لأنى هانذا آتى وأسكن فى وسطك يقول الرب فيتصل أمم كثيرة بالرب فى ذلك اليوم ، ويكونون لى شعبا فأسكن فى وسطك ، فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلنى اليك ، والرب يرث يهوذا نصيبه فى الأرض المقدسة ، ويختار اورشليم بعده ، اسكنوا ياكل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه » انتهى بحروفه .

قال العلامة ابن القيم : « وان قلتتم جعلناه الها لقول زكريا فى نبوته افرحى يا بنت صهيون لأنى آتيتك وأحل فىك وأترأى . ويؤمن بالله فى ذلك اليوم الأمم الكثيرة ويكونون له شعبا واحدا ويحل هو فيهم ،

(٢) وعيسى من اليهود من نسل هرون أخى موسى عليهم السلام .

ويعرفون الى أنا الله القوى الساكن فيك ، ويأخذ الله في ذلك اليوم الملائكة
من يهوذا ويملك عليهم الى الأبد . فهل لكم ان وجبت له الالهية بهذا
فلتجب لابراهيم وغيره من الأنبياء ، فان عند أهل الكتاب وثقت معهم ان
الله تجلى لابراهيم واستعلن له وتراءى له . واما قوله وأهل فيك لم يرد
سبحانه بهذا حلول ذاته التي لم يسعها السموات والأرض في بيت
المقدس ، وكيف تحل ذاته في مكان يكون فيه مقهورا مغلوبا مع شرار
الخلق ؟ كيف وقد قال : ويعرفون أنى أنا الله القوى الساكن فيك ؟ أفترى
يمزقوا قوته بالقبض عليه وشد يديه بالحبال وربطه على خشبة الصليب ودفق
المسامير في يديه ورجليه ووضع تاج الشوك على رأسه ، وهو يستغيث
ولا يفاك . وما كان المسيح يدخل بيت المقدس الا وهو مغلوب مقهور
مستخف في أغلب أحواله ، ولو صح مجيء هذه الألفاظ صحة لا تدفع
وصحت ترجمتها كما ذكروه ، لكان معناها أن معرفة الله عز وجل والإيمان به
وذكره ودينه وشرعه حل في تلك البقعة وبيت المقدس ، لما ظهر فيه دين
المسيح عليه السلام بعد رفعه ، حصل فيه من الإيمان بالله تعالى ومعرفته
ما لم يكن قبل ذلك .

وجماع الأمر ان النبوات المتقدمة والكتب الالهية لم تنطق بحرف واحد
يقتضى أن يكون ابن البشر الها تاما اله حق من اله حق ، وانه غير مصنوع
ولا مربوب ، بل لم تخصه الا بما خصه به أخوه وأولى الناس به سيدنا
محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه في قوله انه عبد الله ورسوله ،
وكلمته القاها الى مريم وروح منه ، وكتب الأنبياء المتقدمة وسائر النبوات
موافقة لما أخبر به نبينا محمد ﷺ وذلك كله يصدق بعضه بعضا وجميع
ما تستدل به المثلثة على الهية المسيح من ألفاظ وكلمات في الكتب فانها
مشتركة بين المسيح وغيره كما مر عليك ويأتيك أيضا ان شاء الله تعالى
قريبا كتسميته ابنا وكلمة وروحا والها ونحو ذلك ، وكذلك من حلول روح
القدس فيه وظهور الرب فيه أو في مكانه وقد وقع في نظير شركهم وكفرهم
بعض الطوائف من المنتسبين الى الاسلام واشتبه عليهم ما يحل في قلوب
العارفين من الإيمان به ومعرفته ونوره وهده ، فظنوا أن ذلك نفس ذات
(م ٣٧ - الجواب الفسيح)

الرب . وقد قال تعالى : « والله المثل الأعلى » وقال : « وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » وهو ما فى قلوب ملائكته وأنبيائه وعباده المؤمنين من الايمان به ومعرفته ومحبه واجلاله وتعظيمه . وهو نظير قوله تعالى : « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به ، فقد اهتدوا » وقوله سبحانه : « وهو الله فى السموات وفى الأرض ، يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون » وقوله عز وجل : « وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله ، وهو الحكيم العليم » فأولياء الله تعالى يعرفونه ويحبونه ويجلونهم أن يحل فى قلوبهم ، والمراد (١) : محبه ومعرفته ، ، والمثل الأعلى فى قلوبهم لانفس ذاته وهذا أمر يعتاده الناس فى مخاطبتهم ومحاوراتهم ، يقول الانسان لغيره أنت فى قلبى ولازلت فى عينى كما قال القائل :

(١) هذا النص الذى أورده المؤلف عن ابن قيم الجوزية يدل على أنه يقول بالتأويل فى النصوص الموهمة لجسمية الله عز وجل وحلوله فى مكان . ويلزم أهل الكتاب بقوله هذا أمر يعتاده الناس فى مخاطبتهم ومحاوراتهم . مع أن ابن قيم الجوزية قال للمسلمين فى النصوص الخبرية الموهمة لجسمية الله عز وجل وحلوله فى مكان : خذوا النصوص على ظواهرها بلا تكييف ولا تمثيل . وقال ابن تيمية بما قال به ابن قيم الجوزية ، قال ان الذى أوقع النصارى فى الضلال هو أنهم أخذوا موهم التشبيه على ظاهره ولم يؤولوه . قال هذا فى الجواب الصحيح . وقال للمسلمين فى موهم التشبيه بما قال به ابنه فى الايمان — وهو ابن قيم الجوزية — فما الذى دفعهما من دون المسلمين الى هذا ؟ ولماذا ؟

فى القرآن الكريم أن ابراهيم عليه السلام قال : « انى ذاهب الى ربى » وقد كان متوجها الى فلسطين من العراق . ولم يكن الله بجسمه فيها ، وقد كان مراده : انه ذاهب الى رحمه الله وفى القرآن : قوله تعالى : « ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ، ما يمسكهن الا الله » (النحل ٧٩) والمعنى : أن قدرة الله خلقتهن على ما هن عليه . لا انه يمسك كل طيرة على حدة ، بيد جارحة لا نعلم كيفيتها .

وهذان الشيخان يقولان فى « يد الله فوق أيديهم » يقولان : يد لا يعلم

ومن عجب انى أحسن اليهم واسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم فى سوادها ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلغى
وقال الآخر :
خيالك فى عيني وذكرك فى فمى ومثواك فى قلبى ، فأين تغيب ؟
وقال الآخر

ساكن فى القلب يعمر لست أنساه فأذكره
وقال الآخر
ان قلت غبت فقلبى لا يصدقنى اذ أنت فيه فذلك النفس لم تغب
وقلت ما غبت قال الطرف ذا كذب وقد تحيرت بين الصدق والكذب

وقال الآخر

أحن إليه وهو فى القلب ساكن نيا عجب ممن يحن بقلبه
ومن غلظ طبعه وكثف فهمه عن فهم مثل هذا لم يكثر عليه أن يفهم
من الفاظ الكتب أن ذات الله سبحانه وتعالى تحل فى الصورة البشرية
وتتحد بها وتمتزج ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

قوله : « وهذا داود ، على لسان الله يقول مصرحا : « الرب قال
لى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » الى آخره .

فلنحدر لك جميع هذا المزمور ، ثم تجيب عنه أن شاء الله تعالى (١٥)
قال فى المزمور الثانى من سفر المزامير الداودية ما لفظه المزمور

كيفيتها الا هو . مع أن النص كله مجاز . فالذين بايعوا تحت شجرة
الرضوان لم يبايعوا الله بمعنى أنهم وضعوا أيديهم فى يده غير المكيفة .
وانما بايعوا رسوله نيابة عنه . فقوله « انما يبايعون الله » معناه : أنهم
لما بايعوا الرسول ، والرسول نائب عنه ، فكأنهم بايعوا الله . ولكن لم
يبايعوه على الحقيقة . وهل يتصور عاقل أن يد الصحابى حال كونها فى
يد الرسول ، كان الله يضع يده عليها وضعا غير مكيف ؟ ان العاقل
يقول : « يد الله فوق أيديهم » معناه : أن قدرة الله فوق قدرتهم .

الثانى : « لماذا ارتجت الأمم ، والشعوب هزت بالباطل ؟ قامت الملوك الأرض والرؤساء ، اجتمعوا جميعا على الرب وعلى مسيحه ، لنقطع رباطاتهم ونلقى عنه نيرهم ، الساكن فى السماء يضحك بهم ، والرب يستهزئ بهم ، حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ، ويرجزه يرجفهم ، أنا اقميت ملكا منه على صهيون ، جبل قدسه لأخبر بأمر الرب : الرب قال لى : أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك ، اسألنى فأعطيك الأمم ميراثك وأملكك جميع أقاصى الأرض ، فترعاهم بعضا من حديد وكمثل آنية الفخار تسحقهم ، فالآن أيها الملوك انهموا وقادبوا يا جميع قضاة الأرض ، اعبدوا الرب بخوف ، وهللوا له برعدة ألزموا الأدب ، لئلا يفضب الرب فضلوا عن طريق الحق ، عندما ينفذ غضبه بسرعة ، طوبى لجميع المتكلمين عليه « انتهى المزمور بحروفه .

فالجواب عن هذا من وجوه الأول يحتاج صحة هذا الكلام عن داود وأنه لم يحرف (١) بالنقل من ترجمة الى ترجمة ومن نسخة الى أخرى ، الى اثبات ودونه خرط القتاد . الثانى أن داود قال الرب قال لى أنت ابنى ، ولم يجر فى هذا المزمور لا فيما يليه اشارة الى المسيح عليه السلام . الثالث : ان النبوة والولادة لا يحملان على حقيقتهما فى هذا الكلام قطعا بل على المجاز كما هو ظاهر ، وهذا المؤلف « عبد المسيح » استعمل مثله بقوله يقول داود على لسان الله ولا شك أنه لم يقصد أن داود لسان الله حقيقة لأن الله سبحانه كيف يكون لسان داود بأى معنى استعمل اللسان كما لا يخفى على أصحاب البيان . الرابع : ان لفظ الرب له اطلاقات منها انه بمعنى الصاحب وبمعنى السيد ولم تزل كثير من أسماء الله تعالى تقع على

(١) فى بعض التراجم : « قيل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك » بدل « قال أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك » فى المزمور الثانى . أو هى بدل « من رحم الفجر لك طل حدائك » فى المزمور المئة والعاشر . والامام القرافى قد طبق المزمور على محمد ﷺ والمسيح أيضا طبقا لرواية برنابا .

غيره عند جميع الأمم وفى سائر الكتب ، وما زالت الروم والفرس والهند والسريريون والعبيرانيون والقبط وغيرهم يسمون ملوكهم آلهة وأربابا وفى السفر الثانى من التوراة : « انى جعلتك الها لفرعون » وقد قال أشعيا « عرف الثور من اقتناه والحمار مربوط ربه ولم يعرف بنو اسرائيل من خلقهم » . الخامس : ان المسيح أطلق فى كثير من المواضع على غير عيسى عليه السلام فى المزمور الثامن والثمانين ما لفظه : « وجدت داود عبدى فمسحته بدهن قدسى لأن يدي تعضده وساعدى يقويه ، والعدو لا يحبك فيه وابن الانم لا يقدر أن يضره » وفى الاصحاح الخامس والاربعين من نبوة أشعيا ما لفظه : « هذه يقولها الرب لقورش مسيحى الذى مسكت بيمينه لأخضع أمام وجهه الأمم ، وأدبر الملوك الى خلفهم » . السادس : ان الابن أطلق على غير المسيح عليه السلام ، فى المزمور الثامن والعشرين ما لفظه : « قوموا للرب يا أبناء الله قدموا للرب أبناء الكباش » وفى المزمور الثامن والثمانين ما لفظه : « أو من يتشبه بالرب فى أبناء الله » ؟ وفى الاصحاح السادس من أنجيل لوقا ما لفظه : « فكونوا رحماء كما هو رحيم أبوكم » وفى السادس من متى « فان غفرتم للناس خطاياهم ، فيغفر لكم أيضا أبوكم السماوى خطاياكم » انتهى . السابع : ان لفظ ولدتك ان صح فلا يمكن حمله على الحقيقة قطعا فيحتمل أنه مشدد اللام أى ولدتك من مريم أى خلقتك وجعلت مريم تلدك ، أو المراد من ولادته انه اليوم أفاض عليه زيادة الانعام والاحسان ، فكما أن المولود عند ولادته يكون فى حياة أعلى من حياته فى بطن أمه ، فكذلك الانسان عند زيادة الطاف الله تعالى به ، تتزايد حياته المعنوية ، وكذلك عند خروجه من غم أو من اثم ، يقول اليوم ولدتنى أمى ، وأمثال هذه الاستعارات والكنيات والمجازات فى العهد القديم والأنجيل ما لا يحصى لكثرتة ، وقد تقدم لك غير مرة من ذلك ما فيه غنى عن التكرار فتذكر .

ثم أعلم أنه لا يصح حمل هذا المزمور على البشارة بالمسيح عليه السلام قطعا لأن فيه أنه يرعاهم بمعى من حديد وكمثل آنية الفخار

يسحقهم . اذ النصرارى يزعمون أنه عليه السلام لازال كان خائفا من بنى اسرائيل وتخفى منهم غير مرة ولم يسحقهم ، بل هم سحقوه وصلبوه بعد أن أهانوه وجلدوه وقتلوا رسله وحواريه ، مع أنه لم يكن مأمورا (١) بجهاد أعاديه ، حتى يقال أنه رعاهم بسيفه الذى هو عصى من حديد على أن هذه الكلمات صريحة فى أن هذا الراعى والملك الذى لأوامر سيده مراعى ، عبد ورسول ليس للاله سبحانه فيه اتحاد أو حلول ، فهذه البشارة فى حق سيدنا محمد ﷺ أصرح منها فى حق المسيح بن مريم ، كما لا يخفى على من ترك الجدال وسلم ، على أن هذه الكلمة دالة على رسول لأن الراعى لا يملك الغنم ، بل هى ملك لصاحبها والراعى أجير ، وليس له سوى الرعاية ، ولو كان هو الاله لكانت الغنم ملكه كما لا يخفى . وقوله وقال أيضا : « قال الرب لربى اجلس عن يمنى حتى أجعل

أعداك موطنا لتقدميك » الى آخره

ان هذه الألفاظ يقال فيها ما قلنا فى أمثالها من أنه يلزم أولا تصحيحها واثبات انها هكذا تكلم بها داود وانها لم تحرف ولم تبدل ، وأنها ترجمت بالوجه الصحيح (١) وانت تعلم تحريف كتبهم واختلاف تراجمها ودون اثبات صحتها خرط القتاد ، على أنا اذا سلمنا صحتها وسلمنا انها بشارة بنى

(١) الجهاد فى سبيل الله منصوص عليه فى التوراة وفى الانجيل . ولكن المسيح عليه السلام لم يكن مأمورا بأن يكون ملكا على بنى اسرائيل لقوله : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله »

(١) فى ترجمة اليسوعيين : « قال الله لسيدى » بدل قال الرب لربى . وسيد داود هو محمد ﷺ . لأن الابن لا يكون سيدا لأبيه . ووجه دلالة النبوة على محمد ﷺ هو : أن داود عليه السلام يخبر بظهر الغيب : أن الله قال لسيد داود . . . الخ . فمن هو سيد داود ؟

لا يمكن أن يكون من نسل داود . لأنه لو كان من نسله لما عبر عنه بسيد . وحيث لأسماعيل بركة . فاذن الآتى منه . وقد طبق هذه النبوة على محمد ﷺ وعيسى عليه السلام طبقا لرواية متى ومرقس ولوقا وبرنابا . فانه سأل علماء بنى اسرائيل : المسيح المنتظر سيأتى من نسل من ؟ . . . الخ (انظر كتابنا المسيا المنتظر) .

ياتى او بالمسيح عليه السلام خاصة فليس فيها ما يدل على الوهية بل فيها الصراحة بعبوديته ونبوته ، ولم لا يمكن حملها على نبينا عليه الصلاة والسلام ، ولنذكر لك ما قبله وما بعده ليتضح الحال ويزول الاشكال قال داود : « اشكر الرب بسمى جدا وفى وسط كثيرين اسبحه ، لانه قام من عن يمين المسكين ليخلص من المضطهدين نفسى ، قال الرب لربى اجلس من عن يمينى حتى اضع اعدائك موطئا تحت قدميك ، عصا قوة يرسل لك الرب من صهيون وتسود فى وسط اعدائك ، معك الرياسة فى يوم قوتك فى بهاء قديسيك ، من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك ، حلف الرب ولا يندم ، أنك أنت الكاهن الى الدهر على ترتيب ملشيساداق (١) الرب من عن يمينك يحطم فى يوم رجزه الملوك ، يقضى بين الأمم ويملأ الجثث ، ويرض رعوس كثيرين على الأرض ، وفى الطريق يشرب من الوادى ، لذلك يرتفع رأسه » انتهى بحروفه .

فيقال للنصرانى ان دعواك الوهية المسيح عليه السلام بهذه البشارة لما فيها من اطلاق الرب عليه او الجلوس من عن يمينه أو الولادة ، فباطلة من وجوه عديدة يستفاد بعضها مما تقدم ومما سيأتى قريبا ان شاء الله تعالى .

فالرب هو الربى باللفظ والاحسان العائد بالامتنان ، وقد تستعمل فى الآدميين للتعظيم تجوزا وتوسعا لكن على جهة التقيد لا على جهة الاطلاق وهذه كتبهم تشهد بأن المعلم والمدبر والقيم يسمى ربا كما أن الرجل رب منزله وماله . وفى التوراة فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التكوين أن ابراهيم عليه السلام « لما كان جالسا على باب خيمته فى وقت الظهر ورفع عينيه ظهر له ثلاثة رجال قياما بقربه ، فلما نظرهم أسرع للقائهم من باب الخيمة وسجد الى الأرض ، وقال يارب ان كنت قد وجدت نعمة أمامك فلا تجاوز عبدك ، فانى آتى بقليل ماء وتغسلوا أرجلكم وتستريحوا تحت هذه

(٢) ملكى صادق فى الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين .

الشجرة ، وأضع كسرة خبز ، وأسندوا ظهوركم ، ثم تجوزون » حتى أن فظ الآله أطلق في التوراة على غيره سبحانه وتعالى ، ففي الإصحاح السابع من سفر الخروج ما لفظه : « فقال الرب لموسى انظر فإني قد جعلتك الها لفرعون وهرون أخوك يكون لك نبيا » انتهى ومثل هذا لم يقع في حق عيسى عليه السلام لأنه لم يخاطبه الله تعالى باله أو نحوه ، وإطلاق الآله والرب والسيد على غير الله تعالى في العهد القديم كثير ، والسجود على وجه التعظيم والكرامة لغيره تعالى أيضا كثيرا فيها .

وكذا التعبير بالابن ففي الإصحاح الرابع من سفر الخروج في التوراة ما لفظه : « وتقول لفرعون هذا ما يقول الرب ابني بكرى إسرائيل فقلت لك أطلق ابني ليعبدني ، وأنت أبيت لتطلقه » انتهى .

وأما الولادة من البطن فلا شك أنه لا يراد بها حقيقتها بل هي مجاز وكناية عن المحبة والإحسان عليه بالنبوة ، ورفعة شأنه ، لأن النصارى القائلين بنبوته لا يقولون ولد من الله تعالى ولادة حقيقية ، ويمكن أن يكون ولدتك بتشديد اللام أى جعلتك مولودا من بطن مريم العذراء كما تقدم نظيره ، والا فكيف يحصر الآله الذى وسع كرسیه السموات والأرض بطن امرأة مخلوقة له كما لا يخفى على من له أدنى عقل .

قوله : « وهذا أشعيا المقيوط قد تنبا وصرخ بأعلى صوته قسائلا قال الله تبارك وتعالى تقوى أيتها الأيدي الضعيفة » الى آخره .

لنذكر لك أولا هذا الإصحاح جميعه ، ثم نتكلم ان شاء الله تعالى بها يزيل الاشكال ويحل العقال .

قال أشعيا (١) تسر البرارى والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالسوسن نباتا ينبت وفرحا يفرح مسبحة كرامة لبنان أعطيت بهاء كرمك

(١) عبارة الأصل : قال داود . والصحيح : قال أشعيا . لأن النص في الإصحاح الخامس والثلاثين من سفر أشعيا .

وشارون وهم ينظرون مجد الرب وبهاء الهنا ، قوو الأيادي المسترخية ،
والركب الضعيفة فأيدوها ، قولوا لقليلى القلوب : تقووا ولا تخافوا ،
ها الهكم يأتى بانتقام الجزاء ، والله ذاته هو سيأتى ويخلصكم ، حينئذ تفتح
أعين العمى وتفتح آذان الصم ، حينئذ يقفر مثل الغزال الاعرج ، ويحل
لسان البكم لأن انفجرت فى القفر المياه والانهار فى القفر والتي قد
كانت جفيفة تكون فيها آجام والعطش لمعين الماء المضاجع التى فيها
قد سكنت التنانين ينبت فيها خضرة القصب والبردى ، ويكون هنالك
السييلة والطريق ويسمى طريقا مقدسا لا يجوز فيها نجس ، وهذا يكون
لكم طريقا مستقيما حتى لا يضلوا بها ولا الجهال لا يكون ، ثم أسد ووحش
شريد لا يصعد فيها ولا يوجد هناك ويسلكون المخلصون والذين فداهم
الرب يرجعون ويأتون الى صهيون بالشكر والفرح الأبدى فوق رؤوسهم
يملكون الفرح والسرور ، ويزول الوجع والنحيب « (أشعيا ٣٥) انتهى
بحروفه وسيأتى آخر البحث الكلام عليه ان شاء الله تعالى .

قسوله : « يدعى اسمه عمانويل »

لا يخفى أن هذا بعد احتياجه الى ثبوت هذا النقل عن أشعيا والى
مطابقتها الى الترجمة من غير تحريف (٢) وهذا يعز اثباته على
النصارى لما قدمنا من علام صحة العهد القديم جميعه ، ومن اختلاف نسخه
وتراجمه فى الألسنة المختلفة لا تذل على أن المسيح هو الله تعالى خالق
السموات والأرض ، وأنه اله حق ليس بمخلوق ولا مصنوع ، لأن
عمانويل كلمة عبرانية ، وأن فسروها بزعمهم بالعربية بالهنا معنا لأنها
لا تذل على أن العذراء (١) ولدت رب العالمين ، بل يدل على أنه يسمى

(٢) التوراة لم تفسر « عمانويل » بأى تفسير . وكاتب انجيل متى
هو الذى فسره بالله معنا . وفات هذا المفسر أن عمانويل قد أتى حسب
النص المذكور فى الاصحاح السابع من أشعيا ، فى عهد الملك آجاز .
(١) قوله ها العذراء تحبل وتلد ولدا ويدعى اسمه عمانويل . كلمة
العذراء فى العربية تترجم بعلمه فى العبرانية ، ومعناها : المرأة الشابة
سواء كانت متزوجة أم غير متزوجة . وعلى هذا المعنى لا تكون « علمه »
نص فى العذراء مريم رضى الله عنها .

بهذا الاسم كما تسمى الناس أبناءهم بأنواع من الصفات والأسماء
والإنفعال والجمال المركبة من اسمين أو اسم وفعل وكثير من أهل الكتاب
يسمون أولادهم عمانويل ، ومن علماء النصارى كما نقل العلامة ابن القيم
من يقول المراد بالعدراء ههنا غير مريم ، ويذكر فى قصته (٢) ويدل على
هذه أن المسيح لا يعرف اسمه عمانويل وان كان ذلك اسمه فكونه يسمى
الهنا معنا أو بالله حسبى أو الله وحده ، كما قد رأينا بعض الناس يسمى
بعض أمائه الله وكلى ، وليس المقصود من ذلك الا التبرك باسم الله والى
أنه متوكل على الله ، ومن يكن وكيله فلن يخيبه .

وقد حرف بعض النصارى هذه الكلمة وقال معناها الله معنا ورد
عليهم بعض من أنصف من علمائهم وحكم رشده على هواه وهواه الله تعالى
للحق وبصره من عماه . وقال هذا هو القائل أنا الرب ولا اله غيرى
أنا أحيى وأميت وأخلق وأرزق أم هو القائل لله انت الاله الحق
وحدك الذى أرسلت يسوع المسيح ؟ قال والأول باطل قطعاً والثانى
هو الذى شهد به الانجيل ويجب تصديق الانجيل وتكذيب من زعم أن
المسيح اله معبود ، وقال : وليس المسيح مخصوصاً بهذا الاسم بل عمانويل
اسم تسمى به النصارى واليهود أولادها وهذا موجود فى عصرنا هذا
ومعنى هذه التسمية بينهم شريف القدر عند الله وكذلك السريان يسمون أولادهم
عمانوئيل والمسلمون وغيرهم يقولون للرجل الله معك أو الله معنا ، فاذا
سمى الرجل بذلك كان تبركا بمعنى هذا الاسم .

وفى الاصحاح الرابع عشر من سفر العدد قول يوشع بن نون
وكالب بن يوفينا لبني اسرائيل لما أرادوا أن يتركوا موسى عليه السلام
ويجعلوا عليهم رئيساً غيره ما لفظهما « وان الله معنا هو فلا تخشوهم
فضح كل الجماعة ، وأرادوا أن يرموها بالحجارة » انتهى . وفى السفر

(٢) انظر القصة فى الاصحاح السابع من سفر أشعيا . ومنها
تعلم أن الأمر كان معجزة وقتية فى زمن آحاز نفسه .

الثامن من أشعيا ما لفظه : « فتقدمت الى النبيه وحبلت وولدت ابنا فقل
لى الرب ادعو اسم اسمه اغنم بسرعة » انتهى .
على أنا قد قدمنا آنفا أن لفظ الاله استعمال في موسى عليه السلام في
التوراة فلا تغفل .

ثم اعلم أن ما ذكرته لك من تأويل هذه الكلمات بقاء على تسليم أنها
بشارة في المسيح عليه السلام والا فهي في معزل عن الاشارة اليه ،
ويأبأها سابق الآيات ولو احقها لأن هذه الكلمات من الاصحاح السابع
من سفر أشعيا وملخصه أنه كان في أيام آحاز بن عزيا ملك يهوذا قد
جاء رصين ملك آرام وفاقاح بن ظيما وفي بعض النسخ بن رومليا ملك
اسرائيل الى اورشليم ليحاربا واحاس أى آحاز لم يطق للمحاربة
معهما ولما سمع آحاز خاف كثيرا ، فقال الله تعالى لأشعيا النبي اذهب
الى آحاز وقل له لا تخف من هذين السلطانيين راصين وبيقح بن رومليا
وفى بعض النسخ ابن ظيما اليا هو اللذان يقولان نصعد على سلطنة
يهوذا يعنى آل يهوذا ونحارب آحاز ونأخذ اورشليم أى بيت المقدس
من يده ، وأن لكهما سيذهب أيضا من أيديهما وعاود الرب يقول لأشعيا
قل لآحاز اطلب لك علامة من الرب فى قعر الأرض أو من فوقها على صحة
هذه البشارة ، فقال آحاز لا أطلب ولا أجرب الرب ثم قال ان علامة هذا
التبشير أن زوجة آحاز العذراء أى الفتية السن الصغيرة العمر الحاملة ،
سوف تلد ابنا وتسميه هى عمانوايل يعنى الرب معنا وأن هذا الولد يأكل
عند ما يولد سمنا وعسلا ، وأنه يتجنب الردى ويتخير الفعل الحسن ، وقبل
ما يعرف الردى من الحسن أى قبل ما يكبر ، الأراضى التى بأيدي
السلطانيين وهما راصين سلطان الشام وبيقح وفى بعض النسخ فاقاح
تذهب من يديهم .

انتهى ملخصا .

فعلم أن المراد من العذراء هى الامراة الصغيرة السن وهى زوجة
آحاز وليست هى مريم ، فمريم خلقت بعد زوجة آحاز بنحو ستمائة سنة .
وهذه البشارة لآحاز ليكون ذلك علامة له من ربه سبحانه بأنه سيفلب

الملكين وأن ملكهطا سيذهب من يديهما فأى مناسبة بأن يكون ذلك فى المسيح وليس له ذكر. لا فى سابق الكلام ولا فى لاحقه بل كله فى بحث آحاز والملكين فتدبره ولا تغفل ؟

وأما ما استدل به على ألوهية المسيح عليه السلام ببراء الابرص واهياء الموتى ونحو ذلك من المعجزات فقد وقع أعظم من ذلك لموسى ويوشع وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام كما لا يخفى . وخلصه الكلام أن ادعاء المسيح للنبوته والرسالة وعدم ادعائه الألوهية طافح به الانجيل مثل قوله « الهى الهى لم تركنتى » وقوله « لا أعمل بمشيئتى بل بمشيئة من أرسلنى » وقوله « يارب قد علموا أنك أرسلتنى » ونحو ذلك مما مر عليك مرارا عديدة . وان جعلوه الها وابنا لاطلاق لفظ الاله والابن عليه ، فقد اطلق لفظ الاله على موسى واستعمل الأب لبني اسرائيل فى صلاة النصارى التى أمرهم المسيح بها كما فى الاصحاح السادس من انجيل متى « أبونا الذى فى السماء ليتقدس اسمك » وقوله عليه السلام فى الانجيل « اذهب الى أبى وأبيكم » وقوله فى انجيل لوقا فى الاصحاح السادس « كما هو رحيم أبوكم » وان جعلوه الها لأنه أخبر بالمغيبات فقد وقع للأنبياء عليهم السلام مثل ذلك .

وهذا دانيال وقع له الاخبار بالمغيبات كما فى العهد القديم بل أكثر من الناس يخبر عن حوادث فى المستقبل ، ويكون ذلك كما أخبر ويقع من ذلك كثير للكهان والمنجمين والسحرة ، وان جعلوه الها لأن تلاميذه ادعوا ذلك وهم اعلم الناس به كذبتهم أناجيلهم التى بأيديهم وكلها صريحة بأنهم ما ادعوا له الا ما ادعاه لنفسه من أنه عبد ورسول فهذا متى يقول فى انجيله محتجا بنبوته أشعيا فى المسيح عن الله عز وجل « هذا عبدى الذى اصطفيت وحببى الذى ارتاحت نفسى له » وفى انجيله « انى أشكرك يارب » وغير ذلك . وان جعلوه الها لأنه صعد الى السماء فهذا أخنوخ والياس قد صعد الى السماء وهما حيان مكرمان لم تشكهما شوكه كما هو مسلم عند النصارى . وهذه الملائكة تصعد الى السماء وأرواح

المؤمنين تصعد الى السماء بعد مفارقة الأبدان ولا تخرج بذلك عن العبودية ، وان جعلوه لها لاطلاق لفظ المخلص عليه ، انه لا يخلص الأمم الا الله تعالى فينبغى على هذا أن يجعلوا جميع الانبياء والرسل آلهة ، فانهم خلصوا الأمم من الكفر والشرك وخلصوهم من النار باذن الله وحده . ولا شك أن المسيح خلص من آمن به واتبعه من ذل الدنيا وعذاب الآخرة كما خلص موسى بنى إسرائيل من فرعون وقومه وخلصهم بالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر من عذاب الآخرة وخلص الله تعالى بنينا محمد ﷺ من الأمم والشعوب ما لم يخلصه بنى سواه وان جعلوه لها لكونه خلق بلا أب فأدم قد خلق بلا أب ولا أم وحواء خلقت من ضلعه . وان جعلوه لها لما ورد فى حقه من بشائر الأنبياء عليهم السلام فقد أجبنا عنه مفصلا وشرحنا معناه بحيث لا يمتري عاقل أن عيسى بن البشر كما قال عن نفسه ، وأنه ليس باله ، فتدبر تدبر منصف جميع ما ذكرناه ، واحمد البارى على دين الاسلام واشكر الله على نعماه وما أولاه .

وأما ما نقله عن سفر زكريا أنه يخاطب الشعوب بالسلام والأمان وأن المراد به عيسى عليه السلام فيضاده ما نقلناه سابقا عن الانجيل أن المسيح قال : « لم آت سلما بل حربا ، وأتيت لأمرق الولد من أبيه » على أن لنا أن نقول لم لم يصح حمل ما فى سفر زكريا من الأوصاف على نبينا عليه الصلاة والسلام لأنه هو المخاطب بالسلام وهو الذى أعطى أهل الكتابين الأمان كما لا يخفى على من له خبرة بأصول الاسلام .

وكذلك بقية الآيات التى نقلها هذا النصرانى أى دلالة فيها على نبوة عيسى عليه السلام فضلا عن الوهيته التى ادعاها ؟ نعم انه حرف بعض الفاظها لتدل بزعمه على نبوة المسيح ، فمن ذلك ما نقله عن الزبور الثانى من قوله « واقبلوا الابن » مع أن النسخة المطبوعة فى لندن سنة ١٨٣١ فيها « والزموا الأدب لثلا يفضب الرب » فحرف الأدب بالابن ، على أن فى هذا المزمور قوله « وأملكك جميع أقاصى الأرض فترعاهم بعضى من حديد وكمثل آنية الفخار تسحقهم » انتهى فهذا ان قلنا ان دلالة على مجيء نبى ، فهو فى البشارة بنبينا أصرح لأن عيسى ليس له

سيف الذى هو حديد ، ولاسحق بنى اسرائيل بل هم صلبوه بزعم النصارى ، ولم تكن له ولاية ولا سلطان عليهم ، ولم يبق بينهم الا نحو ثلاث سنين فافهم ما قلناه ولا تكن بالباطل من المجادلين .

وأما ما نقوله عن الزيور التاسع بعد المائة من قوله « قال الرب اربى » فليس فيه دليل أيضا لأن الرب كثيرا ما يطلق فى التوراة على الكبير الرئيس كما تقدمناه لك غير مرة ، حتى أنه أيضا ورد فى القرآن العظيم حكاية عن قول سيدنا يوسف الكريم ابن الكريم قوله للذى حبس معه « اذكرنى عند ربك » على انه كيف يصدق ذلك على المسيح بعد أن يقول فى هذه الآية « حتى أجعل أعداءك موطنًا لقدميك ويسلطك عليهم » ؟ فان المسيح عليه السلام لم يتسلط فى حياته على أعدائه بل هم تسلطوا عليه حتى صلبوه بزعم النصارى ، فكون هذه الآية غير صادقة عليه أظهر من الشمس فى رابعة النهار .

وأما قوله : « ان عادة العبرانيين » الى آخره .

فدعوى مجردة وليس عليها دليل ولا اشارة ولا شاهد ، على أنها لو فرضنا ذلك فلا يجديه نفعا أيضا لأنها لما أبطلنا كون هذه الآية تصدق على المسيح عليه السلام ، فليثبت أن العبرانيين كانوا يكتبون لفظ الرب بأحرف مفردة أو لم يكونوا كذلك ، فثبتت كتابتهم وعدم ثبوتها على حد سواء بالنسبة الى البشارة بعبسى عليه السلام لأن الآية كما علمت لا تصدق عليه بوجه من الوجوه كما لا يخفى على ذوى الابصار ، فأى سر فيها من الأسرار .

وأما الآية التى نقلها من المزمور الحادى بعد المائة فى النسخة المطبوعة بلندن سنة ١٨٣١ هكذا : « والشعب الذى يخلق يسبح الرب لأنه اطلع من علو قدسه ، الرب من السماء أشرق على الأرض ليسمع تنهد المقيدى ويحل بنى المائتين ليخبروا فى صهيون اسم الرب » انتهى فانظر الى اختلاف كتبهم مع عدم وفائها بمقصوده وصرفها الى معان لا تلى بمراده وتأويلها التأويلات البعيدة بمراحل عن مفهوم الألفاظ ، وتأمل فى

فى تمويهه على ضعفه العقول وعديبى الاطلاع ومثل هذا جميع ما يأتى به من آيات العهد القديم والجديد يحرف منها المعانى ويغير فيها الألفاظ ويبنى عليها فاسد الأغراض ، فنسأله سبحانه العافية مما ابتلاه وأن لا يجعلنا ممن يرى الحق فيبعد عن حماه آمين .

وأما ما نقله عن الخامس والثلاثين من أشعياء فى النسخة المطبوعة بلندن سنة ١٨٣١ هكذا : قوا الأيادى المسترخية والركب الضعيفة فأيدوها قولوا لقليلى القلوب : تقووا ولا تخافوا ها الهكم يأتى بانتقام الجزاء ، والله ذاته هو سيأتى ويخلصكم ، حينئذ تفتح أعين العمى وتفتح آذان الصم ، حينئذ يتفزع مثل الغزال الاعرج ويحل لسان البكم لأن انفجرت فى القفر المياه والانهار « انتهى .

فانظر هداك الله فى هذا شاهد على نبوة المسيح ؟ ومن أين يعرف أن ذلك بشارة فى نبوته أو امارة على ألوهيته ؟ لأن هذا يحتمل وجوها عديدة وليس منها ما ذكره هذا النصرانى لأنه يحتمل أن الله سبحانه وعد أشعياء بالانتصار على أعدائه ، وأن الله تعالى سينتقم منهم فى الدنيا ، ويحتمل أن المراد ينتقم منهم فى الآخرة يوم الدينونة والجزاء .

وقوله : « والله ذاته هو سيأتى » يأتى حمله على عيسى ، لأنه لم يخلص فى حياته بنى اسرائيل من عدوهم ولاخلصهم من نار جهنم بل كذبوا به فادخلوا النار . وأما تفتيح الأعين وآذان الصم وحل لسان البكم فالمراد بها المجاز لان الضال كالأعمى « أنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القوب التى فى الصدور » والمراد من الصم الذين لا يمتثلون ما يسمعون من الحق ، وأمثال هذا المجاز فى الكتب السماوية ولا سيما فى الأناجيل أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء .

ولقائل أن يقول : لم لا تكون هذه الآيات بشارة بسيدنا محمد صاحب المعجزات ، ويكون مجيء الله عبارة عن مجيء القرآن لأنه كلامه سبحانه كما ورد فى التوراة أن الله ظهر فى جبال فاران أى مكة كما تقدم ، ويكون

هو المخلص لبني اسرائيل وبودايته اهتدى العاملون وله استمع المؤمنون ،
وبنوره استضاء السائرون ؟ وأما ما نقله عن الإصحاح السابع من أشعيا
فمبارته بالنسخة التي بين يدي المطبوعة في لندن هكذا : « وقال فاسمعوا
يا بيت داود هل يسير عندكم ان تبلوا الناس لانكم تبلون الا هي أيضا لأجل
هذا أيضا يعطيكم الرب عنه علامة ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعى اسمه
عمانوئيل يأكل سمنا وعسلا ليعرف ان يرذل الشر ويختار الخير » انتهى
فأى دليل في هذه على الوهية المسيح عليه السلام أو يبشر الرب بنبوته
الأنام ؟ ومن أين علم ان المراد بالعذراء هي مريم وأن عمانوئيل معناه الهنا
معنا ؟ ومن أين يلزم ان يكون بذاته ومعهم ؟ فلعله يريد أن لطفه ورحمته
وتصرفه معهم كما ورد أمثال ذلك في الكتب السماوية ، وكيف يتسنى
لمعاقل ان يدعى ان المراد بعمانوئيل أن الله سبحانه بذاته الذي هو عيسى
بذاته يأكل سمنا وعسلا ؟ وكيف يتصور أن يقول أشعيا أو غيره من
الأنبياء لاقوامهم ان الله تعالى يولد من بطن امرأة عذراء ويأكل ويشرب
ويتغوط ويضرب ويصنع ويصلب ؟ وكيف يكون ذلك وأن الله سبحانه
لا يشبهه شيء ولا يرى كما في التوراة ؟ فهل هذه الدعوة الا سفسطة
وحدیثة خرافة ؟

على أن من نظر الى أول هذا الإصحاح وآخره وسياقه يعلم بالضرورة
أن معناه بمعزل عما ادعاه عبد المسيح من الاخبار بالوهية عيسى بل ولا بنبوته
لأن هذا اخبار بوقوع تلك العلامة في زمن أشعيا عليه السلام لا بزمن
يكون بعده بمئات أعوام ، مع أننا ان سلمنا أنها في حق نبوة عيسى فليس
لنا فيها كلام أو في الوهية فقد أبطلناها بأدلة عديدة متكررة يقبلها الخاص
والعام ويرتضيها كل من له عقل من الأنام والسلام .

قال التصرائى : « وكنى بك — أصلحك الله — قد ذكرت التحريف فى هذا الموضع ، واحتجبت علينا باننا حرفنا الكلم عن مواضعه ، وبدلنا الكتاب ، وكان هذا القول جعلته كهفا لك تتستر به ، وانى لأخبرك خبرا حقا فاسمعه متى وعه واقبله ، فان قولى ليس قول باغ ولا حاسد ولا متعنت معاند ، بل انما هو نذر متى لك ونصح ، اذ كان دينى يوجب على نصيحة كل احد ، فانا بذلك مشفق عليك من كثرة الجهول وصرعته وخيمه ، وما اعلم انى سمعت قط بحجة أشد انقطاعا وأوحش انفساخا من حجتكم فى باب التحريف والتبديل وانى لأعجب منك وهن نظائرك ممن فتش كتب مقالات الحق وكان له ذهن صحيح يميز به كيف يجوز مثل هذا عليه ؟ وانت تعلم أننا نحن واليهود الأعداء الكفرة الجاحدين لما جاء به نور العالم وضياء الدنيا المسيح سيدنا ومخلصنا ، قد اجتمعنا عن غير تواطؤ على صحة هذا الكتاب وأنه منزل من عند الله لا تحريف فيه ولا تبديل ولم تلحقه زيادة ولا نقصان ، والا فنحن ندعوك الى واحدة هى نصفة لنا ولك .

أتنا — أصلحك الله — أنت أيها المدعى علينا التحريف والتبديل ان كنت صادقا بكتاب غير محرف ولا مبدل يشهد لك على صحة الآيات العجيبة كما شهدت الأعاجيب للأنبياء والحواريين حيث جاءونا بصحة هذا الكتاب ، فقبلنا ذلك منهم وهو فى أيدينا وأيدي اليهود بلا زيادة ولا نقصان ، وانى لأعلم انك لا تتدر على ذلك أبدا حتى ناخذه منك أيضا كيف وكتابك يشهد بصحة ما فى أيدينا شهادة قاطعة اذ يقول : (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) (يونس) ثم فسر هذا القول وأكده معترفا لنا بالفضيلة التى أوتيناها (الذين آتيناها الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به وهن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) (بقره) .

فافهم — يرحمك الله كيف قال . وشهد لنا كتابك بحق التلاوة فى موضع تكون فيه تلاوتنا وقد أمر ان نسال ويقبل منا كل ما نقوله ، فكيف تدعى وتقول انه قد وقع هنا التبديل والتحريف للكلم عن مواضعه ؟ فهل هذا الا حكام متناقضان يبين لكل أحد المسبب فيهما اذ كنت تشهد لنا بحق (م ٣٨ - الجواب الفسيح)

التلاوة ثم تعود فتزيف شهادتك وتكذب نفسك وتقول بالتحريف والتبديل ، فهذا غاية المحال والشناعة ، فاذا كنت لا تقدر أنت ولا غيرك ان تافق على ما فى ايدينا على الشريطة التى شرطناها وهو ممتنع من امكانك ، فمالك والمباهته التى ليست من عادتك ولا من أخلاقك وتشنع علينا وتقول انا حرفنا الكتاب وبدلنا تنزيل الله وغيرنا كلامه ، ونحن نتلوه حق تلاوته كما شهد لنا صاحبك ، فانصف اصلحك الله واطلب رضا ربك كما يجب على ذوى العقول وانظر من هو المحرف والمبدل ، نحن الذين اخذنا الكتاب عن قوم جاءوا على صحته بالآيات والعجائب الالهية الخارجة عن امكان طبائع الآدميين واتفقت عليه الأمم المختلفة بالألسن والاهواء والديانات والبلدان البعيدة الذين لا يمكن أن يقع بينهم فى مثله تواطؤ بحيلة من الحيل أم الذى قبل كتابا بلا حجة ولا دليل ولا شهادة عن نبي ولا ذكر ولا أعجوبة تشهد له ؟ وانما تناوله عن ناقل نقله بلسانه ولسان اهل بلده فقط فجعل ذلك برهانا له ، وزعم أن الكتاب الذى هذه حاله وقصته يجرى مجرى فلق البحر واحياء الموتى وابراء الكمة والبرص واقامة المتعدين وأخذه لذلك الكتاب عن قوم كانت بينهم الاحن والضغائن وكل منهم زاد فيه ونقص وبدل وغير واجترأ حتى نسبه الى الله تعالى وزعم أنه دليل على نبوة نبيه وانه شاهد عدل له بانه رسول رب العزة تم لم يرض بهذا بل تعداه وقال : من لا يقبل كتابى هذا ويقول انه منزل من عند الله وأنى نبي مرسل قتلته وسلبت ماله وسبيت ذراريه واستبحت حريمه ، فقبل ذلك منه كرها وخوفا وفرقا لما توعد به من البلاء والشقاء بلا حجة ولا برهان ، فاجعل — اصلحك الله — عقلك هو الناظر والحاكم فى هذا والمهيز له وانظر الى ما يؤدبك فالزمه واعتقده فأتى واثق بعقلك أنه يخلص لك ولا يفشك لان الله تبارك وتعالى اسمه انما جعل العقل ميزان المعدل فاستعمل ما فضلك الله به ، فانك ان بحثت تدرك الحقائق بحول الله تعالى)) انتهى .

فاقول أما انكاره لتحريف التوراة والانجيل فانكاز للبيهييات لأن تحريفهما ثابت بالضرورة كما ستسمعه ان شاء الله تعالى قريبا فى مفصل

العبارات وقد أوضح المسلمون ذلك فى كتبهم وفصلوه فى ردودهم ومنهم صاحبنا العلامة « رحمة الله الهندى » فى كتابه اظهار الحق فقد اثبتته بالبراهين الحاكية للصدق ولنذكره لك على طوله لتقف على صحيح منقلبه قال ان التحريف الواقع فى كتب العهدين قسمان لفظى ومعنوى ولا نزاع بيننا وبين المسيحيين فى القسم الثانى لأنهم يسلمون كلهم صدوره عن اليهود فى العهد العتيق فى تفسير الآيات التى هى اشارة فى زعمهم الى المسيح عليه السلام وفى تفسير الاحكام التى هى ابدية عند اليهود وان علماء البروتستنت يعترفون بصدوره عن معتقدى (١) كتب العهدين كما ان معتقدى البابا يرمونهم بهذا رميا شديدا فلا احتياج الى اثباته هنا لأنه امر مشهور ، وقد نقلنا فى كتابنا هذا ما فيه تصريح بذلك فتذكره .

بقى القسم الأول وقد أنكره علماء البروتستنت فى الظاهر انكارا بليغا لتفليط جهال المسلمين وأوردوا أدلة موهمة مزورة فى رسائلهم ليوتقوا الناظرين فى الشك ، فهو محتاج الى الاثبات فلنثبته فى كتابنا هذا بعون خالق الأرض والسماوات ، فاعلم أن التحريف اللفظى بجميع أقسامه أعنى تبديل الالفاظ وزيادتها ونقصانها ثابت فى الكتب المذكورة ، وأورد هذه الاقسام الثلاثة على سبيل الترتيب فى ثلاثة مقاصد :

المقصد الأول : فى اثبات التحريف اللفظى بالتهديل . اعلم أرشدك الله تعالى أن النسخ المشهورة للعهد العتيق عند أهل الكتاب ثلاث نسخ الأولى النسخة العبرانية وهى المعتبرة عند اليهود وجمهور علماء البروتستنت ، والثانية النسخة اليونانية وهى التى كانت معتبرة عند المسيحيين الى القرن الخامس عشر من القرون المسيحية ، وكانوا يعتقدون الى هذه المدة تحريف النسخة العبرانية وهى الى هذا الزمان أيضا معتبرة عند الكنيسة اليونانية وكذا عند كنائس المشرق وهاتان النسختان تشتملان على جميع الكتب من العهد العتيق ، والثالثة النسخة السامرية وهى المعتبرة عند السامريين ، وهذه النسخة هى النسخة العبرانية لكنها

(١) يقصد النصارى الكاثوليك .

تشتمل (٢) على سبعة كتب من العهد العتيق فقط أعنى الكتب الخمسة المنسوبة الى موسى عليه السلام وكتاب يشوع وكتاب القضاة لأن السامريين لا يسلمون الكتب الباقية من العهد العتيق وتزيد على النسخة العبرانية فى الألفاظ والفقرات الكثيرة التى لا توجد فيها الآن . وكثير من محققى علماء البروتستنت مثل «كنى كات» و «هيلز» و «هيوبى كنيث» وغيرهم يعتبرونها دون العبرانية ، ويعتقدون أن اليهود حرفوا العبرانية ، وجمهور علماء البروتستنت أيضا يضطرون فى بعض المواضع اليها ويقدمونها على العبرانية كما سنعرفه ان شاء الله تعالى .
وأذا علمت هذا فأقول :

الشاهد الأول : ان الزمان من خلق آدم الى طوفان نوح عليه السلام على وفق العبرانية ألف وستمائة وست وخمسون سنة ١٦٥٦ وعلى وفق اليونانية ألفان ومائتان واثنان وستون سنة سنة ٢٢٦٢ وعلى وفق السامرية ألف وثلثمائة وسبع سنين سنة ١٣٠٧ وفى تفسير هنرى واسكات جدول كتب فيه مقابلة اسم كل شخص غير نوح عليه السلام من سننى عمر هذا الشخص السنة التى تولد له فيها الولد وكتب فى مقابلة اسم نوح عليه السلام من سننى عمره زمان الطوفان والجدول المذكور هذا فبين النسخ المذكورة فى بيان المدة المسطورة فرق كثير واختلاف فاحش لا يمكن التطبيق بينها ولما كان نوح عليه السلام فى زمن الطوفان ابن ستمائة سنة على وفق النسخ الثلاث وعاش آدم عليه السلام تسعمائة وثلاثين سنة ، فيلزم على وفق النسخة السامرية أن يكون نوح عليه السلام حين مات آدم عليه السلام ابن مائتين وثلاث وعشرين سنة وهذا باطل باتفاق المؤرخين وتكذبه العبرانية واليونانية ، اذ ولادته على وفق الأولى بعد موت آدم عليه السلام بمائة وست وعشرين سنة سنة ١٢٦ وعلى وفق الثانية بعد موته بسبعمائة واثنين وثلاثين سنة ٧٣٢ ولأجل الاختلاف الفاحش لم يعتمد «يوسيفوس» اليهودى المؤرخ المشهور المعتبر عند

(٢) الأصح خمسة لأنهم لا يقدسون الا الأسفار الخمسة لموسى .

المسيحيين على نسخة من النسخ المذكورة ، واختر أن المدة المذكورة ألفان ومائتان وست وخمسون سنة .

الاسماء	النسخة العبرانية	السامرية	اليونانية
آدم عليه السلام	١٣٠	١٣٠	٢٣٠
شيث عليه السلام	١٠٥	١٠٥	٢٠٥
آنوش	٩٠	٩٠	١٩٠
فينان	٢٠	٢٠	١٢٠
مهلائيل	٦٥	٦٥	١٦٥
يارد	١٦٢	٦٢	١٦٢
حنوك	٦٥	٦٥	١٦٥
متوشالغ	١٨٧	٦٧	١٨٧
لامك	١٨٢	٥٣	١٨٨
نوح عليه السلام	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠
	١٦٥٦	١٣٠٧	٢٢٦٢

الشاهد الثاني : ان الزمان من الطوفان الى ولادة ابراهيم عليه السلام على وفق العبرانية مائتان واثنان وتسعون سنة سنة ٢٩٢ وعلى وفق اليونانية ألف واثنان وسبعون سنة سنة ١٠٧٢ وعلى وفق السامرية تسعمائة واثنان واربعون سنة سنة ٩٤٢ وفى تفسير هنرى واسكات أيضا جدول مثل الجدول المذكور لكن كتب فى هذا الجدول فى محاذات اسم كل رجل غير سام من سنى عمره السنة التى تولد له فيها ولد ، وكتب فى محاذة اسم سام الزمان الذى تولد له فيه ولد بعد الطوفان ، والجدول المذكور هذا : فهنا أيضا اختلاف فاحش بين النسخ المذكورة لا يمكن التطبيق فيها ولما كانت ولادة ابراهيم عليه السلام بعد الطوفان بمائتين واثنين وتسعين سنة سنة ٢٩٢ على وفق النسخة العبرانية وعاش نوح عليه السلام بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة ٣٥٠ كما هو مصرح فى الآية الثامنة والعشرين من الباب التاسع من سفر التكوين فيلزم أن يكون ابراهيم عليه السلام حين مات نوح ابن ثمان وخمسين سنة

وهذا باطل باتفاق المؤرخين ويكذبه اليونانية والسامرية اذ ولادة ابراهيم عليه السلام بعد موت نوح عليه السلام بسبعمائة واثنتين وعشرين سنة على وفق النسخة الاولى وبخمسماية واثنتين وتسعين سنة على وفق النسخة الثانية وزيد فى النسخة اليونانية بطن واحد بين ارفخشد وشالغ وهو قينان ولا يوجد هذا البطن فى العبرانية والسامرية واعتمد لوقا

الاسماء	عبرانية	سامرية	يونانية
سام	٢	٢	٢
ارفخشد	٣٥	١٣٥	١٣٥
قينان	٠	٠٠	١٣٠
شالغ	٣٠	١٣٠	١٣٠
عابر	٣٤	١٣٤	١٣٤
فالغ	٣٠	١٣٠	١٣٠
رعو	٣٢	١٣٢	١٣٢
سروغ	٣٠	١٣٠	١٣٠
ناحوه	٢٩	٧٩	٧٩
تارح	٧٠	٧٠	٧٠
	٢٩٢	٩٤٢	١٠٧٢

الانجيلى على اليونانية فزاد قينان فى بيان نسب المسيح ولجل الاختلاف الفاحش المذكور اختلف المسيحيون فيما بينهم فنبتد المؤرخون النسخ الثلاث فى هذا الأمر وراء ظهورهم ، وقالوا أن الزمان المذكور ثلثمائة واثنان وخمسون سنة سنة ٣٥٢ وكذا ما اعتمد عليها «يوسيفوس» اليهودى المؤرخ المشهور ، وقال أن هذا ان هذا الزمان تسعمائة وثلاث وتسعون سنة سنة ٩٩٣ كما هو منقول فى تفسير هنرى واسكان .

واكستائن الذى كان أعلم علماء المسيحية فى القرن الرابع من القرون المسيحية وكذا القدماء الآخرون على أن الصحيح النسخة اليونانية ، واختاره المفسر « هارسلى » فى تفسيره ذيل تفسير الآية الحادية عشر من الاصحاح الحادى عشر من سفر التكوين « وهيلز »

على أن الصحيح النسخة السامرية ، ويفهم ميلان محققهم المشهور « هورن » الى هذا فى المجلد الأول من تفسير هنرى واسكات (لقوله)

(ان اكستايين كان يقول ان اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية فى بيان رمان الأكابر الذين قبل زمان الطوفان وبعده الى زمن موسى عليه السلام وفعلوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ، ولعناد الدين المسيحى ، ويعلم أن قداماء المسيحيين كانوا يقولون مثله ، وكانوا يقولون إن اليهود حرفوا التوراة فى سنة مائة وثلاثين من السنين المسيحية) انتهى كلام التفسير المذكور .

وقال هورن فى المجلد الثانى من تفسيره ان المحقق هيلز اثبت بالأدلة القوية صحة النسخة السامرية ، ولا يمكن تلخيص دلائله ههنا فمن شاء فلينظر فى كتابه من الصفحة الثمانين الى الآخر وان « كنى كات » يقول : لو لاحظنا أدب السامريين بالنسبة الى التوراة ولاحظنا عاداتهم ولاحظنا سكوت المسيح عليه السلام حين المكاملة المشهورة التى وقعت بينه وبين الامرأة السامرية وقصتها مقولة فى الاصحاح الرابع من انجيل يوحنا وفى هذه القصة هكذا (قالت له الامرأة انى أرى أنك يارب نبى ، وكان آباؤنا يسجدون فى هذا الجبل) تعنى جزريم (وأنتم) أى اليهود تقولون أن المكان الذى ينبغى أن يسجد فيه فى اورشليم (ولما علمت هذه الامرأة أن عيسى عليه السلام نبى سألت عن هذا الأمر الذى هو من أعظم الأمور المتنازع فيها بين اليهود والسامريين ، وتدعى كل فرقة فيه تحريف الاخرى ليتضح لها الحق ، فلو كان السامريون حرفوا التوراة فى هذا الموضع كان لعيسى عليه السلام أن يبين هذا الأمر فى جوابها لكنه ما بين ، بل سكت عنه (١) فسكوته دليل على أن الحق ما عليه السامريون ، ولو لاحظنا أموراً أخر لاقتضى الكل أن اليهود حرفوا التوراة قصدوا أن ما قال محققوا كتب العهد العتيق والجديد أن السامريين حرفوا قصدا لا أصل له « انتهى كلام هورن .

فانظر أيها اللبيب أنهم كيف اعترفوا بالتحريف ولم يجدوا ملجأ غير

الاقرار .

(١) المسيح لم يسكت عنه ، بل صرح بنزع القبلة من الفريقين (انظر نفس الرواية فى برنابا) لأن موسى فى التوراة لم يحدد لبنى اسرائيل قبلة .

الشاهد الثالث : ان الآية الرابعة من الاصحاح السابع والعشرين من سفر الاستثناء فى النسخة العبرانية هكذا (فاذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التى أنا اليوم أوصيكم فى جبل عيبال وشيدوها بالجص تشييدا) وهذه الجملة (فانصبوا الحجارة التى أنا اليوم أوصيكم فى جبل عيبال) فى النسخة السامرية هكذا (فانصبوا الحجارة التى أنا أوصيكم فى جبل جرزيم) وعيبال وجرزيم جبلان متقابلان كما يفهم من الآية الثانية عشر والثالثة عشر من هذا الاصحاح ومن الآية التاسعة والعشرين من الاصحاح الحادى عشر من هذا السفر ، فيفهم من النسخة العبرانية أن موسى عليه السلام أمر ببناء الهيكل أعنى المسجد على جبل عيبال ومن النسخة السامرية أمر ببنائه على جبل جرزيم ، وبين اليهود والسامريين سلفا وخلفا نزاع مشهور ، وتدعى كل فرقة منها أن الفرقة الاخرى حرفت التوراة فى هذا المقام ، وكذلك بين علماء البروتستنت اختلاف فى هذا الموضوع ، قال مفسرهم المشهور آدم كلارك فى الصفحة سنة ٨١٧ من المجلد الأول من تفسيره ان المحقق « كنى كات » يدعى صحة السامرية ، والمحقق « بارى » و « درشيور » يدعيان صحة العبرانية لكن كثيرا من الناس يفهمون أن أدلة كنى كات لا جواب لها ويجزمون بأن اليهود حرفوا لأجل عداوة السامريين . وهذا الأمر مسلم عند الكل وهو أن جرزيم ذو عيون وحدائق ونباتات كثيرة وعيبال جبل يابس لا شئ عليه من هذه الأشياء ، فاذا كان الأمر كذلك كان الجبل الاول مناسبا لاسماع البركة والثانى للعن « انتهى كلام المفسر وعلم منه ان مختار كنى كات وكثير من الناس أن التحريف واقع فى النسخة العبرانية ، وأن أدلة كنى كات قسرية جدا .

الشاهد الرابع : فى الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين هكذا (ونظر بئر فى الحقل وثلاثة قطعان غنم رابضة عندها ، من تلك البئر كانت تشرب الغنم وكان حجر عظيم على فم البئر ، فقالوا ما نستطيع حتى تجتمع الماشية) الى آخر الآية ، وفى الآية الثانية والثامنة وقع لفظ (قطعان غنم) ولفظ (الماشية) والصحيح لفظ الرعاة بدلها كما هو فى

النسخة السامرية واليونانية والترجمة العبرانية لوالتن ، قال المفسر « هارسلى » فى الصفحة الرابعة والسبعين من المجلد الأول من تفسيره فى ذيل الآية الثانية : لعل لفظ ثلاثة رعاة كان ههنا انظروا كنى كات ، ثم قال فى ذيل الآية الثامنة لو كان ههنا حتى تجتمع الرعاة لكان أحسن انظروا السامرية واليونانية وكنى كات والترجمة العربية لهيوبى كنى ، وقال آدم كلارك فى المجلد الأول من تفسيره (يصرهيوبى كنى اصرارا بليفا على صحة السامرية) وقال هورن فى المجلد الأول من تفسيره موافقا لما قال كنى كات وهيوبى كنى (انه وقع من غلط الكاتب لفظ قطعان والغنم بدل لفظ الرعاة) .

الشاهد الخامس : وقع فى الآية الثالثة عشر من الاصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثانى لفظ سبع سنين ، ووقع فى الآية الثانية عشر من الاصحاح الحادى والعشرين من السفر الاول من أخبار الأيام لفظ ثلاث سنين ، واحدهما غلط يقينا .

قال آدم كلارك فى ذيل عبارة صموئيل (وقع فى سفر أخبار الأيام ثلاث سنين لا سبع سنين ، وكذا فى اليونانية وقع ههنا ثلاث سنين كما وقع فى أخبار الأيام وهذه هى العبارة الصادقة بلا ريب) انتهى كلامه .

الشاهد السادس : وقع فى الآية الخامسة والثلاثين من الاصحاح التاسع من السفر الأول من أخبار الأيام فى النسخة العبرانية (وكان اسم اخته معكاه) والصحيح أن يكون لفظ الزوجة بدل الاخت ، قال آدم كلارك « وقع فى النسخة العبرانية لفظ الاخت وفى اليونانية واللاتينية والسريانية لفظ الزوجة وتبع المترجمون هذه التراجم « انتهى كلامه » وههنا جمهور البروتستنت تركوا العبرانية وتبعوا التراجم المذكورة ، فالتحريف فى العبرانية متعين عندهم .

الشاهد السابع : وقع فى الآية الثانية من الاصحاح الثانى والعشرين من السفر الثانى من أخبار الأيام فى النسخة العبرانية (آحزيا صار

سلطانا وكان ابن اثنتين وأربعين سنة) ولا شك أنه غلط يقينا لأن أباه يهورام حين موته كان ابن أربعين سنة ، وجلس هو على سرير سلطنته بعد موت أبيه متصلا فلوضح هذا يلزم أن يكون أكبر من أبيه بستين . وفى الآية السادسة والعشرين من الاصحاح الثامن من سفر الملوك الثانى (انه كان فى ذلك الوقت ابن اثنتين وعشرين سنة) قال آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسير ذيل عبارة أخبار الأيام : (وقع فى الترجمة السريانية والعربية اثنان وعشرون ، وفى بعض النسخ اليونانية عشرون ، والغالب أن يكون فى العبرانية فى الأصل هكذا لكنهم كانوا يكتبون العدد بالحروف ، فوقع الميم موضع الكاف من غلط الكاتب) ثم قال : (عبارة سفر الملوك الثانى صحيحه ، ولا يمكن أن تتطابق العبارتان ، وكيف تصح العبارة التى يظهر منها كون الابن أكبر من أبيه بستين ؟) انتهى كلامه وفى المجلد الأول من تفسير « هورن » وكذا فى تفسير هنرى واسكات أيضا اعتراف بأنه من غلط الكاتب .

الشاهد الثامن : وقع فى الآية التاسعة عشر من الصالح الثامن والعشرين من السفر الثانى من أخبار الأيام فى النسخة العبرانية (الرب قد أذل يهوذا بسبب آحاز ملك اسرائيل) ولفظ اسرائيل غلط يقينا لأنه كان ملك يهوذا لا ملك اسرائيل . ووقع فى اليونانية واللاتينية لفظ يهوذا ، فالتحريف فى العبرانية .

الشاهد التاسع : وقع فى الآية السادسة من الزبور الأربعين (فتحت أذنى) ونقل بولس هذه الجملة فى كتابه الى العبرانيين فى الآية الخامسة من الاصحاح العاشر هكذا (قد هيئت لى جسدا) فاحدى العبارتين غلط ومحرفة يقينا ، وتحير العلماء المسيحيون ، فقال جامعا تفسير هنرى واسكات : ان هذا الفرق وقع من غلط الكاتب وأحد المطلبين صحيح) فجامعوا التفسير المذكور اعترفوا بالتحريف ، لكنهم توقفوا فى نسبته الى احدى العبارتين بالتعيين . وقال آدم كلارك فى المجلد الثالث من تفسيره ذيل عبارة الزبور : (المتن العبرانى المتداول محرف) فنسب التحريف الى عبارة الزبور . وفى تفسير نوالى ورجردمينت : (العجب أنه

وقع فى الترجمة اليونانية) وفى الآية الخامسة من الاصحاح العاشر من الرسالة الى العبرانيين بدل تلك الفقرة التى فى الزبور هذه الفقرة (قد هيئت لى جسدا) فهذان المفسران نسبوا التحريف الى عبارة الانجيل

الشاهد العاشر : وقع فى الآية الثامنة والعشرين من الزبور المائة والخامس فى العبرانية (هم ما عصوا قوله) وفى اليونانية (هم عصوا قوله) ففى الأولى نفى والثانية اثبات فأحدهما غلط يقينا ، وتحير العلماء المسيحيون ههنا ، ففى تفسير هنرى واسكات (لقد طالقت المباحثة لأجل هذا الفرق جدا والظاهر أنه نشأ اما لزيادة حرف أو لتركة) انتهى . فجامعوا هذا التفسير اعترفوا بالتحريف لكن ما قدروا على تعيينه .

الشاهد الحادى عشر : وقع فى الآية التاسعة من الاصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثانى (بنو اسرائيل كانوا ثمانمائة ألف رجل شجاع وبنو يهوذا خمسمائة ألف رجل شجاع) وفى الآية الخامسة من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الملوك الأول (فاسرائيل كانوا ألف ألف ومائة ألف رجل شجاع) ويهوذا كانوا أربعمائة ألف وسبعون ألف رجل شجاع) فاحدى العبارتين ههنا محرفة قال آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره ذيل عبارة صموئيل (لا يمكن صحة العبارتين وتعيين الصحيحة عسير ، والأغلب أنها الأولى . ووقعتم فى كتب التواريخ من العهد العتيق تحريفات كثيرة بالنسبة الى المواضع الأخر ، والاجتهاد فى التطبيق عبث . والأحسن أن يسلم فى أول الوهلة : الأمر الذى لا قدرة على انكاره بالظفر ، ومصنفوا العهد العتيق وان كانوا نوى الهام لكن الناقلين لم يكونوا كذلك) انتهى كلامه فهذا المفسر اعترف بالتحريف لكنه لم يقدر على التعيين ، واعترف بأن التحريفات فى كتب التواريخ كثيرة ، وأنصف فقال : ان الطريق الأسلم تسليط التحريف من أول الوهلة .

الشاهد الثانى عشر : قال المفسر « هارسلى » فى الصفحة الحادية والتسعين بعد المائتين من المجلد الأول من تفسيره بعد الآية الرابعة من الاصحاح الثانى عشر من سفر القضاة : (لا شبهة أن هذه الآية محرفة)

الشاهد الثالث عشر : وقع فى الآية الثامنة من الاصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الثانى لفظ ارم ولا شك أنه غلط ، والصحيح لفظ أدوم ، وآدم كلارك المفسر حكم أولا بأنه غلط يقينا ، ثم قال الأغلب أنه من غلط الكاتب .

الشاهد الرابع عشر : وقع فى الآية السابعة من الاصحاح المذكور (أن أبى سالوم قال للسلطان بعد أربعين سنة) ولفظ الاربعين غلط يقينا والصحيح لفظ الأربع ، قال آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره : (لا شبهة أن هذه العبارة محرفة) ثم قال (أكثر العلماء : ان وقع الاربعين موضع الاربع من غلط الكاتب) انتهى كلامه .

الشاهد الخامس عشر : قال آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره ذيل الآية الثامنة من الاصحاح الثالث والعشرين من سفر صموئيل الثانى : (قال كنى كات فى هذه الآية : فى المتن العبرانى ثلاث تحريفات عظيمة) انتهى كلامه ، فأقر ههنا بثلاث تحريفات جسيمة :

الشاهد السادس عشر : الآية السادسة من الاصحاح السابع من السفر الأول من أخبار الأيام هكذا : (بنو بنيامين بلع وبكر ويسم بيل ثلاثة أشخاص) وفى الاصحاح الثامن من السفر المذكور هكذا : (ولد بنيامين ولده الأكبر بلع والثانى اشبيل والثالث ارحح والرابع نوحاه والخامس (راقاء) وفى الآية الحادية والعشرين من الاصحاح السادس والاربعين من سفر التكوين هكذا نسخة سنة ١٨٤٨ (بنو بنيامين بالغ وباخور واشبيل وجيرا ونعمان واجى وروش وماقيم وارد) وفى العبارات الثلاث اختلاف من وجهين الأول فى الأسماء ، الثانى فى العدد ، حيث يفهم من الاولى أن أبناء بنيامين ثلاثة ، ويفهم من الثانية أنهم خمسة ، ويفهم من الثالثة أنهم عشرة ، ولما كانت العبارة الاولى والثانية من سفر واحد ، يلزم التناقض فى كلام مصنف واحد ، وهو عزرا النبى عليه السلام (١) ولا شك أن

(١) عزرا لم يكن نبيا ولا وليا حتى يقال عنه : عليه السلام . وانه هو الذى حرف التوراة عمدا (انظر كتاب نقد التوراة)

أحدى العبارات عندهم صادقة ، والباقيتين تكونان كاذبتين . وتحير علماء أهل الكتاب فيه واضطروا ونسبوا الخطأ الى عزرا عليه السلام قال آدم كلارك ذيل العبارة الأولى : (كتب ههنا لأجل عدم التمييز للمصنف ابن الابن موضع الابن ، وبالعكس ، وبالعكس ، والتطبيق فى مثل هذا الاختلاف غير مفيد وعلماء اليهود يقولون أن عزرا عليه السلام الذى كتب هذه السفر ما كان له علم بأن بعض هؤلاء بنون أم بنو الأبناء ، ويقولون أيضا ان أوراق النسب الذى نقل عنها عزرا عليه السلام كان أكثرها ناقصا . ولا بد لنا أن نترك أمثال هذه المعاملات) انتهى كلامه . فانظر أيها اللبيب ههنا كيف اضطر أهل الكتاب طرا سواء كانوا من اليهود أو من المسيحيين (الى الاقرار بالتحريف) وما وجدوا ملجأ سوى الاقرار بأن ما كتب عزرا عليه السلام غلط ، وما حصل له التمييز بين الأبناء وأبناء الأبناء ، فكتب ما كتب ، والمفسر لما أيس من التطبيق قال أولا : (والتطبيق فى مثل هذه الاختلافات غير مفيد) وقال ثانيا (لا بد لنا أن نترك أمثال هذه المعاملات) .

فائدة جلية : لا بد من التنبيه عليها : اعلم أرشدك الله تعالى أن جمهور أهل الكتاب يقولون ان السفر الأول والثانى من أخبار الايام صنفهما عزرا عليه السلام باعانة حجي وزكريا الرسولين عليهما السلام (1) فعلى هذان السفيران المذكوران اتفق الأنبياء الثلاثة عليهم السلام ، وكتب التواريخ شاهدة بأن حال كتب العهد العتيق قبل حادثة بخت نصر كان ابر ، وبعد حادثته ما بقى لها غير الاسم ، ولو لم يدون عزرا عليه السلام هذه الكتب مرة أخرى لم توجد فى زمانه فضلا عن الزمان الآخر ، وهذا الأمر مسلم عند أهل الكتاب أيضا فى السفر الذى هو منسوب الى عزرا وفرقة البروتستنت لا يعترفون بأنه سماوى لكن مع ذلك الاعتقاد لا تحط رقبته من كتب المؤرخين المسيحيين ، وعندهم وقع هكذا : (أحرقت التوراة وما كان

(1) زكريا كان فى سبى بابل مع حجاي . وليس فى القرآن ما يدل

على نبوتها . وليس زكريا هذا والد يحيى عليه السلام .

أحد يعلمه وقيل ان عزرا جمع ما فيه مرة أخرى باعانة روح القدس) انتهى . وقال كليمنس اسكندر يانوس : (ان الكتب السماوية ضاعت فآلهم عزرا أن يكتبها مرة أخرى) انتهى وقال ترتولين : (ان المشهور أن عزرا كتب مجموع الكتب بعدما أغار أهل بابل على بروشالم) انتهى . وقال تهيوفلكت (ان الكتب المقدسة انعدمت رأسا فأوجدها عزرا مرة أخرى بالهام) انتهى . وقال جان مل نركا تلك فى الصفحة ١١٥ من كتابه الذى طبع فى بلدة دربي سنة ١٨٤٣ (اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الاصلية وكذا نسخ كتب العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر بخت نعر ، ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضا فى حادثة انيتوكس) انتهى كلامه بقدر الحاجة .

إذا كلمت هذه الأقوال فارجع الى كلام المفسر المذكور ، وأقول : يظهر للبيب هنا سبعة أمور .

الأمر الأول : أن هذه التوراة المتداولة الآن ليست التوراة التى ألهمها موسى عليه السلام أولا ، ثم بعد انعدامها كتبها عزرا عليه السلام بالالهام مرة أخرى ، والا لرجع اليها عزرا عليه السلام وما خالفها ونقل على حسبها ، وما اعتمد على الأوراق الناقصة التى لم يقدر على التمييز بين الغلط والصحيح منها . وان قالوا انها هى لكنها أيضا كانت منقولة عن النسخة الناقصة التى حصلت له ولم يقدر حين التحرير على التمييز بينها كما لا يقدر ههنا بين الأوراق الناقصة ، نقول : على هذا التقدير لا تكون التوراة معتمدا عليها وان كان ناقلها عزرا عليه السلام كما لا يخفى .

الامر الثانى : أنه اذا غلط عزرا فى هذا السفر مع أن الرسولين الآخرين كانا معينين له فى تأليف هذا السفر فيجوز صدور الغلط منه فى الكتب الاخرى أيضا . فلا بأس لو انكر أحد شيئا من هذه الكتب اذا كان فلك الشئ مخالفا للبراهين القطعية أو مصادما للبداهة ، مثل أن ينكر ما وقع فى الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين من أن لوطا عليه

السلام زنى بينتيه والعياذ بالله تعالى وحملتا من أبيهما وتولد لهما ابنان هما أبوا الموابيين والعمانيين . وما وقع فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر صموئيل الأول من أن داود عليه السلام زنى بامرأة أوريا وحملت بالزنا منه فقتل زوجها بالحيلة وتصرف فيها . وما وقع فى الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول أن سليمان عليه السلام ارتد فى آخر عمره بترغيب زوجاته وعبد الأصنام وبنى لهما معابد وسقط من نظر الله تعالى وأمثال هذه القصص التى تقشعر منها جلود أهل الايمان ويكذبها البرهان .

الأمر الثالث : أن الشيء اذ صار محرفا فليس بضرورى أن يزول ذلك التحريف يتوجه النبى الذى بعده ، وأ ن يخبر الله تعالى عن المواضع المحرفة البتة ولا جرت عليه العادة الالهية .

الأمر الرابع : أن علماء البروتستنت ادعوا أن الأنبياء والحواريين وان لم يكونوا معصومين عن الذنوب والخطأ والنسيان لكنهم معصومون فى التبليغ والتحرير فكل ما بلغوه أو حرروه فهو مصون عن الخطأ والسهو والنسيان . أقول ما ادعوه لا أصل له من كتبهم ، والا لم صار تحرير عزرا عليه السلام مع كون الرسولين عليهما السلام معينين له غير مصون عن الخطأ .

الأمر الخامس : انه لا يلهم النبى فى بعض الأحيان فى بعض الامور مع كون الالهام محتاجا اليه لان عزرا عليه السلام لم يلهم مع كونه كان محتاجا الى الالهام فى ذلك الأمر .

الأمر السادس : انه ظهر صدق دعوى أهل الاسلام باننا لا نسلم ان كل ما اندرج فى هذه الكتب فهو الهامى ، ومن جانب الله تعالى لأن الغلط لا يصلح أن يكون الهاما ومن جانب الله عز وجل وهو يوجد فى هذه الكتب بلا ريب كما عرفت آنفا فى الشواهد السابقة وكما ستعرف فى الشواهد اللاحقة أيضا ان شاء الله تعالى .

الأمر السابع : انه اذا لم يكن عزرا عليه السلام مصونا عن الخطأ فى التحرير ، فكيف يكون مرقس ولوقا الانجيليان اللذان ليسا من

الحواريين أيضا مضمونين عن الخطأ فى التحرير ، لأن عزرا عليه السلام عند أهل الكتاب نبى ذو الهام وكان النبيان ذو الالهام معينين له فى التحرير ، ومرقس ولوقا ليسا نبيين ذوى الهام بل عندنا متى ويوحنا ليسا كذلك ، وإن كان زعم المسيحيين من فرقة البروتستانت بخلافه ، وكلام هؤلاء الأربعة الانجيليين مملوء من الاغلاط والاختلافات الفاحشة كما أثبتناه فى كتابنا هذا .

الشاهد السابع عشر : قال آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره ذيل الآيه التاسعة والعشرين من الاصحاح الثامن من السفر الأول من أخبار الأيام ما عبارته : (فى هذا الاصحاح من هذه الآيه الى الآيه الثامنة والثلاثين ، وفى الاصحاح التاسع من الآيه الخامسة والثلاثين الى الآيه الرابعة والاربعين توجد أسماء مختلفة ، وقال علماء اليهود ان عزرا وجد كتابين توجد فيهما هذه الفقرات مع شىء من اختلاف الاسماء ، ولم يحصل له تمييز بأن أيهما أحسن فنقلهما) انتهى كلامه ، ولك أن تقول ههنا كما مر فى الشاهد المتقدم .

الشاهد الثامن عشر : فى الاصحاح الثالث عشر من السفر الثانى من أخبار الأيام وقع فى الآيه الثالثة لفظ أربعمائة ألف فى تعداد عسكر أبياه ، ولفظ ثمانمائة ألف فى تعداد عسكر يربعام ، وفى الآيه السابعة عشر لفظ خمسمائة ألف فى تعداد القتولين من عسكر يربعام ، ولما كانت هذه الأعداد بالنسبة الى هؤلاء الملوك مخالفة للقياس غيرت فى أكثر نسخ الترجمة اللاتينية الى أربعين ألفا فى الموضع الأول وثمانين ألفا فى الموضع الأول وثمانين ألفا فى الموضع الثانى وخمسين ألفا فى الموضع الثالث ، ورضى المفسرون بهذا التغيير ، قال هورن فى المجلد الأول من تفسيره (الأغلب أن عدد هذه النسخ) أى نسخ الترجمة اللاتينية (صحيح) انتهى . وقال آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره : (يعلم أن العدد الصغير) أى الواقع فى نسخ الترجمة اللاتينية (فى غاية الصحة ، وقد استغننا كثيرا من وقوع التحريف فى أعداد كتب التواريخ هذه) انتهى كلامه ، وهذا المفسر بعد اعترافه بالتحريف ههنا صرح بوقوعه كثيرا فى الأعداد .

الشاهد التاسع عشر : فى الآية التاسعة من الاصحاح السادس والثلاثين من السفر الثانى من أخبار الأيام (وكان يواخين ابن ثمانى سنين حين صار سلطانا) ولفظ ثمانى سنين غلط ومخالف لما وقع فى الآية الثامنة من الاصحاح الرابع والعشرين من سفر الملوك الثانى (وكان يواخين حين جلس على سرير السلطنة ابن ثمانى عشر سنة) قال آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره ذيل عبارة سفر الملوك (وقع فى الآية التاسعة من الاصحاح السادس والثلاثين من السفر الثانى من أخبار الأيام لفظ ثمانية وهو غلط البتة لأن سلطنته كانت الى ثلاثة اشهر ثم ذهب الى بابل أسيرا وكان فى المجلس وأزواجه معه ، والغالب أنه لا يكون لابن ثمانى أو تسع أزواجا ، ويشكل أيضا ان يقال لمثل هذا الصغير انه فعل قبيحا عند الله فهذا الموضع من السفر محرف .

الشاهد العشرون : فى الآية السابعة عشر من الزبور الحادى والعشرين على ما فى بعض النسخ أو فى الآية السادسة عشر من الزبور الثانى والعشرين وقعت هذه الجملة فى النسخة العبرانية : (وكلتا يدي مثل الأسود والمسيحيون من فرقة الكاثوليك والبروتستنت فى تراجمهم ينقلونها هكذا : (وهم طعنوا يدي ورجلى) فهؤلاء متفقون على تحريف العبرانية ههنا .

الشاهد الحادى والعشرون : قال آدم كلارك فى المجلد الرابع من تفسيره ذيل الآية الثانية من الاصحاح الرابع والستين من سفر أشعيا (المتن العبرانى محرف كثيرا ههنا ، والصحيح أن يكون هكذا (كما أن الشمع يذوب من النار) انتهى . قلت والذى فى النسخ الآن هكذا (مثل حرقرة النار تزيل)

الشاهد الثانى والعشرون : الآية الرابعة من الاصحاح المذكور هكذا (لأن الانسان من قديم ما سمع وما وصل الى أذن أحد وما رأت عينا احد الها غيرك يفعل لمنتظريه مثل هذا) ونقل بولس هذه الآية فى الآية التاسعة من الاصحاح الثانى من رسالته الأولى الى أهل كورنثيوس هكذا : بل (كتب (م ٣٩ - الجواب الفسيح)

الأشياء التي هيأ الله للذين يحبونه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولم يخطر
يخطر بخاطر انسان) فكم من فرق بينهما ؟ فاحداهما محرفة في تفسير
هنرى واسكات : (الرأى الحسن) أن المتن العبرى محرف) انتهى »

وآدم كلارك ذيل عبارة أشعيا عليه السلام (١) نقل أولا أقوالا كثيرة
وردها وجرحها ثم قال : (انى متحير ماذا أفعل فى هذه المشكلات ؟ غير
ن أن أضع بين يدى الناظر أحد الأمرين إما أن يعتقد بأن اليهود حرفوا هذا
الموضع فى المتن العبرانى والترجمة اليونانية تحريفا قصديا كما هو
المظنون ظنا قويا فى المواضع الأخر المنقولة فى العهد الجديد عن العهد
العتيق أنظروا كتاب (آوؤن) من الفصل السادس الى الفصل التاسع
فى حق الترجمة اليونانية ، وإما أن يعتقد أن بولس ما نقل عن ذلك
الكتاب بل نقل عن كتاب أو كتابين من الكتب الجعلية ، أغنى معراج
أشعيا ومشاهدات ايليا الذى وجدت هذه الفقرة فيها ، وظن البعض أن
الحوارى نقل عن الكتب الجعلية ولعل الناس لا يقبلون الاحتمال الأول
بسهولة ، فأنبهه الناظرين تنبيها بليغا على أن « جيروم » عد الاحتمال
الثانى أسوأ من الالحاد) انتهى كلامه .

الشاهد الثالث والعشرون الى الشاهد الثامن والعشرين : قال
هورن فى المجلد الثانى من تفسيره : (يعلم أن المتن العبرى فى الفقرات
المفصلة الذيل محرف ، الأولى الآية الأولى من الاصحاح الثالث من سفر
ملاخيا ، الثانية الآية الثانية من الاصحاح الخامس من سفرميا ، الثالثة من
الآية الثامنة الى الآية الحادية عشر من الزبور السادس عشر ، الرابعة الآية
الحادية عشر والثانية عشر من الاصحاح التاسع من سفر عاموص ،
الخامسة من الآية السادسة الى الثامنة من الزبور الاربعين ، السادسة
الآية الرابعة من الزبور العاشر بعد المائة) فأقر محققهم بالتحريف فى
هذه المواضع فى الآيات ووجه اقراره : ان الموضع الأول نقله متى فى

(١) أشعيا ليس له ذكر فى القرآن حتى يسلم عليه .

الآية العاشرة من الاصحاح الحادى عشر من انجيله ، وما نقله يتخالف كلام ملاخيا المتقول فى المتن العبرانى والترجم القديمة بوجهين ، الأول : ان لفظ (امام وجهك فى هذه الجملة هانذا ارسل ملكى امام وجهك) زائد فى متقول متى لا يوجد فى كلام ملاخيا والثانى انه وقع فى متقوله (ليوطىء السبيل قدامى) وفى كلام ملاخيا (ليوطىء السبيل قدامى) وقال هورن فى الحاشية : (ولا يمكن أن يبين سبب المخالفة بسهولة ، غير أن النسخ القديمة وقع فيها تحريف ما) انتهى كلامه ، وأن الموضع الثانى نقله متى أيضا فى الآية السادسة من الاصحاح الثانى من انجيله وبينهما مخالفة ، وأن الموضع الثالث نقله لوقا فى الآية الخامسة والعشرين الى الثمانية والعشرين من الاصحاح الثانى من سفر أعمال الحواريين وبينهما مخالفة ، وأن الموضع الرابع نقله لوقا فى الآية السادسة عشر والسابعة عشر من الاصحاح الخامس عشر من سفر أعمال الحواريين وبينهما مخالفة ، وأن الموضع الخامس نقله بولس فى الآية الخامسة الى السابعة فى رسالته الى العبرانيين وبينهما مخالفة ، وأما حال الموضع السادس (١) فلم يتضح لى حق الاتضاح ، لكن « هورن » لما كان من المحققين المعتبرين عندهم فاقراره يكفى حجة عليهم .

الشاهد التاسع والعشرين : فى الآية الثامنة من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الخروج فى المتن العبرانى الأصل فى مسألة الجارية وقع النفى وفى عبارة الحاشية وجد الاثبات .

الشاهد الثلاثون : فى الآية الحادية والعشرين من الاصحاح الحادى عشر من سفر الأحبار فى حكم الطيور التى تمشى على الأرض فى المتن العبرانى وجد النفى وفى عبارة الحاشية الاثبات .

(١) الموضع السادس لم يتضح للمؤلف ولا للناتل عنه . وهو أن الآية الرابعة ونصها « أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن الى الأبد على رتبة ملكى صادق » (مز . ١١٠ : ٤) اقتبسها بولس فى الاصحاح الخامس من الرسالة الى العبرانيين فقال : « أنت كاهن الى الأبد على رتبة ملكى صادق »

الشاهد الحادى والثلاثون : فى الآيه الثلاثين من الإصحاح الخامس والعشرين من سفر الأحبار فى حكم البيت ، فى المتن وجد النفى وفى عبارة الحاشية الإثبات ، واختار علماء البروتستنت فى هذه المواضع الثلاثة فى تراجمهم الإثبات ، - وعبارة الحاشية - وتركوا المتن - الأصل - فعندهم الأصل فى هذه المواضع محرف ، ومن وقوع التحريف فيها اشتبهت الأحكام الثلاثة المندرجة فيها فلا يعلم يقينا أن الصحيح الحكم الذى يفيد النفى أو الحكم الذى يفيد الإثبات ، وظهر من هذا أن ما قالوه من أنه لم يثبت حكم من أحكام الكتب السماوية بوقوع التحريف الذى فيها غير صحيح .

الشاهد الثانى والثلاثون : فى الآيه الثامنة والعشرين من الإصحاح العشرين من سفر الاعمال : (حتى تركوا كنيسة الله التى اقتنى بدمه) قال كريباخ (لفظ الله غلط والصحيح لفظ الرب) فعنده لفظ الله محرف .

الشاهد الثالث والثلاثون : فى الآيه السادسة عشر من الإصحاح الثالث من رسالة بولس الأولى الى طيموساوس (الله ظهر فى الجسد) قال كريباخ (ان لفظ الله غلط والصحيح ضمير الغائب) أى بأن يقال هو .

الشاهد الرابع والثلاثون : فى الآيه الثالثة عشر من الإصحاح الثامن من المشاهدات (ثم رأيت ملكا طائرا) قال كريباخ وشولز (لفظ الملك غلط والصحيح لفظ العقاب) .

الشاهد الخامس والثلاثون : فى الآيه الحادية والعشرين من الإصحاح الخامس من رسالة بولس الى أهل أفسيس (وليخضع بعض لبعض لخوف الله) قال كريباخ وشولز (أن لفظ الله غلط والصحيح لفظ المسيح) انتهى .

ولنكتف من شواهد المقصد الاول على هذا القدر خوفا من الإطالة والكثرة التى توجب للسامعين الملالة .

المقصد الثاني فى اثبات التحريف بالزيادة :

ونورد أيضا لذلك شواهد :

الشاهد الأول : اعلم أن ثمانى كتب من العهد العتيق كان مشكوكا فى صحتها وغير مقبولة عند المسيحيين الى ثلثمائة وأربع وعشرين سنة ، وهى كتاب أستير وكتاب باروخ وكتاب طوبيا وكتاب يهوديت وكتاب وزدم وكتاب انكليزيا ستيكس والكتاب الأول للمقابين ، وفى سنة ثلثمائة وخمس وعشرين من السنين المسيحية انعقد مجلس علماء المسيحيين انعقد مجلس علماء المسيحيين بحكم السلطان قسطنطين ببلدة نائس ليتشاوروا ويحققوا الأمر فى هذه الكتب المشكوك فيها ، وبعد المشاورة والتحقيق حكم هؤلاء بأن كتاب يهوديت واجب التسليم وأبقوا باقى الكتب مشكوك فيها كما كانت ، وهذا الأمر يظهر من المقدمة التى كتبها جيروم على ذلك الكتاب ، ثم بعد ذلك انعقد مجلس لوديسيا فى سنة ثلثمائة وأربع وستين وعلماء هذا المجلس سلموا حكم علماء المجلس الأول فى كتاب يهوديت ، وزادوا عليه من الكتب المذكورة كتاب أستير وأكدوا حكمهم بالرسالة العلماة ثم بعد ذلك انعقد مجلس كارتهيج فى سنة ثلثمائة وسبع وتسعين وكان أهل ذلك المجلس مائة وسبعة وعشرين عالما من العلماء المشهورين ومنهم الفاضل المشهور المقبول عندهم اكستايين فهؤلاء العلماء سلموا أحكام المجلسين الأولين وسلموا الكتب الباقية لكنهم جعلوا كتاب باروخ بمنزلة جزء من كتاب ارميا لأن باروخ عليه السلام كان بمنزلة نائب لارميا عليه السلام ، فلذلك ما كتبوا اسم كتاب باروخ على حدة ، فى أسماء الكتب .

ثم انعقد بعد ذلك ثلاثة مجالس آخر أعنى مجلس نزلو ومجلس فلورنس ومجلس ترنت ، وعلماء هذه المجالس الثلاثة سلموا أحكام المجالس الثلاثة السابقة وبعد انعقاد هذه المجالس صارت الكتب المذكورة مسلمة بين جمهور المسيحيين ، وبقت الى مدة ألف ومائتى سنة ، ثم ظهرت فرقة البروتستنت ، فرددوا حكم أسلافهم فى كتاب باروخ وكتاب طوبيا وكتاب يهوديت وكتاب وزدم وكتاب انكليزيا ستيكس وكتابى المقابين ، وقالوا

أن هذه الكتب ليست مسلمة الهامية بل واجبة الرد ، وردوا حكمهم فى جزء من كتاب استير ، وسلموا فى جزء ، لأن هذا الكتاب كان ستة عشر اصحاحا فسلموا الاصحاحات التسعة الأولى وثلاث آيات من الاصحاح العاشر ، وردوا عشر آيات من هذا الاصحاح وستة اصحاحات باقية .

وتمسكوا بوجوه منها : أن يوسى ببس المؤرخ صرح فى الباب الثانى والعشرين من الكتاب الرابع أن هذه الكتب حرفت سيما الكتاب الثانى للمقابين . ومنها : أن اليهود لا يقولون انها الهامية والكنيسة الرومانية التى متبعوها الى الآن أيضا أكثر من فرقة بروتستنت تسلم هذه الكتب الى هذا الحين ، وتعتقد أنها الهامية واجبة التسليم ، وهى داخلة فى ترجمتهم اللاطينية التى هى مسلمة ومعتبرة عندهم غاية الاعتبار ومبنى دينهم وديانتهم .

إذا علمت هذا : فأقول أى تحريف بالزيادة يكون أزيد من هذا عند فرقة البروتستنت واليهود ؟ لأن الكتب التى كانت غير مقبولة الى ثلثمائة وأربع وعشرين سنة وكانت محرفة غير الهامية ، جعلها أسلاف المسيحيين فى المجالس المتعددة واجبة التسليم ، وادخلوها فى الكتب الالهامية وأجمع ألوف من علمائهم على أحقيتها والهاميتها ، والكنيسة الرومانية الى هذا الزمان تصر على كونها الهامية ، فظهر من هذا أنه لا اعتبار لاجماع أسلافهم وليس هذا الاجماع دليلا ضعيفا على المخالف ، فضلا عن أن يكون قويا فكما اجمعوا على هذه الكتب المحرفة الغير الهامية يجوز أن يكون اجماعهم على هذه الأناجيل المروجة مع كونها محرفة غير الهامية ، ألا ترى أن هؤلاء الاسلاف كانوا مجمعين على صحة نسخة اليونانية وكانوا يعتقدون تحريف النسخة العبرانية وكانوا يقولون ان اليهود حرفوها فى سنة مائة وثلاثين من السنين المسيحية كما عرفت فى الشاهد الثانى من المقصد الأول ، والكنيسة اليونانية وكذا الكنائس المشرقية الى هذا الحين أيضا مجمعون على صحتها واعتقادها كاعتقاد الأسلاف ، وجمهور

علماء البروتستنت أثبتوا أن اجماع الأسلاف وكذا الأخلاف المقتدين بهم ،
قلط . وعكسوا الأمر فاعتقدوا وقالوا في حق العبرانية ما قال أسلافهم
في حق اليونانية وكذا أجمعت الكنيسة الرومانية على صحة الترجمة
اللاتينية ، وعلماء البروتستنت أثبتوا أنها محرفة ، بل لم تحرف ترجمة
مثلها . قال هورن في المجلد الرابع من تفسيره نسخة سنة ١٨٢٢
صفحة ٤٦٣) وقمت التحريفات واللاحقات الكثيرة في هذه الترجمة من
القرن الخامس الى القرن الخامس عشر (ثم قال في الصفحة ٤٦٧ (لا بد
أن يكون ذلك الأمر في بالك وهو أن ترجمة من التراجم لم تحرف مثل
اللاتينية فان ناقلهاغير المبالة أدخلوا فقرات بعض كتاب من العهد الجديد
في كتاب آخر وكذا أدخلوا عبارات الحواشى في المتن) انتهى .

وإذا كان فعلهم بالنسبة الى ترجمتهم المقبولة المتداولة غاية التداول
هذا ، فكيف يرجى منهم أنهم لم يحرفوا المتن ؟ الأصل الذى لم يكن متداولاً
بينهم مثلها يقينا بل الأظهر أن من بادر منهم الى تحريف الترجمة بادر
الى تحريف الأصل ليكون لفعله سترا عند قومه .

والعجب من فرقة البروتستنت أنهم لما أنكروا هذه الكتب لم أبقوا
جزءاً من كتاب أستير ؟ ولم لم ينكروه رأساً ؟ لأن هذا الكتاب لا يوجد فيه
من أوله الى آخره اسم من أسماء الله فضلا عن بيان صفاته أو حكم من
أحكامه ، ولا يعلم حال مصنفه وشارحو العهد العتيق لا ينسبونه الى
شخص واحد على سبيل الجزم بالدليل ، بل بالظن والتخمين رجماً
بالغيب ، فبعضهم نسبوه الى علماء المعبد الذين كانوا من عهد عزرا عليه
السلام الى زمن سيمين ، ونسبه فلو اليهودى الى يهوكين الذى هو ابن
اليسوع الذى جاء من بابل ، بعد ما أطلق الأسراء ، ونسبه اكستين
الى عزرا عليه السلام ، ونسبه البعض الى مردكى ، وبعضهم اليه والى
إستير ، وفي الصفحة ٣٤٧ من المجلد الثانى من كاتلك هولد : « الفاضل
بليتو ما كتب اسم هذا الكتاب فى ذيل أسماء الكتب المسلمة كما صرح
يوسى بيس فى تاريخ كليسيا فى الباب السادس والعشرين من الكتاب

الرابع وضبط كرى نارين زن فى الاشعار أسماء الكتب الصحيحة وما كتب
اسم هذا الكتاب فيها ، وأيم فى لو كيس أظهر شبهة على هذا الكتاب فى
أشعاره التى كتبها الى سيلوكس ، واتهانى سيش فى مكتوبه التاسع
والثلاثين رد هذا الكتاب وقبحه .

الشاهد الثانى : الآية الحادية والثلاثون من الاصحاح السادس
والثلاثين من سفر الخليقة هكذا : (وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى ارض
ادوم قبل أن يملك ملك لبني اسرائيل) ولا يمكن أن تكون هذه الآية من
كلام موسى عليه السلام لأنها تدل على أن المتكلم لها بعد زمان قامت
فيه سلطنة بنى اسرائيل ، وأول ملوكهم شاول وكان بعد موسى عليه السلام
بثلاثمائة وست وخمسين سنة ، قال آدم كلارك فى المجلد الأول من تفسيره
ذيل هذه الآية : (غالب ظنى أن موسى عليه السلام ما كتب هذه الآية
والآيات التى بعدها الى الآية التاسعة والثلاثين ، بل هذه هى آيات
الاصحاح الأول من السفر الأول من سفر أخبار الايام وأظن ظنا قويا
تريبا من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة
من التوراة ، فظن الناقل أنها جزء المتن فادخلها فيه) انتهى .

فاعترف هذا المفسر بالحاق الآيات التسعة ، وعلى اعترافه يلزم أن
كتبهم كانت صالحة للتحريف لأن هذه الآيات التسعة مع عدم كونها
من التوراة أدخلت فيه وشاعت بعد ذلك فى جميع النسخ .

الشاهد الثالث : الآية الرابعة عشر من الباب الثالث من سفر
الاستثناء (فيايربن منساورث كل أرض أرغوب الى تخوم جاسور)
ومعكاتى وسمى ياسان باسمه جالوت بأمر التى هى نرى ياير الى هذا
اليوم) وهذه الآية أيضا لا يمكن أن تكون من كلام موسى عليه السلام
لأن المتكلم بها لابد أن يكون متأخرا عن ياير متأخرا كثيرا كما يشعر به قوله
(الى هذا اليوم) لأن مثل هذا اللفظ لا يستعمل الا فى الزمان الابدع
على ما حققه المحققون من علمائهم كما ستعرف عن قريب . قال الفاضل
المشهور « هورن » لبيان هاتين الفقرتين اللتين نقلتهما فى الشاهد الثانى

والثالث فى المجلد الأول من تفسيره : (هاتان الفقرتان لا يمكن أن يكونا من كلام موسى عليه السلام لأن الفقرة الأولى دالة على أن مصنف هذا الكتاب بعد زمان قامت فيه سلطنة بنى اسرائيل ، والفقرة الثانية دالة على أن مصنفه بعد زمان اقامة اليهود فى فلسطين ، لكن لو فرضناهما الحاقيتين لا يتطرق الخلل فى حقية الكتاب ، ومن نظر بالنظر الدقيق علم أن هاتين الفقرتين ليستا بلا فائدة فقط ، بل هما ثقلان على متن الكتاب ، سيما الفقرة الثانية لأن مصنفه موسى كان او غيره لا يقول لفظ الى هذا اليوم ، فالأغلب أنه كان فى الكتاب بهذا القدر .
فيما بين منساورث كل أرض أرغوب الى تخوم جاسور ومعكاتبى ،
وسمى ياسان باسمه جالوت يابر) ثم بعد قرون زيد اللفظ فى الحاشية ليطلع أن الاسم الذى سماها يابريه هو اسمها الى الآن ، ثم انتقلت تلك العبارة عن الحاشية الى المتن فى النسخ المتأخرة ، ومن كان شاكاً فى هذا الأمر فليتنظر النسخ اليونانية يجد فيها أن الحاقات التى توجد فى النسخ الاخرى على الحاشية) انتهى فاعترف أن هاتين الفقرتين لا يمكن أن يكونا من كلام موسى عليه السلام ، وقوله فالأغلب الى آخره ، يدل على أنه ليس عنده سند لهذا الأمر سوى زعمه ، وعلى أن هذا الكتاب بعد القرون من تأليفه كان صالحاً لتحريف المحرفين لأن هذا اللفظ بحسب اعترافه زيد بعد قرون ، ومع ذلك صار جزءاً من الكتاب وشاع فى جميع نسخه المتأخرة ، وقوله :

لو فرضناهما الحاقيتين لا يتطرق الخلل فى حقية الكتاب (يدل على التعصب ، وهو ظاهر ، وقال الجامعون لتفسير « هنرى » و « اسكات » ذيل الفقرة الثانية : (الجملة الأخيرة الحاقية الحقها أحد بعد موسى عليه السلام ، ولو تركت لا يقع الفساد فى المضمون) أقول : تخصيص الجملة الأخيرة لغيره لأن الفقرة الثانية كلها لا يمكن أن تكون من كلام موسى كما اعترف به « هورن »

تنبيه : بقى فى الفقرة الثانية شىء آخر وهو أن يابريليس ابن منسا بل هو ابن ساغب كما هو مصرح به فى الآية الثامنة والعشرين من الاصحاح الثانى من السفر الأول من أخبار الايام .

الشاهد الرابع : الآية الاربعون من الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر العدد (فاما ياير بن منسا فعمد وأخذ دساكرها ودعاها جالوت ياير التى هى قرى ياير) وحال هذه الآية كحال آية سفر الاستثناء ، وقد علمت فى الشاهد الثالث وفى دكشنيرى ببيل الذى طبع فى أمريكا واقليم الانكليز والهند ، وشرع فى تأليفه كالمنت وكمله زابت وتيلر هكذا : (بعض الجمل التى توجد فى كتاب موسى تدل صراحة على أنها ليست من كلامه مثل الآية الأربعين من الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر العدد ، والآية الرابعة عشر من الاصحاح الثالث من سفر الاستثناء ، وكذلك بعض عبارات هذا الكتاب ليس على محاوره كلام موسى ، ولا تقدر أن تقول جزما أن أى شخص ألحق هذه الجمل والعبارات ، لكن نقول بالظن الغالب : أن عزرا النبى ألحقها كما ينبىء عنه الاصحاح التاسع والعاشر من سفره ، والاصحاح الثامن من سفر نحىيا) انتهى .

فهؤلاء العلماء جزموا أن بعض الجمل والعبارات ليست من كلام موسى عليه السلام لكنهم ما قدروا أن يبينوا اسم الملحق على سبيل التعيين ، بل نسبوا ذلك على سبيل الظن الى عزرا عليه السلام ، وهذا الظن ليس بشىء ولا يظهر من الأبواب المذكورة أن عزرا الحق شيئا فى التوراة ، لانه يفهم من اصحاح سفر عزرا أنه تأسف على أفعال بنى اسرائيل ، واعترف بالذنوب ، ويفهم من اصحاح سفر نحىيا أن عزرا قرأ التوراة عليهم .

الشاهد الخامس : وقع فى الآية الرابعة عشر من الاصحاح الثانى والعشرين من سفر الخليقة : (كما يقال فى هذا اليوم فى جبل الله يجب أن يتراءى الناس) ولم يطلق على هذا الجبل جبل الله الا بعد بناء الهيكل الذى بناه سليمان عليه السلام بعد أربعمئة وخمسين سنة من موت موسى عليه السلام فحكم آدم كلارك فى ديباجة تفسير كتاب عزرا بأن هذه الجملة الحاقية ، ثم قال : « وهذا الجبل ما كان يطلق عليه ذلك الاسم ما لم يبين عليه الهيكل) انتهى .

الشاهد السادس : « الآية الثانية عشر من الاصحاح الثانى من سفر الاستثناء هكذا : (فاما من قبل الحوريون سكنوا ساعير وبنو عيسو

طردوهم وأهلكوهم وسكنوها كما فعل بنو اسرائيل بأرض ميراثهم التي وهبها لهم) فحكم آدم كلارك فى ديباجة تفسير كتاب عزرا بأن هذه الآية الحاكية وجمل هذا القول (كما فعل بنو اسرائيل) الى آخر دليل الالحاق .

الشاهد السابع : الآية الحادية عشر من الاصحاح الثالث من سفر الاستثناء هكذا : (من أجل أنه عوج وحده ملك باسان كان بقى من نسل الجيابرة . هذا سريره من حديد وهو فى رايات بنى عمون ، طوله تسع أذرع وعرضه أربع أذرع على قياس ذراع اليد) قال آدم كلارك فى ديباجة تفسير كتاب عزرا (المحاوره سيما العبارة الأخيرة تدل على أن هذه الآية كتبت بعد موت ذلك السلطان بمدة طويلة وما كتبها موسى لانه مات فى مدة خمسة أشهر .

الشاهد الثامن : الآية الثالثة من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر العدد هكذا : (فسمع الله دعاء آل اسرائيل وسلم فى أيديهم الكنعانيين فجعلوهم وقراهم صوافى وسمى ذلك الموضع حرما) قال آدم كلارك فى المجلد الأول من تفسيره ٦٩٧ : (انى أعلم أن هذه الآية الحقت بعد موت يوشع عليه السلام لان جميع الكنعانيين لم يهلكوا الى عهد موسى بعد موته) .

الشاهد التاسع : الآية الخامسة والثلاثون من الاصحاح السادس عشر من سفر الخروج هكذا : (وبنوا اسرائيل أكلوا المن أربعين سنة حتى أتوا الى الأرض العامرة كانوا يأكلون هذا القوت الى ما دنوا من تخوم أرض كنعان) هذه الآية ليست من كلام موسى عليه السلام لأن الله تعالى أمسك المن من بنى اسرائيل مدة حياته ، وما دخلوا فى أرض كنعان الى هذه المدة ، قل آدم كلارك فى المجلد الأول من تفسيره فى الصفحة ٣٩٩ . (ظن الناس من هذه الآية أن سفر الخروج كتب بعد ما أمسك الله المن من بنى اسرائيل ، لكنه يمكن أن يكون عزرا الحق هذه الالفاظ) انتهى كلامه .

أقول ظن الناس ظن صحيح ، واحتمال المفسر المجرد عن الدليل
فى مثل هذه المواضع لا يقبل ، والصحيح أن الكتب الخمسة النسوية
الى موسى عليه السلام ليست من تصنيفه كما أثبت هذا الأمر بالبراهين
فى الباب الأول .

الشاهد العاشر : الآية الرابعة عشر من الاصحاح الحادى والعشرين
من سفر العدد هكذا : (ولذلك يقال فى سفر حروب الرب : كما صنع
فى بحر سوف كذلك يصنع فى أودية أرنون) هذه الآية لا يمكن أن تكون
من كلام موسى عليه السلام بل تدل على أن مصنف سفر العدد ليس هو ،
لأن هذا المصنف نقل ههنا الحال عن سفر حروب الرب ، ولم يعلم الى
الآن جزماً أن مصنف هذا السفر أى شخص ؟ ومتى كان ؟ وأين كان ؟
وهذا السفر كالعنقاء عند أهل الكتاب سمعوا اسمه وما رأوه . ولا يوجد
عندهم ، وحكم كلارك فى ديباجة تفسير سفر الخليقة أن هذه الآية الحاقية
ثم قال : (الغالب أن لفظ سفر حروب الرب كان فى الحاشية ثم دخل
فى المتن) انتهى . فاعترف أن كتبهم كانت قابلة لأمثال هذه التحريفات ،
فان عبارة الحاشية دخلت فى المتن على اقراره وشاعت فى جميع
النسخ .

الشاهد الحادى عشر : وقع فى الآية الثامنة عشر من الاصحاح
الثالث عشر ، وفى الآية السابعة والعشرين من الاصحاح الخامس
والثلاثين ، وفى الآية الرابعة عشر من الاصحاح السابع والثلاثين من سفر
الخليقة لفظ « حبرون » وهو اسم قرية كان اسمها فى سلف الزمان
(قرية أربع) وبنو إسرائيل بعد ما فتحوا فلسطين فى عهد يوشع عليه
السلام غيروا هذا الاسم الى حبرون كما هو مصرح به فى الاصحاح الرابع
عشر من سفر يوشع ، فهذه الآيات ليست من كلام موسى عليه السلام ،
بل من كلام شخص كان بعد هذا الفتح والتغيير ، وكذلك وقع فى الآية
الرابعة عشر من الاصحاح الرابع عشر من سفر الخليقة لفظ « دان »
وهو اسم بلدة عمرت فى عهد القضاة لأن بنى إسرائيل بعد موت يوشع
عليه السلام فى عهد القضاة فتحوا بلدة ليث وقتلوا أهلها وأحرقوا تلك

البلدة وعمروا بدلها بلدة جديدة وسموها دان كما هو مصرح به في الاصحاح الثامن عشر من سفر القضاة ، فلا تكون هذه الآية أيضا من كلام موسى عليه السلام . قال هورن في تفسيره : (يمكن أن يكون موسى كتب قرية أربع وليث ، ولكن بعض الناقلين حرف هذين اللفظين بحبرون ودان » انتهى .

فانظر أيها اللبيب الى أعذار هؤلاء أولى الأيدي والابصار كيف يتمسكون بهذه الأعذار الضعيفة الواهية ؟ وكيف يقرون بالتحريف ؟ وكيف يلزم عليهم الاعتراف بكون كتبهم قابلة للتحريف ؟

الشاهد الثاني عشر : وقع في الآية السابعة من الاصحاح الثالث عشر من سفر الخليقة هذه الجملة : (والكنعانيون والفرزيون حينئذ مقيمون في البلد) ووقع في الآية السادسة من الاصحاح الثاني عشر من سفر الخليقة هذه الجملة : (والكنعانيون حينئذ في البلد) فالجملتان المذكورتان تدلان على أن الآيتين المذكورتين ليستا من كلام موسى عليه السلام ، ومفسروهم يعترفون باللاحق . ففي تفسير « هنرى » و « أسكات » هذه الجملة : (والكنعانيون حينئذ في البلد ، وكذا الجمل الآخر في مواضع شتى ملحقه لاجل الربط ، ألحقها عزرا أو شخص الهامى فى وقت آخر فى وقت جمع الكتب المقدسة) انتهى ، فاعترفوا بالحاق الجمل وقولهم الحقها عزرا أو شخص الهامى آخر غير مسلم ، إذ ليس عليه دليل سوى ظنهم ، وهو لا يفنى عن الحق شيئا .

الشاهد الثالث عشر : قال آدم كلارك فى المجلد الأول من سفر الاستثناء فى الصفحة ٧٤٩ (الآيات الخمسة من أول هذا الباب بمنزلة المقدمة لباقى الكتاب وليست من كلام موسى عليه السلام والأغلب أن يوشع أو عزرا ألحقها) انتهى كلامه ، فاعترف بكون الآيات الخمس ملحقه وأسندها بمجرد زعمه بلا دليل يوشع أو عزرا وزعمه المجرى لا يكفى كما لا يخفى .

الشاهد الرابع عشر : الاصحاح الرابع والثلاثون من سفر الاستثناء ليس من كلام موسى عليه السلام قال آدم كلارك فى المجلد الأول من

تفسيره : (ثم كلام موسى على الاصحاح السابق ، وهذا الاصحاح ليس من كلامه ، ولا يجوز ان يقال ان موسى عليه السلام كتب هذا الاصحاح أيضا بالالهام لأن هذا الاحتمال بعيد من الصدق والحس ، ويجعل المطلب كله لغوا لأن روح القدس اذا ألهم الكتاب اللاحق لشخص ، يلهم هذا الباب أيضا لهذا الشخص ، وانى أجزم بأن هذا الاصحاح كان اصحاحا أول يوشع عليه السلام ، والحاشية التي كتبها بعض الأكتفاء من أحبار اليهود على هذا الموضع مرضية قابلة للقبول ، قال : ان أكثر المفسرين قالوا أن سفر الاستثناء تم على الدعاء الالهامي الذي دعا به موسى عليه السلام الاثنى عشر سبطا على هذه الفقرة وهي « فطوباك يا نسل اسرائيل ليس مثلك شعب مفاث بالله » الى آخرها ، وأن هذا الاصحاح كتبه المشايخ السبعون بعد مدة من موت موسى وكان هذا الاصحاح أول اصحاحات سفر يوشع لكنه انتقل من ذلك الموضع الى هذا الموضع) انتهى كلامه .

فاليهود والمسيحيون متفقون على أن هذا الاصحاح ليس من كلام موسى عليه السلام بل هو الحاقى . وقوله : (انى أجزم بأن هذا الاصحاح كان أول اصحاح سفر يوشع وكذا ما نقل عن اليهود أن هذا الاصحاح كتبه المشايخ السبعون) الى آخره قول بلا دليل ولا سند ، ولذلك قال جامعو تفسير « هنرى » و « اسكات » : (ثم كلام موسى على الاصحاح السابق ، وهذا الاصحاح من الملحقات . والملحق اما يشوع أو صموئيل أو عزرا أو نبي آخر من الأنبياء بعدهم لا يعلم بالجزم ، ولعل الآيات الاخيرة ألحقت بعد زمان أطلق فيه بنو اسرائيل من اسر بابل) انتهى ما قالوه ، ومثله فى تفسير « دوالى » و « رجر دمينت » فانظر الى قول هؤلاء أعنى الملحق اما يشوع الى آخر العبارة كيف يشكون ولا يجزمون ؟ وأين قولهم من قول اليهود ؟ وقولهم : أو نبي آخر من الأنبياء بعدهم بلا دليل أيضا .

واعلم انما قلته فى الآيات التي نقلتها من الشاهد الثانى الى هنا أنها شواهد التحريف بالزيادة من زيادة الآيات أو الجمل أو الألفاظ ، فهبنى على تسليم ما يدعيه أهل الكتاب الآن من أن هذه الاسفار الخمسة

المروجة من تصنيف موسى عليه السلام والا فهذه الآيات دلائل على أن هذه الاسفار ليست من تصنيفه ، ونسبتها اليه غلط ، كما هو المختار عند علماء الإسلام ، وقد عرفت في الشاهد التاسع أن الناس من أهل الكتاب أيضا قد استدلووا ببعض هذه الآيات على مثل ما قلنا . وما يدعيه علماء البروتستانت من أن نبيا من الأنبياء الحق هذه الآيات والجهل والألفاظ خاصة ، غير مسموع ، ما لم يبرهنوا عليه ، وما لم يوردوا سندا يفتى الى النبي المعين الملحق . ودون ذلك خرط القتاد .

الشاهد الخامس عشر : نقل آدم كلارك في الصفحة ٧٧٨ وصفحة ٧٨٠ من المجلد الأول من تفسيره في شرح الاصحاح العاشر من سفر الاستثناء تقرير « كنى كات » وهو في غاية الاطناب وخلاصته (أن عبارة المتن السامري صحيحة ، وعبارة العبري غلط ، وأربع آيات ما بين الآية الخامسة والعاشرة أعنى من الآية السادسة الى التاسعة هنا اجنبية محضة ، لو أسقطت ارتبط جميع العبارة ارتباطا حسنا ، فهذه الآيات الأربع كتبت من غلط الكاتب هنا وكانت من الاصحاح الثاني من سفر الاستثناء) انتهى . وبعد ما نقل هذا التقرير أظهر رضاه عليه ، وقال (لا يعجل في انكار هذا التقرير) .

الشاهد السادس عشر : الآية الثانية من الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الاستثناء هكذا : (ومن تولد من الزنا لا يدخل جماعة الرب حتى يمضى عليه عشرة أعقاب) فهذا الحكم لا يمكن أن يكون من جانب الله سبحانه ، وما كتبه موسى عليه السلام والا يلزم أن لا يدخل داود عليه السلام ولا أباه الى فارص في جماعة الرب لأن داود عليه السلام بطن عاشر من فارص كما يفهم من الاصحاح الأول من انجيل متى وفارص ولد الزنا كما هو مصرح به في الاصحاح الثامن والثلاثين من سفر الخليقة (١٠) وهارسلى المفسر حكم بأن هذه الألفاظ (حتى يمضى عليه عشرة أعقاب) الحاقية .

الشاهد السابع عشر : قال جامعو تفسير هنري واسكات ذيل الآية التاسعة من الاصحاح الرابع من سفر يوشع : (هذه الجملة وهي

« الى هذا اليوم » هناك وأمثالها وقعت فى اكثر أسفار العهد العتيق والأغلب أنها الحاقية (انتهى ، فحكوا بالحاق هذه الجلة والحاق كل جملة تكون مثلها فى العهد العتيق ، فاعترفوا باللاحق فى المواضع الكثيرة لأن أمثالها يوجد فى سفر يشوع فى الآية التاسعة من الاصحاح الخامس وفى الآية الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين من الاصحاح الثامن وفى الآية السابعة والعشرين من الاصحاح العاشر وفى الآية الثالثة عشر من الاصحاح الثالث عشر ، وفى الآية الرابعة عشر من الاصحاح الرابع عشر ، وفى الآية الثالثة والستين من الاصحاح الخامس عشر وفى الآية العاشرة من الاصحاح السادس عشر . وفى ثمانية مواضع أخرى من هذا السفر لزم اعترافهم بالحاق الجمل المذكورة ، ولو نقلنا عن سائر أسفار العهد العتيق يطول البحث جدا .

الشاهد الثامن عشر : الآية الثالثة عشر من الاصحاح العاشر من سفر يشوع : (فتوقفت الشمس وقام القمر الى أن أنقتم القوم من عدوهم ، ليس هذا مكتوبا فى سفر اليسير) ؟ ووجد فى بعض التراجم (سفر يصار) وفى البعض (سفر ياشر) فعلى كل تقدير لا تكون هذه الآية من كلام يشوع لأن هذا الامر منقول من السفر المذكور ولم يعلم الى هذا الحين أن مصنفه متى كان ؟ ومتى صنف ؟ الا أنه يظهر من الآية الثامنة عشر من الاصحاح الأول من سفر صموئيل الثانى أنه يكون معاصرا لداود عليه السلام أو بعده ، واعترف جامعو تفسير هنرى واسكات ذيل الآية الثالثة والستين من الاصحاح الخامس عشر (بأنه يعلم من هذه الفقرة أن سفر يشوع كتب قبل العام السابع من سلطنة داود عليه السلام) انتهى . وولد داود عليه السلام بعد ثلثمائة وثمان وخمسين سنة من موت يشوع عليه السلام على ما هو مصرح به فى كتب التواريخ التى هى من تصنيفات علماء البروتستنت . والآية الخامسة عشر من الاصحاح العاشر المذكور على أقرار محققهم زيدت تحريفا فى المتن العبرى ، ولا توجد فى الترجمة اليونانية قال المفسر « هارسلى » فى الصفحة

السبعين بعد المائتين من المجلد الأول من تفسيره : (فلنستقر هذه الآية على وفق الترجمة اليونانية)

الشاهد التاسع عشر : وضع في بيان تراث بني جاد في الآية الخامسة والعشرين من الاصحاح الثالث عشر من سفر يشوع هذه العبارة : (ونصف الأرض من بني عمون التي غزا وعير التي هي في محاذات ربا وهي غلط محرفة لأن موسى عليه السلام ما أعطى بني جاد شيئا من أرض بني عمون لأن الله تعالى كان نجاهنا هو مصرح به في الاصحاح الثاني من سفر الاستثناء ، ولما كانت غلطا محرفة اضطر المفسر « هارسلي » أن يقول : (المتن العبري ههنا محرف) .

الشاهد العشرون : في الآية الرابعة والثلاثين من الاصحاح التاسع عشر من سفر يشوع وقعت هذه الجملة : (واتصل بميراث بني يهودا في جانب المشرق من الأردن) وهذه غلط لأن أرض بني يهودا كانت بعيدة جدا في جانب الجنوب ، ولهذا قال آدم كلارك (الأغلب أنه وقع تحريف ما في الفاظ المتن) .

الشاهد الحادي والعشرون : قال جامعو تفسر هنري واسكات في شرح الاصحاح الأخير من سفر يشوع (ان الآيات الخمسة الأخيرة يتقيا ليست من كلام يشوع بل ألحقها فينجاس أو صموئيل ، وكان مثل هذا الإلحاق رائجا كثيرا بين القديس) انتهى . فالآيات الخمسة الحلقية عندهم يتقيا . وما قالوا ان ملحقها فينجاس أو صموئيل غير مسلم إذ لا سند له ولا دليل ، وقولهم مثل هذا الإلحاق كان رائجا كثيرا لا يخفى ما فيه من فتح باب التحريف عليهم ، وأنه لما لم يكن معينا كان لكل أن يزيد شيئا ، فوقعت التحريفات العديدة وشاع أكثرها في جميع نسخ الكتاب المحرف فيه .

الشاهد الثاني والعشرون : قال المفسر « هارسلي » في الصفحة الثالثة والثمانين بعد المائتين من المجلد الأول من تفسيره ان ستة آيات من الاصحاح الأول من سفر القضاة من الآية العاشرة الى الخامسة عشرة الحلقية .

(م ٤٠ - الجواب الفسيح)

الشاهد الثالث والعشرون : وقع في الآية السابعة من الاصحاح السابع عشر من سفر القضاة في بيان حال رجل كان من بنى يهودا هذه الجملة : (وكان لاويا (١)) ولما كانت غلطا قال المفسر هارسلى (هذه غلط لأنه لا يمكن أن يكون رجل من بنى يهودا لاويا ، وهيوبي كنييت بعد ما فهم انها الحاقية اخرجها من المتن .

الشاهد الرابع والعشرون : الآية التاسعة عشر من الاصحاح السادس من سفر صموئيل الأول هكذا : (واهلك الرب أهل بيت الشمس لانهم فتحوا صندوق الرب ورأوه ، فأهلك منهم خمسين ألفا وسبعين انسانا) وهذا غلط . قال آدم كلارك في المجلد الثاني من تفسيره بعد القدح والجرح (الغالب أن المتن العبري محرف اما سقطت منه بعض الألفاظ واما زياد فيه لفظ خمسين ألفا جهلا أو قصدا لأنه لا يعقل أن تكون أهل تلك القرية الصغيرة بهذا المقدار أو يكون هذا المقدار مشتغلا بحصد الزرع ، وأبعد من هذا أن يرى خمسون ألفا للصندوق دفعة واحدة في جرن يشوع على حجرأيل) ثم قال : (في اللاتينية سبعون رئيسا وخمسون ألفا وسبعون انسانا وفي السريانية خمسة آلاف وسبعون انسانا وكذلك في العربية خمسة آلاف وسبعون انسانا . وكتب يوسيفوس المؤرخ سبعون انسانا فقط ، وكتب سليمان الجارجي الربى والرييون الآخرون بطريق آخر بهذه الاختلافات مع عدم الامكان المذكور ، تعطينا اليقين . أن التحريف وقع ههنا يقينا فاما زيد شيء أو سقط) انتهى . وفي تفسير هنرى واسكات هكذا : (بين عدد المقتولين في الأصل العبري على طريق معكوس ، ومع قطع النظر عن هذا يبعد أن يذنب الناس بهذا المقدار ويقتلون في القرية الصغيرة ففي صدق هذه الحادثة شك ، وكتب يوسيفوس أن عدد المقتولين سبعون فقط) انتهى ، فانظر الى هؤلاء المفسرين كيف استبعدوا هذا الأمر ، وردوا وأقروا بالتحريف .

(١) اليهود كانوا سبطى يهودا وبنيامين . والساماريون كانوا بقية الأسباط . واللاويون كانوا يعيشون بين اليهود والسامريين فقلوه كان لاويا . أى لاوى كان يعيش بين اليهود ، وكان يطلق على اليهود أرض يهودا . وإن لم يكن هذا هو غرض الكاتب فالنص محرف كما قال هارسلى .

الشاهد الخامس والعشرون : قال آدم كلارك فى شرح الآية الثامنة عشر من الاصحاح السابع عشر من سفر صموئيل الأول : (فى هذا الاصحاح من هذه الآية الى الحادية والثلاثين والاية الحادية والاربعون ، ومن الآية الرابعة والخمسين الى آخر الاصحاح وفى الاصحاح الثامن عشر ، الآيات الخمسة من أول هذا الاصحاح والاية التاسعة والعاشرة والحادية عشر والسابعة عشر والثامنة عشر والتاسعة عشر لا توجد فى الترجمة اليونانية ، وتوجد فى نسخة اسكندريانوس انظروا فى آخر هذا الباب أن كنى كات حقق أن هذه الآيات المذكورة ليست جزءا من الأصل) ثم نقل فى آخر الاصحاح المذكور تقرير كنى كات وهو فى غاية الاطناب بحيث ظهر منه كون هذه الآيات محرفة الحاقية ، وأنا أنقل عنه بعض الجمل (ان قلت متى وجد هذا اللاحق ؟ قلت كان اليهود فى عهد يوسيفوس يريدون أن يزينوا الكتب المقدسة باختراع الصلوات والغناء واختراع الأقوال الجديدة ، انظروا الى اللاحقات الكثيرة فى كتاب استير ، والى حكاية الخمر والنساء والصدق التى زيدت فى سفرى عزرا ونحميا ، وتسمى الآن بالسفر الأول لعزرا ، والى غناء الأطفال الثلاثة الذى زيد فى سفر دانيال والى اللاحقات الكثيرة فى كتاب يوسيفوس ، فيمكن أن هذه الآيات كانت مكتوبة فى الحاشية ، ثم دخلت فى المتن لأجل عدم مبالاة الكاتبين) انتهى .

قال المفسر « هارسلى » فى الصفحة الثلثمائة والثلاثين من المجلد الأول من تفسيره : (ان كنى كات قال فى الاصحاح السابع عشر من سفر صموئيل يعلم أن عشرين آية من الآية الثانية عشر الى الآية الحادية والثلاثين الحاقية وقابلة للاخراج ، ويقول : اذا صححت ترجمتنا مرة أخرى فلا تدخل هذه الآيات فيها) انتهى .

أقول : لما كانت عادة اليهود فى عهد يوسيفوس كما أقر به كنى كات أن حرفوا بالمقدار الذى صرح به ههنا ، وصرح به فى مواضع أخر كما سبق نقل بعض أقواله فى الشواهد السابقة وسيجىء نقل بعضها فى الشواهد الآتية ان شاء الله تعالى ، فكيف يعتمد على ديانتهم فى هذه الكتب ؟ لأنه لما كان مثل هذا التحريف سببا لتزيين الكتب المقدسة عندهم ، ولم يكن

وذهبوا لذلك ، فلا شك أنهم يفعلون ما يفعلون . وعدم مبالاة الكتاب كان سببا لشيوع تحريفاتهم في الفسخ ، فوقع من الفساد ما وقع ، مظهر أن ما يتفوه به علماء البروتستانت في تقريراتهم وتحريراتهم على سبيل المغالطة وهو أن التحريف لم يصدر عن اليهود لأنهم كانوا أهل ديانة وكانوا يعترفون بكون أسفار العهد العتيق كلام الله سفسطة بحضة .

الشاهد السادس والعشرون : الآية الثالثة من الاصحاح الرابع عشر من انجيل متى هكذا .

لأن هيروديس كان قد أخذ يحيى وكنفه والقاه في السجن لاجل هروديا زوجة أخيه فيلبوس . والآية السابعة عشر من الاصحاح السادس من انجيل مرقس هكذا : (لأن هيروديس كان قد أرسل وقبض على يحيى وتقدمه في السجن لاجل هروديا زوجة فيلبوس) ونفى الآية التاسعة عشر من انجيل لوقا هكذا : (وكان هيروديس رئيس الديار لما انتهره يحيى من اجل هروديا زوجة أخيه فيلبوس) الى الآخر ، ولفظ فيلبوس غلط يقينا في الانجيل الثلاثة (١) ولما ثبت في كتاب من كتب التواريخ أن اسم زوج هروديا كان فيلبوس ، بل صرح يوسيفوس في الباب الخامس من الكتاب الثامن عشر أن اسمه كان هرود أيضا ، ولما كان غلطا قال «هويرن» في الصفحة ٦٢٢ من المجلد الأول من تفسيره (الغالب أن اسم فيلبوس وقع في المتن من غلط الكاتب ، فليسقط وكريسباخ قد أسقطه) انتهى .

(١) هذا الذي ذكرناه من أن لفظ « فيلبوس » غلط يقينا ، يدل على أن رواية قتل يوحنا المعمدان — الذي هو يحيى عليه السلام — رواية لا أصل لها . فأنهم كتبوا أن « هيرودوس » قتل يحيى بايعاز من « هروديا » امرأة « فيلبس » أخيه (متى ١٤ : ٦ — ١٢) وفي القرآن الكريم أن يحيى عليه السلام لم يقتل ، وإنما مات كما يموت سائر الناس . فان الله تعالى فرق بين القتل والموت في قوله تعالى : « أمان مات أو قتل » ونفى عن عيسى عليه السلام القتل ولم ينف عنه الوفاة في قوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه » وذكر عن يحيى مثل ما ذكر عن عيسى تماما . فقال عن يحيى : « وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا » وقال عن عيسى : « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » فقد أثبت لهما الموت ، ولم يثبت لهما القتل .

وأعندنا هذا اللفظ من الأغلاط الأتجليلين ، هو لانه لم نستم قولهم من غلط
الكاتب لانه دعوى بلا دليل لويبهه لكل البعد ان يقع اللفظ الرب الكاتب
فى الاتجليل الثلاثة فى مضمون واحد ، وانظر الى تجاسرهم انهم بمجرد
ظنهم يسقطون الفاظا ويدخلونها ، وتحريفهم هذا جار فى كل زمان ولما
كان أيراد الشواهد على تسهيل الألفاظ أورث هذا الشاهد فى أمثلة
التحريف بالزيادة على تسليم ما ادعوه ، وهو فى الحقيقة بالنظر الى
الاتجليل الثلاثة ثلاث شواهد .

الشاهد السابع والعشرون : الآية الحادية والثلاثون من الإصحاح
السابع من انجيل لوقا هكذا : (ثم قال الرب بماذا أشبه هذا الجيل ؟
أو ما الذى يشابهونه ؟) وهذه الجملة (ثم قال الرب) زيدت تحريفا .
قال المفسر آدم كلارك فى ذيل هذه الآية : (هذه الألفاظ ما كانت أجزاء
لتن لوقا قط ، ولهذا الأمر شهادة تامة ، ورد كل محقق هذه الألفاظ
وأخرجها ببخل وكريسيباخ من المتن) انتهى . فانظر كيف حقق هذا المفسر ،
والعجب أن المسيحيين من فرقة البروتستانت لا يتركونها فى
تراجيهم ، اليس ابخال الألفاظ التى ثبتت زيادتها بالشهادة التامة ويردها
كل محقق ، فى الكلام الذى هو كلام الله فى زعمهم ، من أقسام التحريف ؟

الشاهد الثامن والعشرون : الآية التاسعة من الإصحاح السابع
والعشرين من انجيل متى هكذا : (وجينئذ كمل قول النبى ارميا حيث قال :
فقبضوا الدراهم الثلاثين من الثمن الذى ثمنه بنو اسرائيل) ولفظ ارميا
غلط من الأغلاط المشهورة فى انجيل متى لان هذا لا يوجد فى سفر ارميا
ولا يوجد هذا المضمون فى سفر آخر من أسفار العهد العتيق أيضا بهنم
الألفاظ ولا ما يؤدى معناها المطابقى ، وفى هذا الموضع أقوال مضطربة
لعلماء المسيحيين سلفنا وخطانا . قال وارد كاتلك فى كتابه المسى بكتاب
الأغلاط التى طبع فى سنته ١٨٤١ من الميلاد فى الصفحة السادسة
والعشرين (كتب مستر جوويل فى كتابه أنه غلط مرقس فكتب أبى شار
موضع أخى ملك ، وغلط متى فكتب ارميا موضع زكرياء) انتهى . وقال

هورن فى الصفحة الخامسة والثمانين بعد الثلاثمائة والسادسة والثمانين بعدها من المجلد الثانى من تفسيره المطبوع فى سنة ١٨٢٢ (فى هذا النقل اشكال جدا لأنه لا يوجد فى كتاب ارمياء مثل هذا ، ويوجد فى الآية الثالثة عشر من الاصحاح الحادى عشر من سفر زكريا لكن لا يطابق الفاظ متى الفاظه ، وبعض المحققين على أنه وقع الغلط فى نسخة متى وكتب الكاتب ارمياء موضع زكريا أو أن هذا اللفظ الحاقى) انتهى . وبعد ذلك نقل شواهد اللاحق ، ثم قال (والأغلب أن عبارة متى كانت بدون ذكر الاسم هكذا) وحينئذ كمل قول النبى حيث قال (الى آخرها ويةوى هذا الظن : أن متى يترك اسماء الأنبياء اذا نقل) انتهى . وقال فى الصفحة الخامسة والعشرين بعد الستمائة من المجلد الأول من تفسيره : (الانجيلى ما كتب فى الأصل اسم النبى لكنه أدرجه بعض الناقلين) أ. هـ. فعلم من العبارتين أن المختار عنده أن هذا اللفظ الحاقى . وفى تفسير دوالى ورجدمينت فى ذيل هذه الآية : (هذه الالفاظ المنقولة ههنا لا توجد فى كتاب ارميا بل توجد فى الآية الثانية عشر من الاصحاح الحادى عشر من سفر زكريا . ومن بعض توجهياته : أن الناقل كتب فى الزمان الاول عند استنساخ الانجيل ارميا موضع زكريا غلطا ، وبعد ذلك دخل هذا الغلط فى المتن كما كتب بيرس) انتهى .

وحكى جواد بن ساباط فى مقدمة كتابه المسمى بالبراهين الساباطية : ائى سألت قسيسين كثيرين عن هذا فأجاب طامس بطغيان قلم الكاتب ، وقال بيو كانان وماطيروس وكيراكوس ان متى كتب اعتمادا على حفظه بدون مراجعته الى الكتب فوقع فى الغلط . وقال بعض القسيسين لعل زكريا كان يسمى ارميا أيضا) انتهى .

أقول المختار أن هذا الغلط صدر عنى متى كما هو الظاهر واعترف به وارد وجوويل وبيوكان وماطيروس وكيراكوس والاحتمالات الباقية ضعيفة يردها ما قلت أولا واعترف به « هورن » أيضا من أنه لا يطابق الفاظ متى الفاظ زكريا فلا يصح لفظ زكريا أيضا بدون اقرار التحريف فى

أحدى العبارتين ، وأوردت هذا الشاهد ههنا على زعم الذين ينسبون هذا اللفظ الى زيادة الكاتب . ولما فرغت من بيان غلط متى ناسب أن أبين ما اعترف به مستر جوويل وأورد ، من غلط مرقس ، فأقول : عبارة انجيل متى الاصحاح الثاني هكذا : (فقال لهم ألم تقرؤا ما فعله داود لما احتاج وجاع هو ومن معه كيف دخل بيت الله أيام كاهن الكهنة أبيثار وأكل خبزا للتقدمة الذي لا يجوز أكله لغير المكهنة وكيف اعطى الذين كانوا معه أيضا) ؟ فلفظ أبيثار غلط كما اعترفا به وكذلك هاتان الجملتان (وجاع هو ومن معه) و (كيف أعطى الذين كانوا معه أيضا) لأن داود عليه السلام كان منفردا في هذا الوقت ولم يكن أحد معه ، كما لا يخفى على من طالع سفر صموئيل الأول . وإذا اثبت أن الجملتين المذكورتين غلطان في انجيل مرقس ، ثبت أن ما وقع مثلها في انجيل متى ولوقا غلط ، ففي انجيل متى في الاصحاح الثاني عشر هكذا : (فقال لهم ألم تقرؤا ما فعل داود لما جاع هو ومن معه كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي أكله لا يحل له ولا لمن كان معه ، بل للكهنة فقط) ؟ وفي انجيل لوقا في الاصحاح السادس هكذا : (فقال عيسى لهم وهو يجاورهم أما قرأتم ما فعل داود لما جاع هو والذين كانوا معه كيف دخل بيت الله وأخذ خبز التقدمة الذي لا يجوز أكله الا للكهنة فقط وأكله واعطى من معه أيضا) ؟ ففي نقل هذا القول المسيحي وقع سبع أغلاط في الأناجيل الثلاثة ، فان نسبوا هذه السبعة الى الكاتبين كانوا مقربين بالتحريف في سبعة مواضع ، وهذا وإن كان خلاف الظاهر لا يضرنا أيضا .

الشاهد التاسع والعشرون : الآية الخامسة والثلاثون من السابع والعشرين من انجيل متى هكذا : (فصلبوه واقتسموا بقرع لباسه ليكمل قول النبي حيث قال انهم اقتسموا لباسي واقترعوا على قميصي) فهذه العبارة وهي (ليكمل قول النبي حيث قال انهم اقتسموا لباسي واقترعوا على قميصي) محرفة واجبة الحذف عند محققهم ولذلك حذفها كريسباخ ، وأثبت هورن بالأدلة القاطعة في الصفحة ٣٣٠ و ٣٣١ من المجلد الثاني من تفسيره انها الحاقية ثم قال (لقد استحسن كريسباخ في تركها بعد

ما ثبت عنده أنها كذبة قطعاً) وهما آدم كلارك في المجلد الخامس من تفسيره
على ذيل الآية المذكورة (لابد من ترك هذه العبارة لأنها ليست جزء من الحق
وتركتها النسخ الصحيحة ، وكذا تركتها التراجم الا شذوذاً وكذا تركها
غير المحضوريين من القدماء ، وهذه الحاقية صريحة أخذت من الآية الرابعة
والعشرين من الاصحاح التاسع عشر من انجيل يوحنا .

الشاهد الثالثون : وقع في الاصحاح الخامس من رسالة يوحنا
الأولى هكذا (٧ لأن الذين يشهدون في السماء ثلاثة وهم الآب والكلمة
والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة واحد ٨) والشهود الذين يشهدون في
الأرض ثلاثة وهم الروح والماء والدم ، وهؤلاء الثلاثة تتحد في واحد)
ففي هاتين الآيتين كان أصل العبارة على ما زعم محققوهم هذا القدر
وهو (لأن الشهود الذين يشهدون ثلاثة وهم الروح والماء والدم ، وهؤلاء
الثلاثة تتحد في واحد) ففي هاتين الآيتين كان أصل العبارة على ما زعم
محققوهم وهو (لأن الشهود الذين يشهدون ثلاثة وهم الروح والماء والدم
وهؤلاء الثلاثة تتحد في واحد) فزاد معتقدوا التثليث هذه العبارة : (هي
السماء ثلاثة وهم الآب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة واحد ،
الذين يشهدون في الأرض) بين أصل العبارة . وهي ملحقه يقينا وكرينسباح
وشولتز مخفقان على الحاقيتها ، وهورن مع تعصبه قال انها الحاقية
واجبة الترك ، وجامعوا تفسر هنري واسكات اختاروا قول هورن
وآدم كلارك أيضاً مال الى الحاقيتها واكستايين الذي كان أعلم علماء
المسيحية التثليثية في القرن الرابع من القرون المسيحية وهو الى الآن
مستفد اهل للتثليث أيضاً كتب على هذه الرسالة عشر رسائل وما نقل
في رسالة من هذه الرسائل هذه العبارة ، وهو كان من معتقدي التثليث
وكان مناظراً مع فرقة ايرين التي تنكر التثليث ، فلو كانت هذه العبارة
في عهد ليمسك بها ونقلها في اثباته ، ولما ارتكب التكلف البعيد الذي
ارتكبه في الآية الثامنة فكتب في الحاشية (ان المراد بالماء الآب
وبالدم الابن وبالروح الروح القدس) فان هذا التكلف ضعيف جدا وأظن
انه لما كان هذا التوجيه بعيد جد اخترع معتقدوا التثليث هذه العبارة التي
هي مفيدة لعقيدتهم ، وجعلوها جزءاً من عبارة الرسالة .

واقتر صاحب « ميزان الحق » أيضا على رموس الأشهاد كما قال الشيخ رحمت الله في المناظرة التي وقعت بينهما سنة ألف ومائتين وسبعين هجرية بأنها محرقة ، ثم ان الشيخ اطال البحث في اثبات تحريفها وان اردته فارجع الى كتابه اظهار الحق .

الشاهد الحادى والثلاثون فى الاصحاح الاول من مشاهدات يوحنا ما لفظه : (فحل الروح على فى يوم الرب وسمعت من ورائى صوتا عظيما كصوت البوق ، وهو يقول انى انا الالف والياء والاول والآخر ماكتب ما ترى) الى آخرها وكريسباخ وشولز متفقان على أن هذين اللفظين الاول والآخر الحاقيان ، وبعض المترجمين تركوهما وترك فى الترجمة العربية التى طبعت فى سنة ١٦٧١ وسنة ١٨٢١ من الميلاد لفظ الالف والياء ايضا .

الشاهد الثانى والثلاثون : الآية السابعة والثلاثون من الاصحاح الثامن من سفر أعمال الحواريين هكذا : « قال فيلبوس ان آمنت بقلبك كله جاز لك ، فقال له وهو يحاوره آمنت بأن عيسى المسيح هو ابن الله) وهذه الآية الجاقية الحقتها بعض اهل التثليث لأجل هذه الجملة (آمنت بأن عيسى المسيح هو ابن الله و « كريسباخ » و « شولز » يتفقان على أنها الحاقية .

الشاهد الثالث والثلاثون : فى الاصحاح التاسع من سفر أعمال الحواريين هكذا : (فقال له من أنت يارب ؟ فقال الرب انا عيسى الذى أنت تؤذيه ، يصعب عليك أن ترفس الأسنه ، فقال الرب انا عيسى الذى أنت تؤذيه يصعب عليك أن ترفس الأسنه ، فقال وهو مرتعد متحيرا ما الذى تريد أن أفعل يارب ؟ قال له الرب قم وادخل البلد وسيقال لك ما يجب عليك أن تفعله) قال كريسباخ وشولز هذه العبارة وهى (أنه يصعب عليك أن ترفس الأسنه ، فقال وهو مرتعد ما الذى ان افعل يارب) الحاقية .

الشاهد الرابع والثلاثون : الآية السادسة من اصحاح العاشر من سفر أعمال الحواريين هكذا : (فان ضائف عند سمعون الدباغ الذى

حيته على البحر وهو يخبرك بما ينبغي لك أن تفعله) قال كريسيباخ وشولز هذه العبارة (هو يخبرك بما ينبغي لك أن تفعله) الحاقية .

الشاهد الخامس والثلاثون : الآية الثامنة والعشرون من الاصحاح العاشر من الرسالة الاولى الى أهل كورنثيوس هكذا : (وان قال لكم أحد هذا ذبيحة الأوثان فلا تأكلوا الاجل المخبر به ولاجل أن لا تعثر ضميره لان الأرض للرب هي وكماها) الحاقية ، قال هورن فى الصفحة السابعة والعشرين بعد الثلثائة من المجلد الثانى من تفسيره بعد ما أثبت الحاقيتها (اسقط كريسيباخ هذه الجملة من المتن بعدما جزم انها قابلة للاخراج والحق أنه لا سند لهذه الجملة وهى فضول ، والغالب أنها أخذت من الآية السادسة والعشرين وألحقت) انتهى . وقال آدم كلارك فى ذيل هذه الآية (اسقطها كريسيباخ من المتن ، والحق أنه لا سند لهذه الجملة) انتهى ، وأسقطت فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١ وسنة ١٨٢١ سنة ١٨٣١ أيضا .

الشاهد السادس والثلاثون : الآية الثامنة من الاصحاح الثانى عشر من انجيل متى ما عبارته هكذا : (لأن ابن الانسان رب السبت أيضا) فلفظ « أيضا » الحاقى ، و « هورن » بعد ما أثبت الحاقيته بالأدلة فى الصفحة ٣٣٠ من المجلد الثانى من تفسيره قال : (أخذ هذا اللفظ من الآية الثامنة والعشرين من الاصحاح الثانى من انجيل مرقس ، أو من الاصحاح السادس من انجيل لوقا ، والحق ههنا ، ولقد استحسن « كريسيباخ » اخراج هذا اللفظ اللاحق (وأخرجه) .

الشاهد السابع والثلاثون : الآية الثالثة عشر من الاصحاح السادس من انجيل متى هكذا : (ولا تدخلنا فى التجربة ، بل نجنا من الشرير ، فان الملكوت والقدرة والمجد لك الى الأبد آمين) وهذه الجملة وهى (فان الملكوت والقدرة لك الى الأبد) الحاقية ، وفرقة الروم الكاثوليك حكموا بالحاقيتها جزما ، ولا توجد فى الترجمة اللاتينية ولا فى ترجمة من تراجم هذه الفرقة فى اللسان الانجليزى ، وهذه الفرقة تلوم من الحقها . قال وارد كانتك فى الصفحة الثامنة عشر من كتابه المسمى بكتاب الأغلاط

المطبوع سنة ١٨٧١ (قبح ارازمس هذه الجملة) وقال بلنجر ألحقت هذه الجملة منه بعد ، ولم يعلم الملحق الى الآن ، وما قال « لارن شش ولا » ان هذه الجملة سقطت من كلام الرب فلا دليل عليه ، بل كان عليه ان يلعن ويلوم الذين جعلوا لعنتهم هذه جزءا من كلام الرب غير مباليين (انتهى . وردها الأجلة من محققي فرقة البروتستنت أيضا ، وآدم كلارك وان لم يختر الحاقيتها فهو معترف أيضا بأن كريسباخ روتستين والمحققين ردوها كما صرح به في ذيل شرح هذه الآية ولما ثبت باعترافه ان المحققين الذين كانوا في أعلى درجة من التحقيق ردوها فلا تضرنا مخالفته ، وهذه الجملة على تحقيق فرقة الكاثوليك وتحقيق محققي البروتستنت زيدت في صلاة المسيح ، فعلى هذا ما ترك المحرفون حتى الصلاة المشهورة أيضا .

الشاهد الثامن والثلاثون : الآية الثالثة والخمسون من الاصحاح السابع وأحد عشر آية من الاصحاح الثامن من الآية الأولى الى الحادية عشرة من انجيل يوحنا الحاقية ، قال هورن في الحاقية هذه الآيات — وان لم تكن الحاقيتها مختارة عنده — في الصفحة العاشرة بعد الثلثائة من المجلد الرابع من تفسيره ما لفظه : (ارازمس وكالوين وبيزاوكروتيس وليكلرك وتستين وسلمر وشلزوهورس وهين لين وبالس وشمت وآخرون من المصنفين الذين ذكرهم ونفيس وكوجر لا يسلمون بصدق هذه الآيات ثم قال : (كريساستم ونهيوفلكت ويونس كتبوا شروحا على هذا الانجيل وما شرحوا هذه الآيات بل ما نقلوها في شروحهم ، وكتب ترتولين وساي برن رسائل في باب الزنا والعفة وما تمسكا بهذه الآيات ولو كانت في نسخهما لذكروها وتمسكا بها يقينا) وقال وارد كاتلك (بعض القديماء اعترض على أول الاصحاح الثامن من انجيل يوحنا) انتهى . وحكم «نورتن» بأن هذه الآيات الحاقية يقينا .

الشاهد التاسع والثلاثون : في الآية الثامنة عشر من الاصحاح السادس من انجيل متى هكذا : (وابوك الناظر في السريجازيك علانية) ولفظ « علانية » الحاقى ، قال آدم كلارك في ذيل شرح هذه الآية بعد

ما أثبت الحاقيته (لما لم يكن لهذا اللفظ سند كاهل أسقطه كريسباخ
ورنستين وينجل من المتن)

الشاهد الرابعون : فى الآيه السابعه عشر من الاصحاح الثانى من
انجيل مرقس وقع لفظ (الى النوبه) وهو الحاقى ، وادم كلارك بعدما
أثبت الحاقيته فى ذيل شرح هذه الآيه قال : (أسقطه كريسباخ من المتن
وتبعه كروتيس ومل وينجل) انتهى .

الشاهد الخادى والرابعون : فى الآيه الثالثه عشر من الاصحاح
التاسع من انجيل متى أيضا وقع لفظ (الى التوبه) وهو الحاقى أيضا
وادم كلارك بعدما أثبت الحاقيته فى ذيل شرح هذه الآيه ، قال : (استحسن
مل وينجل اسقاط هذا اللفظ وأسقطه كريسباخ من المتن) .

الشاهد الثانى والرابعون : فى الاصحاح العشرين من انجيل متى
هكذا : (فأجاب يسوع وقال انكم لا تعلمون ما تسألون ؟ أنستطيعون
أن نشربوا الكأس التى أنا مزعج — أى منتظر — أن أشربها وتصطبغون
بالصبغه التى أنابها أصطبغ ؟ قالوا له نستطيع . فقال لهم : أما كأسى
فنشربون ، وأما الصبغه التى أنا أصطبغ بها فتصطبغون) الى آخرها
وهذا القول أعنى (وتصطبغون بالصبغه التى أنابها أصطبغ) الحاقى .
وكذا هذا القول أعنى (وأما الصبغه التى أنا أصطبغ بها فتصطبغون)
وأسقطها كريسباخ من المتن فى المرتين اللتين طبع المتن فيها ان وادم
كلارك فى شرح هاتين الآيتين بعدما أثبت الحاقيتهما قال : (لا يعلم
بالفواعم التى قررها المحققون لتمييز العبارة الصحيحة عن الغير صحيحه
أن يكون هذان القولان جزئين من المتن) انتهى .

الشاهد الثالث والرابعون : فى الاصحاح التاسع من انجيل لوقا
هكذا : (فالتفت وانتهرها وقال انكما لا تعلمان أيه طبيعة طبيعتكما
فان ابن الانسان لم يأت لهلاك أنفس الناس بل لنجاتها ثم ساروا
الى قرية أخرى) وهذه العبارة (فان ابن الانسان لم يأت لهلاك أنفس
الناس بل لنجاتها) الحاقية ، كما قال آدم كلارك فى ذيل شرح هاتين

الآيتين وأسقط كويصباح هذه العبارة عن المتن ، والغالب ان النسخ القديمة جدا يكون فيها هكذا ؛ (فالصفت وانتهرهما وقال : انكما لا تعلمان اتي طبيعة طبيعتكما ثم سلروا الى قرية اخرى) انتهى .
المقصد الثالث في اثبات التحريف بالنقصان :

وله أيضا شواهد :
الشاهد الأول : الآية الثالثة عشر من الاصحاح الخامس عشر من سفر الخليقة هكذا ؛ (وقيل له اعلم علما ان نسلك سيكون ساكنا في غير ارضهم ويستعبدونهم ويضيقون عليهم أربعائة سنة) وهذه العبارة أعني (يستعبدونهم ويضيقون عليهم) وكذلك الآية الرابعة عشر من هذا الاصحاح وهي هكذا (ولكن الشعب الذي يستعبدهم أنا أدينه ومن بعد هذا يخرجون بمال) تدلان على أن المراد بالأرض أرض مصر ، لأن الذين استعبدوا وضيقوا على بني اسرائيل ، فدانهم الله وخرج بعد هذا بنو اسرائيل بمال جزيل هم أهل مصر لا غيرهم ، لأن هذه الأمور لا توجد في غيرهم ، والآية الأربعون من الاصحاح الثاني عشر من سفر الخروج هكذا (فكان جميع ما سكن بنو اسرائيل في أرض مصر أربعائة وثلاثين سنة) غيبن الآيتين اختلاف . فاما أسقط من الأولى لفظ ثلاثين ، واما زيد في الثانية . على أن مؤرخيهم ومفسريهم متفقون على أن مدة سكن بني اسرائيل كانت مائتين وخمس عشرة سنة .

وقد بقيت أدلة أخر على تحريف اثبات هذا الشاهد المذكورة في اظهار الحق .

الشاهد الثاني : الآية الثامنة من الاصحاح الرابع من سفر التكوين هكذا ؛ (وقال قابيل لهابيل اخيه ، ولما صارا في الحقل قام قابيل على هابيل أخيه فقتله) وفي النسخة السامرية واليونانية والتراجم القديمة هكذا ؛ (وقال قابيل لهابيل أخيه تعال نخرج الى الحقل ، ولما صارا في الحقل) الى آخرها ، فهذه العبارة وهي (تعال نخرج الى الحقل) سقطت من العبرانية كما قال هورن في الحاشية في الصفحة الثالثة وللمتبعين بعد المائة وقال آدم كلارك في الصفحة الثالثة وللمستين من المجلد الأول من تفسيره ونقل قولهما المفصل في اظهار الحق .

الشاهد الثالث : فى الآية السابعة عشر من الاصحاح السابع من سفر التكوين فى النسخة العبرانية هكذا : (وصار الطوفان اربعين يوما على الأرض) وهذه الجملة فى كثير من النسخ اللاتينية وفى الترجمة اليونانية هكذا (وصار الطوفان اربعين يوما وليلة على الأرض) قال هورن فى المجلد الاول من تفسيره (فليزده لفظه ليلة فى المتن العبرى) انتهى .

الشاهد الرابع : فى الآية الثانية والعشرين من الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين فى النسخة العبرانية هكذا : (ولما سكن اسرائيل تلك الارض مضى روبيل وضاجع بلها سرية ابيه فسمع اسرائيل) قال جامعو تفسير هنرى واسكات اليهود يسلمون . ان شيئا سقط من هذه الآية ، والترجمة اليونانية تنمها هكذا : (وكان قبيحا فى نظره) انتهى . فاليهود ههنا أيضا معترفون بالسقوط . فسقوط الجملة من النسخة العبرانية ليس بمستبعد عند أهل الكتاب فضلا عن سقوط حروف أو حرفين .

الشاهد الخامس : قال هارسلو المفسر فى الصفحة الثانية والثمانين من المجلد الاول من تفسيره ذيل الآية الخامسة من الاصحاح الرابع والاربعين من سفر التكوين (يزاد فى أول هذه الآية من الترجمة اليونانية هذه الجملة : (لم سرقتم صواعى) ؟ انتهى . فهذه الجملة على اعترافه ساقطة من العبرانية .

الشاهد السادس : فى الآية الخامسة والعشرين من الاصحاح الخمسين فى التكوين هكذا : (فاذهبوا بعظامى من ههنا معكم) فلفظ (معكم) سقط من العبرانية ، قال هورن (انخل مستر « بت رائد » هذا اللفظ المتروك فى ترجمته الجديدة للبيبل وأصاب) انتهى .

الشاهد السابع : الآية الثانية والعشرون من الاصحاح الثانى من سفر الخروج هكذا : (فولدت له ابنا ودعا اسمه جرسون قائلا : . انما أنا كنت ملتجئا فى أرض غريبة) وتوجد فى الترجمة اليونانية اللاتينية وبعض التراجم القديمة فى آخر الآية المذكورة هذه العبارة (وولدت

أيضا قلابا ثانيا ودعا اسمه العازر ، فقال من أجل أن اله أبى اعاننى
وخلصنى من سيف فرعون) قال آدم كلارك فى الصفحة العاشرة بعد
الثلاثائة من المجلد الاول من تفسيره بعد ما نقل العبارة المسطورة من التراجم
(أدخل هيوبى كنيث هذه العبارة فى ترجمته اللاتينية ، ويدعى أن موضعها
هذا ولا توجد هذه العبارة فى نسخة من نسخ العبرانية مكتوبة كانت أو
مطبوعة ، مع أنها وجدت فى التراجم المقبرة) انتهى (فعندهم هذه
العبارة ساقطة من النسخة العبرانية) .

الشاهد الثامن فى الآية العشرين من الاصحاح السادس من سفر
الخروج هكذا : (فولدت له هارون وموسى) وفى النسخة السامرية
والترجمة اليونانية هكذا : (فولدت له هارون وموسى ومريم أختها)
لفظ (مريم أختها) سقط من العبرانية ، قال آدم كلارك بعد نقل عبارة
النسخة السامرية واليونانية : (ظن البعض من أجله المحققين أن هذا
اللفظ كان فى المتن العبرى) انتهى .

الشاهد التاسع : الآية السادسة من الاصحاح العاشر من سفر
العدد هكذا : (واذا هتفوا ونفخوا مرة ثانية بالقرن يهللون كأول مرة
يرفع الخيام الحالة نحو الجنوب) وتوجد فى آخر هذه الآية فى الترجمة
اليونانية هكذا : (واذا نفخوا مرة ثالثة يرفع الخيام المغربية للارتحال ،
واذا نفخوا مرة رابعة يرفع الخيام الشمالية للارتحال) قال آدم كلارك
فى الصفحة الثالثة والستين بعد الستمائة من المجلد الاول من تفسيره
لم يذكر المغربية والشمالية ههنا لكنه يعلم أنهم كانوا يرتحلون
بالنفخ أيضا ولذلك يعلم أن متن العبرانية ههنا ناقص ، يتمه اليونانية
هكذا : واذا نفخوا مرة ثالثة يرفع الخيام المغربية للارتحال ، واذا نفخوا
مرة رابعة يرفع الخيام الشمالية للارتحال) انتهى .

الشاهد العاشر : قال المفسر « هارسلى » سقط من آخر الآية
الثالثة عشر وأول الآية الرابعة عشر من الاصحاح السادس عشر من سفر
القضاة شىء ، يؤخذ من الترجمة اليونانية ، وتزاد هذه العبارة : (فقال
لها لو أخذت سبعة قفزعات من رأسى ونسجتها مع سدى وربطت بالمسامر

في الجدار فأصيره ضعيفا كسائر الناس ، فنومته وأخذت سبعة فنزعات
ونسجت مع السدي وربطته (انتهى)

الشاهد الخادى عشر : قال آدم بكارك في الصفحة السادسة
والسبعين بعد المائة والف من المجلد الثاني من تفسيره (سقطت من
الترجمة اليونانية الآية الثالثة كلها الالفظ شكنايه والآية الرابعة والخامسة
والسادسة والتاسعة والسابعة والثلاثين والثامنة والثلاثين والتاسعة
والثلاثون والاربعون والحادية والاربعون ، وسقطت من الترجمة العربية
في الاصحاح المذكورة من الآية الأولى الى الآية السادسة والعشرين والآية
التاسعة والعشرون) انتهى .

الشاهد الثاني عشر : الآية السابعة عشر من الاصحاح الثاني
والاربعين من سفر أيوب هكذا : (ومات أيوب شيخا معبرا) واختتمت
النسخة العبرانية عليها وزيد عليها في الترجمة اليونانية هذا المقدار وهو
(ويبعث مرة أخرى مع الذين يبعثهم الرب) وزيد أيضا تيمية فيها بيان
نسب أيوب ، وبيان أحواله على سبيل الاختصار ، ويقول كامت وهردران :
(هذه التيمية جزء من الكتاب الالهامي وسلمها فلوروبولى هسغر أيضا
وكان الناس يسلطون بها في عهد أرجن وكتبها تهيوتة وشن في ترجمته
اليونانية ، فعلى هذا العبرانية محرفة بالنقصان عند قدماء المسيحيين ،
والعلماء المذكورين . والمحققون من فرقة البروتستانت على أنها جعلية ،
فيلزم التحريف بالزيادة عندهم في الترجمة اليونانية ، قال هورن :
(الظاهر أنها جعلية وان كتبت قبل المسيح) انتهى . وأنت تعلم من
كونها قبل المسيح ، أن قدماء المسيحيين من عهد الخواريين الى ألف
وخمسمائة سنة كانوا يعتقدون في هذا المحرف من كلام الله تعالى لأنهم
كانوا متشبثين الى هذا الزمان بهذه الترجمة ، ومعتقدين بأنها صحيحة
والعبرانية محرفة .

الشاهد الثالث عشر : وقع بعد الآية الثالثة من الزبور الرابع عشر
في الترجمة اللاتينية وترجمة تهيوبك والترجمة العربية ونسخة واتيكانوس
من الترجمة اليونانية هذه العبارة (فطقوهم قبر مفتوح وهم يغدرون

بألسنتهم وسم الشعبين تحت شفاتهم وأفواههم مملوة من اللعن والمرومة
واقدامهم سرعة السفك الدم والتهلكة والشقاء فى طرقتهم ولم يعرفوا طريق
السلامة ، وخوف الله ليس بموجود أمام أعينهم) انتهت . ولا توجد هذه
العبارة فى النسخة العبرانية بل توجد فى رسالة بولس الى أهل رومية ،
فلا تخلو اما أسقطها اليهود من العبرانية وهذا هو التحريف بالنقصان ،
وأما زادها المسيحيون فى تراجمهم ليصلحوا كلامهم مقدسهم بولس . وهذا
هو التحريف بالزيادة ، فأحد التحريفيين لازم قطعاً . قال آدم كلارك فى
شرح الآية المذكورة من الزبور : (وقع بعد هذه الآية فى نسخة وأتيكانوس
من ترجمة أتهويوك والترجمة العربية ، ست آيات توجد فى الاصحاح
الثالث من رسالة بولس الى أهل رومية من الآية الثالثة عشر الى الثامنة
عشر) انتهى .

الشاهد الرابع عشر : الآية الخامسة من الاصحاح الرابع من سفر
أشعيا فى العبرانية هكذا : (ويظهر جلال الرب ويرى كل بشر معا قاله
فم الرب) وفى الترجمة اليونانية هكذا : (يظهر جلال الرب ويرى كل
بشر معا نجات الهنا لأن فم الرب قاله) قال آدم كلارك فى الصفحة
الخامسة والثمانين بعد السبعمائة وألفين من المجلد الرابع من تفسيره
بعد ما نقل عبارة الترجمة اليونانية (ظنى بأن هذه العبارة هى الاصل)
ثم قال (وهذا السقوط فى المتن العبرانى قديم جدا متقدم على الترجمة
الجهالدية واللاتينية والسريانية وتوجد هذه العبارة كل نسخة من الترجمة
اليونانية وسلمها لوقا فى الآية السادسة من الاصحاح الثالث . وعندى
نسخة واحدة قديمة جدا سقطت منها هذه الآية كلها) انتهى . وقال
« هورن » فى الباب الثامن من الحصّة الأولى من المجلد الثانى من
تفسيره : (كتب لوقا فى الآية السادسة من الاصحاح الثالث مطابقا لما
فى الترجمة اليونانية ، ويعلم لوتته أن هذه العبارة هى الصحيحة فأدخلها
فى ترجمته لكتاب أشعيا) انتهى . وقال جامعو تفسير هنرى واسكات
(فلتزد هذه اللفظة « نجات الهنا » بعد لفظ يرى ، انظروا الآية العاشرة
من الاصحاح الثانى والخمسين ، والترجمة اليونانية) انتهى . فالمتن
(م ٤١ - الجواب الفسيح)

المبرأى محرف بالنقصان باعتراف هؤلاء المفسرين . وهذا التحريف قديم جدا باعتراف آدم كلارك .

الشاهد الخامس عشر : قال آدم كلارك فى ذيل شرح الآية الخامسة من الاصحاح الرابع والستين من سفر اشعيا (اعتقادى أنه وقع النقصان من غلط الكاتب وهذا التحريف قديم جدا لأن المترجمين المتقدمين لم يقدروا على بيان معنى الآية بيانا حسنا كما لم يقدر عليه المتأخرون منهم) انتهى .

الشاهد السادس عشر : قال هورن فى الصفحة الثامنة والسبعين بعد الاربعمائة من المجلد الرابع من تفسيره (سقطت آية تامة ما بين الآية الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين من الاصحاح الحادى والعشرين من انجيل لوقا ، فلتزد بعد أخذها من الآية السادسة والثلاثين من الاصحاح الرابع والعشرين من انجيل متى ، أو من الآية الثانية والثلاثين من الاصحاح الثالث عشر من انجيل مرقس ، ليكون لوقا موافقا للانجيليين الآخرين) انتهى ثم قال فى الحاشية (أغمض للمحققون والمفسرون كلهم عن هذا النقصان العظيم الواقع فى متن لوقا حتى توجه عليه هيلز) انتهى ، فعلى اعترافه سقطت آية تامة من انجيل لوقا ويجب زيادتها فيه . وهذه الآية فى انجيل متى هكذا : « وأما ذلك اليوم والساعة فلا احد يعلم بهما حتى ملائكة السماء الا أبى وحده » .

الشاهد السابع عشر : فى الآية السابعة من الاصحاح السادس عشر من سفر أعمال الحواريين هكذا : (فلم يأذن لهم روح) قال كريسيباخ وشولز الصحيح هكذا : (فلم يأذن لهم روح يسوع) انتهى ، فعلى اقرارهما سقط لفظ يسوع وأدخل هذا اللفظ فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١ سنة ١٨٢١ وعبارتها هكذا : (فلم يتركهم روح يسوع) .

الشاهد الثامن عشر : الانجيل الذى ينسب الى متى الآن وهو اول الأناجيل وأقدمها عندهم ليس من تصنيفه يقينا بل ضيعوه بعد ما حرفوه لان قدماء المسيحية كلمة وغير المحصورين من المتأخرين على أن انجيل

معى كان فى اللسان العبرائى ، وقد ضاع وفقد بسبب تحريف بعض الفرق المسيحية والانجيل الموجود الآن ترجمته ، ولا يوجد عندهم استناد هذه للترجمة ، حتى لم يعلم يقينا اسم المترجم ايضا الى هذا الحين ، كما اعترف به « جيروم » من افاضل قدمائهم وغيره .

واطال الشيخ رحمت الله فى اثبات عدم صحة انجيل متى ، واتى بدلائل قوية للطعن فيه ، من ارادها فليرجع الى كتابه اظهار الحق .

الشاهد التاسع عشر : فى الآية الثالثة والعشرين من الاصحاح الثانى من انجيل متى هكذا : (ثم اتى وسكن فى بلد تسمى ناصرة ليكمل قول الانبياء انه سيدعى ناصريا) من اغلاط هذا الانجيل ، ولا يوجد هذا فى سفر من الاسفار المشهورة المنسوبة الى الانبياء لكن نقول ههنا كما قال علماء الكاثوليك ان هذا كان فى اسفار الانبياء لكن لليهود ضيعوا هذه الاسفار قصدا لعنايه الدين المسيحى ، ثم نقول : اى تحريف بالنقصان يكون ازيد من ان تصنع فرقة الكتب الالهامية قصدا للاغراض النفسانية ، ولعناد ملة اخرى ؟ وقد ألف مفرد كاتلك كتابا سماه بسؤالات السؤال وطبع هذا الكتاب فى بلدة لندن سنة ١٨٤٣ فقال فى السؤال الثانى (الاسفار التى كمن فيها هذا يعنى ما نقله متى انمحت ، لأن اسفار الانبياء الموجودة الآن لا يوجد فى أحد منها أن عيسى يدعى ناصريا . قال كرايزستم فى تفسيره التاسع على متى (انمحي كثير من اسفار الانبياء لان اليهود ضيعوا اسفارا لأجل غفلتهم ، بل لاجل عدم ديانتهم ، ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها) انتهى قول « كرايزستم » وهذا هو الأغلب ، فانهم مزقوا الاسفار وحرقوها لانهم لما رأوا ان الحواريين يتمسكون بهذه الاسفار فى اثبات مسائل الملة المسيحية ، فعلوا هذا الامر ، ويعلم هذا من اعدامهم اسفارا نقل عنها متى .

انظروا الى « جستن » يقول فى المناظرة لطريفون : (اليهود أخرجوا أسفارا كثيرة من العهد العتيق ، ليظهروا أن العهد الجديد ليس له موافقة تامة بالعهد العتيق ، ويعلم من هذا أن الاسفار الكثيرة انمحت) انتهى كلام مفرد .

وقد تبين منه أمران : أحدهما أن اليهود مزقوا بعض الاسفار وأحرقوا البعض لاجل عدم ديانتهم ، ثانيهما : أن التحريف كان سهلا فى سالف الزمان . ألا ترى كيف انمحت هذه الاسفار باعدامها عن وجه الارض .

وإذا عرفت ديانة أهل الكتاب بالنسبة الى الاسفار الالهية ، وعرفت سهولة وقوع التحريف فى الزمان السالف ، فأى استبعاد عقلى أو نقلى لو قلنا انهم فعلوا مثله الاسفار أو بالعبارات التى علموا أن فيها نفعا للمسلمين ؟

الشاهد العشرون : الآية الحادية عشر من الاصحاح الاول من الاصحاح الاول من انجيل متى هكذا : « ويوشيا ولد يوكانيا واخوته فى زمان الجلاء الى بابل) ويظهر منها أن يوكانيا واخوته أبناء صلبيون ليوشيا وأن يوكانيا كانت له اخوة ، وأن ولادتهم فى زمان الجلاء الى بابل ، وهذه الثلاثة كلها ليست بصحيحة ، أما الاول فلأن يوكانيا ابن يهوياقيم ابن يوشيا فهو ابن الابن لا الابن . وأما الثانى فلأنه ما كان له اخوة ، نعم كان لابيه يهوياقيم ثلاثة أخوة . وأما الثالث : فلأن يوكانيا فى زمان الجلاء الى بابل كان ابن ثمان عشرة سنة لا أنه ولد فى زمان الجلاء الى بابل قال آدم كلارك (قال كاملت فلتقرأ الآية الحادية عشر هكذا : (ولد يوشيا يهوياقيم واخوته ، وولد يهوياقيم يوكانيا فى زمان الجلاء الى بابل) انتهى .

وأنت تعلم أن محصل قول كاملت الذى هو مختار آدم كلارك أيضا أنه لا بد أن يزداد لفظ يهوياقيم ههنا ، والظاهر أن هذا اللفظ سقط من المتن عندهما . وهذا هو التحريف بالنقصان ، ومع هذا لا يرتفع الاعتراض الثالث كما لا يخفى .

وحيث طال ذكر الشواهد على التحريف ، مع أننا اقتصرنا على قليل مما وقع منه فى كتبهم ، فلنذكر هنا ان شاء الله تعالى بعضا من المغالطات ، التى هى كجبال القمر ويتمسك بها علماء البروتستنت لترويج شبهها على ضعفاء العقول .

المفاصلة الاولى :

يزعم علماء البروتستانت في بعض الأحيان تغليظا لمن ليس له وقوف على كتبهم من العوام ، ومنهم هذا المؤلف المسمى نفسه بعبد المسيح ، أن دعوى التحريف عليهم مختصة بالمسلمين ، ولم يسبقهم فيها أحد من المليون ، مع أن الأمر ليس كما ذكروا كما علمت فيما مضى وفيما سيأتى ان شاء الله .

ولننقل كلام المسيحيين المعتبرين المؤرخين فمن ذلك ما قال آدم كلارك في الصفحة التاسعة والستين وثلاثمائة من المجلد الخامس من تفسيره ما لفظه (هذا الرسم من قديم الايام وهو أن الكبار يكون المؤرخون لهم كثيرين ، وهذا هو حال الرب — يعنى كان المؤرخون له كثيرون — لكن أكثر بياناتهم كانت غير صحيحة ، وكانوا يكتبون الأشياء التي لم تقع على أنها وقعت يقينا . وغلطوا في حالات أخر عمدا أو سهوا سيما المؤرخين الذين كتبوا في الأرض التي كتب فيها لوقا انجيله ، فلأجل ذلك استحسن روح القدس أن يعطى لوقا علم جميع الحالات على وجه الصحة ، ليعلم أهل الديانة حال الصحيح) انتهى .

فثبت باقرار مفسرهم المعتبر عندهم وجود الأناجيل الكاذبة الملوثة من الإغلاط قبل انجيل لوقا ، وقوله وكانوا يكتبون الأشياء) الى آخره يدل على عدم تحقيق مؤلفيها وقوله (غلطوا في حالات أخر عمدا أو سهوا) يدل على عدم ديانتهم .

ومن ذلك ما في الاصحاح الأول من رسالة بولس الى أهل غلاطية ما عبارته (ثم انى أعجب من أنكم أسرعتم بالانتقال عن استعداكم بنعمة المسيح الى انجيل أخر وهو ليس بانجيل بل أن معكم نفرا من الذين يزعجونكم ويريدون أن يحرفوا انجيل المسيح) انتهى . فثبت من كلام مقدسهم بولس ثلاثة أمور الأول : أنه كان في عهد الحواريين انجيل يسمى بانجيل المسيح ، والثانى أنه كان انجيل آخر مخالف لانجيل المسيح في عهده مقدسهم ، والثالث أن المحرفين كانوا في صدد تحريف انجيل

المسيح في زمان مقدسهم فضلا عن الزمان الآخر لأنه لأنه ما بقي له بعد ذلك الا الاسم كالعنقاء . قال آدم كلارك في المجلد السادس من تفسيره في شرح هذا المقام ما عبارته : (هذا الأمر وهو أن الاناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون المسيحية . وكثرة هذه الأحوال الكاذبة الغير صحيحة ، هيجت لوقا على تحرير الانجيل ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة والاجزاء الكثيرة من هذه الاناجيل باقية ، وكان « فابرى سيوس » جمع هذه الاناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاث مجلدات ، وبين في بعضها وجوب اطاعة الشريعة الموسوية ، ووجوب الختان مع اطاعة الانجيل ، ويعلم اشارة الحوارى الى واحد من هذه الاناجيل) انتهى ، فعلم من اقرار المفسر أن هذه الاناجيل الكاذبة كانت موجودة قبل انجيل لوقا وقبل تحرير بولس الى أهل غلاطية ، ولذلك قال المفسر أولا (وكثرة هذه الأحوال) الى آخره ، وهذا موافق لما قال في المجلد الخامس من تفسيره كما عرفت . وقال ثانيا : (ويعلم اشارة الحواريين الى واحد من هذه الاناجيل) فثبت أن المراد بالانجيل في كلام مقدسهم الانجيل المدون لا معناه المرتكز في ذهن المصنف كما يظهر من بعض مقالات علماء البروتستنت .

تنبه : ما فهم من كلام بولس أنه كان في عهد الحواريين انجيل يسمى بانجيل المسيح هو الحق ، وهو القريب من القياس وهو مختار ماضلهم اكهارون وكثير من المتأخرين من علماء الجرمين ، واليه مال محققهم ليكلرك وكروب وميكالس وغيرهم .

ومن ذلك ما في الاصحاح الحادى عشر من الرسالة الثانية لبولس الى أهل كورنثوس ما لفظه (لكنى سأفعل ما أفعله لاحجب الفرصة عن الذين يريدون أن يفتنموا الفرصة ليطيروا مثلنا فيما يفتخرون به لأن نظائرهم هؤلاءهم الرسل الكذابون الغدارون وقد تشبهوا برسلى المسيح ، انتهى ، فمقدسهم ينادى بأعلى صوت أن الرسل الكذابين الغدارين ظهوروا في عصره ، وقد تشبهوا برسلى المسيح ، قال آدم كلارك في تفسيره في شرح هذا المقام (هؤلاء الأشخاص كانوا يدعون كذبا

أنهم رسل المسيح وما كانوا رسل المسيح فى نفس الأمر ، وكانوا يعظون ويجتهدون ، لكن مقصودهم ما كان الأجلب المنفعة) انتهى .

ومن ذلك الآية الأولى من الاصحاح الرابع من رسالة يوحنا الاولى هكذا (فلا تؤمنوا أيها الاحباء بكل روح من الأرواح ، بل امتحنوا الأرواح ، حتى تعلموا هل هى من عند الله ام لا ؟ لأن كثيرا من الانبياء الكذبة برزوا الى هذا العالم) فيوحنا الحوارى أيضا ينادى مثل بولس بأن كثيرا من الانبياء الكذبة ظهوروا فى عهده ، قال آدم كلارك فى شرح المقام : (كان كل معلم فى الزمان الأول يدعى أن روح القدس يلمنى لأن كل رسول معتبر جاء هكذا والمراد بالروح ههنا انسان يدعى بانى فى اثر الروح واعلم على وفق ما يقول قوله ، بل امتحنوا الأرواح يعنى امتحنوا المعلمين بالدليل ، قوله لأن كثيرا من الانبياء الكذبة يعنى المعلمين ، الذين لم يلمهم روح القدس ، سيما من اليهود) انتهى .

فعلم من كلام المفسر أن كل معلم كان يدعى الالهام فى الزمان الأول ، وقد علم من كلامه فى مقابل أن تشبههم برسل المسيح ومكرهم وغدرهم كان لحطام الدنيا وجلب المنافع ، فمدعو الالهام والرسالة كانوا كثيرين جدا .

ومن ذلك أن الكتب الخمسة المشهورة الآن بالتوراة المنسوبة الى موسى عليه السلام توجد ستة كتب أخرى منسوبة اليه أيضا بهذا التفصيل سفر المشاهدات وسفر الخليقة الصغير وسفر المعراج وسفر الأسرار وتستقمت وسفر الاقرار ، والسفر الثانى من هذه الاسفار الستة كان أصله يوجد فى اللسان العبرانى الى المائة الرابعة ، ونقل عنه جيروم وكذا نقل عنه سيديريس فى تاريخه كثيرا ، وقال أرجن ان بولس نقل عن هذا الكتاب الآية السادسة من الاصحاح الخامس والآية الخامسة عشر من الاصحاح السادس من رسالته الى أهل غلاطية وترجمته كانت موجودة الى القرن السادس عشر ، وفى هذا القرن كذبه محفل ترفت ، فصار جعليا كذبا بعد ذلك ، وانى متعجب من تسليمهم وتكذيبهم لأن حال الكتب الالهية والانتظامات الملكية عندهم واحد ، اذا رأوا مصلحة

منعوا و إذا شاعوا منعوها والسفر الثالث من هذه الستة أيضا يعلم انه كان معتبرا بين القدماء ، قال لاردنر في الصفحة الثانية عشر وخمسةائة من المجلد الثانى من تفسيره (ان أرجن قال ان يهودا نقل عن هذا السفر الآية التاسعة من رسالته) انتهى . والآن هذا السفر وسائر اسفار الستة تعد جعلية محرفة ، لكن الفقرات المنقولة عنها بعد ما دخلت فى الانجيل تعد الهامية صحيحة ، قال هورن : (المظنون أن هذه الاسفار الجعلية اخترعت فى ابتداء الملة المسيحية) انتهى فنسب محققهم اختراع هذه الأسفار الى أهل القرن الأول .

ومن ذلك ما قاله موشيم المؤرخ فى بيان علماء القرن الثانى فى بيان علماء القرن الثانى فى الصفحة الخامسة والستين من المجلد الأول من تاريخه المطبوع سنة ١٨٣٢ : (كان بين متبعى رأى أفلاطون وفيساغورسى مقولة مشهورة وهى ان الكذب والخداع لأجل أن يزداد الصدق وعبادة الله ليسا بجائزين فقط ، بل قابلان للتحسين ، وتعلم أولا منهم يهود مصر هذه المقولة قبل المسيح ، كما يظهر هذا جزما من كثير من الكتب القديمة ، ثم أثر وباء هذا الغلط السوء فى المسيحيين ، كما يظهر هذا الأمر من الكتب الكثيرة التى نسبت الى الكبار كذبا) انتهى . فاذا صار هذا الكذب والخداع من المستحبات الدينية عند اليهود قبل المسيح عليه السلام وعند المسيحيين فى القرن الثانى فما بقى للجعل والتحريف والكذب حد ففعلوا ما فعلوا

ومن ذلك قال يوسى بيس فى الباب الثامن عشر من الكتاب الرابع من تاريخه اذكر جستن الشهيد فى مقابلة طريفون اليهودى عدة بشارات المسيح ، وادعى أن اليهود أسقطوها من الكتب المقدسة) انتهى . وقال وانس فى الصفحة الثانية والثلاثين من المجلد الثالث ما لفظه : (انى لا اثك فى هذا الأمر هو أن العبارات التى ألزم هو أن العبارات التى ألزم فيها جستن اليهود فى مباحثة طريفون بأنهم أسقطوها كانت هذه العبارات فى عهد جستن وأرينيوس موجودة فى النسخة العبرانية واليونانية وأجزاء من الكتاب المقدس ، وان لم توجد الآن فى نسخها سيما العبارة التى قال جستن أنها كانت فى سفر أرمياء .

كتب سبليرجيس في حاشية جستن وكتب الدكتور كريب في حاشية أرينيوس أنه يعلم أن بطرس لما كتب الآية السادسة من الاصحاح الرابع من رسالته الاولى كانت البشارة في خياله (انتهى . وقال هورن في الصفحة الثانية والستين من المجلد الرابع من تفسير ما لفظه (ادعى جستن في كتابه في مقابلة طريفون اليهودي أن عزرا قال للناس ان طعام عيد الفصح طعام ربنا المنجى ، فان فهمتم الرب أفضل من هذه العلامة يعنى الطعام وآمنتم به ، فلا تكون هذه الارض غير معمورة أبدوا ان لم تؤمنوا به ولم تسمعوا وعظه ، فتكونوا سبب استهزاء للأقوام الأجنبية) قال واثى تيكز (الغالب أن هذه العبارة كانت ما بين الآية الحادية والعشرين والثانية والعشرين من الاصحاح السادس من سفر عزرا والدكتور آدم كلارك يصدق جستن) انتهى ، فظهر من هذه العبارات المنقولة أن جستن الشهيد الذى كان من أجلة قداماء المسيحيين ادعى أن اليهود أسقطوا بشارات عديدة من الكتب المقدسة ، وصدقته في هذه الدعوى سبليرجيس وكريب واثى تيكز وآدم كلارك وواتس وادعى واتسن أن هذه العبارات كانت في عهد جستن وارينيوس موجودة في النسخة العبرانية واليونانية وأجزاء من الكتاب المقدس وان لم توجد الآن في نسخهما (فنقول لا يخلو إما أن يكون أعظم قدماتهم ومؤيدوه الخمسة صادقين في هذه الدعوة ، فيثبت تحريف اليهود البتة باسقاط العبارات المذكورة ، وإما أن يكونوا غير صادقين فيلزم أن يكون هذا المقتدى ومؤيدوه محرفين يقينا مرتكبين هذا الأمر الشنيع لاجل اتباعهم بالقولة المشهورة المذكورة في القول السابق ، فتحريف أحد الفريقين لازم قطعاً . وكذا نقول يلزم على ادعاء « واتسن » أيضاً لأنه على الشق الاول يلزم تحريف من أسقطها عن العبرانية واليونانية بعد زمانها بلا شك ، وعلى الشق الثانى يلزم تحريف من زادهما في نسخهما .

ومن ذلك : ما قال لاردنر في الصفحة الرابعة والعشرين بعد المائة من المجلد الخامس من تفسيره : (حكم على الانجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفها بأنها ليست حسنة بأمر السلطان اناسطيوس في الايام التى

كان فيها سألها حاكمها في القسطنطينية ، فصححت مرة أخرى (أنتهى فنقول : لو كانت هذه الأناجيل الهامية وثبت عند القدماء في عهد السلطان المذكور بالاسناد الجيد أنها تصفيات الحواريين وتابعيهم ، فلا معنى لجهالة المصنفين وتصحيحها مرة أخرى ، فثبت أنها كانت الى ذلك العهد غير ثابت اسنادها وكانوا يعتقدون أنها (غير) الهامية فصححوها على قدر الامكان اغلاطها وتناقضها ، فثبت التحريف على أكمل وجه بلا شبهة عند كل منصف ، وثبت أنها غير ثابتة الاسناد والحمد لله تعالى . وظهر أن ما يدعيه علماء البروتستانت في بعض الاحيان من أن سلطانا من السلاطين وحاكما من الحكام لم يتصرف في الاسفار المقدسة في زمان من الازمنة قط باطل قطعا ، وظهر أن رأى كهاون وكثير من المتأخرين من علماء الجرمين في باب الأناجيل في غاية القوة .

ومن ذلك : ما قاله في كتاب وارد كاتلك : (وصل عرضحال من فرقة البروتستانت الى السلطان جيمس الاول بهذا المضمون وهو أن الزبورات التي هي داخلة في كتاب صلواتنا مخالفة للعبري بالزيادة والنقصان والتبديل في مائتى موضع تخميناً) انتهى .

ومن ذلك : ما في الكتاب المذكور أيضا (قال مستر كارلائل : المترجمون الانكليزيون أسدوا المطلب وأخفوا الحق وخذعوا الجهال وجعلوا مطلب الانجيل الذى كان مستقيما معوجا وعندهم الظلمة أحب من النور ، والكذب أحق من الصدق) انتهى .

ومن ذلك : ما ذكره في الكتاب المذكور أيضا بما عبارته : (استدعى مستر بروتن من أراكين كونسل لترجمة الجديدة قائلا : أن الترجمة التي هي مروجة في انكلتره مملوءة من الاغلاط ، وقال للقسيسين ان ترجمتكم الانكليزية المشهورة حرفت عبارات كتب العهد العتيق في ثمانمائة وأربعين موضعا ، وصارت سببا لرد اناس غير محصورين لأسفار العهد الجديد ودخولهم النار) انتهى . ولولا خشية التطويل لنقلنا شيئا كثيرا مثل هذه الأقاويل ، ومن أراد الزيادة وكثرة التفصيل فليرجع الى اظهار الحق ، ودافع الإباطيل .

المخالطة الثانية :

ان المسيح عليه السلام شهد بحقية أسفار العهد العتيق ، ولو كانت محرفة لما شهد بها ، بل كان عليه ان يلزم اليهود على التحريف . فنقول : ان جوابها مستفاد مما تقدم لك غير مرة وأنه لما لم يثبت التواتر اللفظى لأسفار العهد العتيق والجديد ، ولم يوجد سند متصل لها الى مصنفها وعرفت ما قيل فى حق سفر استير فى الشاهد الأول من المقصد الثانى ، وفى حق انجيل متى فى الشاهد الثامن عشر من المقصد الثالث ، وفى غير ذلك . وثبت جميع أنواع التحريف فيها ثبوتا لا يمكن انكاره ، صارت هذه الأسفار مشكوك ومطمون فيها عندنا وعند كل ذى فهم وانصاف ، فلا يتم الاحتجاج علينا ببعض آيات هذه أسفار لأنها يجوز أن تكون الحاقية ، زادا المسيحيون من أهل الديانة المبيحون للكذب لأجل الدين كما تقدم فى آخر القرن الثانى أو القرن الثالث فى مقابلة الذرقة الأبيونية والفرقة المارسيونية وفرقة مانى كيز ، ورجحت هذه التحريفات بعدهم لكونها مؤيدة لمقاصدهم .

وأىضا : ان هذه الاسفار ليس لعددها سند ، اذ لم يبين عددها بولا أسماؤها ، فكيف يعلم أن الأسفار المتداولة الآن عند اليهود من العهد العتيق كانت التسعة والثلاثين التى تسلمها الآن فرقة البروتستانت أو الستة وأربعين التى تسلمها فرقة الكاثوليك لأن فى هذه الاسفار سفر دانيال أيضا . وكان اليهود المعاصرون للمسيح وكذا المتأخرون منهم غير يوسيفوس لا يسلمونه الهاميا بل لم يكونوا يعترفون بنبوة دانيال أيضا ويوسيفوس المؤرخ الذى هو معتبر عند المسيحيين ومن علماء اليهود المتعصبين وكان بعد المسيح عليه السلام يعترف فى تاريخه بهذا القدر فقط . ويقول : (ليس عندنا آلاف الأسفار التى يناقض بعضها بعضا بل عندنا اثنتان وعشرون سفرا فقط ، فيها أحوال الأزمنة الماضية وهى الهامية ، منها خمسة لموسى فيها بيان العالم من ابتداء الخلق الى موت موسى وثلاثين عشر سفرا كتبها الأنبياء فيها أحوال أزمنتهم من موت عليه السلام الى زمن السلطان أردشسير ، والباقى أربعة أسفار مشتملة على حمد الله

وثنايه) انتهى . فثبت من شهادته عدم حقية هذه الأسفار المتداولة لأنه بين أن غير التوراة سبعة عشر سفرا والحال أن غير التوراة عند فرقة البروتستنت أربعة وثلاثون سفرا وعند فرقة الكاثوليك واحد وأربعون سفرا ومع ذلك لم يعلم أن أى سفر من هذه الأسفار كان داخلا فى السبعة عشر . لأن هذا المؤرخ نسب الى حزقيال سفرين آخرين سوى سفره المشهور ، فالظاهر أن هذين السفرين وان لم يوجدوا الآن كانا عنده داخلين فى السبعة عشر .

وقد عرفت فى الشاهد التاسع عشر من المقصد الثالث أن كريزاستم و علماء الكاثوليك يعترفون بان اليهود ضيعوا أسفارا لا لأجل غفلتهم ، بل لاجل عدم ديانتهم ، ومزقوا البعض وأحرقوا البعض ، فيجوز أن تكون هذه الاسفار داخلة فى السبعة عشر ثم انه لا مجال لفرقة البروتستنت ولا لفرقة الكاثوليك ولا لغيرهما أن ينكروا فقدان الاسفار التى سنذكر بعضها الآن ان شاء الله تعالى من العهد القديم ويجوز أن يكون أكثرها داخلا فى السبعة عشر .

والأسفار المفقودة منها سفر حروب الرب الذى جاء ذكره فى الآية الرابعة عشر من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر العدد كما عرفت فى الشاهد العاشر من المقصد الثانى ، ومنها سفر اليسير الذى جاء ذكره فى الآية الثالثة عشر من الاصحاح العاشر من سفر يوشع كما عرفت فى الشاهد الثامن عشر من المقصد الثانى ، ومنها ثلاثة أسفار لسليمان عليه السلام كما اعترف أيضا بذلك آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره ذيل شرح الآية الثانية والثلاثين فى حق الامثال والزيور . ومنها : مشاهدات عمو الرائى الغيب وسفر أحياء النبى ، وجاء ذكرهما فى الآية التاسعة والعشرين من الاصحاح التاسع من السفر الثانى من أخبار الأيام ، وفى هذه الآية ذكر تاريخ ناثان النبى أيضا . قال آدم كلارك فى الصفحة التاسعة والثلاثين بعد الخمسمائة وألف من المجلد الثانى من تفسيره ما لفظه : (هذه الكتب كلها مفقودة) انتهى . وقال طامس انكلس من علماء الكاثوليك فى كتابه المسمى بمرآة الصدق وهو فى لسان الهند وطبع فى سنة ١٨٥١ لا

بما عبارته : (اتفاق العالم على أن الاسفار المفتودة من الاسفار المقدسة ليست بأقل من عشرين) انتهى . ثم انه عدد صاحب اظهار الحق نحو ذلك .

تنبيه : يعلم من هذا وغيره أن بعض البشارات المنقولة عن أسفار أهل الكتاب في الدواوين القديمة الاسلامية كتبت ابن قتبية وكهداية الحيارى ودلائل النبوة للماوردي وغيره أن بعض البشارات المنقولة عن الاسفار المقدسة ليست بأقل من عشرين) انتهى ثم انه عدد صاحب اظهار الحق نحو ذلك .

تنبيه : يعلم من هذا وغيره أن بعض البشارات المنقولة عن أسفار أهل الكتاب في الدواوين القديمة الاسلامية كتبت ابن قتبية وكهداية الحيارى ودلائل النبوة للماوردي وغيرها ولا توجد في الأسفار المشهورة الآن عندهم كانت موجودة في الاسفار المفتودة كما لا يخفى على كل منصف (١)

(١) قول المؤلف أن بعض البشارات عن محمد ﷺ في التوراة والانجيل ، التي نقلها قدماء المسلمين في كتبهم ، كانت موجودة في أسفار مفقودة . قول المؤلف هذا قول غير سديد . لأن البشارات التي نقلها القدماء ، هي من الاسفار المقدسة الى هذا اليوم عند أهل الكتاب ، والفرق بينها وبين الترجمة العربية الموجودة اليوم ، هو فرق في الترجمة ، كاستبدال جاء يأتي ، وذهب برجع وما شابه ذلك . وبعض المؤلفين القدماء لم ينقلوا النص من الاسفار ذاتها ، وانما نقلوا معناه ، وربما كان نقلهم مشافهة ، أو من كتاب نقل عن كتاب وبعض المؤلفين نقلوا النصوص غير كاملة ، وظنوا أن القدر الذي نقلوه كاف في الالزام ، ولم يربطوا النصوص كلها بعضها ببعض وهذا كله قد جعل المؤلف يظن أنهم نقلوا من كتب كانت موجودة ثم ضاعت من أهل الكتاب . ونستدل على ما نقول : بأن النص عن بركة اسماعيل الموجود في الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين ، والنص عن النبي الأمل في الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية والنص عن فاران في الثالث وللثلاثين من سفر التثنية . كل هذه النصوص قد ذكرها قدماء المسلمين كابن قيم الجوزية والامام الماوردي . وذكرها الامام فخر الدين الرازي في تفسيره والنص عن البيركليت — الفيرقليط وهو اسم «أحمد» ﷺ قد ذكره القدماء ومنهم الرازي وابن هشام في السيرة النبوية بنفس الألفاظ

ثم ليعلم أنا لو سلمنا أن هذه الأسفار المتداولة كانت في عهد المسيح وشهد هو والحواريون لها ، نقول ان مقتضى شهادتهم هذا القدر فقط ان هذه الأسفار كانت عند اليهود في ذلك الوقت ، سواء كانت من تصنيف الأشخاص المنسوب اليهم أو لم تكن ، وسواء كانت الحالات المندرجة فيها صادقة أو يكون بعضها صادقا كاذبا ، وليس مقتضاها ان كل سفر من تصنيف المنسوب اليه وأن كل حال مندرج فيها صادقا البتة ، بل لو نقل المسيح والحواريون شيئا من هذه الأسفار لا يلزم من مجرد نقلهم صدق المنقول ، بحيث لا يحتاج الى تحقيق ، نعم لو صرح المسيح عليه السلام في جزء من اجزائها أو حكم من أحكامها أنه من عند الله سبحانه وثبت تصريحه أيضا بالتواتر فيكون صادقا البتة وما سواه مشكوك فيه ومحتاج الى التحقيق . وهذا الذي قلناه وافقنا عليه من علماء فرقة البروتستنت محققهم « بيلي » في الباب الثالث من القسم الثالث من كتابه المطبوع سنة ١٨٥٠ في بلدة لندن ، وان أردته فارجع الى اظهار الحق ، ثم اننا لو سلمنا على فرض تقدير المحال أن شهادة المسيح والحواريين هي تصديق لكل جزء وكل قول قول منها فلا يضرنا أيضا ، اذ قد ثبت أن مذهب جمهور علماء المسيحيين وجستن روكستين وكريزاستم من القديماء ومذهب كافة الكاثوليك وسلبرجيس والدكتور كريب وولثي تيكور وآدم كلارك وهمفري وواتسن من علماء البروتستنت : أن اليهود حرموا الأسفار بعد المسيح والحواريين كما عرفته مفصلا فيما تقدم ، فنذكر .

المغالطة الثالثة :

ان نبينا وشفيعنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم سماهم أهل الكتاب ، وأخبر القرآن الكريم عن التوراة والانجيل (بالصحة) مثل قوله سبحانه « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفيننا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن

الموجود اليوم في الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا . ذلك لأن الكتاب المقدس — الببيل ، الذي هو العهد القديم والجديد ، مدون ومشهر في العالم على صورته التي هو عليها الآن من القرن الرابع الميلادي . وبعدها دون واشتهر لا يتقدر أحد من أهل الكتاب على التحريف فيه ، الا بتأويل النصوص تلويلا فاسدا [أنظر كتاب نقد التوراة أسفار موسى الخمسة]

مهم البينات وأيدناه بروح القدس » وقوله تعالى : « ثم آتينا موسى الكتاب هماما على الذى أحسن وتلصيلا لكل شيء ، وهدى ورحمة لعلمهم بلقاء ربهم يؤمنون » وقوله تعالى : « آتاني الكتاب وجعلني نبيا » وقوله تعالى : « إذ قال الله يا عيسى بن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذا أيدتك بروح القدس فكلم الناس فى الهدى وكهلا وإذا علمت الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل « الآية

فجواب هذه المغالطة ظاهر من وجوه لن رزقه الله تعالى الفهم .

أما أولا فلأن قرآننا العظيم كما بين أنه سبحانه أنزل على موسى التوراة وعلى عيسى الإنجيل ، بين لنا أيضا أن القوم حرفوا بعد ذلك تحريفا لفظيا ومعنويا كما قال سبحانه وتعالى فى سورة البقرة : « وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » وفى سورة آل عمران : « وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » وفى سورة النساء : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا » وفى سورة المائدة : « ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لا كفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ، فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه » الى قوله تعالى « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير »

فالمسلمون والله تعالى الحمد يؤمنون بجميع ما أنزل الله تعالى على رسوله فلما أنزل عليه أنه سبحانه كان قد أنزل التوراة والإنجيل آمنوا ولما أنزل عز وجل ان القوم حرفوا وبدلوا آمنوا أيضا بذلك لأن المسلمين لا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، بل يؤمنون بجميع ما أخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز

وأما ثانيا : فإن شاهد الوجدان شاهد لما أنزل فى القرآن من تحريف

أهل الكتابين سلفا وخلفا كما فصلناه ذلك ، وأثبتناه من كلام الفرقتين بحيث لم يبق مجال للانكار ، وتميز الحال كالشمس في رابعة النهار .

وأما ثالثا : فان مسائل كثيرة أمر بها أهل الكتاب في كتابهم ولأن العمل على خلافها كمسألة الختان المؤيد على بنى اسرائيل في التوراة وقرره عيسى عليه السلام فعلا وقولا . والآن النصارى عملهم على خلاف ذلك . وكمسألة المواريث فان النصارى يقتسمون في ديارنا على ما تقتضيه شريعتنا . ولم يقتسموا على ما يقتسم عليه اليهود ، وكبشائر المسيح (١) التي حرفها اليهود في العهد العتيق على ما ادعته النصارى ونحو ذلك كما مره مفصلا . وهل هذا ونحوه مما مضى الا تحريف بالزيادة والنقصان ؟ وهل مسألة العشاء الرباني من أكل لحم المسيح وشرب دمه الا من تحريف التأويل لما في الأناجيل ، فانهم والله تعالى أعلم .

المغالطة الرابعة : ان نسخ الأسفار المقدسة كانت منتشرة شرقا وغربا

(١) ليس في التوراة ولا في أسفار الأنبياء بشارات عن عيسى عليه السلام ، ولم يكن فيهم قبل التحريف أى بشارات . ذلك لأنه من بنى اسرائيل . ولا ينسخها الانبي من غير بنى اسرائيل . واذا جاء عيسى أو غيره على أنه مصدق لها ، فان اليهود ملزمون بتصديقه سواء كانت عنه بشارات او لم تكن عنه . فلا فائدة اذن من التذبية على مجيئه . وفي أسفار الأنبياء أن الله سيرسل ملاكه ليهيئ الطريق أمام النبي المنتظر ، النبي الذي هو على الحقيقة محمد رسول الله ﷺ . وقد زعم النصارى أن المراد بالملاك هو يحيى عليه السلام وقد جاء وهيا الطريق لعيسى عليه السلام . وقد جاء في انجيل برنابا أن عيسى قال أنا جئت لاهياً الطريق لمحمد ﷺ . وهذا بدل على أن المهيبء ، مبشر به في أسفار الأنبياء قبل ظهور النبي المنتظر . واذا عرفنا أن بشارات الأسفار الخمسة تدل في نظر العلماء على النبي المنتظر ، فان أى عالم من بنى اسرائيل يقوم محتسبا لله تعالى بتفسيرها على الوجه الصحيح أمام الناس ، فانه بالتفسير يكون مهيبئا الطريق أمام النبي المنتظر . وهذا الرأي تؤيده التوراة السامرية فليس فيها من مهيبء واحد بعينه . والسامريون لا يعترفون بأسفار الأنبياء .

هلا يمكن تحريفها (١) لأحد كما يمكن فى القرآن .

وانت تعلم أن جواب هذه المغالطة ظاهر على من رزقه الله تعالى الانصاف وتامل ما قدمناه من وقوع التحريف بالفعل باقترارهم ، وبالوجدان ، فأى محل بقى لعدم امكانه ؟ وقياس هذه الأسفار على القرآن المجيد قياس مع الفارق لأن هذه الأسفار قبل ايجاد صنعة الطبع كانت قابلة للتحريف ولم يكن اشتهارها مانعا من التحريف ، الا ترى كيف حرف اليهود وملحد والمشرق على ما أقرت به فرق البروتستنت وفرقة الكاثوليك المترجمة اليونانية مع أن اشتهارها شرقا وغربا كان أزيد من اشتهار النسخة العبرانية ؟ وكيف أثر تحريفهم كما عرفت فيما مر ؟ بخلاف القرآن المجيد فان اشتهاره وتواتره وحفظه فى الصدور من حين نزوله وكماله قرنا بعد قرن وطبقة بعد طبقة من مشارق الأرض ومغاربها ومن شمالها الى جنوبها الى يومنا هذا بخلاف غيره من الكتب المنزلة وغيرها كما هو ظاهر لكل ناقد ، وشاهد الوجود أعظم شاهد .

ولنورد أمورا مؤكدة لما مضى ومزيلة لاستبعاد وقوع التحريف فى

كتبهم .

الأمر الأول : . كان موسى عليه السلام كتب نسخة التوراة (٢) وسلمها الى الأحبار وسائر كبراء بنى اسرائيل ووصاهم بمحافظتها ووضعها فى صندوق الشهادة واخراجها بعد كل سبعة من السنين فى يوم العيد لاجل اسماع بنى اسرائيل فكانت هذه النسخة موضوعة فى الصندوق وكانت الطبقة الاولى على وصية موسى عليه السلام فلما انقرضت هذه الطبقة تغير حال بنى اسرائيل ، فكانوا يرتدون تارة ويسلمون أخرى . وهكذا كان حالهم الى أول سلطنة داود عليه السلام وجنست حالهم فى تلك السلطنة وصدر سلطنة سليمان عليه السلام وكانوا مؤمنين ، لكن لأجل الانقلابات المذكورة ضاعت

(١) هى انتشرت فى القرن الرابع وصعب التحريف اللفظى من بعدئذ .
والتوراة حرفت فى بابل سنة ٥٨٦ ق.م وأسفار الانبياء حرفت فى مجمع عينية سنة ١٣٢ ب م والأناجيل حرفت فى سنة ٣٢٥ م .

(٢) اعلم أن كلام المؤلف هو على نسخة التوراة التى وضعها موسى

تلك النسخة الموضوعة فى الصندوق ولا يعلم جزماً متى ضاعت سوى هذا القدر وهو أنها ضاعت قبل عهد سليمان عليه السلام لأنه لما فتح الصندوق فى عهده ما وجد فيه غير اللوحين اللذين كانت الأحكام العشرة فقط مكتوبة فيهما كما هو مصرح به فى الآية التاسعة من الاصحاح الثامن من سفر الملوك الأول . وهى هكذا : (ولم يكن فى التابوت الا اللوحين اللذين وضعهما موسى بحوريب حيث عاهد الرب بنى اسرائيل وأخرجهم من أرض مصر) ثم وقع الانقلاب العظيم فى آخر سلطنة سليمان عليه السلام على ما تشهد به أسفارهم المقدسة ، بأن ارتد سليمان والعياذ بالله تعالى فى آخر عمره بترغيب زوجاته ، وعبد الأصنام وبنى المعابد لها ، فاذا كان وثنيا مرتدا بزعمهم لم يبق له غرض بالتوراة .

عليه السلام فى تابوت العهد وهى قد فقدت كما يقول قبل زمان سليمان عليه السلام . ثم لقيها العلماء فى عهد يوشيا الملك ، ثم فقدت . ونسى المؤلف أن علماء بنى اسرائيل كانوا على علم بالتوراة . وكل عالم منهم كانت معه نسخة منقولة من توراة موسى الأصلية . بل أن موسى خصص سبطا معيناً وهو سبط لاوى للقيام بالشئون الدينية على سنن التوراة . وفى كتاب اظهار الحق الذى يتقل عنه الشيخ نعمان الألوسى أن آدم كلارك اعترف بأن موسى كتب من التوراة اثنتى عشرة نسخة ، وأعطى لكل سبط نسخة . ووضع نسخته فى تابوت العهد . وأوصى موسى بأن تكتب التوراة على جبل جرزيم — حسب النص السامرى — أو على جبل عيبال — حسب النص العبرى — إذا عبر بنو اسرائيل نهر الاردن (تثنية ٢٧ : ٨) ولما عبروا نهر الاردن كتبها يشوع بن نون (يشوع ٨ : ٣٠ — ٣١) وفى التوراة انه اذا ملك على بنى اسرائيل ملك « وعندما يجلس على كرسى مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة فى كتاب من عند الكهنة اللاويين ، فتكون معه ويقرا فيها كل أيام حياته » (تثنية ١٧ : ١٨ — ١٩) .

وفى مدينة « بابل » اتفق السامريون والعبرانيون على تحريف النص الأسمى لتوراة موسى عليه السلام وشكلوا لجنة لهذا الغرض برئاسة عزرا الذى هو عزير . وحرفوا النصوص . ورضوا بما عملوه فالتوراة الموجودة من سبى بابل الى هذا اليوم هى التوراة التى كتبها المضل عزرا لعنه الله (انظر كتابنا نقد التوراة أسفار موسى الخمسة)

وبعد موته وقع انقلاب أعظم وأشد من الأول بان تفرق أسباط بني إسرائيل وصارت الواحدة سلطنتين ، فصارت عشرة أسباط في جانب والسبطان في جانب ، وصار يوربعام سلطانا على عشرة أسباط وسميت تلك السنة السلطنة الاسرائيلية ، وصار رجبعام بن سليمان سلطانا على السبطين وسميت تلك السلطنة يهودا ، وشاع الكفر والارتداد بين السلطنتين لأن يوربعام بعد ما جلس على سرير السلطنة ارتد وارتدت الاسباط العشرة معه وعبدوا الاصنام ، ومن بقى منهم على ملة التوراة من الكهنة هاجر الى مملكة يهودا ، فهذه الاسباط من هذا العهد الى مائتين وخمسين سنة كانوا كافرين عابدين للاصنام .

ثم أبادهم الله تعالى بان سلط الاشوريين عليهم فأسروهم وفرقوهم في الممالك ، وما أبقوا في تلك المملكة الا شرذمة قليلة وعمروا تلك المملكة من الوثنيين فاختلطت هذه الشرذمة القليلة بالوثنيين اختلاطا شديدا فتزاوجوا وتناكحوا وتوالدوا وسميت أولادهم السامريين ، فمن عهد يوربعام الى آخر السلطنة الاسرائيلية ما كان لهذه الأسباط غرض بالتوراة ، وكان وجود نسخ التوراة في تلك المملكة كوجود العنقاء .
هذا حال الاسباط العشرة والسلطنة الاسرائيلية .

وجلس على سرير سلطنة يهودا من بعد موت سليمان عليه السلام الى ثلثمائة واثنين وسبعين سنة ، عشرون سلطانا وكان المداون من هؤلاء السلاطين من المؤمنين ، وشاعت عبادة الأصنام في عهد رجبعام ووضعت تحت كل شجرة وعبدت وفي عهد آحاز بنى المذابح في كل جانب وناحية من بلدة أورشليم ، وسدت أبواب بيت المقدس وكان قبل عهده نهبت أورشليم وبيت المقدس مرتين ، ففي المرة الاولى تسلط سلطان مصر ونهب جميع أساس بيت الله وبيت السلطان ، وفي المرة الثانية تسلط سلطان إسرائيل المرتد ونهب بيت الله وبيت السلطان أعظم نهب ، ثم اشتد الكفر في عهد منسى حتى صار أكثر أهل تلك المملكة وثنيين وبني مذبح الاصنام في فناء بيت المقدس ، ووضع الوثن الذي كان يعبده في بيت المقدس ، وهكذا كان حال الكفر في عهد آمون ابنه لما جلس يوشيا ابن

أمون على سرير السلطنة تاب الى الله تعالى توبة نصوحا وكان هو وأراكية متوجهين لتراويج الملة الموسوية وهدم رسوم الكنر والشرك وفى غاية الجد والاجتهاد ، ولكنه مع ذلك ما رأى أحد ولا سمع بوجود نسخة التوراة الى سبع عشرة سنة من سنى سلطنته .

ثم ادعى حلقيا الكاهن فى العام الثامن عشر من سلطنته أنه وجد نسخة التوراة فى بيت المقدس وأعطاهها شاقان الكاتب فقرأها على يوشيا فلما سمع يوشيا مضمونها شق ثيابه لما اعتراه من الحزن على عصيان بنى اسرائيل كما هو مصرح به فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر الملوك الثانى والاصحاح الرابع والثلاثين من السفر الثانى من أخبار الايام لكن لا يعتمد على هذه النسخة ، ولا على قول حلقيا لان البيت نهب مرتين قبل عهد آحاز ثم جعل البيت للاصنام وسبنتها كانوا يدخلونه كل يوم ، وما سمع أحد الى السبعة عشر عاما من سلطنة يوشيا أيضا اسم التوراة ، ولا رآها مع أن السلطان والأمراء والرعايا كانوا فى غاية الاجتهاد لاتباع الملة الموسوية وكان الكهنة يدخلون كل يوم الى هذه المدة .

فالعجب العجب ، أن تكون النسخة فى البيت ولا يراها أحد ، فهذه النسخة ما كانت الا من مخترعات حلقيا ، فانه لما رأى توجه السلطان والأراكين الى اتباع الملة الموسوية جمعها من الروايات اللسانية التى وصلت اليه من أفواه الناس ، سواء كانت صادقة أو غير صادقة ، وكان الى هذه المدة فى جمعها وتأليفها ، وبعدما جمعها نسبها الى موسى عليه السلام ، ومثل هذا الافتراء والكذب لترويج الملة وأشاعة الحق كان من المستحبات الدينية عند متأخرى اليهود وقدماء المسيحيين ، كما عرفت سابقا .

لكننا نتطع النظر عن هذا ونقول : انه وجدت نسخة التوراة فى العام الثامن عشر من سلطنة يوشيا وبقي معمولا بها الى ثلاث عشرة سنة من مدة حياته ، ولما مات وجلس ياهو آحاز على سرير السلطنة ارتد وشاع الكفر وتسلط عليه سلطان مصر ، واجلس أخاه على سرير السلطنة وهو

كان مرتدا أيضا كأخيه ، ولما مات جلس ابنه على السرير وكان أيضا مرتدا كأبيه وعمه ، وأسره بخت نصر مع جم غفير من بنى إسرائيل ونهب بيت المقدس وكنوز بيت الملك وأجلس عمه على سرير السلطنة . وكان مرتدا أيضا مثل ابن أخيه .

فاذا علمت هذا فنقول : ان تواتر التوراة فى اليهود على هذا منقطع قبل زمان يوشيا ، والنسخة التى وجدت فى عهده لا اعتماد عليها ولا يثبت بها التواتر ، ومع ذلك لم يكن معمولا بها الا الى ثلاث عشرة سنة وبعدها لم يعلم حالها . والظاهر أنه لما رجع الارتداد والكفر بين أولاد يوشيا زالت قبل حادثة بخت نصر وكان وجودها بين أزمنة الارتداد كالطهر المتخلل بين الدمين ولو فرض بقاءها أو بقاء نقلها فالمظنون زوالها فى حادثة بخت نصر وهذه الحادثة هى الحادثة الأولى .

الأمر الثانى : لما بغى هذا السلطان الذى أجلسه بخت نصر عليه ، أمره وذبح أولاده بهراى منه ، ثم قلع عينيه وقيده بالسلاسل وأرسله الى بابل وأحرق بيت الله وبيوت الملك وجميع بيوت أورشليم كل منزل جليل وجميع بيوت الكبراء ، وهدم سور أورشليم وأسر سائر شعوب بنى إسرائيل وسباهم ، وعمر تلك المملكة من مساكين الأرض وضعفائها كرامين وفلاحين ، وهذه هى الحادثة الثانية لبخت نصر ، وفى هذه الحادثة انعدمت التوراة وكذا جميع أسفار العهد العتيق التى كانت مصنفة قبل هذه الحادثة عن وجه العالم رأسا ، وهذا الأمر سلم به عند أهل الكتاب أيضا كما عرفت مفصلا فى الشاهد السادس عشر من المقصه الاول .

الأمر الثالث : لما كتب عزرا عليه السلام أسفار العهد العتيق مرة أخرى على زعمهم ، وقعت حادثة أخرى ، قد جاء ذكرها فى الأصحاح الاول من السفر الاول للمكابيين هكذا : (لما فتح انتيكوس ملك ملوك الفرنج أورشليم أحرق جميع نسخ أسفار العهد العتيق التى حصلت له من أى مكان بعد ما قطعها وأمر أن من يوجد عنده نسخة من نسخ أسفار العهد العتيق أو يؤدى وسم الشريعة يقتل وكان تحقيق هذا الأمر فى كل شهر فكان يقتل من وجد

عنده نسخة من أسفار العهد العتيق أو ثبت أنه أدى رسبا من رسوم الشريعة ، وتقدم تلك النسخة) انتهى ملخصا وكانت هذه الحادثة قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمائة واحدى وستين سنة ، وكانت ممتدة الى ثلاث سنين ونصف كما فصلت فى تواريخهم وتاريخ يوسيفوس فانعدمت فى هذه الحادثة جميع النسخ التى كتبها عزرا كما عرفت فى الشاهد السادس عشر من المقصد الأول من كلام جان لمر الكاثوليكي وهو (انه لما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضا فى حادثة انتيوكس) انتهى .

ثم قال جان لمر : (فلم تكن شهادة لصداقة هذه الكتب ، ما لم يشهد المسيح أو الحواريون انتهى .

ونقول : قد عرفت حال هذه الشهادة فى جواب المغالطة الثانية

فتذكر .

الأمر الرابع : أن اليهود وقعت عليهم بعد هذه الحادثة المذكورة حوادث أخر أيضا من ملوك الأفرنج وانعدمت فيها نقول عزرا ونسخ لا تحصى ، ومنها حادثة طيطوس الرومى ، وهى حادثة عظيمة وقعت بعد عروج المسيح عليه السلام بسبع وثلاثين سنة ، وهذه الحادثة مكتوبة بالتفصيل التام فى تاريخ يوسيفوس وتواريخ أخر ، وهلك فى مدة الحادثة من اليهود فى أورشليم ونواحيها ألف ألف ومائة ألف بالجوع والنار والسيف والصلب وأسرى سبعة وتسعون ألفا وبيعوا فى الأقاليم المختلفة ، وهلكت جموع كثيرة فى اقطار أرض اليهودية أيضا .

الأمر الخامس : أن قدماء المسيحيين ما كانوا ملتفتين الى النسخة العبرانية من العهد العتيق ، بل جمهورهم كانوا يعتقدون تحريفها وكانت الترجمة اليونانية معتبرة عندهم ولا سيما الى آخر القرن الثانى من القرون المسيحية ، فانه لم يلتفت أحد منهم الى النسخة العبرانية وكانت هذه الترجمة مستعملة فى جميع معابد اليهود أيضا الى آخر القرن الأول فكانت نسخ العبرانية لهذا الوجه أيضا قليلة ، ومع كونها قليلة كانت عند اليهود كما ظهر لك من جواب المغالطة الأولى .

الأمر السادس : ان اليهود اعدوا نسخا كتبت فى المائة السابعة والثامنة لأنها كانت تخالف مخالفة كثيرة للنسخ التى كانت معتمدة عندهم ، ولذلك لم تصل الى مصححى العهد العتيق النسخة المكتوبة فى هاتين المائتين ، وبعد ما اعدوا بقية النسخ التى كانوا يرضون بها فكان لهم مجال واسع للتحريف كما عرفت فيما سبق .

الأمر السابع : كان فى المسيحيين أيضا فى الطبقات الأولى أمر موجب للفساد والنسخ وامكان تحريف المحرفين لأن تواريخهم تشهد بأنهم الى ثلاثمائة سنة كانوا مبتلين بأنواع المحن والبلايا ووقع عليهم عشر قتلات عظيمة الأولى فى عهد السلطان نيروا فى سنة أربع وستين ، واستشهد فيه بطرس الحوارى وزوجته ، وقتل بولس أيضا وكان هذا القتل فى دار السلطنة والايالات ، وبقي هذا الحال ممتدا مدة حياة هذا السلطان وكان الاقرار بالمسيحية يعده جرما عظيما فى حق المسيحيين والثانية فى عهد السلطان دومشيان وكان هذا السلطان مثل نيرو عدوا للملة المسيحية فأمر بالقتل العام الذى كاد أن يستأصل هذه الملة وأجلى يوحنا الحوارى وقتل فليوبس كليمنس والثالثة فى زمن السلطان تراجان وكان ابتداءه سنة احدى ومائة وبقي الحال ممتدا الى ثمانية عشر سنة وقتل فيه اكناشس أسقف كورنثية وكليمنت أسقف الروم ومشمعون أسقف اورشليم والرابعة فى عهد السلطان مرقس انتونيس وكان ابتداءه سنة احدى وستين ومائة وبقي الحال هكذا الى أزيد من عشر سنين ، وبلغ القتل شرقا وغربا وكان هذا السلطان فلسفيا مشهورا متعصبا فى الوثنية ، والخامسة فى عهد السلطان سويرس وكان ابتداءه سنة اثنتين ومائتين وقتل ألوف فى مصر ، وكذا فى ديار فرانس وكاد تهيج ، وكان القتل فى غاية الشدة بحيث ظن المسيحيون أن هذا الزمان زمان الدجال (١)

(١) فى الثالث عشر من أكتوبر سنة الف وتسعمائة وسبعة وثمانين توجهت الى السودان عن طريق وادى حلفاء . وفى محطة القطار سمعت من بعض السودانين المتدينين بأن الامام الخومينى هو المسيح الدجال . ورأيت الناس فى الخرطوم تجاه ايران فريقان . ويجمع الكل على أن العراق هو الذى بد لهجوم على ايران .

والسادسة فى عهد السلطان مكسين وكان ابتداء ذلك سنة سبع وثلاثين ومائتين ، وأمر بقتل أكثر العلماء لأنه ظن أنه اذا قتل أهل العلم تطيعه العوام ، وقتل البابا بابونيتانوس والبابا انتيروس ، والسابعة فى زمن السلطان دى شس سنة ثلاث وخمسين ومائتين أراد هذا السلطان استئصال الملة المسيحية ، فصدرت أوامره الى حكام الولايات ، وارند فى هذه الحادثة بعض المسيحيين ، والثامنة فى عهد السلطان ولريان سنة سبع وخمسين ومائتين وقتل فيه ألوف ، ثم صدر أمر وهو فى غاية الشدة بأن يقتل الأساقفة وخدام الدين وتذل الأعزة وتؤخذ أموالهم ، واذا بقوا بعد هذا مسيحيين يقتلون وتسلب أموال النساء ويجلبن من الأوطان ويؤخذ المسيحيون الباقون عبيدا ويحبسون ويقيدون بالسلاسل ، ويستعملون بالأمر الشاقة ، والتاسعة فى عهد السلطان اريلين وكان ذلك سنة أربع وسبعين ومائتين ولم يقتل فيه كثيرون لأن السلطان المتقدم قد أكثر القتل ، والعاشرة فى سنة اثنتين وثلاثمائة وامتلأت الأرض شرقا وغربا من القتل ، وأحرقت بلدة فريجيا كلها دفعة واحدة بحيث لم يبق فيه أحد من المسيحيين .

فهذه الوقائع لو كانت صادقة كما يدعون لا يتصور فيها كثرة النسخ ولا المحافظة على الكتب كما ينبغى ، ولا تصحيحها ولا تحقيقها أو يكون للمحرفين فى أمثال هذه الأوقات مجال واسع للتحريف ، وقد عرفت فيما تقدم أن الفرق الكثيرة المبتدعة من المسيحيين ، قد كانوا فى القرن الأول وكانوا يحرفون

الأمر الثامن : أراه السلطان ديوكليشين أن يحرق وجود الأسفار المقدسة لهم عن وجه الأرض ، واجتهد فى ذلك ، فأمر فى سنة ثلاث وثلاثمائة بهدم الكنائس واحراق الأسفار وأحرق كل سفر موجود ، ومن أبى عن الاحراق أو ظن أنه أخفى سفر عذبه العذاب الأليم ، وامتنعوا عن الاجتماع للعبادة كما هو مصرح به فى تواريخهم .

وقال لاردنر فى الصفحة الثانية والعشرين بعد الخمسمائة من المجلد السابع من تفسيره : (صدر أمر ديوكليشين فى شهر مارس من السنة

التاسعة عشر من جلوسه بهدم الكنائس واحراق الاسفار المقدسة) انتهى
ثم قال : (يقول يوسى بيبس اننى حزين على اننى رأيت بعينى أن الكنائس
هدمت والاسفار المقدسة أحرقت فى الأسواق) انتهى ، ولا نقول أن النسخ
كلها باعدامه انعدمت عن وجه الأرض ، لكن لا شك أنها قلت جدا وضاعت
نسخ كثيرة صحيحة لأن كثرة المسيحيين وكثرة أسفارهم فى مملكته ودياره
كانت بمنزلة عشرين فى غيرها ، فانفتح باب التحريف ولا عجب أن تعدم رأسا
بعض الأسفار ويكون الموجود بدلها بعدها جعليا مختلفا لأن هذا الأمر
قبل ايجاد صنعة الطبع كان أمرا ممكنا ، وقد علمت فيما سبق أن النسخ
المخالفة لنسخة اليهود انعدمت رأسا باعدامهم لهم بعد المائة الثامنة .

وقال آدم كلارك فى مقدمة تفسيره : (أن أصل التفسير المنسوب الى
تى شن انعدم ، والمنسوب اليه الآن مشكوك فيه عند العلماء ، وشكهم
حق) انتهى . وقال واتسن فى المجلد الثالث من كتابه (كان التفسير
المنسوب الى تى شن موجودا فى عهد تهيودورت وكان يقرأ فى كل كنيسة
لكن تهيودورت أعدم جميع نسخه ليقيم الانجيل مقامه) انتهى ، فانظر أيها
المنصف كيف انعدم هذا التفسير عن وجه البسيطة باعدام تهيودورت
وكيف اخترع واخترق المسيحيون بدله ولا شك أن اقتدار ديوكليثيين الذى
كان ملك ملوك الافرنج أزيد من اقتدار اليهود ، وكذا زمان اعدامه كان
أقرب من زمان اعدامهم وكذا اقتداره أزيد من تهيودورت ، فلا استبعاد
فى أن ينعدم بعض أسفار العهد الجديد بحادثة ديوكليثيين والحوادث
التي ظهرت فى عهد السلاطين والمذكورين الذين كانوا ملوك ملوك فى
عهدهم ، ثم يكون الموجود باسمه مفترى مختلفا كما سمعت فى تفسير
تى شن ، والاهتمام الى اختلاف بعض أسفار العهد الجديد كان أهم عندهم
من اختلاف التفسير المذكور وكانت المقولة عندهم التي تر ذكرها حاكمة
باستحسان هذا الاختلاف واستحبابه .

ولأجل الحوادث المذكورة فى هذه الامور الثانية المسطورة ، فقدت
الاسانيد اتصلة بكتبهم ولا يوجد عندهم سند متصل لسفر من أسفار
العهد العتيق والجديد لا عند اليهود ولا عند المسيحيين ، كما عرفت نبذا
منه ، وقد طلب علماء المسلمين مرارا عديدة من قسيسهم عند الجائلة

السند اتصل بما قد روا عليه اعتذروا في محفل المناظرة في الهند قائلين : أن الاسناد عندنا فقد لوقوع المصائب والفتن على المسيحيين الى مدة ثلثمائة وثلاث عشرة سنة ، ونحن تفحصنا كتبهم فما رأينا شيئا يدل على الاسناد غير الظن والتخمين ، وان الظن لا يغنى ولا يثبت به سند كما لا يخفى .

المغالطة الخامسة قالوا أن بعض نسخ الأسفار المقدسة التي كتبت قبل زمان نبينا محمد ﷺ موجودة الى الآن عند المسيحيين ، وهذه النسخة موافقة لنسخنا .

فتقول : أولا ان في هذه المغالطة دعوتين .

الأولى : ان هذه النسخ الموجودة كتبت قبل نبينا محمد ﷺ والثانية : انها موافقة لنسخهم ، وكلتاها غير صحيحتين .

اما الأولى : فلأنك قد عرفت فيما تقدم أنه لم يصل الى مصححي العهد العتيق نسخة عبرانية كتبت في المائة السابعة أو الثامنة بل لم تصل اليهم نسخة عبرانية كاملة تكون مكتوبة قبل المائة العاشرة لأن النسخة القديمة التي حصلت لكنى كات هي نسخة تسمى بكودكس لاديانوس ، وقال انها كتبت في المائة العاشرة وقال موشيودي روسي انها كتبت في المائة الحادية عشر ، ولما طبع « واندرهوت » النسخة العبرانية مدعيا التصحيح الكامل خالف هذه النسخة في أربعة عشر ألف موضع ، منها ازيد من الفى موضع فى التوراة فقط فانظر الى كثرة غلطتها . واما نسخ الترجمة اليونانية فثلاث منها قديمة عندهم جدا الأولى كودكس اسكندريانوس ، والثانية كودكس وطيكانوس ، والثالثة كودكس أفريمي ، والأولى موجودة فى لندن وكانت هذه النسخة عند المصححين فى المرتبة الثانية ومعلمة بعلامة الأولى والثانية موجودة فى بلدة روما من اقليم اطالية وكانت عند المصححين فى المرتبة الثانية ومعلمة بعلامة الثانى ، والثالثة موجودة فى بلدة بارس وفيها أسفار العهد الجديد فقط ، وليس فيها أسفار من أسفار العهد العتيق .

ولنين لك حال هذه النسخ الثلاث قال هورن فى المجلد الثانى من تفسيره فى بيان كودكس اسكندريانوس ما عبارته : (هذه النسخة فى أربعة

مجلدات ، المجلدات الثلاثة الأولى الأسفار الصادقة والكاذبة من أسفار العهد العتيق ، ويوجد فى المجلد الرابع العهد الجديد والرسالة الأولى لكليمنت إلى أهل قورنثيوس ، والزبور الكذب المنسوب إلى سليمان عليه السلام) انتهى ثم قال (وتوجد قبل الزبور رسالة القانى سيش وبعده فهرست ما يقرأ فى صلاة كل ساعة من الليل والنهار ، وأربعة عشر زبورا إيمانيا الحادى عشر منها فى نعت مريم رضى الله عنها وبعضها كاذبة وبعضها مأخوذة من الانجيل ، ودلائل يوسى مكتوبة على الزبورات ، وقوانينه على الانجيل ، وبالغ البعض فى مدح هذه النسخة والبعض الآخرون فى ذمها ورئيس أعدائها وتستنين — وفى مقدمتها كلام فظن كريب وشلز هكذا (لعل هذه النسخة كتبت فى آخر المائة الرابعة ، وقال ميكائيلس هو حد حذاقتها ولا يمكن أن يفرض أقدم منه لأن رسالة انها تى سيش توجد فيها ، وفهم أودن أنها كتبت فى القرن العاشر وقال وتستنين انها كتبت فى القرن الخامس) وظن هكذا (لعل هذه نسخة من النسخ التى جمعت فى اسكندرية سنة ستمائة وخمسة عشر لأجل الترجمة السريانية ، وفهم الدكتور سملر أنها كتبت فى القرن السابع ، وقال مونت فاكن لا يمكن أن يقال جزما فى حق نسخة من النسخ ، اسكندريانوس أو غيرها انها كتبت قبل القرن السادس وقال ميكابلس انها كتبت فى زمان صار لسان أهل مصر فيه لسانا عربيا يعنى بعد مائة أو مائتين من تسلط المسلمين على اسكندرية لأن كاتبه يدل فى كثير من المواضع الميم من الياء وبالعكس كما تبدل فى اللسان العربى ، فاستبدل بهذا على انها لا يمكن أن تكون مكتوبة قبل القرن الثامن ، وفهم « وايد » انها كتبت فى أوسط القرن الرابع أو فى آخره ، ولا يمكن أن يكون أقدم من هذا لأنه توجد فيها الأبواب والفصول ويوجد فيها نقل قانون يوسى بيس ، واعترض « اسياين » على دلائل « وايد » وأدلة كونها مكتوبة فى القرن الرابع والخامس هى الدليل الأول لا يوجد التقسيم بالأبواب فى رسائل بولس ، وقد كان هذا التقسيم فى سنة ست وتسعين وثلثمائة والثانى يوجد فيها رسائل كليمنت التى منع قراءتها محفل لوديسياوكار تهيح فاستدل شلز بهذا على أن هذه النسخة كتبت قبل سنة أربع وستين وثلثمائة والثالث استدل « شلز » بدليل جديد آخر وهو أنه لما كان فى الزبور الرابع عشر الايمانى فقرة كانت توجد سنة أربع وأربعين وأربعمائة وسنة ست

وأربعين وأربعمائة ، فإن هذه النسخة تكون قد كتبت قبل هذه السنين ، وظن « وتستين » أنها كتبت قبل زمان جيروم لأنه بدل فيها المتن اليوناني بترجمة اتالك القديم ، وكتبه لا يعلم أنهم كانوا يقولون للعرب هكارين لأنه كتب اكور أو بدل اكاروا وأجابه الآخرون بأن هذا غلط كاتب فقط لأنه جاء لفظ اكاراوون فى الآية الأخيرة .

وقال ميكائيلس لا يثبت بهذه الدلائل شىء ، لأن هذه النسخة منقولة عن نسخة أخرى بالضرورة ، فعلى تقدير كونها منقولة بالاهتمام تتعلق هذه الدلائل بالنسخة التى هى منقولة عنها لا بهذه النسخة ، نعم يمكن تصفية الأمر شيئاً بالخط وأشكال الحروف وعدم الاعراب .

ودليل عدم كونها مكتوبة فى القرن الرابع هو : ظن الدكتور سملر أن رسالة اتهانى سيثس فى حسن الزبورات يوجد فيها وادخالها فى حياته كان محالاً فاستدل « اودن » بهذا على أنها كتبت فى القرن العاشر لأن هذه الرسالة كاذبة ، ولا يمكن جعلها فى حياته وكان الجمل فى القرن العاشر فى غاية القوة) انتهى .

ثم قال هورن فى المجلد المذكور فى بيان كودكس واطيكانوس ط : وكتب فى مقدمة الترجمة اليونانية التى طبعت فى سنة ألف وخمسمائة وتسعين كتبت هذه النسخة قبل سنة ثمان وثمانين وثلثمائة يعنى فى القرن الرابع ، وقال موت فاكن ويلين جينى كتبت فى القرن الخامس أو السادس ، وقال دبوين فى القرن السابع ، وقال هك فى ابتداء القرن الرابع ، وقال مارش فى آخر القرن الخامس . ولا يوجد الاختلاف بين نسختين من نسخ العهد الصتيق والجديد مثل الاختلاف الذى يوجد بين كودكس اسكندريانوس وهذه النسخة) انتهى .

ثم قال : (استدلل كنى كانت بأن هذه النسخة وكذا نسخة اسكندريانوس ليستا بمنقولتين عن نسخة أرجن ولا عن نقولها التى كانت قد نقلت فى قرب ثمانه ، بل هما منقولتان عن النسخ التى ما كانت علامات أرجن فيها يعنى فى زمان تركت علاماته من النقل) انتهى .

ثم قال فى المجلد المذكور فى بيان كودكس افريسي (ظن وتستين أن هذه النسخة من النسخ التى جمعت فى اسكندرية لتصحيح الترجمة

السريانية لكن لا دليل على هذا الأمر واستدل بالحاشية التي على الآية السابعة من الإصحاح الثامن من الرسالة ابرائية ان هذه النسخة كتبت قبل سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة لكن ميكايلس لا يفهم استدلاله قويا ويقول بهذا القدر فقط انها قديمة ، وقال مارش كتبت فى القرن السابع) انتهى .

فظهر لك انه لم يوجد دليل قطعى على أن هذه النسخ كتبت فى القرن الفلانى وليس مكتوبا فى آخر كتاب من كتبها أيضا أن كاتبه فرغ فى السنة الفلانية كما يكون هذا مكتوبا فى آخر الكتب الاسلامية غالبا ، وعلمائهم يقولون رجما بالغيب وبالظن الذى نشأ لهم من بعض القرائن لعلها كتبت فى قرن كذا ، وقرن كذا وبمجرد الظن والتخمين لا يتم الدليل على المخالف ، وقد عرفت أن أدلة القائلين بأن نسخة اسكندريانوس كتبت فى القرن الرابع أو الخامس ضعيفة منقوضة ، وظن سملر أيضا بعيد لأن تغير لسان اقليم بلسان اقليم آخر فى مهدة قليلة خلاف العادة . وقد تسلط العرب على اسكندرية فى القرن السابع من القرون المسيحية لأنهم تسلطوا فى السنة العشرين من الهجرة على الأصح الا أن يكون مراده آخر هذا القرن . ودليل ميكايلس سالم عن الاعتراض فلا بد أن يسلم بأن هذه النسخة لا يمكن أن تكون مكتوبة قبل القرن الثامن والأغلب كما قال أودن أنها كتبت فى القرن العاشر الذى كان بحر التحريف فيه مواجا ويؤيده أن هذه النسخة تشتمل على الاسفار الكاذبة أيضا فالظاهر أن كاتبه كان فى زمان كان فيه تمييز الكاذب عن الصادق متعمرا ، وهذا كان على وجه الكمال فى القرن العاشر وأن بقاء القرطاس والحروف الى ألف وأربعمائة أو أزيد مستبعد عادة ، وأن كان رقيا وأدما سيما اذا لاحظنا أن طريقة المحافظة وكذا طريقة الكتابة فى الطبقات الأول ما كانتا جيدتين ، ورد ميكايلس استدلال وتستنين فى حق كودكس افريمى ، وعرفت قول مونت فاكن وكنى كات أيضا وعرفت قول ديويين فى حق كودكس واطيكانوس وقول مارش فى حق كودكس افريمى أنها كتبتا فى القرن السابع ، فظفر أن الدعوى الأولى ليست بثابتة لأن ظهور نبينا محمد ﷺ كان على آخر القرن السادس من القرون المسيحية .

وإذا ثبت أن كودكس اسكندريانوس تشتمل على كتب كاذبة أيضا *
وأن البعض بالغ في ذمها — وتستين رئيس الاعداء الداميين — ولا يوجد
الاختلاف بين نسختين من نسخ العهد العتيق والجديد مثل الاختلاف الذي
يوجد بين كودكس اسكندريانوس وكودكس واطيكانوس ، ظهر أن الدعوى
الثانية أيضا ليست بصحيحة ونقول ثانيا أنا لو قطعنا النظر عما قلنا وفرضنا
أن هذه النسخ كتبت قبل نبينا ﷺ فلا يضرنا شيئا لأننا لا ندعى أن الاسفار
المقدسة لهم كانت غير محرفة الى زمن ظهوره ﷺ وبعد ذلك حرفت ،
بل ندعى أن هذه الاسفار كانت قبل ظهوره ﷺ لكنها بلا اسناد متصل ،
وأن التحريف كان فيها قبله يقينا ووقع في بعض المواضع بعده أيضا
فلا ينافى في هذه الدعوى وجود النسخ الكثيرة فضلا عن ثلاث نسخ ،
بل لو وجدت ألف نسخة مثل اسكندريانوس لا يضرنا بل يكون نافعا لنا
باعتبار أن اشتغال هذه النسخ على الاسفار الجعلية بأمر يقينى والاختلاف
بينها اختلاف فاحش كما في كودكس اسكندريانوس وكودكس واطيكانوس ،
وهو من أعظم الأدلة الدالة على تحريف أسلامهم ، ولا يلزم من القدم في
الزمان : الصحة الا ترى أن بعض الاسفار الكاذبة مندرجة في
اسكندريانوس فانهم واجعل أيها الناظر الانصاف بين عينيك ، ولا تتكلم
ولا تتكلم والله تعالى أعلم .

فصل ولنرد بعض كلماته تفصيلا بعد أن رددناها اجبالا واثبتنا
التحريف في أسفارهم وأخرجنا بفضل المنان للعيان بحيث لا ينكره
الامجادل بالباطل منكر للضروريات التي يسلمها كل عاقل
قوله « وكتابك يشهد بصحة ما في أيدينا شهادة قاطعة اذ يقول فان
كنت في شك مما انزلنا » الايه .

فنقول لهذا النصرانى ان كتابنا الكريم يشهد أيضا بأن ما في أيديكم
من الاسفار محرّف في آيات عديدة منها قوله جل وعز « وقد كان فريق منهم
يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » وقوله
سبحانه : « فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون
الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة

منهم إلا قليلا منهم ما عفا عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين » وغيرها مما تقدم .

وأما استدلاله من الآيتين الكريمتين على نفي التبديل والتحريف فاستمع ما قاله العلماء في تفسيرها ليزول عنك الاشكال ويتضح معناها العلى المنال قال تعالى : « ولقد بوأنا بنى اسرائيل » أى أنزلناهم بعد أن نجيناهم وأهلكنا أعداءهم مبعوء صدق » أى منزلا صالحا صحيحا مرضيا وأصل الصدق هـد الكذب لكن جرت عادة العرب على أنهم اذا مدحوا شيئا اضافوه الى الصدق فقالوا رجل صدق مثلا اذا كان كاملا فى صفته صالحا للفرض المطلوب منه والمراد بهذا المبعوء الشام ومصر أو بيت المقدس « ووزقناهم من الطيبات » أى اللذائذ وقد يفسر بالحلال « فما اختلفوا » فى أمور دينهم بل كانوا متبعين أمر رسولهم عليه السلام حتى جاءهم العلم أى الا بعد ما علموا بقراءة التوراة والوقوف على أحكامها . وقيل المعنى ما اختلفوا فى أمر محمد ﷺ الا بعد ما علما صدق بنعوته المذكورة فى كتابهم ، وتظاهر معجزاته « ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » فيميز بين الحق والمبطل بالاثابة والعقوبة « فان كنت فى شك » أى شكك ما يسير مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك والخطاب قيل له ﷺ والمراد ان كنت فى ذلك على سبيل الفرض والتقدير لأن الشك لا يتصور منه عليه الصلاة والسلام لانكشاف الغطاء له ، وصدق الشرطية لا يتوقف على وقوعها كما هو ظاهر .

قال محى السنة البغوى : « قيل هذا خطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره على عادة العرب فانهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره كقوله تعالى : « يا أيها النبى اتق الله » خاطب النبى ﷺ والمراد به المؤمنون بدليه أنه قال « ان الله كان تعملون خيرا » ولم يقل سبحانه بما يعمل ، ومثل هذا كثير فى القرآن . وقيل كان الناس على عهد النبى ﷺ بين مصدق ومكذب وشاك فهذا الخطاب مع أهل الشك معناه ان كنت أيها الانسان فى شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان رسولنا محمد ﷺ فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ، وهم من أسلم من أهل الكتاب ، فيشهدون على صدقه عليه الصلاة والسلام ويخبرونك بنبوته الثانية فى الكتب السماوية ، وقال الفراء : علم الله تعالى أن رسوله غير شاك لكنه ذكره على عادة العرب يقول الواحد

منهم لعبده ان كنت عبدى فاطعنى ويقول لولده ان كنت ابنى فاتبعنى ؛
ولا يكون ذلك على وجه الشك وكذلك ما بعد هذه مخاطب به النبى ﷺ
والمراد منه غيره وهو قوله سبحانه « فلا تكونن من המתرين » أى الشاكين
بل دم على ما أنت عليه من الجزم واليقين كما كنت من قبل ولا تتزلزل »
وأما الآية الاخرى التى ذكرها النصرانى فنذكرها أيضا بتمامها مع
تفسيرها . قال المفسرون : قوله سبحانه : « ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » وانما أفردنا سبحانه لأن الكفر ملة واحدة «
قال ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من
العلم مالك من الله من ولى ولا نصير » ثم قال تعالى « الذين آتيناهم الكتاب
وهذا اعتراض لبيان حال مؤمنى أهل الكتاب بعد ذكر أحوال كفرتهم ولم
يعطف تبنيها على كمال التباين بين الفريقين والآية نازلة فيهم وهم المقصودون
منها سواء أريد بالموصول الجنس أو العهد على ما قال ابن عباس انهم
الاربعون الذين قدموا من الحبشة مع جعفر بن أبى طالب اثنان وثلاثون
منهم من اليمن وثمانية من علماء الشام « يتلونه حق تلاوته » أى يقرعونه
حق قرعته وهى قراءة تأخذ بجامع القلب ، فىراعى فيها ضبط اللفظ
والتأويل فى المعنى ، وحق الامر والنهى « وقال البغوى : « ويصفونه
فى كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس ، فالهاء راجعة الى النبى ﷺ ،
وقال ابن مسعود يقرعونه كما أنزل ولا يحرفونه فالهاء راجعة الى الكتاب
« أولئك يؤمنون به » أى بكتابهم دون المحرفين فانهم غير مؤمنين به ، عود
الضمير أيضا الى الهدى أو الى النبى ﷺ أو الى الله تعالى وعلى التقديرين
يكون فى الكلام التقات من الخطاب الى الغيبة أو من التكم اليها وكل
ذلك سائغ فى العربية كما لا يخفى « ومن يكفر به » أى الكتاب بسبب
التحريف والكفر بما يصدقه أو بالنبى ﷺ « فأولئك هم الخاسرون » من
جهة أنهم اشتروا الكفر بالايمان ، وقيل بتجارتهم التى كانوا يعملونها
ياخذ الرشا على التحريف » انتهى .

فتبين لك أن الشهادة بحق التلاوة (١) ليست لهذا النصرانى وأمثاله

(١) الشهادة بحق التلاوة : معناها : أن المستبحرين فى العلم من

بل لمن آمن أهل الكتاب بالنبي ﷺ بلا ارتياب لأن كلام البارئ كلام حكيم عليم لا يناقض بعضه بعضا بل يفسر بعضه بعضا ، اذ كيف يتصور بعد أن يحكى سبحانه عنهم التحريف والتبديل وكفرهم بالتنزيل أن يجعلهم شهداء وعلى تبليغ كلامه أمانة ؟ اذ كلام الانسان العاقل لا يناقض فكيف يناقض كلام الخالق الذى لا يمازجه الباطل ولا يعارض ؟ غير أن الجاهل أو الموه الفائل (١) . بزعم ما لا يقبله كل عاقل ، فافهم والله تعالى أعلم .

تمة : بما سردناه عليك من الأدلة على وقوع التحريف فى كتب اليهود والنصارى ودفع مغالطاتهم فى عدم التحريف ، تبين لك زيف كلام عبد المسيح وما موه به من الأباطيل ، وبما قدمناه لك أيضا مما يتعلق بالقرآن العظيم ظهر للمنصف أن كلامه الذى سود به وجه القرطاس هنا مثل كلامه السابق من مفترى الأقاويل ، وظهر أيضا لكل ذى لب : أن ما فى الرسالة المسماة بالبرهان الجليل على صحة الانجيل التى طبعتها النصارى فى عصرنا هذا من غير أن يحرروا فيها اسم المؤلف وتاريخ الطبع برهان غير منير وباطل لا يخفى على الصغير فضلا عن الكبير ، حيث ادعى مؤلفها فيها أيضا عدم تحريفهم العهدين وأن اسناد التحريف اليهما فى القرآن الكريم مراد به تحريف التأويل لا تحريف الألفاظ — الذى هو أحد القولين — وأنهما لو كانا محرفين لفظا كيف يقول سبحانه فى سورة آل عمران « وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس » وفى سورة المائدة « وقفينا على آثارهم بعيسى » الآية وفى سورة العنكبوت « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم » الآية ؟

أهل الكتاب ، الذين يقرأون ويدرسون من أجل معرفة الحق ، هؤلاء يظهر لهم من الأسفار المقدسة — مع تحريفها — أن نبي الاسلام مكتوب عنه فى التوراة والانجيل ، وأنهم مكلفون بالايان بنبوته واتباع رسالته ومن يؤمن به منهم له ثواب عظيم .

(١) الخطيء *

ثم قال : « فاما الدعوى بان القرآن قد نسخ التوراة والانجيل
محمض دعوى من غير دليل وأما كتابهم - أى القرآن العظيم - فصرحة
يشهد بان القرآن جاء مصدقا للتوراة والانجيل لا ناسخا ومبطلا لهما »
واستدل على ذلك بقوله عز وجل فى سورة يونس : « وما كان هذا
القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل
الكتاب » وقوله تعالى فى سورة الأحقاف « وهذا كتاب مصدق لسانا
عربيا » ومقصد مؤلف هذه الرسالة الصريح : أنه كان يلزم على المسلمين
قراءة العهدين لأنها كلام الله تعالى ، وأنها لم ينسخا ولو كان شئ منها
منسوخا فهو قليل لان النسخ لا يقع الا فى الأمر والنهى وأما الخبر فلا يدخله
نسخ .

انتهى ملخص المراد منها .

فاعلم أن دعواه عدم تحريف العهدين قد ظهر بطلانها بما نقلناه آنفا
لكل ذى عينين . وأما دعواه أن المراد من التحريف الذى ذكره القرآن
العظيم عن اليهود هو تحريف بالتأويل أى بتأويل معانى الالفاظ الى معان
غير مراده الله تعالى ، وأن ذلك تحريف تأويل لا تبديل أقاويل .

فجوابه أن كلا التحريفين ثابت عنهم فقد أولت اليهود كلام الله سبحانه
وتعالى بالتأويلات الفاسدة وتصرفت فى صرف معانيه التصرفات الباطلة
الكاسدة ، اذ قد ثبت أنهم حرفوا فى زمنه موسى عليه السلام كما قال
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تفسيره قوله تعالى « يسمعون كلام
الله ثم يحرفونه » انها نزلت فى السبعين الذين اختارهم موسى عليه
السلام لميقات ربه ، وذلك لأنهم لما رجعوا الى قومهم بعدما سمعوا كلام
الله تعالى أما الصادقون منهم فأنهم أدوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم
سمعنا الله تعالى يقول فى آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان
سئتم فلا تفعلوا ، وحرفت أيضا صفة النبى ﷺ فى التوراة أنه أبيض
ربعة ، فغيروه باسم طويل ، وغيروا آية الرجم بالتسخيم وتسويد الوجه
كما فى البخارى ، وحرفت الفرقة السامرية قبل نبينا عليه الصلاة والسلام
على ما تدعيه اليهود وحرفت الفرقة التى هى غير سامرية على ما تدعيه
السامرية فالتحريف فى احدى التوراتين ثابت وواقع لا محالة كما فصلناه

لك فيها سبق ، وحرفت النصرارى الانجيل لفظا ومعنى أما الأول فان
الانجيل الذى انزل على المسيح عليه السلام واحد بلا شك وليس فيه حكاية
اخذه للصلب وصلبه ودفنه ورفعته وتجليه لأصحابه بعد أيام ونحو هذه
الأحوال التى وقعت وكتبت بعد وفاته ورفعته فانها ليست من الانجيل
لا محالة ، وهذا ثابت بالبداهة والضرورة ، فهى أقوال مؤرخين وحكايات
مترجمين متعددين ، لأن الأناجيل التى لفتت وألفت بعد المسيح عليه
السلام كانت نحو سبعين انجيلا وكل نسخة منها تأليف شخص مغاير للآخر
فى الزمان والمكان .

ثم ان النصرارى بعد سنين عديدة اقتصروا على أربعة اناجيل منها
لأشخاص مختلفين فى الزمان والمكان والألفاظ والمطالب ، وهى مختلفة
بالزيادة والنقصان وحكاية أقواله وأفعاله عليه الصلاة والسلام ثم ان
كل واحد من هذه الأربعة اذا كتب أو طبع مرة ثانية ، لا توافق الكتابة
الثانية ولا الطبع الثانى ، الأولى أو الطبع الأول ، حتى انهم الى يومنا هذا اذا
ترجموا الأناجيل أو طبعوها لا تجدها موافقة للترجمة الأولى ولا للطبع
الأول ، بل تجد المخالفات الفاحشة الكثيرة والتحريف الجوهري ظاهرا فيها
فى أماكن يعز استقصاءها — كما أثبتناه لك فيما سبق أيضا — وأما الثانى
وهو تحريف التأويل فأكثر من أن يحصى أيضا فنراه فى تأويل الآية
الواحدة يختلفون على ما يزيد على مائتى تأويل ، من ذلك آية العشاء
الربانى المسمى بالاوخرستيا وعشية الرب عندما قال المسيح للحواريين
بزعمهم « كلوا هذا الخبز لذكرى » فانهم أولوها على ما يزيد على مائتى
تأويل كما حكاه الخورى فى تفسيره وغيره (ومن التأويل فيها) وشرعوا
يأكلون لحمه ويشربون دمه الحقيقيين فى كل كنيسة — بزعمهم — وكتأويل
آية الطلاق وآية أكل النجاسات والختان وآية غفران مستوسمهم ذنوبهم وآية
الايمان وآية السجود للصور والصلاة للقسيسين القديسين وآية البيرقليط
وغير ذلك فالتحريف بالمعنيين واقع من اليهود والنصارى فى الكتابين والمعهدين ،
كما هو مختار جمهور المسلمين وهو أن أهل الكتاب وقع منهم التحريف
فى اللفظ وفى التأويل أى كلا التحريفين واقعين لا محالة ، وهو القول

الصحيح الذى يؤيده النقل الصريح ، واختار شيخ الاسلام تقي الدين فى رده المسمى بالجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح ، ونقله عنه أيضا العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية فى كتابه اغائة اللفهان ، وارتضاه ، وغيرهما من العلماء المتبحرين فى هذا الشأن فعدم قراءة المسلمين لها هو لنسخها وتحريفها وورود الأثار الصحيحة بالنهى عن مطالعتها الا لفرض صحيح ، فالتعبد بقراءة القرآن ثابت لكونه نفس كلام الله سبحانه ، وهو معجزة بنفسه ، بخلاف كتب العهدين المترجمين بالسنة عديدة وليس فى انزالها والفاظها اعجاز ولم يطلب بتلاوتها تعبد ، ولو قد كان طلب ، لما كانت التوراة محصورة عند أناس مخصوصين فى بنى اسرائيل ولكان الانجيل انجيلا واحدا لا سبعين انجيلا ، على أنه كيف يسوغ لمؤمن أن يقرأ كتابا فيه أن الله تعالى ندم (١) على خلق المخلوقات ، ولوطا زنى بعد أن سكر بابنتيه ، وأن داود زنى بامرأة أوريا وتسبب فى قتله وأخذها ، وسليمان عبد الاصنام واتخذها لزوجاته ، وهارون عبد العجل ؟ وغير ذلك من أقوالهم الشنيعة التى نقلنا لك منها جملة فيما مر ، أم كيف يتسنى لموحد يؤمن بالله تعالى أن يطالع انجيلا كتبه أشخاص أربعة فى أزمنة وأمكنة وعبارات مختلفة وكل واحد منهم يقول لانجيله هذا هو الانجيل الصحيح ؟ مع ان كل انجيل لا يطابق الآخر وكذا كل واحد من مؤلفى الأناجيل الأخر التى منعوا نشرها من زمان طويل يزعم أن انجيله هو الصحيح وما عداه فهو كذب مفتعل ، ومع هذا فاننا نرى فى هذه الاناجيل الاربعة الباقية أن مؤلفها يجعل المسيح

(١) فى الاصحاح السادس من سفر التكوين : « ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر فى الأرض . وأن كل تصور أفكار قلبه أنها هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الانسان فى الأرض . وتأسف فى قلبه » (تك ٦ : ٥ - ٦) وعلماء بنى اسرائيل يؤولون حزن الله وأسفه وغضبه ومكره واستحيائه ونسيانه ، بأن الله يكلم الناس على قدر عقولهم ، أى يشاكل تفكيره بتفكيرهم حتى يفهموا ذاته . ويقولون ان هذا التأويل حسن وسائغ لأن الله ليس كمثله شئ ، لقوله فى الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية : « ليس مثل الله » (تث ٣٣ : ٢٦) انظر دلالة الحائرين لموسى بن ميمون وتنقيح الأبحاث لابن كهونة .

مرة (٢) الها ومرة رسولا ومرة هو خالق اليهود ومرة يقول أن اليهود صلبوه ولم يتمكن من الخلاص منهم ، مع أنه خالق العالم ، نحو هذه الأقاويل والتأويل اللذان تضحك منهما الأطفال فضلا عن كامل العقل من الرجال ، ثم انه بعد نزول الفرقان الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو جامع لكل علم وتبيين اذ هو النور الساطع والهدى اللامع والامام المقتدى لكل سامع ، وفيه العلوم العديدة والحكم المفيد والأحكام الجديدة السديدة والألفاظ الرشيقية والنصائح الانيقة والمواعظ الدقيقة والبلاغة الفائقة والفصاحة الفريدة والبدايع المفيدة والأخبار الصادقة ، ومعانى الكتب المنزلة والصحف المرسله ، كيف يسوغ لعاقل أن يسمع غيره أو يتعب فى فى كتب مضطربة مجعولة غير مسندة نظره وفكره ؟ وهو لا يميز بين صحيحها وسقيمها — الذى خلطه محرفيها — ولا منزلها من مدسوسها ، مع ما فيها من كلام الله سبحانه فهو مدرج فى القرآن ومحكى عن لسان سيد ولد عدنان عليه أفضل الصلاة والسلام ما تعاقب الجديدان ، وكما قيل اذا جاء نهر الله بطل فهو معيقل ، واذا بدأ الصباح فلا حاجة الى المصباح .

هذا وأما ما ورد فى القرآن الكريم من كون التوراة والانجيل هدى ، فلا يخفى أن المراد أنهما كانا هدى وأنزلا للهدى . وذلك قبل نزول القرآن العظيم وقبل تحريفهما ولا شك أن فيهما الآن هدى وهو توحيد البارى سبحانه واتباع رسوله محمد ﷺ وسائر رسله الكرام ، ونحو ذلك من قويم الأحكام ، ولما نزل القرآن وهو الفارق بين الحق والباطل أمرنا باتباعه وعدم قراءة الكتب المحرفة (٢) قال قتادة : « فأحل الله تعالى فيه حلاله ، وحرّم فيه حرامه ، وشرع فيه شرائعه ، وحد فيه حدوده وفرض فيه فرائضه وبين فيه بيانه وأمر بطاعته ونهى عن معصيته » .

(١) الاله فى الانجيل بمعنى السيد . وليس كما فهم المؤلف (يوحنا ١٣ : ١٣) انظر أيضا تفسير المسيح نفسه لمعنى الاله فى يوحنا ١٠ : ٣٤ .

(٢) أى للتعبء بها .

وأما الآية التي استدل بها النصراني على فاسد مراده فاسمع ما قاله
المفسرون فيها قال تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب » أي اليهود
والنصارى إلا بالتي هي أحسن أي بالخصلة التي هي أحسن للثواب ،
وذلك على سبيل الدعاء لهم إلى الله عز وجل والتنبيه لهم على حججه
وبراهينه ، رجاء اجابتهم إلى الإسلام لا من طريق الاغلاظ والمخاشنة ، وعن
ابن عباس رضى الله عنهما قال : بالتي هي أحسن بلا اله الا الله الا الذين
ظلموا منهم « بأن افراطوا في المجادلة ولم يتأدبوا مع المسلمين فلا بأس
بالاغلاظ عليهم والتحسين في مجادلتهم ، وقال غير واحد من المفسرين :
المراد بالذين ظلموا منهم الذين نصبوا القتال للمسلمين وآذوا رسول الله ﷺ
فجدالهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ، وقيل هذه الآية منسوخة
بآية القتال ، ثم بين سبحانه مجادلتهم بالتي هي أحسن بقوله : « وقولوا
آمنا بالذي أنزل إلينا » من القرآن « وأنزل إليكم » من التوراة والانجيل
أي بأنهما منزلان من عند الله تعالى وأنها شريعة ثابتة إلى قيام الشريعة
الإسلامية والبعثة المحمدية ، ولا يدخل في ذلك ما حرفوه وبدلوه ، أخرج
الإمام البخارى والنسائى وابن جرير وغيرهم أن أهل الكتاب كانوا يقرأون
التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ
« لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » (١) وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا
وأنزل إليكم وأخرج الإمام البيهقي وغيره عن جابر قال ، قال رسول الله ﷺ
« لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم ، وقد ضلوا فإما أن
تصدقوا بباطل أو تكذبوا بحق ولو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له
إلا أن يتبعنى » وفى رواية أخرى لحديث جابر قال عليه الصلاة والسلام
« فإن كنتم سائلهم لا محالة فانظروا ما واطيء كتاب الله تعالى فخذوه ،

(١) فى هذا الحديث مقال وهو كيف لا نصدق ولا نكذب ؟ انه لا بد من
الصدق أو الكذب ، واعتقادهما معا هو الشك والارتياب والحيرة .
والصحيح فى الأبر أن نصدق ما صدقه القرآن وأن نكذب ما كذبه . فأى
عاقل لا يكذب بصريح العبارة زنى لوط وسكر نوح وهما نبيان كريمان ؟
وأى عاقل لا يصدق بصريح العبارة ما جاء فى التوراة أن الله اله واحد
وليس كمثله شيء ؟

وما خالف كتاب الله تعالى فدعوه « وهذه الآية من جنس المجادلة بالأحسن » والهناء والهكم واحد ونحن له مسلمون « أى معاشر أمة محمد ﷺ مطيعون له خاصة ، لم نقل عزيز ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نقول الاله ثلاث آب وابن وروح القدس ، بل نقول : « هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولن يكن له كفوا أحد »

وأما ما استدل به من قوله تعالى : « تصديق الذى بين يديه » فى سورة يونس ، فقد قال المفسرون قال تعالى « وما كان هذا القرآن أن يفترى » أى ليفترى فان بمعنى اللام . قال الفراء معنى الآية وما يبغى لهذا القرآن أن يفترى من دون الله ، وإنما هو من عند الله عز وجل وكيف يصح أن يكون مفترى على سبيل الافتعال والاختلاف ، وقد عجز عن الاثيان بسورة منه القوم الذين هم أفصح العرب لسانا وأدقهم أذهانا وعدلوا عن المعارضة باللسان الى المقاتلة بالسيف والسنان « ولكن تصديق الذى بين يديه » أى أمامه أى ولكن أنزل لتصديق الكتب الالهية المنزلة على الأنبياء قبله أى أنها قد بشرت به قبل نزوله فجاء مصدقا لها (١) ونفس هذا التصديق معجزة مستقلة لان أقاصيله موافقة لما فى الكتب المتقدمة مع أن النبى ﷺ لم يطلع على ذلك ولا تعلمه ولا سئل عنه ولا اتصل بمن له علم بذلك ، وقيل المعنى ولكن تصديق النبى الذى بين يدي القرآن وهو محمد ﷺ لأنهم شاهدوه قبل أن يسمعوا منه القرآن « وتفصيل الكتاب » التفصيل التبيين أى يبين ما فى كتب الله تعالى المتقدمة والألف واللام فى

(١) هو مصدق لما بين يديه فى زمانه ، أى للنسخ التى كانت شائعة فى عصره ، كما كان عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه من التوراة . ولقد كان عيسى مصدقا للموجود أمامه ، والموجود أمامه كان محرفا باعتراف النصارى أنفسهم . والقرآن مصدق للموجود أمامه مع أنه محرف . والفرق بين تصديق الانجيل للتوراة وتصديق القرآن للتوراة : أن القرآن مهيمن أى من حقه النسخ . والقرآن مصدق للتوراة فى أمر الألوهية والنبوة والبعث والغيب والملائكة والجن وضرورة التخلق بالأخلاق الفاضلة وما شابه ذلك ، أما فى التشريعات فالقرآن قد نسخ تشريعات التوراة وأبطلها وألغها .

الكتاب للجنس ، وقيل اللوح المحفوظ « لا ريب فيه » أى لا شك فى أن القرآن كائن من رب العالمين .

وأما آية الاحقاف فقال المفسرون قال تعالى : « وقال الذين كفروا » وهم كفار مكة « للذين آمنوا » أى لأجلهم وفى شأنهم فاللام للتعليل « لو كان » أى ما جاء به النبى ﷺ من القرآن والنبوة « خيرا ما سبقونا اليه » لأنهم عند أنفسهم المستحقون للسبق الى كل مكرمة ، وقال الثعلبى هى مقالة اليهود حين أسلم ابن سلام « واذ لم يهتدوا به » أى بالقرآن أو بالنبى ﷺ « فسيقولون هذا افك قديم » أى كذب قديم ، كما قالوا « أساطير الأولين اكتبتها » فرد الله تعالى قولهم بقوله « ومن قبله » أى من قبل القرآن فهو خير مقدم لقوله تعالى « كتاب موسى اماما ورحمة » المعنى كائن من قبله كتاب موسى يقتدى به فى دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله سبحانه لمن آمن به وعمل بموجبه ، فتقدم التوراة على القرآن وتوافقهما فى أصول الشرائع يدل على أن القرآن حق ويقتضى بطلان قولهم « وهذا » أى القرآن الذى يقولون فى شأنه ما يقولون ، مصدق للتوراة وغيرها من كتب الله تعالى ، وقيل مصدق للنبى ﷺ وقوله تعالى « لسانا عربيا » حال من ضمير كتاب المستتر فى مصدق ، وجوز أن يكون مفعولا لمصدق « لينذر الذين ظلموا » أى لينذر الكتاب أو الله سبحانه أو الرسول عليه الصلاة والسلام « وبشرى للمحسنين » أى للانذار والبشرى « انتهى

فاذا علمت ثبوت التحريف والتبديل فى كتب العهدين فى اللفظ والتأويل ونهى نبينا عليه الصلاة والسلام عن قراءتها وعلمت أن القرآن العظيم محتو على ما فيها من الهدى مع زيادة وخال عن الضلال الممزوج بذلك الهدى وذلك مثل ما قدمناه لك من رعى الانبياء عليهم السلام بالكفر والزنا والسكر وقتل النفس ظلما وألوهية المسيح وقتله واكل لحمه وكونه خروفا ومتمحلا للمن وغير ذلك مما وقفت عليه من خلطهم وخطبهم وكذبهم ، فأغنانا الله سبحانه بالهدى الخالص فى القرآن عن سماع الهدى المخلوط بالكفر والبهزيان .

وأما مدح التوراة والانجيل والوارد فى كتابنا الكريم وعن النبى ﷺ
فانما هو للتوراة الحقّة وكلام الله تعالى الذى فيها والأحكام المنطوية فى
خافئها وللانجيل الحقيقى الصادق الصحيح والحكم والبشائر التى أخبر
بها المسيح لا لكل انجيل ألفه مؤرخ من النصارى حتى زادت على سبعين
انجيلا وكل نسخة منها مخالف للاخرى ، وقد زاد ونقص كل مؤرخ منهم ،
وذكر امورا أوقعت بعد رفع المسيح عليه السلام ، فكيف يجوز لعاقل ويسوع
لفاضل أن يقول أن هذه الاناجيل هى بعينها كلام الملك الجليل ؟ فخذ ما آتيناك
ودع عنك الاباطيل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

قال النصراني : « فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من ذكر البشارة فنقول انه قد صح عند نوى العقول الأصلية إهل البحث والتدقيق ، وتقرر عندهم بالمقياسات والاجماع عن غير نواطء أن النبوات التي اودعتها الأنبياء فى كتبهم عن الله جل وعز قد تمت وكملت عند مجيء المسيح المرتجى ، فلننظر الآن فى الآيات التي جاء بها المسيح سيدنا المدالة على سلطان ألوهيته وقدره ربوبيته ، فنقول : ان أول ذلك وبداه : أن الله الرحيم المتفضل على خلقه اختار من جنس آدم الذى خلقه بيده وشرفه بصورته وفضله بشبهه على الخلائق كلها ، جارية عزراء زكية طاهرة مقدسة نقية لا عيب فيها لا فى نفسها ولا فى بدنها ليحل فيها كلمته وروحه ، وياخذ منها جسدا بشريا تاما فيتحد به ويخاطبنا وجعل المبشر لها جبرئيل رئيس الملائكة ائتمنه على هذه البشارة وفضله على سائر أجناد السماء واحله أشرف المنازل بيعته اياه رسولا الى خيرته من نرية آدم سيدة نساء العالمين مريم المغبوظة بنت يواكيم والدة ربنا يسوع المسيح الاله المخلص ، فجاءها مبشرا من عند الله مكرما ومهنيا فخاطبها قائلا السلام عليك أينها المثلثة نعمة ، سيدنا معك .

ولم يقل سيدى ، بل جميع أجناد الملائكة كلها بقوله سيدنا فمن سيد الناس والملائكة جميعا الا كلمة الله الأزلية التي خلقت السموات والارض كما قال داود ، فافهم يرحمك الله هذا السر المخزون فى كتب الله ودع عنك عماء الجهل والعصبية — انار الله عقلك وخلصك من ظلمات الضلال — ثم قال جبرئيل فى أثر ذلك القول « انك تحبلين وتلدن ابنا وتدعين اسمه يسوع الذى تفسيره المخلص هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه ويكون ملكه على آل يعقوب الى الأبد ولا يكون له انقضاء » فلما خاطبها جبرئيل بهذا تعجبت من قوله فردت عليه قائلة : « من اين يكون لى هذا ولم يباشرنى رجل ؟ فاجابها جبرئيل قائلا : الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك ، ولذلك يكون الذى يولد منك قدوسا وابن العلى يدعى » ثم أعقب قوله ذلك باعطائها الدليل لتزداد يقينا ولا ترتاب ولا يكون الشك عندها موضع بقوله ثانية « وهو ذا

الصابات قريبك قد حبلك بامن على كبر سننها . وهذا هو الشهر السادس من حبل تلك التي كانت عاقرا « فهذه اعجوبة البشارة التي لا تكون ولا يليق مثلها الا بهذا السيد المخلص .

فاصغ الآن لشهادة المخالف التي تؤكد الحجة عليه اذ يقول صاحبك طائعا مقرا : (واذا قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقتنى لربك واسجدي واركعي مع الراكعين « يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة وهن المقربين ، ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن من الصالحين قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ، ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جننكم باية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرىء الأكمة والابرص وأحى الموتى باذن الله وانبتكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ، ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، وجننكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون « (آل عمران)

فهذا قول صاحبك وشهادته واقراراه بالحق مدعنا ومصدقا فهل تعلم اصلحك الله أو تذكر فيما قرأته من كتب المخالفين أحدا كان له فى ابتداء أمره من البشارة ، مثل ما قصصنا عليك عن الله عز وجل فى الانجيل الطاهر المقدس ، وعن كتابك الذى تدعى أنت بصحته وتقر بعدالته وشهادته ؟ ثم ان مريم الطاهرة المباركة صارت الى أم يحيى بن زكريا وقد كانت هى وزوجها بارين تقيين ، عندما حبلك بيوحنا ، فلما قرعت باب منزلها بالتسليم عليها على السنة الجارية عندهم ، اضطرب الجنين فى أحشائها فرحا وهتفت أمه بصوت عال قائلة : من اين لى هذا أن تأتي أم ربى الى ، منذ وقع صوت سلامك فى أذنى اضطرب الجنين فى بطنى ساجدا فرحا ؟ ومن قول صاحبك فى زكريا : (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ، فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى

الحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين (آل عمران) فعنى بذلك المسيح كلمة الله وسيد ذرية آدم عليه السلام ، فان مصدقا صفة ليوحنا ولكن كلمة الله وسيدا ليست بصفة ليوحنا لأنه لم يؤمن بيوحنا انه كلمة الله ولا كان سيدا فاما حصورا ونبيا ومن الصالحين فمن صفات يوحنا لانه كان نبيا وحصورا ومن الصالحين ، فمن صفات يوحنا لأنه كان نبيا وحصورا ومن الصالحين ، فأنت أصلحك الله ان لم تعسف الكلام وتحيله عن حقه ، علمت علما حقا ان هذا معناه .

ثم انه ظهر للمجوس فى بلاد فارس الكوكب الدال على ميلاد الملك العظيم ، الذى لا زوال للملكة بالحقيقة ، وكان علماءهم قد سبقوا فاخبروهم بخبره فى الكتب ، وعرفوهم وقت ظهوره ، وأعطوهم الدليل على ذلك ، والعلامة ظهور كوكب يتقدمهم فى المسير اليه ، وقضاء بعض حقي عبادته بالسجود له والخضوع لطاعته ، فلم يزل المجوس ينتظرون ذلك ويتوقعونه راجين ومؤملين ، حتى جاء الوقت وظهر الكوكب الذى هو الدليل على ميلاد السيد العظيم فجاءوا من بلاد فارس الى بيت المقدس ، الذى هو أرض اليهودية بهداية الكوكب ، حتى وقف ببيت لحم ففضوا الفرض وأدوا حق الطاعة ، وراوا ما كانوا يؤملونه وأدركوا ما كانوا يرجونه وانصرفوا مؤمنين غير شاكين ولا مرتابين ، بل فرحين مسرورين لما أهلوا له .

ثم ظهر ملك من الملائكة عند ولادته لقوم من الرعاة كانوا يرعون أغنامهم فقال لهم عندما أشرق عليهم نور البشارة بميلاد السيد « ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لكم وللناس كافة انه قد ولد لكم مخلص — يعنى لأولاد آدم جميعا وهو السيد المسيح — والدليل لكم انكم اذا صرتم الى الموضع تجدون صبيا ملفوفا فى أطمار موضوعا فى مزود » فلم يفرغ من كلامه حتى ظهرت لهم أجناد الملائكة مع ذلك الملك ، وهى تطير ما بين السماء والأرض بتهليل وترتيل وتهنئة، جميعا بصرت عال وتسبيح وتقور : « المجد لله فى العلى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة والا من الرجاء الصالح للناس كافة » ثم أقبل الرعاة الى ذلك الموضع مسرعين ، فوجدوا المولود

ملفوفاً في أطمار موضوعاً في مزود على ما أخبرهم به الملك فصدقوا وآمنوا
وأخبروا بخبرهم وما عاينوه من أجناد الملكة وما سمعوه من التسبيح
العجيب ، وقصوا قصة مجيئهم ، فتعجب من ذلك كل من سمع .

فهذه أصلحك الله قصة البشارة والميلاد على غاية الاقتصار من
نقول « انتهى » .

فتقول وبالله وحده نستعين : ان تهانت هذا الكلام وتناقضه والاسهاب
بها لا حاجة فيه ظاهر جميعه لكل متبصر وما فيه مما يخالف الحق قد تقدم
رده ، وما يتعلق بالبشارة الصادقة (١) بنبوته المسيح عليه السلام فلا كلام
لنا فيه غير أنا لا نترك أيضا بيان ما في بعض كلامه وأبحاثه من الرد الشافى
وتمييز زيفه بالتحقيق الواوى .

فاما قوله : « قد تمت وكملها عند مجيء المسيح » الى آخره فقد
تقدم لك أن النبوات لم تكمل به بل كملت بخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ
كما أخبرت بذلك التوراة والانجيل وثبتت نبوته ورسالته بما ثبتت به
رسالة اخوانه المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقوله « آدم
الذى خلقه بيده وشرفه بصورته » الى آخره يفهم منه أن النصراني مجسمة
حيث صرح بأن الله سبحانه صورة وخلق آدم على تلك الصورة ونحن المسلمون
وان ورد عندنا بعض الآثار الصحيحة فيها ظاهره ذلك الا أنا والحمد لله
تعالى نسلك فيه مسلكين فالمسلك الأول انا تأوله التأويل الحسن القريب
الى اللفظ الشائع فى الاستعمال والمسلك الثانى الذى عليه سلف الأمة
وأساطينها (٢) التفويض والإيمان به من غير تعطيل ولا تكييف ، لما ثبت
فى التوراة وسائر الكتب السماوية أن الله تعالى لا يشبهه شئ ، وفى
التنزيل العظيم « ليس كمثله شئ وهو السميع البصير » وأما الصورة

(١) لا توجد بشارات فى التوراة عن عيسى عليه السلام لا فى أسفار
موسى الخمسة ولا فى أسفار الانبياء .
(٢) المسلك الأول هو الذى عليه سلف الأمة وأساطينها . (انظر
أساس التقديس لفخر الدين الرازى) .

التي ورد فيها حديث أن الله خلق آدم على صورته فالمراد بها أنه خلقه على هيئته (٣) التي توفى عليها لا كما خلق غيره من ذريته ، بحيث يكون مضفة وجنينا ويكبر أولا فأولا بالتدرج أو خلقه على صفة الرحمة ، وهذا بحث قد استوفينا في غير هذا المحل من كتبنا . والمقصود هنا : أن النصارى مجسمة حلولية تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

قوله : « ليحل فيها كلمته ويأخذ منها جسدا بشريا تاما فيتحده به » الخ . هذا القول منه كظنائه السابقة واللاحقة مصرح فيه بال طول والاتحاد فاسمع أيضا ما قاله في رده علماءنا الأجداد .
قال العلامة الأمدى الواسطي البغدادي في أبحار الأفكار .

المسألة السابعة في استحالة حلول ذات الله تعالى أو صفة من صفاته في محل اتفق العقلاء وأرباب الملل على استحالة حلول ذات الباري وصفاته في محل ، خلافا للنصارى والنصرية والاسحاقية من غلاة الشيعة وبعض المشبهة .

أما النصارى فلم يفتعل في مذهب حلول اللاهوت بالناسوت وتدرعه به واتحاده ، وسياتي على استقصاء الرد عليهم ان شاء الله تعالى وأما النصرية والاسحاقية فانهم قالوا ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر غير منكر ، اما في جانب الخير فكظهور جبرئيل عليه السلام ببعض الأشخاص والتصور بصورة بغض الأعراب ، واما في جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة انسان حتى يعلمه الشر ويتكلم بلسانه ، وعلى هذا فغير ممتنع أن يظهر الرب تعالى بصورة أشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من على كرم الله وجهه وبعده ، أولاد المخصوصون وهم خير البرية ، ظهر الباري سبحانه وتعالى بصورهم ونطق بالسنتهم ، واطلقوا باعتبار ذلك اسم الآلهة عليهم تعالى الله عن قولهم ، وأما بعض المشبهة فانهم قالوا (روح) الأدمى صفة من صفات الرب تعالى لأنها من أمر الله تعالى كما

قال تعالى ويستلوثك عن الروح ؟ قل الروح من أمر ربي ، وأمر الله تعالى
صفة من صفاته القديمة ، فكان الروح صفة من صفاته .

والدليل على مذهب أهل الحق أن البارئ تعالى يتمتع حلوله في المحل
فلما فيه ثلاثة مسالك .

المسلك الأول : أنه لو حلت ذاته في محل ، فذلك إما أن يكون قديما
أو حادثا لا جائزا أن يكون قديما لما سيأتى في بيان حدوث كل موجود سوى
الله تعالى وإن كان حادثا فقبل حدوثه إما أن يكون الرب تعالى محتاجا في
وجوده إلى حلوله في ذلك المحل أو لا يكون محتاجا ، فإن كان الأول فهو
محال لثلاثة أوجه يلزم منه خروج الرب تعالى عن كونه واجب الوجود
وهو محال ، الثانی انه يلزم منه اما قدم المحل ضرورة احتياج القديم اليه أو
الحدوث وكل واحد من الأمرين محال : الثالث يلزم منه الدور ، ضرورة توقف
وجود المحل على وجود البارئ تعالى لكونه مصدر الكائنات وتوقف وجود
الرب تعالى على حلوله في ذلك المحل وهو ممتنع ، وإن يكن الرب تعالى
قبل حدوث ذلك المحل محتاجا إلى حلوله فيه فبعد الحدوث إما أن يكون
محتاجا أو لا يكون محتاجا إليه ، ففي حالة احتياجه إليه يخرج عن كونه
واجب الوجود ، وهو محال ، وإن لم يكن محتاجا إليه ففي حالة حلوله فيه
إما أن يكون قائما بنفسه والمحل قائما بنفسه فليس القول بطول أحدهما في
الأخر أولى من العكس بل الواجب أن كل واحد قائم بنفسه وليس محلا للأخر
ولا حالا فيه ، وإن كان قائما بذلك المحل لا بنفسه ، فليس واجب الوجود لذاته
ضرورة تقومه بغيره وهو محال .

المسلك الثاني : أنه لو حلت ذاته في محل ، فذلك المحل إما أن يكون
قابلا للانقسام أو لا يكون قابلا للانقسام ، فإن كان قابلا للانقسام فما حل
فيه وطابقه يجب أن يكون قابلا للانقسام ، فيكون ذات البارئ تعالى
قابلة للانقسام ومركبة من أجزاء ، وكل واحد من أجزائها غيرها إذا المفهوم من
الجملة يزيد على المفهوم من كل واحد من الأجزاء فيكون غير كل واحد من
الأجزاء ، وهو مفتقر إلى كل واحد من الأجزاء ، وما كان مفتقرا في وجوده
إلى غيره فلا يكون واجب الوجود لذاته ، وإن لم يكن المحل قابلا للانقسام

فلكون من الصفر والحقارة بمنزلة الجوهر الفرد ، فما حل فيه يكون مثله ،
والرب يتعالى ويتقدس عن ذلك .

المسلك الثالث : وهو خصيص بامتناع حلول ذات البارى تعالى فى بعض
الأجسام دون بعض كما هو مذهب الطولية ، وهو أنه لو جاز حلول ذات
البارى تعالى فى بعض الاجسام فلا بد وأن يكون ذلك قابلا لحلول ذات البارى
تعالى فيها ، وأن يكون ذات البارى تعالى قابلة للحلول فى ذلك الجسم ،
والا كان القول بجواز الحلول مع امتناع القبول من الطرفين أو من احدهما
ممتنعا وعند ذلك فاما أن يكون قبول الجسم لحلول ذات الله تعالى لحولها
فيه لعموما كونه جسما أو لما به تعيينه وتخصسه من الصفات الموجبة لتمييزه
من غيره من الأجسام ، فان كان الاول فيلزم منه حلول الرب تعالى بكل جسم
من الاجسام حتى أجسام الجهادات والحشرات ونحوها ، والبارى يتعالى
ويتقدس عن ذلك ، ون كان الثانى فما اختص به ذلك الجسم من الصفات
أما أن يكون ذلك لذاته أو لمخصص من خارج ، فان كان لذاته فالاجسام
مشتركة فى معنى الجسمية ، فما اختص به جاز أن يختص به غيره فيكون
ايضا قابلا لحلول ذات البارى تعالى فيه ، وان كان لمخصص خارج فاما
أن يكون مخصصا بالطبع والاختيار ، فان كان مخصصا بالطبع فهو محال ،
لنساوى الأجسام بالنسبة اليه وان كان مخصصا بالاختيار فكما جاز على
الفاعل المختار تخصيص ذلك الجسم بما تخصص به ، جاز أن يخصص به ما
ما هو مماثل له فى الجسمية ، وعند ذلك فيجوز على ذات البارى تعالى الحلول
بالنسبة الى كل جسم من الاجسام ، ويمتنع الاختصاص بالبعض دون البعض
وعلى هذا فلا يمتنع أن يكون البارى تعالى حالا فى بدن كل من نراه من
الناس ، بل تشاهده من ابدان الحيوانات العجماوات يجوز أن يكون متصفا
بها به القبولية ، وعدم المعرفة بذلك غير مانع من الجوز ، وأن يكون فى نفس
الأمر كذلك ، فانه لا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المداول فى نفسه على ما
سبق تحقيقه :

وأما أنه يمتنع حلول صفة من صفات الله تعالى فى محل غير ذاته عز
وجل ، فلأن تقدر (صفة) من الصفات الثابتة لذاب الرب سبحانه وتعالى حالا
فى محل آخر غير ذات الله تعالى ، اما أن يكون ذلك مع بقاء تلك الصفة

حالة في ذات الله تعالى أو مع زوالها عن ذات الله سبحانه ، فإن كان الأول فيلزم منه قيام الصفة المتحدة بمحلين وهو ممتنع .
وان كان الثاني فهو محال لوجهين .

الأول : أنه يلزم منه خلو ذات الله تعالى عما له من الصفات النفسانية أو بعضها وهو ممتنع ، لما سبق من اثبات الصفات .

الثاني : أنه يلزم منه جواز انتقال الصفة من محل الى محل وهو محال ، لأن الصفة المنتقلة لها حالة اتصالها بالمحل الأول وحالة اتصال بالمحل الثاني وليست حالة اتصالها بالمحل الأول هي حالة اتصالها بالمحل الثاني ، والا كانت الصفة الواحدة في حالة واحدة قائمة بمحلين وهو محال ، وانما صارت متصلة بالمحل الثاني بعد انفصالها عن المحل الأول بالانتقال ، إذ لو لم يقدر الانتقال ، لما كانت زائلة عن المحل الأول ومتصلة بالمحل الثاني ، وليست حالة الانتقال هي حالة الانفصال لا بالمحل الأول ولا بالمحل الثاني ، والا كانت حالة اتصالها بمحلها منتقلة عنه أو اليه وهو محال .

فحالة الانتقال إما أن تكون قائمة بمحل أو لا تكون قائمة بمحل فان كانت قائمة بمحل ، فلا بد وأن تكون منتقلة اليه عن المحل الأول لما تحقق ، والكلام في حالة انتقالها اليه كالكلام في الأول وهو تسلسل ، وان كانت قائمة لا بمحل ، فقد أخرجت من أن تكون ممتصرة الى المحل . وهو خلف . وهذه المحالات انما لزممت من القول بجواز حلول صفة الرب جل وعز بمحل غير ذاته ، فالقول به محال .

وأما قوله سبحانه « قل الروح من أمر ربي » فليس المراد به أن الروح بعض من الأمر الذي هو صفة الله تعالى لما بيناه من استحالة حلول الصفة القديمة بغير الله تعالى ، بل المراد من أمر ربي أي من خلق ربي على ما ذكره أهل التفسير والله تعالى أعلم .

المسألة الثامنة : وقد انفقت النصارى على أن الله تعالى جوهر بمعنى أنه قائم بنفسه غير متحيز ولا مختص بجهة ولا مقدر بقدر ولا يقبل الحوادث (م ٤٤ - إجابات الفسح)

والارادة ونحوها ولكن لم يجعلوها اثنتين كالعلم والحياة ، وزعموا أن الابن لم يزل متولدا من الآب وانما تجسد وتوحد بجسد المسيح حين ولد ، والحدوث راجع الى الناسوت فالمسيح اله تام وانسان تام وهما قديم وحادث والاتحاد غير مبطل لقدم القديم ولا لحدوث الحادث المحادث ، واتفقوا على أن القتل والصلب انما ورد على الناسوت دون اللاهوت .
ومنهم من قال ان الاله واحد وأن المسيح ابتداءً من مريم وأنه عبد صالح مخلوق الا أن الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته وسماه ابنا على سبيل التبني لا أنه ولد منه .

وذهب بعض اليعقوبية الى أن الكلمة انقلبت لحما ودما فصار الاله هو المسيح ، وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله « لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح بن مريم » ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت بحيث صار هو هو كما قال ظهر الملك بصورة ، وقد قال تعالى « فتمثل لها بشرا سويا » ومنهم من قال جوهر الاله القديم وجوهر الانسان المحادث تركيبا كتركيب النفس الناطقة مع البدن وصارا جوهرًا واحداً وهو المسيح وهو الاله كله وانسان كله فصار الاله انسانا وان لم يصر الانسان لها كما يقال فى الفحمة اذا طرحت فى النار صارت الفحمة نارا ولا يقال صار النار فحمة ولا تكون فى الحقيقة لا نارا مطلقا ولا فحمة مطلقا بل جمره .

وقالوا ان اتحاد اللاهوت بالانسان الجزئى دون الكلى وان مريم ولدت لها وأن القتل والصلب وقع على اللاهوت والناسوت معا والا فلا وقع على أحدهما بطل معنى الاتحاد ، ومنهم من قال المسيح مع اتحاد جوهره قديم من وجه محدث من وجه .

ومن اليعقوبية من قال ان الكلمة لم تأخذ من مريم شيئا وانما مرت بها كمرور الماء فى الميزاب ، ومنهم من زعم أن الكلمة كانت تداخل جسد المسيح فتصدر عنه الآيات التى كانت تظهر عنه وتفارقه تارة فتطه الأمانات والآلام والأوجاع ، ومن النصارى من زعم أن اتحاد اللاهوت بالناسوت

هو ظهور اللاهوت على الناسوت ، وان لم ينتقل من اللاهوت الى الناسوت شئ ولا حل فيه ، وذلك كظهور نفس الطابع على الشمع المتصل به أو لظهور الصورة المرئية في المرآة الصقيلة ، ومنهم من قال ان الوجود والكلمة قديمان والحياة مخلوقة ، ومنهم من قال أن الله تعالى واحد وسماء إيا وأن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء والاجتباء وهو مخلوق قبل العالم وهو خالق للاشياء كلها .

قال شيخنا (٣) رحمه الله تعالى وجملة هذه الاقاويل وحاصل هذه الاباطيل مع أنها مخالفة للعقول مراغمة للاصول مما لا يستند لها ولا معقول لهم فيها غير التقليد لأسلافهم والخذ بظواهر الالفاظ التي لا يحيطون بمفهومها . وأشبهها ما احتج به من قال أن المسيح عليه السلام اله أنه قال : ثبت أن المسيح أبرأ الأكمه والابرص وأحى الموتى وفعل أفعالا وقع الاتحاق من العقلاء على أنه لا يمكن صدورها عن البشر المخلوقين ، وأنه لا صدور لها عن غير الاله فكان آلهما .

وربما احتجوا على ذلك نقلا بما روي في الانجيل أن مريم تلد الهما ، وربما احتج علينا من قال ان المسيح كلمة الله بما نطق به كتابنا من قوله تعالى « انها المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم » الآية ويقوله تعالى « فننفضنا فيه من روحنا » واحتجوا قاطبة على جواز اطلاق اسم الآب على الله تعالى والابن على المسيح بما رواه في الانجيل « انك الابن الوحيد » ويقول المسيح « من رآنى فقد رأى أبى ، فانى واياه واحد » ويقول شمعون الصفا « انك ابن الله حقا » واذا أتينا على تفصيل مذاهبهم وايضاح عقائدهم والتقنيه على الأشبه من أدلتهم فلا بد من التشهير وتحقيق ابطالها بجهة الاستدلال والمناقضة والالزام في كل موضع على حسب ان شاء الله تعالى .

فنقول : أما قولهم بأن الله تعالى جوهر بالمعنى المذكور فلا نزاع معهم فيه من جهة المعنى بل من جهة الاطلاق اللفظى سمعا . وقد حققنا

(٣) أبو القاسم يعيش بن صدقة .

ما فيه فيما سبق وأما حصرهم الاقائيم فى ثلاثة وهى صفة الوجود والحياة
والعلم ، نباطل .

أما أولا فانا قد بينا الحجج فى أن صفة الوجود هل هى زائدة على
ذات الله تعالى متعارضة متنافية من غير ترجيح ؟ وذلك مما يتعذر عنده
الجزم بكونه صفة زائدة .

وأما ثانيا فلأنهم لو طولبوا بدليل الحصر لم يجدوا اليه سبيلا سوى
قولهم بحثنا فلم نجد غير ما ذكرناه ، وهو غير يقينى لما سلف ، ثم هو
باطل بما حققنا من وجوب صفة القدرة والآرادة والسمع والبصر والكلام .

فان قالوا : الاقائيم فى خواص الجوهر وصفات نفسه ، ومن حكمها
أن يلزم الجوهر ولا يتعداه الى غيره وذلك متحقق فى الوجود والحياة اذ
لا تعلق لوجود الذات القديمة وحياتها بغيرها . وكذلك العلم اذ العلم هو
مختص بالجوهر من حيث هو معلوم به ، وهذا بخلاف القدرة والآرادة فانها
لا اختصاص لها بالذات القديمة ، بل هى متعلقة بالغير مما هو مقدور
ومراد ، والذات القديمة غير مقدورة ولا مرادة ، وأيضا فان الحياة
تجزىء عن القدرة والآرادة من حيث ان الحى لا يخلو عنهما بخلاف العلم ،
فانه قد يخلو عنه ولانه يمتنع اجزاء الحياة عن العلم لاختصاص الحياة
بامتناع جريان المبالغة والتفضيل بخلاف العلم فانه يقال هذا أعلم
من هذا .

قلنا أما قولهم ان الوجود والحياة مختصة بذات القديم ولا تعلق
لها بغيره ، فمسلّم ولكن يلزم عليه أن لا يكون العلم أقنوما لتعلقه بغير
ذات القديم ، اذ هو معلوم به .

ولئن قالوا : العلم انما كان أقنوما من حيث كان متعلقا بذات لا من
حيث كان متعلقا بغيره ، فيلزمهم أن يكون التعلق قديما التعلق بذات
القديم من حيث أنه يرى نفسه ، ولم يقولوا به ويلزمهم من ذلك أن يكون
بغناء ذات الله تعالى أقنوما لاختصاص البقاء بنفسه وعدم تعلقه بغيره .

كما فى الوجود والحياة . ولئن قالوا البقاء هو نفس الوجود ، فليزىم أن يكون الوجود فى زمان حدوثه باقيا وهو محال .

وقولهم بأن الإرادة تجزى عن القدرة والإرادة اما أن يريدوا به أن القدرة والإرادة هى نفس الحياة أو أنها خارجة عنها لازمة لها لا تفارقها فان كان الأول فقد نقضوا مذهبهم حيث قالوا ان الحياة أقنوم لاختصاصها بجوهر القديم والقدرة والإرادة غير مختصين بذات القديم تعالى ، وذلك مشعر بالمغايرة والاتحاد مع المغايرة وأن قالوا انها لازمة لها مع المغايرة فهو ممنوع ، فانه كما يجوز خلو الحى عن العلم فكذلك قد يجوز خلوه عن القدرة والإرادة كما فى حالة النوم والاغماء ونحوهما .

وقولهم انه يمتنع اجزاء الحياة عن العلم لاختصاص العلم بالمبالغة والتفضيل ، فيلزم من ذلك أن لا يكون مجزئة عن القدرة أيضا لاختصاص القدرة بهذا النوع من المبالغة والتفضيل .

واما قولهم بأن الكلمة حلت فى المسيح وتدرعت به فهو باطل من وجهين : الاول : ما ذكرناه فى امتناع حلول صفة القديم فى غيره ، الثانى : انه ليس القول بحلول الكلمة أولى من القول بحلول الروح وهى الحياة ولئن قالوا : انما استدللنا على حلول العلم فيه لاختصاصه بعلم لا يشاركه فيها غيره ، قلنا وقد اختص عندكم باحياء الموتى وبراء الاكهم والابصر وباهور ما يقدر غيره من المخلوقين عليها والقدرة عندكم فى حكم الحياة اما بمعنى أنها عينها أو ملازمة لها فوجب أن يقال بحلول الحياة فيه ولم يقولوا به .

واما قول الملكانية فالتثليث فى الالهة وأن كل اقنوم اله اما أن يقولوا ان كل واحد متصف بصفات الاله تعالى من الوجود والحياة وغير ذلك من صفات الجلال أولا يقولوا به . فان قالوا بالأول فهو خلاف أصلهم ، ثم هو مع ذلك ممتنع لما سنبين فى امتناع وجود الهين ، وأيضا فانهم اما أن يقولوا بأن جوهر القديم أيضا اله ولا يقولوا ذلك ، فان كان الأول فقد أبطلوا مذهبهم ، واجماع النصرانية على التثليث وصارت أربعة وان كان لهم

يجدوا الى الفرق سبيلا مع أن جوهر القديم أصل والأقانيم صفات تابعة ، فكان أولى أن يكون لها وان قالوا بالثاني فحاصله يرجع الى منازعة لفظية والمرجع فيها الى ورود الشرع بجواز اطلاق ذلك ولا سبيل اليهم .

قولهم : بأن الكلمة امتزجت بجسد المسيح وتدرعت به فبطلانه بما سبق من امتناع حلول صفات القديم بغير ذات الله سبحانه وتعالى .

وقولهم : بأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح فهو ممتنع بجهة الدلالة والالزام ، اما من جهة الدلالة فانهما عند الاتحاد اما أن يقال ببقائهما أو بعدمهما أو ببقاء أحدهما وعدم الآخر فان كان الأول فهما اثنان كما كانا وان كان الثاني فالواحد غيرهما وان كان الثالث فلا اتحاد اللاتينية وعدم اتحادهما ، وأما من جهة الالزام فمن أربعة أوجه :

الأول : انه اذا جاز اتحاد أقنوم الجوهر القديم بالحادث ، فما المانع من اتحاد صفة الحادث بالجوهر القديم ، ولئن قالوا لأن اتحاد الصفة بالحادث بالجوهر القديم يوجب نقصه ، وهو ممتنع ، واتحاد صفة القديم بالحادث يوجب شرفه ، وشرف الحادث بالقديم غير ممتنع ، قلنا فكما أن ذات القديم ينقص اتحاد صفة الحادث بها ، فالأقنوم القديم ينقص باتحاده بالناسوت الحادث ، فليكن ذلك ممتنعا .

الثاني : انه قد وقع الاتفاق على امتناع اتحاد أقنوم الجوهر القديم بغير ناسوت المسيح ، فما الفرق بين ناسوت وناسوت ؟ ولئن قالوا انما اتحد بالناسوت الكلي دون الجزئي فسيأتى الكلام عليه عن قريب .

الثالث : ان مذهبهم أن الأقانيم زائدة على ذات الجوهر القديم مع اختصاصها به ولم يوجب قيامه به الاتحاد ، ولئن لا يوجب اتحاد الأقنوم بالناسوت الاتحاد ، كان أولى ، فان الاجماع منعقد منا ومن النصارى على أن أقنوم الجوهر القديم مخالف للناسوت كما أن صفة نفس الجوهر تخالف نفس العرض ، وصفة نفس العرض تخالف الجوهر ، فان قالوا بجواز اتحاد صفة الجوهر بالعرض أو صفة العرض بالجوهر حتى أنه يصير الجوهر في حكم العرض والعرض في حكم الجوهر ، فقد التزموا

مخالفا لأصولهم . وان قالوا بامتناع اتحاد صفة نفس الجوهر بالعرض ونفس العرض بالجوهر مع أن العرض والجوهر أقبل للتبدل والتغير ، فلأن يمتنع ذلك فى القديم فالحادث أولى .

قولهم ان المسيح انسان كلى باطل من أربعة أوجه .

الأول : ان الانسان الكلى لا اختصاص له بجزئى دون جزئى من الناس ، وقد اتفقت النصارى على أن المسيح مولود من مريم عليهما السلام وعند ذلك فاما أن يقال ان انسان مريم كلى كما ذهب اليه بعضهم ، واما جزئى فان كان كليا فاما أن يكون هو عين انسان المسيح أو غيره ، فان كان عينه فمحال أن يولد الشيء من نفسه ، ثم يلزم أن يكون المسيح مريم ومريم المسيح ، ولم يقل به أحد ، وان كن غيره فالانسان الكلى ما يكون عاما مشتركا بين جميع ، وطبيعته جزء من معنى كل انسان ويلزم من ذلك أن يكون انسان المسيح بطبيعة جزء من مفهوم انسان مريم ، وكذلك بالعكس ، وهو محكوم باحاطته ، وان كان انسان مريم جزئيا فمن ضرورة كون المسيح مولدا عنها أن يكون الكلى الصالح لاشترك الكثرة منحصرافى الجزئى الذى لا يصلح لاشترك الكثرة فيه ، وهو ممتنع .

الثانى : ان النصارى مجمعة على أن المسيح كان مرتيا ومشارا اليه ، والكلى ليس كذلك .

الثالث : اجماع النصارىة منعقد على أن الكلمة حلت فى المسيح اما لجهة الاتحاد أو لجهة الاتحاد على ما بيناه من اختلاف مذاهبهم ، فلو كان المسيح انسانا كليا لما اختص به بعض أشخاص الناس دون البعض ، ولما كان المولود من مريم مختصا بطول الكلمة دون غيره ، ولم يقولوا به .

الرابع : ان جماعة الملكانية متفقون على أن القتل والصلب وقعا على اللاهوت والناسوت ولو كان فاسوت المسيح كليا لما تصور وقوع الجزئى عليه .

وأما اطلاقهم لفظ الأب على الله تعالى والابن على المسيح ، فسمياتى ان شاء الله تعالى الكلام عليه .

وأما ما ذهب إليه نسطور من أن الأقسام ثلاثة فالكلام معه في الحصر على ما تقدم .

وقوله : « ليست عين ذاته ولا غير ذاته » ان أراد بذلك ما أراد به الأشعري (١) من ذلك فهو حق ، وأن أراد غيره فهو غير مفهوم .

وأما تفسيره العلم بالنطق والكلمة فالنزاع معه في اطلاق العلم على النطق لفظي ، ثم لا يخلو اما أن يريد بالنطق والكلمة الكلام النفسى كما

(١) يقول الأشاعرة : ان صفات الله تعالى زائدة على ذاته ، وفى الوقت نفسه غير منفكة عن ذاته . لأن قياس الغائب على الشاهد فيه فيه تميز الصفات . فالعلم غير القدرة . وهما غير الإرادة . ويقول المعتزلة : ان صفات الله تعالى فى ذاته ، أى غير منفكة عن ذاته ، وليست زائدة على ذاته . ويقيسون الغائب على الشاهد بقولهم : ان « زيدا » مثلا رجل واحد ، ولو نقل شيئا بإرادته من مكان الى مكان ، يوصف بأنه فريد ، واذا قدر على نقله — وكان ثقيلًا — يوصف بالقدرة . وهكذا . فالصفات فيه من البدء — وهو واحد من البدء — وكلما ظهر منه . ما يدل على صفة ، نسبناها اليه . فاذا سمع دعاء ، يقال انه سميع ، واذا أبصر شيئا يقال انه بصير . فصفاته فيه من البدء وهى قديمة قدم ذاته وليست زائدة عليه ، ويظهر أثر الصفات فيه دائما وأبدا ، لأنه دائم الفعل . وهذا معنى قياسهم الغائب على الشاهد .

يقول القاضى عبد الجبار بن أحمد فى شرح الأصول الخمسة تحت عنوان كيفية استحقاق الله تعالى للقدرة والعلم والحياة والوجود : انه عند « شيخنا أبى على » يستحق هذه الصفات الأربع لذاته . وعند شيخنا أبى هاشم يستحقها لما هو عليه فى ذاته . وقال أبو الهذيل انه تعالى عالم بعلم هو هو . وعند سليمان بن جرير وغيره من الصفاتية يستحق هذه الصفات لمان لا توصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم . وعند هشام بن الحكم انه تعالى عالم بعلم محدث . وعند الكلابية انه تعالى يستحق هذه الصفات لمان أزلية — وأراد بالأزلى القديم ، الا أنه لما رأى المسلمين متفقون على أنه لا قديم مع الله تعالى ، لم يتجاسر على اطلاق القول بذلك —

ثم نغ الأشعري وأطلق القول بأنه تعالى يستحق هذه الصفات لمان العجبة ، لوقائمه وقلة مبالاه بالإسلام والمسلمين (ص ١٨٣ — ١٨٤)

حققناه فيما تقدم أو الكلام اللسانى المؤلف من الحروف والأصوات ، فان كان الأول حق ، وان كان الثانى فهو باطل بما سبق .

وقوله : « ان الكلمة اتحدت بالمسيح ، بمعنى أنها أشرقت » لا حاصل له لأنه إما أن يريد اشراق الكلمة عليه ، ما هو مفهوم من مثاله وهو أن يكون مطرحا لشعاعها عليه أو يريد انها متعلقة به كتعلق العلم القديم بالمعلومات والكلام القديم بنا كما حققناه فى الصفات أو غير ذلك ، فان كان الأول فيلزم أن تكون الكلمة ذات شعاع وفى جهة من مطرح شعاعها ويلزم من ذلك أن تكون الكلمة جسما وان لا تكون صفة للجوهر القديم وهو محال ، وان كان الثانى فهو حق ، غير أن تعلق الاقنوم بالمسيح بهذا التفسير لا يكون خاصة على ما حققناه فى الصفات ، وان كان الثالث فلا بد من تصويره والدلالة عليه .

وأما قول بعض النسطورية كل واحد من الاقنيم الثلاثة اله حى ناطق فهو باطل بما ذكرناه فى ابطال التثليث على الملكانية .
وأما من أثبت منهم لله تعالى صفات أخر كالقدرة والارادة ونحوهما فهو حق لكن القول باخراجها عن كونها من الاقنيم مع أنها مشاركة للاقنيم فى كونها من الصفات ، تحكم من غير دليل سوى ما نبهنا عليه من الفرق الذى ذكروه سابقا وقد أبطلناه .

قولهم : المسيح انسان تام واله تام وهما جوهران قديم وحادث ، فطريق الرد عليهم من وجهين :

الأول : التفرض لابطال كون الاقنوم المتحد بجسد المسيح الها .
وذلك القول بأن اتحد بجسد المسيح هو اله فقط أو ان كل اله كما ذهب اليه الملكانية فان كان الأول فهو ممتنع لعدم الاولوية وان كان الثانى فهو أيضا ممتنع لما تقدم .

الوجه الثانى : انه اذا كان المسيح مشتقلا على الاقنوم والناسوت الحادث فاما أن يقولوا بالاتحاد أو بحلول الاقنوم فى الناسوت أو حلول الناسوت فى الاقنوم أو أنه لا حلول لأحد فى الآخر ، فان كان الاول فهو

باطل بما سبق فى ابطال الاتحاد ، وان كان الثانى فهو باطل بما سبق
فى ابطال طول الصفة القديمة فى غير ذات الله تعالى وبما سبق من
ابطال حلول الحادث بالقديم ، وان كان الثالث فاما أن يقال بتجاوزهما
واتصالهما أولا ، فان قيل بالتجاوز والانفصال فاما أن يقال بانفصال
الاقنوم القديم عن الجوهر الحادث أولا يقال به .

فان قيل بانفصاله عنه فهو ممتنع لوجهين : الأول ما تقدم فى ابطال
انتقال الصفة عن الموصوف ، الثانى يلزم منه قيام الصفة حال مجاورتها
لناسوت بنفسها وهو محال ، وان لم يقل بانفصال الاقنوم عن الجوهر
القديم فيلزم منه أن يكون ذات الجوهر القديم متصلة بجسد المسيح
ضرورة اتصال اقنومها به وعند ذلك فليس اتحاد الاقنوم بالناسوت أولى
من اتحاد الجوهر القديم بالناسوت ، ولم يقولوا به . وان لم يقل بتجاوزهما
واتصالهما فلا معنى للاتحاد بجسد المسيح وليس القول بالاتحاد مع عدم
الاتصال بجسد المسيح بأولى من العكس ، وأما قول من قال منهم ان الاله
واحد وأن المسيح ولد من مريم وأنه عبد صالح مخلوق الا أن الله تعالى
شرفه بتسميته ابنا فهو وكما يقوله الموجدون ، ولا خلاف مع هؤلاء فى غير
اطلاق اسم الابن على ما سيأتى .

وأما قول بعض اليعقوبية ان الكلمة انقلبت لحما ودما وصار الاله
هو المسيح ، فهو أظهر بطلانا مما تقدم ، وبيانه من وجهين :

الأول : انه لو جاز انقلاب الاقنوم لحما ودما مع اختلاف حقيقتها لجاز
انقلاب المستحيل ممكنا والممكن مستحيلا والواجب ممكنا أو متنا والممكن
أو الممتنع واجبا ولم يبق لأحد وثوق بشيء من القضايا البدئية ، ولجاز
انقلاب الجوهر عرضا والعرض جوهرًا واللحم والدم اقنوما والقديم
حادثا والحادث قديما ولم يقل به أحد من العقلاء .

الثانى : انه لو انقلب الاقنوم لحما ودما فاما أن يكون عين الدم
واللحم الذى للمسيح أو زائدا عليه منضمًا إليه ، فان كان الأول فهو محال

اذ لحم المسيح ودمه ولم يتغير فلا معنى لانقلاب الاقنوم اليه ، مع عدم الزيادة منه عند عدم الاقنوم وهو غير قابل للعدم بالاتفاق ، وان كان الثانى فلم يقولوا به .

وأما قولهم اللاهوت ظهر بالناسوت فصار هو هو ، اما أن يريدوا به أن اللاهوت صارعين الناسوت كما صرحوا به من قولهم صار هو هو ، فحاصله يرجع الى تجويز انقلاب الحقائق وهو مجال كما تقدم ، واما أن يريدوا به أن اللاهوت اتصف بالناسوت وهو أيضا محال ، لما تقدم من امتناع حلول الحوادث بالقديم أو أن الناسوت اتصف باللاهوت وهو أيضا محال لما تقدم من امتناع حلول القديم بالحدث .

وأما من قال منهم بأن جوهر الاله القديم وجوهر الانسان المحدث تركيبا وصار جوهرًا واحدًا هو المسيح ، فباطل من وجهين .

الأول : ما ذكرناه من ابطال الاتحاد .

الثانى : انه ليس جعل الناسوت لاهوتا بتركيبه مع اللاهوت أولى من جعل اللاهوت ناسوتا من جهة تركيبه مع الناسوت ولم يقولوا به . واما جوهر الفحمة اذا ألقيت فى النار فلا نسلم أن جوهرها صار بعينه جوهر النار بل صار مجاوزا لجوهر النار ، وغايتها أن بعض صفات جوهر الفحمة وأعراضها بطلت بمجاورة جوهر النار أما أن جوهر الفحمة صار جوهرًا لآخر فلا .

وقولهم : ان الاتحاد بالناسوت الجزئى دون الكلى فهو محال ، لما تقدم فى ابطال الاتحاد وحلول القديم بالحدث ، وبه يبطل قولهم ان مريم ولدت الها .

وقولهم : ان القتل والصلب وقع على اللاهوت والناسوت معا ، ففرع تركيب اللاهوت بالناسوت ، وقد أبطلناه وأن القول بوقوع القتل على اللاهوت مما يوجب موت الاله ضرورة ، والقول به يفتى عن ابطاله .

وأما قول من قال ان المسيح مع الاتحاد قديم من وجه ، محدث من وجه آخر فباطل ، فانه اذا كان جوهر المسيح متحدًا لا كثرة فيه فالحدث اما أن يكون لعين ما قيل يقدّمه أو لغيره ، فان كان الأول فهو

مجال والا كان الشيء الواحد قديما لا اول له حادثا له اول ، وهو تناقض ،
وان كان الثانى فهو خلاف الفرض .

وأما قول من قال ان الكلمة كانت تداخل جسد المسيح قارة وتفارقه
أخرى .

وقولهم ان ما ظهر من صورة المسيح فى الناسوت لم يكن جسما بل
خيالا كالصورة المرئية فى المرآة فباطل لأن من أصلهم أن المسيح انما احيا
الميت وأبرء الأكمه والأبرص بما فيه من اللاهوت ، فاذا كان ما ظهر فيه
من اللاهوت لا حقيقة له بل هو خيال محض فلا يصلح لحدوث ما حدث
عن الاله عنه ، والقول بأن اقنوم الحياة مخلوق حادث ليس كذلك لما سبق فى
الصفات بل هو قديم ازلى ، كيف وأنه لو كان حادثا لكان الاله قبله غير
حى ، ومن ليس بحى لا يكون عالما ولا ناطقا .

وقول من قال ان المسيح مخلوق قبل العالم وهو خالق لكل شى ، فباطل
بما سيأتى من امتناع خالق غير الله تعالى .

واما ما ذكره من الاحتجاج على كون المسيح الها من الحجج العقلية .
فالجواب عنها من وجهين .

الاول لا نسلم أن ما صدره من الامور الخارقة للعادة كانت من فعله
بل لعلها أصدرت عن خلق الله سبحانه لها ببركة دعائه ، على سبيل الاعجاز
كمعجزات سائر الانبياء عليهم السلام ، ولو دل ذلك على كونه الها لدل باقى
المعجزات الخارقة للعادة على يد غير من الأنبياء على كونه الها وهو ممتنع
بالاجماع منا ومنهم .

الثانى انه لو جاز أن يكون المسيح الها لجاز أن يكون كل من تلقاه من
آحاد الناس الها ، وأن لم يوجد فى حقه مثل هذه الخوارق ، فان الخوارق
غايتهما النهار دليل الوقوع ولا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول فى
نفسه على ما سبق ولا يخفى أن القول بذلك من التلاعب بالدين والمعتل .

واما ما نقلوه عن الانجيل أن مريم تلد ألهما صح ولم يكن ذلك من أوضاعهم
وتبديلهم فلا بد من تاويله إذ الأله لا يولد عندهم ، بل المولود انما هو الناسوت

وتأويله أن نحمله على الأنبياء عن الغيب ، وهو أن مريم تلد من يعتقد أنه اله وأن لم يكن الها حقيقة ، وذلك كما تسمى العرب الشمس الها باعتبار أنها عبت واعتقدت أنها اله ثم هذا معارض بما نقل في الأنجيل مما يدل على كونه ليس باله من وجهين .

الأول : قول عيسى عليه السلام للحواريين « اخرجوا بنا من هذه فان النبي لا يكرم في مدينة » (لوقا ٤ - ٢٤) والنبي لا يكون الها .

الثاني : ما نقل في الانجيل أنه عند الصلب قال « الهى الهى لم خذلتى وأسلمتني » (متى ٢٧ : ٤٦) صرح بكونه مريوبا والمربوب لا يكون الها .

وأما احتجاجهم من كتابنا بقوله تعالى « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » فالمعنى : ان معنى كونه كلمة أى آية ، فان الكلمة تطلق بمعنى الآية ، ومنه قوله تعالى : « ما نفذت كلمات الله » أى آياته .

ويدل على ارادة ذلك أمور ثلاثة : الأول : صدر الآية وهو قوله تعالى « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته » سماه رسولا ولو كان كلمة على الحقيقة لما كان رسولا . الثانى : قوله تعالى « وجعلناها وابنها آية للعالمين » ووجه الاحتجاج من وجهين . الأول : انه سماه آية ، الثانى : وصفه بكونه ابنا لها والاله ليس ابنا لها ، الثالث : ان الآية انما وردت لتقريعهم ورجوعهم عن الغلو فى اعتقادهم ، حيث قال « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق » فلو أراد بالكلمة ما اعتقدوه لكان مثبتا عين ما قصد التقريع على اعتقاده وهو ممتنع .

وأما قوله تعالى : « فنفخنا فيه من روحنا » فلا يمكن حمل الروح على ما اتحد بالمسيح من الكلمة اذ الروح عندهم هى الحياة ، وهى غير متحدة بالمسيح ، وانما المتحد به العلم ، وهو الكلمة فلا بد من حمله على ما يحتمله اللفظ والروح قد يطلق على جبريل ، ومنه قوله تعالى : « وأيدناه بروح

القدس (١) « وقد يطلق بمعنى الوحي ومنه قوله تعالى « أوحينا اليك روحا من أمرنا » وقد يطلق بمعنى روح الشخص ، وعند ذلك فيمكن حمله على أن يكون المراد منه فنحننا فيه من روحنا وأضافه الى نفسه تشريفا وتكريما على ما سبق ، ويمكن أن يكون المراد من الروح جبريل ، فان نفخة فيه (٢) سبب علوقه من غير والد .

وأما ما احتجوا به على جواز اطلاق اسم الأب على الله سبحانه وتعالى والابن على المسيح ، فهو ان صح مما يتعذر حمله على الابن المتولد من الله ، اذ المسيح غير متولد من الله عز وجل بالاتفاق ، وعند هذا فلا بد من التأويل .

أما قوله « انك أنت الابن الوحيد » (٣) فيحتمل انه أراد به المعنى بترببته واصطفائه ، تعبارة باسم البنوة عنه لكونه لازما لها فى الغالب ، وعلى هذا يمكن حمل قوله « من رآنى فقد رآنى وأبى » ويمكن حمله على جبريل من حيث ان نفخة فى مريم كان سببا لعلوقه ووجوده أو بسبب أنه كان هو المسدد له ، وعلى الوجه الاول يمكن حمل قول شمعون الصفا ، ويدل على ظهور ذلك أنه كما سماه أبا له فقد سماه البارئ تعالى أبا

(١) اذا كان المراد بالروح القدس هو بتركليت الروح القدس فان المراد يكون وأيدنا عيسى بمحمد عليهما السلام أى أظهرنا الحق فى أمر المسيح على لسانه . وهو الصحيح .

(٢) ان جبريل لم ينفخ فى مريم من فمه ، فالمراد من النفخ : أنها حبلت بقدرة الله ، فالنفخ كناية عن القدرة .

(٣) اعلم أن داود عليه السلام فى المزمور الثانى عبر عن النبى المنتظر الملقب بلقب المسيا وهو محمد رسول الله ﷺ ، عبر عنه بلقب « ابن الله » على طريقة اليهود فى التعبير عن أنفسهم بأنهم أبناء الله وأحيائه . فانهم كتبوا فى سفر التثنية « أنتم اولاد للرب الهكم » (تث ١٤ : ١) ولما أراد النصارى واليهود الضالون ختم النبوة الى الأبد فى عيسى عليه السلام ، أعطوه لقب « ابن الله » الذى هو المسيا وقد فهم منه البعض أنه يدل على ابن حقيقى طبيعى لله عز وجل . وليس هذا هو المراد (انظر كتاب المسيا المنتظر) .

للحواريين ، وليس بمعنى اتحاد اللاهوت بهم ، ويدل عليه ما روى فى الانجيل من قوله عقب وصيته وصى بها الحواريين « لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماء وتكونوا تامين ، كما أن أباكم الذى فى السماء تام » وقوله « لا تعطوا صدقاتكم قدام الناس لتراؤهم فانه لا يكون لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماء » وقوله عند صلبه « اذهبوا الى أبيكم » فهذه الجمل مع اختصارها وكثرة معانيها كافية فى التنبيه على فساد عقائدهم وابطال قواعدهم على اختلافها وشعبها والحمد لله على الاسلام والهداية للايان ، انتهى .

قوله « مريم المغبوظة بنت يواكيم والدة ربنا » الى آخره .
العجب من النصارى أنهم يجعلون مريم مرة والدة الله ومرة بنت الله كما أثبتناه عنهم غير مرة . ومن ذلك أيضا ما فى الكتاب المسمى بالشهر المريى شهر آيار المطبوع سنة ١٨٥٢ فى دير الرهبان الفرنسيسكانيين فى صحيفة ٢٤٣ ما لفظه : « السلام عليك يا ابنة الله الآب الأزلى السلام عليك يا أم الله الابن السرمدى السلام عليك يا عروسة الله الروح القدس البارقليط السلام عليك يا هيكلنا ومسكننا للثالوث الاقدس » انتهى .

واعلم أن النصارى أيضا قالوا ان مريم زوجة يوسف التجار حقيقة ، فعنى الاصحاح الأول من انجيل متى ما لفظه « ومولد يسوع المسيح هكذا كان لما خطبت مريم أمه ليوسف ، فمن قبل أن يتعارفا وجدت حبلى من روح القدس ، وأما يوسف فلكان صديقا ولم يرد أن يشهرها وهم بتخليتها وسرا فيما هو مفكر بهذا واذا بملك الرب قد ظهر له فى الحلم قائلا له يا يوسف ابن داود لا تخف من أن تأخذ — أى من أن تبقى مريم — امرأتك لأن الذى ولد بها هو من روح القدس ، فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع » قال مفسره الخورى : « مريم خطيبة ليوسف لا خطبة مجردة كما قال أكثر المفسرين بل زيجة حقيقية وصحيحة ، فان النسخ اليونانية واللاتينية والسريانية تدعو مريم امرأة يوسف ويوسف رجل مريم ، وكيف يهمل بتخليتها اذا لم يكن بعد اتخاذها امرأة ، فضلا عن أنها لو لم تكن مزوجة لاعتبرها اليهود زانية عند رؤية كبر بطنها ولحكوا عليها بالرجم وكان يلىق بالمسيح

أن يولد من مزوجة لثلا يحسبه اليهود نفلا والزيجة بموجب مبدأ الفقهاء يقيها الرضى لا الجماع ولا يضر بصحتها نذرا لعفة كما كانت مريم نذرت ، ويقرب من التصديق أنها كانت كشفت هذا النذر ليوسف قبل الزواج فارتضى به ، ثم انها قبل مباشرة فعل الزواج لا كأنهما تعارفا بعد ذلك كما نتج « البيديوس » الذى أنكر كون مريم لبثت عذراء أبعد ولادة المخلص وزعم انها ولدت بعد ذلك أولادا من يوسف ، وهم الذين يسميهم الانجيل اخوة الرب . وقد أيد « مارى ايرونيوس » ضلاله ببراھين عديدة ونسب الانجيلي الحبل بالمسيح الى الروح القدس لا كانه لا اشتراك للاب به ، فهذا من أفعال الثالث الخارجية فينسب الى الثلاثة الأتانيم ولكنه خصه بالروح القدس لانه كما تختص القدرة بالآب والحكمة بالابن فكذا تختص المحبة والجودة والنعمة بالروح القدس ، وسر التجسد يظهر هذه الصفات بنوع عجيب ، فمريم هى والدة الله كما رسم المجمع الانسوسى ضد «نسطور» ويتقند بذلك أيضا زعم « والتينوس » أن المسيح أتى بجسده من السماء واجتاز بالمعذراء كالماء بالميزاب ، فعلى ذلك لا يقال مريم ولدته ، ومعنى لفظه يسوع بالعبرانية المخلص لانه يخلص شعبه من خطاياهم ، وقد ولدته فى بيت لحم أى محل الخبز « انتهى باقتصار .

ثم انه ذكر نسب مريم ونسب يوسف وخلط فيهما أيضا الخلط العجيب ، فجعل يوسف بن يعقوب كما فى انجيل متى ، ومرة ابن هالى كما فى انجيل لوقا وجعله مرة ابن عم يوسف ، ومرة ابن خالها ، ومرة جعل مريم بنت يواكيم وأمها حنة ومرة جعله ابن هالى ، وبين الاشكالات العظيمة فى هذا الاختلاف الواقع بين انجيل متى ولوقا ولم يتحصل من كلام النسب الصحيح المتسلسل الى داود عليه السلام (1) ، وسرد أقواله

(1) أخطأ المؤلف فى مجاراته للنصارى على أن عيسى عليه السلام من نسل داود ، مع أنه ينقل كثيرا عن « اظهار الحق » وفيه أن «أكستين» صرح بأن العذراء من سبط لاوى من نسل هرون عليه السلام . اعتمادا على أن العذراء قريبة لاليصابات . وحيث ان اليصابات من هرون ، ومريم قريبة لها ، تكون مريم من هرون ، لأن النسب هو القرابة (انظر أيضا الفصل لابن حزم ، وكتاب يوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية) .
(م ٤٥ الجواب الفسيح)

مفسريهم المضطربة المتخالفة والوجوه المظلمة والتوجيهات الكالحة والتاويلات الغير راجحة وفي كتاب « بسط الكف » للفاضل الشيخ محمد بن محمد أن اسم أم مريم حنة بفتح الحاء المهملة وتشديد النون .

قال ابن عساكر « بلغنى أن مريم بقيت بعد رفع عيسى عليه السلام خمس سنين ، وكان عمرها ثلاثا وخمسين سنة » قال « وكانت فى الربوة ويقال قبرها فى النرب » وذكر نسبتها وأنها من ذرية سليمان عليه السلام بينها وبينه أربعة وعشرون أبا « انتهى . ولعل لنا عودة ان شاء الله تعالى الى زيادة على هذا البحث فلا تغفل .

قوله « ويعطيه الرب الاله كرسى أبيه داود » الى آخره لا يخفى أن هذا من تناقض الأنجيل أيضا فان لوقا قال هذا فى انجيله ، ويوحنا قال « حمل يسوع هذا الذى وعده الله تعالى بالملك الى القائد بيلاطوس ، وقد ألبسه ثياب الشهرة وتوجه بتاج من الشوك ، وصفعوه وسخروا منه وجلدوه ووضعوا اكليل الشوك على رأسه . وقال له بيلاطوس أنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع أمن عندك تقول هذا وأخبرك عنى آخرون ؟ فقال له بيلاطوس هل أنا يهودى ؟ فبنوا أمتك وعظماء الكهنة دفعوك الى ماذا صغعت ؟ قال له يسوع ان مملكتى ليست من هذا العالم ، فلو كانت مملكتى من هذا العالم لكانت خدامى تحارب لئلا أدفع لليهود فالآن مملكتى ليست من ههنا » ثم صلبوه بزعمهم ، فأين اعطاء كرسى أبيه داود الى الأبد ؟ فانظر الى هذا التناقض الظاهر بين جعلهم له الها وجعلهم له ابن داود أنه يملك تخته الى الأبد وزعمهم أنه صلب وحكايتهم عنه أن الملك يزول من ذرية يهوذا اذا جاء من له الكل ، وأنه مدة نبوته وهى ثلاث سنوات لم يحكم فيها بل هو دائما ملاحظ خائف من اليهود ، وأحيانا يهزم منهم ، ومرة ينقلون عنه أنه قال « لم آت سلما بل حربا وسيفا » ومرة يقولون أنه جاء داعيا للتوحيد ولخلاص ذرية آدم من النار ولم يأت حكما ومرة يقولون جاء لاثبات التثليث ولم يخلص الا شريحة قليلة من بعض فرق النصارى فقط متناقض كلامهم وأنجيلهم تضحك منه الذكى وافتراءهم على

الله تعالى يسقط الجنين من الحبل فنعوذ بالله تعالى من الجذلان ونسأله
الدوام على خالص الايمان .

ثم اعلم ان هذا القول لم يصح وأن صح فهو دليل على عبودية المسيح
لا على ألوهيته ويدل أيضا على عدم عبوم نبوته بل على خصوصيتها على
بنى اسرائيل والعرب غير مكلفين باتباعه (١) ولا يخفى أيضا أن هذا النصراني
لفق هذه الكلمات المشعرة بالبشارة بالمسيح فبعضها محرف وبعضها مخلق
من عنده وبعضه مبدل ومغير فى أصله وأكثره دال على نبوة المسيح فقط ،
ومصرح بعبوديته ونلف لألوهيته ولو أردنا أن نبسط رد هذه الكلمة وبيان
زيفها لطال الكلام غير أتى أوقفك اجمالا ان شاء الله تعالى هنا على تأكيد
ما ذكرناه لك غير مرة أن النصراني كاليهود يحرفون التوراة والأنجيل ،
وأنهم اذا أرادوا اثبات شىء يزعمون صحته ، يستدلون عليه بشىء من
العهد القديم ، فيذكرون منه ما يقبل التويه على السامعين مع تحريفهم
لبعضه أيضا ويتزكون منه ما هو حجة عليهم فى ابطال دعاويهم ، وهذا
يقع منهم كثيرا يفر استقصاؤه ويطول البحث بسرده .

ولنذكر لك نموذجا من ذلك لتستدل به على ما هنالك ، وهو أن متى قال
فى اصحاحه الثانى ما لفظه « فجمع أى هيرودس كل رؤساء الكهنة وكتبه
الشفتب واستخبرهم أين يولد المسيح ؟ فقالوا فى بيت لحم يهود هكذا مكتوب
فى النبى أنت يا بيت لحم يهود البست بصغيرة فى ملوك يهود انمك يخرج
الملك وهو يرعى شعبى اسرائيل حينئذ دعا هيرودس الجوس سرا » انتهى
بغروقه من النسخة المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٦٨ وهى نسخة الخورى
ولنقتل لك هذا أيضا من أصل نسخة نبوة ميخا لأن جميع مفسريهم قالوا أن
المراد من النبى فى قول متى هو نبوة ميخا من العهد القديم ، قال ميخا فى
الأصحاح الخامس كما فى النسخة المطبوعة فى لندن سنة ١٨٣١ ما لفظه
« وأنت يا بيت لحم افرائنا صغيرا أنت فى الوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى

(١) انظر فصل الدعوات العالمية السماوية من كتابنا [نقد التوراة

أسفل موسى الخمسة] .

يسلط فى اسرائيل وخروجه من البدء منذ ايام الأزل لهذا يعطيهم الى الزمان الذى فيه الوالدة تلد ، وبقايا اخوته ترجع الى بنى اسرائيل ، ويقف ويرعى بجبروت الرب يعلو اسم الرب الهه « انتهى فانظر فى تحريف هذه الألفاظ التى نقلها الانجيلى عن ميخا فانها مع قلتها لم تسلم من التغير لأن الانجيلى لم يقل أفراتا وميخا قالها ، والانجيلى قال لست بصغيرة وميخا قال صغيرة ، وهل هذا لا متباين ؟ اذا أحداهما أنافية والأخر مثبتة ، وميخا قال فى ألوف يهودا والانجيلى قال فى ملوك يهودا ، وهذا تغاير جوهرى أيضا لا لفظى فقط ، والانجيلى قال فمئك يخرج الملك وميخا قال فمئك يخرج لى الذى يسلط فى اسرائيل ، ثم ان الانجيلى حذف آخر الكلام الذى فيه أنه يعلو اسم الرب الهه ، لانه اذا كانت هذه البشارة فى حق المسيح عليه السلام كما زعم فهى دالة على عبوديته ، لان ميخا يقول ان الرب اله هذا المولود فى بيت لحم ، محينئذ يظهر كذب دعوى النصرارى فى الوهية المسيح كما ظهرت فى قول المسيح أيضا عند الصلب بزعمهم « الهى الهى لم خذلتنى ؟ » وتركتنى وغيرها من أقواله وأعماله الدالة على عبوديته ومخلوقيته نفسا وجسما كما لا يخفى على كل ذى عقل .

ونحو هذا ما قاله متى أيضا فى الأصحاح الثانى فى بحث يوسف النجار إنه أخذ المسيح وهو صبى وانهمزم به ليلاالى مصر ليقيم ما قيل من الرب بالنبى هوشع (٢) الاصحاح الحادى عشر منه « من مصر دعوت ابنى » مع أن عبارة هوشع هذا « لأن اسرائيل صبى أحببته ومن مصر دعوت ابنى دعوهم هكذا انطلقوا من وجههم كانوا يذبحون لبعاليم ويقربون للأصنام انتهى بلفظه فان كانت أصل النسخة دعوته ابنى بالهاء فلا تماس لها بالمسيح وان كانت بلا هاء فالظاهر انها فى حق موسى أو يعقوب أو يهودا أو غيرهم كما لا يخفى ، واذا علمت هذا يتحقق لديك أيضا تحريفهم للآيات والبشائر التى فى كتبهم الدالة والمرحة بنبوة نبينا ﷺ فهم فى تحريف نبوته أسرع وفى تأويلها أشجع ، على ان ما بقى مما لم يحرف فى كتبهم كثير ، وقد أعى الله تعالى

بصيرتهم عنه ، وهو كافى فى الدلالة على اثبات نبوته والاعلان برسالته كما تقدم « يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأتى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

قوله اذ يقول صاحبك طائما مقرا « واذا قالت الملائكة » الخ فتصويه على من ليس له خبرة بكتاب ربنا الكريم حيث قدم هذا النصرانى واخر فى الآيات حجة عليه ، وتصرف فى اعراب بعض كلماتها وصرف معانيها الى ما هو المتعلقه بالمسيح عليه السلام وحذف من البين ومن اوائلها واواخرها ماهو مخالف للقواعد النحوية والاصول العربية مما ستقف على بيانه ان شاء الله تعالى .

ولنذكر لك بعون الله عز وجل الآيات الحاكية لقصة سيدنا المسيح عليه السلام مع ما يتعلق بها فى هذه السورة المباركة ضامين لها ما قاله العلماء فى تفسيرها على وجه الاختصار ليحيط المستفيد خبرا بتأويلها وليتضح له والحال وما حكاه القرآن العظيم عن عبودية عيسى للملك المتعال ، ولعمرك الله ان هذا النصرانى فى استدلاله على ما يزعمه بهذه الآيات ضييه بمن يستدل على تحريم الصلاة بقوله تعالى « ويل للمصلين » ويتركها وهى قوله سبحانه « الذين هم عن صلاتهم ساهون » وهما منه أن الناس عن معرفة ذلك غافلون ، وترويجا لباطله على النصرانى الذين هم جاهلون ولم يدر أن أكثر المسلمين للقرآن حافظون وأغلب علمائهم لرد النصرانى وبيان ما فى كتبهم من الزيغ حاضرون متهيئون ، وبما فى الكتب السماوية وغيرها عالمون ، وقد اجاب عن شسبهم المؤلفون وأورد عليهم المفسرون أدلة على ما هم فيه متدينون واعترضوا عليهم بأبورهم عن أجوبة جميع ذلك عاجزون .

فنقول : قال الله تعالى : « اذ قالت امرأة عمران » أى اذكر اذ قالت حنة بنت فاقودا أم مريم فهى جدة عيسى عليه السلام ، وعمران هو ابن ماثان جد عيسى وليس نبيا وهو من ذرية داود (١) عليه السلام قال

(١) الأصح فى « امرأة عمران » أنها واحدة من نساء قبيلة « عمران »

المفسرون كأن لحنه إخت اسمها ايشاع تزوجها زكريا عليه السلام هي أم يحيى عليه السلام فعيسى ابن بنت خالة يحيى ، وقيل هما ابنا خالة ، وكان من قصة طلبها الولد كما قال ابن عباس أن حنة امرأة عمران كان حبست عن الولد والمحيض فبينما هي ذات يوم فى ظل شجرة اذ نظسرت الى طير يزق فرخا له فتحركت نفسها للولد فدعت الله تعالى أن يهب لها ذكرا فحاضت من ساعتها فلما طهرت أتاها زوجها فلما أيقنت بالولد قالت : لئن نجاني الله تعالى فوضعت ما فى بطنى لأجعله محررا أى خادما للبيعة أو المحرر من يعمل للأخرة ولا يتزوج ، ولم يكن محررا فى ذلك الزمان الا الغلمان ، فقال لها زوجها أرأيت ان كان ما فى بطنك أنثى والأنثى عورة فكيف تصنعين ؟ فاعتمت لذلك . فقالت « رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى » وهذا فى الحقيقة استدعاء للولد الذكر لعدم قبول الأنثى فيكون المعنى رب انى نذرت لك ما فى بطنى ، فاجعله ذكرا والام للتعليل والراد لخدمة بيتك والمحرر الخادم للبيعة .

« عمران » هو أبو موسى وهرون عليهما السلام . وهو من نسل لاوى ابن يعقوب عليه السلام ، وقول بعض المفسرين بان عمران هو ابن ماثان جد عيسى وهو من ذرية داود عليه السلام ، قول باطل . ذلك لأن المراد من عمران ، عمران رئيس القبيلة الذى هو والد موسى وهرون . والقائلة هي حنة بنت فاقوذ ، وزوجها هو يواقيم . ومريم ابنتها من هذا الزوج . ونسبت الى عمران رئيس القبيلة ، الذى هو الجد الأعلى . ويدعى النصرارى بان مريم تنسب الى رجل من آل داود عليه السلام هو يواقيم . أما أنه يواقيم . فقولهم صحيح لأن القرآن نسبها الى عمران ويصح أن تكون النسبة اليه على أنه رأس العائلة . وأما أنه من آل داود فقول باطل ، ذلك لأن التوراة تصرح بزواج المرأة فى قبيلتها ، ان أرادت الزواج من يهودى ، كما فى سفر العدد فى الاصحاح السادس والثلاثين . وصرح الانجيل بان اليصابات وهي هارونية لاوية قد تزوجت من زكريا عليه السلام وهو هارونى لاوى . وصرح الانجيل بان مريم قريبة لاليصابات . فتكون مريم من نفس العائلة التى منها اليصابات . أى تكون هارونية لاوية . (انظر الفصل لابن خزم ، واطهار الحق لرخصت الله الهندى ، ويوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية)

وقال محمد بن جعفر بن الزبير أرادت عتيقا خالصا لطاعتك لا أصرفه
 ذئى حوائجى ، وقيل فى تفسيره غير ذلك « انك أنت السميع العليم »
 وهو تعطيل لاستدعاء القبول من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها وإخلاصها
 يستدع لذلك تفضلا واحسانا « فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى »
 ليس الغرض من هذا الكلام الاخبار لأنه إما للفائدة أو للازمها ، وعلم
 الله تعالى محيط بهما بل مجرد التضرر والتحزن وقوله سبحانه « والله أعلم
 بما وضعت » ليس المراد به الرد عليها فى اخبارها بما هو سبحانه أعلم
 به ، بل الجملة اعتراضية سبقت لتعظيم المولود الذى وضعتة وتفخيم
 شأنه والتجهيل لها بقدره أى والله أعلم بالشئ الذى وضعتة وما علق به
 من عظام الأمور ودقائق الاسرار وهى غافلة عن ذلك كله « وليس الذكر
 كالأنثى » يعنى فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها والمراد تفضيل
 الذكر على الأنثى لان الذكر يصلح لخدمة الكنيسة ولا تصلح الأنثى لذلك
 فضعفها وما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الخضوع
 مع الرجال .

وقيل فى معنى الآية أن المراد منها هو تفضيل هذه الأنثى على الذكر
 كأنها قالت كان الذكر مطلوبى لخدمة المسجد ، وهذه الأنثى هى موهبة الله
 تعالى وليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى هى موهبة الله تعالى « وانى
 سميتها مريم » يعنى العابدة والخادمة ، وهو بلغتهم وقيل معربة مارية بمعنى
 بجارية ، وكانت مريم من أجل النساء وأفضلهن فى وقتها « وانى أعيدتها
 بك » أى امنعها واجبرها بك « وذريتها من الشيطان الرجيم » أى اللعين
 الطريد ، وأصل الرجم الرمى بالحجارة والمراد الحفظ من اغوائه للموقع
 فى الخطايا « فتقبلها ربها بقبول حسن » يعنى أن الله تعالى تقبل مريم
 من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضى وسلك بها طريق السبداء
 « وأنبتها نباتا حسنا » يعنى سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان ،
 فكانت تبيت فى اليوم ما ينبت المولود فى عام « وكفلها زكريا » يقال
 أهل الاخبار لما ولدت حنة مريم أخذتها ولفتها فى خرقة وحملتها إلى المسجد
 ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون ، وهم يومئذ يلون من بيت المقدس

ما تلى الحجة من الكعبة ، وقالت دونكم الذيرة فتنافس فيها الاحبار
لأنها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكان أبوها قد مات على قول «
فقال لهم زكريا انا أحق بها لان خالتها عندي ، فقالت له الاحبار لو تركت
لاحق الناس بها لتركت لأمها التي ولدتها ولكننا نقترع عليها فتكون
من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار «
قيل هو الاردن فالقوا أقلامهم فى الماء على أن من ثبت قلبه فى الماء
رصد فهو أولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم «
فارتفع قلم زكريا فوق الماء ، ووقف وانحدرت أقلامهم ثم رسبت فى النهر
مسهمهم زكريا وقرعهم ، وكان زكريا عليه السلام رأس الاحبار ونبيهم «
ومن ذرية داود عليه السلام فلما ضم مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع
لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها أم يحيى ، حتى اذا شبت وبلغت
مبالغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد ، وجعل بابه فى وسطه ولا يرقى
اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم
فذلك قوله تعالى « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا »
يعنى فأكهة فى غير وقتها « قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند
الله « أى من الجنة .

وقال محمد بن اسحاق كما نقله الخازن أصابت بنى اسرائيل أزمة
وهى على ذلك من حالها ، حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على
بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سننى وضعفت عن
جهل بنت عمران ، فايكم يكفلها بعدى ؟ فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا
من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا
عليها بالأقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن
عم لمريم فحملها فعرفت فى وجهه شدة ذلك عليه ، فقالت له يا يوسف
أحسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق لكانها منه فكان
يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها فى المحراب أتاه
الله تعالى وزاده ، فيدخل زكريا عليها فيقول « يا مريم أنى لك هذا » فتقول
« هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » أى بغير تقدير

لكثرتة أو من غير سبب ، فلما رأى زكريا ذلك قال ان الذى قدر على أن يأتى مريم بالفاكهة فى غير وقتها وحين من غير سبب لقادر أن يصلح زوجى ويهب لى ولدا فى غير حينه ، مع الكبر ، وطمع فى الولد ، وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقضوا وكان قد كبر وشاخ وأيس من الولد ، فذلك قوله عز وجل « هنالك دعا زكريا ربه » يعنى أنه عليه السلام دخل محرابه وأغلق الأبواب وسأل ربه الولد « قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة » والذرية نطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى المراد بها هنا الواحد « أنك سميع الدعاء » أى سامعه ومجيبه « فنادته الملائكة » يعنى جبريل عليه السلام وانما أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشأنه ولأنه رئيس الملائكة ، وقل أن يبعث الا ومعه جمع منهم فجرى ذلك على مجرى العادة « وهو قائم يصلى فى المحراب » قال المفسرون : دخل عليه جبريل بصورة شاب عليه ثياب بيض ففرغ زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام « يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى » أى بولد اسمه يحيى سمي به لأن الله تعالى أحيى به عقر أمه أو لان الله تعالى أحيى قلبه بالايمان والطاعة حتى أنه لم يهم بمعصية قط « مصدقا بكلمة من الله » قال أكثر المفسرين : المراد بالكلمة عيسى عليه السلام ، وانما سمي كلمة لأن الله تعالى قال له كن فكان من غير أب دلالة على كمال القدرة ، فوقع عليه اسم الكلمة لأنه بها كان . وقيل غير ذلك كما تقدم .

وأول من آمن به وصدقه يحيى وكان أكبر من عيسى عليهما السلام بستة أشهر وقتل (١) يحيى قبل أن يرفع عيسى . وحكى عن أبى عبيدة ان معنى بكلمة من الله بكتاب منه ، والمراد به الانجيل ، واطلاق الكلمة عليه خاطلاتها على القصيدة وسيدا من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذى يتبع ، وقيل هو الحسن الخلق ، وقيل هو الذى يطيع ربه ، وقيل هو الفقيه العالم « وحصورا » قال ابن عباس هو الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن ، فعلى هذا هو معمول بمعنى فاعل ، يعنى أنه حصر نفسه

(١) بينما أنه لم يقتل (انظر كتاب يوحنا الممدان بين الاسلام والنصرانية)

عن الشهوات . وأصله من الحصر وهو الحبس ، وقيل هو العنين ، وقيل هو الفقير « ونبيا من الصالحين » أى أنه من أولاد الأنبياء الصالحين أو كائنا من جيلة الصالحين ، قال الزجاج الصالح من يؤدى لله تعالى ما افترض عليه وللناس حقوقهم ، وبهذا علم أن النصرانى المؤلف قد خبط فى الآية خبط عشواء ، وجعل سيدا صفة لعيسى عليه السلام مع أن كون مصدقا نصب على الحال المقدره من يحيى وسيدا عطف عليه وحصورا وتبيا أيضا عطف على ما قبلها أمر لا يخفى على من شم رائحة العربية ، فكيف يجعل السيد المنسوب هنا صفة لعيسى « قال رب أتى يكون لى غلام » أى ولد « وقد بلغنى الكبر » قيل كان ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل ابن تسعة وتسعين وقيل ابن مائة وعشرين سنة « وامراتى عاقر » أى عقيم لا تلد أى ذات عقر وكانت بنت ثمان وسبعين سنة .

قال الخازن : فان قلت كيف أنكر زكريا عليه السلام الولد مع تبشير الملائكة إياه به ؟ وما معنى هذه المراجعة ؟ ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله تعالى إياه به ؟ أكان شاكيا فى وعد الله سبحانه أو فى قدرته ؟ قلت : لم يشك وإنما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام ، والمعنى من أى جهة يكون الولد ؟ أيقون بإزالة العقر عن زوجتى ورد شبابى على أو يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف ؟ فأجابه بقوله « كذلك الله يفعل ما يشاء » من الامعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو ايجاد الولد من الشيخ الكبير والمرأة العاقر « قال رب اجعل لى آية » أى علامة أعرف بها صحة الحبل فاتلقى هذه النعمة بالشكر « قال آيتك أن لا تكلم الناس » أى علامتك أن تحبس لسانك عن تكليم الناس ثلاثة أيام عن غيره من الأذكار ، ووجه جعل الآية هذا لتخلص تلك الأيام لذكر الله سبحانه شكرا على ما أنعم عليه ، وقيل كان ذلك عقوبة له بسبب سؤال الآية بعد مشافهة الملائكة إياه . وقيل أن لا تقدر على تكليمهم وتمنع من كلامهم قهرا بحيث لم حاولت الكلام لم تقدر ثلاثة أيام بلياليها لقوله تعالى فى سورة مريم « ثلاث ليال سويا » وقوله : « الا رمزا » اشارة والرمز فى اللغة الإيماء بالشفيتين أو العينين أو الحاجبين أو اليدين . ولما منعه من الكلام فى تلك المدة أمره بالذكر فقال « واذكر ربك كثيرا » فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال

بينك وبينه « وسبح بالعشى والابكار » أى وعظم ربك ونزهه عن الفناص
وقيل صل فيها بين زوال الشمس الى غروبها وما بين طلوع الفجر الى
الضحى « واذا قالت الملائكة » عطف على « اذ قالت امرأة عمران » عطفاً
لقصة البنت على قصة امها لما بينهما من كمال المناسبة وقصة زكريا وقعت
فاصلة بينهما المناسبة ظاهرة والقائل جبريل ، وهذا من باب التربية
الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها بعد التربية الجسمانية
الملائكة بحال صغرها « يا مريم الله اصطفاك » اختارك من الاناث ورباك فى
حجر زكريا ورزقتك من الجنة وطهرتك من منيس الرجال أو الكفر أو من
الذنوب أو من الأذناس على عمومها وكانت لا تحيض ، وقيل حاضت مرتين
قبل حملها بعيسى عليه السلام واصطفاك على نساء العالمين قيل هذا الاصطفاء
غير الأول فالأول هو حيث تقبلها بقبول حسن والآخر لولادة عيسى من غير
أب ، وقيل تأكيد لأول والمراد بنساء العالمين نساء عالم زمانها « يا مريم
افتنى لربك القنوت اطالة القيام فى الصلاة » وقيل ادامة الطاعة وقيل
الاخلاص فى العبادة قال المفسرون وصوها بالمحافظة على الصلاة بعد أن
خبروها بعلو درجتها وكمال قربها الى الله تعالى لئلا تغتر ولا تغفل عن
العبادة ، وتكرير النداء للإشارة الى النداء الى الاعتناء بما يرد بعد كان
هو المقصود بالذات وما قبله تمهيد له « واسجدى واركعى مع الراكعين »
أخرج ابن جرير عن الأوزاعي قال كانت تقوم حتى يسيل القيح من قدميها .

وأخرج ابن عساکر عن أبى سعيد قال كانت مريم تصلى حتى تورم
قدمها وفائدة قوله سبحانه « مع الراكعين » الارشاد الى صلاة الجماعة على
قول الأكثر « ذلك » أى ما تقدم ذكر من تلك الأخبار البديعة الشأن « من
أبناء الغيب » أى من أخبار ما غاب عنك وعن قومك مما لا يعرف الا بالوحي
« نوحيه اليك » الإيحاء الفاء المعنى الى الغير على وجه خفى ويكون بمعنى
ارسال الملك الى الأنبياء وبمعنى الإلهام « وما كنت لديهم » أى عند
المتنازعين ، فالضمير عائذ على غير مذكور دل عليه المعنى ، والمقصود من
من هذه الجملة تحقيق كون الأخبار بما ذكر عن وحي على سبيل التهكم
بذكره كأنه قيل أن رسولنا أخبركم بما لا يسبيل الى معرفته بالفضل مع

اعترافكم بأنه لم يسمعه ولم يقرأه في كتاب ، وتذكرون أنه وحى ، فلم يبق مع هذا ما يحتاج إلى النفي سوى المشاهدة التي هي أظهر الأمور انتقاء لاستحالتها المعلومة عند جميع العقلاء .

قلت : ولعل هذا النصراني حذف هذه الآية من بين الآيات التي استشهد بها هنا خوفا من الاطلاع على هذه الآية التي هي من أعظم المعجزات الدالة على صدق نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام والتسليمات الكاملات « اذ يلقون اقلامهم » أي يرمونها أو يطرحونها للاقتراع ، والاقلام جمع قلم وهي التي كانوا يكتبون بها التوراة واختاروها تبركا بها ، وقيل هي السهام من النشاب وهي القداح ، وقيل انها كانت من نحاس وهي مأخوذة من القلم بمعنى القطع ومنه قلامة الظفر « أيهم يكفل مريم » أي ينظرون أيهم يكفل أي يكون كافلا وضامنا لمصالحها أو ليعلموا أيهم يكفل أو ليقولوا ويحكموا أيهم يكفل « وما كنت لديهم اذ يختصمون » في شأنها تنافسا على كفالتها . واختلف في وقت هذا الاقتراع والتشاح على قولين أحدهما : وهو المشهور المعول عليه ، أنه كان حين ولادتها وحمل أمها لها إلى الكنيسة ، وثانيهما : أنه كان وقت كبرها وعجز زكريا عليه السلام عن تربيتها وهو قول مرجوح وقد تقدم لك ما يتعلق بطلب الكفالة أيضا فتذكر « اذ قالت الملائكة « أي جبريل « يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه » أي كائنة من عنده ناشئة منه من غير واسطة الأسباب العادية وهي ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وسمى كلمة لانه وجد بكلمة كن كما تقدم .

ونقل شيخ الاسلام أبو السعود في سورة النساء أن طبيبا حاذقا نصرانيا جاء إلى الرشيد فناظر على بن الحسين الواقدي ذات يوم ، فقال له ان في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله ، وتلا هذه الآية فقرأ له الواقدي قوله تعالى « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه » وقال اذن يلزم أن يكون جميع الأشياء جزء منه سبحانه ، فانقطع النصراني وأسلم .

وقيل في الكلمة غير هذا كما بيناه مرارا فتذكر .

فان قلت : ان كل مخلوق يوجد بواسطة الكلمة ، فلم خص بهذا

الاسم ؟ قلت : ان كل مخلوق وان وجد حدوثه بواسطة الكلمة ، الا أن هذا السبب ما هو متعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة أخرى ، فلا جرم كان إضافة حدوثه الى الكلمة أتم وأكمل ، وبهذا التأويل حسن أن يسمى نفس الكلمة لأنه حدث عنها . قاله الخازن « اسمه المسيح عيسى ابن مريم » اختلف في لفظ « المسيح » مم أخذ ؟ فقيل من المسح لأنه مسح الأرض أى ذهب فيها فلم يستكن بكن ، وقيل لأنه كان لا يمسح ذا عاهة الا برىء ، فهو على هذا فعيل بمعنى فاعل ، وقيل لأنه كان يمسح بالدهن الذى كانت الانبياء عليهم السلام تمسح به ، وقيل لأنه كان ممسوح الاخصمين وقيل لان الجبال مسحه ، وقيل لأنه مسح بالتطهير من الذنوب . وقال ابن الاعرابى المسيح الصديق وقال أبو عبيد أصله بالعبرانية « مشيحا » بالمعجمتين فعرب كما عرب موسى بهوسى . وقال فى الكشاف هو لقب من الألقاب المشرفة ومعناه باللغة العبرية المبارك وأما الدجال (١) فسمى مسيحا لأنه ممسوح أحد العميين وقيل غير ذلك وعيسى (٢) اسم أعجمى مأخوذ من العيس وهو بياض تعلوه حمرة وقيل هو عربى مشتق من عاسة يعوسة اذا ساسه . وفى الكشاف أنه معرب يشوع ، والذى رأيناه فى أناجيل النصارى أن اسمه يشوع ، قالوا وهو بمعنى المخلص ، وانما قيل ابن مريم مع أن الخطاب معها تنبيها على أنه يولد من غير أب فنسب الى أمه « وجيها فى الدنيا والآخرة » الوجيه ذو الوجاهة وهى القوة والمنعة ووجاهته فى الدنيا النبوة وفى الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة « ومن المقربين » عند الله تعالى يوم القيامة « ويكلم الناس فى المهد وكهلا » المهد موضع الصبى فى رضاعة ، والكهل هو من كان بين سن الشباب والشيوخة أى يكلم الناس حال كونه رضيعا فى المهد قيل وقت الكلام ، وحال كونه كهلا(٣)

-
- (١) اقرأ عن الدجال فى كتاب الفتاوى للشيخ شلتوت . وقرأ عن معنى كلمة المسيح فى كتاب المسيا المنتظر .
(٢) عيسى من الكلمة اليونانية إيسا .
(٣) فى انجيل يوحنا ما يدل على أن عيسى كان قريبا من الخمسين سنة وقت تبليغ الرسالة .

بالوحي والرسالة وقد ثبت في الصحيح أنه لم يتكلم في الهدى
الاعيسى ، وشاهد يوسف (١) وصاحب جريج ، وابن ماشطة فرعون
« ومن الصالحين » أى مثل سائر الأنبياء ، وإنما ختم أوصافه بالصلاح لأنه
لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على المنهج الأصيل والطريق الاكمل
في جميع أحواله ولهذا قال سليمان بعد النبوة « وادخلنى برحمتك فى
عبادك الصالحين » .

ولنذكر لك شيئا يزيدك وقوفا على ما يتعلق بالمسيح عليه السلام
قال فى كتاب « بسط الكف فى تفسير سورة الصف » .

والعجب من النصارى أنهم ادعوا ألوهيته مع روايتهم عنه فى أناجيلهم
أنه لما قيل له يا صالح لم يرض بذلك ، وقال لا صالح الا الله كما ذكرناه
لك غير مرة « قالت مريم » على طريق الاستبعاد العادى « أى كيف »
يكون لى ولد ، ولم يمسسنى بشر » أى ولم يصبنى رجل ، وإنما قالت ذلك
تعجبا لا شكافى قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت أن يولد ولد من
غير أب .

« قال كذلك الله يخلق ما يشاء » يعنى هكذا يخلق الله منك ولدا
من غير أن يمسك بشر ، وعبر هنا بالخلق ، وفى قصة يحيى بالفعل ،
لما أن ولادة العذراء من غير أن يمسها بشر أبدع وأغرب من ولادة عجوز
عاقو من شيخ ، فكان الخلق المنبىء عن الاختراع أنسب بهذا المقام من
مطلق الفعل « اذا قضى أمرا » هو من كلام الله سبحانه وأصل القضاء
الاحكام وهو هنا الإرادة أى اذا أراد أمرا من الأمور « فانها يقول له كن
فيكون » من غير عمل ولا مزاولة ، وهو تمثيل لكمال قدرته .

(١) قيل : ان شاهد يوسف ، كان رجلا كبيرا عاقلا حكيما . لأنه
أعطى قرائن لبيان الفعل وهى : « ان كان قهيصه قد من قبل ، فصدقت
وهو من الكاذبين ، وان كان قهيصه قد من دبر ، فكذبت وهو من
الصادقين » ولو كان الشاهد رضيعا لدل نطقه على تصديقه بلا قرائن .
والحديث مع ذلك حديث آحاد .

وفى الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا « أنا
أولى الناس بابن مريم فى الدنيا والآخرة ليس بينى وبينه نبي » وفى
الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه « من شهد أن لا اله
الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد
الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ،
أدخله الله تعالى الجنة على ما كان من العمل (١) » وفى الصحيحين
مرفوعا « ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب
ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى
تكون الشجرة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها » ثم يقول أبو هريرة :
« واقرأوا ان شئتم : « وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته » (٢)

وفى الصحيحين ومسند الامام أحمد عن أبي هريرة مرفوعا « ما من
مولود الا الشيطان يمسه حين يولد ، فيستهل صارخا الا مريم وابنها »
ثم يقول أبو هريرة : « واقرأوا ان شئتم » وانى أعيذا بك وذريتها من
الشيطان الرجيم »

وقوله تعالى « يا مريم ان الله اصطفاك » الآية يعنى أن الملائكة
بشرت مريم باصطفاء الله تعالى اياها من بين نساء عالمى زمانها بأن

(١) بين القرآن أن دخول الجنة بأ — الايمان ب — وبالعمل ، وصرح
بوضع الموازين للحق والعدل .

(٢) أى أن ابا هريرة — وأعنى الراوى عنه — يفسر العبارة بأنه
لا أحد من أهل الكتاب يموت الا ويؤمن بعيسى عليه السلام . وحيث أن
أهل الكتاب سيبقون فى الدنيا ولا ينقرض نسلهم الى يوم القيامة ،
وحيث أنهم سيؤمنون بعيسى ، اذن يكون عيسى حيا ، وسيظل حيا الى
يوم القيامة . وفات هذا المفسر أن وجود الانجيل يعنى عن حياة صاحبه ،
فان كتاب صاحب الدعوة اذا بقى يدل على دعوته من بعد موته ، فكان
الصاحب لم يموت . وفى العبارة وجه آخر مذكور فى كتب التفسير
وقد ورد كثيرون من العلماء نزول عيسى فى آخر الزمان وقولهم هو
الصحيح (انظر الفتاوى للشيخ شلتوت)

اختارها لإيجاد ولد منها منها من غير أب وبشرت بأن يكون شريفا نبيا يكلم الناس في المهد أى فى صفه يدعوهم الى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وكذلك فى حال كهولته فدل على أنه يبلغ الكهولة ويدعو الله تعالى فيها ، وأمرت بكثرة العبادة والقتوت والسجود والركوع لتكون أهلا لهذه الكرامة ولتقوم بشكر هذه النعمة ، فيقال انها كانت تقوم فى الصلاة حتى تفتطرت قدمها ، ويحتمل أن يكون المراد أنها أفضل نساء أهل الدنيا من كان قبلها ووجد بعدها ، فعلى قول من يزعم نبوتها ونبوة سارة أم اسحاق ونبوة أم موسى محتجا بكلام الملائكة والوحى الى أم موسى كما يزعم ذلك أبو محمد بن حزم وغيره فواضح ، وأما على قول الجمهور كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري وغيره من أهل السنة من أن النبوة مختصة بالرجال وليس فى النساء نبوة وهو الحق ، فتكون أعلى مقامات مريم أن تكون كما قال الله « وأمه صديقة » فيمكن أن تكون أفضل الصديقات ، قل القرطبي « روى عن النبى ﷺ أنه قال « ان فى النساء الأربع نبيات حواء وآسية وأم موسى ومريم » قال : والصحيح أن مريم كانت نبية « انتهى . وقال القاضى عياض « والجمهور انهما يعنى آسية ومريم ليستا بنبيتين بل هما صديقتان . وقال ابن الملقن عن ابن التين وغيره اختلفوا فى نبوة الخضر ولقمان وعزيز ومريم وأم موسى » (١) انتهى .

ونقل عن الحسن أنه ليس من الجن (٢) نبي ولا من النساء وقال الإمام السبكي : « اختلف فى نبوة نسوة غير مريم كأم موسى وآسية وحواء

(١) أما عن نبوة النساء ، فصريح القرآن منع الاختلاف فيها بقوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك الا رجالا ، نوحى اليهم من أهل القرى » والصحيح أن الخضر ليس بنبي ، بل لا ذكر له أصلا فى القرآن . فكيف يختلف فى نبوة من لم يذكره الله أصلا ؟ وأما لقمان فالأصح فيه أنه رجل حكيم عاقل . وأما عزيز ، فكان عالما فاسقا مضلا مستهترا بالدين من علماء بنى إسرائيل . وهو الذى أخفى توراة موسى الأصلية الصحيحة وكتب بدلها التوراة الموجودة اليوم بيد أهل الكتاب .

(٢) أنبياء الجن من الانس ، لأن دعوة موسى عليه السلام كانوا مكلفين بها ، وهم اليوم مكلفون بالقرآن كما هو مذكور فى سورة الاحقاف .

وسارة ، ولم يصح عندنا فى ذلك شئ» انتهى وقد روى الترمذى مرفوعا وصححه : « حسبك من نساء العالمين بأربع مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ » وفى رواية : « سيدات نساء العالمين » وفى رواية « أفضل نساء أهل الجنة »

ولما خاطبت الملائكة مريم بالبشارة لها وبأنه سينفث لها ولدا زكيا نبيا كريما طاهرا مكرما مؤيدا بالمعجزات ، تعجبت من وجود ولد من غير والد فأخبرتها الملائكة بأن الله تعالى قادر على من يشاء « اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » فاستكانت لذلك وأتابت وسلمت لأمر الله تعالى ، وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة ، فان الناس يتكلمون فيها بسببه لأنهم لا يعلمون حقيقة الامر وانما ينظرون الى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تعقل ، وكانت انما تخرج من المسجد فى زمن حيضها أو الحاجة ضرورية لا يبد منها من استقاء ماء أو تحصيل غذاء فبينما هى يوما قد خرجت لبعض شئونها وانتبذت أى انفردت وحدها شرقى المسجد الاقصى ، اذ بعث الله تعالى اليها الروح جبريل الامين ، فمثل لها بشرا سويا فلما رآته « قالت انى اعود بالرحمن منك ان كنت تقيا » فخطبها جبريل قائلا « انما انا رسول ربك » لست ببشر ولكننى ملك بعثنى الله تعالى اليك ليهب لك غلاما زكيا « قالت كيف يكون لى غلام » ويوجد لى ولد ولست ذات زوج ولا انا ممن يفعل الفاحشة قال الملك « قال ربك هو على هين » فانه على ما يشاء قدير وليجعل خلقه آية للناس والحالة هذه دليل على كمال قدرتنا على أنواع الخلق ، فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى ، فخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ليكول القسمة يرحم به العباد بأن يدعوهم الى الله تعالى فى صغره وكبره ، بأن يفردوا الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له وينزهوه عن اتخاذ صاحبة والولد والشركاء والنظراء والأنداد .

فالذى اتصل بها من جبريل هو الروح المضافة الى الله تعالى اضافة تشريف وتكريم وهى مخلوقة من مخلوقات الله تعالى كما يقال بيت الله ، وسمى عيسى بها لأنه من غير أب ، وهى الكلمة

وذكر غير واحد من السلف أنه نفخ (١) في جيب درعها فنزلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع زوجها . واختلف العلماء في مدة حملها فالأشهر أنه تسعة أشهر (٢) وقيل ثمانية وقيل ستة وقيل ساعة ، وعمرها اذ ذاك ثلاثة عشر سنة وقيل خمسة عشر سنة ، ثم شاع أمر مريم في بني اسرائيل ، وأنها حامل من غير زوج وتوارت عنهم واعتزلتهم وانتبذت مكانا قصيا ، فاجأها واضطرها الطلق إلى جذع النخلة .

وروى البيهقي إلى بيت لحم فوضعتة ، فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمتت ان لو كانت ماتت قبل هذا الحال أو لم تخلق بالكلية ، لما علمت ان الناس يتهمونها ولا يصدقونها حتى تأتيتهم بالفلام على يدها ، مع أنها كانت عندهم من العبادات الناسكات ومن بيت النبوة (٣) فناداها جبريل من تحتها ولم يتكلم عيسى الا بحضرة القوم ، وفي رواية المنادي ابنها فانلا لها : « لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريرا » أى نهر (٤) أو « هزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » فذكر الطعام والشراب وكان جذع النخلة يابساً ، فكلم الناس وهو ابن أربعين يوماً ثم لم يتكلم بعدها حتى بلغ زمان كلام الصبيان ، وقيل فان رأيت أحداً من البشر فقولى بلسان الحال والاشارة : « انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » وكان من صومهم فى شريعتهم ترك الكلام والطعام ، فلما ضاق الحال وانحصر المجال واتسع المقال ، عظم التوكل على ذى الجلال ولم يبق الا الاخلاص والاتكال « فأشارت اليه » أى خاطبوه وكلموه ، فان جوابكم عليه .

(١) النفخ كناية عن القدرة من الله .

(٢) هو تسعة أشهر لحجاء المخاض لمريم ، والمخاض يدل على أن الولادة عادية وكان عمرها ثلاث عشرة سنة — على رأى —

(٣) ومن بيت هرون ، وهو بيت العلم .

(٤) السرى هو السيد المطاع .

فَعِنْدَهَا قَالِ مَنْ كَانَ جَبَارًا شَقِيًّا : « كَيْفَ نَكَلِمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا » أَي كَيْفَ تَحْلِيلِنَا فِي الْجَوَابِ عَلَى صَبِيٍّ لَا يَعْقِلُ الْخَطَابَ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ رَضِيْعٌ فِي مَهْدِهِ ؟ وَمَا هَذَا مِنْكَ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّهْكِيمِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالتَّنْقِيصِ لَنَا وَالِازْدِرَاءِ ؟ أَلَا تَرُدِّينَ عَلَيْنَا قَوْلًا ؟ فَعِنْدَ ذَلِكَ « قَالَ أَنِي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا » وَهَذَا أَوَّلُ الْكَلَامِ تَفَوُّهُ بِهِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ اعْتَرَفَ فِيهِ لِرَبِّهِ بِالْعِبُودِيَّةِ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَبُّهُ ، فَتَزَهَّجُنَا الْبَارِي تَعَالَى قَوْلَ الظَّالِمِينَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ ، بَلْ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَابْنُ أُمَّتِهِ ثُمَّ بَرَأَ أُمَّهُ مِمَّا أَنْسَبَهَا إِلَيْهِ الْجَاهِلُونَ وَقَذَفُوهَا بِهِ وَرَمَوْهَا بِسَبَبِهِ بِقَوْلِهِ « آتَانِي الْكِتَابَ » فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعْطِي النَّبُوَّةَ مِمَّنْ هُوَ كَمَا زَعَمُوا فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ « بِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَانًا عَظِيمًا » وَذَلِكَ أَنَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ قَالُوا أَنِهَا حَمَلَتْ بِهِ مِنْ زَنَانٍ فِي زَمَنِ الْحَيْضِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ مِنْ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ مِنْ ابْنِ خَالِهَا يُوسُفَ النَّجَارِ وَكَانَ يَتَعَبَّدُ مَعَهَا فِي الْمَسْجِدِ وَظَهَرَتْ مَعْجَزَاتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَالِ صُغُرِهِ .

وَلَمَّا تَرَعَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَمَّتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَخَافَتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أُمِّهِ أَنْ تَنْطَلِقَ بِهِ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ (١) فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ » وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذِهِ الرِّبْوَةِ ، فَقِيلَ مَحَلَّةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَقِيلَ أَنْهَارُ دِمَشْقَ ، وَزَعَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّ ذَلِكَ بِمِصْرَ ، وَقِيلَ الرَّمْلَةُ .

ثُمَّ أَنِهَا رَجَعَتْ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمَّا بَلَغَ عَمْرُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ ، وَلَمَّا تَنَبَّأَ كَانَ لَهُ مِنَ الْعَمْرِ ثَلَاثُونَ سَنَةً عَلَى الْمَشْهُورِ ، وَأَظْهَرَ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ

(١) مِنَ الْمَوْكَدِ أَنَّ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى « مِصْرَ » فِي الصُّغُرِ مَعَ أُمِّهِ — خِلَافًا لِرَوَايَاتِ الْإِنَّاجِيلِ كَمَا بَيَّنَّا فِي كِتَابِ اِقْتِبَاسَاتِ كِتَابِ الْإِنَّاجِيلِ مِنَ التَّوْرَةِ — وَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ قَدْ ذَهَبَ إِلَى مِصْرَ ، بَعْدَ ارْتِدَاءِ الْيَهُودِ قَتْلَهُ وَصَلْبِهِ . وَهَذَا اِحْتِمَالٌ قَوِيٌّ جِدًّا وَتَوْيِيدُهُ الْآثَارُ الَّتِي تَقُولُ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى مِصْرَ ، مَعَ فَارِقِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ .

الجملة كخلق الطير واحياء الموتى وغير ذلك ، وعمر عيسى عليه السلام ثلاث وثلاثون سنة على المشهور وقيل عمره اكثر من ذلك (١) .

وقال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد « قيل والأربعين سنة تبعث الرسل ، وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع الى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة ، فهذا لا يعرف به أثر متصل يجيب المصير اليه » انتهى .

وتوفيت أمه ولها من العمر احدى وخمسون سنة ، وقد عاشت بعد رفعه ست سنين ، ومفصل أحوالهما فى التفاسير والتواريخ ، من أراد ذلك فليرجع اليهما والله تعالى أعلم .

ولنرجع الى تفسير بقية الآيات التى نحن بصدد ذكرها . قال تعالى : « ويعلمه الكتاب » يعنى الكتابية والخط باليد « والحكمة » أى العلم والسنة وأحكام الشرائع « والتوراة والانجيل » وهذا اخبار من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد الذى بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة « ورسولا » بنى اسرائيل « أى ويجعله رسولا الى بنى اسرائيل وكان أول أنبيائهم يوسف أو موسى (٢) وآخرهم عيسى « أنى قد جئتمكم بأية من ربكم » يعنى بعلامة على صدق قولى ، ولما قال ذلك لهم قالوا : وما هذه الآية ؟ قال أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه ، فيكون طيرا باذن الله « قال ابن عباس أنها خلق عيسى طائرا واحدا وهو الخفاش ، قيل انه لم يخلق غير الخفاش لما فيه من عجائب الصنعة ، وقيل كان يطير مادام الناس ينظرونه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الله من فعل عبده ، وأبرء الأكمه وهو الذى يولد أعمى وقيل هو الاعمى وان كان أبصر وقيل هو

(١) فى انجيل يوحنا أن اليهود قالوا لعيسى عليه السلام ليس لك خمسون سنة بعد . وفهم منها بعض مفسرى الانجيل ان المسيح كان قريبا من الخمسين .

(٢) اليهود هم من ولد يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم . ويوسف هو ابن يعقوب . وموسى هو أول نبي صاحب شريعة فى بنى اسرائيل . وآخر أنبيائهم عليه السلام .

الاعشى وهو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل « والإبرص » هو الذى به وضح ، وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام ، الطب (١) فأراهم المعجزة من جنس ذلك الا أنه ليس فى علم الطب ابراء الأكمه والإبرص فكان ذلك معجزة له دليلا على صدقه « وأحى الموتى » قال ابن عباس أحيى أربعة (٢) أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام ابن نوح وكلهم بقى وولد له الا سام ، وقيل كان دعاؤه باحيائهم يا حى يا قيوم باذن الله كرده لنفى تكرار الالوهية فيه ، فهو رد على النصارى « وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم » أى بما أكلتم البسارحة من طعام وما خبأتم منه . وعن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه قال بما تاكلون من المائدة أى المنزلة عليهم من السماء ، وما تدخرون منها وكان أخذ عليهم فى المائدة حين نزلت أن يأكلوا ولا يدخروا فأكلوا وادخروا وخانوا فجعلوا قردة وخنازير ، وفى هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهذا اخبار عن المصفيات مع ما تقدم له من الآيات الباهرات واخباره عن الغيوب باعلام الله سبحانه اياه بذلك .

وأما اخبار المنجم والكاهن فلا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد فى اخباره عليها ، وقد يخطئ فى كثير مما يخبرونه ولو كان شئ من ذلك عند المسيح عليه السلام لوصل الينا كما نقل عن

(١) لم يكن الطب غالبا على زمان عيسى عليه السلام . وانما كان علماء بنى اسرائيل فى زمانه يطوفون القرى والمدن يكتب السحر والتنجيم وطوالع الغيب ، ريوهمون المرضى بالشفاء بواسطة الأحجية والتمايم والبخور والتفل فى الماء ورشه على جسد المريض وما شاكل ذلك . وبعض المرضى كانوا يشفون بالمصادفة أحيانا ، وبازالة الوهم من نفوسهم أحيانا . فانه تعالى جعل معجزة المسيح من جنس ما كان يفعله الغلماء فى زمانه ، وأيده بأنه كان يتم الشفاء على يديه . فيتعجب الناس من فعله ويعلمون أنه مؤيد من الله .

(٢) أحيى ثلاثة فقط ليس منهم سام .

غيره من أمثال ذلك « ان فى ذلك » المذكور من خلق الطير وغيره « آية لكم » أى عبرة ودلالة على صدق « ان كنتم مؤمنين » أى مصدقين بذلك انتفعتم بهذه الآية « ومصدقنا » أى وجئناكم مصدقا « لما بين يدي من النوراة » وذلك لأن الانبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألف سنة وتسعمائة وخمس وسبعون سنة (١) « ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » من الاطعمة كالشحوم وكل بعضهم بعضا وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألف سنة وتسعمائة وخمس وسبعون سنة (٢) « ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » من الأطعمة كالشحوم وكل ذى ظفر ، عن وهب : أن عيسى كان على شريعة موسى وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبنى اسرائيل انى لم أدعكم الى خلاف حرف مما فى التوراة الا لأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وأضح عنكم الاضمار » وعن الربيع قال كان الذى جاء به عيسى ألين مما جاء به موسى لحوم الابل والشروب فأحلها لهم على لسان عيسى وحرم عليهم الشحوم فأحلّت لهم فيها جاء به عيسى عليه السلام ، وفى أشياء من السمك وفى أشياء من الطير وفى أشياء آخر حرّمها عليهم وشدّد عليهم فيها فجاءهم عيسى بالتخفيف منه فى الانجيل « وجئناكم بأية من ربكم » هى قوله « ان الله ربي وربكم » وانما كان ذلك آية على نبوته لأن من قبله من الرسل كانوا يقولون ذلك فمجيئه بما جاءت به الرسل دليل على نبوته ، ويحتمل أن تكون تكريرا لقوله « انى قد جئناكم بأية من ربكم » فهى إما تأكيد أو تأسيس (٣) « فاتقوا الله وأطيعون » يا بنى اسرائيل لأن طاعة الرسول من توابع تقوى الله « ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » يعنى التوحيد وفيه حجة بالغة على النصارى الزاعمين ألوهيته فكذبوه ولم يؤمنوا به « فلما أحس عيسى منهم الكفر » وأدركه وعرفه ،

-
- (١) فى تواريخ النصارى ألف وخمسمائة وواحد وسبعون تقريرا على سبيل الظن .
(٢) كلام وهب صحيح لقول المسيح فى انجيل متى : « ما جئت لأنقض الناموس أو الانبياء » والمسيح أحل ما حرّمه العلماء على الناس .
(٣) المراد بأية من ربكم : مجموع معجزاته .

وأصل الاحساس وجود الشيء بالحاسة والمراد به هنا الإدراك القوى الجارى مجرى المشاهدة بالكفر اصرارهم عليه ، سمع منهم كلمة الكفر ، وقال الفراء أرادوا قتله ، وعليه فمعنى الآية فلما أدرك عيسى منهم ارادة قتله التى هي كفر قال « من أنصارى الى الله » الانصار جمع نصير والى قيل بمعنى أو من انصارى متوجها الى الله وملتجئا اليه أو فى المسيل الى الله تعالى ؟ « قال الحواريون » جمع حوارى وحوارى الرجل صفوته وخلصته ، وهو مأخوذ لغة من الحور وهو البياض والحوارى الناصر أو الوزير ، واختلف فى سبب تسميتهم بذلك فقيل لبياض ثيابهم وقيل ثيابهم وقيل لخلوص نياتهم ، وقيل لأنهم خاصة الانبياء وكانوا اثني عشر رجلا وهم أول من آمن به عليه السلام ، ولما قال لهم ذلك « قالوا نحن انصار الله » أى انصار دينه ورسله « آمنا بالله استئناف جارى مجرى العلة لما قبله ، فان الايمان يبعث على النصر « واشهد » يا عيسى لنا يوم القيامة « باننا مسلمون أى مخلصون لايماننا منقادين » لما تريد منا ، وبعد أشهدوه اقبلوا داعين متفرغين الى الله تعالى بقولهم « ربنا آمنا بما أنزلت » فى كتبك « واتبعنا الرسول » عيسى فى كل ما يأتى به « فاكتبنا مع الشاهدين » لك بالوحدانية ولرسولك بالرسالة ، واجعلنا نى عدادهم ومعهم فيما تكرمهم ، به وقيل مع محمد ﷺ « ومكروا » أى الذين أحس عيسى عليه السلام منهم الكفر وهم كفار بنى اسرائيل اذ وكلوا به من يقتله غيلة أى خفية ومكر الله هو استدراجه للعباد من حيث لا يعلمون . وقيل مكر الله مجازاتهم على مكربهم ، فسمى الجزاء باسم الابتداء للمشاكله اذ أصل المكر الاحتيال والخدع فلا يسند الى الله هنا القاء شبه عيسى اليه . وقال السدى ان بنى اسرائيل حصروا عيسى فى بيت ومعه الحواريون فقال لهم : من يأخذ صورتى فيقتل وله الجنة ؟ فأخذها رجل منهم وصعد بعيسى الى السماء ، فلذلك قوله تعالى « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » أى أقوالهم ومكروا وأنقذهم كيذا وأقدرهم على ايصال الضرر بمن يريد ايصاله من حيث لا يحتسب .

وفى سورة المائدة أيضا مما يتعلق بالمسيح عليه السلام ما ذكره سبحانه توبيخا للنصارى الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام

وقد كان طعن سائر الأمم مقصورا على الانبياء عليهم السلام وطعن هؤلاء تعدى الى جلال الله وكبريائه ، حيث وصفوه بما لا يليق بعامل أن يصفوا الاله به ، فلا جرم ذكر تعالى نعمه على عيسى تقريبا للنصارى على سوء مقالتهنم ، فان كل نعمة من النعم الآتية المعدودة تدل على أنه عيد وليس باله ، وذلك قوله سبحانه وتعالى : « اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهدي وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرىء الأكمة والابصر باذنى ، واذ تخرج الموتى باذنى ، واذ كفت بنى اسرائيل عنك اذ جننهم بالبينات ، فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين »

قال الامام الرازى فى الروح القدس المتقدم فى الآيه وجهان الأول هو جبريل عليه السلام فالروح جبريل ، والقدس هو الله تعالى كأنه اضافة الى نفسه تعظيما له الثانى أن الأرواح مختلفة بالماهية فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرية ، ومنها خيرية ومنها نذلة ولهذا قال النبى عليه الصلاة والسلام « الأرواح جنود مجندة » فالله تعالى خص عيسى بالروح الطاهرة النورانية المشرقة العلوية الخيرية « انتهى .

وقد اشبعنا الكلام على الروح القدس فى محل آخر من هذا الكتاب مراجعه ولا تغفل .

تمة : قال العلامة ابن القيم عليه الرحمة فى كتابة هداية الحيارى .

فصل

« ونحن نبين أن النصارى لا يمكنهم أن يثبتوا للمسيح فضيلة ولا نبوة ولا آية ولا معجزة الا باقرارهم أن محمدا ﷺ رسول الله والا فمع تكذيبه لا يمكن أن يثبت للمسيح عليه السلام شىء من ذلك البتة ، فنقول اذا كفرتم معاشر المثلثة بالقرآن وبمحمد ﷺ فمن أين لكم أن تثبتوا لعيسى فضيلة أو معجزة ؟ ومن نقل اليكم عنه آية أو معجزة ؟ فانكم انما تبعتم من بعده بنيف على مؤين وعشرات من السنين ، اخبرتم عن منام رأى وشرعتم الى

تصديقه وكان الأولى لمن كفر بالقرآن أن ينكر وجود عيسى لانه لا يقبل قول اليهود فيه ولا سيما وهم أعظم اعدائه الذين رموه بالعظائم فأخبار المسيح والصليب انما شيوخكم فيها اليهود ، وهم فيما بينهم مختلفون فى أمره أعظم اختلاف ، وانتم مختلفون معهم فى أمره ، فاليهود تزعم أنهم حين أخذوه حبسوه فى السجن أربعين يوما وقالوا ما كان لكم أن تحبسوه أكثر من ثلاثة أيام ثم تقتلوه الا أنه كان يعضده أحد قواد الروم لأنه كان يداخله فى صنعة الطب عندهم . وفى الانجيل الذى بأيديكم أنه أخذ صبح يوم الجمعة وصلب فى الساعة التاسعة من اليوم بعينه ، فمتى تتوافقون مع اليهود فى خبره ؟ واليهود مجمعة أنه لم يظهر له معجزة ولا بدت منه لهم آية غير أنه طار يوما وقد هموا بأخذه فطار على أثره آخر منهم ، فعلاه فى طيرانه ، فسقط الى الأرض بزعمهم . وفى الانجيل الذى بأيديكم فى غير موضع ما يشهد أنه لا معجزة له ولا آية ، فمن ذلك أن فيه منصوصا أن اليهود قالوا له يوما : ماذا تفعل حتى تنتهى به الى امر الله تعالى ؟ فقال امر الله أن تؤمنوا بمن بعثه ، فقالوا له : وما آيتك التى ترينا ونؤمن بك ، وانت تعلم أن آباءنا قد أكلوا المن والسلوى بالمفاوز ؟ قال ان كان أطمعكم موسى خبزا فانا أطمعكم خبزا سماويا ، يريد نعيم الآخرة .

ولو عرفوا له معجزة ما قالوا ذلك . وفى الانجيل الذى بأيديكم أن اليهود قالت له ما آيتك التى نصدقك بها ؟ قال اهدموا البيت ابنى له فى ثلاثة أيام فلو كانت اليهود تعرف له آية لم تقل هذا . ولو كان قد أظهر لهم معجزة لذكرهم بها حينئذ . وفى الانجيل الذى بأيديكم أيضا أنهم جاءوا يسألونه آية فخذفهم ، وقال « أن القبيلة الفاجرة الخبيثة تطلب آية فلا تعطى ذلك » وفيه أيضا أنهم كانوا يقولون له وهو على الخشبة بظنكم ان كنت المسيح فأنزل نفسك فنؤمن بك ، يطلبون بذلك آية فلم يفعل ، فاذا كدرتم معاشر المثلثة بالقرآن لم تتحقق لعيسى بن مريم عندهم آية ولا فضيلة ، فان أخباركم عنه وأخبار اليهود لا يلتفت اليها لاختلافكم فى شأنه أشد الاختلاف وعدم يقينكم لجميع أموره ، وكذلك اجمعت اليهود

على أنه لم يدع شيئا من الألوهية التي نسبتهم إليه ادعاءها وكان أقصى
مرادهم أن يدعى ذلك ليكون أبلغ في تسلطهم عليه ، وقد ذكر السبب
في استفاضة ذلك عليه وهو أن أخبارهم وعلماءهم لما مضى وبقي ذكره ،
خافوا أن تصير عامتهم إليه ، إذ كان على سنن تقبلها قلوب الذين لا غرض
لهم ، فشنعوا عليه أمور كثيرة ونسبوا إليه دعوى الالهية ، تزهيدا للناس
في أمره .

ثم ان اليهود عندهم من الاختلاف في أمره ما يدل على عدم يقينهم
بشيء من أخباره ، فمنهم من يقول انه كان رجلا منهم ويعرفون أباه
من الزنا ، وهو البندير الرومي وأمه مريم الماشطة ، ويزعمون أن زوجها
يوسف بن يهودا وجد « البنديرا » عندها على فراشها أو شعر بذلك
فهجرها وأنكر ابنها ومن اليهود من رغب عن هذا القول ، وقالوا
انها أبوه يوسف بن يهودا الذي كان زوجا لمريم ، ويذكرون أن السبب
في استفاضة اسم الزنم عليه أنه بينا هو يوما مع معلمه يهشوع ابن برخيا
وسائر التلاميذ في سفر ، فنزلوا موضعا وجاءت امرأة من أهله وجعلت
تبالغ في كرامتهم ، فقال يهشوع ما أحسن هذه المرأة يريد أفعالها فقال عيسى
بزعمهم لولا عمش في عينها ، فصاح يهشوع وقال له ، يا مزار ترجمته
يا زنيم ، أتزنى بالنظر ؟ وغضب غضبا شديدا وعاد الى بيت المقدس
وحرّم اسمه ولعنه في أربعمئة قرن ، فحينئذ لحق ببعض قواد الروم
وداخله بصناعة الطب ، فتوى لذلك على اليهود ، وهو يومئذ في ذمة
قيصر تبادبوش ، وجعل يخالف حكم التوراة ويستدرك عليها ويعرض عن
بعضها الى أن كان من أمره ما كان ، وطوائف من اليهود يقولون غير
هذا ، يقولون انه كان يلاعب الصبيان بالكرة فوَقعت لهم بين جماعة من
مشايخ اليهود فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم حياء من المشايخ ،
فتوى عيسى وتخطى رقابهم وأخذها ، فقالوا له ما نظنك الا زنيم .

ومن اختلاف اليهود في أمره أنهم يسمون أباه بزعمهم الذي هو خطيب
مريم يوسف بن يهود التجار وبعضهم يقول انها هو يوسف الحداد

والنصارى تزعم أنها كانت ذات بعل وأن زوجها يوسف بن يعقوب .
قلت : وبعضهم يقول ان له اخوة وأخوات كما يشعر به ظاهر انجيلهم ،
وبعضهم يقول يوسف بن آل ، وهم يختلفون أيضا في آباءه وعددهم الى
ابراهيم ، فمن مقل ومن مكثر ، فهذا ما عند اليهود وهم شيوخكم في نقل
الصلب وأمره .

والا فمن المعلوم أنه لم يحضره أحد من النصارى وانها حضره اليهود
وقالوا قتلناه وصلبناه ، وهم الذين قالوا فيه ما حكيناه عنهم ، فان
صدقتموهم في الصلب فصدقوهم في سائر ما ذكروه ، وان كذبتوهم فيما
نقلوه عنه ، فما الموجب لتصديقهم في الصلب وتكذيب أصدق الصادقين
الذى قامت البراهين القطعية على صدقه أنهم ما قتلوه وما صلبوه بل
صانه الله تعالى وحياه وحفظه ، وكان أكرم على الله عز وجل وأوجه
عنده من أن يبتايه بما تقولون أنتم واليهود ؟

وأما خبر ما عندكم أنتم فلا نعلم أمة من الأمم أشد اختلافا في
معبودها ونيبها ودينها منكم ، فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمة وأباه
عن دينهم لأجابك كل منهم بغير جواب الآخر ولو اجتمع عشرة منهم يتذكرون
الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً مع اتفاق فرقهم المشهورة اليوم على القول
بالتثليث وأن المسيح بن مريم ليس بعبد صالح ولا رسول وأنه اله في
الحقيقة ، وأنه هو خالق العالم ومرسل الرسل والمظهر على أيديهم
المعجزات ، وأنه نزل ودخل بطن مريم ثم ولد وصلب ثم مات وقبر وقام
بعد ثلاثة أيام وصعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه ، ثم اختلفوا وصاروا
فرقا كثيرة ، فمنهم اليعقوبية اتباع يعقوب البرادعى ولقب بذلك لأن لباسه
كان من خروق برادع الدواب يرقع بعضها ببعض ويلبسها ، وعقيدتهم أن
المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين ، ومنهم الملكية وهم الروم نسبة الى
دين الملك ، لا الى رجل يدعى ملكيا ، وعقيدتهم ان المسيح طبيعتان ناسوتية
ولاهوتية ، وله مشينتان . ومنهم النسطورية وعقيدتهم أن المسيح شخصان
وطبيعتان لها مشينة واحدة ، ومنهم الأريوسية وهم أتباع أريوس ،
وعقيدتهم أن المسيح كسائر الانبياء وهو مربيوب ومخلوق وكان النجاشي
على هذا المذهب ، فهذه أقوال أعداء المسيح من اليهود والغالين فيه من

النصارى المثلثة ، فبعث الله نبينا محمدا ﷺ بما أزال الشبهة في أمره وكشف الغمة وبراء المسيح وأمه مما افتراه المثلثة واليهود أهل العناد والجحود .

فلولا محمد ﷺ لما عرفنا أن المسيح بن مريم الذي هو رسول الله وعبده وكلمته وروحه موجود أصلا فان هذا المسيح الذي أثبتته اليهود من شرار خلق الله تعالى والمسيح الذي أثبتته النصارى من أبطل الباطل لا يمكن وجوده في عقل ولا فطرة ، ويستحيل أن يدخل في الوجود أعظم استحالة . ولو أمكن وجوده لبطلت أدلة العقول ولم يبق لأحد ثقة بمعقول ، فان استحالة وجوده فوق استحالة جميع المحالات ، ولو صح ما يقولون لبطل العالم واضمحلت جميع المخلوقات ولا تعجب من اطباقتهم على هذا المحال فان كثيرا من الأمم قد أجمعوا أيضا على الكفر والضلال .

انتهى بتلخيص لبعض المحال .

قال العلامة ابن القيم .

فصل :

لو لم يظهر نبينا محمد ﷺ لبطلت نبوة سائر الانبياء ، فظهور نبوته تصديق لشهادتهم ، وشهادة لها بالصدق ، فارساله من آيات الأنبياء قبله ، وقد أشار سبحانه وتعالى الى هذا المعنى في قوله « بل جاء بالحق وصدق المرسلين » فان المرسلين بشروا به وأخبروا بمجيئه هو نفس صدق خبرهم ، فكان مجيئه تصديقا لهم (١) اذ هو تأويل ما أخبروا به ولاتنا في بين هذا وبين القول الآخر أن تصديقه المرسلين شهادته بصدقهم وايمانهم ، فانه صدقهم بقوله ومجيئه ، فشهد بصدقهم بنفس مجيئه ، وشهد بصدقهم بقوله . ومثل هذا قول المسيح « ومصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » فان التوراة لما بشرت به ونبوته كان ظهوره تصديقا لهم ، ثم وبشر برسول يأتي من بعده فكان ظهور الرسول المبشر به تصديقا للتوراة ، فعادة الله عز وجل في رسله أن

(١) على هذا المعنى يكون « وأيدناه بروح القدس » أى أيدناه

بمحمد ﷺ فهو مذكور عندهم « بمركلية الروح القدس » (يوحنا ١٤)

السابق يبشر باللاحق ، واللاحق يصدق السابق ، فلو لم يظهر سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ ولو لم يبعث لبطلت نبوة الأنبياء قبله . والله سبحانه لا يخلف وعده ولا يكذب خبره وقد كان بشر ابراهيم عليه السلام وهاجر ببشارات بينات ولم نرها تمت ولا ظهرت الا بظهور رسول الله ﷺ ، فقد بشرت هاجر من ذلك ما لم تبشر به امرأة من العالمين غير مريم بنت عمران بالمسيح عليه السلام .

على أن مريم بشرت به مرة واحدة وبشرت هاجر باسمايل عليه السلام مرتين ، وبشر به ابراهيم مرارا ، ثم ذكر سبحانه هاجر بعد وفاتها كالمخاطب لها على السنة الأنبياء ، ففى التوراة أن الله تعالى قال لابراهيم « قد أجبته دعائك فى اسماعيل وباركت عليه وكثرت عظمته جدا جدا ، وسيلد اثنى عشر عظيما واجعله لامة عظيمة » هكذا ترجمه بعض المترجمين ، وأما فى الترجمة التى ترجمها اثنان وسبعون حبرا من أبحار اليهود فانه يقول « وستلد اثنى عشر أمة من الأمم » وفيها : لما هربت هاجر من سارة تراءى لها ملاك الله ، وقال « يا هاجر أمة سارة ، من أين ثقيلت ؟ والى أين تذهبين ؟ قالت : أهرب من سيدتى فقال لها الملك : ارجعى الى سيدتك واخضعى لها ، فانى ساكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة ، وها أنت تحبلين وتلدن ابنا تسميه اسماعيل لأن الله قد سمع تذلك وخشوعك ، وهو يكون عين الناس وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع ، ويكون مسكنه على تخوم جميع اخوته » وفى موضع آخر قصة اسكانها وابنها اسماعيل فى بركة فاران ، وفيها : فقال لها الملك يا هاجر ليفرج روعك ، فقد سمع الله تعالى صوت الصبى ، قومى فاحمله وتمسكى به فان الله جاعله لامة عظيمة ، وان الله تعالى فتح عليها فاذا بيئر ماء ، فذهبت وملئت المزادة منه ، وسقت الصبى منه وكان الله معها ومع الصبى ، حتى تربى وكان مسكنه فى بركة فاران »

فهذه أربع بشارات خالصة لام اسماعيل نزلت اثنتان منها على ابراهيم واثنتان على هاجر ، وفى التوراة بشرات باسمايل وولده وانهم أمة عظيمة جدا وأن نجوم السماء تحصى ولا يحصون ، وهذه البشارة انما تمت بظهور سيدنا محمد بن عبد الله وأمه وأن بنى اسحاق

لم يزالوا مطردوين مشردين خولا للنراعة والقبط ، حتى أنقذهم الله تعالى بنبيه وكليمه موسى بن عمران عليه السلام وأورثهم أرض الشام فكانت كرسى مملكتهم ، ثم سلبهم ذلك وقطعهم فى الأرض أمما مسلوبا عزهم وملكهم ، قد أخذتهم سيوف السودان وعلتهم أعلاج الحمران ، حتى اذا أظهرت تلك البشارات بعد دهر طويل وعلت وانتشروا فى آفاق الدنيا ومدت وعلت بنو اسماعيل على من حولهم فهشموهم هشما وطحنوهم طحنا وانتشروا فى آفاق الدنيا ومدت الأمم أيديهم اليهم بالذل والخضوع وعلوهم علو الثريا فيما بين الهند والحبشة والسوس الأقصى وبلاد الترك والصقالبة والخزر ، وملكوا ما بين الخافقين ، وحيث ملتنقى أمواج البحرين ، وظهر ذكر ابراهيم على السنة الأمم كلها فليس صبى من بعد ظهور النبى ﷺ ولا امرأة ولا حر ولا عبد ولا ذكر ولا أنثى الا وهو يعرف براهيم وآل ابراهيم .

وأما النصرانية وان كانت قد ظهرت فى أمم كثيرة جليلة ، فانه لم يكن لهم فى محل اسماعيل وأمه هاجر سلطان ظاهر ولا عز قاهر البتة ولا صارت أيدي هذه الأمة فوق أيدي الجميع ولا امتدت اليهم ، ويفيد مجموعها العلم القطعى بأن المراد بها سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وأمه فانه لو لم يقع تأويلها بظهوره عليه الصلاة والسلام ، بطلت تلك النبوات ، ولهذا لما علم الكفار من أهل الكتاب انه لا يمكن الايمان بالأنبياء المتقدمين الا بالايمان بالنبى اذا بشروا به ، قالوا نحن فى انتظاره ولم يجيء بعد ، ولما علم بعض الغلاة فى كفره وتكذيبه منهم أن هذا النبى فى ولد اسماعيل أنكروا أن يكون لابراهيم ابن اسمه اسماعيل ، وأن هذا لم يخلقه الله تعالى . ولا يكثر على أمة البهت واخوان التروذ وقتلة الأنبياء مثل ذلك « انتهى .

قال النصراني : « فلنخبر الآن ملخصا كيف كان ابتداء الدعوة ؟ »
قلقول : لما أتت على سيدنا يسوع المسيح ثلاثون سنة ، وظهر يحيى بن
زكريا بتلك المعمودية بماء نهر الأردن التي للتوبة صار إليه المسيح ليصطبغ
منه ، فلما رآه يحيى ، قال : هذا حمل الله الحامل خطايا العالم ، ثم قال
يا سيدى أنا محتاج أن أظهر منك وأنت صرت الى لتتظر منى ؟ فأجابه
يسوع قائلا : دع الآن لأنه هكذا يجب علينا أن نكمل كل البر ، ثم لم يزل
مجتهدا حتى عمده فلما صعد المسيح من الماء انفتحت أبواب السماء
فظاهرا مكشوفنا تجاه العالمين الذين كانوا هناك ، فرأوا الروح القدس قد
حل عليه فى صورة حمامة ، وإذا بهاتف يهتف من السماء بصوت عال قائلا :
هذا هو ابنى الحبيب الذى سررت ، فتعجب لذلك يحيى بن زكريا وجميع من
حضر ، ثم ابتدا فى اظهار دعوة الناس بعد ذلك الى اليوم الذى طلع فيه
الى السماء وحثهم على التوبة ورفض الدنيا والزهد فيها وترك الأهلى والولد
والأموال واللحوق به والترغيب فى أعمال البر والكف عن المائم والتحبيب
لاصطناع المعروف الى كل واحد ، وترك الضغائن والحسد والطلب بالطوائف
والأخذ بالثأر وترك المكافاة عن الاساءة والصفح عنها والتفضل على كل أحد
بما هو حسن ، واعلمهم أن هذا يقربهم الى الله تبارك اسمه ، وحثهم على فعل
ذلك ليستحقوا به جزيل الثواب وعظيم الأجر فى دار الملب التى لا زوال
لحياتها ولا انقطاع لنعيمها ، وأنذرهم بالبعث والنشور والقيام بعد الموت
للساب والثواب والعقاب ، فمن عمل صالحا فله ثواب ذلك فى ملكوت
السماء ومن عمل شرا فعليه العقاب فى نار جهنم خالدا فيها أبدا ، وحقق قوله
بعملة الأعاجيب وصدق وعده ووعيده بالآيات الظاهرة والعلامات الباهرة
والدلائل الواضحة التى لا يمكن المخلوقين أن يأتوا بمثلها . وذلك بقاية الرفق
والتواضع والخشوع ومجانبة الفخر والبذخ الذين هما من فعل الشيطان
وأشباهه ، واطهار الرحمة والمحبة والشفقة على الناس كافة ، وبذلك
كل ما سئل او طلب منه لا يطلب على ذلك من أحد اجرا ولا شكرا الا تمجيد
الله وتحميده والتصديق بان الله جل وعز قد انجز وعده على السن أنبيائه
واكمل وجوده وتفضله على آدم ونريته ، إذ بعث اليهم كالمه متجسدا
منهم وانقذهم من ضلالة الشيطان وسلطان الموت وعرفهم نفسه انه اله

واحد ذو ثلاثة ألقاب آبا وابن وروح قدس ، فكان أول ما دعاهم به قوله : « توبوا ايها الناس قد دنا ملكوت السماء (١) فاعى فى آذانهم ذكر التوبة والبعث الذين لا عهد لهم بها ولا يعرفونها ورجبهم فى ملكوت السماء ، ليعملوا أعمالا لا يستحقون بها الدخول اليها وزهدهم فى الأفعال التى كانوا مقبئين عليها الرجوع عنها الى الأمر الذى يوجب لهم مغفرة الخطايا وصام أربعين يوما بلياليهم تخذه فيها الملائكة وتتعبد له ، وهو يجاهد فى صومه كيد الشيطان معرفا للناس أن الله تبارك اسمه قاسر على أن يحيى الانسان بغير خبز ولا ماء ممثلا فى ذلك حال حياتنا بعد الموت فى القيامة وأنه فى ذلك الوقت ترتفع عنا الحاجات كلها ويحيا بلا أكل ولا شرب » انتهى .

أقول لا يخفى على كل من نظر هذه الكلمات وتدبرها بقلب سليم خال عن اتباع الهوى الشهوات وسيئى الضلالات ، أنها مصرحة بعبودية عيسى عليه السلام لذى الجلال والاكرام ، وانه تنبأ عندما جاءه روح القدس كالحمامة لأنه لو كان حالا فيه من بطن امه لما جاءه على تلك الصورة بعد ثلاثين سنة من مولده ، ولو كان الها لما جاهد فى صومه كيد الشيطان ، فتأمل فى تهافت هذا الملقق وتناقض كلماته التى لا طائل تحتها ، وتذكر ما حررناه لك فى رد متشابهاته وشبهاته ولا تغفل عن محالها .
وانتكلم على بعض كلماته ولنظهر مدفون شىء من هفواته .

قوله « بتلك المعمودية » لا يخفى عليك أن النصارى لهذه الآية الانجيلية ونحوها صار الاصطباغ عندهم بماء المعمودية حكما مفروضا عليهم ، وانا أن سلمنا أن الاصطباغ أمر مشروع لهم ، نقول كيف صار بدل الختان من غير مشروعته ؟ اذ ليس فى الانجيل أنه بدل الختان لا سيما ويحيى عليه السلام وسائر الأنبياء الكرام وبنو اسرائيل الخاص والعام اختنتوا فلو كان الاصطباغ به يدلا لامر يحيى بترك بنى اسرائيل ،

(١) النصرانى يضل فى حقيقة الملكوت ، فان الملكوت اشارة الى شريعة محمد ﷺ ومجده وسلطانه على الأرض .
(انظر كتاب البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل)

مع أنه لم يأمر بذلك هو ولا عيسى عليهما السلام ، فتبين أن هذا الحكم لم ينزل الله به سلطانا فى جميع القرون « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »

قال الشيخ عبد الله الترجمان الذى كان نصرانيا وأسلم سنة ٨٢٨ هجرية فى كتابه تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ما لفظه : « الباب الثالث فى بيان فساد قواعد دين النصارى وهى التى لا يرغب عنها منهم الا القليل ، وعليها اجماع جمهورهم ، ونبين الرد عليهم بنص أناجيلهم فى كل قاعدة من قواعدهم : اعلمها رحمكم الله تعالى أن قواعد دين النصارى خمسة وهى التغطيس والايمان بالتثليث واعتقاد التحام أقنوم الابن فى بطن مريم والايمان بالقربان كيف ينبغى أى العشاء الربانى وهو أكل لحم المسيح والاقرار بجميع الذنوب للقسيس .

القاعدة الأولى : اعلموا رحمكم الله تعالى أن لوقا قال فى انجيله أن عيسى عليه السلام قال من تغطس دخل الجنة ومن لم يتغطس فله جهنم خالدا فيها فمن أجل ذلك يعتقدون أنه لا يمكن دخول الجنة الا به فيقال لهم ما تقولون فى ابراهيم وموسى واسحق ويعقوب وجميع الانبياء عليهم السلام هم فى الجنة أم لا ؟ فلا بد أن يقولوا هم فى الجنة ، فيقال لهم كيف دخلوها ولم يتغطسوا ؟ وجوابهم عن هذا بان الاختتان أجزاءهم عن ذلك ، فيقال لهم فما تقولون فى آدم ونوح عليهما السلام وذريته لصلبه ، فانهم لم يختنوا ولم يتغطسوا سواقت مع أنهم فى الجنة أيضا بنص أناجيلكم واجماع علمائكم ؟ وليس لهم عن هذا جواب قطعا . واعلموا أن هذا الحكم وهو التغطيس مما افتعلوه فى أناجيلهم افتراء على الله ورسوله ، وصفته أن فى كل كنيسة حوض رخام أو نحوه يملأ القسيس ماء ويقراه عليه ما تيسر من الانجيل ويرمى فيه ملحا كثيرا وشيئا من دهن البلسان ، فان كان الذى يريد أن يتغطس ممن تنصر وهو رجل كبير السن يجتمع له بعض أعيان النصارى مع القسيس ، يشهدوا عليه بزعمهم بين يدي الله تعالى بالتغطيس ، ويقول له القسيس عند دخوله الحوض يا هذا اعلم أن التنصر هو أن تعتقد أن الله ثالث ثلاثة وتعتقد أنك لا يمكن لك دخول

(٤٧ - الجواب الفسيح)

الجنة الا بالتعميس ، وأن ربنا عيسى ابن الله ، وأنه التحم في بطن أمه مريم نصار انسانا والها فهو اله من جوهر أبيه وانسان من جوهر أمه أنه وأنه صلب ومات وعاش وصار حيا بعد ثلاثة أيام من دفنه وصعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه ، ويوم القيامة هو الذي يحكم بين الخلق ، وأنتك آمنت بكل ما يؤمن به أهل الكنيسة ، فهل آمنت بهذا كله ؟ فيقول المنتصر : نعم وحينئذ يأخذ القس صفحة من ماء ذلك الحوض ويسكبها عليه ، وهو يقول له وانا نغطسك باسم الآب والابن والروح القدس ، ثم يمسح الماء عنه بالمنديل وينصرف ، وقد دخل دين النصارى ، وأما تغطيس أولادهم فهو في اليوم الثامن من ولادتهم ، فيجىء بهم آباءهم الى الكنيسة ويضع الولد بين يدي القسيس فيخاطبه القسيس بالكلام المتقدم ذكره بتقرير عقائدهم عليه ويجيب عنه أبوه وأمه بقولهما : نعم يا ، ثم يحملان ولدهما . وقد تنصر فهذه صفة تغطيسهم .

واعلموا أن هذا الماء يضعه القسيس في أحواض الكنائس منه ما يبقى أعواما ولا ينتن ولا يتغير ، فيتعجب عوام النصارى من ذلك ويعتقدون أنه من بركة القسيس والكنيسة ، ولا يعلمون أن ذلك من كثرة الملح ودهن البلسان ، وهما اللذان يمنعان من تعفن الماء والقسيس لا يضعهما فيه الا ليلا أو في وقت لا يراه أحد من عامة النصارى ، وقد كنت صنعت هذا وغطست كثيرا منهم في وقت الضلال ، والحمد لله الذي أخرجني من الظلمات الى النور ببركة سيد الأولين والآخرين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين » انتهى المراد منه .

ثم انهم اخترعوا أيضا معبودية الاطفال وهم في بطون أمهاتهم ربوات الرجال ، واختلفوا أيضا في حكم التعميد ، ولنذكر لك ما قالوه في كتبهم ليتضح لك الحال : قال المعلم ميخائيل مشاقة النصراني في كتابه البراهين الانجيلية ما لفظه : « ولكني في المسألة أتكلم سرا في آذان أحبائنا اليسوعيين ، هل أن المسيح قد أمرهم بمعبودية الاحتقان للاطفال قبل خروجهم من بطون أمهاتهم بواسطة الطلومية خشية عليهم من الموت قبل

الولادة ؟ ألعلهم أشفق على الطفل من الخالق أم يقصدون مغالبتة ويخطفونه من يده قبل أن يميته ؟ فليخجلوا من أعمالهم هذه « انتهى بحروفه .

واعلم أن النصرارى قد اختلفوا فيما بينهم فى أحكام هذه المعمودية ، فلنذكر لك كلام البروتستانتى المعلم ميخائيل فى كتابه الدليل ما لفظه « الباب الثانى عشر فى الولادة الجديدة : أن كنيسة رومية مع كنائس أخر تعتقد أن الولادة الثانية يحصل عليها الانسان بالمعمودية بالماء ، وأن هذا الماء هو الذى يصدر نعمة الروح القدس بتلاوة المعمد صورة الكلام الذى قاله السيد لتلاميذه فى انجيل متى : « اذهبوا الآن وتلمذوا كل الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (ص ٢٨) مع سكب الماء على رأس المعمد أو تغطيسه فيه على رأى الكاثوليكين أو تغطيسه فقط على رأى الروم ، وأما الانجيليون — يعنى البروتستانت — فلا يسلمون بذلك ، بل بما يقتضيه تعليمهم وهو أن المعمودية تشير الى نعمة الروح القدس لا أنها هى تصدرها وأن الولادة الثانية هى تجديد القلب المقترن بالايمان لأن التغطيس فى الماء مع عدم تجديد القلب والايمان الصادق لا يفيد شيئاً عندهم ، وبراهينهم من الكتب كقول يوحنا الانجلى فى رسالته الأولى « كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فانه مولود من الله لان كل ما ولد من الله يغلب العالم والغلبة التى بها يغلب العالم هى ايماننا » وقول بولس فى رسالته « لأنكم أنتم جميعاً أبناء الله بالايمان الذى يسوع المسيح » فهذه من أدلة الانجيليين — أى البروتستانت — أن الولادة الثانية انما تقترن بالايمان ، لذا قال بولس الرسول عن المؤمن انه ليس الآن عبداً بل ابناً ، واذ هو ابن ، فوارث بالله « (غل ٤) وتعليم الكنائس الانجيلية بهذا ليس على أنها تنكر سر المعمودية بل هى تعتقد أنه سر الهى ، ولذلك قالوا يلزمنا أن نفهم هذا السر كما علمنا عنه المسيح لا كما يريد أن يعطنا اياه البابا لأن المعمودية بدون تجديد القلب لا تفيد شيئاً ، لان الله ينظر الى قلوبنا ونياتنا الصالحة لا الى غسل أجسادنا بماء المعمودية .

ثم نقول : لو كانت المعمودية بالماء هى التى تصدر الروح القدس ، لزم من ذلك عدم انفكاكه عنها فى وقت ما ، فالكاثوليكيون يزعمون عدم

وجود الروح القدس عند الخارجين عن كنيستهم لكونهم أراثة ، ومع هذا يقبلون فى شركتهم بكل من يأتى اليهم من جميع الطوائف الخارجة عن معتقدهم ولا يعيدون عمادهم ، بل يصادقون على صحته ، وبذلك ينتقون قولهم بعدم وجود الروح القدس عند الأراثة ، وأن صحوا نفيه من عندهم فينتقون قولهم ان المعمودية تصدر الروح القدس ، وعلى الحالين واقعين تحت الغلط ، وأما الكتب المقدسة فهى تعلمنا بخلاف تعليمهم ، وهى أن المعمودية تشير الى موهبة الروح القدس ، وهى ختم وعلامة للمؤمن ، وأن الروح القدس قد يوجد بدون المعمودية ، كما أن المعمودية قد تكون بدون الروح القدس . مثال الأول : ما حصل عليه اللص من النعمة بدون معمودية ، وهذا يحقق أنه حصل على الولادة الثانية بفعل الايمان دون غسل الجسد بالماء ، ومثال الثانى : ما ورد فى سفر الأعمال حيث يقول : « فلما سمع الرسل الذين فى اورشليم أن أهل السامرة قد قبلوا كلمة الله أرسلوا اليهم بطرس ويوحنا فأتيا وصليا عليهم كى يقبلوا الروح القدس لأنه لم يكن حل على أحد منهم بعد ، وإنما كانوا اصطبغوا باسم الرب يسوع فقط » (٨) فهذا النص الصريح يحقق أن هؤلاء المعتمدين لم يحل عليهم الروح القدس بمجرد اعتمادهم .

ثم ان جميع الكاثوليكين يعتقدون بقداسة المباركة مريم العذراء وأنها مبررة من الخطيئة الأصلية ، ومع ذلك يقولون انها اعتمدت ، فإذا كان العماد لأجل نوال موهبة الروح القدس بواسطته ، فما هو الموجب لسببها ؟ لأن الروح القدس قد حل عليها وتقدسست وامتألت من النعمة من حين ما بشرها الملاك ، وهل يجوز لنا الاعتقاد بأنها كانت عادمة التقديس وتعمدت لتنال موهبة الروح القدس ؟ وهل يوجد اعتقاد متناقض كاعتقاد الكاثوليكين بهذه القديسة المباركة لأنهم من الجهة الواحدة يبررونها من الخطيئة الاصلية بقولهم انه حل بها بلا دنس ومن الجهة الثانية يضعونها فى مصاف الخطاة لكى تنل محو خطاياها ، وتنال نعمة الروح القدس بواسطة المعمودية ؟ فلا أعلم بأى قاعدة منطقية أجاز واجمع النقيضين « انتهى باقتصار .

قلت والأغرب أن في كتاب أمجاد مريم في صحيفة (٣٧٥) قال ما لفظه : « ان الله يوجد متحدا مع خلانقه على أربعة أنواع فاتحاده مع مريم البتول هو اتحاد ذاتي لأنه تعالى هو نظيرها وهي نظيره » انتهى بلفظه ، فكيف احتاجت للتعميد والاله متحد بها ؟ ولا أظنهم يتقدرون على جواب ذلك ولو بباطل ، كما أجابوا عن تعمد المسيح عليه السلام من يحيى انه انما تعمد ليتم الناموس ، ويعلم الناس المعمودية ، وان كان لا يجديهم هذا الجواب نفعا .

فاذا علمت اختلافهم هذا في أمر المعمودية التي افتخر هنا بها عبد المسيح تبين لك أن ما اعترض به في كتابه هذا علينا من اختلافنا في عدد تكبيرات العيد ، أمر لا يذكر بالنسبة الى اختلافهم في شأن المعمودية وغيرها من مسائلهم الاعتقادية فلا تغفل .

قوله : « حول الله الحامل لخطايا العالم » قال مفسرهم في « تيسير الوسائل الى تفسير الرسائل » المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٣ في الصحيفة ١٦٣ ما لفظه : « اعلم أن المسيح حول الله شبه بخروف الفصح من وجوه : أولها : كون خروف الفصح برشاش دمه على أسكفة أبواب اليهود خلصهم من الملاك الذي ضرب أبكار مصر ، هكذا المسيح فانه برشاش دمه على قلوبنا بالايمان والأسرار خلصنا من الموت الأبدى ، ثانيا : كون ذلك الخروف الذي كان يذبح كل سنة في الفصح كان خاليا من كل عيب ، هكذا المسيح فانه لم يعرف الخطيئة ولا تسلطت عليه ، فقد كان بارا قدوسا ، ثالثها : كون ذلك للخروف كان يذبح في أربعة عشرة قمر نيسان ، والمسيح ذبح في مثل هذا الوقت » انتهى .

فانظر الى هذا التناقض والاعتقاد المنكر الذي لا يقبله ذو عقل سليم ، اذ كيف يذبح نفسه الى العالم لخلاص شرنمة قليلة من عبده بنى آدم ؟ ولم لم يخلصهم من غير قتل نفسه من نار جهنم ؟ وليت شعري كيف ساع لهم هذا القول مع اعتقادهم أن جميع العالم في النار سوى الشرنبة القليلة التي آمنت بالمسيح ؟ فكيف يقال انه حامل لخطايا العالم ؟

وكيف يصير البارى تعالى حملا يحمل خطاياهم ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . ولا حاجة الى الاطناب فى بطلان هذا القول الذى لا تقبله ارباب العقول لا سيما وقد تكرر لك تفصيل رده فتذكر .

قوله « تجاه العالمين » الى آخره . لا يخفى أنه لو كان كذلك لما كثر به عليه السلام من كفر ولو كان لفظ الابن يستلزم الألوهية لكان اسرائيل الها لما فى التوراة « اسرائيل ابنى بكرى » ثم العجب من تعجب يحيى أنه الى ذلك الآن لم يعرف الهة بزعمهم .

قوله « ثم ابتداء فى اظهار دعوة الناس » الى آخره ، أما نبوته وزهده ونصائحه عليه السلام فأمر مسلم عند المسلمين ، وفى القرآن العظيم وكلام النبى الكريم ما يزيد على هذه النصائح بشىء كثير ، مما لو أردنا استقصاءه لطال الكلام وخرجنا عن الصدد والمرام .

قوله « وعرفهم نفسه أنه اله واحد ذو ثلاثة اقانيم » الى آخره ، العجب من هذا التعريف المتهافت المتناقض ، ويكفى فى رده ما سيذكره بعد أسطر من صومه عليه السلام أربعين يوما ومجاهدته للشيطان ، فالمعجب أن الاله يتقرب الى اله هو هو بذاته وصفاته ويجاهد الشيطان الذى هو من جملة مخلوقاته ويتعبد لله ويتعبد له الملائكة بزعمهم ، فالعبود عابد والعباد معبود ، هذا هو المحل المردود .

ثم أعجب العجب أن النصارى لم يكتفوا بجعل الاقانيم ثلاثة بل جعلوها أربعة وصرح علماءهم بذلك فى تصنيفاتهم كما فى كتاب أمجاد مريم تصنيف الفونسوس ليكورى المطبوع فى رومية سنة ١٨٢٧ فى صحيفة ٣٧٥ ما لفظه : « ان البتول القديسة لكى تصير والدة الاله قد احتاجت لأن ترتقى الى مرتبة التساوى على نوع ما بالاقانيم الالهية ، لهذا يقول بطرس واميانوس ان الله يوجد متحدا مع خلائقه على أربعة أنواع ، فاتحاده مع مريم البتول هو اتحاد ذاتى ، لأنه تعالى هو نظيرها وهى نظيره ، فمن ثم يهتف هذا القديس قائلا : لأن الله يسكن فى البتول ومعها يحوى جوهر طبيعة واحدة هى ذاتها » انتهى فلا تغفل .

ثم انا وان كنا بينا بطلان هذه المقالة مرارا عديدة وسردنا الأدلة الواضحة على فساد هذه العقيدة غير انا نذكر أيضا هنا براهين مجملية من تلك الايرادات المتقدمة المطولة ، لتلا يخلو كلامه هنا عن ردنا له . فاعلم أن النصرارى قالت ان الله تعالى عن كفرهم جوهر وله صفات ثلاث وجود وعلم وحياة ، والثلاث أقانيم يعنون أنهم أصول ، فأقنوم الوجود هو الآب ، وأقنوم العلم هو الابن ، وأقنوم الحياة هو روح القدس ، فيقولون في ابتدائهم ومكاتباتهم بسم الآب والابن وروح القدس اله واحد والثلاثة جواهر مستقلة . قالوا فأقنوم العلم اتحد بجسد عيسى وجسد عيسى كالدرع له .

ثم اختلفوا فقالت الملكية أو بعضهم ان المسيح عبارة عن شسيئين نلسوت ولاهوت ، وكل يصدر مما يليق به من الاكل والشرب والصلب والموت ونحوه واحياء الموتى وبراء الأكمة . وقالت اليمقوبية : انها صاروا شيئا واحدا فانقلب اللحم والدم قديما ومات جملة ثم أحيا نفسه وصعد الى السماء . وقالت النسطورية : أن جسد عيسى كالمرآة تجلى فيها اللاهوت من غير حلول . وهذه الثلاث طوائف هم الباقيون من طوائفهم الكثيرة جدا . ولهم اختلافات كثيرة . فنقول في الرد عليهم : ما يعنون بالجوهر القابل للتقسمة أو الفرد الذى لا يقبلها ؟ ولا ثالث لهما . والأول محال على الله تعالى والثانى متحيز ، وهو منزه عن التحيز .

فان قالوا : نعنى القائم بذاته الذى لا يحتاج الى ما يقوم به كما تقولون أنتم فى الذات . قلنا : فيرجع النزاع لفظيا ، ولم تدوموا على ذلك لأنكم تقولون فى المسيح : هو المنبثق من جوهر أبيه ورجع النزاع بيننا وبينكم معنويا ، وأيضا : ما وجه حصر الصفات فى العلم والحياة مع أنه سميع بصير قادر متكلم الى غير ذلك من الصفات فان قالوا هذه صفات نفسية . ونعنى بالنفسية ما يكون للشئ فى نفسه ، فان الحياة والوجود للذات لا غير ، والعلم ، وان تعلق بالغير فهو متعلق بالذات لأنه يعلم ذاته بخلاف القدرة فانها متعلقة بالغير ليس الا قلنا : فالبصر كالعلم لأنه كما يبصر غيره يبصر نفسه كما قلتم فى العلم ، وكذا السمع والبقاء كالوجود لأنه لا يتعداه .

وأيضاً قولهم ان الكلمة اتحدت بعيسى باطل قطعاً كفر بلا شبهة خالفوا فيها جميع الملل ، فنقول فى الرد عليهم الكلمة عندكم هى العلم فلما اتحدت بجسد عيسى ، هل انفصلت عن موصوفها أو اتحدت مع بقاء الانفصال ؟ لا ثالث لهما . فان كان الأول يلزم نفى العلم عن ذلك الجوهر ، أو أنه يعلم وهو قائم بغيره وهو محال عند العقلاء وعندكم أيضاً ، وان كان الثانى لزم أن لا يكون اقنوماً اذا الذات الواحدة لا تقوم بجوهريين فى حالة واحدة ، فان قالوا قامت بالجوهر الأول بمعنى ، وبالجوهر الثانى بمعنى آخر قلنا : لاخطب فوق هذا لأن حاصله أنها باقية صفة لموصوفها ووجد شىء من آثارها فى الجوهر ، فاین الاتحاد وال طول اللذان يزعمونها .

ثم اذا طولبتم على هذا بدليل لاتجدونه عقلاً وهو واضح ولا نقلاً اذ ليس فى شىء من الكتب المنزلة فكر الاتحاد ولا الطول ، وأيضاً أنتم تزعمون أن الاله لايد له من صفتين العلم والحياة وتزعمون أن المسيح اله ، فيلزم أن يقوم به اقنوم الحياة وهذا اللازم باطل عندكم ، وأيضاً لم خصصتم العلم بالمسيح ؟ ولم لم تقولوا أن المتحد به اقنوم الحياة قال بعضهم وجدنا اثار العلم فيه قلنا ووجدتم آثار الحياة من احياء الموتى لان القدرة عندكم ترجع الى صفة الحياة وأيضاً فهل تجيزون اتحاد العرض الحادث بالجوهر الحادث حتى يكونا شيئاً واحداً فان قالوا لا لزم أن يقولوا بعدم الاتحاد فى محل النزاع ، وان اجابوا بأن أحكام الأعراض مباينة لأحكام الجوهر ، فامتنع لهذا ، قلنا : وأحكام الناسوت اكثر تبيانا لأحكام اللاهوت من تباين الجوهر والعرض فى الاحكام ، وأيضاً اذا اتحد اقنوم الجوهر القديم بالجسد الحادث ، لزم جواز اتحاد صفة الجسد الحادث بالجوهر القديم ، وهو باطل عندكم .

قالوا الاقنوم يشرف الجسد واتحاده بالجوهر ينقصه ولا بعد فى تشريف الناقص دون تنقيص الشريف . قلنا فيلزم تنقيص العلم باتحاده بالحادث .

قال الامام : « ومن القواصم لهم أن يقال هل يجوز اتحاد العلم بغير جسد المسيح ؟ فان قالوا « لا وهو قولهم ، قلنا فالوجه الذى منعتم بها

واحلتم جارية فيه من غير فرق فخطبوا فى الجواب ، فمن ذلك قول بعضهم المسيح انسان كلى ليس بجزئى ، وهذا شىء لا يعقل معناه ، هذا ما يقال على سبيل الاجمال واما التفصيل فيقال للملكية : اما أن تقولوا بالاتحاد حقيقة أو بالمجاورة تطلقون لفظ الاتحاد عليها مجازا ؟ فان قلتم بالاول فانما هو قولكم بالشيئين وبالتدرع وصدور الأثر عن كل ما يليق به كما مر ، وان قلتم بالمجاورة لزم تحيز الاله وكونه جسما له مكان كان فيه بعد أن لم يكن فيه والانتقل من حالة الى حالة وكلها عندكم محال وعند العقلاء . ويقال لليعقوبية : فقد كنيتم خصمكم مؤنة البحث وصرتم الى محال عظيم ، ليت شعرى من دبر السموات والارض أيام موت الاله ؟ من أحياء بعد موته وهو محيى الموتى ؟ ويقال للنسطورية الجسم الصقيل اذا أظهر فيه ما يقابله أما أن يقال لا يتعلق به شىء من المقابل بل الرأى انما يرى صورته بالانعكاس ، أو ينطبع فيه صورة المقابل على المذهبين ، وكلاهما عندكم باطل بالنسبة الى محل النزاع ، اما الاول فلان المسيح قبل هذا وبعده هو هو لا زيادة فيه من حيث هو وأنتم لا تقولون بذلك ، وأما الثانى فهو قول بقية النصارى فليس مذهباً آخر .

وأما ابرأؤه الأكمه والأبرص ونفخ الطير فصار حيوانا واحياء الموتى ونزول المائدة ونحو ذلك ، وهو وان كان من آثار الالهوية ولكن الصدور عنه لا يدل على القدرة عليه ، وهو ظاهر بدليل أن موسى عليه السلام قلب العصا حيوانا حيا وغيره من معجزات الانبياء ، وقد قال فى الانجيل انه يختلف حال عيسى بالنسبة الى وطنه وغربته فى الآيات ولو دل الصدور على ما ادعيتم لزم أن تقولوا فى موسى مثل ما قلتم فيه ، وكذلك غير موسى ومن نقلتم معجزاتهم فى كتبكم وهو كثير .

وحكى الخازن فى تفسيره : « ان بعض العلماء قال للنصارى : لم تعدون عيسى عليه السلام ؟ قالوا لأنه لا اب له ، قال فآدم أولى لأنه لا أب له ولا أم ، قالوا : وكان يحيى الموتى ، فقال حزقيال أولى لأن عيسى أحياء أربعة نفر وأحياء حزقيال أربعة آلاف ، قالوا : وكان يبرىء الأكمه والابرص ، قال فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سليما » انتهى .

ولنا أيضا على ابطال الاتحاد مطلقا وهو ان يصير الشينين شيئا آخر من غير أن يزول عنه شيء أو ينضم اليه شيء . وهذا المعنى الحقيقي باطل بالضرورة ، فان الاختلاف والتغاير بين الماهيتين وبين الهويتين وبين الماهية والهوية اختلاف وتغاير بالذات ، فلا يعقل زواله كسائر لوازم الماهيات .

وهذا الحكم مع وضوحه اتبا يزداد توضيحه بنوع تنبيه : فيقال أن عدم الهويتين بعد الاتحادين حدث أمر غيرهما فلا اتحاد بينهما بل هما قد علما وحدث هناك أمر ثالث غيرهما وأن عدم أحدهما فقط فلا اتحاد أيضا إذ لا يتحد المعدوم بالموجود بديهية ، والا كان موجودا ومعدوما معا ، وان وجدا أعنى بقيا موجودين بعد الاتحاد فهما بعدة اثنتان متغايران كما كانا كذلك قبله ، فلا اتحاد أيضا .

وقال شيخ الاسلام شمس الدين السباطي في مقدمته : ان المتحدين على زعم من زعمه اما أن لا يتغير بحال الاتحاد شيء منهما أو يتغير ، والمتغير اما الذات أو الصفات والكل محل ، أما الأول فخلاف الاتحاد إذ لا معنى للاتحاد مع بقاء كل على حاله ، وأما الأول من الثاني فلا استحالة انقلاب الجوهر عرضا وبالعكس وأما الثاني منه فلا استحالة انقلاب الواجب ممكنا وبالعكس ، وبقي ما اذا كانا جوهرين فيصيرا جوهرًا ، فنقول في ابطاله : اما أن يكونا واجبين أو ممكنين أو مختلفين ، ففي الأول يلزم تعدد الواجب وهو باطل ، وأما الثالث فلا استحالة الانقلاب وتقدم ، وأما الثاني فلا استحالة جوهر من غير تحيز ، وعلى هذا فيستحيل الاتحاد لاستلزامه التداخل .

وابطال الحلول هو أن يقل : الحلول على الله تعالى محال لانه اما أن يجب أن يحل أو يجوز ، والأول يستلزم قدم المحل والثاني يستلزم أن لا يحل لانه مستغن قبل ومحتاج بعد . وأيضا حقيقة الحلول انما هو في الجوهر والعرض ، وهو على الله تعالى محال . وأيضا : لو حصل في جسم ، فاما أن يحل في جوهر ذلك الجسم ، أو في الأكثر والأول محال لصفه ، والثاني باطل لانقسامه ولو تبعًا .

قال الشيخ العلامة كمال الدين محمد بن امام الكالمية المصرى فى كتابه « بسط الكف » ما لفظه : « وقد سرت هذه الضلالة المستحيلة فى العقول فى جماعة ممن ينتسبون الى الاسلام ، فساروا فى أول أمرهم على الزهد والخلوة والعبادة ، فلما حصلوا من ذلك على شىء صفت أرواحهم وتجردت نفوسهم ، فانكشفت لهم ما كانت الشواغل الشهوانية مانعة من انكشافه ، وكان قد طرق أسماعهم من خرافات النصارى انه اذا حل روح القدس فى شىء نظر بالحكمة وظهر له أسرار ما فى هذا العالم مع تشوق النفوس الى المناصب العالية ، فذهبوا الى هذه المقالة السخيفة ، فمنهم من صرح بالاتحاد على المعنى الذى قالته النصارى ، وزادوا عليهم أنهم لم يقتصروه على المسيح كما ذهب اليه الغلاة من الروافض فى على رضى الله تعالى عنه ، وكما ذهب اليه جماعة فى خاتم الأولياء عندهم من الطلول ، ولهم فى ذلك كلمات يعسر تأويل كلها لمن يريد الاعتذار عنهم ، بل فيها ما لا يقبل التأويل ، ولهم فى التأويل خبط وخطط كلما أرادوا أن يقتربوا من العقول ازدادوا بعدا ، حتى أنهم استنبطوا قضية جلبت لهم الراحة وتنعوا فى مغالطة الضرورة بها بالصيت ، وهى انما ما هم فيه يزعمونه وراء العقل ، وانه بالوجدان يحصل ، وأن من نازعهم محجوب مطرود عن الأسرار الالهية ، والله سبحانه هو الموفق للخير والخير كله فى اتباع النبى المسطفى ﷺ وأصحابه فبهذا هم اقتده « أنهى .

قوله : ممثلا حال حياتنا بعد الموت فى القيامة « الى آخره ، لا يخفى عليك أن النصارى منكرون لحياة الأبدان والمعاد الجسمانى ونعيم الجنة ، وعندهم أن المعاد روحانى بلا جسم ولا اكل ولا شرب ولا جماع ، بل الناس حينئذ كالملائكة ، فأينبقى التمثيل الذى ادعاه ؟ لأن كمال التمثيل أن يحيى الجسم ولا يحتاج الى اكل وشرب كالصوم الذى استدل به على أن النصارى خالفت هذا أيضا ، فانهم يزعمون أنهم صائمون مع أنهم يأكلون ويشربون غير أنهم عن بعض أنواع الأطعمة يحتمون ، فلا بالتوراة يقتدون ولا بأحكام الانجيل يتمسكون ، فلذا تراهم فى مهاوى الاختلاف يهيمون ، فانا لله وانا اليه راجعون .

ولنذكر لك ملخص ما قاله العلامة شهاب الدين أحمد بن ادریس المالكی المعروف بابن القرافی فی كتابه الأجوبة الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة قال : « قالت اليهود والنصارى لو ثبت الأكل والشرب والنكاح فی الجنة مع انها دار الكرامة لكانت محل الحاجات وابداء العورات ومصب القاذورات ، وذلك ینافی كمالها . ویکفی فی نقائص ذلك أنها من خصائص البهائم المبعدة لطور الانسان عن طور الملائكة ، فان الملك عقل بلا شهوة والبهائم شهوة بلا عقل ، والانسان عقل وشهوة ، فلذلك توسط بین الفریقین وباین موضوعية كلا الجهتين ، فاذا أظهر ما فی هذه الأمور من النقص وجب الجزم بعدمها من الجنة المقدسة المخصوصة بغاية النعمة وتمام الكرامة والجواب من وجوه :

أحدها : ان النعيم الجسمانی الذي یثبته المسلمون ليس مفسرا بما ذكرتموه من التشنيع بل على وفق الكرامة الربانية والسعادة الأبدية ، وتقريره انا نجد فی هذه الدار الملائمة الجسمانية تترتب على أسباب عادية ، فالملاذ اما علوم خاصة حسية كادراك الحلاوة وأنواع الطعوم الملائمة وادراك الروائح المناسبة بجوهر النفس البشرية ، وادراك الملامسة للجسام الموافقة لجواهر الطبائع وادراك المبصرات من الألوان والالوان والأضواء وتفصيل أنواع الحسن والجمال وغيرها من المبصرات السارة وكذلك القول فی بقية الحواس . واما ادراك لأحوال نفسانية كاستشعار النفس حصول الشراب والغذاء عند حاجتها للاغذاء والأدواء ونحو ذلك . فهذه الملاذ الجسمانية ، ولذلك حد الفضلاء اللذة بقولهم هی ادراك الملائم فجمعوا الجميع فی هذا الحد الشامل ، وأما أسبابها العادية فهی المباشرة لأنواع الماكل والمشارب والمناكح ونحو ذلك . ثم هذه المباشرة تقتزن بها فی العادة حاجات للمتناولات وقاذورات تقتزن بالمباشرات ، فالمسلمون يدعون من هذه الاقسام الثلاثة الأولین فقط دون الثالث ، فيثبتون اللذات وأسبابها مجردة عن القاذورات وأنواع الحاجات فيقولون الأكل والشرب والنكاح فی الجنة من غير ألم جوع ولا عطش ولا بزازق ولا مخاط ولا دمع ولا بول ولا غائط ولا ريح منتن ولا حيض ولا منی ولا رطوبات مستقررة

ولا ابداء عورة منقصة ولا زوال أبهة معتبرة ولا شيء مما يعاب بنوع تقيصة ، بل يجد المؤمن غاية ما يكون من لذة الأكل بمباشرة أنفوس المائل من غير ألم جوع سابق ولا شين لاحق . وكذلك الشرب من غير حاجة سابقة ولا تلويثات لاحقة ، وكذلك الجماع يحصل بمباشرة أجمل الموطوءات من غير انزال فضلات ولا رطوبات مستفدرات منزهة عن جميع الدناءات ، فلا عورة لها ولا للمؤمن ، لأن العورة انما تنبت في هذه الدار لكونها مخرج النجاسات والشعر والنتن ، فاذا ذهبت هذه المعائب ، ذهبت لذهابها العورات وبقيت المحال غير منسوب اليها خصلة دنيئة ، فأى بأس من الجمع بين النعيم الروحاني المتعلق بالأرواح من ادراك جلال الله سبحانه وجماله وتفصيل صفاته وألائه المتجددة على مر الابد والنعيم الجسماني الذي مرت لك صفته ؟

فهذا ما يعتقدوه المسلمون وهو اللائق بالكرم الالهي والاحسان الرباني ، فان الاقتصار على النعيم الروحاني تقصير من قائله في سعة النعمة وتام الكرامة ، بأن مثله لا تخلو عنه دار أريدت لغاية الاكرام ، بل لو فرض عدم هذه الملاذ البديعة منها ، لقال ذو العقل الوافر لو كانت غيرها لكانت أتم وأكمل ، وهي بقول الشاعر :

ليس فيها ما يقال له كملت لو ان ذا كمالا

فظهر اصابة المسلمين للصواب ، وانذفع السؤال ببيان الجواب .
وثانيها : قال لوقا « قال يسوع اذا صنعت وليمة فادع المساكين والضعفاء لتكون مجازاتك في قيامة الصديقين ، فقال من حضر طوبى لمن يأكل خبزا في ملكوت الله تعالى » فما فهم عنه الحاضرون الا النعيم الجسماني .

وثالثها : قال حملة الانجيل : « قال يسوع لتلاميذه اني ذاهب اعد لكم مائدتي في الملكوت ، لتأكلون وتشربون وتجلسون على كرسي المجد »

ورابعها : في الانجيل : « شرب المسيح عليه السلام مع تلاميذه عصيرا ، وقال : اني لست شاربا من هذه الكرمة حتى أشربها معكم حديثا في ملكوت السموات .

وخامسها : فى الانجيل قال المسيح « سقاكلون وتشربون على مائدة أبى »

وسادسها : فى الانجيل قال المسيح عليه السلام « طوبى للجياع العطاش فانهم سيشبعون »

وسابعها : فى الانجيل قال المسيح لتلاميذه : « اعملوا لا للطعام الفانى بل للطعام الباقي فى الحياة المؤبدة لأن ذلك قد ختمه الله تعالى »
فصرح عليه السلام بأن فى الجنة الاكل والشرب والشبع والتفكه .

قلت : وفى الاصحاح السادس عشر من انجيل لوقا ناقلا عن المسيح ما لفظه : « قد كان رجل غنى يلبس البرفير والأرجوان ، وكان يلتذ كل يوم متنعما . ومسكين اسمه العازر كان ملقى عند باب ذلك الغنى مضروبا بالقروح ، وكان يشتهى أن يملأ جوفه من الفتات المتساقط عن مائدة ذلك الغنى ولم يعطه أحد ، وكانت الكلاب تأتى فتلحس قروحه ، فلما مات ذلك المسكين أوصلته الملائكة الى حضن ابراهيم ثم مات ذلك الغنى وقبر ، واذا كان يتعذب فى الجحيم رفع عينيه عن بعد فرأى ابراهيم والعازر فى حضنه ، فصاح بصوت عظيم قائلا يا أبتاه ابراهيم ارحمنى وأرسل العازر ليبل رأس اصبعه بالماء ويرطب به لسانى لأنى معذب فى هذا اللهب ، فقل له ابراهيم يا ابنى تذكر أنك قبلت خيراتك فى حياتك ، والعازر فى بلاياه . وها هو الآن يستريح ههنا ، وأنت تتمذب ، ومع هذا كله بيننا وبينكم وحدة عظيمة لا يقدر أحد على العبور من ههنا اليكم ان أراد ، ولا من هناك الينا فقال له : اننى اسألك اذن يا أبى أن ترسله الى بيت أبى لأن لى خمسة أخوة ليمض فيشهد لهم ، لئلا يأتوا الى مكان العذاب هذا ، فقال له : عندهم موسى والأنبياء »

قال مفسروهم — أى كتبهم — فليسمعوا لهم ، فقال له لا يا أبت ابراهيم ، لكن ان يمض اليهم واحد من الموتى يتوبوا ، فقال له ابراهيم ان كانوا لا يسمعون لموسى والأنبياء ولا ان قام أحد من الموتى يصدقون »
انتهى .

فتبين منه أن العذاب جسمتى ، وأن الفنى طلب الماء وما ذلك
لا لعطشه ، ولا شك أن النعيم يقابل ذلك من راحة الجسم وشربه الماء
ونحو ذلك وصرف هذه الكلمات عن ظاهرها يؤدى الى صرف جميع
الأنجيل عن ظاهرها . وإذا فتحوا هذا الباب للتأويل فلا يمكنهم حينذ
الاستدلال بشئ على ما يدعونه من الاناجيل .

وأما الجماع فقد قال فى الانجيل « من ترك زوجة أو بنين أو حقلا
من أجلنى فإنه يعطى فى الجنة مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة » فقد
صرح بأنه سوف يعطى فى الجنة مائة زوجة ومائة بستان لأن الحقل
الكرم ، وهذه الحجج كلها على النصارى .

قال القرافى : « وأما اليهود فمن وجوه :

أحدها : فى الاصحاح الثانى من السفر الأول من التوراة « فان
الله تعالى غرس فردوسا فى جنة عدن ، وأسكن آدم وغرس له من كل
شجرة طيبة المأكل شهية الطعم وتقدم اليه أنى قد جعلت جملة شجرة
الجنة مأكلا سوى شجرة معرفة الخير والشر ، ثم انه وجواء أكلا منها
فصارا عريانين فجعلنا عليهما من ورق التين ، واختفيا فى وسط الشجر »
رحمهم لها على جنة كانت فى الأرض ياباه قوله لآدم بعد ذلك فى هذا
السفر « حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب والى التراب
تعود » كما لا يخفى على كل منصف .

وثانيها : فى السفر الأول « قبل أن تخسف بها يشبه فردوس الله
تعالى »

وثالثها : فى السفر الأول « أما هاويل الشهيد . فإنه يجزى بسدل
الواحد سبعة » وهو دليل على المكافأة من جنس العمل . وكان وقد قرب
من أبكار غنمه فوعده الله تعالى بأن يعطيه بدل الواحد سبعا .

ورابعها : فى نبوة أشعيا عليه السلام « يا معاشر العطاش الجياع
توجهوا الى الماء والورود ، ومن ليس له فضة فليذهب يستسقى ويأكل
ويتزود من الخمر واللبن » وهذا موافق لما فى القرآن الكريم من قوله

تعالى : « فيها أنهار من ماء غير آس وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات » .
وقد تضافرت كتب اليهود والنصارى على التعميم الجسماني (١) .
ومثل هذا كثير فى كتبهم ولكنهم مكابرون وقوم لا يعقلون .

تنبيه انما كان بحث الآخرة وأحوالها فى شرعنا وكتابنا أكثر من التوراة والانجيل ، حتى أنه لم يذكر الله تعالى ذكر شئ فى القرآن أكثر من ذكر البعث ويبلغ فيه حتى أخبر وحلف سبحانه وتعالى فقال « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلى وربي لتبعثن » فلاسباب .

أحدها : أن بنى اسرائيل كثيفو الطباع عن التخويف بالمؤلفات المستقبلات والترغيب بالمثوبات المستقبلات ، وانما يؤثر ذلك فى وافر العقل كثير الحزم متوغل اليقظة ، وأما الكثيف الطبع فكالبهيمة لا يؤثر فى زجرها الا المنخاس البائس لجلدها ، وأما ما يأتى فى غد فلا يؤثر فى استصلاحها ولما جعل الله تعالى هذه الأمة أخرجت للناس ، وافرة الحلوم

(١) الأدلة التى ذكرها المؤلف من التوراة وأسفار الأنبياء من أشعياء ليست واضحة على إثبات يوم القيامة . والنص على يوم القيامة هو المذكور فى سفر التثنية فى الاصحاح الثانى والثلاثين وهو « أليس ذلك مكنوزا عندى ، مختوما عليه فى خزائنى . لى النعمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم » هذا فى التوراة العبرانية ، وهو فى السامرية : « ولى النعمة والجزاء لى يوم الانتقام » وهو يوم القيامة كما يقول السامريون أنفسهم وفى التلمود نصوص صريحة على يوم القيامة . والربانيون والأخبار يعترفون به فى كتبهم كابن كبونة وابن ميمون . اعتراف ببعث الروح والجسد والنصارى يعترفون بالبعث للروح على هيئة الأحلام واللذائذ المعنوية والمتخيلة وليس لهم من سنة الا قول بولس فى هذا الشأن . ودليله أن البذرة اذا وضعت فى الأرض تتغير الى زرع أخضر ، له سيقان وجذور . فاذن هى اختلفت بعد وضعها فى التراب وكذلك الانسان . ويرد عليه بأن الزرع أخضر يتحول بعد مدة الى ثمر وفيه نفس البذرة التى وضعت اولاً ، كما هو غرض الزارع منها . فان وضعها لتصبح بذورا ينتفع بها ، لا لتصير زرعاً أخضر فقط [انظر تقديمنا لكتاب نفخ الروح والتسوية للهام الغزالي]

اللعن وأمر الملك أن يكون لهم جمع يلعنوا فيه ، واستحضر بتاركة البلاد فاجتمع عنده مائة وأربعة وستون أسقفا فلعنوا اسقف منبج وأسقف المصيصة ، وثبتوا أن جسد المسيح حقيقة لا خيال وأنه اله تام وانسان تام معروف بطبيعتين ومشيئتين وفعلين أقنوم واحد وأن الدنيا زائلة وأن القيامة كائنة وأن المسيح يأتى لمجد عظيم فيدين الأحياء والاموات كما قال الثلثمائة وثمانية عشر الاوائل ففرقوا على ذلك .

ثم كان لهم مجمع تاسع على عهد معاوية بن أبى سفيان تلاعنوا فيه ، وذلك أنه كان برومية راهب له تلميذان فجاء الى قسطا الوالى فوبخه على قبح مذهبه وشناعة فكره ، فأمر به قسطا فقطعت يداه ورجلاه ونزع لسانه وفعل بأحد التلميذين كذلك وضرب الآخر بالسياط ونفاه فبلغ ذلك ملك القسطنطينية ، فأرسل اليه أن يوجه اليه من أفاضل الاساقفة ليلعلم وجه هذه الشبهة ومن كان ابتدا بها ويعلم من يستحق اللعن فبعث اليه مائة وأربعين أسقفا وثلثمائة شماس فلما وصلوا اليه جمع الملك مائة وثمانية وستين أسقفا فصاروا مائتين واثنين وتسعين أسقفا وأسقطوا الثمانية وكان رئيس هذا المجمع بترك قسطنطينية وبترك أنطاكية فلعنوا من تقدم من القديسين والبتاركة واحدا واحدا فلما لعنهم جلسوا فلخصوا الأمانة وزادوا فيها ونقصوا .

فقالوا : نؤمن بان الواحد من الناسوت الابن الوحيد الذى هو الكلمة الأزلية الدائم المستوى مع الآب الاله فى الجوهر الذى هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين وشيئتين فى أقنوم واحد ووجه واحد تاما بلاهوته تاما بناسوته وشهدت أن اله الابن فى آخر الايام اتخذ من العذراء السيدة مريم القديسة جسدا انسانا بنفسين ناطقة عقلية وذلك برحمة الله تعالى بحب البشر ولم يلحقه اختلاط ولا فساد ولا فرقة ولا فصل ولكن هو واحد يعمل بما يشبه الانسان أن يعمل فى طبيعته وما يشبه الاله أن يعمل فى طبيعته ، الذى هو الابن الوحيد والكلمة الأزلية المتجسدة التى صارت فى الحقيقة لحما كما يقول الانجيل المقدس من غير

أن ينتقل من غير أن ينتقل من مجده الأزلى وليست بمتغيرة لكنها بفعلين
ومشيئتين وطبيعتين الهى وأنسى ، الذى بهما يكمل قول الحق ، وكل واحد
من الطبيعتين يعمل مع شركة صاحبها مشيئتين غير متضادتين ولا متضارعتين
ولكن مع المشيئة الانسية المشيئة الالهية القادرة على كل شىء » .

هذه أمانة المجمع فوضعوها ولعنوا من لعنوه ، وبين المجمع الخامس
الذى اجتمع فيه الستمائة والثلاثون وبين هذا المجمع مائة سنة .

ثم كان لهم مجمع عاشر وذلك لما مات الملك وولى ابنه بعده واجتمع
أهل المجمع السادس ، وزعموا أن اجتماعهم كان على الباطل فجمع الملك
مائة وثلاثين أسقفاً فثبوتوا أقوال الجامع الخمسة ولعنوا من لعنهم
وخالفهم وانصرفوا بين لا عن وملعون .

فهذه عشر مجامع كبار من مجامعهم مشهورة اشتملت على أكثر من
أربعة عشر الفا البتاركة والأساقفة والرهبان كلهم ما بين لا عن وملعون .

فهذه حال المتقدمين مع قرب زمانهم من أيام المسيح ووجود أخباره
فيهم والدولة دولتهم والكلمة كلمتهم وعلماؤهم اذ ذاك أوفر ما كانوا واهتمامهم
بأمر دينهم واحتمالهم به كما ترى ، وهم حيارى تائهون ضالون مزلون
لا يثبت لهم قدم ولا يستقر لهم قول فى الهيم ، بل كل منهم قد اتخذ
اله هواء وصرح بالكفر والتبرى ممن اتبع سواء ، قد تفرقت بهم فى
نبيهم والهيم الأقاويل وهم كما قال سبحانه : « قد ضلوا من قبل وأضلوا
كثيراً وضلوا عن سواء السبيل » فلو سألت أهل البيت عن دينهم ومعتقدهم
فى ربهم ونبيهم لأجابك الرجل بجواب ، وامرأته بجواب ، وابنه بجواب ،
والخادم بجواب ، فما ظنك بمن فى عصرنا هذا وهم نخالة الماضين وزبالة
الغابرين وفتاة التحريين . وقد طال عليهم الأمد وبعد عهدهم بالمسيح
ودينه « انتهى » .

قلت : وقد عد فى كتاب زبدة الصحائف فى سياحة المعارف
فى العقائد والأديان تأليف المعلم نوفل بن نعمة الله المسيحى

المؤلف سنة ١٨٧٢ المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٦ عشرين مجعما للنصارى
أولها المنعقد سنة ٣٢٥ مسيحية وآخرها المنعقد في رومية سنة ١٨٦٩
قال : « ولا زال هذا مفتوحا لم تنته جلساته الى الآن . وكان انعقاده بأمر
الابا بيوس التاسع بسعى الرهبان ، والذي ظهر والحالة هذه من
مقاصده هو اثبات العصمة في الباباوات . وقد نشأ عن ذلك انقسام
في الطوائف الكاثوليكية ببلاد أوربا والمشرق والذين خالفوا هذه العقيدة
من أهالي أوربا سموا ذواتهم بالكاثوليكين القدماء ونهاية ذلك لم تزل
مجهولة » وعد من فرق النصارى نيفا وثلاثين فرقة ، ومن أراد تفاصيلها
فليرجع اليه .

تتمة ولنذكر لك ان شاء الله تعالى شيئا من كلام ربنا سبحانه وتعالى
في القرآن المجيد وكلام نبينا الأكرم ﷺ في معان شتى وأحكام جليلة
وحكم عظيمة وفوائد فريدة وسياسات مفيدة وجوامع كلم سديدة ونصائح
ومواعظ وتعليم وارشاد رعوف رحيم وتهذيب أخلاق وأوامر بعبادة الخلاق
وكلمات من كلام خلفائه الراشدين وأئمة الناصحين على اختلاف النمط
جامعا له كاللآلئ في سنفط لتقبله مع الانجيل وكلام أخيه المسيح ،
ولتحكم بالترجيح وتبين البليغ الفصيح من البيان الفسيح ، وجعلت ذلك
سبعة فصول نموذجيا يستدل به على أقوال ذلك الرسول معجز البلغاء
الفحول ، وعنوانا على كلماته البالغة حد الإعجاز وأحكامه ، التي امتاز بها
على سائر الأنبياء أى امتياز ليتضح الفرق لذوى البيان ويبين لدى الموازنة
من كان راجح الميزان .

الفصل الأول

في بعض ما نطق به القرآن العظيم من الكلام الموجز المعجز .
فمن أراد أن يعرف جوامع الكلم وينبه على فضل الاختصار ويحيط
ببلاغة الائمة ويفطن لكفاية الايجاز فليندبر القرآن الكريم وليتأمل علوه
في سائر الكلام فانه قول فصل وما هو بالهزل .

فمن ذلك : قوله تعالى « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة » فلفظة « استقاموا » كلمة واحدة تفصح عن الطاعات كلها فى الائتمار والانزجار وذلك ان انسانا لو أطاع الله تعالى مائة سنة ثم سرق حبة واحدة ، يخرج بسرقتها من الاستقامة .

ومن ذلك قوله تعالى « الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فقد أدرج فيه ذكر اقبال كل محبوب عليهم وزوال كل مكروه عنهم ولا شئ أضر بالانسان من الخوف والحزن ، لأن الخوف يتولد من مكروه ماض أو حاضر ، والحزن يتولد من مكروه مستقبل ، فاذا اجتمعا على امرئ لم ينتفع بعيشه ، بل يتبرم بحياته ، والحزن والخوف أقوى أمراض النفس ، كما أن السرور والأمن أقوى أسباب صحتها فالحزن والخوف موضوعان بازاء كل نعمة هنية .

ومن ذلك قوله تعالى « لهم الأمن وهم مهتدون » فالامن كلمة واحدة تنبئ عن خلوص سرورهم من النوائب كلها لأن الامن انما هو السلامة من الخوف ، والخوف المكروه الاعظم كما تقدم ذكره . فاذا نالوا الأمن بالاطلاق وارتفع الخوف عنهم ، ارتفع بارتفاعه المكروه وحصل السرور المحبوب . ومن ذلك قوله تعالى « أوفوا بالعقود » فهما كلمتان جمعتا على ما عقد الله على خلقه لنفسه وتعاهد الناس فيهما بينهم . ومن ذلك قوله تعالى « فيها ما تشتهى الأنفس وتلذذ الاعين » فلم يبق مقترح لاحد ونظمته هاتان الكلمتان مع ما فيهما من القرب وشرف اللفظ وحسن الروفق . ومن ذلك قوله تعالى « والفلك تجرى فى البحر بما ينفع الناس » فهذه الكلمات الثلاث تجمع من اصناف التجارات وأنواع المرافق فى ركوب السفر ما لا يبلغه الاحصاء . ومن ذلك قوله تعالى « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » ثلاث كلمات اشتملت على شرائط الرسالة وشرائعها وأحكامها وحلالها وحرامها . ومن ذلك قوله تعالى فى أحكام النساء « ولهن مثل الذى عليهن » فهو كلام يتضمن جميع ما يجب على الرجال من حسن معاشرة النساء وصيانتهم وأزالة غلظهن وبلوغ كل مبلغ فيما يؤدى الى مصالحهن وجميع ما يجب على النساء من طاعة الأزواج وحسن مشاركتهم

وطلب مرضاتهم وحفظ عيبيهم وصيانتهم عن خيانتهم . ومن ذلك قوله تعالى « ولكم فى القصاص حياة » كما تقدم الكلام عليها مستوفى . ومن ذلك قوله تعالى « ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » فانظر كيف جمع سبحانه فى هذه الكلمات القليلة ، الأحكام الكثيرة الجليلة والامر بجميع أنواع الخير والنهى عن جميع أنواع الشر مما يكون سببا للفوز الدنيوى والاخرى . ومن ذلك قلته تعالى : « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء » فلو أراد أحد اعيان البلاغة ان يعبر عنه لم يستطع ان يأتى بهذه الالفاظ مؤدية عن المعنى الذى يتضمنها حتى يبسط مجموعها ويصل مقطوعها ويظهر مستورها فيقول ان كان بينكم وبين قوم هدنة وعهد فخفتم منهم خيانة وتقضا فاعلمهم انك نقضت ما شرطت لهم وأذن لهم بالحرب لتكون أنت وهم فى العلم سواء . ومن ذلك ما جرى فى مجرى المثل من ألفاظه بجمع الاعجاز والايجاز قوله سبحانه وتعالى « ولا يحق المكر السيئ الا بأهله » انما بفيكم على أنفسكم « — كل نفس ذائقة الموت » — « كل نفس بما كسبت رهينة » — « كل من عليها فان » — « ولا تزر وازرة وزر اخرى » — « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » — « لكل نبا مستقر » — « قل كل يعمل على شاكلته » — « ولا تنس نصيبك من الدنيا » — « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » — « اغرقوا فادخلوا نارا » — « كل حزب بما لديهم فرحون » — « يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو » — « وان الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء » — « ويخلق ما لا يعلمون » — « ليس كمثل شئء وهو السميع البصير » — « والهكم اله واحد » — « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا » — « ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار » — « وأزلفت الجنة للمتقين » — « ان الذى أحيها احيى الموتى » — « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » — « ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما ظلمت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار » — « آتانا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين »
وغير ذلك مما لو أردنا ذكره لطلال الكتاب واتسع الجواب .
وأما الآيات التي فيها الأحكام وأخبار الامم الماضية التي هي عبرة لأولى الأبصار والوعد والوعيد ، فتركنا أيضا ذكرها وخشينا السامة من نشرها . ويكفي من القلادة ما أحاط بالجيد .

الفصل الثاني

في ذكر كلمات النبي ﷺ

« الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » — ان في الجسد مضافة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسم كله الا وهي القلب --- ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم بل ينظر الى أعمالكم وقلوبكم — اذا حدث أحدكم فلا يكذب — واذا وعد فلا يخلف — واذا ائتمن فلا يخن — غضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم — أشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى أن فيه خيرا ولا خير فيه — أخوف ما أخاف على أمتي البرياء الظاهر والشهوة الخفية — من حسن لسلام المرء تركه ما لا يعنيه — المؤمن يغبط والمنافق يحسد — ما ازداد أحد بعفو الاعزافا عفوا يعزكم الله — لا تكونوا عيا بين ولا تكونوا لعانين ولا متمادحين ولا متماوتين — ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس — أنهاركم عن عقوق الأمهات وواد البنات ومنع وهات — لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا — لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث — الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى الأمانى — المؤمن كالبنيان يشد بعضهم بعضا — عمالكم كأعمالكم كما تكونوا يولى عليكم — الدال على الخير كفاعله — ان للقلوب صدد كصدء الحديد وجلاءها الاستغفار — من كنوز البر كتمان الصدقة — داووا مرضاكم بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة.

— صدقة السر تطفى غضب الرب — زغباً تزيد جبا — ما عال من اقتصد
المؤمنون عند شروطهم — القلوب تتشاهد — ترك الشر صدقة —
الحياة شعبة من الايمان — ابدأ بمن تعول — تخيروا لنطقكم — اتقوا الملاعن
خير الأمور أوساطها — اياك وما يعتذر منه — مطل الغنى ظلم — من غشنا
فليس منا — كل ميسر لما خلق له — المجالس بالأمانات — الوحدة خير من
جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة — السعيد من وعظ
بغيره — البركة فى البكور — اليقين حنث أو مندمة — الندم توبة — لا يكون
المؤمن طعانا ولا لعانا — دع ما يريبك الى ما لا يريبك .

انتظار الفرج عبادة — لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف — المستشار معان
والمستشار مؤتمن — خير المال عين ساهرة لعين نائمة — انزلوا الناس
مفازلهم — اذا أتاكم كريم قوم فأكرهوه .

وذكر اناك الخيل فقال ظهورها جزز وبطونها كنز — وذكر الغنم ،
وقال سمئها معاش وصوفها رياش — رأس الحكمة مخافة الله تعالى —
الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك — المسلم من
سبلم المسلمون من لسانه ويده — كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته — أول
ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصوم — افشوا السلام واطعموا
الطعام وصلوا بالليل والناس نيام — ارزق أشد طلبا للعبد من أجله — نعمتان
مجهولتان الصحة والأمان — أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف
فى الآخرة — السعادة كل السعادة — طول العمر فى طاعة الله تعالى —
الرغبة فى الدنيا تكثر الهم والحزن — فضوح الدنيا أهون من فضوح
الآخرة — البطالة تقسى القلب — الزنا يورث الفقر — صنائع المعروف
تقى مصارع السوء — العلماء أمناء الله على خلقه — الناس معادن كمعادن
الذهب والفضة — المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلبه — الويل كما الويل
لمن ترك عياله بخير ، وقدم على ربه بشر — من سرته حسنته وساءت
مسيئته فهو مؤمن — لو توكلتم على الله حق توكلكم عليه لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماسا وتروح بظانا — من يشته كرامة الآخرة يدع زينة

الدنيا — من أصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه عنده قوت يومه ، فكأنها صيرت له الدنيا بحذاقيرها — رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم — جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها — التمسوا الرزق فى خبايا الأرض — اطلبوا الفضل عند الرحماء — الراحمون يرحمهم الرحمن — ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء — لياخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فما بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار — اتقوا دعوة المظلوم ويقول الله عز وجل : وعزتى وجلالى لأنصرك ولو بعد حين — لا يبلغ المرء حقيقة الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن يصبغ عليه — لا يشبع عالم من علم حتى يكون منتهاه الجنة — ان الله اذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى عليه اثرها — ان الله يحب الرفق فى الأمر كله — ان هذه القلوب تصدا كما يصدأ الحديد قيل فما جلاؤها ؟ قال ذكر الموت وتلاوة القرآن — ليس منا من وسع الله تعالى عليه ثم قتر على عياله — ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفانيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت — رفقا بالقورايير اى النساء — الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم اليه أنفعهم لعيله — من تواضع لله رفعه الله — العالم والمتعلم شريكان فى الخير — اذا استعنت فاستعن بالله — صل من قطعك واعف عن ظلمك واحسن الى من أساء اليك .

ومن خطبه عليه السلام — ان أصدق الحديث كتاب الله — وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملة ابراهيم ، وخير السنن سنة محمد وأشرف الحديث ذكر الله — وأحسن القصص هذا القرآن — وخير الأمور عوازمها — وشر الأمور محدثاتها — وأحسن الهدى هدى الانبياء — وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير العمل ما نفع — وخير الهدى ما اتبع — وشر العمى عمى القلب — واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر ولهى — وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة — ومن الناس من لا يأت الصلاة الا دبرا ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا ، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب ،

وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله تعالى
وخير ما وقر على القلب اليقين ، والارتياح من الكفر والنياحة من عمل
الجاهلية ، والفلول من جمر جهنم ، والكنز كى من النار والشعر من
مزامير ابليس والخمر جماع الاثم والنساء حباله الشياطين ، والشباب
شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا وشر الماكل مال اليتيم ،
والسعيد من وعظ بغيره ، وملاك العمل خواتمه ، وسباب المؤمن فسوق
وقتال المؤمن كفر وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة ودمه ،
ومن يتألم على الله يكذبه ومن يغفر يفتخر الله له ، ومن يعف يعف الله تعالى عنه،
ومن يكظم الغيظ يأجره الله تعالى . ومن يصبر على الرزية يعوضه الله
ومن يصبر يضاعف تعالى الله له ، ومن يعص الله تعالى يعذبه الله ، استغفر
الله لى ولكم الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف
تعملون ، فاتقوا الله واتقوا النساء فان اول فتنة بنى اسرائيل كانت فى
النساء الا ان خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الرضا ، وشر
الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا ألا ان خير التجار من كان
حسن القضا حسن الطلب ، ان الله تعالى يحب كل قلب حزين ، ان
الله يحب الناسك النظيف ، ان الله تعالى يوصيكم بالنساء خيرا ، ان
الله يوصيكم بأهاتكم ، ان الله يوصيكم بأبائكم ، ان الله يوصيكم بالأقرب
بالأقرب ، من حلف بغير الله فقد أشرك ، أعظم الناس حقا على المرأة زوجها
وأعظم الناس حقا على الرجل أمه ، اجتنبوا الخمر فأنها مفتاح كل شر اتق الله
تعالى فى عسرك ويسرك ، اتق الله تعالى حيث ما كنت واتبع السبيئة
الحسنة تمحوها وخالق الناس بخلق حسن ، ان امرؤ شتمك وعيرك بأمر ليس
هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه ودعه يكون وباله عليه وأجره لك ، ولا تسب
احدا ، اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بها قسم الله تعالى لك تكن
أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك
تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب ، أحب الأعمال
الى الله تعالى أن تبوت ولسانك رطب من ذكر الله أحب الأعمال الى الله
من أطعم مسكينا من جوع أو رفع عنه مغرما أو كشف عنه كريبا أحب
الأعمال الى الله الحب فى الله والبغض فى الله ، خير الناس أقرؤهم للقرآن

وأشقيهم فى دين الله وأتقاهم لله وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم ، حب الدنيا رأس كل خطيئة ، هب النناء من الناس يعمى ويصم ، ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : ان يكون الله تعالى ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا الله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله سبحانه منه كما يكره أن يلقى فى النار ، ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته : تعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك . ثلاث من كن فيه فان الله يفتقر له ما سوى ذلك : من مات لا يشرك بالله شيئا ولم يكن ساحرا يتبع السحرة ولم يحقد على أخيه ثلاث من كنوز البر : اخفاء الصدقة حتى ما تعلم شماله ما تنفق يمينه وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى . ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ومن قاتل على عصبية ومن تشبه بغيرنا ليس منا ، من انتهب أو سلب أو أشار بالسلب .

وغير هذه الأحاديث مما فيه بيان الحلال والحرام والنصائح العظام بجميع الانام مما لو ذكرناه لطلال الكلام ، والله الموفق للاعتصام .

الفصل الثالث

فى ذكر شيء من كلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه تعالى عنه قال ان الله تزن وعده بوعيده ليكون العبد راغبا راهبا ، — الموت أهون ما بعده وأشد ما قبله — ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر اذا فاتك خير فأدركه وان أدركك شرنا سبقه . — ان عليك من الله عيوننا تراك ، احرص على الموت توهب لك الحياة — رحم الله تعالى امرءا عان أخاه بنفسه ، أطوع الناس لله أشدهم بغضا لمعصيته ، ان الله تعالى سبحانه يرى من باطنك ما يرى من ظاهرك ، — أصلح نفسك يصلح لك الناس .

وقال فى خطبة له : ان اقواكم عندى الضعيف حتى أعطيه ، وان أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق ، انكم فى مهل وراءه أجل

ذبادروا فى مهل آجالكم قبل أن تقطع آمالكم فتردكم الى سوء أعمالكم
أن الله تعالى لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة .
وقال صنائع المعروف تقى مصارع السوء .
ولما بلغه أن الفرس ملكت عليها ابنة أبرويز ، قال : ذل قوم أسندوا
أمرهم الى امرأة .

الفصل الرابع

فى شيء من كلام عمر رضى الله تعالى عنه
لا تؤخر عمل يومك لغدك ، غمض عن الدنيا عينك وول عنها قلبك
وايك أن تهلك كما اهلكت من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعها وعابنت
سوء أثرها على أهلها وكيف عرى من كست ، وجاع من أطعمت ، ومات
من أحييت ، ليس لأحد عذر فى تعمد ضلالة حسبها هدى ، ولا ترك حق
حسبه ضلالا شرار الأمور محدثا واقتصاد فى سنة خير من اجتهاد فى
بدعة ، ما كانت نعمة الله تعالى على أحد الا وجد له حاسدا فلو كان
الرجل أقوم من القدرح لما عدم غامزا ، لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن
الكتابة (١) وعودهن لا فان نعم تجربنهن الدنيا ، أمل مختزم وأجل
منتقص وبلاغ الى دار غيرها وسير الى الموت ليس فيه تعريج ، فرحم
الله تعالى أمرا فكر فى أمره ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه ،
اياكم والبطنة فانها مكسلة عن الصلاة مفسدة للحس ، مؤدية الى السقم ،
رحم الله من أظهر لى عيوبى السيد هو الجواد حين يسأل ، الحلیم حين
يستجهل البار بمن يعاشره .

أفلح من حفظ عن الطمع والفضب والهوى نفسه ، اشقى الولاة من
شقيت به رعيته ، من خاف نجا ، من لم يعرف الشر وقع فيه .
وكتب الى ابنه عبد الله : اما بعد ، فانه من اتقى الله وقاه ، ومن
توكل على الله كفاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكر زاده ، فلتكن التقوى

(١) هذه الحكمة تضايق النساء فى زماننا هذا .

عباد بصرك وجلاء قلبك ، واعلم أنه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسبة له ولا مال لمن لا رفق له ولا جديد لمن لا خلق له والسلام .

الفصل الخامس

في كلام عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه
ان لكل شىء آفة ولكل نعمة عاهة ، وان آفة هذا الدين وعاهة
هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون ، طعام
مثل النعام يتبعون أول ناعق يكفك من الحاسد أن يفتنم يوم سرورك ،
خير العباد من عصم واعتصم بكتاب الله تعالى ونظر ، الى قبر فيكى ، وقال
هو أول منازل الآخرة وآخر منازل الدنيا ، فمن شدد عليه فما بعده أشد ،
ومن هون عليه فما بعده أهون .

تاجروا بالصلاة ترحوا .

الفصل السادس

في بعض مما قاله على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه .
من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه ، ومن ضيعة الأقرب أتبع
له الأبعد ، ومن بالغ فى الخصومة أثم ومن قصر فيها ظلم ، من كرمت
عليه نفسه هانت عليه شهوته ، الأحر يدع هذه اللماظة لأهلها ، انه ليس
لانفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها ، خير البلاد ما حملك ، ما لابن
آدم والفخر ؟ أوله نطفة وآخره جيفة ، لا يرزق نفسه ولا يرفع حنقه ،
الدنيا نغر وتضر وتمر ، ان الله تعالى لم ير فيها ثوابا لأوليائه ولا عقابا
لأعدائه ، وان أهل الدنيا كركب بيناهم حلوا ، اذ صاح صائحهم ،
فارتحلوا من صارع الحق صرعه القلب (القلب) البصر ، التقى رئيس
الأخلاق ، ما أحسن تواضع الاغنياء للفقراء طلبا لما عند الله ، وأحسن
منه تيه الفقراء على الاغنياء اتكالا على الله . الدهر يومان لك ويوم
عليك فان كان لك فلا تبطر ، وان كان عليك فلا تضجر ، من طلب شسيئا

تاله أو بعضه ، الركون الى الدنيا مع ما تعاین منها جهل ، والتقصير
فى حسن العمل وثقة بالثواب عليه غبن ، والطمانينة الى كل أحد قبل
الاختبار عجز ، والبخل جامع مساوىء الاخلاق ، من كثرت نعمة الله تعالى
عليه كثرت حوائج الناس اليه ، فمن قام الله تعالى فيها بما يجب عرضها
للدوام والبقاء ، ومن لم يفم عرضها للزوال والفناء ، الرغبة مفتاح النصب
والحسد مطية التعب من علم أن كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه .
من نظر فى عيوب الناس وأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحق بعينه ،
العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى ، المؤمن بشره فى وجهه وحزنه
فى قلبه ، الأمانى تعمى أعين البصائر ، لا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح
كالثواب ولا قائد كالتوفيق ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم ولا ورع
كالوقوف عند الشبهة ولا قرين كحسن الخلق ولا عبادة كالفرائض ولا عقل
كالتدبير ولا وحدة أوحش من العجب ، من أطال الأمل أساء العمل .

وسمع رجلا من الحرورية يتهدد ويقرأ فقال : نوم على يقين خير من
«صلاة فى شك ، اذا تم العقل نقص الكلام ، نفس المرء خطاه الى أجله ،
قيمة كل امرء ما يحسنه ، المال مادة الشهوات ، الناس أعداء ما جهلوا ،
رأى الشيخ خير من مشهد الغلام ، استغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج
الى من شئت فأنت أسيره ، لا ترجون الا ربك ، ولا تخافن الا ذنبك ،
فصر ثيابك فانها أبقي وانقى وانقى ، خير أموالك ما كفاك ، وخير اخوانك
من وأسائك .

الفصل السابع

فى كلمات لبعض أئمة الدين .

قال ابن عباس رضى الله عنه : ملاك أموركم الدين وزينتكم العلم
وحصون أعراضكم الأدب وعزكم الحلم وصلتكم الوفاء ، اعمل عمل من
يعلم انه مجزى بالحسنات مأخوذ بالسيئات . وقال عبد الله بن مسعود :
الدنيا كلها غموم ، فما كان منها فى سرور فهو ربح ، ومن كلام لأبى

خبر رضى الله تعالى عنه ان لك نى مالك شريكين الحدثنان والوارث ،
فان قدرت أن لا تكون أخس الشركاء حظا فافعل ، وكان يقول اللهم
متعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا .

ومن كلام عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه : ما الجزع
بما لا بد منه ؟ وما الطمع فيما لا يرجى ؟ وما الحيلة فيما سيزول ؟ ومن
كلام الحسن البصرى : ما رايت يقينا أشبه بالشك من يقين الناس
بالموت وغفلتهم عنه ، وقيل له : من شر الناس ؟ قال الذى يريك أنه خيرهم ،
وقال ابن السماك : خف الله كأنك لم تطعه وارج الله حتى كأنك لم تعصه
انتهى .

وهذا قطرة من بحر وشذرات من قلائد نحر ، وأما ما ورد فى
القرآن العظيم من الاحكام وما جاء فى بيان الحلال والحرام عن نبينا عليه
الصلاة والسلام فكثير جدا لا تقدر أن نرى له حدا ولا نحصى له عدا ،
فان أردت أكثر مما ذكرناه ، فتتبع كتب التفسير والحديث واسير
لتقف على مفصل ما أجملناه وخذ مما نقلناه وازنه بما عداه ولا تحفف
فى الميزان ولا تجادل بالباطل ، فعند الامتحان يتبين الحق لمن له عينان
وأذنان سامعتان ، والله تعالى حسيب من يريد تشبيه هذه الأناجيل
بالقرآن ، وبه المستعان فى كل شأن والحمد لله تعالى عى الاسلام وكامل
الايمان واتباع الفرقان وسيد ولد عدنان ﷺ وشرف ومجد وكرم .

قال النصراني : « ولعل عاتبا عاتبا بقلته دينه يعيب ألفاظ الانجيل ، ويقول في تسمية المسيح : سيدنا الله تبارك وتعالى ابانا ، فنجيبه في هذا بجواب مقنع ونقول ان المسيح اله العالم وسيداه أراد أن يحب طاعة الله الى الناس ويقربها من قلوبهم ، لتكون طاعتهم له بالمحبة والمودة لا بالقهر والرهبة ، وأن يؤلف بين قلوبهم ويخرج العداوة منها ويدفع ذكر التفاخر بالأنساب الذي أوقعه الشيطان بينهم ويجعلهم متعارفين بعضهم ببعض بالاخوة التي هم فيها كما هم في الطبيعة أجمع اخوة لأب واحد وأم واحدة ، وكذلك أحب أن يكونوا في جميع الحالات ليس كما فعل صاحبك ، حيث زرع البغضة بين الناس بقوله : « يا ايها الذين آمنوا أن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تغفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم » (تغابن) والسيد المسيح كان يخاطبهم ويقول لهم أبوكم الذي في السموات يفعل بكم كذا وكذا ويصطنع اليكم كيت وكيت كل ذلك ليزرع في قلوبهم محبة بعضهم لبعض فتتحل الصفات ويرتفع التفاضل ، ولعمري ان الله جل وعز هو الأب الرحيم المشفق المتحنن المجمل اذ كان بدأ فخلقنا جودا واحسانا قبل ان نكون تفضلا منه علينا وهو يقوينا ويرزقنا بنعمته ، ويفقدنا بجوده ويتعهد هفواتنا ويفخر ذنوبنا ويحتل بكرمه وطول آثاته جهلنا ولا يعجل علينا كما يفعل الأب المشفق على ولده ، ثم اذا أدبنا خلط بأدبه الرأفة والرحمة (عبرانيين ٦) فلا يصل الى الغاية التي نستحقها بذنوبنا ، فمن أحق وأولى بان يسمى باسم الابوة الحقيقية من الله تبارك اسمه وتعالى ذكره ؟ فلا حجة اذا للمنكر في انكاره على المسيح سيدنا ، حيث يسم الله ابانا » انتهى .

فأقول : أراد النصراني أن تسمية الله تعالى ابا من قبيل الاصطلاح لهم للسبب الذي ذكره ، وأنه لا مشاحة في الاصطلاح والكلام فيه سهل غير أنه اذا كان لفظ الأب يطلق بزعمهم على الله تعالى بالنسبة الى عبده ، فأي دليل حينئذ لهم على أنه لما أطلق بالنسبة للمسيح عليه السلام دل على ألوهيته وأنه ابن الله أي هو الله بذاته حقيقة لا مجازا ؟ بما الفرق بين اطلاق أبوته سبحانه للمسيح وغيره كما لا يخفى ؟ وأمسأ

قوله « أراد أن يحب طاعة الله الى الناس » الى آخره فهو تناقض وتهافت ، لأن المسيح بزعمه هو الله عينه ولا غيره ، والداعى الى محبة الله تعالى الحقيقية هو القرآن الكريم كما لا يخفى على قارئيه ، ونبينا الذى هو بالمؤمنين رعون رحيم ، دعا الى محبة الله سبحانه كما دعا أخواه المسيح والكليم .

وأما قوله « لا بالقهر والرهبة » الى آخره مبرود عليه ، ففى الاصحاح العاشر من انجيل متى ما لفظه : « لا تظنوا انى جئت لألقى فى الأرض أمانا ما جئت لألقى أمانا بل حربا » وفى نسخة « بل سيفا أتيت لأفرك الرجل من أبيه والابنة من أمها والعروس من حماتها ، وأعداء الرجل اهل بيته » انتهى وقيل هذه الآيات حين ما أرسل التلاميذ وأوصاهم ما لفظه : « لأن لستم أنتم المتكلمين لكن روح أبيكم الذى يتكلم فيكم ، وسيسلم الأخ أخاه الى الموت والاب ابنه وتقوم الابناء على آباءهم فيقتلونهم وتكونون مبغوضين من الكل من أجل أسمى » وفى الاصحاح الثانى عشر من انجيل لوقا ما لفظه : « جئت لالقى نارا على الارض وما أريد الا اضرامها » انتهى فالعجب من هذا النصرانى وتلبيسه وتمويهه فى كلامه هذا ونحوه على ضعفه العقول وعديمى الاطلاع على كتبهم وكتب المسلمين ، وكيف استشهد بالآية وساقته المقادير الى نكر آخرها وهو قوله سبحانه « وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم » فأين هو عن هذه وعن قوله سبحانه « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم » وقوله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من نكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وقوله عز وجل « لا انساب بينهم » وأمثال هذه الآيات .

وقوله عليه الصلاة والسلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقوله ﷺ « وكونوا عباد الله اخوانا » وقوله عليه الصلاة والسلام « لا فضل لعربى على عجمى انما الفضل بالتقوى » وقوله ﷺ حينما نزلت آية « وأنذر عشيرتك الأقربين » « يا عباس عم رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله

شينا » وقوله سبحانه « وبالوالدين احسانا » وقوله عليه الصلاة والسلام « أكبر الكبائر الاشرار بالله تعالى وقتل النفس وعقوق الوالدين والزنا والربا » وأمرنا بإفشاء السلام والتودد والتناصر والاحسان وعدم الظلم والعفو والصفح وتحمل أذى الجار والايخوان والمسلمين وقال عليه الصلاة والسلام « لا يؤمن أحدكم - أى الايمان الكامل - حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه » وأمثال هذه الآيات والأحاديث التى يضيق كتابنا عن حصرها فافهم .

ثم ان قوله بالحبة والمودة لا بالقهر والرهبه يضاد أيضا ما فعلته فرقة البروتستنت بالكاثوليك وغيرهم من فرق النصارى من القتل والنهب والتعذيب الواقع منهم مرارا عديدة وما فعلته الباباويون أيضا بالبروتستنت من القتل والتعذيب والنهب والضرب ووضع الاحكام المهلكة عليهم التى مر لك شىء منها فتذكر لتعرف مناقضة المؤلف لأقوالهم وأفعالهم وانجيلهم ودعواهم ولا تفعل .

وأما الآية الكريمة التى ذكرها ليروج باطل مرامه وفاسد مقصده بظاهاها على زعمه فاسمع ما قاله المفسرون فى سبب نزولها وشرحوه من تفسيرها قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم » يدخل فيه الذكر والأنثى « وأولادكم عدوا لكم » أى أن بعضهم كذلك ، فمن الأزواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم الردى ، ومن الاولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الفصص والأذى وشاهدنا من الأزواج من قتلت زوجها ومن أفسدت عليه باطعامه بعض مفسدات العقل ، ومن كسرت قارورة عرضه ، ومن مزقت كيس ماله ، ومن ومن ، وكذا من الاولاد من فعل مثل ذلك ، ويدخل فى ذلك سبب النزول دخولا أوليا « فاحذروهم » أى كونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم والضمير يعود الى العدو ، فانه يطلق على الواحد والجمع « وان تغفوا عن ذنوبهم » القابلة للعفو « وتصفحوا » بالاعراض وترك التثريب عليها « وتغفروا » أى تستروها « فان الله غفور رحيم » بالغ الرحمة والمغفرة لكم ولهم يعاملكم بمثل ما عاملتم ويتفضل عليكم .

وشبب نزول هذه الآية على ما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
أن الرجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم
وأولادهم أن يدعوهم الى أن يأتوا النبي ﷺ فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا
الناس قد فقهوا في الدين ، فهموا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله تعالى « يا أيها
الذين آمنوا الآية » ، أخرجه الترمذى وغيره وقال حديث حسن صحيح فافهم
والله تعالى أعلم .

قال النصراني : « ثم قال في أداء الفرائض « صوموا وصلوا
وادوا الفرائض التي أوجبها الله فاذا فعلتم ذلك كله فقولوا اننا عبيد
يطلون انما عملنا ما أمرنا به » وقد تحققت لنا أقواله ووصاياه بما كان
يظهر لنا من سيرته أنه كان صائما مصليا لا بيت له ولا مأوى ولا شيء من
اللقنية أكثر من ثوبين يوارى بهما جسده ، فقد قال له بعض السائلين
« يا عظيمنا أين منزلك لآتيك فيه ؟ فأجابته أن للتعاليب أوجرة ولطيور
السماء أوكارا وأما أنا فلا بيت لي ولا مأوى ، حيث أدركت فهناك مبيتى ،
ومتى طلبتني وجدنتني » لم يتكلم بأفك قط ولاهم بخطيئة ولا اقترف
نبا ولا ارتكب اثما ولا قبيحة ولا أعاب أحدا ولا آذاه ولا منع طالبا
ولا رد سائلا ولا أعرض عن مستفيث ولا عن مستمبح كما سبق قول النبي
فيه (آس ٥٣)

ثم اتبع ذلك فحقق قوله بالاعاجيب والآيات التي فعلها وكان يشفى
المرضى الذين لا يعرف عددهم الا هو تبارك اسمه ويبرءهم من أدوائهم
ويكشف عن أسقامهم ويهب لهم العافية بكلامه طهر البرص وأخرج الشيطان
وبسط أيدي العسم وأحيا الموتى الذين ماتوا وأنت عليهم الأيام الكثيرة
مثل العازر أختي مريم ومرثا ومثل ابنة يايروس رئيس الكهنة وعبد العامل
وابن الأرملة وغيرهم وأخبر بالغيب وبما تخفيه صدورهم وتكنه أفئدتهم ،
وبكلمته أبرأ المفلوج وأمر المقعد الذي أتت عليه ثمان وثلاثون سنة زمنما
أن يحمل سريريه على عاتقه ويمضى محاضرا فكان ذلك ، ونادى الشياطين
فأجابته مذعنة لأمره طائعة لربوبيته مقرة له أنه كلمة الله الحي وأنه هو
الذي يبطل سلطاتها وتسأله أن يذهل عنها وغفر الخطايا ومحو الذنوب
بالكلمة الخالقة المجددة بروح القدس الحالة فيه وفتح أعين الأكمة المعروف
بالعمى على طول الأيام وخلق لبعضهم الأعين من الطين المجهول بريقه ،
قدرة منه على الخليفة وأشبع من خمس خبزات وسمكتين خمسة آلاف
رجل خلا النساء والصبيان ، وفضل من ذلك اثني عشر منا كسرا وكان
مباركا حيث كان وغير الماء المصوب في ستة أجاجين خورا وذلك في عرس
في الجليل ، وتباركت به الصبيان ونادت به الأطفال ولعن شجرة الطين

تجفت من ساعتها وزجر أمواج البحر فى شدة الريح فانتهدت ومشى على الماء ظاهرا وتجلى لتلاميذه فى الجبل مع موسى وإيليا التبيين ، وخبر السامرية بخبرها مع الأزواج وأبرأ المرأة التى كان بها تزيف دم منذ اثنتى عشرة سنة وذلك بمجرد لمسها ثوبه وظنت أنه لا يعلم بها فعلم بالقوة التى خرجت منه ، وقال لجماعة من لس ثوبى ؟ وأنت المرأة وسجدت له وأثرت بما فعلت فقال لها ((إيمانك شفأك ، امضى بسلام وكونى بريئة من علك))

وأمر الشياطين أن تدخل فى الخنازير وتفرق فى البحر فأجابت وانتهدت الى طاعته وفعل أفعالا كثيرة لو نسق جميعها الرسل لطال الكتاب بها . وقد تركنا أيضا كثيرا منها لئلا يطول كتابنا هذا ولأئنى أعلم أنك قد قرأت الإنجيل المقدس حيث كان ما أثبتته التلاميذ من ذلك منسوقا فيه ، ومن قول صاحبك وشهائنته : (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) فكيف يحيل عليك أصلحك الله أن هذه الأفعال ليست الهية ولا يحيل ذلك الا على من أظلم عقله بالحسد وأعمى بصره بالفيرة ومن حملته محبة الدنيا على اهلاك نفسه ومن اتبعه بالانك . وكل ذى لب ناصح لنفسه اذا هو نظر فى كتابنا هذا وتصفح هذه الأمور بعين الحق والنصفة واقاسها بأفعال صاحبك تبين له الحق من الباطل ، وان كان لا يقاس بأمر المسيح شىء من الأثيياء بالبهت والكنب والدعوى الباطلة ونحن نعلم وأنت ، أن أفعال المسيح ليست من أفعال البشر وان أمر صاحبك قد تهايا لجماعة من الناس ممن قد رأينا وسمعنا به من الملوك المتقدمين فى سائر الأزمان .

فان قلت : ان الأنبياء كانت تفعل الأثيياء المعجبة التى ليس فى قدرة العالمين أن يفعلوا مثلها مثل موسى وغيره . قلنا لك : نعم ان الأنبياء كانت تفعل ذلك لكن بعد التضرع الشديد والطلب الطويل والمسألة الملحة لا بالقدرة القاهرة والأمر النافذ الذى لا مرد له ولا شىء يعتاص عليه او يضاده مثل ما كان يفعل سيدنا المسيح لأن أولئك إنما كانوا يفعلون الشىء المعجز كما يفعل العبيد المشفقة بحسب الطاعة لإنفاذ الأمر الذى

وجهوا به وتبليغ الرسالة . وأنت تعلم أن موسى قبل فلق البحر لبني إسرائيل مازال مصليا راکعا ساجدا طالبا حتى قال الله له : لم تصل قم فاضرب البحر بعصاك فانه يتفلق بين يديك ؟ هكذا نجده في التوراة . وكذلك يشوع بن نون وإيلياء واليشاع كانوا يتضرعون ويطلبون في صلواتهم فعند ذلك يؤذن لهم في عمل الآية ، وذلك بعد المسألة الملحقة .

على أن بعضا دعا وصلى وتضرع فلم يجب مثل موسى نجى الله ، فانه تعالى قال له لا ادخلك أرض المواعيد وهي بلاد الشام لأنك لم تصدقني ولم تقدر اسمي أمام بني إسرائيل ، وذلك في المكان المعروف بماء الخصام لضربه الصخرة ضربتين فحرمه من دخول أرض الميعاد ، ومثل إرمياء المغبوط في الأنبياء قد دعا فقال الله عز اسمه في بعض ما دعا اني لا أسمع دعائك ولا أقبل صلواتك ، فأما سيدنا يسوع المسيح الذي هو الابن الحبيب كما شهد أبوه له قائلا « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » فانه فعل الأشياء بالقوة القاهرة التي هي الكلمة الخالقة للسموات والأرض المتحدة به .

فهو يقدر مخالف أن يتعنت أو يبطل هذا القول إلا بالحسد والمعاداة للحق والافتراء على الله الآب وكلمته وروح القدس ، مثل من يقول : ان الشمس مظلمة والنار غير محرقة ، فباهت بذلك العيان ، وكفاه بهذا خجلا » انتهى .

فنقول : ومنه سبحانه الهداية والاعانة والتوفيق .
قوله « ثم قال في أداء الفرائض صوموا »

لا يخفى عليك أن النصارى خالفوا ما أمرهم به لأن بعضهم زيد الايام التي فيها يصام وبعضهم نقص ، على أنهم لا يصومون لأن الصوم عبارة عن الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وليس عندهم الآن من ذلك شيء غير أنهم يحتمون عن أكل بعض أنواع الأطعمة أياما معدودة مع أنهم مختلفون في عددها ، فعلى هذا لا صوم عندهم فقد خالفوا الإنجيل ، وهذا ظاهر مشهور مستغن عن الدليل .

قوله :

وصلوا لا يخفى أن المطلوب من الصلاة توحيد الله تعالى بالعبادة والدعاء والطلب منه والسجود له ، وهذا أيضا مفقود عندهم إذ هم يصلون

للمسيح ولأمه ، ويقولون في صلاتهم التي تقدم ذكرها للعذراء : « لك نصلى ونسجد » ويسجدون للصليب والصور ومع هذا فهم غير طاهرين أبدانا وثيابا ، ولا يتوجهون فيها الى القبلة (١) التي أمروا بالتوجه اليها بل الى المشرق كعباد الشمس ، وكل هذه الأشياء استنبطها بولس مقدسهم خلاف شريعتهم فاتبعوه وخالفوا ما كان عليه المسيح ، فلا تغفل قوله « وادوا الفرائض التي أوجبها الله » لا يخفى عليك أيضا أن من جملة ما فرض عليهم في التوراة الختان ، وهم قد رفضوه ولم يمتثلوه مع أن عيسى عليه السلام قد اختتن وسائر الأنبياء ، ومكتوب في التوراة أنه مؤيد عليهم ولم يثبت نسخه من المسيح ، فهل بقي عندهم عمل بما أوجبه الله تعالى عليهم ؟

قوله « كان صائما مصليا » لا يخفى على كل ذي لب أن هذا دليل كاف في عبودية المسيح وأنه يخشى الله سبحانه ويرجو رحمته ، ومكلف بالعبادات كغيره من العباد ، وأما تأويلات النصارى لهذا وجوابهم عنه فهو هباء وسفسطة ولا يخفى بطلانه على ابن يوم ، اذ قولهم : انه يصلى لله تعالى من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، أو أنه انما يفعل ذلك تعليما للعباد ، كلام لا يصدر من عاقل وجواب الأول : أن الناسوت عبارة عن البدن من لحم وعظم وهو غير مكلف بحد ذاته لولا الروح ، فالذي يصلى في الحقيقة هو الروح لا البدن ، مع أن الروح لاهوتية وهي نفس الاله غيره فكيف يصلى جزء الاله الحال في بدن عيسى لله سبحانه المستوى على العرش استواء لائقا بذاته ؟ وهل هذا الا خرافة وهذيان ؟ وقد بسطنا لك هذا البحث مفصلا فتذكر . وأما جواب الثاني : فهو ان التعليم يعنى عنه الأمر بلسانه كما أمر بغير الصلاة من زكاة وتزوج ونحوهما مع أنه يزك هو بنفسه ولم يتزوج ، على أن الختان أمر به وعمله بنفسه ولم تقتد النصارى به ، فأين تأثير أفعاله ؟ فكان اللازم على الوهيته أن يأمرهم بالصلاة بلسانه فقط ولا يتحمل مشقة الفعل . وكل عاقل يعلم بالضرورة أن المصلى

(١) البروتستانت على قبلة موسى وهي علم تحديد جهة . وغيرهم الى الشرق .

غير المصلى له ، وعيسى مع الله تعالى بزعمهم لاهوت واحد وطبيعة واحدة وأرادة واحدة ، والغيرية بينهما منتفية على دعواهم الباطلة فتبصر ، ولا تكن من الجاهلين .

قوله : « ومتى طلبتنى وجدتنى » ان صح هذا عن المسيح فقابل للتأويل بوجوه عديدة : منها أنه من يطلبه فلا بد أن يطلبه للارشاد وهو حاصل برؤية الانجيل المأخوذ عنه الذى لم يحرف فمن طالع فيه فكأنها حضر عند المسيح وأخذ عنه واسترشد به ، ونظير هذا كثير فى الانجيل كما لا يخفى على من أحاط بعباراته ومجازها واستعاراتها خيرا فانظر ولا تغفل قوله « كما سبق قول النبى فيه أشعيا ٥٣ » أراد هذا النصرانى اثبات ألوهية المسيح وصلبه وكونه فداء أصحاب الخطيئة بنفسه من الاصحاح الثالث والخمسين من نبوة أشعيا مع أن الاصحاح المذكور ان صح وسلم من التحريف لا يفى بمراده ، لأنه ليس فيه صراحة بالمسيح عليه السلام ، ويمكن حمل الاشارات فيه على غيره من الرسل الكرام أو غيرهم من الأنام ، لا سيما واليهود لا تسلط للنصارى ذلك مع أن ما ادعاه من معنى هذا الاصحاح مناف للعقل والنقل والقرآن العظيم ، لأن من جملة هذا الاصحاح أن المشار اليه فيه لم يفتح فمه مثل ضأن الى الذبح يساق مع أن المسيح عند ذلك قال : « ايل ايل لم شبقتنى ، أى الهى الهى لم تركتنى ؟ » وطلب من الله تأخير الموت عنه فلم يؤخره كما تقدم نقل هذا من الاناجيل وكذا تراه وبكاؤه مما هم به بنو اسرائيل فكيف يقال انه لم يفتح فمه وسيق مثل الضأن ؟ وفيه أيضا أنه حمل الخطايا وصلى على المعتدين مع أن أصحاب الخطايا على حالهم بزعم النصارى كالمسلمين واليهود وغيرهما من سائر الأمم والناس ولم يحمل من خطاياهم شيئا ولم يحمل الا عن النصارى فقط ، وهم بالنسبة الى غيرهم أقل قليل فأى فائدة اذ ذلك من مجيئه وخمسه للخطايا ؟ وأما صلته على المعتدين فقد قدمنا لك ما فيه كفاية عن الاعادة ، وأنه يلزم منه دخول قائله الجنة لأنه صلى عليهم واستغفر لهم وشهد لهم بعدم علمهم فيما عملوه بقوله « يا أبت اغفر لهم فانهم لا يعلمون ما يفعلون » فاذا علمت ذلك فالاصحاح المذكور لا حجة لهم به على ما يزعمون .

بل هو دليل جليل على عبوديته ان كان هو المقصود (١) وأما اذا ادعوا ان فيه دلالة على نبوته ، فاننا ان سلمنا صحته فلا يعكر علينا لأننا بنبوته معترفون وبمعجزاته التي خلقها الله تعالى على يديه مصدقون ، وكيف تكون دليلا على ألوهيته وقد صدر أمثالها ممن تقدمه من الأنبياء عليهم السلام ؟ كقلب العصا حية وخلق البحر لموسى عليه السلام واحياء الموتى لأليشع كما فى الاصحاح الثامن من سفر الملوك ، وكما وقع لغيرهما من الخوارق والآيات كما فصلناه مرارا ، وأما علمه الغيب فهذا أيضا من جملة المعجزات لأن الله تعالى يعلم أنبياءه متى شاء ببعض المغيبات ، ولو كان المسيح عليه السلام الها كما زعموا العلم كل غيب فى كل آن ، مع أن كثيرا من الأشياء لم يعلمها . كما قال فى الساعة « انه لم يعلمها أحد الا الآب » والابن لا يعلمها كما فى مرقس ، وكما سئل الشيطان الذى دخل فى انسان عن اسمه قائلا ما اسمك ؟ فقال لأجون . فلو كان هو الله لما خفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء ولعلم جميع المسميات والأسماء ، فانهم ، والله تعالى أعلم .

قوله « وأخرج الشيطان » الخ أعلم أن معجزات المسيح عليه السلام الصحيحة لا كلام لنا فيها وكلها دالة على عبوديته ورسالته لا على ألوهيته التى زعمتها النصرارى . وهذه المعجزات ثبت مثلها لتبينا ﷺ وقد نقلنا لك بعضا منها فتذكر .

ولنذكر لك هنا ما هو مثل معجزة المسيح فى اخراج الأجنة من الناس ، فقد روى الامام أبو عبد الله محمد بن محمد التميمى رحمه الله تعالى بسنده فى كتابه « تلقيح العقول فى صفات الرسول ﷺ » قال أخبرنا أحمد بن عثمان بواسط قال ثنا على بن محمد الصيدلانى قال حدثنا محمد ابن محمد بن منتاب ، قال ثنا على بن عبد العزيز ، قال ثنا عجاج عن حماد بن مسلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن يعلى بن مرة قال رأيت من النبى ﷺ

(١) راجع كتاب اقتباسات كتاب الاناجيل من التوراة - نشر مكتبة الثقافة الدينية بمصر .

شيئا لم يره الا من كان معي ، خرج رسول الله ﷺ حتى اذا كنا بمكان
كذا وكذا ، جاءت امرأة بابتن لها فذكرت ان به جنونا فأخذ بحجرته فقال
اخرج باسم الله أنا محمد رسول الله اخرج باسم الله أنا محمد رسول الله ،
ثم قال اذهبي فتعاهدينا في مرجعنا فاعتدت له جزورا ولبنا وسمنا ، فلما
فلما رجع ﷺ أهدت اليه الجزور والسمن واللبن ، فرد عليها الجزور
والسمن وقال اسقي أصحابي اللبن ، وقالت ما عرض لابني شيء بعدك .

وقال أيضا : أخبرنا أبو القاسم ابن أبي عمر الهاشمي قال ثنا
القاضي ابراهيم بن فهد قال ثنا أبو سلمة موسى بن اسماعيل وبشر بن
حجر قالوا ثنا حماد بن مسلمة عن فرقد السبجي ، عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس ان امرأة جاءت الى رسول الله ﷺ بابتن لها فقالت يا رسول
الله ان ابني هذا به جنون ، وأنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا ، فيفسد
علينا فمسح رسول الله ﷺ صدره ، وقال اخرج عدو الله فثغ ثغة وخرج
من جوفه مثل الجرو يسعى أ . ه .

وقد ذكر غير هذا أيضا بروايات عديدة تركناها خشية التويل من
أرادها فليرجع الى « آكام المرجان في أحوال الجن »

قوله « وأخبر بالغيب » لا يخفى عليك أن اخبار نبينا عليه الصلاة
والسلام بالمغيبات أكثر ما وقع للمسيح عليه السلام . قال العلامة قاضي
عياض عليه الرحمة في كتابه « الشفا » : ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم
ما اطلعه عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك
قعره ولا ينزف غمره ، وهذه المعجزة في اطلاعه ﷺ على الغيب من جملة
معجزاته المعلومة على القطع الواصل اليها خبرها بالتواتر لكثرة رواياتها
واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب . قال حذيفة بن اليمان رضى الله
تعالى عنه : قام فينا رسول الله ﷺ مقاما فما ترك شيئا مما يكون في
مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه
مد علمه أصحابي هؤلاء وأنه ليكون منه الشيء قد نسيته ، فأراه فأعرفه
فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ، ثم اذا رآه عرفه .

ثم ان القاضى عياض ساق جملة حسنة مما أخبر بها النبى عليه الصلاة والسلام من المغيبات . وقد ذكرنا بعضها فى محله من هذا الكتاب فتذكر ولا تغفل .

قوله « طائفة لربوبيته مقرة له أنه كلمة الله الخالقة » الى قوله « المجددة بروح القدس الحالة فيه » لا يخفى عليك أن النصرانى يكرر دعوى ألوهية المسيح وأن الله سبحانه حل فيه — تعالى الله عما يقول المفترون — ونحن قد كررنا رده واستوفينا المقال فيما تقدم ، غير أنا لا نحمل جوابه ورده هنا أيضا ولو على طريق الاجمال ، فاسمع ما قاله الامام فخر الدين الرازى عليه الرحمة فى كتابه « الخمسين » ولفظه المسألة الحادية عشر فى أنه سبحانه وتعالى منزه عن أن يحل فى شىء بالذات أو الصفات خلافا للنصارى . والدليل على فساد مذهبهم من وجهين : الأول : ذات البارى سبحانه وتعالى لو حلت فى شىء فذلك الطول ، إما أن يكون على سبيل الوجوب أو على سبيل الجواز ، فان كان على سبيل الوجوب فيلزم من قدم ذاته قدم المحل أو من حدوث ذلك المحل حدوث البارى وهو محال . وان كان على سبيل الجواز فهو غنى فى ذاته عن ذلك المحل ، وكل ما كان ذاته مستغنيا عن المحل امتنع طوله فيه ، فنبت أن ذات البارى تعالى وصفاته لا تحل فى شىء البتة وأن هذا المعنى نفى نفسه باطل ، الثانى : هو أن النصارى يقولون : ان أقنوم الكلمة حل فى بدن عيسى عليه السلام ومرادهم من أقنوم الكلمة صفة العلم ، فنقول : صفة علم الحق سبحانه اذا حلت فى بدن عيسى انفصلت عن ذات البارى أولا ؟ فان قالوا انها انفصلت ، لزم أن يكون ذات البارى تعالى جاهلا فى ذلك الوقت ، وان قالوا انها ما انفصلت لزم قيام الصفة الواحدة فى زمان واحد بموصوفين . وذلك محال فى بدائه العقول . فنبت بما ذكرنا : أنه سبحانه منزه عن الطول بالذات والصفات . وكذا سبحانه منزه عن الاتحاد لأنه عز وجل لا يتحد بشىء البتة ، وأهل الإباحة يدعون محبة الله تعالى ويدعون الاتحاد فى بعض الاوقات ، وينشدون هذا الشعر :

(١) اعلم أن سنة النبى ﷺ — أعنى الأحاديث المروية عنه — منها =

نوع مفسر للقرآن الكريم . ومنها نوع منشىء أحكاما تشريعية زائدة على ما فى القرآن من تشريعات ، ومنها نوع فيه تشريعات تضاد القرآن فى التشريعات . ومنها نوع فيه عقائد تضاد عقائد فى القرآن . أما النوع المفسر فقد اتفق العلماء على قبوله — وأنا أقبله — لقوله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » (النحل ٤٤) وأما الأنواع الأخرى فقد اختلف العلماء فى قبولها . فمنهم من قال تقبل كل الأنواع لقوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه » (الحشر ٧) وهو أتى بالقرآن والسنة على الإطلاق . ومنهم من قال لا تقبل غير المفسر من السنة لدلالة القرآن عليه فى قوله « لتبين » وقوله « لتبين » مخصص للمجهل فى قوله : « وما آتاكم الرسول فخذوه »

ولذلك لا تجد حديثا غير مفسر الا وفيه مقال بين المحدثين والفقهاء من جهة صحته أو ضعفه — وليس من حديث غير مفسر الا وفيه ضعف من جهة ما — وعلى العلماء الذين ينادون بفتح باب الاجتهاد فى هذه الأيام ، أن يقبلوا النقاش فى السنة التشريعية المنشأة أحكاما زائدة على أحكام القرآن والسنة التشريعية التى تعارضه . وعلى العالم الفقيه الذى يدبغى أن يقال عنه : انه مجدد فى عصره ، أن يحذف من مصادر الأدلة : غير المفسر للقرآن من الأحاديث التشريعية .

وهذه أمثلة للإيضاح :

الأول : جاء فى القرآن أن كتابة الدين تكون فى الحضر ، وأن الرهن يكون فى السفر . لقوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى ، فاكتبوه — وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا ، فرهان مقبوضة » وفى الأحاديث أنه ﷺ رهن درعه عند يهودى على ثلاثين صاعا من شعير لأهله . فالقرآن شرع الرهن فى السفر فقط ، والحديث خالفه وشرع الرهن فى الحضر . فهل هذا الحديث مفسر ، أم مشرع منشىء ، أم مشرع معارض ؟ انه معارض — وهذا صحيح — ولكن كثيرين من الفقهاء جعلوه مشرعا منشئا ، وأباحوا بموجبه الرهن فى الحضر . والبنوك العقارية قامت فى البلاد الاسلامية اعتمادا عليه ، وأضرت بمصالح الناس ، فمنهم من رهن عقاره وأخذ المال للتجارة فخرس فيه ، ثم ضاع عليه عقاره لأن البنك باعه لحسابه سدادا لدينه . وقد أنكر هذا الحديث

جماعة من المحدثين — كما فى تفسير القرطبي — .
وعن حجج المفكرين أن النبى ﷺ كان غنيا لقوله تعالى : « ووجدك عائلا فأغنى » ولقد كان فى صحابته أغنياء فلماذا فضل الأخذ من اليهودى عليهم ؟ ولماذا يرهى درع القتال ويخالف قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ؟ .

المثال الثانى : قوله تعالى : « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت أن تترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف » أى بالعدل . فلو أن أبا عنده خمسة أفدنة ولد ثلاثة أولاد ، منهم أعمى صغير ، وآخران كبيران صحيحة أعينهما ، وقد رباهما وأنفق عليهما حتى كبرا . وأراد الأب أن يوصى لولده الأعمى بفدانين لعجزه وحاجته ، فان القرآن لا يمنعه لوجود الحاجة . وإنما يمنعه فى حالة تساوى الأولاد ، لئلا يتحاسدوا ويتباغضوا بسبب التفضيل . وفى الأحاديث : « لا وصية لوارث » والابن من الاقربين ووارث . فهذا الحديث معارض تشريعى فى الظاهر — وهذا صحيح — ولكن بعض المحدثين يحكم بصحته . وآخرون يعارضونهم بحديث يثبت الثلث فى المال . والراسخون فى العلم يردونه لأنه ضد رغبات المالكين كما فى تفسير آيات الاحكام للشيخ محمد على السائيس . وللأعمى فدانان بالوصية ، ويبقى ثلاثة لكل منهم واحد ، فيكون للأعمى ثلاثة .

المثال الثالث : فى القرآن أن قصر الصلاة الرباعية لا يجوز الا فى سفر الحرب فقط لقوله : « واذا ضربتم فى الأرض فليس جناح أن تقصروا من الصلاة أن خفتكم أن يفتنكم الذين كفروا » فقد حدد القصر بالخوف من الكفار فى سفر الحرب . وفى الحديث أن الرسول ﷺ قصر فى السفر ، وقد قالت عائشة رضى الله عنها أن سفر الرسول كان سفر حرب ، فدل فعله على موافقة القرآن فى المعنى — وهذا صحيح — ولكن بعض المحدثين يقولون : أن القصر رخصة من الله تعالى تفضل بها على عباده وانه ليجوز فى سفر الحرب وغيره . فماذا أقول .

المثال الرابع : قوله تعالى : « قل : لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير ، فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به » فالقرآن يحرم من الطعمومات أربعة أشياء هى الميتة والدم ولحم الخنزير والمذبوح للأوثان . والمسكوت عنه مباح . والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة ... الخ هم ميتة .

والحديث يحرم كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطيور .
حالاسد على الحديث حرام ، والاسد على القرآن حلال . فهذا الحديث
قد أزد على تشريعات القرآن أشياء قد سكت القرآن عنها . وقد قبله
البعض ورده البعض . والذين ردوه قد أصابوا ، لقول عائشة رضى الله
عنها فيه : « لا نترك كتاب ربنا لحديث أعرابى يبول على ساقيه » وهو
أبو ثعلبة الخشنى .

المثال الخامس : حرم القرآن أن يتزوج رجل امرأة وأختها فى نكاح
صحيح . لقوله : « وأن تجمعوا بين الاختين » ولم يحرم أن يتزوج الرجل
امرأة وعمتها أو امرأة وخالتها . فهب أنه وقع فى هوى عمتها أو خالتها .
وهذا ممكن . فكيف يضبط نفسه ؟ والحديث حرم المرأة وعمتها والمرأة
وخالتها . وقد رده كثيرون من الفقهاء — منهم الإمامية — لأنه أضاف
تشريعات القرآن .

هذه طائفة من الأمثلة أردت بها لفت نظر المجديين ، اذا ما أرادوا
أن يجددوا وأن يصلحوا .
وفى هذا العصر يطالب المسلمون الفيورون على دينهم بوضع
الشريعة الاسلامية فى المحاكم . ومن الواجب أن تنقى الشريعة مما أدخله
عليها أهل الأهواء والبدع أولا . ثم توضع فى المحاكم كما أنزلها الله
الله عز وجل .

فان قال قائل : ان حذف غير المفسر من السنة من مصادر التشريع
سيؤدى الى أحزاب وشيع فى المسلمين . ولا ينبغى أن تحذف لئلا تحدث
فتن . يقال له : ان الله قد أخذ الميثاق على العلماء أن يبينوا ولا يكتموا .
وهو وحده أدرى بها سيحدث . فعلى العالم أن ينفذ ما فى الميثاق ولا يلتفت
الى ما سيقرب عليه من نتائج . فانه ليس أحكم من الله ، ولا هو أدرى
منه بعباده .

وان قال قائل : هل معنى ذلك — أن النبى ﷺ قد كذب فى قوله ؟
يقال له : أن النبى لا يكذب ولكن كذب عليه . انه لا ينطق عن الهوى ،
ولكن نطق عليه . ان أهل الأهواء والبدع قد كذبوا على الرسول ، وقولوه
ما لم يقل ، فالرد ليس لكلام الرسول ، بل للكلام الذى نسب اليه زورا
من أهل الأهواء والبدع .

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الأمر
فكانها خمر ولا قدح وكانها قدح ولا خمر
وأیضا یذكرون منهم هذه الأبیات :

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدننا
فاذا أبصرتنا أبصرته وإذا أبصرته أبصر (٢)

والذى يدل على فساد مذهبيهم حجتان :

أحدهما أن الشیئين اذا اتحد أحدهما بالآخر فعند حصول الاتحاد ،
إما أن یكونا باقیين أو یكون أحدهما باقیا والآخر فانیا ، فان كانا باقیين
فهما اثنان لا واحد ، فلا معنى للاتحاد ، وإن فنى أحدهما وبقي الآخر
فالاتحاد أيضا محال لأن الوجود لا یكون عین المعدوم .

فثبت بهذه البراهین القاطعة : بطلان القول بالاتحاد والدعوى .

به جهل صرف .

الحجة الثانية : وهو أن ذات البارئ سبحانه وتعالى لو اتحد بشيء ،
فإما أن یقال أن ذاته بعد الاتحاد كما هو قبل الاتحاد أو تغیر ؟ فان كان
الثانى لزم وقوع التغیر فى ذاته وهو محال ، وإن كان الأول فقد مر الكلام
فيه . فثبت أنه منزه عن الاتحاد « أ . هـ .

فقیین ان دعوى الاتحاد والخلول لا یجوزها على الله تعالى ولا یقول
بها أحد من أرباب العقول الا من ضل وأضل وخرج عن دین كل نبى
ورسول ، وكابر فى دعوى لا یؤیدها مشاهد محسوس ولا منقول
ولا معقول .

تتمة : وأعجب من ادعائهم حلول البارئ سبحانه بعيسى عليه السلام
واتحاده بهم ، أنهم أيضا يتحدثون بالمسیح ویحل فیهم ویحل فیهم ویحلون
فيه فى العشاء الربانى الذى قدمنا ذكره مرارا ، ولنذكر لك هنا ما یتلوه
القس عنده ، فى كتاب صلاتهم المسمى بالصلوات العامة المطبوع فى
قالته سنة ١٨٣٠ ما عبارته : « أيها الأخبة الأعزاء انى أزمعت بعون الله

(٢) المشهور هكذا : فاذا أبصرنى أبصرته وإذا أبصرته قلت : أنا

على أن أهيبء فى يوم كذا لكل المتدينين المتقين قربان جسد المسيح ودمه ، الفائق التعزية ليقبلوه تذكارا لاستحقاق صلبه وآلامه ، وبه ننال غفران خطايانا ونكون شركاء فى ملكوت السماء ، فهذا ينبغى لنا أن نقدم الله أبينا السماوى القادر على كل شىء شكرا قلبيا خشوعيا ، حيث فد سمح لنا بابنه يسوع المسيح مخلصنا ليموت لأجلنا بل ويكون لنا قوة وغذاء روحيا فى هذا السر الطاهر الذى هو تعزية الهية لمن يتناولونه وهم له مستحقون » الى أن قال « يا أحبائى قد عرفت بنعمة الله على أن أناول عشاء الرب فى يوم كذا فأدعوكم أيها الحاضرون حبا بالله وأتوسل اليكم لأجل الرب يسوع المسيح أن لا تأبوا التقدم الى هذه الشركة حيث أن الله ذاته أمركم ودعاكم اليها دعوة محب ، فاحذروا كل الحذر من أن تتحدروا من هذه الوليمة الطاهرة ، وتهيجوا غضب الله عليكم » الى أن قال : « فاذا اذا ذاك نأكل بنوع روحى جسد المسيح ونشرب دمه ونحل فى المسيح والمسيح يحل فينا ونتحد مع المسيح والمسيح يتحد معنا » الى أن قال « فانعم علينا من أجل هذا ياربنا الكريم بان نأكل جسد ابنك العزيز يسوع المسيح ونشرب دمه لتتطهر أجسادنا الأثيمة وتغتسل أنفسنا بدمه الكريم ونسكن فيه وهو فينا أبدا دائما أمين » انتهى ما فى كتابهم .

ثم يأكلون الخبز الذى يعطيه القس ويشربون كأس الخمر منه فيكونون آلهة بزعمهم لأن الله تعالى حل فى عيسى واتحد به ، وعيسى يحل فى كل نصرانى يأكل هذا الخبز ويتحد به فصار الكل بزعمهم الباطل شيئا واحدا تعالى الله عما يقول الظالمون .

قوله « ولعن شجرة التين فجفت من ساعتها » هذه الآية وان كانت من الاصحاح الحادى والعشرين من انجيل متى لكن لنا ههنا أسئلة نسألها من النصرارى . أولها : ان شجرة التين أى جنابة لها حتى تلعن ؟ الثانى : ما الفائدة فى لعنها ؟ الثالث : ان المسيح عليه السلام مادام هو الله بزعمهم فهو الذى لم يخلق فيها ثمرة فما جنابيتها حتى تلعن على عدم اخراج الثمرة ، مع أن اللاعن الذى هو ام يخرج ثمرتها ، مع أنه لو كان خلق

فيها ثمرة في ذلك الوقت كانت معجزة له ، الرابع : انها لا تخلو عن فائدة من استغلال بها وانتفاع بورتها . الخامس : الشجرة لابد وأن تكون مملوكة للغر فلم أهلكها وأضر صاحبها من غير جناية منه ولا صدور جناية منها ؟ السادس : لو كان فيها ثمر هل كان يباح له أن يأكل منها بلا ان مالكتها ؟ السابع : كيف جاع وهو الاله ؟ ولا أظنهم يجيبون عن هذه الأسئلة بأجوبة يقبلها ذوو الافهام ، الى أن ينزل المسيح (1) عليه السلام .

قوله « ومن قول صاحبك وشهادته : « وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » .

قال المفسرون : « المقصود من هذه الآية التنبيه على قبح اليهود حيث أنكروا نبوة عيسى عليه السلام مع ما ظهر على يديه من البينات اللائحة . فلذا خصص في هذه الآية عيسى عليه السلام بايتاء البينات . ورد أيضا على النصارى القائلين بالوهيته إذ هما على طرفى الافراط والتفريط وتأييده بالروح القدس فيه خلاف كما تقدم غيره مرة فقال الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه هو الله تعالى وروحه هو جبريل عليه السلام والاضافة للتشريف والمعنى أعناه بجبريل عليه السلام فى أول أمره وفى وسطه وفى آخره ، أما فى أول الأمر فلقوله « فنفخنا فيه من روحنا » وأما فى وسطه فلأن جبريل علمه العلوم وحفظه من الأعداء وأما فى آخر الأمر فحين أرادت اليهود قتله أعانه جبريل عليه السلام ورفعته الى السماء والذى يدل على أن روح القدس جبريل عليه السلام قوله تعالى لنبينا عليه الصلاة والسلام « قل نزله روح القدس » وقال ابن عباس رضى الله عنهما : أن روح القدس هو الاسم الذى كان يحيى به عيسى عليه السلام الموتى . وقال شيخ الاسلام أبو السعود « بروح القدس » أى بالروح المقدسة كهولك رجل صدق وهى روح عيسى عليه السلام ، وانما وصفت

(1) يفكر بعض الناس نزول المسيح فى آخر الزمان استناد على أن الساعة تأتى بغتة .

بإفئس للكرامة أو لأنه عليه السلام تضمه الاصلاب والارحام الطوامث .
وقيل الانجيل » انتهى .

قوله « وكيف يحيل عليك اصلحك الله أن هذه الأفعال ليست الهية »

لا يخفى عليك مما قدمناه وذكرناه فى كتابنا هذا غير مرة أن المعجزات التى تصدر من الأنبياء عليهم السلام انما تصدر بخلق الله تعالى لها على أيديهم اظهار لنبوتهم ، ولو كان ما ظهر على يد المسيح عليه السلام من المعجزات يدل على الوهيته كما زعم النصارى لكان كل الأنبياء آله ولا دعت الوهيتهم اقوامهم وأممهم فقد فلق البحر لموسى ، وقد ردت الشمس ليوشع عند جهاده للكفار وغير ذلك مما أسلفناه لك اذ كل ما حصل للمسيح عليه السلام وصادر منه حصل لغيره من الأنبياء الكرام من جزئى وكلى فالذهاب الى الوهية لأجل ما وقع منه حماقة صرفة ، اللهم الا شى واحد لم يقع لغيره من الأنبياء وهو استحالة أحدهم خبزا تأكله أمتهم الى يوم القيامة . فاما استحالة المسيح كما زعمت النصارى الى الخبز وأنه يؤكل لحمه ويشرب دمه حقيقة فى كل يوم تحت قبة كل كنيسة ، فهذا شىء لم ينسب الى غيره .

فإن كانوا بهذا يستدلون على الوهيته فعلى عقولهم العفا وفى افواههم الصفا (١) وحسبنا الله وكفى .

تنبيه وتكميل لا يخفى على كل المعى بصير أن دعوى النصارى التى ذكرها هذا النصارى أن عيسى عليه السلام هو الاله الخالق لا تخلو عن احد شقين وهما إما أن يكون المسيح عليه السلام لم يقل لبنى اسرائيل وهو بينهم انه اله بل قال انه نبي فقط ، وإما أن يكون قال لهم انه اله خالق موجدوه وكفروا بالوهيته ، فإن كان لم يقل لهم اتى اله فكيف يكلفون باعتقاد الوهيته التى من لم يعتقدوا عند النصارى فانه كافر مخلد فى النار ؟ فعلى هذا انه ادعى النبوة فقط ولم يدع الالهية فمن أين اثبتت له النصارى لالوهيته ؟

(١) الصفا : أى الصخور .

(م - ٥١ الجواب الفسيح)

فان زعموا ذلك بكونه مولودا من غير أب فآدم عليه السلام مولود من غير أب ومن غير ام وحواء ولدت من ضلع آدم على أن النصارى يزعمون أن مريم زوجة يوسف كما نقلناه عنهم فى محله وان كان لاطهار المعجزات فغيره من الأنبياء اظهروا مثل معجزاته بل أعظم منها لأن موسى عليه السلام قلب العصا حية وخلق البحر ويوشع رد الشمس وهى أعظم من احياء الميت كما اسلفناه لك واليشاع احيا ابن السومانية كما فى الاصحاح الرابع من سفر الملوك الرابع ، وفيه أنه وضع قدام مائة رجل عشرين خبزا من شعير فى منديل ، فاكلوا وشبعوا وفضل وايليا احيا ابن الأرملة كما فى سفر الملوك الثالث فى الاصحاح السابع عشر منه ، وأن جرة دقيقها وقلة زيتها لم ينفيا ولم ينقصا كل ما أكل منهما وان كان من جهة أنه قتل ، فزكريا ويحيى (١) عليهما السلام قتلا . وان كان من جهة عروجه الى السماء فقد عرج بغيره من الأنبياء أيضا كأخنوخ وايليا كما فى الاصحاح الخامس من سفر التكوين ، والاصحاح الثانى من سفر الملوك الثانى كما هو ثابت عند النصارى ، حتى أن مقدسهم بولس ادعى عروج نفسه أيضا كما فى الاصحاح الثالث من شرح رسالته الى أهل أفسس .

وان كان لتسميته مسيحا ففى الزمير لداود ، « مسحك الله » وفى آخر الزمور السابع عشر « وصانع الرحمة بمسيحة داود » وان كان من جهة اطلاق الروح عليه ، ففى الاصحاح السادس من دانيال لأن روح الله كان فيه أوسع « وأن كان لتسميته ربا فقد اطلق الرب على المخلوق فى مواضع كثيرة من التوراة ، وخطاب ابراهيم ولوط للملك « يارب » حتى ان لفظ الاله اطلقه فى التوراة على موسى فى قوله « جعلتك الها لفرعون » كما نقلناه لك فى موضعه وأن كان من جهة اطلاق لفظ الابن عليه ، فقد اطلق فى التوراة على اسرائيل فى قوله « اسرائيل ابني بكرى » وفى الاصحاح الرابع عشر من تثنية الاشتراع « كونوا أبناء الرب الهكم » .

وان كان لتسميته البارى ابا فانه لم يكتف عيسى عليه السلام بقوله

(١) يوجد خلاف فى قتل يحيى عليه السلام سبق ذكره .

نبي ، بل قال « أبى وإبيكم » وقال « ياأبانا الذى فى السماء » وجعلها
النصارى فى صلواتهم .

فان كان لعدم تزوجه فيحىى لم يتزوج ، وكذا الرهبان لم يتزوجوا ،
وان كان قول النصارى بالوهيته لأجل الشق الثانى وهو أنه ادعى الالهية
وامر بنى اسرائيل أن يعتقدوا ذلك فلم يسمعه ولم يصدقوه ولم يطيعوه
ولم يعبدوه بل صلبوه وقتلوه ، فهم حينئذ على دعواهم أنهم بقول التوراة
عاملون ، ولآيات النازلة على الكليم مطيعون لأن الاله لا يتعدد ولا يراه أحد
وأنه قد أمرهم قبل ذلك أن لا يعبدوا الا للها واحدا ، وأنه اذا ادعى لحد
من البشر بالالهية أو أمرهم بعبادة غير الله تعالى فليقتلوه ، فلما ظهر الاله
بصورة البشر على زعم النصارى وادعى الالهية لزم بحكم التوراة التى
أنزلها هو ، أى المسيح لأنه هو الله الذى كلم موسى بزعمهم ، أن يقتلوه
امثالاً لما أمر فى التوراة فيقتضى أن لا يلوموا على قتله لأنهم أطاعوا
ما أنزله فى التوراة عليهم ، ولم ينظروا الى معجزاته لأنها كما قال فى التوراة
أنها كاذبة اذا لا تصدر المعجزة الصحيحة ممن يدعى الالهية أو يدعو الى عبادة
غير الله تعالى فى الاصحاح الثالث عشر من تثنية الاشتراع ما لفظه
فان قام بينكم نبي أو من يقول انه نظر حلما أو سبق وقال
على أية أم عجيبة ، وحدث ما تكلم به وقال لك لتذهب وتبعب الهة آخر لم
تعرفها وتعبيدها فلا تسمع قول ذلك النبي أو حالم الأحلام أن الرب الهك
انما يبتليكم لبيان أن كنتم تحبونه من كل قلوبكم ومن كل انفسكم أم لا الرب
الهكم فاتبعوه واياهم فاحشوا وصاياهم فاحفظوا واسمعوا صوته وله فاعبدوا
وبه فاعتصموا ، ثم يقتل ذلك النبي أو ذلك حالم الأحلام لأنه تكلم ليزيفكم عن
الرب الهكم الذى أخرجكم من أرض مصر ، فان أولع بك أخوك ابن امك وقال
لك سرا سرا بنا لنعبد الهة آخر لست تعرفها أنت ولا أبائك فلا تسمع منه
ولكن لوقتته فاقتله » ١٠ . هـ . فليحفظ .

فان النصارى لا يجدون جوابا يقنع نوى العقول عما أورثته عليهم

هنا من المعقول والمنقول والله سبحانه الموفق لاتباع الرسول .

قوله : وان امر صاحبك قد تهيأ لجماعة من الناس من الملوك المتقدمين
لا يخفى أن هذا النصرانى لو كان له أقل انصاف وتدبر لما ادعى هذه الدعوة
الظاهرة البطلان لأن امر نبينا عليه الصلاة والسلام لم يتهيأ لأحد غيره من لدن
أبينا آدم عليه السلام الى يومنا هذا بل الى آخر الدوران فمبدأ أمره ومنتهاه
ومعجزاته وسيرته وأخلاقه وانتشار دينه من المشرق الى المغرب بأقل مدة ،
وحسن شريعته وأحكامه وكثرة العلماء وتاليفاتهم والأولياء وكراماتهم وجهاد
أصحابه وخلفائه وسلاطين أمته وفتحهم البلاد واستيلائهم على الملوك ذوى
العدة والعدد ، شهود عدول على صدقه .

قوله : « قلنا لك ان الأنبياء كانت تفعل ذلك ولكن بعد التضرع على أن
بعضا دعا فلم يجب الى قوله فاما سيدنا يسوع فاته فعل الأنبياء بالقوة
الظاهرة» الى آخره يريد هذا النصرانى أن عيسى لما كان هو الاله ، فطلبه
من أبيه الله لا يبذل ولا يغير بل يجاب له كل ما طلب لأنه هو الاله الفعال
فى الحقيقة بخلاف سائر الأنبياء فانهم رسل قد يستجاب دعاؤهم وطلبهم
وقد لا يستجاب ، فليت شعرى لم لم يستجب له عندما طلب تاخير كاس
الموت عنه ؟ ولم لم يسمع دعائه عندما قال ايلى ايلى لم شبقتنى اى الهى الهى
لم تركتنى ؟ ولم لم يرحم عبرته لها بكى ثلاث مرات ؟ كما نقل الخورى فى
تفسير الأناجيل فى الاصحاح الحادى عشر قائلاً وقد دمع المسيح ثلاث مرات
الأولى حينما رأى قبر العازر ، والثانية عند رؤيته اورشليم وعلمه بانها
ستخرب ، والثالثة على الصليب « ونحو هذا كثير فلا تغفل .

قال النصراني « واذ قد نقلنا عن بعض شرائع المسيح سيدنا واخبرنا بعض عجايبه ، فلنذكر الآن كيف اتخذ تلاميذه الحواريين وبعثهم الى اهل العالم دعاه الى الحق ، فنقول انه اتخذ قوما اميين لا علم لهم ولا معرفة ولا شرف ولا حسب ولا ايسار صيادى سمك وعشارى خراج ، ففتح قلوبهم وملاها نورا وحكمة ففهموا بذلك كل فيلسوف حكيم وفاقوا كل طبيب ماهر ، وتذال لهم كل ملك عزيز ، وكل سلطان شديد وكل جبار عتيد ودخل فى طاعتهم كل شريف وحسيب ، وافترق اليهم كل غنى ، حتى دان لهم ذوو الايسار واقوالهم كل ذى علم وفهم ، وانقطع عند حجتهم كل ذى بلاغة ، ودانوا لهم بالطاعة واقروا لهم بالاجابة غير منكرين ولا جاحدين ، بل قائلين بالفضل الذى اوتوه ومعترفين لهم بالنعمة التى ظهرت عليهم والأيدي التى ايدوا به ، وتلك الآيات والمعجائب التى اظهروها حين قال لهم : «انهبوا فادعوا الهم الى حياة الأبد وبشروهم (١) بالبعث والنشور وقيامة اجسادهم وفيها ارواحهم ، وتخليصهم من اسر الموت وفكهم من سلطانه واطلاقهم من حبسه الذى هم فيه ، وقد أعطيتكم على تحقيق ما تضمنون لهم من ذلك القدرة على فعل الآيات والمعجائب ، مجاناً أعطيتكم هجانا اعطوا لا تأخذوا ذهباً ولا فضة من أحد ، تضعون ايديكم على المرضى فيبرؤن والموتى فيحيون باسمى ليعجب العالم منكم ويكون الى حجة عليهم .

فساروا بسيرته وبلغوا ذلك وبشروا الناس بالرحمة والمغفرة ودعوهم الى الحق مجتهدين غير مفترين ولا مستأثرين لشيء من الدنيا . وعدة هؤلاء سبعون رجلاً الذين وجههم قبل ارتفاعه الى السماء بالكرامة والمجد ، واختار اثنى عشر رجلاً كانوا ملازمين له وهم حواريوه وتلاميذه المشاهدون لكل أهوره نى كل أحواله وهم الناقلون أخباره بالحق والصدق الى الأمم وكانت مخاطبته اياهم وعهده اليهم قائلاً : ان الذى يعمل ويعلم هذا يدعى اسمه كبيراً فى ملكوت السموات وعظيماً ، واذا أنتم طلبتم فاطلبوا المغفرة لخطاياكم والرحمة وملكوت السموات والعمل بالبر ولا تكثروا الخطب والتعديد ،

(١) المسيح بشر بملكوت السموات .

وَتَسْأَلُوا قُلُوبِكُمْ بِطَلَبِ الرِّزْقِ قَدْ كَسَبْتُمُوهُ ، فَإِنَّ أَيْدِيَكُمْ فِي السَّمَاءِ
أَعْلَمُ بِحَوَائِجِكُمْ وَمَا يَصْلَحُ بِكُمْ وَلَكِنْ إِذَا دَعَا أَحَدَكُمْ فَلْيَدْعُ هَكَذَا : « أَبَانَا الَّذِي
فِي السَّمَوَاتِ لَيْتَقَدِّسَ اسْمُكَ لِيَا لَيْتَ مَلَكُوتُكَ لَتَكُنْ مَسِيَّتَكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ
كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ ، أَعْطَانَا خَبِزَنَا كَمَا فَعَلْنَا يَوْمَ فَيَوْمًا ، وَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَحَطَايَانَا كَمَا نَحْنُ نَعْفِرُ لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا وَلَا تَدْخُلْنَا فِي التَّجَارِبِ لَكِنْ نَجِّنَا
مِنَ الشَّرِّيرِ ، لِأَنَّكَ الْمَلِكُ وَالْقُوَّةُ وَالْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ » آمِينَ .

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ « إِنَّي مُوجِّهَكُمْ مِثْلَ الْحَمَلَانِ بَيْنَ الذَّنَابِ وَلَكِنِّي مُؤَيِّنُكُمْ
فَكُونُوا حَكَمَاءَ فِي أُمُورِكُمْ ، وَإِذَا قَدِمْتُمْ إِلَى السَّلَاطِينِ وَالْحُكَّامِ وَالْقَضَاةِ
فَلَا تَهَابُوهُمْ وَلَا تَمِيلُوا عَنِ الْحَقِّ مَعَهُمْ وَلَا تَرْهَبْ قُلُوبِكُمْ عِنْدَ مَخَاطِبَتِكُمْ إِيَّاهُمْ
بِالْمَوَاعِظِ ، فَاتَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِكُمْ ضِرًّا وَإِنَّمَا سُلْطَانُهُمْ عَلَى أَجْسَادِكُمْ
فَقَطِّعُوا نَفْسَهُمْ إِذَا أَلْجَأَوْكُمْ إِلَى الْحَبْسِ وَالضَّرْبِ وَالْقَتْلِ ، وَانْزَكُوا مِنْ لَهْ
سُلْطَانِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ مَعًا لِأَنَّهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَمِينَكُمْ وَيُحْيِيَكُمْ
وَيُعَذِّبَكُمْ وَيَغْفُو عَنْكُمْ وَلَا تَهْتَمُوا بِمَا تَكْلُمُونَهُمْ وَتَحَاجُونَهُمْ بِهِ ، فَإِنِّي
مُعْطِيكُمْ فِي الْوَقْتِ مِنَ الْحِكْمَةِ بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، وَاعْلَمُوا
أَنَّ مِنْ جَدِّ دَعْوَتِي وَأَنْتَكَرُ الْبَشِيرَةَ بِاسْمِي أَنْتَكَرْتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا وَقَفَ
مَعَ الْخَلَائِقِ بَيْنَ يَدَيِ الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ ، وَمَنْ أَقْرَبَ دَعْوَتِي وَالْبَشِيرَةَ بِاسْمِي
بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ وَلَمْ يَجِدْ نَفْسَكَ وَلَمْ يَكْتُمِ أَقْرَبْتَ بِهِ أَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَائِي يَوْمَ
الْدِّينِ إِذَا وَقَفَ مَعَ الْخَلَائِقِ بَيْنَ يَدَيِ .

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ « عَلَيْكُمْ بِالتَّوَاضُعِ فَطَوْبَى لِلْمَتَوَاضِعِينَ طَوْبَى لِلْمُطَهَّرَةِ
قُلُوبِهِمْ كُونُوا رَحَمَاءَ فَطَوْبَى لِلرَّحِيمِينَ ، فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ الرَّحْمَةَ مِنْ
رَبِّهِمْ »

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : « صَلُّوا مِنْ قَاطِعِكُمْ أَعْطَا مِنْ مَنَعِكُمْ أَحْسَنُوا إِلَى
مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ سَلُّوا عَلَى مَنْ سَبَّكُمْ صَالِحُوا مِنْ بَغْضِكُمْ أَصْفَحُوا عَنِ
أَهَانِكُمْ أَنْصَفُوا مِنْ خَاصِمِكُمْ وَاعْفُوا عَنِ ظَلَمِكُمْ كَعَفَا اللَّهُ مَوْلَاكُمْ عَنْكُمْ إِذَا
لَمْ يَرْحَمْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَيْفَ يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ ؟ وَإِذَا لَمْ تَحْسَنُوا إِلَى النَّاسِ كَيْفَ
يَحْسَنُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ؟ كُونُوا مُتَفَضِّلِينَ حَتَّى يَجُودَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَحَقًّا أَقُولُ
لَكُمْ : كَمَا تَفْعَلُونَ كَذَلِكَ يَفْعَلُ بِكُمْ »

ثم قال « ان ضوء الجسد عيناه فان كان البصر مستضيئا استضاء
الجسد كله ، وان كان البصر مظلمًا كان الجسد ايضا فى الظلام كذلك ،
العبد اذا كان عالما بربه ابصر ذنبه ، واذا كان جاهلا بربه عمى عن ذنوبه
وكما ان لاقوام للجسد الا بالنفس الحية كذلك لاقوام للدين الا بالقية الحسنة
الصادقة ، واياكم والنظر الى عيوب الناس وان تعاتبوهم على اصلاحها
لكن ابدعوا باصلاح عيوب أنفسكم وعظوها بافعالكم ، لا تعطوا القدس
للكلاب ولا تنثروا دررکم قدام الخنازير ولا تذكروا الحكمة للمسفهة
ولا تتكلموا بها عند المظلمة قلوبهم من خوف الله »

ثم قال « ما أسهل السبيل التى تؤدى الى العطب والهلاك ،
وما أوسعها واعمرها وأكثر سالكيها وما أثقل عامريها احتفظوا من الكذابين واحترسوا
من المرأين على ظهورهم ثياب الصوف كالحملان ، وهم من داخل
كالذئاب الخائفة ، يعرفون بسيماهم ، هل يجتنى من العوسج عنب
أو من الحنظل تين ؟ كذلك لا ينفع بقول ولا بموعظة من مثل هؤلاء ،
واحذروا من الأتبياء الكذبة الذين ياتونكم بعدى بلا آية ولا حجة بل
بالسيف والمقالبة امضوا فادعوا الناس الى حياة الأبد ، وعلموهم ما علمتكم
من الحكمة الروحانية وخبروهم بما رأيتوه منى وزهدوهم فى هذه الدنيا
القانية القرارة ورجبوهم فى دار الآخرة واعلموهم ان الله تبارك وتعالى
باعث من فى القبور ومحيى الموتى ومدين الخلاق ، فمن عمل صالحا ورث
الحياة الدائمة التى لاموت بقطعها فى ملكوت السماء وجوار رب العالمين ، الذى
لا شىء أفضل منه مع الأمن والعافية فى نعيم لا يزول ولا يتقصى ، فمن
أفسد ولم يسمع قولكم وكذب بشارتى وجدد دعواى وناصبها بالنقض
والمخالفة والعداوة والمعاندة ، فجزاؤه يوم الدين نار جهنم التى لا تطفىء
خالدا فيها والعذاب الدائم الذى لا انقضاء له وغضب الله عليه وسخطه
الذى لا رضى بعده ، فمن رد دعوتى فقد ناصب الله ورد أمره ، وقد
اعطيتم من الأيدى والسلطان والقوة والقدرة ما يحق للناس دعوتكم ،
لكن الحجة البالغة عليهم ، ضمعو ايديكم على الرضى الميتوس منهم

فيبرؤن باسمي ، ونادوا الموتى فيحيون ، وأخرجوا الشياطين من الناس ،
وافتحوا أعين العمى وظهروا البرص فلا شيء يعانديكم ولا يقاومكم ، وكل
ما ربطتموه على الأرض كان مربوطا في السماء وكل ما حللتهوه كان
محلولا ، حتى تنير دعوتي في جميع الأرض ، ولا يكون موضع خاليا من
دعوتي لأنها الى الناس كافة (١) لأنها نعمة مبنوثة على جميع ذرية آدم ،
ممن دخل فيها حفظ نفسه وربح وآمن وسلم وفاز وغنم ومن ضل معرضا
خاب وخسرها .

أنا ذا وجهكم بلا سوط ولا عصا ولا سيف ولا سلاح ولا ملك
ولا جنود ولا قهر ولا مجاهدة ولا مقاومة ولا مجاهدة ولا جدال ولا مناظرة
ولا اضطهاد ولا عنف ولا ترغيب في ملك ولا لذات الدنيا وشهواتها ولا تسهيل
في السنن ، فنادوا في الناس وادعوهم الى التوبة والخروج عن الأهل
والولد والأموال والنعيم ورفض الدنيا والتذل والخضوع ، وصححوا
قولكم وضمانكم لهم ملكوت السموات بالآيات المعجبة التي أعطيتكم السلطان
والقدرة على صنعها وخبروهم خبر البعث والوعيد ورجبوهم في الثواب
وحذروهم من العقاب ولا تأخذوا ذهبيا ولا فضة ولا تريدوا من أحد اجرا
ولا سكرنا كلوا من كد أيديكم وما غضل من قوتكم تصدقوا به على المساكين
ولا تدخروا للغد وامنحوا الناس منحتكم بلا غش ولا غل ، وأعطوهم من
ذلك مجانا كما أعطيتكم ولا تمنعوا طالبا ولا تردوا سائلا واسعفوا الناس
جميعا وابدلوا لهم المجهود من أنفسكم ، سيروا بالبشارة ولا تقفروا فان
ملكوت السماء قد دنا . وها أنا معكم ومع كل من دعا باسمي جميع أيام
الدنيا الى انقضاء الدهر .

ثم انه أراد أن يكمل التواضع الى الغاية القصوى ، فلم يمتنع من
الكفرة حتى نالوا منه ما نالوه من صلبه على خشبة وهو مع ذلك يقول :

(١) دعوة عيسى عليه السلام الى الناس كافة هي أن يعرفوا محمد ﷺ
ويؤمنوا به اذا ما جاء . ليست عالميته بشرية مستقلة عن شريعة قوى .
وأنه خاتم النبيين كما يدعى النصارى .

(يا أبت اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون) ثم مات بجسده وأقام على الصليب الى وقت الغروب من يوم الجمعة ثم انزل ودفن وأقام فى القبر الى صبيحة يوم الأحد ، ثم انبعث حيا بلاهوته ، وترأى للنسوة اللاتى جئن الى قبره زائرات ، وظهر بعد ذلك لحواريه مرة فى الجليل ومرتين فى الغرفة التى كانوا فيها نزلا ، ومرة فى الطريق وبعضهم ماض الى القرية التى تدعى عمواص ، ومرة على شاطئ البحر وهم يتصيدون السمك وأكل معهم عدة مرار كل ذلك فى خلال اربعين يوما وكان يجدد عليهم الوصية ويذكرهم العهود التى عهدوا اليهم ويخبرهم انه سيوجه لهم ((البارقليط)) الذى هو الروح القدس لتأييدهم فلم يزالوا كذلك الى أن صعد الى السماء صعودا ظاهرا مكشوفنا بحضرة من كان حاضرا فى ذلك الوقت وهم ينظرون الى أبواب السماء مفتحة ، وقد نزلت الملائكة ورفعته بالتمجيد والتهليل والتسبيح وهى تخاطب وتقول : ((أيها الناس ما بالكم تنظرون متعجبين حائرين ، هذا يسوع المسيح ابن الله الموحيدة قد صعد الى السماء مجددا ، وهو مزعم أن يأتى ثانية فى آخر الأيام فىرى نازلا فى ذلك الوقت كما ترونه الساعة صاعدا ليعث من فى القبور ويدين الخالق)) ثم غاب عنهم وغابت الملائكة معه . وذلك الجبل الذى صعد منه ، جبل الزيتون من بلاد الشام معروف مشهور بهذه الصفة الى هذا الوقت)) انتهى .

اقول ان اكثر ما نقله عن الانجيل هنا ليس لنا فيه كلام لأنه عبارة عن نصائح نبي لقومه ورسول لأمته ، ومثلة بل وأزيد منه فى القرآن المجيد وفى سنن نبينا عليه الصلاة والسلام من جوامع الكلم ما يفوقه لأمثل أمثاله ويزيد ، وذلك على من طلب كتبنا وأحاديث سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام غير بعيد . الا أن هذا المؤلف دلس فيها نقله من أقوال المسيح وخلط فيه من كلمات نفسه وعزاها الى المسيح ولم يذكر انها من أى انجيل وفى اى اصحاب منه وقد راجعنا فلم نجد ذلك فى الانجيل مثل قوله « بل بالسيف (١) والمغالية » ونحو ذلك فتتقظ ولا تعفل .

(١) السيف فى رواية لوقا .

وأما ما ذكره من حال الخواريين فهو مسلم (١) عند المسلمين ، غير أن للنصف إذا نظر في أحوال الصحابة الكرام الذين آمنوا بنبينا ﷺ وبذلمهم نفوسهم وأموالهم في سبيل الله لاعلاء كلمته ونشر شريعته وتبليغ كتابه ودعوته ، وما من عليهم بانارة قلوبهم في حكمته وما اعطاهم الله تعالى من الشجاعة في فتح بلاد المشركين والسياسة ونور العلم في كتابه المبين والحق والكياسة والتثبت والاقدام والفراسة والزهد والعلوم اللدنية والعبادة ، وترك الدنيا الدنية والصلاة والناس نيام ، والصوم في اشد الحر من الايام وبت العلوم والحكم والنصائح للأمم ومكارم الأخلاق الحسنة ، ومعاونة المظلوم على من ظلم والتحلى بالصفات العالية المستحسنة وحباهم بتقديم حبه على حب أنفسهم وأولادهم ، ومن عليهم بحب رسوله واتباعه اكثر من حب ارواحهم ووقفهم للتجنب من المائمه والتقرب اليه سبحانه بما يوجب النعيم الدائم ووصفهم بقوله « لا يخافون في الله لومة لائم » يرى ذلك الناظر علو شأنهم على غيرهم كالصبح الظاهر على الليل الكافر .

غير أنا نذكر شيئاً مما يتعلق بالخواريين الاثنى عشر وهم بطرس ويعقوب ويوحنا واندرائوس وفيلبس وبرثولمايس ومتى وثوما بين حلفى وتداوس وسامعان ويهوذا الاسخريوطى وهو الذى ألقى عليه شبه عيسى فصبب . ولفظ الخواريين جمع خواري واشتقاقه من الحور وهو البياض وسماوا بذلك لأنهم كانوا قصارين ، وقيل للبسهم البياض ، وقيل لقتاء ظاهرهم وباطنهم ، وقيل كانوا صيادين لنسك . وفسر في قوله عليه الصلاة والسلام « لكل نبى خواري وخواري الزبير » بالخاصة من الأصحاب والناصر . وقال الازهرى « الذى اخلص ونقى من كل عيب » ورد أيضا أن الخواريين كلهم من قريش . وقد ورد في القرآن العظيم ذكر خواري عيسى عليه السلام بقوله تعالى « وإذا أوحيت الى الخواريين أن آمنوا بى وبرسولى » ولذا ذهب بعض العلماء الى أنهم انبياء وكثير من المفسرين الى عدم نبوتهم (٢) وأن المراد من

(١) قيل أنهم كانوا علماء .

(٢) ليسوا بأنبياء .

«الايحاء الالهام والالقاء فى القلب ، مثل قوله تعالى « واوحينا الى أم موسى » وقوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله ، فأمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة ، فأيننا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » قال المفسرون انهم أصفياء عيسى عليه السلام وأول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا فرقمهم فى البلاد .

فمنهم من أرسله الى رومية ومنهم من أرسله الى بابل ومنهم من أرسله الى افريقية — ومنهم من أرسله الى أفسس — ومنهم من أرسله الى بيت المقدس — ومنهم من أرسله الى الحجاز — ومنهم من أرسله الى أرض البربر وما حولها . ثم لما رفع الى السماء قتلت طائفة من قومه انه الله سبحانه ، وقالت أخرى انه ابن الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا رفعه اليه ، فظهرت وقالت طائفة انه عبد الله ورسوله ، فاقترنتوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة ، حتى بعث النبي ﷺ فظهرت المؤمنة ، وقيل ظهرت المؤمنة على الكافرة بالسيف أو بالحجة . وذلك قوله تعالى « فأيننا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » أى غالبين بالحجة والبرهان الوارد فى القرآن وهو أنه عليه السلام روح الله وكلمته وعبده ، وأن مثله كمثل آدم عليه السلام .

وفى بسط الكف : قال ابن كثير فى التاريخ لما انتهت النبوة فى بنى اسرائيل الى عيسى عليه السلام قال فىهم خطيبا فأخبرهم أن النبوة قد انقطعت عنهم وانها بعده للنبي الامى العربى خاتم الأنبياء على الاطلاق أحمد ﷺ وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذى هو من سلالة اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

وقوله تعالى « فأمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة » يعنى لما دعا عيسى بنى اسرائيل وغيرهم الى الله تعالى منهم من آمن ومنهم من كفر ، فكان من آمن به أهل أنطاكية بكمالها بعث اليهم رسلا ثلاثة أحدهم شمعون الصفا فآمنوا واستجابوا وليس هؤلاء المذكورون فى سورة

يس (١) وكفر آخرون من بنى اسرائيل وهم جمهور اليهود ، وأيد الله تعالى من آمن به على من كفر فيما بعد ، فكل من كان أقرب إليه كان غالباً لمن دونه ، ولما كان قول المسلمين فيه هو الحق الذى لا شك فيه من أنه عبد الله ورسوله كانوا ظاهرين على النصارى الذين غلوا فيه وأطروه وأنزلوه فوق ما أنزله الله به . ولما كانت النصارى أقرب فى الجملة من ما ذهب إليه اليهود فيه كان النصارى قاهرين لليهود فى زمان الفترة أ . هـ .

ونذكر أيضاً ما يتعلق ببعض عباراته :

قوله : « من جحد دعوتى وأنكر البشارة باسمى أنكرته يوم القيامة » الى آخره لا يخفى عليك مما نقلته لك سابقاً عن الانجيل أن بطرس الذى هو رأس الحواريين أنكره ليلة أخذ اليهود له للصلب ، وقبل ذلك أيضاً طرده عن اتباعه له ، وقال له : « اذهب عنى يا شيطان » وهذا يلزم منه أنه كافر فاسق مع أنه من أعظم الحواريين المبشرين والرسل المكرمين . قوله : « دعوتى الى الناس كافة » انظر الى دعوة هذا النصرانى التى يكذبها المسيح عليه السلام فى انجيله ، ففى الخامس عشر من متى أنه قال ما لفظه : « لم أرسل الا الى الخراف التى ضلت من بيت اسرائيل » قال مفسرهم الخورى « ولهذا السبب يدعى المسيح خادم الختان أى مرشد اليهود الختونين » انتهى . فقد اعترف عليه السلام أنه لم يرسل الى أحد الا الى بنى اسرائيل (٢) وهذا صريح فى تكذيب ما ادعاه النصرانى فلا تغفل . ومثل ذلك أنه ادعى أن عيسى عليه السلام قال عند وضعه على خشبة الصلب وهو فى غاية الألم والكرب والطلب من الرب أن يؤخر عنه كأس الموت ، فلم يجب ، واليهود الكفرة به محققون وبتكذيبه مصرحون ونقلته مباشرون : « يا أبت اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون » فتأملوا يا عقلاء الأنام فى هذا الكلام وأنصفوا يا أصحاب العقول فى تسليم ما أقول ، اذ يرد على مدعى هذا الطلب والدعاء أن اليهود مع كفرهم وقتلهم

(١) المشهور أنهم هم .

(٢) هو أرسل الى بنى اسرائيل ليعلمهم بهجىء نبي الاسلام

ﷺ . ثم بعدما أعلمهم أمر من آمن به منهم أن ينطلقوا الى الأمم لنفس

الغرض ، كما قال المؤلف سابقاً .

للمسيح مغفور لهم ولا يؤاخذون بما فعلوه فيه قطعاً ، وأنهم من أهل الجنة لا محالة لأن عيسى لا يخلوا أما أن يكون الها كما هو بزعمهم أو غير اله بل عبد مرسل من الله تعالى معصوم من الكذب ومستجاب الدعوة ، فإن كان الها وارا دته وارا دة أبيه وارا دة كما يزعمه النصارى ، فقد غفر لهم وشهد لهم لا يعلمون ما يفعلون ، ومن غفر له الهه على الخسبة عند تحقق موته فهو مغفور له ومن أهل النعيم الدائم ، فلماذا ليت شعري تكفروهم النصارى وتلوهمهم وتلعنهم والرب بحسن رضاه وارا دته قد غفر لهم . وان لم يكن الها فقد كان نبيا لا محالة ، فالنبي معصوم لا يطلب من الله تعالى ما يعلم أن الله سبحانه لا يفعله ويعلم خلافه لأن النبي ينبغي أن يعلم أن الله تعالى يعلم أن هؤلاء اليهود كثرة قاتلين لرسوله وأنه لا يدخلهم الجنة بل يخلدهم فى النار لأنه لو لم يكن كذلك لانتقلب علم الله تعالى جهلا ، وهو محال لا سيما وقاتل النفس محرر فى التوراة أنه يعذب ، فان كان عيسى علم ذلك من الله تعالى وطلب خلافه ، فهو جهل من عيسى ، وحاشاه والنبي لا يجهل ذلك . وان اجهل فهو ليس بنبي ، مع أنه نبي ، فلا بد أن يكون غير جاهل لذلك ، والا فان علم أن الله يغفر لهم بطلبه ودعائه لأنه سبحانه سبق فى علمه أنهم مغفور لهم لجهلهم ، فحينئذ ينبغي للنصارى أن يعظموهم ويترحموا عليهم لأنهم من أهل الجنة وقد رأوا المسيح ودعا لهم وتكون درجاتهم أعلى من الحواريين صاحب الديك لما صاح وصاحب الثلاثين درهما ، لأن الاول أنكر عيسى والثانى سلمه بيد القاتلين ، وهؤلاء من المغفور لهم المعذورين فتدبر تناقضهم ، وما أوردناه عليهم وكن من المنصفين ، واعترف بأن المسيح ليس باله العالمين .

ثم الأغرب من هذا ما يؤيد أن اليهود للقاتلين المسيح عليه السلام الصالبيه بزعمهم لا اثم عليهم : ما ذكره مفسرهم الخورى يوسف الياس فى تفسيره لما فى انجيل يوحنا من قوله « وكان واحد منهم اسمه قيانا وكان عظيم الكهنة فى تلك السنة ، فقال لهم : انكم لا تدرون بشيء ولا تفكرون بأنه يليق بنا أن يموت رجل واحد من الشعب ولا يهلك الشعب كله ، هذا

لم يقله من قبل نفسه ولكن لأنه كان عظيم الكهنة فى تلك السنة ، فقتباً أن يسوع مزع أن يموت عن الشعب « ما لفظه : « ان معنى كلامه كما فهمه الانجيلي ويفهمه الجميع الآن أن المسيح يلزم أن يموت لخلاص الشعب وانتقاد الناس بموته من الخطيئة والموت والشيطان ، لكن قيافا لم يفهم هذا ولم يتعمده بل الهه اياه روح القدس ، فيظهر من هناكم يهتم الله ببيعته وكم يساعد عظيم كهنتها لا سيما من جعله فى العهد الجديد رأساً ومدير العروسه ، لثلاث تضل عن الايمان والحق ، ومن حيث أن قيافا لم يفهم هذا السر فلم يكن نبيا حقيقة كما أوضح أوريجانوس بل تكلم روح القدس بفيه ككلام الملك بضم بلعام بن بعور كما فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر العدد ، ولذا قال ثم الذهب ان روح القدس حرك لسان قيافا لا قلبه ، على أن قيافا لم يخطيء ضد الايمان بل ضد العدل والتقوى ، ولم يكن معظما كهنة اليهود المعصية من الضلال التى منحها المسيح عظيم احبار كنيسته فى العهد الجديد ، وكان مجمع اليهود أشرف حينئذ على السقوط والافان علم أن الله يغفر لهم بطلبه ودعائه لأنه سبحانه سبق فى علمه أنهم حضرة المسيح ، وسقط بعيد ذلك ، اذ حكم على المسيح بالموت ، واضحى مجمع الشياطين لا بيعة الله » انتهى .

فاللزم على هذا أن قيافا لا ويال ولا اثم عليه ، فى قوله لليهود انه ينبغى قتل المسيح لأن هذا هو كلام عيسى عليه السلام بنفسه الا أنه خرج من ثم قيافا بلا شعوره ولا ارادته ولا قصد له لأنه كلام روح القدس وروح القدس هو بزعمهم الأتقوم الثالث وهم يقولون الآب والابن وروح القدس اله واحد والثلاثة متساويين ذاتا ولاهوتا ولا غيرية بينهم ، لا سيما والارادة أيضا واحدة غير متعددة فاذا كان قيافا تكلم بفيه روح القدس الذى هو احد الآلهة الثلاثة التى هى اله واحد كما تكلم الملك فى ثم بلعام بن بعور لما طلب منه بالحق بن صفور لعن يعقوب ، فبارك عليه بدل اللعن ، فأى جناية على قيافا ؟ لا سيما والمسيح الذى هو الله يريد أن يفدى الناس بنفسه فى صلبه وكذا لا جناية لغير قيافا لأن المسيح هو أراد ذلك من خلقه وعبيده بزعم النصارى لأنه أراد قتل نفسه لخلاص العالم ،

فلا شك أن المسيح يكون ظالما وحاشاه بزعمهم لذا أراد تعذيب القاطنين يوم القيامة ، لما علمت من عبارات الإنجيل وأقوال مفسريه .

فانظر أيها المنصف الى هذه الخرافات التي تضحك للثكلى من جعلهم عيسى هو الله وتوليدهم له من يوسف النجار ومريم عليها السلام ، وزعمهم أن اليهود صلبوه واستغفاره لهم ، وأنه هو الذى تكلم فى أفواههم بقتله لأنه هو والروح القدس شىء واحد ، ثم ينهزم ويتخفى من خوفه القتل ويكى عند صلبه ويطلب من الله تأخر كأس الموت عنه بقوله فى صلاته فى البستان « يا ابتاه ان أمكن فلتعبر عني هذا الكأس » وقوله « يا ابتاه نجنى من هذه الساعة » فلم يؤخره الله تعالى مع أنه هو الله بزعمهم ويقول « ايل ايل لم تركتني » ؟ فلم يسمع دعاءه ولم يخلص نفسه ولا العالم ، ثم انه تحمل اللعن على نفسه لأنه قال فى التوراة « ان من يصلب على الخشب ملعون » وأن المسيح مصداق ذلك بزعمهم ، وأنه يدخل الجحيم عنهم أيضا كما نقلنا ذلك جميعه من محاله فى كتابنا هذا ، فانظر الى هذه المناقضات لا يخفى بطلانها على الاطفال والبنات واسأل الله تعالى المعافاة .

وأما قوله « ثم مات بجسده وأقام على الصليب الى وقت الغروب من يوم الجمعة ثم أنزل ودفن وأقام فى القبر الى صبيحة يوم الأحد » الى قوله « سيوجه لهم البارقليط » الى آخره ، فهو حديث مفترى وليس له أصل كأمثاله المختلفة التى الله بها من سلطان والبارقليط الذى ذكره وفسروه بالشفيع مرة وبالوسيط أو المحرض أو المحرك مرة ، وأخيرا بالمعزى كما نقلها مفسرهم للخورى فى شرح الإصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا ليس هو الروح القدس كما زعم ، بل هو نبينا عليه الصلاة والسلام ، كيف ؟ وعبارته تنادى بذلك ومن جملتها قوله عليه السلام عند توديعه الحواريين حينما قرب رفعه : « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا اطلب الى أبى فيعطىكم بارقليطا آخر ليكون معكم الى الأبد ، هو يعلمكم كل شىء وهو يذكركم بكل ما أقوله لكم » فقد عنى عليه السلام ببقائه الى الأبد بقاء شريعة نبينا عليه الصلاة والسلام التى لا شريعة بعدها ولفظ آخر لا

يحتمل وجها آخر كما أثبتنا ذلك مفصلا فيها سلف فلا حاجة بنا الى الاعادة
المفضية الى الملل فراجعه ولا تففل .

غير أنا نذكر هنا ملخص ما ذكره عصرينا المولى عابدين باشا فى كتابه
شرح المتنوى التركى العبارة ما ملخص ترجمته أن انجيل يوحنا الذى فيه
اللفظ البارقليط هو مترجم عن اليونانية ، والذى فى الأصل (بريقليطوس) بلا
الف بين الباء العجمية والراء المهملة وأن معناه بالعربية « أحمد » وأن كان
يوجد فى بعضها محررا بلفظ ياراقليطوس بالألف فهو محرف لانه لا معنى له
يلائم هذا الكلام » وذكر أنه يوجد الآن فى بلد لوندرة عاصمة بلاد الانكليز
بعض من الانجيل التى كانت مقبولة عندهم فى الزمن السابق ، وهى غير
الانجيل الأربعة التى اقتصروا الآن عليها وفيها ما يطابق القرآن العظيم
من اخباره والبشارة بنبينا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم فليحفظ .

وقال الشيخ عبد الله الترجمان الذى كان نصرانيا وأسلم فى حدود سنة
٨٢٣ فى كتابة « تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب » أن لفظ الفارقليط
صار سبب اسلامه لأنه حصل علم النصرارى فى كنيستهم عند قسيس يدعى
« نقلابرتيل » وأنه خدمه عشر سنين وبعد قصة طويلة وحكاية عجيبة ،
سأله عن المقصود بهذا الاسم ؟ فقال له نبي المسلمين لأن الفارقليط اسم من
أسمائه فقال له لم لا تسلم إذن ؟ فاعتذر له بأذار ساقها فى كتابه المذكور ،
فقصد عند ذلك الشيخ عبد الله بلاد المسلمين فأسلم وحسن اسلامه وأن أردت
زيادة الاطلاع فعليك به وبما سبق فى بيان الفارقليط . وتذكرة وتدبره بحسن
تفهم واستماع .

ثم اعلم أن ما ذكره هذا النصرانى من أن المسيح عليه السلام مات بجسده
واقام على الصليب الى وقت الغروب من يوم الجمعة ثم انزل ودفن واقام
فى القبر الى صبيحة يوم الأحد ثم انبعث حيا بلاهوته وترأى للنسوة اللاتى
جئن الى قبره زائرات وظهر بعد ذلك لحوارية الى آخر ما قاله هو ما أجمع
عليه النصرارى .

ويرد ذلك العقل والنقل وأن صدقتهم اليهود وأيضا فى قتله ، فاستمع من
المنقول ما يتلى عليك باذن واعية وخذ ما ياتيك من المعقول بالدلائل الهادية ،

على أن المقتول هو الشبه ، وإن الحال عند صالبيه اشتبه ، وإن المسيح رفعه الله تعالى قبل القتل اليه لشرفه عنده ومكانته لديه ، قال الله تعالى في بيان حال اليهود في سورة النساء فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ويكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزاً حكيماً » وفي الانجيل أن رئيس الكهنة أقسم على الماخوذ بالله أنت المسيح ابن الله الحي ؟ فقال له : انت قلت ولم يجبه بأنه المسيح ، فلو كان المقسم عليه هو المسيح لقال له نعم ، ولم يور ، ولم يتلتم وهو محلف بالله لا سيما وهو بزعمهم الاله الذي نزل لخلاص عباده بأفداء نفسه ودخول الجحيم ولأواه .

وقال لوقا في الاصحاح التاسع من انجيله أن المسيح صعد قبل الصلب الى جبل الخليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا فبينما هو يصلى اذ تغير منظر وجهه عما كان عليه وابيضت ثيابه وصارت تلمع كالبرق واذا موسى بن عمران وايلياء قد ظهرا له وجاءت سحابة فأظلمت ، وأما الذين كانوا مع المسيح فوقع عليهم النوم فناموا وهذا من أوضح الدلالات على رفعه (١) وحصول الشبه الذي نقول به ، اذ لا معنى لظهور موسى وايلياء ووقوع النوم على أصحابه الا رفعه ، الا ترى أن اليهود كانوا يسمعون منه عليه السلام أن ايلياء يأتي فلما رفعوه على الخشبة كما في الأناجيل قالوا دعوه حتى نرى أن ايلياء يأتي فيخلصه ، فصاروا في شك يريدون تحقيقه ، فان أتى ايلياء فما رفعوه هو المسيح ، وإن لم يأت فهو غيره كما في ظنهم ، فلما لم يأت ازدادوا ريباً في أمره . ومن رآه الحواريون بعد يقظتهم يجوز أن يكون طورا من أطوار روحه لأنه عليه السلام لا يبعد أن يكون له قوة التطور ، وتشكل الروح بعد الموت أمر ممكن لا سيما وقد صعدت على يديه معجزات أعظم من ذلك كاحياء الموتى وكثرة الخبز والحيتان واجراء الأكمة والأبرص .

(١) انظر في هذه القصة كتاب المسيا المنتظر .

وقال يوحنا التلميذ « كان يسوع مع تلاميذه بالبستان فجاء اليهود
فى طلبه فخرج اليهم يسوع ، وقال لهم : من تريدون ؟ قالوا يسوع وقد
خفى شخصه عنهم ، فقال انا يسوع وفعل ذلك مرتين ، وقد أنكروا صورته
فانظر أيها العاقل كيف اعترف هنا أنه يسوع لما علم أن الله تعالى تولى
حراسته منهم وأنهم لا يقدرّون أن ينالوه بسوء ؟ وكيف لم يعترف بأنه
المسيح لما سأله رئيس الكهنة عن نفسه ؟ فعدم اعترافه هناك واعترافه
هنا دليل واضح أيضا على أن ما قاله الله سبحانه فى القرآن العظيم هو
الحق .

ثم ان من الأدلة على عدم قتله ما اشتملت عليه الاناجيل من اختلاف
المبائى والمعانى والمقاصد والاضطراب فى حكاية هذه الواقعة والتناقض
فى الفاظها كدعواهم الألوهية مع قوله عليه السلام عند صلبه بزعمهم
« الهى الهى لم تركنى ؟ » وقوله كما فى الاصحاح السادس والعشرين من
انجيل متى « يا أبنا ان كان لا يمكن ان تفوتنى هذه الكأس أى الموت ولا بد
لى أن أشربها فلنكن مشيئتك . وقام يصى » وقوله لرئيس الكهنة : « انكم من
الآن لا ترون ابن الانسان حتى ترونه جالسا عن يمين القوة وآتيا فى سحب
السماء » يريد بالقوة البارى تعالى شأنه وفى الاصحاح السابع من انجيل
يوحنا أن الفريسيين ورؤساء الكهنة أرسلوا شرطا ليقبضوا على المسيح يعنى
ليقتلوه كما قال مفسروهم قال « أنا ماكث أيضا معكم زمانا ثمة انطلق
الى من أرسلنى ، وتطلبوننى فلا تجدوننى ، وحيثما أكن فلا تستطيعون
اليه سبيلا ، قال اليهود فى ذواتهم فالى أين هذا عتيد أن ينطلق حتى لا نجد
نحن ؟ » قال مفسروهم أى يصعد الى السماء وغير ذلك مما لو أردنا ذكره
والتنقىر فيه لطال البحث .

وأما قول النصرارى ان القول بالقاء الشبه على غير المسيح عليه
السلام يفضى الى السفسطة والدخول فى الجهالات وما لا يليق بالعقلاء
لأننا اذا جوزنا القاء شبه الانسان على غيره لم يبق وثوق للوالد اذا رأى
ولده أو الزوج اذا رأى زوجته أو الصاحب صاحبه ، لأنه لعله ألقى

عليه شبه ولده أو زوجته أو صاحبه فلا يثق الإنسان بأحد منهم ولا يسكن إليه . ونحن نعلم بالضرورة أن الإنسان يقطع بأنه ابنه أو زوجته أو صاحبه وأن كل واحد من معارفه هو من غير شك ولا ريبية ، فالتقول بالشبه خلاف الضرورة كالتقول بأن الواحد نصف العشرة فلا يسمع .
فجوابه من وجوه :

أحدها : أن هذا تمويه وتهويل لأن البراهين القاطعة قائمة على أن الله تعالى خلق الإنسان وجملة أجزاء العالم وأن حكم الشيء حكم مثله ، فما من شيء خلقه الله تعالى في العالم إلا وهو قادر على خلق مثله ، إذ لو تعذر خلق مثله لتعذر خلقه في نفسه ، فيلزم أن يكون خلق الإنسان مستحيلا بل جملة العالم وهو محال بالضرورة ، وإذا أثبت أن الله قادر على خلق مثل لكل شيء في العالم فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام أمثال في حيز الامكان في العدم يمكن خلقها في محل آخر غير جسد عيسى ، فيحصل الشبه قطعا فالتقول بالشبه قول بامر ممكن لا بما هو خلاف الضرورة ، ويؤنسك الى ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية في عصا موسى عليه السلام وذلك أعظم من الشبه ، فان جعل العصا حيوانا يشبهه حيوانا أقرب من جعل نبات يشبهه حيوانا وقلبها مما اجمع عليه اليهود والنصارى كما أجمعوا على قلب لون يد موسى عليه السلام بيضاء ، واجمعت النصارى على قلب الماء خمرا حينما طلبت ذلك مريم من ابنها المسح لما خلص الخمر فملئت الجرار من الخمر الجيد ولم يكن بها خمر بل ماء ، فاذا وقع ذلك فلا استحالة في القاء الشبه كما لا يخفى على كل منصف على أن المصلوب كما في الأناجيل أخذ في حندس الليل من بستان فتشوهت صورته وتغيرت محاسنه بالضرب والسحب وأنواع النكال ومثل هذه الحالة توجب اللبس بين الشيء وخلافه فكيف بين الشيء وشبهه ، فمن أين لهم القطع بان المصلوب هو عين عيسى عليه السلام دون شبهه ؟ بل انما يحصل الظن والتخمين كما قال الله تعالى « وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه » .

ثانيها : انه كما في انجيل مرقس ومتى ولوقا ويوحنا وتفسيرها أن المسيح عليه السلام خرج هو والحواريون الى جبل الزيتون « حينئذ قال

لهم يسوع جنيعكم تشكون بى فى هذا الليل « اى تهربون لزيادة خوفكم ، ويظهر أن الرسل خايمهم شك بالايهان لما راوا اليهود تقبض عليه ولا يحامى نفسه قال مفسرهم الخورى يوسف ، فاجاب الصفا قائلا له : « ولو شك بك الجميع فانا ابدأ ، فقال له يسوع الحق أقول لك انك فى هذا الليل قبل أن يصيح اليك ثلاث مرات تكفى بى ، فقال له الصفا اننى لو الجئت الى الموت معك لما كفرت بك . وهكذا قال التلاميذ كلهم ، حينئذ جاء يسوع معهم الى موضع يسمى الجسمانية — أى وادى الزيت — وقال لتلاميذه : اجلسوا هنا ريثما امضى فأصلى وأخذ بطرس وابنى زيدى يعقوب ويوحنا وبدأ يحزن ويكتئب وقال لهم ان نفسى حزينة حتى الموت ثم ابتعد قليلا يصلى قائلا : يا أبته ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ولكن لا كارادتى بل حسب ارادتك ، وأتى الى تلاميذه فوجدهم نياما فقال للصفا : هكذا ما استطعتم أن تسهروا معى ساعة واحدة تيقظوا وصلوا لئلا تدخلوا التجارب الروح مستعدة ، وأما الجسد فضعيف ، ثم مضى مرة ثانية يصلى قائلا : يا أبته ان كان لا يمكن أن تفوتنى هذه الكأس ولا بد لى أن أشربها فلتكن مشيئتك . وجاء أيضا فوجدهم نائمين وقد ثقلت عيونهم ففركهم ومضى أيضا يصلى وقال كلامه الأول وظهر له ملك من السماء يشجعه ، ولما حصل له الخوف كان يصلى متنهدا واثتد حزنه حتى عرق دما وسال على الأرض ، حينئذ جاء الى تلاميذه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا » .

قال مفسروهم ان هذا تهكم من المسيح كأنه يقول اذا كان العدو على الأبواب ، هل يكون وقت للنوم ؟ فقد حضرت الساعة وابن الانسان يسلم بأيدي الخطاة ، قوموا فنطلق فقد وهل الذى يسلمنى ، وفيما هو يتكلم . واذا بيهودا الاسخريوطى الحواري الذى أخذ من اليهود ثلاثين درهما (١) ليذللهم على المسيح ليقتلوه ، وهو أحد الاثنى عشر قد أقبل ومعه جمع كبير مع سيوف وعصى من لدن رؤساء الكهنة ومشايع الشعب واعطاهم يهودا الدافع علامه بقوله ان ذلك الذى أقبله هو هو فأمسكوه

(١) ثلاثين قطعة من الذهب فى زواية برنابا .

ودنا حالا من يسوع قائلا : السلام يا معلم وقبله ، فقال له يسوع يا صاح
ألهذا أتيت ؟ أقبلة تسلم ابن اللسان ؟ وقال لهم يسوع كأنكم خرجتم
على بسيفوف وعصى لتأخذوني وكل يوم كنت عندكم أعلم فى الهيكل ولم
تسكونى ؟ لكن هذه كانت لكى تتم الكتب ، حينئذ تركه تلاميذه وهربوا
وارتموا على يسوع وقبضوا عليه . وقال يوحنا بعد أن قبله يهودا تقدم
يسوع فسال اليهود مرتين : من تطلبون ؟ وهم يقولون يسوع الناصرى ،
وهو يقول أنا هو واذا بطرس مديده واختلط سيفا وضرب به عبد عظيم
الكهنة .

وقال بعضهم : كان الساطور الذى قطع به لحم خروف الفصح ،
فقطع أذنه ، قال مفسروهم : وقد أخطأ بطرس بهذا لأنه ضد ارادة
الهه يسوع ، فقال له يسوع : حينئذ رد سيفك الى غمده لأن كل من أخذوا
بالسيف فبالسيف يموتون ، أتظن أننى لا أقدر أن اطلب الى ابى فيقيم
لى الآن أكثر من اثنى عشر كردوسا من الملائكة ؟ والكردوس ستة آلاف
جندى ، لكن كيف تتم الكتب لأنه هكذا يلزم أن يكون .

أما الذين قبضوا على يسوع فأصلوه الى قيافا عظيم الكهنة وكان
للكنبة والمشايخ مجتمعين ، وهناك أعطى يهود الحواري الثلاثين درهما
التي أخذها رشوة على تسليم المسيح ، أما سيمعان الصفا — أجل
الحواريين — فكان يتبعه عن بعد ، فجلس داخلا مع الخدام لينظر الغاية
وغيره من الرسل الحواريين فروا . فقال عظيم الكهنة ليسوع : أقسم
عليك بالله الحى لأن تقول لنا : أنت هو المسيح ابن الله ؟ فقال له يسوع :
أنت قلت . أقول أقول لكم انه من الآن ترون ابن الانسان (١) جالسا عن يمين
القوة — أى الله — ويأتى فوق سحب السماء ، حينئذ بصقوا فى وجهه
قائلين : تنبأ لنا أيها المسيح من لطمك ، أما الصفا فكان فى الدار فجاءت
اليه أمة تقول له أنت كنت مع يسوع الناصرى ، أما هو فكفر أمام الجميع
قائلا : لا أعرف اليسوع ولست من تلامذته . ولما خرج الى الدهليز زاته

(١) ابن الانسان لقب ل محمد ﷺ (انظر كتاب المسيا المنتظر)

أمة أخرى ، وقالت إن كانوا هناك : إن هذا كان أيضا مع يسوع الناصري ،
حينئذ ابتدا يحرم ويحلف انه لا يعرف هذا الرجل .

قال مفسروهم ان خطأ بطرس هذا كان ثقيلًا لأن المسيح قال : من
ينكرنى أمام الناس أنكره أمام أبى الذى فى السموات . وفى تلك الساعة
صاح الديك وتذكر بطرس كلمة يسوع انك تنكرنى ثلاث مرات فخرج
وبكى بكاءً مرا حتى انه كان يبكى مدة حياته كلها سمع صياح الديك .
ولما أسفر صباح يوم الجمعة تشاور جميع العظماء على يسوع ليميتوه ،
فأوثقوه وذهبوا به من بيت قيافا وسلموه فى يد بيلاطوس الوالى الرومانى
حاكم اليهودية كلها . أما الحواري يهوذا الدافع ، لما رأى يسوع قد دين ،
ندم ومضى فاعاد الثلاثين الفضة للى رؤساء الكهنة قائلاً : لقد أخطأت
بتسليمى دما زكيا . فقالوا له : ما علينا أنت أخبر ، فطرح الفضة فى الهيكل
وذهب فخنق نفسه . وأما رؤساء الكهنة فأخذوا الفضة وقالوا لا يحل
لنا أن نضعها فى بيت التقدمة لأنها ثمن دم أما يسوع فانه وقف أمام
الوالى وكان اليهود أعلموه بدعوى يسوع ، فسأله الوالى قائلاً له : أنت
هو ملك اليهود ؟ فلم يرد له جوابا ولا عن كلمة واحدة . فقال لليهود : وماذا
أصنع بيسوع المقول له المسيح ؟ فقالوا كلهم : ليصلب ، حينئذ جلد يسوع
بالمسيط وأسلمه ليصلب .

قال مفسروهم الخورى وغيره : وإذا يظهر أن اللصين اللذين صلبا
معه جلدا أيضا والجلادون كانوا ستين نفرا وأرشاهم اليهود ليميتوه
بالجلد خشية أن يطلقه بيلاطوس . وهذا الجلد كان كافيا طبعا لموته
الا أن اللاهوت حفظ الناسوت ليتألم بزيادة ويصلب ، وبعد أن جلدوه
رزعوا أثوابه والبسوه لباسا قرمزيا وضمفروا اكليلا من شوك العوسج ،
ووضعوه على رأسه .

ومن هنا أخذت الكنيسة العادة على ابقاء اكليل من شعر فى رأس
الكهنة تذكارا لاكليل المسيح الشوكى ، وقصبة فى يمينه وجثوا على
ركبهم مستهزئين به وقائلين : السلام يا ملك اليهود ، وتغلوا فى وجهه
وتناولوا قصبة يضربون بها رأسه . ولما هزؤا به نزعوا عنه ذلك اللباس

والبسوه ثيابه واستاقوه ليصلب وكان يتقدمه مبق يدعو الشعب الى هذا المنظر بحسب عادة اليهود ، وخشبة الصليب على منكبيه ، وطوله خمسة عشر قدما وعرضه ثمانية أقدام وكان أحد طرفى الخشبة على عاتقه والطرف الآخر مسحوبا على الأرض . ولذلك كان يزيد ألم جراحه . فأتوا به الى موضع يدعى الجلجلة ومعناه الجمجمة . وناولوه خلا مخلوطا بهمرارة أو خمرا ممزوجا بعلقم بعد أن طلب الماء فذاقه ، ولم يرد أن يشرب ولما صلبوه بالمسامير أو بالحبال معها وكانت المسامير فى راحة اليد وفى الصليب محل يسند اليه رجليه ، اقتسموا ثيابه بالقرعة وهى ثلاثة القميص والرداء والجبنة (١) ولم يكن يلبس السروال كعادة تلك البلاد وجلسوا هناك يحرسونه لئلا يسرقه أحد ومن الساعة السادسة غشت الظلمة الأرض كلها حتى الساعة التاسعة ، وفى ابتداء الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عال قائلا : ايل ايل لم شبيقتانى أى الهى الهى لماذا تركتني ؟ ثم بعد ذلك قال يا أبته فى يدك أضع روحى ، فكان أناس من القائمين يقولون : دعوا ننظر هل يأتى ايلياء فيخلصه ؟ ثم صرخ أيضا بصوت عال وأسلم الروح .

قال مفسروهم وانما صرخ بهذا الصوت العالى ليبين أنه يموت طوعا لا زعما وأنه اله وفوق الانسان ، فانشق حالا ستر باب الهيكل اثنين من فوق حتى أسفل والأرض تزلزلت . قال المفسرون منهم لا أرض اورشليم فقط بل باقى المسكونة كلها أيضا ، والصخور تشققت والقبور تفتحت وأجساد كثيرة من القديسين الراقدين ، قال مفسروهم كآدم ونوح وابراهيم واسحاق ويعقوب وداود ، وربما سمعان وزكريا أيضا وخرجوا من قبورهم ودخلوا بعد قيامته ادلينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين .

قال الخورى ولم يلبثوا فى الحياة الا زمنا وجيزا والحق ما قاله الأكثرون أن هؤلاء لبثوا أحياء وصعدوا بعد ذلك الى السماء بأجسادهم ،

(١) هذا يدل على أن المصلوب كان من سبط اللاويين العلماء ، لا من سبط يهوذا . وتلاميذ المسيح كانوا من هذا السبط . والخائن منهم .

وكان هناك نسوة كثيرات ينظرن عن بعد ، وهن اللواتى اتبعن يسوع من الخليل وكن يخدمته ومنهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوشى وأم ابني زبدي . وبين هؤلاء كانت مريم العذراء .

ولما كان المساء قبل غروب الشمس جاء رجل غنى من الرامة اسمه يوسف ، فدخل على بيلاطوس وطلب منه جسد يسوع ، فأمر أن يعطى ذلك الجسد ، فأخذ يوسف الجسد ودرجه بلفافة نقى وحنطه بالطيب ، ووضعها فى قبر جديد له كان تحته فى صخرة ودحرجوا حجرا عظيما على باب القبر ، ومضوا ، وكان هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين حذاء القبر .

ومن اليوم الغد الذى بعد الجمعة أى يوم السبت اجتمع عظماء الكهنة والفريسيون عند بيلاطوس قائلين له : يا مولانا قد تذكرنا أن ذلك المضل كان يقول وهو حى انى أقوم بعد ثلاثة أيام فمر أن يحرسوا القبر حتى اليوم الثالث ، لئلا يأتى تلاميذه فيسرقوه ليلا ، ويقولوا للشعب : انه قام من بين الأموات فتكون الضلالة الاخيرة شرا من الاولى ، فقال لهم : ان عندكم جنودا ، امضوا احترسوا كما تعلمون ، فذهبوا وحصنوا القبر وختموا الحجر مع الجنود ، وفى عشية السبت المفسر صباحه عن الأحد ، أتت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنتظر القبر .

قال المفسر الخورى : « ان هذه الآية أتعبت العلماء فى تفسيرها والتوفيق بين اجزائها وبين أقوال باقى الانجيليين » انتهى .

وإذا بزلزلة عظيمة قد صارت لأن ملك الرب انحدر من السماء وكان الملك جبريل ظهر بهيئة شاب ، وجاء فدحرج الحجر عن باب القبر لا ليقوم المسيح — اذ كان قام من نحو ساعة والقبر مختوم ، وزار أمه أولا — بله ايوضح للنسوة والحراس أنه قام ويريهن القبر فارغا وجلس الملك فوقه وكان منظره كالبرق ولباسه ابيض كالثلج ، ومن الخوف منه اضطرب الحراس وصاروا كالأموات ، فقال للنسوة لا تخفن فقد عرفت انكن تطلبن

يسوع المصلوب ، ليس هو ههنا قد قام كما قال فتعالين وانظرن الموضع الذى كان ربنا فيه ، واذهبن عاجلا وقلن لتلاميذه وللصفا أى لبطرس — وخصه لأنه رأس جميع الرسل — انه قام من بين الأموات ، وهو يسبقكم الى الجليل ، هناك ترونه .

مخرجت عاجلا من القبر بخوف وفرح عظيم وأسرعن ليقطن لتلاميذه واذا بيسوع لاقاهن فى الطريق بصورته المعتادة فعرفنه حالا قائلا لهن السلام ، حينئذ قال لهن يسوع لا تخفن لكن اذهبن فقلن لآخوتى أن ينطلقوا الى الجليل ، هناك يروننى ولما ذهبن جاء أناس من الحراس الى المدينة وأخبروا عظماء الكهنة بكل ما صاروا فاجتمعوا أى الكهنة حينئذ مع المشيخ يتشاورون وأرثشوا الحراس بفضة ليست قليلة ، وقالوا لهم قولوا ان تلاميذه اتوا ليلا وسرقوه ونحن نائمون فأخذوا الفضة وصنعوا كما علموهم وخرجت هذه الكلمة بين اليهود الى اليوم ، واما التلاميذ الأحد عشر فساروا الى الجليل الى الجبل حيث كان وعدم يسوع ، ولما رأوه سجدوا له ومنهم من شك . رقباء فجاء يسوع وخطبهم قائلا : قد أعطيت كل سلطان فى السماء والأرض وكما أرسلنى أبى هكذا أنا أرسلكم أيضا امضوا الآن فتلبذوا الأمم جميعهم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم ، وها أنا معكم كل الأيام حتى انتقضاء العالم ، ثم من بعد أن تكلم معهم ربنا يسوع صعد الى السماء وجلس عن يمين الله ، وهم خرجوا فكرزوا فى كل مكان ، وكان الرب يعضدهم ويحقق كلماتهم بالآيات التى كانوا يصنعونها .

انتهى ما فى أناجيلهم مخلوطا ببعض من تفاسيرهم بألفاظها ، فأجل فى تناقضها قداح فكرك وفى تهافتها خيول ذهنك ، لترى فى هذه القصة ما يدلك على وقوع الشبه ونجاة المسيح عقلا ونقلها كما قال الله تعالى فى القرآن الكريم « وليبين لك أيضا عبوديته ورسالته عليه السلام فان ذلك ظاهر من هذه العبارات ولنزدك فى البيان وضوحا بما ننبهك عليه بكلمات يسيره للنقد والشرح .

منها قولهم انه صلب قيل غروب يوم الجمعة ودفن مساءها ولما جاءت

النسوة عشية السبت للسفر صباحه عن الأخذ وجدنه فارغاً وقد قام منه المدفون مع أن النصارى يزعمون كما فى أناجيلهم أنه يبقى فى قبره ثلاثة ايام كما بقى يونان أى يونس فى بطن الحوت ثلاثة ايام بلياليها فما هذا الا دليل على الاختلاف والتهافت فى هذا الأمر ؟

ومنها سؤاله اليهود مرتين من تطلبون ؟ وهم يقولون يسوع الناصرى فلم يعرفوه ، وهو يقول لهم انا .

ومنها أن يهوذا ارتشى ليدلهم عليه وجعل العلامة على تعيينه لهم تقبيل يده ، فلو كان معلوما لهم لعرفوه بلا دلالة وبلا سؤال ، مع أنه كان بين اظهرهم ، وفى غالب الأيام فى هيكلمهم .

ومنها أنه لما اقسام عليه رئيس الكهنة أنه هو المسيح (١) لم يقل له انا المسيح ، بل قال له أنت قلت .

ومنها انكار بطرس له وهو من أعظم رسله وانكاره كفر

ومنها أنه لما ساله الوالى أنت هو ؟ لم يرد له جواباً فلو كان هو لاعترف واقر .

ومنها أنه لما كان أخذه ليلا وقد شوهدت صورته وتغيرت محاسنه بالضرب والنكال وهى حالة توجب اللبس بين الشئ وخلافه فكيف بين الشئ وشبهه ؟ فمن أين يحصل القطع بأنه هو ؟ لا سيما والناصارى قد حكموا أن المسيح عليه السلام قد أعطى قوة التحول من صورة الى صورة ، ويحتمل أن المسيح ذهب فى الجماعة الذين أطلقهم الأعوان وكان المتكلم تلميذاً أراد أن يبيع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح ، فالتقى الله تعالى عليه الشبه ، واتباع الأنبياء يقدون أنفسهم لأنبيائهم ، وهذا فدى نفسه لاله بزعيم النصارى .

ومنها أنه يحتمل أن الأعوان ارتشوا على اطلاقه كما ارتشى يهوذا على

(١) يقصد المسيح المنتظر أى المسيا وهو محمد رسول الله ﷺ .

الدلالة عليه ، واخذوا غيره ممن يريد أن يفدى نفسه للمسيح ، والدليل عليه عدم اعترافه بأنه المسيح .

ومنها قوله عليه السلام الذى تقدم آنفا « انا ماكث معكم زمانا ثم انطلق الى من أرسلنى فتطلبونى فلا تجدونى وحينما أكن فلا تستطيعون اليه سبيلا » بهذا صريح فى أنهم سيطلبونه ولا يجدونه ولا ينالون منه شيئا لأنه سيصعد الى السماء ، ومثله ما فى الأصحاح الثانى عشر من انجيل يوحنا ما لفظه « قال له الجموع نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يمكث الى الأبد فكيف تقول أنت أن ابن البشر سوف يرتفع ؟ من هو هذا ابن البشر ؟ قال لهم يسوع أن النور معكم زمانا آخر يسيرا ، أمشوا ما دام لكم النور ، لئلا يدرككم الظلام ، وهن يمشى فى الظلام فلا يدرى أين يذهب ، آمنوا بالنور مادام لكم النور ، لتكونوا أبناء النور ، قال يسوع هذا وذهب متواريا عنهم انتهى .

ففى هذا الكلام أدلة كثيرة مؤيدة لقوله تعالى « بل رضعه الله اليه » منها أن اليهود أرادوا بقولهم فى الناموس العهد القديم التوراة وما يلحقها من أسفار الأنبياء عليهم السلام ، فقد قالوا لعيسى ان المسيح المذكور فى العهد القديم يمكث الى الأبد ، أى فان كنت أنت المسيح فأنت لا تموت فى هذا الزمان (١) بل تبقى الى قيام الساعة ، ولم يكذبهم فى نقلهم ذلك . والمسلمون (٢) يقولون انه رفع حيا الى السماء وهو الآن حى فيها وسينزل آخر الزمان عند قرب الساعة ويقتل الدجال ويحكم بالشرعية المحمدية ويتوفى ويدفن عند النبى ﷺ فهو حى الى الأبد يعنى الى قرب قيام الساعة ، ونزوله وموته من أمارات الساعة الكبرى .

وفى هذا القول دلالات ظاهرات أيضا على انه ليس باله .

(١) ليس هذا قصد اليهود ، بل قصدهم بقاء الشريعة التى سيأتى بها المسيح الذى هو المسيا الرئيس . لأن التوراة تنص على أن كل من هو من البشر سيوت . والمؤلف يفهم أن عيسى هو المسيا والصحيح أنه محمد ﷺ (انظر كتاب المسيا المنتظر) .

(٢) بعض المسلمين .

أحدها : أنه قال ابن البشر يعنى لا تظنوا انى ادعى الألوهية وان
أحييت الموتى لأن ذلك معجزة خلقها الله تعالى على يده للإيمان بنبوته .
ثانيها : لو كان الها لما توارى منهم خائفا من قتلهم له لأن الاله هو
خالق لهم ولعلمهم وعالم بزمن قدرتهم عليه ، فكيف يفر وهو يعلم وقت
موته وهو خالق الموت والحياة ثم أنه يحتل أن الله تعالى ألقى شبهه على
شيطان أو مارد من مرده الجن ليخلص نبيه ورسوله من أيدي أعدائه ويرفعه
اليه محفوظا مكرها كما أجرى على يديه احياء الموتى وخلق من غير أب وأبوء
الأكمه والأبرص لا سيما وهو بزعمهم اله العالم وخالق الانس والجن وبنى
آدم ، فأى ضرورة تدعو الى اثبات أنواع الإهانة والعذاب على ما زعموا
الرب الأرباب ؟ مع وجود التناقض فيما نقلته أناجيلهم فى هذا الفصل
والباب :

والى أى والد ، نسيوه
انه بعد ضربه صلبوه
وصحيفا ، فأين كان أبوه ؟
أتراهم أرضوه أم أغضبوه
فاحمدوهم لأنهم عذبوه
واعبدوهم لأنهم غلبوه

عجبا للمسيح بين النصارى
اسلموه الى اليهود وقالوا
واذا كان ما يقولون حقا
حين خلى ابنه رهين الأعداى
بلأن كان راضيا باذاهم
ولأن كان ساخطا فانركوه
ولقد أحسن القائل :

فهزت أعياده معانى سرها
فى عزة وبما يليق بقدرها
أيدى العداة فذاق شدة بأسها
فى جنة الفردوس نعم المنتهى
بخلاف قول الكافرين ونكرها

ولعبد عيسى خصائص جمة
رفع المهيمن ذاته لسماه
وفداه بالشبه الذى القاه فى
حتى يكون ممتعا بجواره
هذا ونحن نقول عيسى عبده

قال الامام أبو جعفر بن جرير « حدثنى أبو السائب قال حدثنا معاوية
عن الأعمس عن المنهال يعنى ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى عليه السلام
الى السماء خرج الى أصحابه وهم فى بيت النبى عشر رجلا من عين فى

البيت ورأسه يقطر ماء ، قال ان منكم من يكفر بى اثنتى عشرة مرة ، بعد أن آمن بى ، ثم قال : أيكم يلقي عليه ثسبى فيقتل مكاتبى ويكون معى فى درجتى ؟ قال فقام شاب من أحدثهم منا فقال اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال نعم أنت ذاك . قال فألقى عليه شبه عيسى عليه السلام ورفع عيسى من روضة فى البيت الى السماء ، وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبهه فقتلوه وصلبوه وكفروا به بعضهم اثنتى عشرة مرة ، بعد أن آمن به فتفرقوا ثلاث فرق قالت كان الله فىنا ما شاء ثم صعد الى السماء وهؤلاء اليعقوبية وفرقة قالت كان فىنا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله اليه وهؤلاء النسطورية وفرقة قالت كان فىنا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه اليه وهؤلاء المسلمون ، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوهما فلم يزل الاسلام طامسا ، حتى بعث الله محمد ﷺ فأمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة بمعنى الطائفة التى كفرت من بنى اسرائيل فى زمن عيسى عليه السلام والطائفة التى آمنت فى زمن عيسى ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين باظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار .

هذا لفظه فى كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة وهكذا رواه النسائى فى سننه هذا ، وقد تقدم لك ما يقضى منه العجب العجيب أن المسيح طلب من الله تعالى المغفرة لقاتليه كما نقله أيضا صاحب هذا الكتاب ، فان كان عالما بأنه سبحانه يغفر لهم ، فلم يبق عليهم عتاب وان لم يعلم فكيف يطلب المحال وهو بزعمهم رب الأرباب ؟ فتقطن ولا تغفل .

قال النصرانى « فلنذكر بعد هذا شهادة المخالف اذ يقول معلمنا (اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاءل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون . فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين . واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفىهم أجورهم ، والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » (آل عمران) .

فهذا فتح الله عقلك الى الصواب قول صاحبك واعترافه وشهادته عن الله كما ادعى وادعيت له فثبت فى النظر وانصح لنفسك فى الاستقصاء ، ولا تمل الى غير الحق ، فانك ان أنصفت ظهر لك أبيض النور وتلاى الحق .

ثم لما كان بعد صعوده الى السماء بعشرة أيام كان الحواريون مجتمعين فى الغرفة التى كانوا ينزلون فيها معه اذ سمعوا هادة عظيمة شديدة ، وتجلى عليهم الروح القدس الذى هو « البارقليط » فصار على كل رجل مثل اللسان من النار ، فجعل يتكلم بلسان البلد الذى وجه ليشر فيه بالمسيح مخلص العالم ومنقذه ، ويدعو اهل ذلك البلد الى النصرانية ويخاطبهم بلسانهم ويربهم الآيات المعجزة ، فعند ذلك تفرق الحواريون كل رجل منهم الى البلد الذى نذب اليها وأعطى معرفة لسانها وكلام أهلها وكتبوا الانجيل الطاهر وجميع أخبار المسيح واقاصيصه بكل لسان عن أملاء الروح القدس فدانت لهم الأمم واستجابوا لقولهم ، ورفضوا هذه الدنيا ومالوا الى الأمر الواضح وتركوا أديانهم ، ودخلوا فى النصرانية عندما أشرق لهم نو الحق ولألأ نور البشارة ، فآمنوا وآمنوا مصدقين غير مرتابين ولا شاكين ، حيث ميزوا الحق من الباطل والكفر من الايمان ، والهدى من الضلالة والرشد من الفى وراوا الأعاجيب والآيات الباهرة والدلائل الواضحة والسيرة الحسنة المثبته لسيرة المسيح ، التى آثارها قائمة ثابتة حتى اليوم والساعة ، فنحن الذين قبلناه منهم ولم نزد فيه ولم ننقص منه ، وعليه نحيا وعليه نموت ونبعث ، حتى نقوم به بين يدى المسيح سيدنا يوم نقف بين يديه انا هو دان الخلق جميعهم .

ليس كسيرة صاحبك وسيرة أصحابه الذين لم يزالوا يتقدمون في القتل والنهب والخطب السيوف وسبى الذراري والتغلب على البلدان ونهب الناس أموالهم وهتك حريمهم واستعباد الأحرار وهم في هذه الحال إلى هذه الفاية ، يحملون الناس على المحارم وعلى مساوىء الأخلاق حتى تعلموا فقالوا في ذلك ما لم تفعلوه ، مثل قول عمر بن الخطاب « الا من كان جاره نبطيا واحتاج إلى ثمنه فليبعه » ومثل هذا كثير مما يشاكلة من القسول والفعل ، وهذا خلاف ما كان يفعله سمعان ويولس من ابراء المرضى باهرهما وطلبهما واقامة الموتى باسم المسيح سيدنا .

وان قلت : ما بال الرهبان لا يفعلون اليوم من الآيات والعجائب والجرائح مثل ما كان الحواريون يفعلون حيث توجهوا إلى البلدان ، رجعنا إليك بالجواب وقلنا انهم لما مضوا إلى البلدان للدعوة واجتذاب الناس إلى الاقرار بربوبية المسيح احتاجوا عند ذلك إلى كثرة الآيات وتواتر المعجائب ، لتصح دعوتهم وليعلم الذين يدعونهم صحة دعواهم ، فليس الرهبان اليوم دعاة وان كان كثير منهم يتكلمون فعل ذلك لدى الخواص خفية ، ليعلم أن تلك النعمة ثابتة فيهم باقية ، فاذا جرى لهم أمر احتاجوا إلى اظهار قوتهم للعامة اظهارها ليعرف ذلك من أفعالهم في المشرق والمغرب ، وحيث حلوا . ولو أن الرهبان تكلفوا احياء كل ميت واشفاء كل مريض في كل وقت ، لم يمت أحد ولم يكن للقيامة رجاء للدنيا زوال ، وكان في ذلك تكذيب لوعده الله تبارك وتعالى ووعيده في الآخرة ، وانما يفعل الرهبان ما يفعلونه ويجرى على أيديهم الواحد بعد الواحد ليزدادوا ثقة لما هم فيه من ذلك التعب والنصب ، وليعلموا كيف مرتبتهم عند الله في طاعتهم ليلهم ونهارهم ، وأيضا : فمن قصدهم بقلب سليم ونية صحيحة وأتاهم مستغنيا فبصلواتهم وبركة دعائهم أدركوا طلبتهم . وأيضا : لو كانت الآيات والعجائب تظهر لدى التجارب كما ظهرت في الأولين وكانت دائمة كما كانت في أيام الجهل وعدم الأدب لما كان للناس في ايمانهم وطاعتهم حمدا ، الا كحمود الدواب التي لا تستغنى في الاستقبال بها والاستدبار عن اللحم والضرب بالمعصاء ، لكن إذ فضل الله تبارك اسمه جوهر الانسان على البهائم

وأنعم عليهم بالعقل والتمييز كلفهم استعمال رأيهم في أحراراً علم ما غلب
عنهم من برهان للحق عن دينه فلنن ليس محتاج من الناس اليوم الى معاينة
الآيات في تحقيق هذا الدين الا من رفع نفسه عن استعمال العقل وشارك
البهائم في جهلها وقلة أدركها « انتهى

أقول قوله اذ يقول معلنا « اذا قال الله يا عيسى ائى متوفيك ورافعك الى
الآية اعلم أولا ما قاله المفسرون في هذه الآية الكريمة . قال الفراء : ان في هذا
الكلام تقديمها وتأخيرا تقديره ائى ورافعك ومطهرك ومتوفيك بعد انزالك
من السماء . وقال أبو زيد متوفيك أى قابضك وقيل الكلام على حاله من غير
ادعاء تقديم وتأخير فيه . والمعنى كما قال في الكشاف مستوفى أجلك ومعناه
ائى عاصمك من أن يقتلك الكفار ، ومؤخر أجلك الى أجل كتبته لك ومهيئك
حرف أنفك لاقتلا بايديهم وعن مطر الوراق قال متوفيك من الدنيا وليس بوفات
بموت وانما احتاج المفسرون الى تأويل الوفاة بما ذكر لأن الصحيح أن الله
تعالى رفعه الى السماء من غير وفاة كما رجحة كثير من المفسرين وقيل
أن الله تعالى توفاه ثلاث ساعات من نهار ثم رفعه الى السماء ، وفيه ضعف
وقيل المراد بالوفاة النوم ومثله قوله سبحانه « هو الذى يتوفاكم بالليل
أى ينيبكم .

وقيل الواو في « ورافعك » لا تفيد الترتيب لأنها المطلق الجمع ، عن
سعيد بن المسيب قال رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، رفعه الله تعالى
من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان ، وحملت به أمه ولها ثلاث عشر سنة
وفى زاد المعاد لأبن القيم ما يذكر أن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين
سنة لا يعرف به أثر متصل . يجب المصير اليه وفى الأحاديث النبوية كما
فى فتح البيان أنه انما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة وقد مر عليك قريباً
من الأنك على رفعه ما فيه غنية عن الاعادة ، فراجعه ولا تغفل . وقوله
سبحانه « ومطهرك من الذين كفروا » أى مبعدك ومخرجك من حيث جوار
اليهود والمجوس ومن كفار قومك برفعك الى السماء ، لأنه فى جهنتهم
بمنزلة التنجيس له بهم « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم
القيامة » أى الذين اتبعوا ما جفت به ، وهم خلص أصحابه الذين لم يبلغوا

فى الغلو فيه الى ما بلغ من جعله الها ومنهم المسلمون فانهم اتبعوا ما جاء به عيسى عليه السلام ووصفوه بما يستحقه من دون غلو فلم يفرطوا فى وصفه كما فرطت اليهود ولا افرطوا كما افرطت النصارى . وقد ذهب الى هذا كثير من اهل العلم . وقيل المراد بالآية أن النصارى الذين هم اتباع عيسى لا يزالون ظاهرين على اليهود غالبين لهم قاهرين لمن وجد منهم ، فيكون المراد من القين كفروا هم اليهود خاصة ، وقيل هم الروم لا يزالون ظاهرين على من خالفهم من الكافرين ، وقيل هم الحواريون لا يزالون ظاهرين على من كفر بالمسيح ، وقيل هم المسلمون والنصارى . وعلى كل حال لغلبة النصارى لطائفة من الكفار أو لكل طوائف الكفار لا ينفى كونهم مقهورين مغلوبين لطوائف المسلمين كما تفيد الآيات الكثيرة بأن هذه الملة ظاهرة على كل الملل قاهرة لها مستعلية عليها .

قال فى فتح البيان « وقد افرد الشوكانى هذه الآية بمؤلف سماه «ويل الغمامة فى تفسير وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة» . وحاصل ما ذكره أن صيغة «الذين اتبعوك» من صيغ العموم ، وكذلك صيغة «الذين كفروا» من صيغ العموم والواجب العمل بما دل عليه النظم القرآنى ، واذا ورد ما يقتضى تخصيصه أو تقييده أو صرفه عن ظاهره . وجب العمل به ، وان لم يرد ما يقتضى ذلك وجب البقاء على معنى العموم ، وظاهره شمول كل متبع وأنه مجعول فوق كل كافر ، وسواء كان الاتباع بالحجة أو بالسيف أو بهما وفى كل الدين أو بعضه أو فى جميع الأزمنة والأمكنة والاحوال أو فى بعضها والمراد بالكافر الذى جعل المتبع نوقه ، كل كافر ، سواء كان كفره بالستر لما يعرفه من نبوة عيسى أو بالمر به أو بالمخالفة لدينة ، مع عدم التمسك بدين من الأديان قط كعبدة الأوثان والنار والشمس والقمر والجاحدين لله تعالى والمنكرين للشرائع ، واما مع التمسك بدين يخالف دين عيسى عليه السلام قبل بعثة نبينا محمد ﷺ كاليهود وسائر الملل الكفرية ، فالمتبعون لعيسى باى وجه من تلك الوجوه هم المجعولون فوق من كان كافر باى تلك الأنواع ، ثم بعد البعثة المحمدية لا شك أن المسلمين هم المتبعون لعيسى لاقراره بنبوة نبينا عليه الصلوة والسلام وتبشير به كما فى القرآن الكريم والانجيل ، بل فى الانجيل الأمر

لاتباع عيسى باتباع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فالمتبعون لعيسى بعد البعثة المحمدية هم المسلمون فى أمر الدين ، ومن بقى على النصرانية بعد البعثة المحمدية فهو وان لم يكن متعبا لعيسى فى أمر الدين ومعظمه لكنه متبع له فى الصورة وفى الاسم وجزئيات من أجزاء الشريعة العيسوية فقد صدق عليهم أنهم متبعون له فى الصورة وفى الاسم وفى شىء مما جاء به ، وان كانوا على ضلال ووبال وكفر فذلك لا يوجب خروجهم عن العموم المذكور فى القرآن الكريم ، ولا يستلزم اندراجهم تحت هذا العموم أنهم على شىء بل هم هالكون فى الآخرة ، وان كانوا مجعولين فوق الذين كفروا ، فذلك إنما هو فى هذه الدار .

ولهذا يقول الله جل وعلا : « ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم » الآية ، فالحاصل ان الجعولين فوق الذين كفروا هم اتباع عيسى قبل النبوة المحمدية وهم النصارى والحواريون ، وبعد النبوة المحمدية هم المسلمون والنصارى والحواريون والأولون هم الاتباع حقيقة وغيرهم هم الاتباع فى الصورة ، وقد جعل الله تعالى الجميع فوق الذين كفروا من اليهود وسائر الطوائف الكفرية . وقد كان الواقع هكذا فان الملة النصرانية قبل البعثة المحمدية كانت قاهرة لجميع الملل الكفرية ظاهرة عليها غالبية لها وبعد البعثة المحمدية صارت جميع الأمم الكفرية نهبا بين الملة الاسلامية والملة النصرانية ما بين قتيل وأسير ومسلم للجزية ، وهذا يعرفه كل من له خبرة بأخبار العالم ولكن الله تعالى قد جعل الملة الاسلامية قاهرة للملة النصرانية مستظهرة عليها وفاء بوعده فى كتابه العزيز كما فى الآيات المشتملة على الاخبار بأن جنده هم الغالبون ، وحزبه هم المنصورون .

ومن ذلك قوله تعالى : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » — « والله العزة ورسوله وللمؤمنين » — « وان يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا »

وقد أخبر الصادق المصدوق عليه السلام بظهور أمته على جميع الأمم وقهر ملته لجميع الملل ، وبالجملة انا اذا جردنا النظر الى الملة الاسلامية والملة النصرانية ، فقد ثبت فى الكتاب والسنة ما يدل على استظهار الملة الاسلامية

على الملة النصرانية ، وان نظرنا الى جميع الملل فالملة الاسلامية والملة
النصرانية هما فوق سائر الملل الكفرية بهذه الآية .
ولا ملجا الى جعل الضمير المذكور فى الآية وهو الكاف لنبينا محمد
ﷺ كما تكلفه جماعة من المفسرين ، لأن جعله لعيسى عليه السلام كما يدل
عليه السياق ، بل هو الظاهر الذى لا ينبغى العدول عنه ولا يستلزم
اخراج الملة المحمدية بعد البعثة ، إذ هم متبعون لعيسى كما عرفت
سابقا (١) . ولا خلاف بين أهل الاسلام أن الملة النصرانية كانت قبل
البعثة المحمدية هى القاهرة لجميع الملل الكفرية ، فلم يبق فى تحويل
الضمير عن مرجعه الذى لا يحتل السياق غيره فائدة الا تمكيد النظم
القرآنى والاخراج له عن الأساليب البالغة فى البلاغة الى حد الإعجاز ، ومن
تدبر هذا الوجه الذى حررقاه ، علم أنه قد أعطى التركيب القرآنى ما يليق
ببلاغته من بقاء عموم الموصول الأول والموصول الثانى ، وعدم التعرض
لتخصيصه وتقييده بما ليس بمقيد وعدم الخروج عن مقتضى الظاهر فى مرجع
الضمائر وعدم ظن التعارض بين ما هو متحد الدلالة .

وقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن عيسى عليه السلام ينزل فى آخر
الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويحكم بين العباد
بالتشريعة المحمدية المطهرة ، ويكون المسلمون أنصاره وأتباعه اذ ذاك (وهذا)
يبعد أن يكون فى هذه الآية اشارة الى هذه الحالة « ا. هـ . وقوله تعالى
« الى يوم القيامة » غاية للجعل ، اخرج ابن أبى حاتم عن النعمان بن بشير
قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تزال طائفة من أمتى على أرحق ظاهرين
لا يباليون بمن خالفهم حتى يأتى أمر الله » قال النعمان : من قال انى أقول
على رسول الله ﷺ ما لم يقل ، فان تصديق ذلك فى كتاب الله « وجاعل
الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة »

(١) الذين اتبعوا عيسى وصاروا فوق الذين كفروا : هم أتباعه الأئمة
الى زمان محمد ﷺ . والمسلمون من أتباعه مجازا لأنهم آمنوا بالنبى محمد
الذى بشر به عيسى عليه السلام ودعا الى اتباعه . وهم فوق الذين كفروا
الى يوم القيامة — أى المسلمون —

واخرج ابن عساكر عن معلوية مرفوعا نحوه ثم قرأ معلوية الآية ، وعن ابن زيد قال : النصرى فوق اليهود الى يوم القيامة ليس بلد فيه أحد من النصرى الا وهم فوق اليهود فى شرق ولا غرب وهم فى البلدان كلها مستنزلون « ثم الى مرجعكم » أى مرجع الفريقين الذين اتبعوا عيسى والذين كفروا به والمرجع الرجوع وتقديم الظرف للقصر « فأحكم بينكم فيها كنتم فيه تختلفون » أى من أمور الدين أو من الحق فى أمر عيسى ، ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى : « فأما الذين كفروا » يعنى الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته ، قالوا فيه من الباطل ما قالوا ووصفوه بها لا ينبغى من سائر اليهود والنصارى « فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا » بالقتل والسبى والذلة وأخذ الجزية منهم « والآخرة » أى وأعذبهم فى الآخرة بالنار « وما لهم من ناصرين » مانعين يمنعونهم من عذابنا « وأما الذين آمنوا » بعيسى عليه السلام وصدقوا نبوته ، وأنه عبد الله ورسوله وكلمته « وعملوا الصالحات » يعنى ما فرض عليهم وشرع لهم « فيؤتيهم أجورهم » يعنى جزاء أعمالهم لا ينقص منه شيء « والله لا يحب الظالمين » أى لا يحب من ظلم غيره حقا له أو وضع شيئا فى غير موضعه .

والمعنى أنه تعالى لا يرحمهم ولا يثنى عليهم بجميل . وفى « فتح البيان » أن نفى الحب كناية عن بفضهم واستعمال عدم محبة الله تعالى فى هذا المعنى شائع فى جميع اللغات جار مجرى الحقيقة وهى جملة تذييلية مقررة لما قبلها ذلك يعنى الذى ذكرته لك من أخبار عيسى وأمه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص « نثلوه عليك » أى نخبرك به يا محمد على لسان جبريل « من الآيات » يعنى من القرآن . وقيل العلامات الدالة على نبوتك لأنها أخبار لا تعلمها الا بالوحى « والذكر الحكيم » أى الحكم المنوع من الباطل ، وهو القرآن أو اللوح المحفوظ الذى منه تنزلت جميع الكتب السماوية .

قوله « تجلى عليهم الروح القدس الذى هو البارقليط » الى آخره ، لا يخفى عليك مما قدمناه لك وفصلناه فيما تقدم من بحث البشارات الالهية فى الكتب السماوية أن المراد بالبارقليط هو نبينا عليه الصلاة والسلام وأوضحناه بأتم بيان ولا ينكر ذلك الا من زاغ عن الرشاد وركب متن عمياء

العناد ، لأن آيات الانجيل صريحة بذلك لا تحتل غير ما هنالك ، اذ يقول يوحنا في انجيله في الاصحاح الخامس عشر ما لفظه « فاذا جاء الفارقليط الذى ارسله انا اليكم من الآب روح الحق الذى من الآب يقبثق ، هو يشهد لأجلى وانتم تشهدون لأنكم معى من الابتداء ، فاذا جاء ذلك فهو يويح العالم على خطيئة وعلى بر وعلى حكم ، أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بى ، وأما على البر فلأنى منطلق الى الآب ولستم ترونى بعد ، وأما على الحكم فان أركون هذا العالم قد دين ، وان لى كلاما كثيرا أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن ، واذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سياتى ، وهو يمجدنى لأنه يأخذ مما هو لى ويخبركم »

وقال أيضا : « وأنا أطلب فارقليطا آخر ليثبت معكم الى الأبد ، والآن قلت لكم قبل ان يكون ، حتى اذا كان تؤمنون » أ. هـ .
فهو ينكر صدق هذا الخبر والأوصاف على نبينا ﷺ الا ممار ومجادل بالأباطيل ، وقد أعمى الله تعالى بصائر المحرفين عن هذه الآيات وأمثالها فلم يحرفوها الا بالتأويل « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون »

وقوله : « ليس كسيرة صاحبك وسيرة أصحابه الذين لم يزالوا ينفقون من القتل » الى آخره قدمننا لك مرارا رد هذا الكلام وأن مسألة الجهاد ثابتة فى التوراة وأن أنبياء بنى اسرائيل قتلوا الكفار أشرقتل ونهبوا الأموال والأطفال مما لا حاجة لنا الى اعادته ، وقدمننا لك أيضا ما فعلته فرقة الكاثوليك من النصرارى وما فعلته البروتستانت من قتل بعضهم لبعض مرات عديدة ، وأهلكوا بافطع وجه نفوسا لا يعلمها الا الله تعالى ، بزعم كل منهم أن ذلك للإصلاح ، مع أنه للفساد فتذكر .

ثم اعلم انه كان ينبغى للمؤلف أن لا يستعظم مسألة جهاد النبى ﷺ للكفار والمشركين وقتالهم لعلم ايمانهم بالله تعالى ورسوله واعطاء الجزية لأن فى قتل النزر القليل من النوع البشرى احياء لاكثر منهم الحياة الابدية ،

اذ بقاء البعض تقوم حياة الكل كما يقطع الطبيب المشفق عضو شخص
فيه داء خشية أن يسرى منه الى بقية أعضائه السليمة فيهلك ، فلا حياة
الكل أفنى البعض ، والله سبحانه الحكيم المتصرف فى ملكه كما يشاء ،
فخلق أقواما للنار وأقواما للجنة دار القرار (١) .

ولنا على ذلك أيضا قياس صحيح ودليل ظاهر مما تعتقده جميع النصارى
وتدعيه أن إلهه يسلّم نفسه يزعمهم الى خلقه من بنى اسرائيل ليقتلوه ، حتى
يكون فى صلبه وقتله نجاة للباقيين من البشر ، ويدخل أيضا ليخلصهم من
عذابها حتى صار واسطة لخلصهم من العذاب الأبدى ، وأنه سبحانه لم
يجد واسطة لذلك غير قتل نفسه بأيدي أعدائه من بنى اسرائيل ، فاذا
كان الأمر كذلك ، فاذا قسنا جميع من قتله النبي ﷺ من الكفار والمشركين
وعبدة الأوثان والمثلثين لاصرارهم على كفرهم وعنادهم وعدم قبول دعوته
لأجل صلاح سائر الناس وخلصهم واحيائهم الحياة الابدية ، مع قتل البارى
تعالى نفسه بيد لأجل خلاص شرذمة من النصارى فقط ، مع بقاء بقية
النوع البشرى الكثير فى شرك الهلاك بزعمهم ، فيكون قتال النبي ﷺ
لبعضهم لاصلاح الكل بالايمان ، أهون من قتل إلهه ذاته لخلص النزر القليل
من النصارى ، اذ لو قسنا ذات البارى مع جميع المخلوقات من البشر
والملائكة وغيرهم فلا تقابله ولا تعادله ولا تماثله بوجه من الوجوه .

فاذا كان قتل الله نفسه بزعمهم الذى لا تعادله جميع مخلوقاته لأجل
خلاص شرذمة قليلة جدا من النصارى وهم البروتستنت مثلا أو الكاثوليك
مثلا أو اليعقوبية مثلا فليكن ما فعله نبينا عليه الصلاة والسلام من قتل
بعض المعاندين من الكفار لأجل الخلاص الأكثر وتخويلهم ، مطابقا للحكمة ،
موافقا للقياس مبنيا على أحكم أساس لا سيما وانبياء بنى اسرائيل فعلوا

(١) خلق الله للنار أقواما ، هم فضلوا الكفر على الايمان . لقوله
تعالى : « وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم ، حتى يبين لهم ما يتقون »
فبين أنه يبين أسباب التقوى ، ومن لا يعمل بها فإنه يضل (انظر شرح
الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار)

أشد وأعظم من فعل نبينا والبروتستنت والكاثوليك فعل كل منهم بصاحبه ذلك ، فتدبر هذا بفكر صحيح وذهن خال عن التعصب القبيح وانصف ولا تغفل .
وأما استبعاد الأحرار — الذى زعمه — فقد كانت أنبياء بني اسرائيل
فعل ذلك أيضا كما قدمناه فيما سلف والكفر الذى هو أبلح الاثياع أخرجهم
من نعمة الحرية وأدخلهم فى ريقه المملوكية .

وأما ما أسهب به بعد ذلك فهو اختلاق وتمويه كعادته المستهجرة في
كتابه هذا . وسيرة سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه وعدله وسياسته وسيرة
الخلق الراشدين مشهورة فى الكتب ، مخلدة مسطورة ، فما نسبه اليه كتب
مفتري ، وكراماته المعجزة معلومة كثار القري ، وكذلك كرامات غيره من
الصحابه والصالحين ، وما جرى على أيدي أولياء الأمة من الآيات والاعاجيب
على يوقها هذا مما يضيق عنه نطاق الحصر ، ولو أردنا حصرها لما تمكنا منه
ولو طال الدهر ، وقد حوت بعضه بطون الدفاتر ونقله الأمة بالتواتر طبقة
عن طبقة وكابرا عن كابر ، فأين للحواريين ما حصل للصحابه والأولياء الحميين
من الكرامات الظاهرة والتقوى الباهرة والزهد واليقين والسياسة وبث
علوم الدين ، والشجاعة والصبر الاقدام والصلاة والصيام ؟

ما لموسى وما لعيسى حواريو ن ، من مثلهم ولا نقباء
تمة : ومما يدل على جواز قتال الكفار ، وأن نبينا عليه الصلاة والسلام
مأمور به من الله سبحانه وأنه رسول صادق : ما ورد من قول يوحنا فى
سفر الرؤيا بما لفظه : « ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس
عليه يدعى أينا وصادقا وبالعدل يحكم ويحارب وعينه كلهيب نار ، وعلى
رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه الا هو ، وهو مقرب
بثوب مغفوس بدم ويدعى اسمه كلمة الله والأجناد الذى فى السماء كانوا
يتبعونه على خيل شهب لا بسين بزا أبيض ونقيا ، ومن فمه يخرج سيف نو
حدين لكى يضرب به الأمم ، وهو سرعاهم بعضى من حديد ، وهو يدوس
معصرة خمرة سخط وغضب الله ضابط الكل ، وله على ثوبه وعلى فخذه
اسم مكتوب ملك الملوك ورب الارباب .

ورأيت ملاكا واحدا واقفا فى الشمس فصرخ بصوت عظيم قائلا لجميع الطيور الطائرة فى وسط السماء هلم اجتمعى الى وليمة الاله العظيمة لكى تأكل لحوم ملوك ولحوم قواد ولحوم أقوياء ولحوم خيل وراكبين عليها ولحوم الكل حرا وعيدا صغيرا وكبيرا ، ورأيت الوحوش وملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين ليصنعوا حربا مع الراكب على الفرس وعسكره ، فقبض على الوحش والنبي الكذاب معه الصانع قدامه الآيات التى بها أضل الذين قبلوا سمة الوحش والذين سجدوا لصورته ، وطرح الاثنان حيين الى بحيرة النار المتقدة بالكبريت والباقون قتلوا بسيف الجالس على الفرس الخارج من فمه وجميع الطيور شبعت من لحومهم « ١ . هـ (ص ١٩) (١١٤) (٢١) من النسخة المطبوعة فى رومية سنة ١٨٢١ .

والعجب من النصرانى صاحب الكتاب الذى سماه ببيزان الحق يزعم أن هذه الرؤيا تدل على نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان ، وأنا معاشر المسلمين نعترف بنزوله عند ظهور المسيح الدجال لاخبان نبينا عليه الصلاة والسلام بذلك (١) غير أن هذه الرؤيا لا دلالة فيها على تبوة المسيح ثم نزوله بوجه من الوجوه كما لا يخفى على منصف ، نظر أولها الذى حذفه وتدبر معانيها وتأويلها ، وكان ذا فطنة بتعبيرها ، بل هى دالة على نبوة نبينا المصطفى ﷺ وعموم دعوته وظاهرة فى حقية رسالته وأمره بجهاد أهل الكفر والعناد لأن المسيح باجماع النصارى لم يجاهد وليس له سيف ولم يحارب أحدا ولم يعرف عنه ركوب الفرس بل ركوب الحمار ، ولم يقتل أحدا بل هو قتل بزعمهم .

وأما صدقتها على نبينا ﷺ فأمر ظاهر لا ينكره الا مكابر يتعمى عن

(١) قال الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، الشيخ محمد شلتوت — ورحمة الله عليه — فى كتابه الفتاوى ما خلاصته :

ان القرآن الكريم قد عرض لعيسى عليه السلام فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه فى ثلاث سور أ — « اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك وراقمك الى » ب — « بل رنعه الله اليه » ج — « فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم »

ومن حق كلمة « توفيتني » في الآية : أن تحمل على هذا المعنى المتبادر ، وهو الإماتة العادية التي يعرفها الناس ويدركها من اللفظ والسياق الناطقون بالضاد « ولا سبيل الى القول بأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء ، بناء على زعم من يرى أنه حى فى السماء ، وأنه سينزل منها آخر الزمان ، لأن الآية ظاهرة فى تحديد علاقته بقومه هو ، لا بالقوم الذين يكونون آخر الزمان ، وهم قوم محمد باتفاق ، لا قوم عيسى »

والذين يقولون بأنه رفع الى السماء بالجسد ، وسينزل فى آخر الزمان ، يعتمدون فى ذلك :

أولا : على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال ، وهى روايات مضطربة ، مختلفة فى ألفاظها ومعانيها ، اختلفا لا مجال معه للجمع بينها . وقد نص على ذلك علماء الحديث . وهى فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأخبار ، وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الاسلام وقد عرفت درجتها فى الحديث عند علماء الجرح والتعديل .

ثانيا : على حديث مروى عن أبى هريرة ، اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى ، وإذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد . وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها فى شأن المفيات .

ثالثا : على ما جاء فى حديث المعراج من أن محمدا ﷺ حينما صعد الى السماء وأخذ يستفتحها واحدة بعد واحدة ، فتفتح له ويدخل ، رأى عيسى عليه السلام هو وابن خالته يحيى فى السماء الثانية . ويكفينا فى توهين هذا المستند : ما قرره كثير من شراح الحديث فى شأن المعراج وفى شأن اجتماع محمد ﷺ بالأنبياء وأنه كان اجتماعا روحيا لا جسمانيا (انظر فتح البارى وزاد المعاد وغيرها)

وقد فسر « الألوسى » قوله تعالى « ائى متوفيك » بوجوده منها - وهو أظهرها - ائى مستوفى أجلك وميتك حتف أنفك ، لا أسلط عليك من يقتك . وهو كناية عن عصمته من الأعداء ، وما هم بصدده من الفتك به - عليه السلام - لأنه يستلزم من استيفاء الله أجله وموته حتف أنفه ، ذلك ^{١٥٦}

وظاهر أن الرفع — الذي يكون بعد التوفية — هو رفع الكانة لا رفع الجسد خصوصا وقد جاء بجائزه قوله « ومطهرك من الذين كفروا » . ما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم . وقد جاء الرفع في القرآن كثيرا بهذا المعنى : « لى بيوت أذن الله أن ترفع » — « نرفع درجات من نشاء » — « ورفعنا لك ذكرك » — « ورفعناه مكانا عليا » — « يرفع الله الذين آمنوا منكم » ... الخ . واذن فالمعبر بقوله : « ورائعك الي » وقوله : « بل رفعه الله اليه » كالتعبير في قولهم : لحق فلان بالرفيق الأعلى . وفي « أن الله معنا » وفي « عند مليك مقتدر » وكلها لا يفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول في الكنف المقدس .

وإن من ينكر أن عيسى قد رفع بجسده الى السماء وأنه فيها حي الى الآن ، وأنه سينزل منها آخر الزمان ، فإنه لا يكون بذلك منكرا لما ثبت بدليل قطعى ، فلا يخرج عن اسلامه وإيمانه ولا ينبغى أن يحكم عليه بالردة ، بل هو مسلم مؤمن .

وإذا قيل : ان « ومن المقربين » اشارة الى رفعه الى محل الملائكة المقربين ، فهذا لا يفيد الرفع ، لأن كلمة « المقربين » وردت بمعنى المحبة والعطف مثل : « والسابقون السابقون أولئك المقربون » — « فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم » — « عينا يشرب بها المقربون »

وإذا قيل : ان « وجيها في الدنيا » اشارة الى رفعه . يقال : ان وجهة عيسى في الدنيا هي الرسالة المؤيدة بالمعجزات البينات .

وإذا قيل : ان قوله تعالى « وان من أهل الكتاب الا ليؤمن به قبل موته » فإنها على أحد التفسيرين فيها تدل على بقائه حيا الى اليوم . يقال : ان الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

وكذلك يقال في « وانه لعلم للساعة » أما عن الضمير في « به » و « موته »

أ — فقد يكون لعيسى . والمعنى : ما من أحد من أهل الكتاب يهوديهم ونصرانيهم الا ليؤمن بعيسى قبل أن يموت عيسى . وعلي هذا المعنى

نور الشمس الباهر ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يدعى قبل نبوته بين أهل بلدته بالصادق والأمين ، حتى أن أعداءه اعترفوا به كما تواترت بذلك أخبار الصادقين . وكان عليه السلام حاكما بين الخصمين وسيدنا المسيح كما فى الانجيل لم يأت حاكما وكان محاربا بالمسيح والمسيح لم يكنه .

وقوله « وعيناه كلهيب نار » فهو تشبيه لاحمرارها عند غضبه لله تعالى بلهيب النار. والتيجان الكثيرة هى اشارة عن استيلائه واستيلاء عطفائه على الملوك ، وقد وقع ذلك كما هو مشهور والمسيح لم يقع له ذلك . وأجناد السماء عبارة عن الملائكة ، فقد ثبت فى الروايات الصحيحة المشهورة أنهم قاتلوا معه فى غزوة بدر على الخيل وفى غيرها ، وخروج السيف ذى الحدين من فمه كناية عن القرآن المجيد المنزل عليه من العزيز الحميد الذى فيه الأحكام الشرعية والأحكام السياسية أو النبوة والسلطنة أو ما يتعلق بالأحكام الدنيوية والأخروية ، ورعيه للأمم بعضى من حديد هو السيف أو كناية عن سياسته فى الأمم ورعيه لهم ، فكانه راع يرعى غنمه بعضى قوية غير غافل عنهم كما قال عليه الصلاة والسلام « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ودوسه لمعصرة الخمر كناية عن تحريمها والنهى عنها وبركها . وأهل الصليب يزعمون أن عيسى عليه السلام كان شربيا لها .

لا بد أن يكون عيسى الى الآن حيا ولا بد أن يتحقق هذا الايمان به قبل موته . وذلك انما يكون عند نزوله آخر الزمان .

ب — وقد يكون الضمير فى « به » لعيسى ، وفى « موته » للكتابى . والمعنى : أنه ما من أحد من أهل الكتاب الا ليؤمنن قبل موته بعيسى . والاعبار بايمان أهل الكتاب — على هذا الوجه — لا يتوقف على حياة عيسى الآن وعلى نزوله فى المستقبل ، لأن المراد أنهم يؤمنون عند معاينتهم الموت بأنه نبي الله وابن أمته .

وفى قوله « وانه لعلم للساعة » أبو السعود المفسر : « وانه أى عيسى لعلم للساعة أى أنه بنزوله شرط من أشراتها ، او بحدوثه بغير أب ، أو باحيائه الموتى دليل على صحة البعث » .

وعلى ثوبه ومخذه اسم مكتوب ملك الوكب ورب الارباب « يحتمل أن يكون كناية عن راياته المرفوعة المنشورة واستيلائه على ممالك الملوك التى استولى عليها ، وأخذ الجزية منها خلفاؤه وسلطين أمته ورب الارباب أى كبير الكبراء ورئيسهم وسيدهم ، وقد استعمل الرب فى الكتب السماوية بمعنى المرسل والرئيس والسيد والأمر المتبع وقد كان عليه الصلاة والسلام كما وصف . والملك الصارخ جبريل والطيور المجتمعة للأكل هى اما كناية عن الاستيلاء عليهم ويحتمل أن يراد بهم المجتمعين على اكل المقتولين فى جهاده . والنبي الكذاب لعله مسيلمة أو الاسود العنسى اللذين قدمنا ذكرهما . ثم انه عليه الصلاة والسلام هو الذى أبطل عبادة الصور والأوثان وطرحها فى النار ، أى أبادها وقتل أهلها المصريين على عبادتها لأن النصارى يعبدون الصليب ، والصور ويسجدون لها ويعبدون الملائكة والقديسين كما قدمناه لك باعترافهم ، وكذلك المشركون من أهل الأوثان .

وخلاصة الكلام : انك كلما أمعنت الفكر فى تطبيق هذه الرؤيا على شخص لا تنطبق على غير نبينا عليه الصلاة والسلام وليس لها تماس ولا مناسبة بحضرة المسيح غير لفظة كلمة الله . والأمر فيها سهل لوجوه : منها أنه يحتمل أن تكون مزيدة من النصارى أو محرفة كما هى عادتهم التى أثبتناها فيما سلف ، ويحتمل أن يراد أنه عليه الصلاة والسلام سمي كلمة مجازا لأنه لما كان مبلفا لكلمات الله وكتابه فكانه صار هو كلمة الله رمز هذا المجاز كثير ومستعمل كما اذا أرسل عمرو زيدا لتبليغ شىء ، فيقال ان زيدا لسان عمرو وهو كلامه . والكلمة وان كانت مفردة فقد يراد بها الجنس وتطلق على الكلام كما لا يخفى على من له وقوف على العلوم العربية . ولأننا لو أردنا أن نحملها على المسيح فلا بد أيضا من حملها على المجاز فحملها على النبي ﷺ حينئذ مع صدق بقية الأوصاف المتعينة فيه أولى من حملها على المسيح عليه السلام ، مع عدم صدق الأوصاف المذكورة عليه قطعا ، على أنه فى أول هذا الاصحاح دلالة وإشارة الى عيسى عليه السلام على ما تقتضيه اصطلاحات النصارى ، فقد قال قبل ما نقلناه أننا

ما لفظه : « فقال لى اكتب طوباهم الذين دعوا الى وليمة عشا عرس الخروف ، وقال لى هذا كلام الله هو حق ، فسقطه بين رجليه لأسجد له ، فقال لى انظر لا تفعل انا نظرت فى عبودية الله تعالى ، لك ولاخوتك الذين معهم شهادة يسوع ، فاسجد لله ، فان شهادة يسوع هى روح النبوة ، ثم رايت السماء مفتوحة واذا بفرس ابيض والراكب عليه يسمى الامين الصديق » الى آخر ما نقلناه آنفا .

فهذا يدل على ان المبشر به آخر ما غير المبشر به اولاً وهو عيسى الخروف بزعمهم ، فقد ثبت فى هذه الآيات السماوية ايضا البشارة بنبوة نبينا عليه الصلاة والسلام وأن جهاده عن امر آلهى كما ثبت ذلك بها قدمناه من متعدد الأدلة ، فلا تغفل .

بقى شىء ذكره النصرانى صاحب « ميزان الحق » لابد من ذكره والجواب عنه . وذلك أنه زعم أن ما وقع بين بنى اسرائيل والكنعانيين وبين داود وأعدائه من الحروب لا يصلح أن يكون دليلاً على جواز الجهاد الواقع من نبينا ﷺ لأن محاربة بنى اسرائيل وداود لم تكونا لأجل الايمان والدين بل لسوء أعمالهم وكثرة معاصيهم وللملك . ولا يخفى أن هذا جواب يضحك الاطفال ، ففى سفر التثنية فى الاصحاح السابع والتاسع ما بعضه « اذا أخذك الرب الهك الأرض التى أنت داخلها لترثها وطرد الشعوب الكثيرة من قدامك الحيثيين والجرجشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليابوسيين سبع أهم أكثر منكم عدداً وأشد منكم وأسلمهم الرب الهك بيدك فاضرب بهم وحرهم تحريماً ولا توائتقهم ميثاقاً ولا ترحمهم . اهدموا مذابحهم وكسروا أصنامهم وقطعوا مناسكهم وأوقدوا تماثيلهم بالنار ، ثم يرسل الرب الهك عليهم الزنابير أيضاً حتى يبيد الباقون والمختنون من أمامك ، فلا تخشهم ، لأن الرب الهك هو فى وسطك ، الله الكبير المخشى ، فيسلمهم الرب الهك بيدك ويوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا ويسلم ملوكهم بيدك وتمحو أسماءهم من تحت السماء ولا يستطيع أحد أن يقاومك حتى تسحقهم ، وأما آلهتهم المنحوتة

فأوقدوها بالنار ولا تشتمه الفضة ولا الذهب مما عليها
تأخذ لك ، لئلا تغر به لأنه وحس عند الرب الهك ولا تدخل بيتك شيئا
رجسا لئلا تصير محرما مثل ذلك فأرثله وارفضه لأنه حرام » انتهى .

وقد قدمنا لك كثيرا من الآيات التوراتية والواقعات الحربية الاسرائيلية
فصرفها الى أن أنبياء بنى اسرائيل انما أمروا بقتل الكافرين لا لأجل الدين (١)
بل لأجل الملك والانتقام منهم على شركهم وكفرهم ، لا يغنى صاحب الميزان
شيئا ، فهذا ونحوه مما يدل على أن قتلهم لأجل كفرهم اذ هو أعظم المعاصي ،
على أنا ان سلطنا ذلك فشرية نبينا عليه الصلاة والسلام هونت هذا الأمر
الشديد وهو القتل مطلقا للمعاصي ، سواء كانوا يؤمنون أو لا يؤمنون .
اذ فى شريعة عليه الصلاة والسلام أن يدعون المشركين أولا الى الايمان
وكسر الأوثان وتوحيد الله سبحانه ، فان أطاعوا فيها ونعمت وليس عليهم
ما يؤذيهم ، وان أبو أو أضروا على الشرك وعبادة غيره عز وجل قاتلهم ،
مانظر زيادة الرحمة الواردة فى الشريعة الأحمديّة على الاحكام الاسرائيلية .
وقد مرت لك هذه المسألة فلا حاجة الى زيادة التّطويل ، والله سبحانه
الهادى الى أوضح سبيل .

قوله « وهذا خلاف ما كان يفعله سمعان وبولس من ابراء المرضى واقامة
الموتى » لا يخفى عليك أن هذا خلاف الواقع المشهور المتواتر المسطور ،
وقد عكس « عبد المسيح » الحال وافترى فى هذا المقال ، اذ سيرة الفاروق
فى التواريخ معلومة وعمله وكراماته فى دفاتر الفريقين مرسومة ،
فلا حاجة الى التّطويل بذكورها واثبات بدرها . واما سمعان المدعو بالصفا
وبطونس ، فلا نقول فى حقه الا ما قيل فى كتب المسلمين انه من الحواريين ،
وحال الحواريين مميز فى كتابنا المبين ، الا أن النصارى مع اعتقادهم أنه
الصخرة التى بنت عليه الكنيسة أى دين المسيح وأنه اشرف من موسى
الكليم قد نقلوا فى اناجيلهم كفره بالمسيح عليه السلام كما فى الاصحاح

(١) كان فى البدء من أجل الدين ، ثم من بعد تحريف التوراة صار
لأجل الملك (انظر كتابنا نقد التوراة)

السادس والعشرين من انجيل متى ، وأنه انكر المسيح وحلفه على عدم معرفته كما وعده المسيح قائلا له : انك تكفر بي قبل ان يصبح اليك فكفوا بطرس الضفا امام جميع الخاضرين ثلاث مرات ، وأنه بعد ان قتل المسيح تاب من كفره ، وكان يبكي كلما يسمع اليك فادها من كفره وجعلها أيضا شريكا وملا في بعض الاحوال للشيطان الثمين الرجيم ، ففى الاصحاح السادس عشر من انجيل متى ما عبارته : « التفت يسوع وقال للضفا : اذهب ورائى يا شيطان قد صرت لى شكا لانك لا تفكر فى ما لله بل فى ما للناس » انتهى .

واما بولس فإنه ليس من البواريين بل من اليهود الذين اظهروا الايمان وانسبدوا بحيلهم حين المسيح بعد رفعه الى السماء ، وهو الذى شرع للقسارى احكاما وحرما حلالا واحل حراما وادعى انه عرج به الى السماء كما فى الاصحاح الثامن عشر من رسالته الثانية الى اهل كورنثوس ، ومنع من الختان وابعاح لهم الخنزير مخالفا لكافة الأديان ، ثم انه قتل فى رومية سنة تسع وستين متلحية . وقد ذكرنا لك شيئا من قرينة حاله واقواله فيما سبق ، ففكر ولا تقبل .

قال التصرائى : « فقد شرحت لك قصة المسيح سيدنا على غاية الإقتصار وبعض اخبار الحواريين الذى نقلنا عنهم ديانتنا التى نحن متمسكون بها ومنتحلون لها فاجمع الآن ما تريد جمعه منها الى ما يدك واستعمل الانصاف وأصدق نفسك ولا نغشها وان قبلت منى فانى لك من الناصحين يشهد الله والملائكة على بذلك ، ان تركت مشاركة الفجرة الجهال واقبلت الى نور الانجيل وضياء بشاراة المسيح ، نصر من اوليائه ، وترث ملكوت السماء وحياة الأبد التى لا انقطاع لها والنعيم الذى لا ييلفه صنف الاميين ، وخف ممن سلطانه على بدنك ونفسك الذى هو يقدر ان يرحمك ويقبلك كما يقبل الأب الولد الشارد ، فانك تكون من الموفقين ، فان حجة الله تبارك اسمه عليك ظاهرة لما قد خصك الله به من العقل وفضلك من الزيادة على غيرك ، فلا تغفل ولا تفتقر بهذه الدنيا وتتعلق باسبابها وتغمس فى شهواتها فانها غدارة مهلكة لمن مال اليها . وانظر لنفسك قبل فوت النظر ورد فترك فيما قد كتبته اليك وشرحته لك من الأشياء التى قللتها كتابى هذا وقس بعضها ببعض واستعمل فى ذلك قانون العدل وميزان الحق ، وآثره وهل اليه وتجنب الباطل وتنج عنه ، واهرب من الامور المدلسة فانها انما هى بهرجة على قوم جهال أغبياء لا علم لهم ولا معرفة ولا قاذب ولا حكمة ولا نظر ولا شريعة . فليس هذا الأمر من الامور التى يجوز ان يففل عنها حتى لا يلتفت اليه لانه هو الامر المحصول عليه فى الوقتين معا فى هذه العاجلة وفى الآجلة ، وقت لا يقبل منك فيه العذر ولا ينفع الاحتجاج . واعلم علما يقينا ان من كفر بالطاغوت وآمن بالله فقد استمسك العروة الوثقى التى لا يخيب من طلبها لرضى الرب ، واجهد نفسه بالتقرب اليه بما قد فرضه فى كتبه اما أنا فقد بلغت جهد طاقتى فى النصيحة لك ولكل من نظر فى كتابى هذا وما أبقيت عند نفسى فى ذلك غاية ، واسأل الله ان يوفقك وايتانا على العمل الصالح بطاعته ، ويعصمنا من معاصيه ويشركنا فى ملكوته مع أوليائه الذين رضى عنهم بجوده وكرمه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، آمين » انتهى .

أقول : لنعد لك هذا الكلام ممزوجا بجواب ، ورد عليه ، ومعيدا وباله اليه ، عليه بالحررة خطأ ليبين للناقدين زيف ما هذى به وأخطأ .

قال « فقد شرحت — أى كتبت لك — قصة المسيح مسيلا على غاية
الاقتصار » لو وجدت أيها النصراني أكثر من ذلك لحررتك ، ولو عثرت
على كذب أزيد منه لسطرتك ، مع أن هذا خارج عن رسالة الهامسى لأنه
والمسلمين مقرون بنبوة المسيح عليه السلام وعبوديته للبلك العلام ،
معتزمون بمعجزاته الواردة فى القرآن مبرعون لجنابه العالى مما نسبته
إليه أهل الكفر والطغيان كإنكار نبوته وإدعاء النصراني الوهيته ، وقد
أثبتنا بالدلائل العقلية الانجيلية انسانيته وعبوديته ، وبعض أخبار الحواريين
لكتك كتبت ما فعلوه ليلة صلبه من تفرقه من وتركه وحيدا لا يبدى ولا يعيد ،
وما فعله منهم يهوذا وتسليمه له لقبض ثلاثين درهما وإنكار بطرس له
وكفاره بالله — على زعمكم — وليت شعرى اذا نقلتم عنهم ذلك فى انجيلكم ،
كيف لك أن تقول : « الذين نقلنا عنهم ديانتنا التى نحن متمسكون بها
ومنتحلون لها » لأنهما لم يبق بهما وثوق ، وأنت قد عميت وأردت الجميع
وما استثنيت ، مع أنكم أيضا خالفتموهم لأنهم اعترفوا بأن المسيح نبي
وعبد مرسل كما أثبتناه لك فيما مر من النقول ، وهم قد اختلفوا وأنتم
لا تختلفون ، وهم قد قالوا ينبى أن يكون الأسقف بعل امرأة واحدة كما
فى رسالة بولس الاولى وأساقفتكم ورهبانكم الآن لا يتزوجون ، وهم
لا يعتقدون أن المسيح يجوز أكل لحمه وشرب دمه ، وأنتم بزعمكم له أكلون
ولدنه شاربون ، فاجمع الآن ما تريد جمعه منها الى ما فى يدك واستعمل
الانصاف . واذ قد بينا لك ما فى توراتكم واناجيلكم من البشائر بنبوة المصطفى
ﷺ وأنه الفارقليط المعظم ، وسردنا لك جملة من معجزاته المتواترة وسيرته
الباهرة ، فاعترف بالحق وأصدق نفسك ولا تغشها وأن كانت أعدى أعدائك
التي بين جنبيك ، ولا تكن من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم
يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

وأن سمعت ذلك وقبليت منى ما هنالك فتعال الى كلمته سواء بيننا
وبينك : « أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
أربابا من دون الله » وقد تبين لي أنك (اذا بقيت) بعد هذا فى قولك ، فاني لك من
الناصحين ويشهد الله والملائكة على أنك بذلك موافق لما قاله ايليس لأبينا

عليهم وأما هؤلاء لما قام بهم انه لهما من الناصحين ، وأخرجهما بكذبه وخداعه
من النعيم وصاروا لأولئك من ذريته ، حتى أسلمهم نار الجحيم .
فلاهم يغرور ثم أسلمهم أن الخبيث لمن والاه غرار

ولقد كبرت كلمة جرى بها لسانك وحررها بناتك بقولك « ان تركت
مشاركة الفجرة الجهال » فقد غفيت ويك المسلمين الذين هم آمنوا برب
واحد وجميع كتب الله تعالى المنزلة وأنبياؤه المرسله ، وتطهروا قلوبنا
وجسما وامتلأت صدورهم علما وفهما وزهدوا في الدنيا ونالوا من الولاية
الدرجات العليا ، ودوتوا العلوم وأعلموا الناس بما كان في التوراة والانجيل
محرورا ومكثوم ، وتراهم بين رакع لله تعالى وساجد وقائم في بيوت الله
وقاعد وساهر ليلة بالتنسيخ والذكر وقاطع نهاره بالتلاوة لكلام الله سبحانه
والفكر مداوم على الصوم في رمضان والصلاة خمسة أوقات يتطهر لكل
صلاة وأن كان مريضا أو مسافرا في الفلوات ، ويفتسل ولو في البرد من
كل جنابة ، ويؤدى بعد الصدقات زكاة المال اذا بلغ نصابه ، لا يأكل
الخبائث كحرم الخنزير ونحوه مما حره الله تعالى في التوراة التي تزعم أنك
بها عالم وخبير ولا اله في الخمر ولا يشرب الخمر المذمومة للالباب ولا يبيع
أكل كل ما تشتهي نفسه كالجعلان ، ولو كان رجيح الكلاب ، بل يأكل
الطيئات ويتجنب الخبيثات ، ويقول بعد أن يتفكر في ملكوت الأرض
والسموات في الليل والنهار : « ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا
عذاب النار »

فهلا يا عبد المسيح تركت هذا القول الفاجر القبيح وأقبلت الى
نور الانجيل وضياء بشاره المسيح التي أخبر بها عن بزوغ بدر نبينا ذى الطالع
الصبيح ، من قوله فيما نقله وتلاه يوحنا في انجيله عليكم : « ان لم
انطلق لم ياتكم الفارقليط ، فأما ان انطلقت أرسلته اليكم » وقال أيضا :
« انه أركون (1) هذا العالم ، وهو يشهد لي ويعلم بنى آدم » فاذا فهمت

(1) تفسير الأركون في كتاب البشارة بنبي الاسلام في التوراة
والانجيل .

أيها المؤلف مرأه وسهعت كلامه تصر أوليائه وتترك مكتوبك النساء وحياته
الأبد التي لا تقطع لها والنعيم الذي لا قبله صفة للمسيحيين ، واتبع
توحيد الإيميين ، وخف من سلطانه على بدك وتفسك ولا تجفل له شريكا
أو ابنا تخرعه بباطل وهمك ومخطيء حسك ، فهو الذي لا يحل في مخلوقاته
ولا تنتقل الي غيره صفاته ، وهو لا عبده وابن امته المسيح — يقدر من غير
واسطة احد أن يرحمك ويقبلك ان أسلمت وبه وحده آمنت ولخاتم انبيائه
محمد ﷺ صدقت . فقد قيل والله سبحانه المثل الأعلى انه يقبل بلطفه ورحمته
على الثائب كما يقبل الأب الولد الشارد فالك بعد ان تكون من المسطين تكون
ان شاء الله من الموفقين ، وان لم تسمع نصيحتي ولم تقع بحجتي فان حجة
الله تبارك اسمه عليك ظاهرة لديك ، لما قد خصك الله تعالى به من العقل
ويفضلك على سائر الحيوانات ، ومن الزيادة في الفهم على غيرك من أبناء
خوئك فلا تغفل أيها الغافل عن آخرتك ولا تغالط نفسك بعد حسك ولا تبهرج
على أبناء جنسك في مثل المتقدم من رسالتك ولا تغتر باهمال الله تعالى
لك بهذه الدنيا ، ولا تتعلق بأسبابها التي فتلتها لك الأيدي الشيطانية ،
ولا تنفد للناس زيوف كلماتك التي زعمت انها فيلسوفية وتغمس في
رغبة شهواتها وتبيع آخرتك بماجل لذاتها . فانها وايم الله غدارة مهلكة
مكاره آفكه خادعة ، لن مال اليها ، نازعة نعم من يتكل عليها . وانظر
لنفسك الضعيفة قبل فوت النظر واعتبر بمن فسق ونجر كيف مضى ولا عين
ولا أثر ، وردد فمرك ولا تغالط ما يخالج من الحق صدرك ، فيها قد أجبتك
به وكتبته وحصحص الحق به عليك وشرحته لك من المعجزات الباهرة ،
لاشرف من يمشى على الساهرة والآيات الدالة على نبوته في العهدين التي
لا ينكر ضوءها الا اعمى البصيرة والعينين والأجوبة عما أوردته واعترضت
به مما هو زور ومبين ، وما بينته لك من الأشياء التي قلدها كتابي هذا
فتدبر جميع تلك المسائل وقس بعضها ببعض ولا تكن عن الكثير للذي
أودعته العلماء في بطون الكتب يغافل ، العمل في ذلك قانون العدل ،
واقصد « اظهار الحق » الذي هو في الحقيقة « ميزان الحق » الذي أتى
به صاحبنا الشيخ رحمت الله الهندي فانه المقبول الفصل لا ميزان

البيروتستانات الظاهر تطبيقه لأهل البيان ، واهتد بهداية الحيارى فانه
يصل الخطاب وما كتبه سائر أئمة الاسلام من هذا الباب ولا سيما
« الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » فاعتصم به وآثر وهل اليه
واصعد الى فلكه واستوى عليه ، لتنجو من المهالك وتجنب طريق
الباطل ، فانه من اثر المسالك وتتح عنه ولا تقرب آسن الافتراء فانه
لا يروى المصطفى منه واهرب من الأمور الملتصقة ولا تتبع شيطانك فيها
وسوسه ولا تأت بصاحبة الفاظ فاسدة المقاصد والمعاني بخية المباني ،
لا يخفى بطلانها على الفوائى فضلا من كل عالم ربانى فانها انما هى
بهرجة وكلام يذم من سجيته .

وقد حاولت أن تشبه على أقوام جهال غيباء لا علم لهم بسيرة سيد
الأنبياء ولا معرفة بما جاءت به الإنباء ولا تأدب لهم ، اذ لو كان لهم لما اتبعوا
كل ما شرع لهم الرهبان وجميع ما يشرع البابا يقدمونه على انجيل عيسى
عليه السلام وعلى توراة موسى بن عمران ولا حكمة لهم ولا نظر ، اذ
لو كان لهم شيء من هذين لما اعتقدوا الخرافات التى يكذبها السمع والعين ،
ولعلموا أن اعتقاد الأوخريستيا نوع من أنواع الجنون ، وأن ولادة الله
سبحانه من بطن مريم وصلبه وموته عقيدة يضحك منها أصحاب العجل
السامريون . ولعبر الله انه شيء يترفع عن اعتقاده صاحب وثن ،
والبراهمة ذوى القول المستهجن والمجوس الصقعاء والصائبون الحمقاء
لأنه لا يطابقه عقل ولا شريعة مرسل .

فإذا علمت ما قلناه وتاملت تأمل طالب للحق غير متبع هواه فأتبع
الحق ولا تتماهى واصح من سكرتك فأنت وأيم الله من
السكرارى ، فليس هذا الأمر من الأمور التى يجوز أن يغفل عنها ، وليس
يليق بالعاقل الا ان يؤد الشريعة الطاهرة المحمدية ، ويروى منها ، وانى
وكل عاقل لنتعجب من نصرانى قرأ القرآن وعرف ما آتته من المحالات
أشماليل الرهبان ، كيف غشى على عقله حتى لا يلتفت اليه ، مع أن الحرى
به أن يجعله مرآة قلبه وعينه ، لأنه هو الأمر المحصول عليه فى الوقتين

جاء ، في هذه المعالجة ، حيث يهذب الاخلاق ويوتقك على توضيح توحيد الخلاق ، وتستخرج منه الحكم والامثال والاحكام العالية المنال ، ويكون في الأجلة نورا لصاحبه وحنة عند الله تعالى لمبتغيه ومنجيا من عذابه وبوصلا لعظيم ثوابه .

ويشفي لك ايها المنكر له عنادا ، تذكر وقت لا تجد فيه مالا ولا اولادا ولا ناصرا ولا اخفادا ، ولا يقبل منك فيه العذر ولا ينفع الاحتجاج بالحجج التي لا تنفع بل تضر ، واعلم ايها المثلث علما يقينا ان من كثر بالطاغوت وآمن بالله ولم يجعل له شريكا ولم يسجد لصليب من الخشب المنحوت وصدق بنبوه محمد ﷺ الى ان يموت ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن زاغ عن هذه العقيدة فهو الاشقى ، ومن اتبع الشريعة العربية السائلة من كل عيب التي لا يخيب من طلبها لرضى الرب ، فقد نال السعادة العظمى بلا شك ولا ريب ، ومن اجهد نفسه بالتقرب اليه بما قد فرضه عليه وشرعه في كتبه ، وما بلغه الرسول عن ربه ، فقد تراز بالحسنى والمقام الاسنى ، وتقلب في دار النعيم والخلود عندما يخلد في دار الجزاء والعذاب اهل الجحود من النصرى واليهود .

ثم انك يا عبد المسيح اردت غش العقلاء فتقاصرت ، ورميت جميع ما في جيبك وما اصبحت ، وظننت ان صقرك وبقرك تروج في سوق الجهال ، وخذعتك نفسك ان بلاد المسلمين خلت من افاضل الرجال ، وزعمت انك ممن له معرفة بالنضال ، حتى نزلت في ميدان المخاصمة والجدال ، فقد بنيت نفسك بالباطيل وزخرفت كلماتك بقال وقيل ، فابديت لامثالك سوعتك وكشفت لاسترك الله عورتك ، حتى رجعت سهامك الى نفسك الامارة وعادت اليك تارك التي اوقدتها للمسلمين ، ولم تقلهم منها شرارة .

واما انا العبد الملوك لله فقد بلغت جهد طاقتي واظهرت لك ما خفى عليك من اجوبتي وما نيرته علياء ملتي ، وقشمت غياهب ما ابديته من المشكلات ما بين العبارات ، وابطلت والحمد لله تعالى سحر كلماتك بنفائات الآيات والمعجزات وامطت النقاب عن كزعباتك ، ونبهت الغافلين

عن مكنونك والتيت عصى الحق فالتفت لباطلك ، واوقدت مصباح
الصدق ، وأظهرت لمن فى الظلمة حياتك ، وبذلت استطاعتى فى
لك ولكل من نظر فى كتابى هذا من المسيحيين طالبا للسلوك فى طريق
الهداية ، مع من سلك .

وما أنقبت عند نفسى فى ذلك الره غاية ، واسأل الله تعالى وحده
أن يوفقك أن كنت من سبقت لك الحسنى منه وايانا على العمل الصالح
بطاعته والدوام على التصديق بكتابه المنزل على الخصوص برسالته ،
ويتوفانا على الايمان بسيدنا محمد ونبوته ، ونبتهل اليه ان يجعلنا من أهل
شفاعته وأن يعصمنا — أى يحفظنا — من كباثر معاصبه ، ويسكننا مع
المنعم عليهم فى دار كرامته ، وأن يشركنا مع نبينا فى ملكوته ويحلنا مع
أوليائه الذين رضى عنهم بجودة وكرمه ، فانه الجواد بواثر نعمه .
والصلاة والسلام على أنبياء الله وعليك أيها النبى وعلى عباد الصالحين
ورحمة الله وبركاته آمين .

قال نصرانى فى آخر هذا الكتاب عند اكمال تصحيحه ما عبارته :

تنبه يقول المتولى تصحيح هذه الصفحات : انه ما حصل بيدي لهذا
العمل الانسختان : احدها منقولة على ما قيل عن نسخة من بعض مكاتب
القسطنطينية ، والثانى عن نسخة من احدى مكاتب مصر ، بلا اسم
الناسخ ولا المستنسخ ، ولا تاريخ النسخ ، والثنتان فى غاية التحريف
مع الاختلاف العظيم فى عدة مواضع ، فاجتهدت فى التاليف بينهما على
قدر الامكان ، ومن بذل وسعه فلا لوم عليه ، وان قصر .

هذا ووجدت فى آخر النسخة المصرية الزيادة اللاتى نصها بحروفها
بلعنا أنه انتهى الأمر الى «المأمور» فى خبر الرسالتين فأمر باحضارهما وقرآنا
عليه ، فلم يزل ناصتا حتى جاء الى آخرهما ، فقال : ما كان دعاه الى أن تعرض
لما ليس من عمله ، حتى أجاد كتاف نفسه ، فاما النصرانى فلا حجة لنا عليه
لأن الأمر لو لم يكن عنده هكذا لما أقام على ديته ، والددين دينك احدهما دين
للدنيا والآخر دين الآخرة فالدين المجوسى وما جاء به زرادشت . واما
دين الآخرة فهو دين النصرارى وما جاء به المسيح ، واما الدين الصحيح فهو
التوحيد الذى جاء به صاحبنا فانه الدين الجامع والآخرة انتهى .

ثم قال هذا النصراني المصحح « أما الرسالتان فقد ذكرهما العالم الشهير أبو ريطان محمد بن أحمد البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية من القرون الخالية إذ استشهد بكلام عبد المسيح على ذبح الصائبة والآدميين قربانا للقر ، فقال : وكذلك حكى عبد المسيح بن اسحق الكندي النصراني عنهم في جوابه عن كتاب عبد الله بن اسماعيل الهاشمي أنهم يعرفون بديح النابس ، ولكن ذلك لا يمكنهم اليوم جهرا انتهى .

ثم قال هذا النصراني وأما عبد المسيح هذا فما عرفت على ذكره في شيء مما قيسر لي مراجعته من التواريخ الاسلامية ، سوى ما نقلته هنا عن البيروني . والله أعلم ما نسبته من يعقوب بن اسحق الكندي الشهير مترجم الكتب اليونانية الملقب بفيلسوف الاسلام .

انتهى كلام النصراني المصحح للكتاب المطبوع الذي رددناه ، والله الحمد والمنة .

اعلم أن كلمات هذا المصحح النصراني تنادي على صحة ما ظنناه من أن هذا الكتاب مفتعل ومختلق في عصرنا هذا من بعض البيروتستنتيين أو من جميعهم ومنسوب الى شخص نصراني في أيام المأمون ، ولا يخفى هذا على كل متأمل ذكي وفطن المعى ، وأراد بزعمه أن يموه على السامعين والقارئین زيف مقاصده فحذر هذا التنبيه ، مع أنه يظهر كالشمس خافية .

وليت شعري لم لم يذكر اسم مكتبة القسطنطينية ومكتبة مصر ، حتى نرى فيها هاتين النسختين ويلوح الأثر للعين ؟ إذ مكاتب القسطنطينية لها أسماء معروفة ودفاتر لكتبها مطبوعة وعن طالبها غير مصروفة وكذا المكاتب المصرية ، أسماء كتبها مطبوعة ومنشورة في البلاد الشرقية ، فعدم ذكره لاسم المكتبتين أمانة ظاهرة على انطماس هذا العين .

ثم انه اختلق أيضا قول « المأمون » ليرى سراب فعله ماء للعيون ، وكيف يروج على ذى عقل ودين أن يقول هذا الخليفة العباسي ما قال بين ملا من المسلمين ، ويعبر بصاحبنا عن تبيين السيد الشفيح الأمين عليه

لفضل صلاة المسلمين وأزكى سلام المسلمين ، ويجعل دين النصراني
دين الآخرة وهو يعلم حالهم الظاهرة ، وأنهم يعملون ما يعملون ، ثم
يغفر القسيس ذنوب النفوس الفاجرة ، فتعود بفقرانه من كل كبيرة
وصغيرة ظاهره ونفية ؟ أن ما فيه من التهميه لا يخفى على كل نبيه ،
فلا نتعب جواد القلم بجريه في واديه ، ولتسك غنان فيه ، ونعود
بالله تعالى من شرور هذا الزمن وكيد بينه ، ونسأله أن يحفظنا من شر
ما خلق ويصرف عنا وعن المسلمين أذى كل مخلوق ، ويقينا شر كل حاسد
ومتعاهي عن الحق جاحد ويحسن خواتم أعمالنا وأن يعلمنا ما لم نعلم ،
وينفعنا بما يعلمنا ويرزقنا العافية في الدنيا والآخرة ، وينور قلوبنا وقبورنا
بكلمة التوحيد الفاخرة ، ويهدينا إلى ما اختلف فيه من الحق باذنه ، انه يهدي
من يشاء إلى صراط مستقيم ، ويهتدنا على دين نبيه سيدنا وشفيعنا
الرسول المصطفى المختار ، وحبه وحب أنبيائه السادة الأطهار والآل
والصحابه والتابعين الأبرار ، اللهم صل عليه وعليهم أجمعين وعلى الملائكة
والمقربين وعباد الله الصالحين ، وعلينا معهم يا أرحم الراحمين . وآخر
دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

وقد وقع للفراغ من تأليفه : غرة جمادى الأولى لسنة ست وثلثمائة
وآلف من الهجرة النبوية ، على مهاجرها أفضل الصلاة وأكمل التحية .

وكان الشروع فيه : غرة ذى الحجة من سنة أربع وثلثمائة و الف ،
الا أنه حصل تعطيل في البين ، نحو ستة أشهر ، وأسأله سبحانه القبول
والتوفيق والعافية في الدارين آمين .

تم الجزء الثاني من الجواب الفسح لآ لفته عبد المسيح وبتمامه تم الكتاب
وقد فرغنا من تحقيقه في يوم الاربعاء الثالث من ربيع الثاني سنة
الف وأربعمائة وثمانية من الهجرة ، الموافق الخامس والعشرين من شهر
نوفمبر سنة سبع وثمانين وتسعمائة و الف من الميلاد ، في استراحة استاذة
جامعة أم درمان الاسلامية بالخرطوم .

فهرست الجزء الثانى
من الجواب الفصيح لما لفته عبد المسيح

الصفحة	الموضوع
٣	كلام النصرانى فى مرض موت النبى صلى الله عليه وسلم ورد الالوسى عليه .
٢٠	كلام النصرانى فى أن المساميين فى عهد « المسامون » رضى الله عنه كانوا منافقين . ورد الالوسى عليه .
٤٤	كلام النصرانى فى أن دين الاسلام انتشر بالسيف ورد الالوسى عليه
٧١	كلام النصرانى فى قيمة الشرائع ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس نبيا صادقا ، ورد المؤلف عليه .
٨٤	كلام النصرانى فى أن القرآن ليس معجزا ، ورد المؤلف عليه
١٢٣	كلام النصرانى فى كتابة القرآن بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ورد المؤلف عليه .
١٩٤	كلام النصرانى فى فصاحة القرآن وبلاغته . ورد المؤلف عليه
٢٣٣	نص صك غفران .
٢٧٢	كلام النصرانى فى أن اللغة العربية فيها لحن وتحريف ورد المؤلف عليه .
٢٧٥	كلام النصرانى فى أن محمداً صلى الله عليه وسلم خدع العرب بالنبوة ولكنه لم يكن نبيا . ورد المؤلف عليه .
٢٨٠	كلام النصرانى فى الخلافات التى عند المسلمين . ورد المؤلف عليه
٢٨٦	كلام النصرانى فى أنه مكتوب على العرش لا اله الا الله . ورد المؤلف عليه .
٣١٦	نقد النصرانى لشعائر الدين الاسلامى . ورد المؤلف عليه
٣٢٤	كلام النصرانى فى الختان . وكلام الالوسى فيه
٣٤٧	كلام النصرانى فى الحج . وكلام الالوسى فيه
٣٩٢	كلام النصرانى فى أن المؤمنيين بيسوع المسيح ينالون من الله ما يطلبونه . ورد المؤلف عليه
٣٩٨	كلام النصرانى فى أن القرآن فيه تناقض . ورد المؤلف عليه
٤٣١	كلام النصرانى فى أن المعجزات الحسية وخوارق العادات قد تظهر على يد اى انسان . ورد المؤلف عليه .
٤٤٨	كلام النصرانى فى أن الله ينتلى الناس بالاسقام والأمراض . وكلام المؤلف عليه

- كلام النصرانى فى ان المسلمين الذين يقتلون فى سبيل الله ليسوا
شهداء . ورد المؤلف عليه
٤٦٠
- كلام النصرانى فى أن القرآن يدعوا الى المذات والشهوات
ورد المؤلف عليه
٤٦٦
- كلام النصرانى فى أن القرآن يبيح الطلاق . ورد المؤلف عليه
٤٧٥
- كلام النصرانى فى الفخر بالشفاعة . ورد المؤلف عليه
٤٨٠
- كلام النصرانى فى قول النبى صلى الله عليه وسلم « حبيب الى من
دنياكم الطيب والنساء » وشبهه . ورد المؤلف عليه
٤٨٦
- توضيح النصرانى لعقائد النصرارى . ورد المؤلف عليه
٤٩٢
- بيان النصرانى أنه وحده على الحق ، وأن المسلمين ضالون
ورد المؤلف عليه .
٥٣٨
- استدلال النصرانى على صحة دينه بايات من التوراة واسفار
الأنبياء . ورد المؤلف عليه .
٥٦٩
- انكار النصرانى لتحريف التوراة والانجيل ، ورد المؤلف عليه
٥٩٣
- اثبات النصرانى لنبوة عيسى عليه السلام بالمعجزات التى ظهرت
على يديه . ورد المؤلف عليه بأن الله لا يحل فى شىء .
٦٨٢
- شرح النصرانى لبدء دعوة عيسى عليه السلام فى بلاد اليهود مع
يحيى عليه السلام . وتعقيب المؤلف عليه
٧٣٥
- توضيح النصرانى لما فى الانجيل من النصائح والعظات ، وتعقيب
المؤلف عليه .
٧٥٥
- توضيح النصرانى لعادات عيسى عليه السلام واخلاقه . وتعقيب
المؤلف عليه .
٧٨٧
- كلام النصرانى فى أن دعوة عيسى عليه السلام عالمية لبنى اسرائيل
وللادم ، وتعقيب المؤلف عليه .
٨٠٥
- كلام النصرانى فى رفع عيسى عليه السلام الى السماء واستشهاده
بالقرآن على ذلك . وتعقيب المؤلف عليه
٨٣٠
- حث النصرانى المسلمين على التنصر وترك دين الاسلام . ورد
المؤلف عليه .
٨٤٨

تم فهرس الجزء الثانى من الجواب الفسيح لما

لفقه عبد المسيح - للامام الالوسى

وبتمامه ، تم الكتاب كله